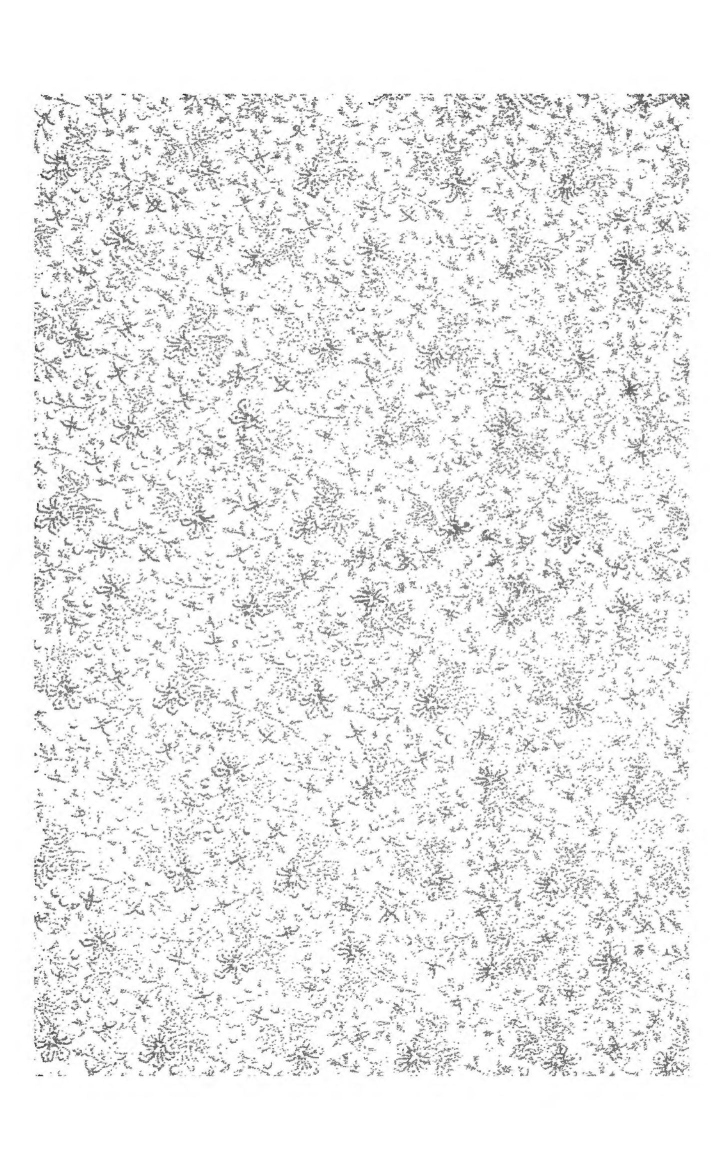


اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ محمد طه الحاجرى

الاسكندرية



رسائل إخوان الصفاء

وخلان الوفاء

الجزء الأول

« مصدرة بمقدمة ضافية بقلم
« الدكتور طه حسين أستاذ
« الآداب بالجامعة المصرية
« مقالة بخلاصة تاريخية بقلم
« العلامة أحمد زكي باشا
« سكرتير مجلس الوزراء
« الاسبق

عني بتصحيحه
خير الدين الزركلي



المطبعة العصرية بمصر
١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م



بقلم العلامة الدكتور طه حسين

أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية

(١) لم يعرف المسلمون عصراً كالقرن الرابع للهجرة تناقضت فيه حياتهم العامة أشد التناقض فكانت سيئة أشد السوء مجدبة أقبح الاجداب من ناحية، وكانت حسنة قيمة خصبة منتجة من ناحية أخرى. فسدت فيه حياتهم السياسية فساداً ظاهراً فانحل سلطان الخلافة في بغداد وأصبح أمر الخلفاء الى المسيطرين عليهم من رجال القصر ونسائه، يعبثون بهم ويحتكمون فيهم، ويكلفونهم صروف الذلة والهوان، واضطربت الدولة كلها فاستقلت عنها الاطراف البعيدة استقلالا تاماً، وطمحت الأقاليم القريبة الى شيء من الاستقلال الداخلي يختلف قوة وضعفاً باختلاف مالهذه الأقاليم من حظ في حياتها الاقتصادية والاجتماعية وباختلاف من ينجم فيها من الزعماء وأصحاب المطامع، بحيث أصبح العالم الاسلامي فى هذا العصر ميداناً للتنافس وازدحام الأهواء والشهوات والاستباق الى مظاهر الفوضى والاضطراب. وصلحت فيه من ناحية أخرى حياتهم العقلية صلاحاً لم يعرفوا له مثيلا من قبل: فأزهر الشعر والنثر ونضج العلم والفلسفة ونمت علوم اللغة وفنونها ونهض التاريخ والجغرافيا بحيث إنك

تنظر الى هاتين الناحيتين من نواحي الحياة الاسلامية فى هذا العصر فلا تكاد تستريح الى أنهما تمثلان أمة واحدة هي الامة الاسلامية، متأثرة بحضارة واحدة هي الحضارة الاسلامية، وخاضعة لسلطان واحد هو سلطان الاسلام.

ذلك أن هذه الامة لم تكن فى حقيقة الامر أمة واحدة! وانما كانت أمماً مختلفة أشد الاختلاف متباينة أشد التباين، جمعها الاسلام تحت لواء واحد فى أمد قصير من الدهر، وحاول أن يمزجها ويلغي مابينها من الفروق، فوفق الى ذلك أحياناً ولم يوفق اليه أحياناً أخرى.

وبينما كان يخيل الى من ينظر الى الأمة الاسلامية إبان قوة الأمويين أو العباسيين أن ستكون من كل هذه الشعوب وحدة قوية قد كونتها وحدة اللغة والدين والنظام، كانت هناك مؤثرات أخرى تحول بين وحدة الدين واللغة والنظام وبين نتائجها الطبيعية المنتظرة. وكان أهم هذه المؤثرات بعض الجنسيات القوية التى لم يستطع النظام الجديد أن يهضمها ولا أن يمحوها، بل لم يستطع أن يغير طموحها الى الحياة القوية ويضعف ميلها الى الاستقلال والسلطان.

فقد أسلم الفرس جميعاً وتعلم كثير منهم العربية أو استعربوا، ولكن الأمة الفارسية فى جملتها ظلت فارسية، إن لم تحتفظ بدينها القديم فقد احتفظت بلغتها وأدبها وعاداتها وكثير من نظمها الاجتماعية، بل هي لم تكتف بهذا وإنما جدت في إخضاع الغالبين، الى حد ما، لما احتفظت به من

لغة وعادة ونظام . ثم اتصلت بالسياسة العربية الاسلامية فأثرت فيها أشد التأثير، وانتهزت فرصة الخلاف بين الامويين والهاشميين فانحازت الى هؤلاء الآخرين ومنحتهم القوة وأجلست زعماءهم على عرش الخلافة . ثم أحاطت بهذا العرش تذود عنه وتحميه ، وتحتكره في حقيقة الامر وتستأثر به وتقصي عنه العرب شيئاً فشيئاً . وماهي إلا أن يمضي القرن الثاني وينتصف القرن الثالث حتى تنقطع الصلة أو تكاد تنقطع بين هذا العرش وبين الامة العربية : واذا العرب قد ارتدوا الى أوطانهم الاولى ، واذا الخلفاء قد أصبحوا أسرى للعناصر الاجنبية المغلوبة في الدولة ،واذا هذه العناصر قدأخذت ترفع رؤوسها وتمد أيديها الى السلطان فتأخذ منه ـ كما قدمنا ـ بحظوظ مختلفة من القوة والبأس ومن السيادة والاستقلال .

وكانت الأمة الفارسية أسبق الامم الى اقتطاع حظها من هذا السلطان وكانت أعظمها منه حظاً وأوفرها منه نصيباً ولاسيما فى هذا القرن الرابع للهجرة .

(٢) ولكن هذه الحركة العنيفة التى بعثها الاسلام فى العالم القديم كله أنتجت مالم يكن بد من إنتاجه فقد اختلطت كل هذه الامم وائتلفت كل هذه الشعوب وعرف بعضها بعضاً وأحب أن يتزيد من هذه المعرفة فانكشفت للعرب نفوس الفرس والروم والساميين والقبط والبربر والاسبانيين ،وانكشفت لهؤلاء جميعاً نفوس العرب . وكانت بينهم الى هذه الصلات السياسية التي أحدثها الفتح والدين صلات عقلية أشبه شيء

بما حدث فى العالم القديم حين أغار الاسكندر على الشرق وحين بسطت روما سلطانها على الشرق والغرب معا

أصبحت اللغة العربية لغة رسمية لهذه الشعوب تترجم مابينهم من صلات سياسية ودينية، وتترجم مابينهم من صلات نفسية وعقلية . وأخذ كل شعب من هذه الشعوب يحرص على أن يكون له فيها أثر ظاهر . وأخذ العرب أنفسهم يحرصون على أن يكون فى لغتهم مثال صادق لخير ما انتهت إليه حضارات هذه الشعوب وحياتها من أدب وفن، ومن علم وفلسفة . فكانت الترجمة عن الفارسية والهندية والسريانية واليونانية، وكثرت هذه الترجمة وكثر درسها وشرحها وتفسيرها ، وتأثرت بهذا كله حياة المسلمين العقلية منذ عهد بعيد فظهرت آثارها فيفلسفتهم وكلامهم وعلومهم وآدابهم .

ولكن هذا كله لم يسغه العقل الاسلامى الجديد ولم يحسن هضمه إلا بعد أن انقضى القرن الثالث وأظل المسلمين هذا القرن الرابع . فى هذا القرن والقرن الذي بعده أخذت تظهر للمسلمين حياة عقلية جديدة مصطبغة بالصبغة الاسلامية الخالصة ، وأخذ يظهر في العالم الاسلامي مفكرون مسلمون لا يصطبغ تفكرهم بصبغة الدين ولا بالصبغة الفلسفية الاجنبية، كما كان ذلك شأن المتكلمين إبان القرنين الثانى والثالث ، وانما هم مفكرون مستقلون يحاولون أن يصبغوا ما انتهي الى المسلمين من آثار الامم الاخرى صبغة إسلامية صرفة مستقلة. وكان من زعماء هؤلاء جماعة كالفارابي وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة الذين ظهروا فى هذا العصر . وكان لنضج هذه

العلوم والفنون فى نفوس المسلمين أثرها في الفن والادب أيضاً . فليس شعر المتنبي وأبي العلاء كشعر البحتري وأبي تمام أو كشعر أبي نواس ومسلم أو كشعر الفرزدق وجرير ، وليس نثر الصابي وابن العميد كنثر الجاحظ أو كنثر ابن المقفع ، أو كما روي من النثر لكتاب الامويين وخطبائهم ، وانما هذا كله شيء جديد لاهو بالبدوي أو القريب من البدوي ، ولاهو بالأجنبي أو القريب من الأجنبي ، وإنما هو فن عربي قوي الأسر متمكن فى عربيته الجديدة أشد التمكن .

(٣) من خضوع المسلمين فى هذا العصر لهاتين الظاهرتين المتناقضتين: ظاهرة الانحطاط السياسى والرقي العقلى بقيت لنا آثار مختلفة كثيرة لعل أظهرها وأقواها وأشدها تشخيصا لهذا العصر هذا الكتاب الذى أقدمه إلى القراء وهو « رسائل اخوان الصفاء » . فهذا الكتاب يمثل أصدق تمثيل وأقواه هاتين الظاهرتين المتناقضتين : يمثل من جهة فساد الحياة السياسية الاسلامية فى ذلك الوقت لأن الذين كتبوه جماعة لانكاد نعرف منهم أحداً لانهم كانوا يعملون من وراء ستار وكانوا يعملون لغرض سياسى قبل كل شيء فهم كانوا خصوما للنظام السياسى القائم في بغداد كما لم يكونوا أنصاراً مخلصين للنظام السياسى القائم فى القاهرة : لم يكونوا يرتاحون الى خلافة العباسيين ولم يكونوا يحبون خلافة الفاطميين ، وانما كانت لهم أغراض سياسية متطرفة مسرفة في التطرف ، فهم من غلاة الشيعة ولعلهم من

الاسماعيليين . والقول كثير في أغراض الاسماعيليين ووسائلهم السياسية ونفورهم من الفاطميين وبغضهم لدولة بني العباس .

كان هؤلاء الناس إذن يعملون من وراء ستار ويؤلفون جماعة سرية وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر، سياسي وعقلي ، فهم يريدون قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الاسلامى يومئذ ، وهم يتوسلون الى ذلك بقلب النظام العقلى المسيطر على حياة المسلمين أيضاً . وهم يسلكون في ذلك مسلك جماعات سبقتهم فى العالم القديم أظهرها جماعة الفيثاغوريين في المستعمرات اليونانية الايطالية ، فقد كانت هذه الجماعة مبغضة للنظام السياسى اليوناني المألوف وكانت تريد قلبه وتغييره وكانت تتوسل الى ذلك بوسائل أهمها تغيير النظام العقلى وإنشاء فلسفة جديدة تكون الحياة العقلية والعملية للفرد والجماعة تكويناً جديداً يلائم بينها وبين السياسة الجديدة ويمكن هذه الجماعة من السيطرة على الأمور العامة . وقد وفقت هذه الجماعة الفيثاغورية بعض التوفيق . وحاول أفلاطون شيئاً من ذلك فوفق من الجهة العقلية وتخيل نظاماً سياسياً بسطه فى كتاب الجمهورية وكتاب القوانين ، وأقامه على الفلسفة الافلاطونية كلها، كما أقام الفيثاغوريون نظامهم على الفلسفة الفيثاغورية. ولكن أفلاطون لم يوفق فى الحياة العملية الى شيء وظلت سياسته خيالا ليس غير . وفلاسفة اليونان جميعا متفقون على أن النظام السياسي كائنا ما كان لاقيمة له اذا لم يعتمد على نظام من نظم التربية يلائمه ويهيء الأفراد والجماعات لتأييده والذود عنه . فالتربية أهم مايعنى به أفلاطون في الجمهورية

وهي أهم مايعنى به ارستطاليس في كتاب السياسة ، وكلاهما يبين أحسن تبيين الصلة بين أنواع التربية والتعليم المختلفة وبين مايوجد أو يتخيل من نظم الحكم والسياسة .

فجماعتنا السرية هذه متأثرة من غير شك بما كان في العالم اليوناني من محاولات تشبه محاولتها السياسية ، متأثرة بمحاولة الفيثاغوريين متأثرة بمحاولة أفلاطون، وقد كان حظها من التوفيق كحظ الفيثاغوريين ، فقد وفق الاسماعيليون الى وجود سياسى مكن لهم في بعض الأرض ونشر الرعب في العالم الاسلامى حينا .

وليس أدل على فساد الحياة السياسية من قيام هذه الجماعات السرية التى تعمل لهدمها وتقويضها جادة ملحة . فكما كانت فلسفة الفيثاغوريين والافلاطونيين دليلا على فساد الحياة السياسية اليونانية ، ففلسفة إخوان الصفا دليل على فساد الحياة السياسية الاسلامية في ذلك العصر . وقد احتاط هؤلاء الناس في التستر والاستخفاء فلم نكد نعرف منهم أحداً — كما قلنا — وإنما سميت اسماء لاتتجاوز الخمسة ولا تخلو أن يحيط بها الشك . وكل مانستطيع أن نعرفه من أمر هذه الجماعة أنها نشأت في البصرة في منتصف القرن الرابع ، وعرف لها فرع في بغداد ، وليس عندى شك في أن أبا العلاء قد اتصل بهذا الفرع البغدادى حين ارتحل الى بغداد آخر هذا القرن وكان يحضر اجتماعه يوم الجمعة من كل أسبوع ، نرى ذلك في سقط الزند بل نرى بعض أسماء الذين كانوا يحضرون جلسات هذا الفرع ، ونكاد نعرف المكان الذي

كانوا يجتمعون فيه يوم الجمعة من كل أسبوع، ونكاد نلمح فى هذه الاجتماعات شيئاً من اللهو المعتدل التى لابد منه فيما يظهر لتستقيم فلسفة الفلاسفة . وقد أشرت الى شيء من ذلك في «ذكرى أبي العلاء» على انى أشد استيقاناً به الآن وأعتقد أنا نجد فى رسائل اخوان الصفاء أحسن تفسير لكثير من غوامض اللزوميات .

(٤) و « رسائل اخوان الصفاء » هذه تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر كما تمثل الحياة السياسية أو قل أقوى من تمثيلها للحياة السياسية ، فهي مرآة تنعكس فيها الحياة العقلية انعكاساً مباشراً . ونحن نرى فيها هذه الحياة واضحة جلية : نرى أن العقل الاسلامي فى القرن الرابع كان قد وعي ما نقل اليه من فلسفة اليونان وحكمة الهند وآداب الفرس والآداب العربية والاسلام وغيره من الديانات السماوية وغير السماوية وجمع ذلك كله ورتبه ولاءم بينه وحاول أن يكوِّن منه مزاجاً واحداً مؤتلفاً هو خلاصة الثقافة التى يجب على الرجل المستنير حقاً أن يظفر بها ويأخذ منها بالحظ الموفور .

ونلاحظ ونحن نقرأ « رسائل اخوان الصفاء » ما نلاحظ ونحن نقرأ اللزوميات ورسالة الغفران من أن الصلات كانت فى ذلك العصر قد كثرت واستوثقت بين المسلمين في العراق وبين الهند ، فانتقلت الى أهل العراق مذاهب الهند الفلسفية وأساطيرها الشعبية ، واختلط هذا كله بمجموعة العلم المحصلة يومئذ عند المسلمين فأثر فيه أثراً ظاهراً . ولعل مذهب التناسخ

لم يكثر التحدث به ومحاولة شرحه وتأييده وتصويره فى الصور المختلفة كما كثر ذلك فى هذا العصر

ولسنا نقول شيئاً جديداً حين نقول إن « رسائل اخوان الصفاء » هذه أشبه شىء بدائرة معارف فلسفية علمية جمعت كل ما لم يكن بد من تحصيله للرجل المثقف حقاً فى ذلك العصر ، ولكنها جمعت ذلك كله على شىء من النظام يمثله الفهرست الذى قدم بين يديها . وهذا النظام يجب أن ينظر اليه من وجهين : أحدهما الوجه الفلسفي الصرف وهو من هذه الناحية متأثر بما عرف المسلمون عن فلسفة الفيثاغوريين والافلاطونيين القدماء ثم المحدثين وأرستطاليس ، متأثر بهذا كله فهو يقسم الكتاب الى اجزاء أربعة: أولها فى أربع عشرة رسالة في الرياضة على اختلافها في العدد والهندسة والفلك ، ثم في الفنون العملية ، ثم في المنطق . وهذا الجزء فيثاغورى وفلاطونى في أوله وهو في آخره متأثر بارستطاليس إذ منطقه هو منطق ارستطاليس بترتيبه وأسمائه . والجزء الثاني ارستطاليسى الصبغة يتناول الطبيعيات كلها على النحو الذي تناولها عليه ارستطاليس : يبدأ بالهيولي والصورة والزمان والمكان والحركة وينتقل الى الآثار العلوية ، ثم ما يزال يتدرج حتى يصل الى المعادن ثم الى النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان ويختم بعلم النفس . والجزء الثالث عشر رسائل فيما بعد الطبيعة ، وهو ظاهر التأثر بهذه الضروب الثلاثة من الفلسفة اليونانية ، ففيه من الفيثاغوريين وفيه من افلاطون وفيه من الافلاطونية الحديثة وفيه من ارستطاليس . فاذا كان الجزء

الرابع فهو يتناول الالهيات وما يتصل بالديانات والشرائع والتصوف ، وهو المزاج الذي التأمت فيه كل العناصر المؤثرة فى الفلسفة الاسلامية سواء منها الشرقي والغربي والفلسفي والعلمي والديني والأدبي والفني والخرافي أيضاً . وهذه الاجزاء الاربعة كلها ورسائلها التى تبلغ اثنتين وخمسين رسالة ليست في حقيقة الامر إلا مقدمة ومدخلا الى رسالة جامعة هى خلاصة العلم وغاية الغايات التى كانت تنتهي اليها الجماعة . لاينبغى أن تعرض على أحد حتى يكون قد أخذ بحظه من كل هذه الرسائل . والجماعة تشبه نفسها برجل حكيم جواد كريم له بستان فيه من كل لذة مافيه بهجة لا تعدلها بهجة ولكنه لايدخل الناس فى هذا البستان حتى يعرض عليهم نماذج مما فيه ، فهم ينظرون اليها ويدنون منها فيذوقون ويشمون ويلمسون حتى اذا أنسوا واطمأنوا ثم رغبوا واشتهوا أدخلوا فى هذا البستان . وهم يشبهون رسالتهم الجامعة هذه بالدواء الذى يشفى إن كان الجسم متهيئاً لقبوله ويقتل ان كان الجسم لم يتهيأ له . ولكن هذه الرسالة الجامعة لم تصل الينا . ولو قد وصلت لعرفنا كنه هذه الجماعة وأغراضها ووسائلها معرفة واضحة قاطعة .

(٥) درس هذه الرسائل مفيد للذين يريدون أن يدرسوا تاريخ الفلسفة الاسلامية لأنه ـ كما رأيت ـ يمثل عصراً من أنضر العصور الفلسفية في الاسلام؟ ومن يدرى : لعل قراءة هذا الكتاب في عناية وتحقيق تكشف عن أشياء لم تظهر بعد . فهل يبعد أن يكون رجل كالغزالى قد تأثر الى حد قريب أو

بعيد بفلسفة هـذه الجماعة ولا سيما حين نلاحظ أنه نشأ فيلسـوفاً وانتهى صوفياً، وأن اخوان الصفاء يستخلصون التصوف والغلو فيه من الفلسـفة الخالصة . وهذا الدرس يفيد الذين يدرسـون التاريخ السياسى للمسلمين فهو يكشف لهم عن أشياء قد لا يظفرون بها في كتب التاريخ السياسى لأن التاريخ السياسى قد كتب كما يعلم كل إنسان متأثراً بطائفة من المؤثرات حالت بينه وبين الانصاف فى كثير من الاحيان. وكثير من الذين كتبوا هذا التاريخ السياسى لم يكونوا ينظرون الا الى ظواهر الامور وأعراض الحياة العامة . ومن يدرى : لعل هذه الرسائل لو قرأها المؤرخون في عناية وتحقيق تكشف عن أسرار تاريخية لا نقدرها بل لا نفترضها نحن الآن . وهذا الدرس يفيد الذين يريدون أن يتثقفوا وأن يأخذوا بحظ من قديمنا العربي . فالفكرة العامة الآن عند الذين ينصرون القديم ويتعصبون له أن هذا القديم ينحصر أو يكاد ينحصر في الشعر والنثر وما يتصل بهما من علوم اللغة وفنون الادب . وهم لا يكادون يحفلون بالفلسفة والعلم لانهم يحسون في وضوح وجلاء تفوق الفلسفة الحديثة والعلم الحديث على ما كان للقدماء من فلسفة وعلم . وهم في ذلك نفعيون يتأثرون منافعهم القريبة خاضعين لعقول هي أرقى من أذواقهم ، يقدرون رقي العلم والفلسفة في هذا العصر فيزدرون ما للعصور القديمة من علم وفلسفة . ولا يقدرون رقي الادب لفتور أذواقهم فيحفلون بالادب القديم ويسرفون في تقديمه . ولو قد أنصفوا أنفسهم ، ولو قد لاءموا بين عقولهم وأذواقهم لقدروا الادب القديم والعلم القديم والفلسفة

القديمة كلها على سواء وفي شيء من العدل والانصاف . فليس أدب القدماء أشد لذة وإمتاعاً للنفوس من علم القدماء وفلسفتهم . واذا كان علم القدماء وفلسفتهم لا يلائمان عقولنا الآن فأدب القدماء يجب ألا يلائم أذواقنا الآن إلا أن يكون الله قد مسخ هذه النفوس فضمم عقولها ومحا أذواقها أو كاد .

فالذين ينصرون القديم ويتعصبون له ، والذين يريدون أن يكونوا لانفسهم ثقافة قديمة صالحة ، والذين يريدون أن يعرفوا القديم على وجهه ليستطيعوا أن يعرفوا الحديث حق معرفته ، كل هؤلاء خليقون أن يقرءوا الفلسفة القديمة كما يقرءون الأدب القديم . وليس كل الناس ، بل ليس كل المثقفين ، يستطيع أن يتصرف في فلسفة الفارابي وابن سينا ، وإنما هذه الفلسفة وقف على الاخصائيين لأنها كتبت للاخصائيين . في حين كتبت رسائل إخوان الصفاء لعامة المثقفين وقصد بها الى إيجاد الثقافة الفلسفية الصالحة ، فهي أدنى الى العقول وأيسر على النفوس وهي مقدمة صالحة لدرس الفلاسفة الاخصائيين .

على أن من الحق أن نلفت الناس الى أن هذه الرسائل لم تقصد بها الفلسفة من حيث هي ، ولا العلم من حيث هو ، وانما أريد بها تكوين ثقافة معينة تهيء لنحو من السياسة معين . ففيها من التأويل والدوران ، وفيها من الحيل والخيال ما يحسن الالتفات اليه والاحتياط منه . وقد كان إخوان الصفاء أنفسهم مخلصين فقدروا ذلك ولفتوا اليه ودعوا وألحوا في الدعاء الى ألا تعطى هذه الرسائل للناس الا بمقدار . وقد كان ذلك ميسوراً في العصر

القديم حين كان العلم لا يؤخذ الا فى المدارس وعن العلماء وحين كان تحصيل الكتب واقتناؤها لا يتأتيان الا بعد مشقة وجهد . فأما الآن وقد وجدت المطبعة وأصبحت الكتب تعرض نفسها على الناس وتلح في العرض والاغراء فنحن بين أمرين : إما أن نحظر نشر الكتب الا بمقدار وبعد امتحان وفتنة واختبار وتمحيص ، وإذن فهو الجهل والجمود والضعف عن احتمال الجهاد فى سبيل الحياة ، وإما أن نذيع الكتب وننشرها ولا نقيد حرية المطبعة الا بما لا بد منه لحماية الاخلاق وحياطة النظام الاجتماعى ، وهذا هو الوجه وهو الطريق التى سلكتها الامم الى الآن والتى نسلكها نحن راضين أو كارهين . وكل ما يجب علينا لأنفسنا ولشبابنا إنما هو التنبيه واللفت الى ما يجب من الاحتياط والحذر حين تعرض عليهم كتب بعينها حتى لا تقرأ على علاتها ولا تؤخذ في غير حذق وفطنة فيكون شرها أكثر من خيرها وضرها أكثر من نفعها

« لرسائل اخوان الصفاء » قيمة أخرى لم أشر اليها بعد . وهى قيمتها الفنية الخالصة . فهي من حيث إنها تتجه الى جمهرة الناس للتعليم والتثقيف قد عدل فيها عن العسر الفلسفي الى اليسر الادبي وعني كتابها بألفاظها وأساليبها عناية أدبية خاصة. ففيها خيال كثير وفيها تشبيه متقن وفيها ألفاظ متخيرة ومعان ميسر ، وليس من الغلو أن يقال انها قاربت المثل الأعلى في تذليل اللغة العربية وتيسيرها لقبول ألوان العلم على اختلافها . ولو أن لدينا من الذين يعنون بالدرس الادبي جماعة تتوفر على « رسائل اخوان الصفاء » درساً وتحليلا

ونقداً لكان من الممتع أن نتبين ما فيها من الشخصيات الفنية المتفاوتة ، بل لكان من الممكن أن نستكشف بعض هذه الشخصيات . ومن يدرى : لعل منها شخصيات معروفة كتبت فى الادب والفلسفة والعلم وعرفت كتبها واشتركت في هذه الرسائل سراً ولم يعرف اشتراكها الى الآن .

وجملة القول أن هذه الرسائل كنز لم يقدر بعد لأنه لم يعرف بعد . وهو اذا عرف فقد يجلو قطعة من حياة الامة الاسلامية في عصر من أهم عصورها وأجلها خطراً . وعسى أن يكون في نشر هذه الرسائل وتيسير الحصول عليها مايدنى من هذه الغاية ويقرب من هذا المثل الأعلى .

طه حسين



فصل فى رسائل اخوان الصفا

بقلم سعادة الاستاذ العـــــلامة احمد زكى باشا [١]

قد رأيت أن اطيل القول على هذا الـكتاب ، وأ. فيه حقه من الشرح والبيان ، لمناسبة انتشاره واشتهاره على أثر طبعه حديثاً بالهند وبمصر ، بعد ان لم يكن يوجد منه سوى نسخ تعد على الاصابع . ولعمرى ! إنه لجدير بالعناية ، لانه يدلنا على حالة المعارف العقلية عنـد العرب ، بعد انتشار الدين الاسـلامى بزمن قليل .

اشتهر هذا الـكتاب بين بنى الآداب ، وعلا قدره وطار صيته ، حتى صار موضوعاً لحديث القوم فى كل ناد ، يهيمون بالمذا كرة في تاريخه وأصله فى كل واد . وما تجلت عرائس الحقيقة ، الا لنفر من نخبة الافاضل المدققين ، فاستجلوها وضنوا بها على المتسائلين . فحدانى ذلك على التنقيب في دفاتر الاوائل والاواخر ، حتى تيسر لى بعون الله تعالى جمع خلاصة تميط النقاب عن حقيقة هذا الـكتاب . فاقول :

لم يظهر بدر هذا الكتاب في أفق المعارف ، حتى تزاحم عليه الناس من جميع الطبقات والمذاهب ، وعنوا بقرائته والاعجاب به : مـدة طويلة من الزمان .

ولقد شغفوا بمعرفة مؤلفيه لـكونهم كتموا اسماءهم ، فزادوا بذلك

---

(١) كتب فى سنة ١٣٠٨هـ (١٨٨٩م) تكملة لتصنيفه المسمى « موسوعات العلوم العربية» (الناشر)

فضل الكتاب واهتمام الباحثين ، حتى بلغ صيته المشارق والمغارب ، وتنبه اليه العلماء وقدروه حق قدره .

فقد رأيت ، أثناء مطالعاتي ومراجعاتي ، عبارة في ترجمة « الطبيب أبي الحكم الكرماني القرطبي » أحد الراسخين في علم العدد والهندسة (في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء نقلا عن القاضي صاعد) وهي « ... ورحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة .... ثم رجع الى الأندلس واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها . وجلب معه الرسائل المعروفة « برسائل اخوان الصفاء » ولا نعلم أحداً ادخلها الاندلس قبله »

فهذا القول يدل على جليل مكانتها وعظيم أهميتها التي جعلت العلماء يقيدون تاريخ دخولها واسم من أتى بها في ربوع العلم بالأندلس . وسنستعين به فيما سيجيء معنا من التحقيق الدقيق ، ان شاء الله

ولقد عرف حكماء الافرنج وجهابذتهم مقامها فأحلوها محلها الرفيع ، واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها . وكان السابق لهم في حلبة هذا المضمار العلامة سلفستر دوساسي المشهور ، فانه كتب عليها خلاصة وجيزة باللغة الفرنساوية.

وقد طبعت هذه الرسائل في سنة ١٨١٢ مسيحية بمدينة كلكته بالهند تحت عنوان « تحفة اخوان الصفاء» . والذي راجعها وباشر طبعها هو الشيخ « احمد بن محمد شروان اليمني »

وفي سنة ١٨٣٧ طبع العلامة نوفرك في برلين خلاصة على رسائل اخوان الصفاء ، تكلم فيها عليهم وعلى كتابهم ، ونقل منها شيئاً باللغة العربية ووضع امامه ترجمته بالالمانية

وللمعلم فريدرخ ديتريصى الالمانى كتاب في ثمانية أجزاء ، بحث فيه عن العلوم الفلسفية عند العرب في القرن العاشر للمسيح (القرن الرابع للهجرة) واعتمد فى كتابه كله على « رسائل اخوان الصفاء» . وقد طبعه في برلين من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٧٩

أقول إنه أشبه فى صنيعه هذا رجلا من الخراسانيين ألف كتاباً عنوانه «مجمل الحكمة» . واليك ماقاله صاحب « كشف الظنون»عنه: «فارسى فى حكمة الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات . واكثره رموز . انتخبه رجل من الخراسانيين بحذف الحشو وإيضاح الرمز ، كما فى «رسائل اخوان الصفاء » . ونقله بعضهم من الفارسي الى التركي » اه

واعلم ان المعلم ديتريصى المذكور قد طبع في سنة ١٨٨٦ بمدينة برلين كتابا اسمه « خلاصة الوفاء فى اختصار رسائل اخوان الصفاء » وباشر تصحيحه ، فانه من المتبحرين في الفنون واللغات المشرقية . واليك ماقاله فى آخر الكتاب بحروفه : «ان النسخات التى نقل عنها هذا الكتاب كثيرة التحريف والتصحيف . وهو يشتمل على زبدة الكتاب وخلاصة مايلزم معرفته من مواده . وهو مرتب على غير ترتيب الكتاب الاصلى لان مختصره [1] راعى فى ذلك أسلوبا احسبه أجود وأفضل من الاول وادخل في باب الكمال.

فانه ابتدأ بالكلام على مبادىء الموجودات وأصول الكائنات،ثم نضد العالم

(١) لم نعثر على اسم الذى أختصر الكتاب . ولكن الطريقة التى اتبعها فى الترتيب تدل على زيادة فضله وغزارة علمه

فالهيولى والصورة ، فماهية الطبيعة ، فالارض والسماء. ثم اعقب ذلك بالكلام على وجه الارض والتغيرات فيه ، ثم الكون والفساد، ثم فى الآثار العلوية ، ثم السماء والعالم . ثم شرح الاسطرونوميا (الذي هو علم النجوم) ثم تكوين المعادن ، ثم علم النبات ، ثم أوصاف الحيوان ، ثم مسقط النطفة وكيفية رباط النفس بها ، ثم تركيب الجسد ، ثم الحاس والمحسوس ، ثم العقل والمعقول ، ثم الصنائع العملية ثم الصنائع العلمية ، ثم العدد وخواصه (يعني الارثماطيقي) ثم الجومطريقي (الذي هو علم الهندسة) ثم الموسيقي ، ثم علم النسب العددية والهندسية والتأليفية ، ثم المنطقيات ، فمعاني الالفاظ العشرة (المعروفة بالمقولات العشرة) ثم قاطيغورياس وبارى أرمينياس وانولوطيقا الاولى وانولوطيقا الثانية ، ثم بيان اختلاف الاخلاق ، ثم طبيعة العدد ، ثم تكلم على ان العالم انسان كبير (١) وان الانسان عالم صغير (٢) ثم شرح الاكوار والادوار ، وتكلم على ماهية البعث والنشور والقيامة . وأفاض بعد ذلك فى الكلام على أجناس الحركات والعلل والمعلومات ، والحدود والرسوم ، حتى تخلص الى بيان اعتقاد اخوان الصفاء وكيفية عشرتهم ، ثم أورد فى آخر الكتاب فهرست الرسائل ، وماهية اغراض اخوان الصفاء .

وهذا كله دليل كاف يعلمك بمكانتها من نفوس العلماء ، ومقامها عند جمهور الفضلاء فى مشارق الارض ومغاربها

ولا يغرب عن بال القارىء اللبيب ان الاعمال العظام والتآليف المعتبرة

---

(١) وهذا مأخوذ عن فلاسفة اليونان فى قولهم Macrocosme

(٢) » » » » » » » Microcosme

ونوابغ الرجال ، قد كانت وستكون فى جميع الازمان والبلاد ، عرضة لسهام الطعن والانتقاد . ولا تكاد تخلو من ذلك أمة من الامم، والشواهد كثيرة ليس هذا محل بيانها . بل إن هذه حقيقة مقررة، لاينكرها الا من يطلب الدليل على ثبوت النهار . وتلك سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا

اذا ثبت ذلك، فاعلم أن هذه الرسائل حازت قبولا كثيراً عند جماعة من الناس، كما استوجبت لاصحابها السخط واللعنة عند فريق آخرين. ونحن لا نتشيع لاحد المذهبين، بل نترك الحكم لمن يطلع عليها في ابداء رأيه بالانتصار لاربابها، أو التحامل عليهم ، ونورد له كلاما يعينه على تعيين حكمه ورشده في أمره

فاكبر دليل على عناية العلماء بالتنقير والتنقيب عن أمر هذه الرسائل هو ما رأيته أثناء البحث والمراجعة، فى كتاب تراجم الحكماء للوزير جمال الدين بن الحسن القفطى المتوفي سنة ٦٤٦ هـ (المترجم فى كتاب الخطط الجديدة التوفيقية) . فانه أفرد لها فصلا مخصوصا فى حرف الالف [1] كأنها اسم أحد الفلاسفة الذين أتى على ذكر أخبارهم وأحوالهم في كتابه . وقد أورد فى هذا الفصل كلاما طويلا ضمنه الرسالة التى كتبها أبو حيان التوحيدى الى الوزير صمصام الدولة فانها تحتوى على ايضاحات وارشادات مفيدة فى بابها، ولا بد منها لكل من طلب الوقوف على حقيقة هذه الرسائل . قال القفطى المصري

(١) وكذلك فعل صاحب « كشاف اصطلاحات العلوم » فانه افردها كلاما فى حرف الالف ، اورده باللغة الفارسية، . وهذه ترجمته « هم جماعة من الاصدقاء العقلاء والاخوان الالباء سلموا من شوائب الكدورات البشرية وتحلوا بأوصاف الكمالات الروحانية » . ولعله يصف بذلك اخوان الصفاء على العموم

« رسائل إخوان الصفا

«هؤلاء جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب فى أنواع الحكمة الاولى ورتبوه مقالات ، عدتها احدى وخمسون مقالة . خمسون منها فى خمسين نوعاً من الحكمة ، والحادية والخمسون جامعة لانواع المقالات، على طريق الاختصار والايجاز . وهى مقالات مشوقات ، غير مستقصاة ، ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج . وكأنها للتنبيه والايماء الى المقصود الذى يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة

« ولما كتم مصنفوها اسماءهم ، اختلف الناس فى الذى وضعها . فكل قوم قالوا قولا ، بطريق الحدس والتخمين . فقوم قالوا : هى من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبى طالب (كرم الله وجهه) واختلفوا في اسم الامام الواضع لها اختلافا لا يثبت له حقيقة . وقال آخرون : هي تصنيف بعض متكلمي المعتزلة فى العصر الاول .

« ولم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفيها، حتى وقفت على كلام لابي حيان التوحيدي، جاء فى جواب له عن أمر سأله عنه الوزير صمصام الدولة بن عضد الدولة، فى حدود سنة ثلاث وسبعين وثلثماية . وصورته :

«قال ابو حيان حاكياً عن الوزير المذكور: حدثنى عن شيء هو أهم من هذا الىّ ، واخطر على بالى ! اني لا أزال اسمع من زيد بن رفاعة قولا يريبنى ومذهباً لا عهد لى به ، وكناية عما لا أحقه ، واشارة الى مالا يتوضح شيء منه . يذكر الحروف ويذكر اللفظ ، ويزعم أن الباء لم تنقط من تحت واحدة

الا لسبب ، والتاء لم تنقط من فوق اثنتين الا لعلة ، والالف لم تهمل الا لغرض ، واشباه هذا . واشهد منه في عرض ذلك دعوى يتماظم بها وينتفخ بذكرها ، فاحديثه ؟وما شأنه ؟ ومادخلته؟ فقد بلغني ، ياأباحيان ، أنك تغشاه وتجلس اليه ، وتكثر عنده ، ولك معه نوادر معجبة . ومن طالت عشرته لانسان ، صدقت خبرته ، وأمكن اطلاعه على مستكن رأيه وخافي مذهبه

« فقلت : أيها الوزير ، أنت الذي تعرفه قبلي قديماً وحديثا ، لاختبار ولاستخدام ، وله منك الأمرة القديمة والنسبة المعروفة

« قال : دع هذا ، وصفه لي !

«فقلت: هناك ذكاء غالب ، وذهن وقاد ، ومتسع في قول النظم والنثر ، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة ، وحفظ أيام الناس ، وسماع المقالات ، وتبصر في الآراء والديانات ، وتصرف في كل فن : إما بالشدو الموهم ، وإما بالتوسط المفهم ، وإما بالتناهي المفحم [(١)]

«قال . فعلى هذا ، مامذهبه ؟

«قلت : لا ينسب الى شيء ، ولا يعرف له حال ، حيث أنه تكلم في كل شيء وغليانه في كل باب . ولاختلاف مايبدو من بسطته ببيانه وسطوته بلسانه

«وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا ، وصادق بها جماعة لاصناف العلم وأنواع الصناعة . منهم أبو سليمان محمد بن مشعر البيستي (ويعرف بالمقدسي) وأبو

---

(١) اذا كانت هذه صفة زيد بن رفاعة وهو أحد أخوان الصفاء ، بل خادمهم كما سيجيء في بقية الكلام ، فما بالك باخوان الصفاء انفسهم . لاجرم انهم كانوا على جانب عظيم من الفضل والعلم .

الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو احمد المهرجاني، والعوفي، وغيرهم، وصحبهم وخدمهم . وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة . فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله

«وذلك انهم قالوا إن الشريعة قد دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة، لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية . وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية ، فقد حصل الكمال

«وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة، علمياً وعملياً ، وأفردوا لها فهرساً وسموها « رسائل اخوان الصفاء » وكتموا فيها اسماءهم ، وبثوها في الوراقين ، ووهبوها للناس. وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية، والامثال الشرعية، والحروف المحتملة، والطرق المموهة

« قال : الوزير : فهل رأيت هذه الرسائل ؟

«قلت : قد رأيت جملة منها . وهي مبثوثة من كل فن ، بلا اشباع ولا كفاية . وهي خرافات ،وكنايات، وتلفيقات، وتلزيقات، وحملت عدة منها الى شيخنا ابي سليمان المنطقي (١) السجستاني محمد بن بهرام، وعرضتها عليه . فنظر فيها اياما، وتبحرها طويلا . ثم ردها علي، وقال :

تعبوا وما اغنوا . ونصبوا وما أجروا ، وحاموا وما وردوا، وغنوا

---

(١) هو الذي اقتبس عنه ابو حيان اشياء كثيرة في كتابه المعروف «بالمقابسات» . فراجع هذا الكتاب ، تعلم فضل الرجل ومكانه من العلم

وما اطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا . ظنوا ما لايكون ، ولا يمكن ، ولايستطاع . ظنوا انهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة (التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطى وآثار الطبيعة، والموسيقى الذى هو معرفة النغم والايقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذى هو اعتبار الاقوال بالاضافات والكميات والكيفيات) فى الشريعة وان يربطوا الشريعة فى الفلسفة وهذا مرام دونه حدد . وقد تورك على هذا قبل هؤلاء قوم ، كانوا أحد أنيابا، واحضر اسبابا ، وأعظم أقداراً، وأرفع اخطاراً، وأوسع، قوى ، وأوثق عرى . فلم يتم لهم ما أرادوه، ولا بلغوا ما أملوه . وحصلوا على لوثات قبيحة، ولطخات واضحة موحشة ، وعواقب مخزية

«فقال له النجارى بن العباس : ولم ذلك، أيها الشيخ ؟

«فقال : إن الشريعة مأخوذة عن الله « عز وجل » بواسطة السفير بينه وبين الخلق ، ومن طريق الوحى وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات . وفى أثنائها مالا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه . ولابد من التسليم المدعو اليه والمنبه عليه . وهناك يسقط «لم» ويبطل « كيف» ويزول « هلا » ويذهب «لو» و «ليت» فى الريح . لان هذه المواد عنها محسومة ، وجملتها مشتملة على الخير ، وتفصيلها موصول على حسن التقبل . وهى متداولة بين متعلق بظاهر مكشوف ، وصحيح بتأويل معروف ، وناصر باللغة الشائعة ، وحام بالجدل المبين ، وذاب بالعمل الصالح ، وضارب للمثل السائر ، وراجع الى البرهان الواضح ، ومتفقه فى الحلال والحرام ، ومستند الى الأثر والخبر المشهورين بين أهل الملة، وراجع الى اتفاق الامة . ليس

فيها حديث المنجم فى تأثيرات الكواكب وحركات الافلاك ، ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر في آثارها ومايتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وما الفاعل وما المنفعل منها ، وكيف تمازجها وتنافرها . ولا فيها حديث المهندس الباحث عن مقادير الاشياء ولوازمها ، ولا حديث المنطقي الباحث عن مراتب الاقوال ومناسب الاسماء والحروف والافعال

« قال : فعلى هذا كيف يسوغ « لاخوان الصفاء » أن ينصبوا لأنفسهم دعوة تجمع حقائق الفلسفة في طريق الشريعة : على أن وراء هذه الطوائف جماعة ايضا لهم مأخذ من هذه الاغراض كصاحب العزيمة وصاحب الكيمياء ، وصاحب الطلسم ، وعابر الرؤيا ، ومدعي السحر ، ومستعمل الوهم .

« فقال : ولو كانت هذه جائزة ، لكان الله ينبه عليها ، وكان صاحب الشريعة يقوم شريعته بها ، ويكملها باستعمالها ، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التى تجدها في غيرها ، أو يحض المتفلسفين على إيضاحها ، بها يتقدم اليهم باتمامها ، ويفرض عليهم القيام بكل مايذب به عنها حسب طاقتهم فيها . ولم يفعل ذلك بنفسه ، ولا وكله الى غيره من خلفائه والقائمين بدينه . بل نهى عن الخوض في هذه الاشيا ، وكره الى الناس ذكرها ، وتوعدهم عليها . وقال من أتى عرافا أو كاهنا أو منجما يطلب غيب الله منه ، فقد حارب الله ! ومن حارب الله ، حرب ، ومن غالبه ، غلب . وحتى قال : « لو أن الله حبس عن الناس القطر سبع سنين . ثم أرسله ، لاصبحت طائفة كافرين ! يقولون مطرنا بنوء المجدح » وهذا كما ترى . والمجدح الدبران

«ثم قال : ولقد اختلفت الامة ضروبا من الاختلاف في الاصول والفروع وتنازعوا فيها فنوناً من التنازع في الواضح والمشكل، من الاحكام والحلال والحرام والتفسير والتأويل والعيان والخبر والعادة والاصلاح . فما فزعوا في شيء من ذلك الى منجم ولا طبيب ولا منطقي ولا هندسي ولا موسيقار ولا صاحب عزيمة وشعبذة وسحر وكيمياء . لان الله تعالى تمم الدين بنبيه (صلى الله عليه وسلم). ولم يحوجه ، بعد البيان الوارد بالوحي ، الى بيان موضوع بالرأى .

«وقال : وكما لم تجد هذه الامة تفزع الى الفلاسفة فى شيء من دينها ، فكذلك أمة عيسى صلى الله عليه وسلم (وهي النصارى) وكذلك المجوس

«قال . ومما يزيدك وضوحا أن الامة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها . فصارت أصنافاً فيها وفرقا . كالمعتزلة والمرجئة والشيعة والسنية والخوارج . فما فزعت طائفة من هذه الطوائف الى الفلسفة ، ولا حققت مقالاتها بشواهدهم وشهاداتهم . وكذلك الفقهاء الذين اختلفوا في الاحكام من الحلال والحرام منذ أيام الصدر الاول الي يومنا هذا ، لم نجدهم تظاهروا بالفلاسفة واستنصروهم

وقال : وأين الآن الدين من الفلسفة ؟ وأين الشيء المأخوذ بالوحي النازل من الشيء المأخوذ بالرأى الزائل ؟ فان أدلوا بالعقل ، فالعقل موهبة الله جل وعز لكل عبد : ولكن بقدر مايدرك به مايعلوه ، كما لا يخفى عليه مايتلوه . وليس كذلك الوحي ، فانه على نوره المنتشر ، وبيانه المتيسر

«قال : ولو كان العقل يكتفى به ، لم يكن للوحي فائدة ولا غناء . على أن

منازل الناس متفاوتة في العقل . وانصباؤهم مختلفة فيه . فلو كنا نستغني عن الوحي بالعقل ، كنا كيف نصنع ، وليس العقل بأسره لواحد منا ، وإنما لجميع الناس ؟ فان قال قائل ، بالعنت والجهل : كل عاقل موكول الى قدر عقله، وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره . لانه مكفي بهوغير مطالب بما زاد عليه . قيل له كفاك عاراً في هذا الرأي ، أنه ليس لك فيه موافق ولا عليه مطابق . ولو استقل انسان واحد بعقله في جميع حالاته « في دينه ودنياه » لاستقل أيضاً بقوته في جميع حاجاته « في دينه ودنياه » ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لايحتاج الى أحد من نوعه وجنسه . وهذا قول مرذول ، ورأي مخذول

« قال النجاري . فقد اختلف أيضاً في درجات النبوة بالوحي . واذا ساغ هذا الاختلاف بالوحي . لم يكن ذلك ثالماً له ، ساغ أيضاً في العقل

« فقال : ياهذا ! اختلاف درجات أصحاب الوحي لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة بمن اصطفاهم بالوحي وخصهم بالمناجاة ، واجتباهم للرسالة ، وهذه الثقة والطمأنينة مفقودتان في الناظرين بالعقول المختلفة . لانهم على بعد من الثقة والطمأنينة إلا في الشيء القليل . وعوار هذا الكلام ظاهر ، وخطل هذا المتكلم بين

« قال الوزير : فما سمع شيئاً من هذا المقدسي ؟

« قلت : بلى . قد ألقيت اليه هذا وما أشبهه ، بالزيادة والنقصان ، وبالتقديم والتأخير ، في أوقات كثيرة بحضرة الوراقين بباب الطاق . فسكت ، وما رآني أهلا للجواب

«لكن الحريري ، غلام ابن طرارة ، هيجه يوما في الوراقين بمثل هذا الكلام ، فاندفع فقال:

«الشريعة طب المرضى ، والفلسفة طب الاصحاء . والانبياء يطبون للمرضى ، حتى لايتزايد مرضهم ، وحتى يزول المرض بالعافية فقط . وأما الفلاسفة ، فانهم يحفظون الصحة على أصحابها ، حتى لايعتريهم مرض أصلا . فبين مدبر المريض وبين مدبر الصحيح فرق ظاهر ، وأمر مكشوف . لان غاية تدبير المريض أن ينتقل به الى الصحة ، هذا اذا كان الدواء ناجحاً والطبع قابلا ، والطبيب ناصحاً . وغاية تدبير الصحيح أن يحفظ الصحة . واذا حفظ الصحة ، فقد أفاده كسب الفضائل وفرغه لها ، وعرضه لاقتنائها . وصاحب هذا الحال فائز بالسعادة العظمى ، وقد صار مستحقاً للحياة الالهية . والحياة الالهية هي الخلود والديمومة . وإن كسب من يبرؤ من المرض بطب صاحبه الفضائل أيضاً ، فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل . لان احديهما تقليدية والاخرى برهانية . وهذه مظنونة ، وهذه مستيقنة ، وهذه روحانية ، وهذه جسمانية . وهذه دهرية ، وهذه زمانية » اه كلام أبي حيان (١)

(١) العجب كل العجب اني رأيت هذه الرسالة منقولة بالحرف الواحد في العدد الحادى عشر من السنة الثامنة من جريدة «روضة المدارس» . فان محررها حضرة علي بك فهمي ، نجل العلامة المخلد الاثر رفاعة بك ، قد صدر بها هذا العدد وقال انها بقلم تحرير الروضة ، مع انها موجودة في كتاب تراجم الحكماء المحفوظ بالكتبخانة الخديوية . ولا اعلم كيف جوز لنفسه أن يثبت فى الروضة هذه العبارة « ولم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفيها حتى وقفت على كلام لابى حيان التوحيدي الخ » فان البحث والتطلب يجوز حصوله منه ولكن السابق له القفطي وتلك هى عبارته بالحرف الواحد فهل يصح أن نقول انه ورد على

قال المؤلف (أى القفطي) ثم ان ابا حيان ذكر تمام المناظرة بينهما فأطال. فتركته اذ ليس ذلك من شرط هذا التأليف والله الموفق للصواب (انتهى) كلام القفطي

وقد رأيت في كتاب « جلاء العينين فى محاكمة الاحدين » تأليف السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الالوسى البغدادى ، المطبوع ببولاق في سنة ١٢٩٨ هجرية ، كلاما على هذه الرسائل منقولا من كشف الظنون ومن شرح عقيدة السفارينى ، وها هو بالحرف الواحد :

خاطر محرر الروضة أن يكشف عن امر رسائل اخوان الصفاء كما سنح ذلك للقفطى من قبل ثم لم يفتح عليه بغير العبارة التى أوردها القفطي كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ؟ بل هل يعقل ان فكرهما توارد على ايراد الديباجة بصورة واحدة ومعنى واحد؟ إن صح ذلك كان حقيقة من اغرب الغرائب التى يسمع بها الانسان بل يقول هي حديث خرافة يا أم عمرو. والذي اذهب اليه ان محرر الروضة نقل الرسالة برمتها من كتاب تراجم الحكماء وأثبتها فى جريدته من غير ان يغير حرفا واحدا. يدلك على ذلك انه ختمها بهذه العبارة (قال المؤلف ثم ان ابا حيان ذكر تمام المناظرة بينهما فتركته اذ ليس ذلك من شرط هذا التأليف انتهى) مع انه لم يشر الى المؤلف قط. فمتى وصل القارىء الى هذه العبارة اختلط عليه الكلام وداخلته الريبة وظن ان فى الامر دخيلة والحقيقة ان هذه العبارة محذافيرها للقفطى، نقلها من الكتاب الذى اشار اليه بقوله (ولم ازل شديد البحث والتطلب حتى وقفت على كلام لابى حيان الخ) فان ذلك يشعر بأنه نقلها من كتاب وان لم يصرح باسمه فجاء صاحب الروضة ونقلها كما هي . وياليته اختصر هذه الرسالة وتصرف فيها بما كان يجعله آمنا من التعقب والمؤاخذة. ولكن السهم نفذ .

نقول وقد صدرت هذه العبارة فى حياة المرحوم على باشا رفاعة فلم يمكنه ان يتملص من هذه الحنقة ولا ان يتمحل عذرا لهذه السرقة وأما الكتاب الذي نقل عنه ابن القفطي فقد ظفر الاستاذ زكى باشا به ونقله لنفسه بالفتوغرافيا وهو عنده الآن وعنوانه « الامتاع والمؤانسة »

هي أصل مذهب القرامطة . وربما نسبوها الى جعفر الصادق ، رضي الله تعالى عنه ، ترويجاً . وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه . أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو احمد النهرجوري والعوفي زيد(١) بن رفاعة : كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك الشريعة المطهرة .
وفي فتاوى الشيخ ابن حجر ما نصه : نسبها كثير الى جعفر الصادق ، وهو باطل . وانما الصواب ان مؤلفها مسلمة بن قاسم الاندلسي (٢) كان جامعاً لعلوم الحكمة من الالهيات والطبيعيات والهندسة والتنجيم وعلوم الكيمياء وغيرها وإليه انتهى علم الحكمة بالاندلس، وعنه أخذ حكماؤها ، وتوفي سنة ٣٥٣ هـ ، وممن ذكره ابن بشكوال . وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية . وممن شدد النكير عليه ابن تيمية، لكنه يفرط في كلامه فلا يعتبر بجميع ما يقوله اه

قال صاحب « جلاء العينين » : فتدبره وأنصف وأقول اني طالعت كثيراً من الرسائل المذكورة ، فرأيتها كما أشار الشيخ ابن تيميـة ، وأنها مشوبة بالتصوف المشوب بفلسفـة المتفلسفين والابحاث التي تمجها اسماع فالمتشرعين ، ولربما يفوح منها ريح المتشيعين . فان أردت كمال الوقوف عليها فارجع اليها . ولنعم ما قيل

---

(١) في النسخة المطبوعة ورد هـذا الاسم هكذا (العرفي) بالراء . وهو خطأ مطبعي

(٢) ذلك ليس بصواب ، وستعلم الحقيقة فيما سنورده عليك من النبأ الصادق والقول اليقين

رسائل اخوان الصفاء كثيرة ولكن اخوان الصفاء (١) قليل

انتهى كلام صاحب جلاء العينين

فأنت ترى ان الآلوسي صدر كلامه عن هذه الرسائل بأنها أصل مذهب القرامطة . وأقول ان من اطلع عليها خصوصا الجزء الرابع منها ونظر في خطط المقريزي وسفينة الراغب وكشاف اصطلاحات العلوم ودايرة المعارف للبستاني وغير ذلك من كتب علماء المشرقيات الذين تكلموا عن الاسماعيلية الذين هم القرامطة ، رأى ما يحقق له هذا القول ، لكن العبارة في هذه الكتب واضحة صريحة وهي في « اخوان الصفاء » دقيقة لا يكاد يدركها الا من تنبه اليها أو نبه عليها فتلا الرسائل على بصيرة

ومما يدلك على ذلك ، ويؤكد لك صحة هذا النظر ، أني رأيت في الجزء الخامس من جرنال آسيا « Journal Asiatique » الصادر في يناير سنة ١٨٥٥ — المحفوظ بالكتبخانة الخديوية — فصلا هذه ترجمة عنوانه « بحث جديد على الاسماعيلية أو الباطنية بالشام المعروفين بالحشاشين (١) وفي علاقاتهم على

(١) يذكرني هذا البيت بقول الحماسي

أولئك اخوان الصفاء رزئتهم وما الكف الا اصبع ثم اصبع

(٢) وردت هذه الكلمة في الكتب الاسلامية القديمة المعتبرة مثل ابن الاثير . وعبر عنها صاحب كتاب الروضتين « بالحشيشية » واحدها « حشيشي » ، ولما اراد الافرنج نقلها الى لغتهم اختاروا الصيغة الاولى فقالوا Assassins (اساسان واساسين) . ولما شاعت عندهم اختلفوا في بيان اشتقاقها على الاقوال اشهرها انها ماخوذة من كلمة حشيش . وهو الاصح لان اللفظ العربي يؤيد هذا الاشتقاق . وقد دخلت هذه اللفظة في لغاتهم ايام الحروب الصليبية ورسمها كتبتهم ومؤلفوهم

الخصوص مع ممالك الفرنج بالمشرق . وقد قال صاحب هذا الفصل المفيد فى عرض كلامه ماتعريبه :

« ان سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين هو من أجل وأفخم رؤساء الاسماعيليــة . قد خدم فى أَمُوتَ المقدمين الذين كانوا قبله ، وزاول علوم

بكيفيات شتى وصــور متعـددة فذهبوا . مدة طويلة الى انهـا منحوتة من اسم « حسن الصباح » الذى كان اول مقدم عليهم في بلاد فارس . ثم عرفوا خطأ ذلك ، وان قواعد اللغة العربية لاتساعد على مثل هذا النحت . وذهب توماس هيد إلى انها مشتقة من فعل « حس » فانه عربي ومن معانيه القتل. ولذلك كانت كلمة Assassins تدل الآن عند الافرنج على القاتلين ، أي الذين يرتكبون جناية القتل عمدا مع سبق الاصرار . ووافقه على ذلك المؤرخ الكسا ندرمارا فى سيرة صلاح الدين وا عا دعاهم الى التضـارب في الاراء عدم ابتداء الكلمة الافرنكية بحرف الذي يقابله حرف الحاء أو الهاء فى العربية . ولـكنهم ، لو رجعوا الى كتبهم القديمة المصنفة فى ايام الحروب الصليبية ، لرأوها مرسومة هكذا Hassasins . ولذلك كان جمهور الباحثين المحققين على ان الكلمة مشتقة من لفظة « حشيش » . لان شيخ الجبل ، (هذا هو اسم الرئيس الاكبر عندهم ويسمى بالافرنجية Le Vieux de la Montagne. وفيه تسامح) كان يدعو « الفداوية » الذين يرى فيهم الاستعداد لانفاذ مقاصد عشيرته . ثم يامر بمعاطاتهم الحشيشة حتى يفقدوا الحواس . ويريهم حينئذ نعيم الجنة فى جنان أعدها لذلك ، ثم يامر باعادتهم . ومتى زال تاثير الحشيشة ، كان الواحد منهم يعتقد انه ذاق لذة النعيم فعلا ، وشاهد الفردوس الموعود بها عيانا . فينقاد حينئذ لرئيسه انقياد الاعمى ، ويسعى فى تنفيذ جميع أوامره ، رغبة فى الرجوع الى النعيم المقيم . فلا بدع اذا لقبوهم بالحشاشين . وافسدها الصليبيون فجعلوها « حساسين » ثم اساسين Assassins . فان السين والشين يكثر تواردها في النقل من بعض اللغات الى البعض الآخر ، بل فى اللغة الواحدة . ولا يعتد بقول من ذهب من الافرنج الى ان لفظة « اساسين » عندهم محرفة عن « عساسين » جمع « عساس » بمعنى حارس وانهم انما سموا بذلك من ادعائهم حراسة البلاد من السرقات

الفلسفة، وأطال نظره في كتب الجدل والخلاف، وأكب على مطالعة رسائل «اخوان الصفاء»

فان تخصيص هذه الرسائل بالذكر، والنص عليها دون غيرها، يدل صراحة على أن هذا الرئيس انما كان يهيم بمطالعتها ويهتم بمراجعتها لكي يقتبس منها تعاليمه، ويستمد منها مايؤيد سلطته فى عشيرته. وعلى ذلك يكون مؤلفوها ممن نحوا نحو الاسماعيلية، وذهبوا مذهبهم، وقالوا بمقالاتهم.

وقد ذكر صاحب «كشف الظنون» بعد أن أورد اسماءهم، التى مرت عليك في رسالة التوحيدى، أنهم كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا إحدى وخمسين رسالة. ولم يزد على هذا

وقد أعملت الجهد الجهيد في تطلب ترجمتهم، ومعرفة أخبارهم وشؤونهم، والوقوف على سيرتهم، ونظرت كثيراً فى كتب التواريخ والطبقات، فلم يسعفنى القدر ببلوغ الوطر. ولكنى أقول ان إطناب أبي حيان في مدح زيد بن رفاعة، كما رأيته فيما تقدم، يدلك دلالة ضمنية على فائق فضلهم وواسع اطلاعهم

وقد ساعدتني المقادير، أثناء البحث الطويل والمراجعة المتوالية، فرأيت صاحب «كشف الظنون» يقول ان لابى الحسن العوفى (وهو من اصحاب اخوان الصفاء) رسالة فى «أقسام الموجودات وتفسيرها» قال: وهي لطيفة ذكرها الشهرزورى فى «تاريخ الحكماء»

*أشرنا الى ان ابن تيمية كان ممن يشددون النكير على «اخوان الصفاء». ونريد الآن ان نؤيد ذلك بما جاء في فتواه عن «طائفة النصيرية». فهذه

الفتوى، قد سبقنا الافرنج الى طبعها بالعربى (مع بعض أغلاط خفيفة وأخرى سخيفة، ثم ترجموها الى الفرنساوى ونشروا الاصل والترجمة معاً فى «جرنال آسيا» سنة ١٨٧١ صفحة ١٧١). ثم طبعها بعد ذلك — عن أصل آخر — السيد بدر الدين النعسانى فى القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ضمن مجموعة رسائل ابن تيمية، وفيها تلك الفتوى بعنوان «الرد على النصيرية». وقد أخذت محل الشاهد من كل منهما، مع اجتناب الاغلاط التى فيهما. قال ابن تيمية:

« وحقيقة أمرهم (أى النصيرية) انهم لايؤمنون بنبى من الانبياء والمرسلين.. ولا بشىء من كتب الله المنزلة... وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب المتفلسفة الطبائعيين لا الالهيين، كما فعل أصحاب «رسائل اخوان الصفاء». فانهم تارة يبنونه على قول المتفلسفة وغرض المجوس الذين يعبدون النور ويضمون الى ذلك الكفر والرفض ويحتجون لذلك من كلام النبوات اما بلفظ يكذبون به . . فيحرفون لفظه . . . ليوافق قول المتفلسفة أتباع ارسطو . . . وإما بلفظ ثابت عن النبى (صلعم) فيحرفونه عن مواضعه كما يصنع أصحاب رسائل «اخوان الصفاء» ونحوهم فانهم من أئمتهم (١)]*

وعلى ذكر هذه الرسائل نسوق الحديث الى نبأ غريب، وموضوع تحار فيه الالباب.

(١) هذه العبارة المحصورة بين قوسين مربعين يعلوهما نجمان، لم ترد فى المقال المكتوب سنة ١٣٠٨ و (١٨٩٠ م) فقد كان عثورنا عليها بعد ظهور «مجموعة رسائل ابن تيمية». ثم تحرينا الامر فعرفنا ان السابق لنشر هذه الفتوى وترجمتها هو العلامة ستانسلاس جيار المستشرق الفرنساوى الشهير

ذلك أن هذا الكتاب قد تم طبعه كله ببلاد الهند فى هذه الايام(١) ، ولـكن ، ياللعجب ! ويالغرابة ! فقد ورد فيه اسم مؤلفه ... ! فهل يتصور القارىء صحة ذلك ، مع علمه باشتغال العلماء بلا طائل من زمان طويل للوقوف على معرفة واضعى هذه الرسائل ؟

وليس بغريب أن يستولى الذهول على قارىء هذه السطور ، أو من يطلع على الكتاب المذكور . فقد قيل فى آخره أن المؤلف هو رجل يدعى «احمد بن عبدالله» (ولا أرى هذا الاسم الا مرادفا لمى بن بى) . والاغرب من هذا وذاك قوله بأن الرجل مترجم فى كتاب اسمه « عيون الاخبار » لمن يدعى «ادريس عماد الدين» . مع أن هذا الكتاب أثر لاعين ؛ وليس له مسمى في الوجود . فإنى لما رأيت ذلك ، أخذ العجب منى مأخذه ، فشرعت أتحرى الامر لأكون على بينة وبصيرة من هذا المشكل الذي ليس له في بابه مثيل . وقد تحققت بأن هذه العبارات ، انما هي تلفيق ومحض اختلاق . وذلك لأنني كابدت مشقة عظيمة في البحث عن أمر هذا الكتاب المزعوم ، وعن شأن ذلك الرجل الموهوم ، وكل مايتعلق به مما هو مدون زوراً وبهتاناً بآخر تلك الطبعة . ولما لم أعثر على شيء وداخلتنى الريبة واختلفت عندي الظنون ، كاشفت بهذا الامر أحد العارفين .

فقال لى : إن الحقيقة على خلاف ماورد بهذه الطبعة ، وان أصحاب الطبعة انما اضطروا لاختلاق مثل هذه الاكاذيب التى ما انزل الله بها من سلطان ، ليحتكروا طبع الـكتاب وبيعه فى بلاد الهند . فان القوانين هناك تحفظ

(١) الاشارة الى ماقبل ١٣٠٧هـ (١٨٨٩ م)

للمؤلفين ولورثتهم من بعدهم حقوق الطبع ، كما هو الشأن فى بلاد أوربا . فلما شرع أصحاب هـذه المطبعة فى نشر الرسائل التى نحن بصدد الكلام عليها ، أرادوا أن يختصوا بربحها دون سواهم ، ويقفلوا باب المزاحمة على من عداهم ، فجاؤا برجل وقالوا إنه من ذرية المؤلف ، وأخذوا منه رخصة تخولهم وحدهم طبع الكتاب ، ونقدوه في نظير ذلك ماطابت به نفسه . وبهذا انتفع الرجل وانتفع أصحاب المطبعة بنيل الاحتكار . فهذا هو السبب في التلبيس والتدليس

وأما الطبعة التي أخذت فيها مطبعة الآداب في العام الماضى(١) ولم يفرغ منها الى اليوم سوى جزء واحد ، مع طول انتظار الناس لباقى الاجزاء يوما فيوماً ، فهي خالية من التمويهات فيمن ألف ومن خلف ، كما جاء في طبعة الهند . وغاية مايقال فيها إن حضرة محرر الآداب (٢) نقل في المقدمة (٣) التى كتبها فى صدر هذا الكتاب عبارة قال أنها للوزير القفطي ومن مقتضاها أن رسائل « اخوان الصفاء » من تأليف « المجريطى »

(١) أى سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)

(٢) هو المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد

(٣) وقد لخص فيها رسالة التوحيدى ولم يشر الى انه نقلها من مصدرها الذي هو تراجم الحكماء بل نقل عبارة هذا الكتاب كما نقل على بك فهمي في روضة سنة ١٢٩٤ وهى «ولم ازل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفيها حتى وقفت على كلام لابى حيان الخ » اذلا يقدر ان يقول أنه عثر على كلام التوحيدى الافي تراجم الحكماء اوفى روضة المدارس التي نقلت عنه ولا يقدر ان يقول انها موجودة فى كتاب مختصر الدول لابن حكيما الذي قال عنه انه أورد جواب ابي حيان بالايجاز فان هذا الكتاب غير متيسر الان

وأقول ان هذا مناف للحقيقة، مخالف للصواب . لان القفطى لم يشر الى مثل هذا، فضلا عن النص عليه فى كتاب (تراجم الحكماء) وهو بالكتبخانة الخديوية لمن يريد من الباحثين والمحققين الذين يعنيهم هذا الامر . ثم ان هذه الرسائل ليست للمجريطي، كما ستراه بعيد هذا . نعم ان حضرة الشيخ قال في آخر جملته « وقد علمت ان رسائل اخوان الصفاء التى ألفها المجريطي هى غير هذه» وذلك عقيب قوله «وبعد ان شاع اسم [1] هذه الرسائل بالاندلس وتطلعت لها علماء الغرب ألف أبو محمد مسلمة المجريطي القرطبي رسائل على مثالها وكتم اسمه فيها الخ ». وهو قول نطالبه عليه بالدليل ولا نأخذه منه قضية مسلمة [2] . فان مثل هذا مما يهم المؤرخين نقله . والمؤرخون لما ذكروا ان تلميذ المجريطي هو أول من أدخل الرسائل الى الاندلس، ما تكلموا فى شيء من هذا القبيل، وما أشاروا الى هذا المعنى أصلا مع ان عبارتهم تدل على عنايتهم بأمر هذا الكتاب

وقد قال محرر «الآداب» في مقدمته أيضا مانصه :«وفي كتاب المقابسات ان زيد بن رفاعه وجماعة من كبار فلاسفة الاسلام كانوا يجتمعون فى منزل ابي سليمان النهرجورى، وكان شيخهم وان لم يحز شهرتهم. وكانوا اذا اجتمع معهم اجنبي، التزموا الكنايات والرموز والاشارات. قال: ولعل كيفية اجتماعاتهم هذه

(١) الاان شيوع الاسم لايدل على شيوع المسمى . فتنبه .

(٢) وقد سكت الشيخ رحمه الله عن الجواب منذ صدور انكارنا هذا الى ان دخل غمار السياسة الى ان اختاره الله لجواره . لانه لا يمكن الجواب عن شيء غير موجود بشيء غير السكوت أو الاعتراف الصريح .

هي التى أرابت صمصام الدولة حتى أوجس من زيد بن رفاعة وهو شيخه خيفة » انتهى

وهو قول يؤيد انهم من الاسماعيلية

واعلم اني قد راجعت ترجمة الحكيم أبي القاسم مسلمة بن احمد بن عمر ابن وضاح المرجيطي المعروف بالمجريطي في كثير من الكتب والتواريخ ، فما رأيت شيئاً يدل على انه وضع « رسائل اخوان الصفاء » أو كتاباً على نمطها . فقد ذكره جم غفير من العلماء ، ولم يقل أحد في سيرته قولا ينطبق على هذا الرأى . وأقوى دليل أورده مكتفياً به عما سواه ان أبا الحكم الكرماني هو أول من جلب الى الاندلس الرسائل المعروفة باخوان الصفا ، كما علمت ذلك مما سبق بيانه في أول هذا الفصل . والظاهر أن الذي أوهم بعض القوم أن هذه الرسائل للمجريطي ، هو قوله في كتابه الذي سماه « رتبة الحكيم » في علم الكيمياء : « وقد قدمنا من التآليف في العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعاباً لم يتقدمنا فيها أحد من أهل عصرنا ألبتة ، وقد شاعت هذه الرسائل فيهم ، وظهرت اليهم ، فتنافسوا في النظر اليها ، وحضوا أهل زمانهم عليها . ولا يعلم من ألف ولا اين ألف غير الحذاق منهم لما دأبوا على مطالعتها لاستحسانهم اياها واستعذابهم لالفاظها ، علموا انها من تأليف زمانهم وعصرهم الذى هم فيه ، ولا يعلمون من ألفها . وكل ذلك من تلك التآليف مبسوط المرسوم » انتهى

فالظاهر أنهم لما اطلعوا عليه (أى على كتاب رتبة الحكيم) قالوا أن الرسائل التي يذكرها انما هي المعروفة برسائل اخوان الصفاء . وهو وَهْمٌ .

فانه يقول انه استوعب فيها العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية استيعاباً لم يتقدمه فيه أحد من أهل عصره. وليست رسائل اخوان الصفا كذلك، كما علمت وتعلم إن شاء الله. وأيضاً، فقوله إن هذه الرسائل شاعت بين أهل عصره وظهرت اليهم فتنافسوا فيها وحضوا أهل زمانهم عليها وأن الحذاق دأبوا على مطالعتها وعلموا أنها تأليف زمانهم، يؤيد ماقلناه من وهم القوم. فانه يقال: اذا كانت هذه الرسائل التى يقول بشيوعها بين أهل عصره هي رسائل اخوان الصفا، وقد كان الرجل اندلسياً، فأى معنى بعد لقول المؤرخين بان الكرماني هو أول من أدخل رسائل اخوان الصفا الى بلاد الاندلس، حاملا لها من المشرق؟ اللهم الا أن يقال إن هذا الشيوع كان بالمشرق، ودون ذلك القول خرط القتاد

وقد قال المجريطي أيضاً «وكل ذلك من تلك التآليف مبسوط المرسوم» كانه أراد أن يؤكد ماقاله قبيل هذا من أنه استوعب فى هذه الرسائل العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية استيعاباً لم يتقدمه فيه أحد، مع أن ذلك مخالف لما نراه فى الكتاب المعروف برسائل «اخوان الصفا» المتداول بين أيدينا الآن.

ذلك لان من اجال جواد الناظر فى هذه الرسائل، وجدها يصدق عليها ماقاله «القفطي» من أنها مشوقات، غير مستقصاة، وكأنها للتنبيه والايماء. وينطبق عليها ماقاله أبو حيان التوحيدي من أنها مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية. وتأكد من موافقتها لما قصده أصحابها اذ قالوا في موضع:

«واعلم ياأخي، أيدك الله، انما نذكر فى كل علم شبه المقدمة والمدخل

الى مافيه ، ليكون تحريضاً لاخواننا على التميز فيه والشوق اليه . لان بالشوق الى شيء يكون الحرص على الاطلاع عليه »

وقالوا فى موضع آخر :

«اعلم ، ياأخى ، انما نورد من العلوم فى كتبنا ورسائلنا ما يكون تذكية للعقول وتنبيهاً للنفوس . فاخذنا من كل علم بقدر ما اتسع له الامكان ، وأوجبه الزمان . وقد اجتهدنا أن يكون ذلك من أحسن ما قدرنا عليه ، ووصلنا اليه . ولذلك وضعناه واثبتناه وأوردناه لاخواننا (أيدهم الله وإيانا) ورضينا لهم مارضينا لأنفسنا . اذ كنا كلنا روحاً واحدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايكمل المؤمن ايمانه حتى يرضى لاخيه ما يرضاه لنفسه . وقال الله تعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه » الخ

فهذه الاقوال كلها تناقض ما صرح به المجريطي مناقضة كلية . وحينئذ لايصح القول بأن الكتاب الذي يشير اليه هو « رسائل اخوان الصفا » الذي بين أيدينا الآن .

وغاية ماأراه في هذا الشأن أن لهذا الحكيم كتابا آخر أو كتبا متعددة لم يضع اسمه عليها . فلما رأى الناس عبارته في « رتبة الحكيم » وكانوا يبحثون على مؤلف « رسائل اخوان الصفا » بغير جدوى ، ظنوا انهم أدركوا الطلبة وأصابوا الغرض فنسبوا له هذه الرسائل ، من غير ماتمعن ولا تدبر

وهنا نذكر أمراً آخر لايخلو من الغرابة . وهو أن المجريطى لم يذكر فى عبارته ، التى أوردتها قبيل هذا ، اسماء الكتب التى اطنب في مدحها والتنبيه عليها . فليت شعري ! ماهو الباعث الذى دعاه فى أول لامر الى كتم اسمه

عن مصنفات جليلة ، تاقت اليها نفوس أهل عصره وشغفوا بمطالعتها ؟ ثم ماهو الداعي الذي جعله يصرح أخيراً في كتابه «رتبة الحكيم» بانه هو الذي صنف تلك الكتب ؟

ولعل هذا التصريح من المجريطي هو الذي حمل صاحب « كشف الظنون » على القول بوجود كتاب آخر اسمه « رسائل اخوان الصفاء» لهذا الحكيم ، وانه صنفه على مثال الرسائل المعروفة المشهورة بهذا الاسم

واذا اعتبرنا هذا القول بميزان البحث والتدقيق ،وصلنا الى ملحوظة لطيفة . وذلك أن هذا الحكيم توفي سنة٣٩٥ كما قاله حاجي خليفة (صاحب كشف الظنون).ولا شك أن هذه الرسائل كانت موجودة في سنة٣٧٣، كما يتضح من كلام أبي حيان . ومن ذلك يستنبط ان أصحاب الرسائل الشرقية المتداولة الآن كانوا معاصرين للمجريطي، وان وقت تأليف رسائلهم يقارب الوقت الذي ألف فيه هو رسائله على ذلك النمط ، لان صاحب الكشف قال (ان رسائله غير رسائل اخوان الصفا وانها على نمطها) .

والنتيجة ان المجريطي يمكن أن يكون صنف رسائل ، ولم يضع لها اسما ، كما كتم اسمه فيها . وكان هذا سببا لتسمية بعضهم لها حين رآها برسائل «اخوان الصفا» تشبيهاً لها برسائل المشرق . لان الاتفاق في التسمية أيضا ، فوق الاتفاق في النمط وكتم الاسم ، من الامور المستبعدة بل المتعذرة

وهنا نرى فضل صاحب الكشف واضحاً فانه لم يخلط بين الكتابين ، ولم ينسب كتاب المشرق الى المجريطي ، كما فعل كثير من العلماء . بل قال بوجود كتاب آخر بهذا الاسم ، وأورد كلمتين من خطبته .فلا بد أن يكون

اطلع على الكتاب . ولكن اذا كان هـذا الكتاب موجوداً حقيقة ، فكيف لم ينبه عليه القاضي صاعـد لما ذكر أن الكرماني هو أول من أدخل رسائل « اخوان الصفاء» الى الاندلس ، وأنه لايعلم أحداً أدخلها فيه قبله ؟ فان هـذا الكلام يدل ، كما قدمنـا ، على عناية كبيرة بشأن الكتاب . واذا كان ذلك كذلك ، وكان المجريطي مؤلفاً لكتاب آخر بهذا الاسم وهـذا النمط (كما يقول صاحب الكشف) فلا بد انه كان من واجبه أن ينبه عليه بعبارة صريحة ، لاسيما وأن صاحب طبقات الاطباء ترجم المجريطي قبل ايراد هـذه العبارة بصحيفة وبضعـة اسطر خصصهما لذكر سيرة ثلاثة من تلامذة المجريطي ، وأعقبهم بترجمـة تلميـذه الكرماني ، وأورد فيها العبارة المذكورة قبل

ومهما يكن فقد ثبت أن الرسائل المتداولة الآن ليست للمجريطي ، وأنه لا يصح أن يقال بأن له كتابا بهذا الاسم . بل انه اذا ثبت وجود كتاب له بهذا الاسم ، فيكون الاسم موضوعا عرضا ، لا من المؤلف نفسه . والله أعلم

وقبل أن اختم المقال في هذا المجال ، أنبه القارىء النبيه الى رسالة في «اخوان الصفاء» رجاء مطالعتها واقتطاف ثمراتها . وتلك هي الرسالة الواحدة والعشرون من الكتاب أو الثامنة من القسم الثاني من الطبيعيات المعروفة برسائل الحيوان (وقد طبعها العلامة دبتريصي بأوروبا على حدتها) ، فقد احتوت[1] ضروب المرافعة والمدافعة والمنازعة بين الحيوان والانسان ، في شكل

(١) أنظرها في صفحة ١٥٢ وما بعدها من جزء ٢ من هذه الطبعة

عجيب على منوال غريب . فزعموا أن جميع الحيوان اتحدت كلمتها على إقامة الدعوى على الانسان ومطالبته بالرفق بها ، والعدول عن ظلمها الى العدل فيها . وان كل فريق من الحيوان أخذ يرتقي منبر الخطابة ، ويتفنن في بيان اعتساف الانسان ، ويناضل عن حقوقه بثبات جنان ، وقوة برهان ، يخجل امامهما قس وسحبان . فيقوم كل فريق من بني آدم ، ويدحض حجة الحيوان ويذكر لأعضاء المحكمة شرفه على سائر المخلوقات . ويدوم الحال هكذا بين أخذ ورد ، ودفاع ونزاع ، وجدال وخصام ، وهم لم يخرجوا عن قوانين المناظرة ، ولم يدخلوا في طريق المكابرة . بل كلٌّ يورد من الشواهد القواطع والحجج الدوامغ ما يؤيد قوله ، ويزكي فعله ، ويجعل الحق في جانبه ، والباطل من طريق صاحبه ، الى أن تحكم المحكمة باقفال باب المرافعة ، وأنها ستنظر في حسم هذه الواقعة . وهناك تنتهي الرسالة بعد أن ينص فيها على أن الحكم هو المقصود من وضع الكتاب كله ، وأنه ينبغي على الطلاب ، ان يدرسوا جميع الفصول والابواب ، لينكشف لهم الحجاب ، ويتجلى امامهم الجواب ، ويفوزوا بحسن العقبى وخير المآب . والله أعلم



الصورة الفوتوغرافية

لكتاب المستشرق الفرنسوى للسيو باربييه دومينار [(١)]

الى العلامة احمد زكى باشا

Paris 22 Janvier 1891

Monsieur

Je m'empresse de vous remercier de l'intéressante brochure que vous avez bien voulu m'envoyer.

Bien que nous possédions en Europe d'excellentes éditions du كشف الظنون de Flügel et d'autres recueils de bibliographie arabe, il est toujours utile pour nous d'avoir sous la main un résumé de ce que la science musulmane nous a légué dans ce genre de travaux.

Votre travail, Monsieur, mérite donc d'être bien accueilli dans le monde savant et, à l'occasion, je ne manquerai pas d'en signaler la publication et le titre aux lecteurs du Journal asiatique.

---

(١) راجع كلمة الناشر

ترجمة الكتاب

باريس في ٢٢ يناير سنة ١٨٩١

سيدي

ابادر بشكرك على الكراسة الشائقة التي تكرمت فاتحفتني بها

نعم لدينا في أوروبا طبعات جيدة لكتاب « كشف الظنون » ولكتاب « الفهرست » وغيرهما من المجاميع التي تتضمن التعريف بالمصنفات العربية، ولكننا نرى من المفيد لنا على الدوام أن يكون تحت يدنا خلاصة تكشف اللثام عما خلفه لنا العلم الاسلامي في هذا النوع من الموضوعات

وان صنيعك ، ياسيدي ، جدير بحسن القبول لدى جمهرة العلماء. وبهذه المناسبة فانني لن اقصر في الاشادة بهذا التصنيف ، والاشارة الى عنوانه في « جرنال آسيا »

Flügel, et surtout Dieterici ont écrit sur
cette question si digne encore d'être étudiée
La question du nom d'auteur doit être écartée,
il n'est pas douteux que les 51 traités n'aient
été le résultat d'une collaboration parfaitement
homogène, mais anonyme entre les membres de
l'association à Basra et dans les autres loges.
J'aurais bien souhaité, Monsieur, que vous
eussiez insisté davantage sur cette belle et
courageuse tentative d'émancipation intellectuelle
Je ne doute pas que si l'esprit de tolérance
qui en a favorisé l'essor, n'avait pas été
étouffé de bonne heure (vous savez par quelle
funeste réaction) la civilisation du monde
musulman marcherait encore de pair avec
celle du monde occidental
Mais, toute vérité n'est pas bonne à dire.

ولقد كتب « فلوجل » ومن بعده « ديتريصى » بنوع أخص ، على هذه المسألة التى لا تزال جديرة بالدرس

أما مسألة البحث عن اسم المؤلف ، فمن الواجب استبعادها إذ ليس هناك من شك في أن الاحدى والخمسين رسالة هي نتيجة المشاركة والتعاون بين أشخاص كتموا اسماءهم ، وهم متجانسون تمام التجانس فى المذهب والمشرب ، ومن أعضاء الجمعية (اخوان الصفاء) في مدينة البصرة وفي «المحافل» الأخرى

Je ne doute pas non plus qu'il rencontre le même accueil parmi vos compatriotes, au moins chez ceux qui s'intéressent encore au passé si brillant de la civilisation arabe, surtout au IVe siècle de l'hégire.

Il était bon de leur rappeler, même en suivant de près les renseignements de Kiâtib Tchelebi, tout ce qu'elle a produit d'œuvres remarquables dans le domaine des sciences au moyen âge.

Vous avez mieux fait encore, Monsieur, en signalant les mérites de cette collection infiniment précieuse qui fera vivre la mémoire des اخوان الصفا dans l'histoire de la culture intellectuelle. Vous avez lu, je n'en doute pas ce que M.M. de Sacy,

وكان بودى ياسيدى ، ان تزيدنا بسطة في القول على هـذه المحاولة الجميلة الجريئة التى كانت ترمي الى التحرير الفكرى[١]

ولا ريب عندى في أن روح التساهل التي ساعدت على تولد هذه الحركة ، لو لم يصادفها ماخنقها في مهدها (وأنت تعلم مافعلته الرجعية المشؤومة) لـكانت حضارة العالم الاسلامي لاتزال متمشية مع حضارة العـالم الغربي على قدم المجاراة والمساواة .

ولـكن « ماكل مايعلم يقال » . وأنت ، ياسيدى ، خـير قاض لمعرفة الحدود التى ينبغي لك أن تقف عندها

---

(١) وقد نقل الاستاذ زكي باشا فى النسخة التي هيأها للطبعة الثانية ، وهى محفوظة بخزانة لندرة فانه قدمها — وهى نفذة — الى مؤتمر المستشرقين الذى أوفدته اليه الحـكومة المصرية فى السنة التالية أي سنة ١٨٩٢

et vous êtes, Monsieur, le meilleur juge des limites devant lesquelles vous devriez vous arrêter.

Je saisis avec empressement cette occasion de vous dire combien je m'estime heureux d'être entré en relation directe avec un savant d'un mérite distingué et que je me mets volontiers à votre disposition pour les renseignements littéraires relatifs à mes études qui pourraient vous intéresser. Bien entendu, vous pourrez m'écrire en arabe.

Veuillez agréer en attendant, Monsieur, l'assurance de ma considération la plus distinguée

A C Barbier de Meynard

18 Boulevard Magenta. Paris.

وانى أسارع الى التشبث بهذه الفرصة فاعرب لك عن عظيم ابتهاجي بما صار لى من علاقة مباشرة و ارتباط ذاتي مع عالم لفضل ممتاز مثلك. واني بكل ارتياح أضع نفسى تحت تصرفك فيما يتعلق بالمعلومات التاريخية الخاصة بمباحثنا التي قد تكون فيها فائدة لك

ومن المفهوم أنه يمكنك أن تكاتبنى بالعربية

وفي انتظار ذلك، ارجوك، ياسيدى، أن تتفضل بقبول تأكيدى عما أشعر به نحوك من عواطف الاحترام والاجلال

بارييه دومينار

١٨ شارع ماجنتا — باريس

كلمة الناشر

لما صحت منى العزيمة على احياء هذه الموسوعات النفيسة (رسائل اخوان الصفا) ونشرها بين أيدى قراء العربية ، علمت أن الأستاذ الجليل صاحب السعادة احمد زكى باشا كان قد كتب عنها فصلا تاريخياً مستفيضاً ضمنه ما قاله الثقاة فيها وفى مؤلفيها .

كتب هذا البحث التاريخي سعادة أستاذنا العلامة احمد زكى افندى (حينذاك) فى سنة ١٣٠٧ هـ — ١٨٨٩ م حينما بدأت مطبعة الآداب لصاحبها المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد بطبع هذه الموسوعات ولما حالت الحوائل دون اتمام طبعها نشره فى كتابه (موسوعات العلوم العربية) الذى كان قد صدر فى سنة ١٣٠٨ هـ — ١٨٩٠ م فنال اعجاب كبار المستشرقين نكتفى بذكر واحد منهم هو العلامة باربييه دومينار رئيس تحرير المجلة الأسيوية فقد كتب الى سعادته كتاباً نفيساً أعرب فيه عن اعجابه الزائد بذلك الفصل الشائق وقد نشرنا فيما تقدم الصورة الفوتوغرافية لهذا الكتاب التاريخي الثمين زيادة في الفائدة وليكون دليلا على ما لرسائل اخوان الصفا من التقدير العلمى فى نفوس كبار المستشرقين

ولم يكتف سعادة الباشا أن يسمح لى بأن أحلى جيد هذه الموسوعة بهذا المبحث الجليل بل تفضل — حفظه الله — فتولى تصحيحه بنفسه وأضاف اليه اضافات قيمة خدمة للعلم وأهله شأنه فى كل زمان ومكان . وقد تكرم أيضاً نابغة مصر وفخر المصريين العلامة الدكتور طه حسين أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة المصرية بأن صدر هذه الموسوعة بمقدمة تحليلية نفيسة تشرح آراء جماعة اخوان الصفا فى التربية والآداب والفلسفة والدين والرياضة والهيئة والتقنين والسياسة واختلاف آراء الأقدمين فى ذلك فلحضرته وافر الشكر وجزيل الثناء على عظيم خدمته للعلم والثقافة العربية .

فالى القراء أقدم هذه الموسوعة الهامة بل هذا الكنز الثمين راجياً أن ينال عملى قبولهم وارتياحهم (وما توفيقى إلا بالله)

مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة

فهرس الجزء الاول
من رسايل أخوان الصفا

صفحة

٣ مقدمة تاريخية تحليلية لحضرة الدكتور طه حسين
١٧ كلمة لسعادة العلامة أحمد زكي باشا
٥٤ كلمة الناشر
١ فهرست الرسائل وتقسيمها
١ اجمال عن الرسائل الرياضية
٥ « « « الجسمانية الطبيعية
١٢ وصف الرسائل النفسانية العقلية
١٥ اجمال عن الرسائل الناموسية
١٩ وصف الرسالة الجامعة
١٩ كلمة عامة في وصف الرسائل
٢٣ القسم الرياضي
٢٣ الرسالة الاولى في العدد
٣١ فصل فى خواص العدد
٣٧ « ثان في خواص العدد أيضاً
٣٨ « فى تقسيم العدد
٣٩ « « خواص كل نوع من أنواع العدد
٤١ « « أن ضرب العدد الصحيح على أربعة أنواع وجملتها عشرة أبواب
٤٢ « « الضرب والجزر والمكعبات ومايستعمله الجبريون والمهندسون من الالفاظ ومعانيها
٤٢ « « ضرب العدد المربع ، مجذوراً كان أوغير مجذور ، فى عدد آخر
٤٤ « « خواص العدد المجذور

صفحة

٤٤ فصل في مسائل من المقالة الثانية من كتاب اقليدس في الاصول
٤٦ « تقديم الحكماء النظر في علم العدد قبل النظر في سائر العلوم الرياضية
٤٧ غرض الفلاسفة الحكماء من النظر في العلوم الرياضية وتخريجهم تلامذتهم بها
٤٩ الرسالة الثانية الموسومة بجومطريا في الهندسة وبيان ماهيتها
٥١ فصل في أنواع الخط
٥٢ « « أسماء الخط المستقيم
٥٢ « « أنواع الزوايا
٥٣ « « « « المسطحة
٥٣ « « « الخطوط القوسية
٥٤ « « ذكر السطوح
٥٤ « « الاشكال المستقيمة الخطوط وانواعها
٥٥ فصل في أن الخطوط يظهر طولها لحاسة البصر من النقطة اذا انتظمت
٥٦ « « بيان المثلث وانه أصل لجميع الاشكال
٥٦ « في أنواع السطوح
٥٧ « في ذكر الاجسام
٦٠ « في أن علم الهندسة يدخل في الصنائع كلها وخاصة في المساحة
٦٢ « في حاجة الانسان الى التعاون
٦٣ « في الهندسة العقلية
٦٣ « في أن الخط العقلي لا يرى مجرداً إلا بين سطحين
٦٥ « في حقيقة الابعاد في الهندسة العقلية
٦٦ فصل في خواص الاشكال الهندسية
٧٢ « « ثمرة فن الهندسة
٧٣ الرسالة الثالثة الموسومة بالاسطر نوميا في علم النجوم وتركيب الافلاك
٧٦ فصل في ذكر صفة البروج
٧٨ « « البيوت والوبال

صفحة

٨٠ فصل في أرباب المثلثات والوجوه والحدود
٨١ « « ذكر أرباب الوجوه
٨٢ « « « الكواكب السيارة
٨٣ ذكر ما للكواكب من الاعداد
٨٣ « دوران الفلك وقسمة أرباعه
٨٤ « « الشمس فى البروج وتغيرات أرباع السنة
٨٥ فصل فى ذكر نزول الشمس في أرباع الفلك وتغييرات الازمان
٨٥ ذكر دخول الصيف
٨٥ « « الخريف
٨٦ « « الشتاء
٨٦ « دوران زحل في البروج وحالاته من الشمس
٨٧ ذكر دوران المشترى في البروج وحالاته من الشمس
٨٧ ذكر دوران المريخ فى الفلك وحالاته من الشمس
٨٨ « « الزهرة فى الفلك
٨٨ « « عطارد فى الفلك وحالاته من الشمس
٩٠ فصل في قران الكواكب
٩١ ذكر البيوت الاثنى عشر
٩١ فصل في تجرد النفس واشتياقها الى عالم الافلاك
٩٤ « « علة انحصار الافلاك والبروج والكواكب فى عدد مخصوص
٩٥ فصل فى حكمة اختلاف خواص الكواكب
٩٧ « « علم أحكام النجوم
٩٩ « « كيفية وصول قوى أشخاص العالم العلوي الى أشخاص العالم السفلى الذى هو عالم الكون والفساد
١٠٠ فصل في بيان كيفية سعادات الكائنات ومناحسها
١٠١ فصل في علة اختلاف تأثيرات الكواكب فى الكائنات الفاسدات التى

صفحة

دون فلك القمر
١٠٥ فصل في أن المنجم لايدعى علم الغيب فيما يخبر به من الكائنات
١١٠ الرسالة الرابعة في الجغرافيا
١١١ فصل فى صفة الاقاليم وما في الربع المسكون من الارض مع ما فيها من الجبال والبحار والبرارى والانهار والمدن ومافىالبحار من الجزائر والمدن
١١٣ ذكر وقوف الارض في وسط الهواء وسببه
١١٤ صفة الارض وقسمة أرباعها
١١٥ « الاقاليم السبعة
١١٦ فصل فى أن هذه الاقاليم السبعة ليست هي أقساماً طبيعية وكأنها خطوط وهمية وضعتها الملوك الاولون
١١٧ فصل فى الحث على النظر في الارض للاعتبار
١٢٠ أسماء المدن الكبار التى ليست فى الاقاليم السبعة
١٢٠ الاقليم الاول لزحل
١٢١ اسماء المدن الكبار التى في هذا الاقليم
١٢١ الاقليم الثانى للمشترى
١٢٢ المدن الكبار التى فى هذا الاقليم
١٢٣ الاقليم الثالث للمريخ
١٢٤ اسماء المدن التى فى هذا الاقليم
١٢٤ الاقليم الرابع للشمس
١٢٦ أسماء مدن هذا الاقليم
١٢٦ الاقليم الخامس للزهرة
١٢٧ أسماء مدن هذا الاقليم
٢٢٧ الاقليم السادس لعطارد
١٢٨ الاقليم السابع للقمر
١٢٩ أسماء مدن هذا الاقليم

الصحفة

١٢٩ فصل في خواص الاقاليم
١٣٠ « في ان كل دولة لها وقت منه تبتدىء وغاية اليها ترتقي وحد اليه تنتهي
١٣١ « في أنه قد تناهت دولة أهل الشر ... الخ
١٣٢ الرسالة الخامسة في الموسيقي
١٣٤ فصل في أن أصل صناعة الموسيقى للحكماء
١٣٧ « « كيفية ادراك القوة السامعة للاصوات
١٤٢ « « امتزاج الاصوات وتنافرها
١٤٣ « « تأثر الامزجة بالأصوات
١٤٣ « « أصول الالحان وقوانينها
١٤٨ « « كيفية صناعة الآلات واصلاحها
١٥٢ « « ان لحركات الافلاك نغمات كنغمات العيدان
١٦٢ « « أن احكام الكلام صنعة من الصنائع
١٦٦ « « تناسب الاعضاء على الاصول الموسيقية
١٦٨ « « حقيقة نغمات الافلاك
١٧١ « « ذكر المربعات
١٧٤ « « الانتقال من طبقات الالحان
١٧٥ « « نوادر الفلاسفة في الموسيقى
١٧٩ « « تلون تأثيرات الانغام
١٨١ الرسالة السادسة : في النسبة العددية والهندسية في تهذيب النفس واصلاح الاخلاق
١٨٣ فصل في النسب
١٨٥ فصل في استخراج النسب المتصلة
١٨٧ فصل في التناسب
١٨٩ فصل في فضيلة علم النسب العددية والهندسية والموسيقية
١٩٥ الرسالة السابعة : في الصنائع العلمية والغرض منها

الصحيفة

١٩٥ فصل في مثنوية الانسان
١٩٦ فصل في الصفات المختصة بالجسد والنفس
١٩٧ فصل فى مثنوية قنية الانسان ومثنوية الاعمال
١٩٨ فصل فى العلم والمعلوم والتعلم والتعليم وأوجه السؤال
٢٠٢ فصل فى أجناس العلوم
٢٠٧ فصل في العلوم الالهية
٢١٠ الرسالة الثامنة : فى الصنائع العملية والغرض منها
٢١٢ فصل فى الصورة والهيولى والاداة
٢١٣ فصل فى ان موضوع الصناع نوعان
٢١٥ فصل فى الحاجة الى الآلات والادوات
٢١٦ فصل في مراتب الصناعات
٢١٨ فصل في أن كل صناعة تحتاج الى الفكر والتعقل
٢١٩ فصل فى شرف الصنائع
٢٢١ فصل فى قابلية الانسان الصنعة
٢٢٣ فصل فى الغرض من الملك
٢٢٣ فصل فى أن الجسم لايتحرك من ذاته
٢٢٧ الرسالة التاسعة :
فى بيان الاخلاق وأسباب اختلافها وأنواع عللها ونكت من آداب الانبياء وزبد من أخلاق الحكماء
٢٢٨ فصل فى قابلية الانسان جميع الاخلاق
٢٢٩ فصل في وجود اختلاف الاخلاق
٢٢٩ « « اختلاف الاخلاق من جهة الاخلاط
٢٣٠ « « خلق آدم عليه السلام كما وجد فى بعض كتب بنى اسرائيل
٢٣٢ « « تأثير طبيعة البلدان فى الاخلاق
٢٣٤ « « ماهية الاخلاق

الصحيفة

٢٣٦ مطلب في التربية
٢٣٦ فصل فى ان من الناس من يكون اعتقاده تابعاً لاخلاقه ....الخ
٢٣٩ « « مراتب الانفس
٢٤١ « « أن من الاخلاق والقوى ماهى منسوبة الى النفس النباتية الشهوانية .... الخ
٢٤٣ « « اختلاف مناهج النفوس
٢٤٥ « « ان شهوة البقاء وكراهية الفناء أصل وقانون لجميع شهوات النفوس
٢٤٦ « « ترتيب الاخلاق على بعضها وكونها فضيلة أو رذيلة
٢٤٩ « « مراتب الناس في الاخلاق حسب الاعمال
٢٥١ « « أن الناموس مملكة روحانية الخ
٢٥٧ « « انقسام الناس فى السعادة اربعة اقسام
٢٥٨ « « انه لايخلو أحد من ان يكون داخلا في أحد تلك الاقسام الاربعة
٢٦٤ « « أن خواص عباد الله المؤمنين العارفين المستبصرين يعاملون الله جل ثناؤه بالصدق واليقين ... الخ
٢٦٧ « « أن الامور الطبيعية محيطة بنا ومحتوية على نفوسنا ... الخ
٢٧٩ « « أن الله جل ثناؤه فرض على المؤمنين المقرين به وبانبيائه أشياء يفعلونها ... الخ
٢٧١ « « فضل طلب العلم
٢٧٢ « « أن طالب يحتاج الى سبع خصال
٢٧٤ « «ان من الاخلاق المكتسبة ماهى محمودة . . . الخ
٢٧٩ « « في الحرص والزهد ودرجات الناس
٢٨١ « « آفات الشبع وكثرة الأكل وخصال الزهاد
٢٨٤ « « في بيان علاقات أولياء الله عز وجل وعبادة الصالحين
٢٨٦ « « فيما حكاه ولى من أولياء الله عن كيفية معرفة مكائد الشياطين الخ
٢٩١ « « حكاية أخرى

الصحيفة

٢٩١ « « فضل التوبة والاستغفار والدعاء
٣٠٣ « « حسن التكليف
٣٩٥ « « أن الرغبة في الدنيا مع طلب الآخرة لايجتمعان
٣٠٥ « « عظات مختلفة
٣٠٩ الرسالة العاشرة فى ايساغوجي
٣١٠ فصل في اشتقاق المنطق وانقسام المنطق الى قسمين
٣١٣ « « الالفاظ الدالة على المعاني
٣١٣ « « الالفاظ الستة
٣١٦ « « الاشياء كلها صور واعيان
٣١٧ « « العلم والتعلم والتعليم
٣١٨ « « اشتراك الالفاظ واخواتها
٣١٩ « « أن الاشياء كلها جواهر واعراض
٣١٩ « « حاجة الانسان الى المنطق
٣٢٢ الرسالة الحادية عشرة : في المقولات العشر التى هي كاطيغورياس
٣٢٣ فصل فى أن كل لفظة من هذه الالفاظ اسم لجنس من الاشياء ...الخ
٣٢٩ « « معنى قدم الاشياء
٣٣١ الرسالة الثانية عشرة : في معنى بارمنياس
٣٣٦ الرسالة الثالثة عشرة : فى معنى أنولوطيقا
٣٣٦ فصل فى انولوطيقا الاولى
٣٣٩ « « بيان العلة الداعية الى تضعيف القياسات المنطقية
٣٤٠ « « القياس المنطقي
٣٤١ « « أن الحكم على الاشياء بالعقل والحث على تحري الصواب
٣٤١ فصل في أن المنطق أداة الفيلسوف
٣٤٣ الرسالة الرابعة عشرة : فى معنى انولوطيقا الثانية
٣٤٤ فصل فى طريق التحليل والحدود والبرهان

الصحيفة

٣٤٦ فصل فى ماهية القياس
٣٤٦ فصل فى بيان حاجة الانسان الى استعمال القياس
٣٤٧ فصل في وجود الخطأ فى القياس
٣٤٧ فصل في كيفية دخول الخطأ من جهة المستعمل الجاهل
٣٤٨ فصل في بيان طريق الخطأ عند العقلاء وخطأ القياس عند الفلاسفة
٣٤٩ فصل فى معقولات الحواس و نتائجها
٣٥٠ فصل فى كيفية اعوجاج القياس وكيف التحرز منه
٣٥١ فصل فى أساس القياس البرهاني
٣٥١ فصل في أوائل العقول وأوائل المعلومات
٣٥٤ فصل فى أن المعلول لا يوجد قبل العلة
٣٥٤ فصل في قوله وألا يستعمل فى البرهان الاعراض الملازمة وأن علة الشيء منه ذاته وكون المقدمة كلية
٣٥٥ فصل في أن الحكم بالصفات الذاتية
٣٥٦ « « أن صناعة البرهان نوعان
٣٥٨ « « كيفية البرهان على أنه ليس في العالم خلاء
٣٥٨ « « البرهان على أنه ليس فى العالم لا خلاء ولا ملاء
٣٥٨ « « معنى قول الحكماء هل العالم قديم أو محدث
٣٥٩ « « أن الانسان اذا ارتقى نفساً صار ملكا
٣٦١ « « أن الحيوانات تتفاوت في الحواس ومعلوماتها
٣٦١ « « المعلومات البرهانية والامور الروحية



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

هذه فهرست رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وأبناء الحمد ، بجمل معانيها وماهية أغراضهم فيها ، وهي اثنتان وخمسون رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني عن كلام الخلصاء الصوفية ، صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد . وهي مقسومة على أربعة أقسام: فمنها رياضية تعليمية ، ومنها جسمانية طبيعية ، ومنها نفسانية عقلية ، ومنها ناموسية إلهية

فالرسائل الرياضية التعليمية أربع عشرة رسالة : الرسالة الاولى منها في « العدد » وماهيته وكميته وكيفية خواصه . والغرض المراد من هذه الرسالة هو رياضة انفس المتعلمين للفلسفة ، المؤثرين للحكمة الناظرين في حقائق الاشياء ، الباحثين عن علل الموجودات بأسرها . وفيها بيان أن صورة العدد في النفوس مطابق لصور الموجودات في الهيولى ، وهي انموذج من العالم الاعلى ، وبمعرفته يتدرج المرتاض الى سائر الرياضيات والطبيعيات . وان علم العدد جذر العلوم وعنصر الحكمة ومبدأ المعارف واسطقس المعاني .

الرسالة الثانية في « الهندسة » وبيان ماهيتها وكمية أنواعها وكيفية موضوعاتها . والغرض المقصود منها هو التهدي للنفوس من المحسوسات الى المعقولات ، ومن الجسمانيات الى الروحانيات ومن ذوات الهيولى الى المجردات ، وكيفية رؤية البسائط التي لا تتكثر ولا تزداد ، ولا تنفرد بالاتحاد ، ولا تتقدر بمقدار ولا انحصار في الاقصار ، كالصورة المجردة المعراة من المواد المبرأة من الهيولى والجواهر

المحضة الروحانية والذوات المفردة العلوية التي لاتدرك بالعيان، وفوق الزمان والمكان، وكيفية الاتصال بها والاطلاع عليها والترقي بالنفس اليها .

الثالثة رسالة في « النجوم » شبه المدخل في معرفة تركيب الافلاك وصفة البروج وسير الكواكب ومعرفة تأثيراتها في هذا العالم وكيفية انفعال الامهات والمواليد منها بالنشوء والبلى والكون والفساد ، والغرض منها هو تشويق النفوس الصافية للصعود إلى عالم الافلاك واطباق السموات ، منازل الروحانيين والملائكة المقربين والملأ الاعلى والجواهر العلى، والوصول الى القدس والروح الامين

الرابعة رسالة في « الموسيقى » وهو المدخل الى علم صناعة التأليف والبيان بأن النغم والالحان الموزونة لها تأثيرات في نفوس المستمعين لها كتأثير الادوية والاشربة والترياقات في الاجسام الحيوانية ، وان للأفلاك في حركاتها ودورانها واحتكاك بعضها ببعض نغمات مطربة ملهية وألحاناً طيبة لذيذة معجبة منها كنغمات أوتار العيدان والطنابير وألحان المزامير، والغرض منها التشويق للنفوس الناطقة الانسانية الملكية للصعود الى هناك بعد مفارقتها الاجساد التي تسمى الموت، لانه الى هناك يعرج بأرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المحقين المستبصرين كما بين الله تعالى بقوله : « ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم » . الخامسة رسالة في « جغرافيا » يعني صورة الارض والاقاليم والبيان بأن الارض كرية الشكل بجميع ما عليها، من الجبال والبحار والبراري والانهار والمدن والقرى، وانها حية تشبه بجملتها صورة حيوان تام عابد لله تعالى بجميع أعضائها وأجزائها وظاهرها وباطنها ، وكيفية تخطيطها وتقديرها ومسالكها وممالكها ، والغرض منها هو التنبيه على علة ورود النفس الى هذا العالم وكيفية اتحادها وعلة ارتباطها بغيرها واستعمالها الحواس واستنباطها للقياس، والتنبيه على خلاصها والحث على النظر والتفكر فيما نصب الله لنا من الدلالات وأراناه من الآيات التي في الآفاق والانفس ، حتى يتبين للناظر انه الحق

فيتمسك به ويزدلف اليه ويتوكل في أحواله عليه ، فيستعد للرحلة والتزود الى دار الآخرة قبل الممات وفناء العمر وتقارب الاجل وفوت الامل ووجدان الحسرة والندامة .

السادسة رسالة فى «النسب العددية» والهندسية ، والتأليفية وكمية أنواعها وكيفية ترتيبها . والغرض منها التهدي لنفوس العقلاء الى أسرار العلوم وخفياتها وحقائقها وبواطن الحكم ومعانيها ، والوقوف على ان الموجودات المختلفة القوى المتباينة الصور المتنافرة الطباع اذا جمع بينها على النسبة المتعادلة ائتلفت وصحت وبقيت ودامت ، واذا كانت على غير النسبة المتعادلة اضطربت وتنافرت حتى اضمحلت وفنيت وما اعتدلت ولا استقام شيء الا على قدر المناسبة وصحة الائتلاف ، وبمعرفة كمية ذلك وكيفيته يكون الحذق والمهارة بالصنائع كلها والتبرز فيها .

السابعة رسالة في «الصنائع العلمية النظرية » وكمية أقسامها وكيفية مراتبها وايضاح طرائقها ومذاهبها . والغرض منها تعديد أجناس العلوم وأنواع الحكم وبيان أعراضها وحقائقها والتهدي لطلب العلوم والحكم والتوقيت عليها وكيفية الطريق اليها وبيان معرفتها .

الثامنة رسالة فى «الصنائع العملية والمهنية » وتعديد اجناس الصنائع العملية والحرف والغرض منها هو تنبيه نفوس الغافلين على معرفة جواهرها التى هى الفاعلة على الحقيقة والمستنبطة الصنائع كلها ، المستعملة لاجسامهم المستخدمة لابدانهم ، اذ هي للصنائع كالآلات للنفوس والادوات لها تستعملها لتبلغ بها غرضها على اختلاف مقاصدها وفنون حاجاتها .

التاسعة رسالة فى « بيان اختلاف الاخلاق » وأسباب اختلافها وأنواع عللها ونكت من آداب الانبياء وسننهم وزبد من أخلاق الحكماء وسيرهم . والغرض في ذلك منها تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق اللذان بهما الوصول الى البقاء الدائم والسرور المقيم وكمال السعادة الباقية في الدنيا والآخرة .

العاشرة رسالة في « ايساغوجي » وهي الالفاظ الستة التي تستعملها الفلاسفة في المنطق وفي أقاويلهم ومخاطباتهم في كتبهم وحججهم وبراهينهم والغرض منها هو التنبيه على ما يقوم ذات الانسان ويتممه ويعرفه البقاء الدائم ويعرفه الفرق بين الكلام المنطقي واللغوي والفلسفي،وما حقيقة كل واحد منها وبيان مايحتاج من ذلك اليه لتسديد العقل وتثقيفه نحو الحقائق، ورده عن الزلل والغلط كما يحتاج الى النحو لتسديد اللسان وتقويمه نحو الصواب ورده عن اللحن لان نسبة صناعة المنطق الى العقل والمعقولات مثل نسبة صناعة النحو الى اللسان والالفاظ

الحادية عشرة رسالة في « قاطيغورياس » وهو البيان عن المقولات الكليات وهي الالفاظ العشرة التي كل واحد منها اسم لجنس من الموجودات كلها. والغرض منها هو البيان بان معاني الموجودات كلها قد اجتمعت في هذه المقولات العشرة التي يسمى كل واحد منها جنساً من الاجناس.والاجناس داخلة فيها وكيف تنقسم الاجناس الى الانواع والانواع الى الاشخاص والاشخاص الى الامهات وانها حدائق الاداب وبساتين العلوم وجنات الحكم وفواكه النفوس ونزه الارواح .

الثانية عشرة رسالة في « باريمانياس » وهي الكلام في العبارات واداء المعاني على حقها والابانة عنها . والغرض منها تعريف الاقاويل الجازمة المفردة البسيطة الجلية التي هي أقسام الصدق والكذب وكيف تحصل المقدمات القياسية وتركيبها من الالفاظ البسيطة المفردة وتقابل الايجاب والسلب وتقسيم أصناف الاقاويل وانها هي الجازم الذي منه تتركب المقدمات البرهانية وما الاسم وما الكلمة وما القول المطلق وما القول الجازم وما الموجبة وما السالبة وما المحصل والمستقيم والعدول وما القضايا الثنائية والثلاثية والرباعية وما العناصر الثلاثة من ضروري وممكن وممتنع، وما الضد والنقيض وغير ذلك مما يحتاج اليه في مقدمات القياس . الثالثة عشرة رسالة في « انولوطيقا الاولى » وهي القياس والغرض منها هو بيان كية القياس الذي تستعمله الحكماء والمتكلمون في

احتجاجاتهم والدعاوى والبينات والمناظرات في الآراء والمذاهب وانه الميزان بالقسط وضعته الفلاسفة ليعرف به الصدق من الكذب في الاقاويل، والخطاء من الصواب فى الاراء والحق من الباطل فى الافعال، وأي شيء يكون وكيف يكون ومتى يكون وأيها الصحيح وأيها الفاسد. الرابعة عشرة رسالة فى «انولوطيقا الثانية». وهي البرهان والغرض منها هو البيان والكشف عن كيفية القياس الصحيح الذي لاخطاءفيه ولا زلل وهو المسمى «البرهان» وهو ميزان البصائر يقيم الوزن بالقسط ومثاقيلها بداية العقول والمعارف الاولى يستعملها الصيارفة الالهيون من الحكماء الذين يعرفون به الصواب من الخطاء والحق من الباطل ويوضح الحق المبين والعلم اليقين. تمت الرسائل الرياضية التعليمية والفلسفية

***

ومنها الرسائل الجسمانية الطبيعية وهي سبع عشرة رسالة : الاولى منها رسالة في «الهيولى والصورة» وماهيتها وما الزمان والمكان والحركة واختلاف أقاويل الحكماء في حقائقها وكيفياتها والغرض منها هو تعريف ماهية الجسم وحقيقته ومايخصه من الاعراض اللازمة والزائلة والصور المقومة والمتممة وتلقب هذه الرسالة بسمع الكيان. الثانية منها رسالة في «السماء والعالم» وبيان كيفية اطباق السموات وكيفية تركيب الافلاك وماهو العرش العظيم وماهو الكرسي الواسع والغرض منها هو البيان عن كيفية تحريك الافلاك وتسييرات الكواكب وان المحرك لها كلها هو الروح القدس والنفس الكلية الفلكية الموكلة بها باذن باريها. الثالثة منها رسالة في «الكون والفساد» والغرض منها هو البيان عن ماهية الصور المقومة لكل واحد من الاركان الاربعة، أعني الامهات التى هي النار والهواء والماء والارض، وانها هي الامهات الكلية الكائن منها المعدن والنبات والحيوان وكيفية استحالة بعضها الى بعض باختلاف كيفياتها عليها بدوران الافلاك حولها ومطارح شعاعات الكواكب عليها، وان الطبيعة الفاعلة لها المحركة لكل واحد منها الى كمالها وغايتها هي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية

وملك من جملة الملائكة الموكلة بها وسائقة لها الى تمام ما أعدلها من غايتها . الرابعة منها رسالة في « الآثار العلوية » والغرض منها هو البيان عن كيفية حوادث الجو وتغييرات الهواء من النور والظلمة والحر والبرد وتصاريف الرياح من البحار والانهار، ومايكون منها من الغيوم والضباب والطل والندى والامطار والرعود والبروق والثلوج والبرد والهالات وقوس قزح والشهب وذوات الاذناب وماشا كل ذلك .

الخامسة منها رسالة في « كيفية تكوين المعادن » وكمية الجواهر المعدنية وعلة اختلاف جواهرها وكيفية تكوينها في باطن الارض، والغرض منها هو البيان بأنها أول مفعولات الطبيعة التى هي دون فلك القمر التى هي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية باذن باريها المصور للجميع والموجد للكل لا من موجود ابداعاً واختراعاً وخلقاً وتكويناً ،ومنها تبتدىء الانفس الجزئية بالتهدي الباعث بها الى الترقي من أسفل سافلين من مركز الارض الى اعلى عليين ، عالم الافلاك وفوق السموات، موقف الابرار المتقين ومقر الاخيار المنتجبين ومحل الانبياء والمرسلين ، وهذا أول صراط تجوز عليه الانفس الجزئية ثم النبات بوساطة الكون والنمو ثم الحيوان بوساطة الكون والنمو والحس ، ثم الانسان بوساطة الكون والنمو والحس والعقل ، ثم التجرد والدخول في زمرة الملائكة الذين هم سكان الافلاك والملأ الأعلى الذين هم أهل السموات . السادسة رسالة في « ماهية الطبيعة » وكيفية أفعالها في الاركان الاربعة التى هي الامهات ومواليدها التى هي : الحيوان والنبات والمعادن . والفرق بين الفعل الارادي ، من الفكري والشوقي ، وبين الضروري من الطبيعي والقهرى، والغرض منها تنبيه الغافلين على أفعال النفس وماهية جوهرها والبيان عن أجناس الملائكة وهى التى تسميها الفلاسفة روحانيات الكواكب الموكلة بانشاء المواليد بتحريكها الى استكمال صورها والتمام المعد لها

السابعة منها رسالة في « أجناس النبات » وأنواعها وكيفية سريان قوى النفس

النامية فيها والغرض منها هو تعديد أجناس النبات وبيان كيفية تكوينها ونشوئها واختلاف أنواعها من الاشكال والالوان والطعوم والروائح في أوراقها وازهارها وثمارها وحبوبها وبذورها وصموغها ولحائها وعروقها وقضبانها وأصولها وغير ذلك من المنافع، وان أول مرتبة النبات متصلة بآخر مرتبة المعادن وآخر مرتبتها متصلة باول مرتبة الحيوان. الثامنة منها رسالة في « أصناف الحيوان » وعجائب هياكلها وغرائب أحوالها والغرض منها هو البيان عن أجناس الحيوانات وكمية أنواعها واختلاف صورها وطبائعها واخلاقها وكيفية تكوينها ونتاجها وتوالدها وتربيتها لاولادها وان أول مرتبة الحيوانية متصلة بآخر مرتبة النبات وآخر مرتبة الحيوانية متصلة باول مرتبة الانسانية وآخر مرتبة الانسانية متصلة باول مرتبة الملائكة الذين هم سكان الهواء والافلاك واطباق السموات وان نفوس بعض الحيوانات ملائكة ساجدة لنفس الانسان التي هي خليفة الله في أرضه ونفوس بعضها راكعة له ونفوس بعض الحيوان شياطين عصاة مغلغلة في جهنم عالم الكون والفساد، وان الانسان اذا كان خيراً عاقلا فهو ملك كريم خير البرية واذا كان شريراً فهو شيطان رجيم شر البرية. التاسعة منها رسالة في «تركيب الجسد» والبيان بانه عالم صغير وان بنية هيكله تشبه مدينة فاضلة وأن نفسه تشبه ملكا في تلك المدينة. والغرض منها هو معرفة الانسان جسده وبنيته المهيأة له وان انتصاب القامة أجل أشكال الحيوانات، وان بنية جسد الانسان مختصر من العالم الذى هو في اللوح المحفوظ، وانه الصراط الممدود بين الجنة والنار وانه ميزان القسط الذى وضعه الله بين خلقه، وانه الكتاب الذى كتبه الله بيده وصنعته الذى صنع الله بنفسه وكلمته الذى ابدع الله بذاته، وان نفس الانسانية هي خليفة الله في أرضه حاكما بين خلقه سائساً لبريته مستعملا لعالمه السفلي مدة من الزمان فاذا انتقل صار زينة لعالمه العلوي وحافظا لذاته الوجودى على الابد وان الانسان اذا عرف نفسه المستخلف عرف ربه الذى استخلفه وامكنه الوصول اليه والزلفى لديه فائزاً بنعيم الابد والدوام السرمد. العاشرة منها رسالة في «الحاس

والمحسوس» والغرض منها هو البيان عن كيفية ادراك الحواس محسوساتها واتصالها بواسطة القوة الحاسة واتصالها الى الحاسة المشتركة الروحانية الواصلة التى منها انبعثت قوى الحواس الظاهرة وانها ترد كالخطوط الخارجة من المركز الى المحيط بنقط كثيرة، الراجعة اليه بنقطة واحدة ، وهو أول منازل الروحانية اذ القوة الحاسة المؤدية اليه جسماني بوجه وروحاني بوجه والحاسة المشتركة أعنى الداخلة روحانية محضة لان حكم الجزء منها حكم الكل وان كانت التجزئة لاتقع عليه بالحقيقة لان تصورها الشيء بادرا كها واتصالها الى القوة المتخيلة التى مجراها مقدم الدماغ لتوصلها الى القوة المفكرة التى مجراها وسط الدماغ لتميزها وتخلصها بجولانها فيها وتعرف حقائقها ثم توصلها الى القوة الحافظة الذاكرة التى مجراها مؤخر الدماغ لتمسكها وتحفظها معتقدة أو غير معتقدة الى وقت التذكار ثم تؤديها الى القوة الناطقة العاقلة التى هى ذات الانسان المدبرة للكل الباقية بالذات تنتزع جميع المعاني والصور ثم تصور تلك المعاني والصور المنتزعة من مصوراتها المرتسمة فيها وهى القوة الناطقة أيضا بوساطة الاولى ، فتلك الصورة هى لها كالموضوع وكالهيولى. والقوة المعتبرة أيضا النطق الخارج هى القوة الناطقة أيضا على وجه ثالث بواسطة الالسن فاذا همت الاولى باظهار شيء الى خارج وهو النطق الالهي على الحقيقة من صورة النفس تصورت النفس الثانية اذ هما جوهر واحد لتجردهما عن المواد وتعريهما عن الهيولى أعنى الجسمانية فتأدت الى القوة الناطقة التى مجراها على اللسان لتعبر عنها بالالفاظ الدالة للمخاطبين على المعاني التى تخرج من النفس الى القوة الصانعة التى مجراها اليدان لتخط بالاقلام على اوجه الالواح وصفحات الدفاتر وبطون الطوامير تلك الالفاظ وهى النطق الخارج والكلام الظاهر لتبقى العلوم بصورها الذاتية أعنى معانيها محفوظة من الاولين الى الآخرين وخطاباً من الحاضرين للغائبين الى يوم يبعثون . الحادية عشرة منها رسالة في « مسقط النطفة » وكيفية رباط النفس بها أعنى الهيولانية عند تقلب حالاتها شهراً بعد شهر وتأثيرات أفعال روحانيات الكواكب في أحكام بنية الجسد

من المزاج والتركيب أربعة أشهر قدر مسير الشمس ثلث الفلك واستيفائها طبائع البروج من النارية والترابية والهوائية والمائية، ثم كيفية تأثيراتهـا وأفعالها في أحكام النفس أربعة أشهر أخر وماينطبع فيها من التهيؤ والاستعداد التى هي صورة الاولى بالقوة لتصير صورة بالفعل عند التهيؤ لقبول الاخلاق والاعمال والعلوم والآداب والحكم والآراء فى مقبل الزمان ومستقبل العمر بعدالولادة فى الشهر التاسع عند دخول الشمس من بيت التاسع من موضعها يوم مسقط النطفة بيت الحركة والسفر والنقلة والتصور والعلم والفطنة. والغرض منها هو الاخبار عن حال الانفس البسيطة قبل تشخصها واتصالها بالاجسام الجزئيـة المحصورة المحدودة المحسوسة بوساطة الالوان والاشكال والاعراض الاخر وان المكث في الرحم هذه المدة لتتميم البنية وتكميل الصورة وهو الكمال الاول لاستكمال الآلة واعدادها الادوات ولاستتمام رباط النفس بالهيكل واتحادها بقواه وانبساطها في البنية وتمكنها من الجملة - الرسالة الثانية عشرة منها في معنى قول الحكماء: « ان الانسان عالم صغير » وهو معنى العالم الكبير المؤدي عن جملته والمخصوص بثمرته، وان صورة هيكله مماثلة لصورة العالم الكبير الجسماني وان احوال نفسه وسريان قواها في بنية هيكله وحقيقة جوهره مماثلة لاحوال الخلائق الروحانيين من الملائكة والجن والشياطين وأرواح الحيوانات أجمعين فان الانسان مختصر من العالمين الروحاني والجسماني جميعاً مهيأ مجبول من سوس هو في الحقيقة خلاصة هذا العالم وثمرته وزبدته وكدر ذلك العالم وثقالته، وأن يكون جوهر آخر المعاني الجسمانية وأول المعاني الروحانية، فهو كالحد المتاخم لكل العالمين وكالاصل الصالح لمجموع الكمالين وكالجوهر الذي هو بانيته معقول وكيفيته محسوس وكالشيء الذى بذاته حياة من وجه وذو حياة من وجه، وكالذات القائم بنفسه من جهة، والقائم بغيره من جهة وكالمعنى المشير بمضمون فحواه ويفطن بمفهومه، لماسواه، ومن وجه آخر كالفرخ المتفقيء عنه البيضة الذى هو له كمال من وجه ومنتهى الكمال من وجه آخر، فهو اللازم للوكر مادام طائراً

بالقوة فاذا استكمل طار فصار طائراً بالفعل، وكالزاوية التي يوجد ذاتها متوسطة بين المتجزىء وغير المتجزىء ثم النقطة جامعة لحاليها أعني البسيط والمركب، وكالنبوة التي هي ممتدة الى الروحانيين بخط والى الجسمانيين بخط ثم الوحي جامع بين طرفيها والالهام حاو لحديها وكنهاية المحيط التي هي السطح لدى مكان وليس له مكان. والغرض من هذه الرسالة هو الاخبار عن حال الانفس البسيطة قبل تشخيصها واتصالها بالاجسام الجزئية والاشخاص الحسية وعلة اتصالها مدة وحال مفارقتها عند بلوغ نهايتها، وكيف يعرف الانسان هويته وآنيته وكيفية نفسه وحقيقة ذاته وانه مجموع فيه معاني الموجودات كلها، فهو كالكل ومحيط بالجميع فينتبه كذلك ويتأمل الصواب والفرصة مدة حياته فيقصده ويقتنيه ويحتويه، اذ لذلك انشأه منشيه فيعيده ويبديه ويديه ويبقيه وهو يبليه ويشقيه ويهديه لينجيه فيفوز بالبقاء والنعيم المقيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الرسالة الثالثة عشرة منها في « كيفية نشر الانفس الجزئية في الاجساد البشرية والاجسام الطبيعية » والغرض منها البيان عن كيفية بلوغ الانسان بدوام انتقاله وتغير أحواله وآخر معاده ومآله وكيف يصير الى رتبة الملائكة ومنازل الروحانيين دار القرار ومحل الاخيار عند خلع المادة وبلوغ الارادة ونهاية السعادة الى حلوله بعد الموت أو قبله بوجوده الصورى وجوهره النورى. الرسالة الرابعة عشرة منها في « بيان طاقة الانسان في المعارف » الى أي حد هو ومبلغه في العلوم الى أي غاية ينتهي وأي شرف منها يرتقى . والغرض منها هو التنبيه على معرفة الله جل جلاله والقصد نحوه واستنجاز لقائه والوقوف بين يديه والرجوع بالكلية اليه كما كان منه المبدأ واليه المعاد والمنتهى. الرسالة الخامسة عشرة منها في « ماهية الموت والحياة » وما الحكمة في وجودها في الدنيا عالم الكون والفساد وما حقيقة المعاد . والغرض منها هو البيان عن علة رباط الانفس الناطقة بالاجساد البشرية واتصالها بالاشخاص الجزئية الى وقت الموت وكيفية التأهب .

والاستمداد قبل الفوت والاستعجال مادام الخلاص ممكنا والنجاة معرضة والاجسام موجودة والآلة متمكنة والاستهانة بالموت والتجافي عنه وازالة الخوف منه ببقاء النفس بعد الموت الذى هو مفارقتها الجسد وترك استعمالها اياه واستراحتها من اذاه ووصولها الى عالمها ووجودها مناها وبلوغها منتهاها وانه لاسبيل لها الى البقاء السرمدى الذى لايتغير ولا يزول الا بمفارقة الجسد المستحيل الذى هو سبب الانتقال والزوال والتغير من حال الى حال .

الرسالة السادسة عشرة منها في «ماهية اللذات والآلام الجسمانية والروحانية» وعلة كراهية الحيوانات الموت وكيف أسباب الآلام واللذة التى تنال النفوس بسبب الاجسام وكيف تنال بمجردها اذا فارقت الجسد ، وكيف يكون انفرادها بذاتها وتجردها بنفسها خلوأمنها وانتهاؤها الى الفردانية واتحادها بالجواهر الصورانية والذوات الروحانية وكيف تكون لذات أهل الجنان وآلام أهل النيران. والغرض منها هو التصور ان عذاب أهل جهنم كيف يكون مع الجن والشياطين المغللة المقيدة المنكوسة المعكوسة وان نعيم أهل الجنان كيف يكون مع الملائكة والروحانيين مسرورين فيها مخلدين لايمسهم فيها نصب ولاعناء يتبوؤن من الجنة حيث يشاؤون، وان جهنم عالم الكون والفساد يصلاها من شقي بسوء المنقلب والمعاد ، وان الجنان في أعالي عالم الافلاك وسعة السموات سعد بها من فاز بعد الممات بذخائر الخيرات والباقيات الصالحات . الرسالة السابعة عشرة منها في « علل اختلاف اللغات » ورسوم الخطوط والعبارات وكيف مبادىء المذاهب والديانات والآراء والاعتقادات وأول نشوئها وابتداؤها ونماؤها وتزايدها حالا بعد حال وقرناً بعد قرن، وكيفية انتقالها من قوم الى قوم ، وسبب تغييراتها والزيادة فيها والنقصان منها . والغرض منها هو التنبيه على ان أفعال النفس انما تقع بحسب مافي طبعها وغريزتها ، وان قوة البحث عن الخفيات موجودة في جوهريته أي بضمير التذكير اعتباراً للانسان أي في جوهرية النفس كالمادة والعلم صورة لتلك المادة فهي علامة بالقوة والعلم صورة قائمة فيها وان في قوتها

أن تعلم الاشياء المحسوسة والمعقولة من أصناف العلوم في الاعلى والاسفل والادق والاجل منها بقوة النطق ولذلك يسنح لذاته سوانح ويخطر بباله خواطر فيعمل فيها فكره فيستخرج بعلمه آراء ويستنبط بذهنه مذاهب ثم يعبر عن تلك الصورة المتخيلة في ضميره بألفاظ مؤدية عنها ثم يقيد تلك الالفاظ برسوم من الكتابة دالة على تلك الالفاظ دلالة الالفاظ على تلك الخواطر ودلالة الخواطر على أعيان الاشياء وحقائقها ومعانيها وانما يتعاطون ذلك على حسب مناسبات من الطباع واتفاقات تقع في الاوقات والبقاع والمنشأ والمولد والمخالطات بأقوام أصدقاء وأقارب ومعارف والاصغاء اليهم والاخذ عنهم والتخلق بأخلاقهم فبحسب هذه الاتفاقات يقع ايثار الانسان الشيء على غيره من الآراء والمذاهب والمطالب والاعتقادات والنحل والصناعات والمكاسب لان كل انسان وان كان في ظاهر أمره متمكناً من اختيار مايقتنيه من المذاهب والآراء فبينه وبين كل واحد منها مناسبات جبليــة باطنة وعادات الفية ظاهرة تجذبها اليه وتحببها عنده وتحرضه عليها وتدعوه اليها وبحسب انجذابه في طبعه وميله والفه يكون تبرزه فيها ومهارته بها، ولذلك برز أحدهم في شيء وتخلف آخر واجتهادهما واحد وربما اتفق واحد منهم أن يسمع كلاماً أو يرى أمراً فيرضاه لنفسه ويميل اليه بطبعه ويقتنيه ويدخل في جملة أهله فيتأكد الفته وأنسه به على مرور الزمان فاذا قوي الالف واستمرت العادة وسكنت نفسه اليه وتمكن من قلبه لشدة صحبته له ومعرفته به وفرط ميله اليه آثره على غيره حتى يصير في آخر الامر الفاً لما يختاره منه ومعانداً لما سواه ويرى له الفضل على غيره من المذاهب الحقيقية والآراء العقليــة وان كان مفضولا ويحكم له بالشرف والعلو وان كان مشروفاً فبحسب ذلك تكثر الاختلافات وتتبــاين المذاهب والديانات والحق فيهم مع الانزر الاقل والآخر لاحق بالاول

***

ومنها الرسائل النفسانيــة العقلية ، تشتمل على عشر رسائل : الرسالة الأولى

منها في « المبادىء العقلية » على رأي الفيثاغوريين ، والغرض منها ان الباري جل جلاله لما أبدع الموجودات في المبدع الاول وهو العقل واخترع المخترعات بوساطته في النفس وخلقها مقدرة في الطباع وكونها بحسب الامهات والموالد ورتبها ونظمها كراتب الاعداد من الواحد الذي قبل الاثنين والاثنين قبل الثلاثة وكذلك مابعده وجعل لكل جنس منها حداً مخصوصاً ونهاية معلومة مطابقة بعضها لبعض فاعلة ومنفعلة هيولى وصورة، نوعاً وجنساً ، اذا رأى ذلك أحكم وأتقن وأكمل وأهدى اليه وأبين . الرسالة الثانية منها في « المبادىء العقلية » على رأي اخوان الصفا وخلان الوفا ، والغرض منها هو البحث عن علة الاشياء والاخبار وأسباب الكائنات الكليات والجزئيات عن الباري جل وعز كتركيب العدد الصحيح عن الواحد قبل الاثنين . الرسالة الثالثة منها في معنى قول الحكماء « ان العالم انسان كبير » ذو نفس وروح حي عالم طائع لباريه خلقه ربه جل ثناؤه يوم خلقه تاماً كاملا، وان كل الخلائق داخلون فيه وهو جملتهم ، وليس خارج العالم شيء آخر لاخلاء ولاملاء، وليس العالم في مكان وكل مافيه في مكان موكل كل واحد من أهل العالم بما يتأتى منه ويقدر عليه يفعلون مايؤمرون وكل في فلك يسبحون، يسبحون الليل والنهار لايفترون كما قال تعالى « ومامنا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ». الرسالة الرابعة منها في « العقل والمعقول » وما العقل الهيولاني وما العقل بالقوة وما العقل بالفعل وما العقل المستفاد وما العقل الفعال. والغرض منها هو تعريف ذات الانسان وصورة الصور وماجوهر النفس بحقيقتها والاشارة الى الباقي فيها وكيف اجتماع صور المعلومات فيها على تباينها وتغايرها وكيف تصورها الموجودات المنتزعة من المواد وكيف تصير أحد موجودات العالم بعد أن لم يكن شيء من الموجودات الا بالقوة وكيف خروجه بالصورة من العدم الى الوجود وكيف يحصل عقلا بالفعل وعاقلا بالفعل ومعقولا بالفعل والوجود الصوري مجرداً من سائر المواد معراة من الهيولات فتبقى ببقاء العقل الفعال وجه الله ذي الجلال والاكرام، لااله إلاهو، كل شيء

هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون. الرسالة الخامسة منها فى « الاكوار والادوار واختلاف القرون والاعصار والزمان والدهور » والغرض منها هو البيان عن كيفية انشاء العالم ومبدأه وترتيبه وظهوره وغايته وكيفية فنائه وخرابه لو انقطعت مواد بقائه عن مبقيه لينعدم فى الحال ويضمحل بلا زمان، وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب

الرسالة السادسة منها في « ماهية العشق » ومحبة النفوس ونزوعها وتشوقها الى الاتحاد والمرض الالهي وما حقيقته ومن أين مبدأه والغرض منها هو البيان بان السابق المشوق اليه المعشوق المطاع المراد المطلوب المحبوب على الحقيقة هو الباري جل ثناؤه، وان الخلائق وجملة العالم مشتاقة اليه مريدة متحركة نحو الكمال باستتمام الصورية وعاشقة الى مصورها الذي هو فوق الصور والكمال التمام، وهو الباري المصور له الاسماء الحسنى والامثال العلى

الرسالة السابعة منها فى « ماهية البعث والصور والنشور والقيامة والحساب وكيفية المعراج » وعلمها هو الغرض الاقصى من رسائلنا كلها واليه المنتهى وهو الغاية القصوى واليه أشار بقوله « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة » . الرسالة الثامنة منها فى « كمية أجناس الحركات وكيفية اختلافها ومباديها وغاياتها » والغرض منها هو البيان عن كيفية وجود العالم عن الباري جل جلاله وكيف حركة الطبائع الى استكمالها وقبول صورها الخاصية في كل واحد منها وكيفية سكونها عند استكمال كل واحد منها لصورته الخاصية اذ بالصورة يصير الشيء هو ماهو وبه يحصل فى الوجود ويتميز ويتحيز ويصير شيئا معلوما مشاراً اليه . الرسالة التاسعة منها فى « العلل والمعلولات » وكيف رجوع أواخرها على أوائلها وأوائلها على أواخرها، والغرض المقصود منها هو معرفة أصول العلوم ومباديها وأسبابها وقوانينها ورسومها وكيفياتها على الحقيقة . الرسالة العاشرة منها فى « الحدود والرسوم » والغرض منها هو معرفة حقائق الاشياء وماهياتها

وأجناسها وأنواعها المركبة والبسيطة بما هي كل واحد منها وبمعرفتها الوقوف على ذوات الاشياء وكيفياتها وفصولها

***

ومنها (الرسائل الناموسية الالهية والشرعية الدينية) وهي تشتمل على احدى عشرة رسالة: الرسالة الاولى منها فى « الآراء والمذاهب » في الديانات الشرعية الناموسية والفلسفية وبيان اختلاف العلماء فى أقاويلهم وما أدى اليه اجتهادهم من البحث والنظر والكشف عن الحقائق والاصول وكمية تلك المقالات وما الاسباب والعلل التى من أجلها كان اختلافهم ومن المحق ومن المبطل وما يصلح للجميع وما يصلح للخاص وما يصلح للعام والغرض من هذه كلها هو البيان بأن المذاهب والديانات كلها وضعت كالعقاقير والادوية والاشربة لمرض النفوس وكسب الصحة ولطف الحيل لخلاصها من بحر الهيولى وأسر الطبيعة، ووصف طريق الآخرة وكيفية النجاة فى المعاد من جهنم عالم الكون والفساد والوصول الى الجنان والفردوس عالم الافلاك والسبع السموات، وان أكثر هذه الديانات لاقوام قد انحرفوا عن طريق النجاة وبعدوا عن انتهاج سبيل الرشاد فاستولى عليهم الميل والعصبية والحمية الجاهلية نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فضلوا ضلالا بعيداً وما الله بظلام للعبيد. الرسالة الثانية منها في «ماهية الطريق الى الله عز وجل» وكيفية الوصول اليه. والغرض منها هو الحث على تهذيب النفس واصلاح الاخلاق وتطهير السرائر وتنزيه الضمائر وتنبيه النفوس الساهية عما بعد الموت في المعاد من أحوال القيامة والبعث والنشر والحساب والميزان والصراط والجواز على جهنم والورود فيها وحقائق معانيها، وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا. الرسالة الثالثة منها فى «بيان اعتقاد اخوان الصفا وخلان الوفا» ومذاهب الربانيين الالهيين والغرض منها هو وضوح الحجة على بقاء النفوس بعد مفارقتها الجسد الذي يسمى الموت، وحل الشكوك فيها وكشف الشبه بطريق اقناعي لا برهاني اذ الرسالة

الجامعة متصورة على البراهين على ماأشرنا اليه في رسائلنا التى هي كالمدخل اليه والعنوان له . الرسالة الرابعةمنها في « كيفيةعشرة اخوان الصفاوخلان الوفا» وتعاون بعضهم لبعض بصدق المودة وصحة المحبة ومحض الرأفة والشفقةوالتحنن والرحمةوسيرهم فيصلواتهم ومذاكرتهم ومجالستهم واجتماعاتهم. والغرض منها تأليف القلوب والتعاضد في الدين والدنيا جميعا اذهي سبب نجاتهم والمؤدية الىخلاصهم

الرسالة الخامسة منها في « ماهية الايمان وخصال المؤمنين المحققين» والغرض منهاهومعرفة الجلالة الروحانية وما الالهام وماالوسوسة وما التوفيق وماالخذلان وما الهداية وما الضلالة ، اذ كان هذا الباب علماً غامضاً وسراًخفياً من العلوم الروحانيةوالاسرار النفسانية . الرسالة السادسةمنها في«ماهية الناموس الالهى والوضع الشرعي»وشرائطالنبوةوكمية خصالهم ومذاهبالربانيين والالهيين والغرض منها هو التنبيه علىأسرارالكتبالنبوية ومراميرموزاتهم المقصودةواوضاعهم الناموسية الالهية والتهدي اليهاو كيفية الكشف لهامن المهدي المنتظروالبرقليط الاكبر . الرسالةالسابعة منها في« كيفية الدعوة الىالله عزوجل»بصفوة الاخوة وصدق الوفاء ومحض المودة وخطاب طبقات المدعوين ومنازل المستجيبين الى ذلك ، والغرض منهـا هو البيان بانٍدولة أهل الخيرتبتدىءأولها من قومأخيار فضلاء ابراريجتمعون ويتفقون على رأي واحدومذهب واحدوسنة رضيةوسيرة عادلة من غيرتخاذل ولاتقاعد . الرسالةالثامنة منهافي« كيفيةأفعالالروحانيين والجن والملائكة المقربين والمردة والشياطين»والغرض منهاهو البيان انفي العالمفاعلين نفسانيين روحانيين غيرجسمانيين ،لايتمانعون ولايتزاحمونولا يتضايق بهم المكان ولا يحويهم الزمان ولا يتحصلون بمشاعر الحواس ومدارك العيان ، ذواتهم حيث أفعالهم وصورهم معروفة بآثارهم . الرسالةالتاسعةمنهافي« كمية أنواع السياسات» وكيفيتها ومراتب السوسين وصفات المدبرين لها في العالم ، والغرضمنهاهوالبيان بان مدبر الجميع وسائس الكل الحكيم الاول الباري المصور جل جلاله وانمن كان أحسن سياسة وأحسن تدبيرا كان عند الله أعظم منزلة ولديه أقرب زلفة

ومن كان بقدرة الله أبصر وبحكمته أعرف كان بسياسة خلقه أعلم ومن كان بها أعلم فسياسته أحسن وأعدل ومن كان كذلك فاليه أقرب ولديه أوجه. الرسالة العاشرة منها في « كيفية نضد العالم بأسره » وفي مراتب الموجودات ونظام الكائنات وان آخرها منعطف على أولها من أعلى الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض، وانها كلها عالم واحد كمدينة واحدة وكحيوان واحد وكانسان واحد، والغرض منها هو الوقوف على معرفة الحقائق ومباديها وتواليها وسوابقها ولواحقها علماً يقينا وبيانا شافيا مقنعا كافيا بلا شك ولا شبهة ولا ريب ولا مرية وان مبدأها كلها صادرة عن فعل الله عز وجل وحده الذي هو الابداع المحض لا من موجود هو أولها بالوجود والوحدة وأقدمها فيه، وهو المبدئ الذي أبرز الله فيه سائر الموجودات تنبعث منه القوى متكثرة نحو غاياتها المختلفة واليها تتصاعد متحدة، وان الى ربك المنتهى والى الله ترجع الامور ، وجعله السبب الاول الذي به يتعلق ماسواه من سائر الموجودات تعلق المعلول بالعلة مرتبطا بعضها ببعض فاعلة . ومنفعلة ،منتقلا من رتبة الدنيا الى رتبة القصوى ارتباط معلول بعلة على حسب بواديها وتواليها الى ان تتلاحق باجمعها وتتوارد بأسرها اليه ،فيكون هو علة العلل ومبدأ المبادئ الفائضة بما أفاض اليه الباري جل جلاله على مادونها بخيرها ووجودها يقبل كل ذات من الذوات بقدر مايحتمله منها من الوجود اللائق به في الدوام والبقاء نور الله وعنايته ورحمته وكلمته به الله يهدي من يشاء ويثيب واليه يرجع من ينيب

الرسالة الحادية عشرة منها فى « ماهية السحر والعزائم » وماهية العين والزجر والفال والوهم والرقى وكيفية أعمال الطلسمات الباقيــة وما عمارة الارض وما الجن وما الشياطين وما الملائــكة المقربون والروحانيون وكيف تأثيرات بعضهم فى بعض. والغرض منها هو البيان بان فى العالم فاعلين غير مرئيين ولا محسوسين يسمون روحانيين أفعالهم ظاهرة وذواتهم باطنة منها ما تظهر أفعاله بوساطة الطبيعة ومنها بوساطة النفس ومنها بوساطة العقل وهو أجل منازل المخلوقين

وأعلى رتبة الروحانيين، لان الباري جل ثناؤه جعل العقل سابقا والنفس لاحقا والطبيعة سائقا والهيولى شائقا والعدم ماحقا والعقل هو المبدىء الاول والموجود الاول عن موجده بدىء وبه يبقى ولذلك صار ممتد الوجود بوجوده مستكمل الفضائل والخيرات تام الانوار والبركات معرى من الشوائب والتغييرات مبرءاً من النقص الواقع من جهة الهيوليات يرتب كل موجود مرتبة وينزله منزلة ويوفيه قسطه فى لزوم النظام والبلوغ الى التمام ، ولذلك جعل له القوة الحافظة على سائر الموجودات ووجوداتها العاقلة لهم ذواتها الخاصة بواحد واحد منها يستحقها أو يليق بها ، فلذلك يشار الى ذاتها باسم الفعل الصادر عنها اذ فعله ذاته وصورته تاثيراته فهذا هو السابق البادي، ثم يليه اللاحق التالى وهو القوة المخترعة بوساطته المبدعة بها الذوات من سائر الموجودات افضل احوالها فى الوجود الذي هو الحياة وهي النفس التى بها أعطى الاجسام أفضل صورها واتم وجودها، ولما تصورت الاجسام بها وانطبعت فيها حصلت لها بها قوة تتعلق بها الاجسام على قدر اختلافها لحصل صورة كل واحد منها مخالفة لصورة الآخر وهو الطبيعة الباقية فى الاجسام يحصل بها التخلق والتصور والتشكل بالصورة الخاصة لواحد واحد منها وهي قوة وضعها الباري جل جلاله فى الجسم وعلق قوامه بوجودها فيه وصيره بخاصتها المتحرك به الى تمام معد له وغاية قدر لبلوغه اليه ووقوفه عنده الا ان يعوقه عائق من خارج فيمتنع من حركته الى أن ينقطع ذلك فيعود الى حركته الخاصية ثم الهيولى الاولى التى هى ذات بالقوة لا موجود بالفعل يخرج الى الوجود بالفعل بقبول الصورة التى بها يصير الشيء هو ماهو ويفارقه كون العدم والعدم هو لاموجود بالفعل ولا موجود بالذات موجود بالعرض فسبحان خالق الوجود والعدم وباسط الانوار والظلم موجد وجود كل موجود فينعدم ومعيده فينصرم ومنشئه فيبلى ومبقيه ليبقى، منه المبدأ واليه المنتهى. تم الكلام على الرسائل

وتليها «الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها» المشتملة على حقائقها باسرها . والغرض منها إيضاح حقائق ما أشرنا اليه ونبهنا في هذه الرسائل عليه أشد الايضاح والبيان يأتي على ما فيها فيتبين حقائقها ومعانيها ملخصة مستوفاة مهذبة مستقصاة ببراهين هندسية يقينية ودلائل فلسفية حقيقية وبينت عليه وحجج عقلية وقضايا منطقية وشواهد قياسية وطرق اقناعية لا يقف على كنهها ولا يحيط بحقائقها ولا يحصلها ولا شيئا منها الامن ارتاض بما قدمنا وحذق وعرف وتدرب فيها وتمهر او بما يشاكله ، اذ هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها والمداخل اليها والادلة عليها والانموذج منها لا ينفتح غلق معتاصها ولا ينكشف مستور غامضها الا لمن تهذب بهذه الرسائل الاثنتين والخمسين أو بما شاكلها من الكتب . والرسالة الجامعة من رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدمناه واقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد ولله الحمد والمنة وله الحول والقوة

هذه فهرست رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وابناء الحمد ، وهي اثنتان وخمسون رسالة ، ورسالة ، في تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق .

واعلم يا أخي ايدك الله وايانا بروح منه بأن مثل صاحب هذه الرسائل مع طالبي العلم ومؤثري الحكمة ومن احب خلاصه واختار نجاته كمثل رجل حكيم جواد كريم له بستان خضر نضر بهج مونق معجب طيب الثمرات لذيذ الفواكه عطر الرياحين ارج الاوراد فائحة الازهار بهية المنظر نزهة المرأى مختلفة الاشكال والاصباغ والألوان والمذاق والمشام من بين رطب ويابس وحلو وحامض ، وفيها من سائر الطيور المطربة الاصوات الملهية الالحان المستحسنة التغريد ، تطرد تحت أشجارها انهار جارية وخلال أزهارها وخضرها جداول منسابه تموج ، وفي حافات الانهار خضر مونقة واصداف مشرقة الالوان وجواهر متناسبة الاصباغ رائقة المناظر عجيبة الصور بديعة التأليف غريبة التنضيد فرحة ، كل نفس ونزهة كل عين مسلاة كل هم مدعاة كل انس ، فاراد لكرم نفسه وسخاء سجيته أن يدخلها كل

مستحق ويتلذذ فيها وبها كل مشرف عاقل فنادى في الناس ان هلموا وادخلوا هذا البستان وكلوا من ثمارها ما اشتهيتم وشموا من رياحينها ما اخترتم وتفرجوا كيف شئتم وتنزهوا اين هويتم وافرحوا واطربوا وكلوا واشربوا وتلذذوا وتنعموا واستروحوا بطيبها وتنسموا برواثحها، فلم يجبه أحدولم يصدقه خلق ولاعبثوا به ولا التفتوا اليه استعظاماً لقوله واستبعاداً لوصفه واستنكاراً لكلامه واستغرابا لذكره، فرأى الحكيم من الرأى ان وقف على باب البستان واخرج مما فيه تحفاً وطرفا ولطفاً من كل ثمرة طيبة وفاكهة لذيذة وريحان زكي وورد جني ونور انيق وجوهر بهي وطير غرد وشراب عذب، فكل من مر به عرضها عليه وشهاها اليه وذوقه منها وحياه بها واشمه من فوائح الرياحين واسمعه من بدائع التلحين حتى اذا ذاق وشم وفرح به وطرب منه وارتاح اليه واهتز وعلم انه قد وقف على جميع مافي البستان ومالت اليه نفسه واشتاق الى دخول البستان وتمناه وقلق اليه ولم يصبر عنه فقال له عند ذلك ادخل البستان وكل ماشئت وشم ماشئت واختر ماشئت وانظر كيف شئت وتنزه أين شئت وجيء من أين شئت وتلذذ وتنعم وتطيب وتنسم

فهكذا ينبغي لمن حصلت عنده هذه الرسائل والرسالة لا يضيعها بوضعها في غير أهلها وبذلها لمن لم يرغب فيها ولا يظلمها بمنعها عن مستحقها وصرفها عن مستوجبها ولا يعرفها الا لكل حرخير سديد مبصر للقصد مجلب للرشد من طالبي العلم ومؤثري الادب ومحبي الحكم، وليتحرز في حفظها واسرارها واعلانها واظهارها كل التحرز ويحرسها غاية الحراسة ويصنها أحسن الصيانة، وليكن المؤدي فيها حق الامانة بان لا يضعها الا في حقها ولا يمنعها عن مستحقها فانها جلاء وشفاء ونور وضياء بل كالداء ان لم تكن دواء وكالفساد ان لم تكن صلاحا وكالهلاك ان لم تكن نجاة تداوى وقد تدوي وتميت وتحيي، فهي كالترياق الكبير الذي هو في نفسه وحده وتختلف الاحوال عنده فيفعل

الشيء وضده بحسب القوابل والمنفعلات عنه والحواصل والمتوالد منه بل مثلها الغذاء والضياء فان بالغذاء القوة والزيادة وبالضياء الابصار والهداية

فكما ان الصبي الصغير والطفل الرضيع السليم من الداء المستعد للزيادة والنماء يحتاج الى حسن التربية ولطف التغذية واطعام ماهو له أوفق وأصلح وفيه أزكى وانجع على معرفة ومقدار ثم التدرج بغذائه حالا بعد حال الى استكمال قوته وتمام بنيته لئلا يتغذى بما لاينجع فيه ولا يستمرئه فيمرضه ويدويه بل يهلكه ويرديه فكان الذي أعد لشفائه وبقائه هو سبب دائه وفنائه أو كالعليل الملتبس بالداء البعيد من الشفاء ان غذى لاينتفع بغذائه بل يزيد في دائه وربما كان سبب هلاك نفسه وانقضاء عمره، واما الضياء فانه لايصلح الا لمن فتح عينه وصح نظره وقوى بصره ويزيده الجلاء جلاء والنور قوة وضياء فاما من لم يفتح عينه أو كان قريب العهد بالخروج من الظلام فيضعف جداً عن مقابلة ضوء النهار ونور الشمس بل يكسبه الضياء ظلمة البصر حتى ربما صار ضلالا وعمى، وكذلك من كان عليل الطرف ارمد العين ذاعور أوفى بصره سوء وقذى فلا يفتح عينه فيبصر ولا يعاين الصور فيميز بل يسترح أبدا الى الظلمات ويهرب من الضياء ، وكلما زاد الضياء نقص إبصاره وضعف إدراكه ، فان لج اداه الى الغشاء والعماء، وفقد النظر وذهاب البصر . كذلك الواجب على من حصلت عنده هذه الرسائل وهذه الرسالة ان يتقي الله تعالى فيها بان يهتم ويعتنى بها غاية العناية ولا يخل بهذه الوصاية ويتلطف في استعمالها وايصالها تلطف الاخ الشقيق والاب الشفيق والواد الصديق والطبيب الرفيق بعد بذل وسعه واستفراغ جهده في توخي القصد وتحرى الصواب في بذله شيئاً بعد شيء لمن رآه شديد الحاجة اليه عظيم الحرص عليه كثير الرغبة فيه بعد ان اختبرهم واستبراهم واستكشف حالهم فمن أنس منه رشداً ورجا فيه خيراً ممن أقصى مناه خلاص روحه ونجاة نفسه وجعل سعيه فيما يرجع الى ذاته والى ماهو سبب حياته يزهد في اعراض الدنيا ويرغب فيما هو خير

وابقى لايكذب نفسه ولا يسامحها بل يصدقها صدقا ويجد حزما ويعلم حقا ان ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى ، دفعها اليه رسالة رسالة على الولاء شبيه الغذاء والتربية والنماء وكالدواء للصحة والشفاء والكحل والجلاء لتقوية البصر والضياء مايقرب من فهمه ويليق بمحله من علمه ويستصلحه لمثله قدر مايغذيه ويربيه ويصحه ويشفيه بل يبصره ويهديه ويشده ويقويه أولا فاولا على الترتيب المبين في الفهرست حتى اذا ماتمكنت الحكمة من نفسه وأنست به وتصورت عنده واستقر في خلده وقوى فيه وتحقق بفكره معانيه طلب عند ذلك الكل بشدة حرص وانشراح صدر وغاية رغبة وخلوص نية وقوة عزيمة وفضل معرفة وزيادة يقين وصحة بصيرة لحصلها وعمل بها واستحق بعد النظر فيهن والوقوف على جمل معانيهن النظر في الرسالة الجامعة التي هي نهاية المراد ونزهة المرتاد والفوز في المعاش والمعاد لان بهن التوصل اليها وبفهمهن الوقوف عليها فمن وفقه الله لذلك ويسره فقد هداه من الحيرة واحياه بعد الموت وامنه من الخوف وازلفه اليه واسبغ جلائل نعمه عليه فيبقى بقاء الابد ويدوم دوام السرمد في السعادة التامة والبركات العامة والنعيم المقيم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تمت فهرست رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا وأهل العدل وابناء الحمد وأرباب الحقائق وأصحاب المعاني ، في تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق ، للبلوغ الى السعادة الكبرى والجلالة العظمى والبقاء الدائم والكمال الاخير بحول الله وقوته وتأييده وتوفيقه ، وله الحمد وحده وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الأئمة الطاهرين وسلم تسليما عليهم أجمعين



الرسالة الاولى

من القسم الرياضي

في العدد

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، بأنه لما كان من مذهب اخواننا الكرام أيدهم الله النظر في جميع علوم الموجودات التى في العالم ،من الجواهر والأعراض والبسائط والمجردات والمفردات والمركبات والبحث عن مباديها وعن كمية أجناسها وأنواعها وخواصها وعن ترتيبها ونظامها على ماهي عليه الآن وعن كيفية حدوثها ونشوئها عن علة واحدة ومبدأ واحد من مبدع واحد جل جلاله ، ويستشهدون على بيانها بمثالات عددية وبراهين هندسية مثل ما كان يفعله الحكماء الفيثاغوريون احتجنا أن نقدم هذه الرسالة قبل رسائلنا كلها ونذكر فيها طرفا من علم العدد وخواصه التى تسمى «الارثماطيقي» شبه المدخل والمقدمات لكيما يسهل الطريق على المتعلمين الى طلب الحكمة التى تسمى الفلسفة ويقرب تناولها للمبتدئين بالنظر في العلوم الرياضية فنقول :

الفلسفة أولها محبة العلوم وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم . والعلوم الفلسفية أربعة أنواع أولها الرياضيات ، والثاني المنطقيات ، والثالث العلوم الطبيعيات ، والرابع العلوم الالهيات . فالرياضيات أربعة أنواع : أولها الارثماطيقي ، والثاني الجومطريا والثالث الاسطرنوميا ، والرابع الموسيقى ، فالموسيقى هو معرفة تأليف الاصوات

وبهاستخراج اصول الالحان ، والاسطرنوميا هو علم النجوم بالبراهين التى ذكرت في كتاب المجسطى ، والجومطريا هو علم الهندسة بالبراهين التى ذكرت في كتاب اقليدس ، والارثماطيقى هو معرفة خواص العدد وما يطابقها من معانى الموجودات التى ذكرها فيثاغورس ونيقوماخس : فأول مايبتدا بالنظر به فى هذه العلوم الفلسفية الرياضيات ، وأول الرياضيات معرفة خواص العدد لانه أقرب العلوم تناولا ، ثم الهندسة ثم التأليف ، ثم التنجيم ، ثم المنطقيات ، ثم الطبيعيات ثم الالهيات . وهذا أول ماتقول في علم العدد شبه المدخل والمقدمات :

الالفاظ تدل على المعاني والمعاني هي المسميات ، والالفاظ هي الاسماء ، وأعم الالفاظ والأسماء قولنا « الشيء » والشيء أما أن يكون واحداً أو أكثر من واحد ، فالواحد يقال على الوجهين إما بالحقيقة وإما بالمجاز ، فالواحد بالحقيقة هو الشيء الذي لاجزء له البتة ولا ينقسم ، وكل مالاينقسم فهو واحد من تلك الجهة التى بها لاينقسم ، وان شئت قلت الواحد ماليس فيه غيره بما هو واحد ، وأما الواحد بالمجاز فهو كل جملة يقال لها واحد كما يقال عشرة واحدة ومائة واحدة والف واحد والواحد واحد بالوحدة كما أن الاسود اسود بالسواد والوحدة صفة للواحد كما أن السواد صفة للاسود . وأما الكثرة فهي جملة لآحاد وأول الكثرة الاثنان ثم الثلاثة ثم الاربعة ثم الخمسة ، وما زاد على ذلك بالغاً مابلغ . والكثرة نوعان إما عدد واما معدود ، والفرق بينهما ان العدد انما هو كمية صور الاشياء في نفس العاد ، وأما المعدودات فهي الاشياء نفسها ، وأما الحساب فهو جمع العدد وتفريقه . والعدد نوعان صحيح وكسور ، والواحد الذي قبل الاثنين هو أصل العدد ومبدأه ومنه ينشأ العدد كله ، صحيحه وكسوره ، واليه ينحل راجعاً . أما نشوء الصحيح فبالتزايد وأما الكسور فبالتجزؤ ، والمثال في ذلك ماأقول في نشوء الصحيح أنه اذا اضيف الى الواحد واحد آخر يقال عند ذلك انهما اثنان واذا اضيف اليها واحد آخر يقال لتلك الجملة ثلاثة ، واذا أضيف اليها واحد آخر يقال لها أربعة واذا أضيف اليها واحد

يقال لها خمسة . وعلى هذا القياس نشوء العدد الصحيح بالتزايد واحداً واحداً بالغاً
مابلغ . وهذه صورتها : « ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ »

وأما تحليل العدد الى الواحد فعلى هذا المثال الذي أقول أنه اذا اخذ من
العشرة واحد تبقى تسعة واذا ألقي من التسعة واحد تبقى ثمانية واذا اسقط
من الثمانية واحد تبقى سبعة، وعلى هذا القياس يلقى واحد واحد حتى يبقى
واحد ، فالواحد لايمكن ان يلقى منه شيء لانه لاجزء له البتة. فقد تبين كيف ينشأ
العدد الصحيح من الواحد وكيف ينحل اليه . وأما نشوء العدد المكسور من
الواحد فعلى هذا المثال الذي أقول أنه اذا رتب العدد الصحيح على نظمه
الطبيعي الذي هو واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة
ثم اشير الى الواحد من كل جملة فانه يتبين كيف يكون نشوؤه من الواحد وذلك
انه اذا اشير الى الواحد من الاثنين يقال للواحد عند ذلك نصف واذا اشير
الى الواحد من جمله الثلاثة فيقال له الثلث واذا اشير اليه من جملة الاربعة يقال له
الربع واذا اشير اليه من جملة الخمسة يقال له الخمس وكذلك السدس
والسبع والثمن والتسع والعشر وأيضا اذا اشير الى الواحد من جملة الاحدى
عشر فيقال له جزؤ من أحد عشر ومن اثنى عشر نصف السدس ومن ثلاثة عشر
جزؤ من ثلثة عشر ومن أربعة عشر نصف السبع وخمسة عشر ثلث الخمس وعلى
هذا المثال يعتبر سائر الكسور . فقد تبين كيف يكون نشوء العدد من الواحد
الصحيح منها والكسور جميعاً وكيف هو أصل لهما جميعاً وهذه صورتها

ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ى
نصف	ثلث	ربع	خمس	سدس	سبع	ثمن	تسع	عشر
يا		يب		يج		يد		يه
جزء من ١١		نصف السدس		جزء من ١٣		نصف السبع		ثلث الخمس

واعلم ياأخي بأن العدد الصحيح رتب أربع مراتب: آحاد وعشرات ومئات

والوف ، فالآحاد من واحد الى تسعة، والعشرات من عشرة الى تسعين ، والمئات من مئة الى تسع مائة والالوف من الف الى تسعة آلاف . ويشتملها كلها اثنتا عشرة لفظة بسيطة ، وذلك من واحد الى عشرة عشرة الفاظ ولفظة مئة ولفظة الف فصار الجميع اثنتا عشرة لفظة بسيطة . وأما سائر الالفاظ فمشتقة منها أو مركبة أو مكررة، فالمكررة كالعشرين من العشرة ، والثلاثين من الثلاثة ، والاربعين من الاربعة ، وأمثال ذلك . وأما المركبة كالمئتين وثلثمائة واربعمائة وخمسمائة فانها مركبة من لفظة المئة مع سائر الآحاد ، وكذلك الفان وثلاثة آلاف وأربعة آلاف ، فانها مركبة من لفظة الالف مع سائر الالفاظ من الآحاد والعشرات والمئات ، كما يقال خمسة آلاف وسبعة آلاف وعشرون الفاً ومئة الف وسائر ذلك وهذه صورتها :

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠

ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠

ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠

ظ	غ
٩٠٠	١٠٠٠

بغ	جغ	دغ	هغ	وغ
٢٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠

زغ	حغ	طغ	يغ	كغ
٧٠٠٠	٨٠٠٠	٩٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠

لغ	مغ	نغ	سغ	عغ
٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٧٠٠٠٠

فغ	صغ	قغ	رغ
٨٠٠٠٠	٩٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠

شغ	تغ	ثغ	خغ
٣٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠

ذ غ	ضغ	ظغ
٧٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠

اما الآحادفهى « ا ب ج د ه و ز ح ط ي» واما العشرات فهى « ك ل م ن س ع ف ص » واما المئات فهي « ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ » واما الالوف فهى « غ بغ ،جغ، دغ، هغ، و غ، ز غ ، حغ، طغ ،يغ »

واعلم بأن كون العدد على أربع مراتب التى هى الآحاد والعشرات والمئات والالوف ليس هو أمر ضرورى لازم لطبيعة العدد مثل كونه أزواجا وأفرادا صحيحا وكسوراً بعضها تحت بعض لكنه أمر وضعي رتبته الحكماء باختيار منهم وانما فعلوا ذلك لتكون الامور العددية مطابقة لمراتب الامور الطبيعية وذلك ان الامورالطبيعية أكثرها جعلها البارى جل ثناؤه مربعات مثل الطبائع الاربع التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومثل الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ، ومثل الاخلاط الاربعة التى هي الدم والبلغم والمرتان المرة الصفراء والمرة السوداء، ومثل الازمان الاربعة التى هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، ومثل الجهات الاربع والرياح الاربع الصبا والدبور والجنوب والشمال، والاوتاد الاربع الطالع والغارب ووتد السماء ووتد الارض، والمكونات الاربع التى هي المعادن والنبات والحيوان والانس . وعلى هذا المثال وجد أكثر الامور الطبيعية مربعات

واعلم بان هـذه الامور الطبيعية انمـا صارت أكثرها مربعات بعناية الباري جل ثناؤه واقتضاء حكمته لتكون مراتب الامور الطبيعية مطابقة للامور الروحانية التي هي فوق الامور الطبيعية وهي التي ليست باجسام، وذلك ان الاشياء التي فوق الطبيعية على أربع مراتب أولها الباري جل جلاله ثم دونه العقل الـكلي الفعال ثم دونه النفس الـكلية ثم دونه الهيولى الاولى، وكل هذه ليست باجسام

واعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بان نسبة البـاري جل ثنـاؤه من الموجودات كنسبة الواحد من العـدد ، ونسبة العقل منها كنسبة الاثنين من العدد ، ونسبة النفس من الموجودات كنسبة الثلاثة من العـدد ونسبة الهيولى الاولى كنسبة الاربعـة

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان العدد كله آحاده وعشراته ومئاته والوفه أومازاد بالغا مابلغ فأصلها كلها من الواحد الى الاربعة وهي هذه (١ ٢ ٣ ٤) وذلك ان سائر الاعداد كلها من هذه يتركب ومنها ينشأ وهي أصل فيها كلها. بيان ذلك انه اذا أضيف واحد الى أربعة كانت خمسة وان أضيف اثنان الى أربعة كانت ستة وان أضيف ثلاثة الى أربعة كانت سبعة وان أضيف واحد وثلاثة الى أربعة كانت ثمانية وان أضيف اثنان وثلاثة الى أربعة كانت تسعة وان أضيف واحد واثنان وثلاثة الى أربعة كانت عشرة ، وعلى هذا المثال حكم سائر الاعداد من العشرات والمئات والالوف ومازاد بالغاً مابلغ. وكذلك أصول الخط أربعة وسائر الحروف منها يتركب والـكلام من الحروف يتركب كما بينا فيما بعد فاعتبرها فانك تجد ماقلنا حقـاً صحيحاً ، ومن يريد أن يعرف كيف اخترع الباري جل ثناؤه الاشياء في العقل وكيف أوجدها في النفس وكيف صورها في الهيولى فليعتبر ماذكرنا في هذا الفصل

واعلم يا أخي ان الباري جل ثناؤه أول شيء اخترعه وأبدعه من نور

وحدانيته جوهر بسيط يقال له العقل الفعال كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار، ثم أنشأ النفس الكلية الفلكية من نور العقل كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الاثنين، ثم أنشأ الهيولى الاولى من حركة النفس كما أنشأ الاربعة بزيادة الواحد على الثلاثة، ثم أنشأ سائر الخلائق من الهيولى ورتبها بتوسط العقل والنفس كما أنشأ سائر العدد من الاربعة باضافة ماقبلها اليها كما مثلنا قبل .

واعلم يا أخي ، أيدك الله بروح منه ، بأنك اذا تأملت ماذكرنا من تركيب العدد من الواحد الذي قبل الاثنين ونشوئه منه وجدته من أدل الدليل على وحدانية الباري جل ثناؤه وكيفية اختراعه الاشياء وإبداعه لها وذلك ان الواحد الذي قبل الاثنين وان كان منه يتصور وجود العدد وتركيبه كما بينا قبل فهو لم يتغير عما كان عليه ولم يتجزأ ، كذلك الله عز وجل وان كان هو الذي اخترع الاشياء من نور وحدانيته وأبدعها وأنشأها وبه قوامها وبقاؤها وتمامها وكمالها فهو لم يتغير عما كان عليه من الوحدانية قبل اختراعه وابداعه لها كما بينا في رسالة المبادىء العقلية فقد أنبأناك بما ذكرنا من ان نسبة الباري جل ثناؤه من الموجودات كنسبة الواحد من العدد، وكما ان الواحد أصل العدد ومنشأه وأوله وآخره كذلك الله عزوجل هو علة الاشياء وخالقها وأولها وآخرها وكما ان الواحد لاجزء له ولامثل له في العدد فكذلك الله جل ثناؤه لامثل له في خلقه ولاشبه وكما ان الواحد محيط بالعدد كله ويعده كذلك الله جل جلاله عالم بالاشياء وماهياتها تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً

واعلم يا أخي بأن مراتب العدد عند أكثر الامم على أربع مراتب كما تقدم ذكرها واما عند الفيثاغوريين فعلى ستة عشر مرتبة وهذه صورتها :

آحاد	١
عشرات	١٠
مئات	١٠٠

	ألوف	١٠٠٠
ربوات	عشرات ألوف	١٠٠٠٠
نوعات	مئات ألوف	١٠٠٠٠٠
غايات	ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠
سورات	عشرات ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠
حلبات	مئات ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠
البطات	ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠
هنيات	عشرات ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
دعورات	مئات ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
وهوات	ألوف ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
مجوات	عشرات ألوف ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
ومور	مئات ألوف ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
مارو	ألوف ألوف ألوف ألوف ألوف	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن العدد المكسور مراتبه كثيرة لانه ما من عدد صحيح إلا وله جزء أو جزآن أو عدة أجزاء كالاثنى عشر فان له نصفاً وثلثاً وربعاً وسدساً ونصف سدس وكذلك الثمانية وعشرون وغيرهما من الاعداد إلا ان العدد المكسور وان كثرت مراتبه وأجزاؤه ، فهي مرتبة بعضها تحت بعض ، ويشملها كلهـا عشرة ألفاظ لفظة منها عامة مبهمة وتسعة مخصوصة مفهومة ومن التسعة الالفاظ لفظة موضوعة ، وهي النصف ، وثمانية مشتقة وهي : الثلث من الثلاثة والربع من الاربعة والخمس من الخمسة والسدس من الستة والسبع من السبعة والثمن من الثمانيـة والتسع من التسعة والعشر من العشرة . وأما اللفظة العامة المبهمة فهي الجزء لان الواحد من احد عشر يقال له جزء من

أحد عشر وكذلك من ثلاثة عشر ومن سبعة عشر وما شا كل ذلك. واما باقي الالفاظ الكسور فمضافة الى هذه العشرة الالفاظ كما يقال لواحد من اثنى عشر نصف السدس ولواحد من خمسة عشر خمس الثلث ولواحد من عشرين نصف العشر، وعلى هذا المثال يتبين سائر معاني الكسور باضافة بعضها لبعض

واعلم بأن نوعي العدد يذهبان في الكثرة بلا نهاية ، غير ان العدد الصحيح يبتدئ من أقل الكمية وهو الاثنان ويذهب في التزايد بلا نهاية واما الكسور فيبتدئ من أكثر الكمية وهو النصف ويمر في التجزؤ بلا نهاية، فكلاهما من حيث الابتداء ذو نهاية ومن حيث الانتهاء غير ذي نهاية

فصل في خواص العدد

ثم اعلم أن ما من عدد إلا وله خاصية أو عدة خواص ومعنى الخاصية انها الصفة المخصوصة للموصوف الذي لايشركه فيها غيره فخاصية الواحد أنه أصل العدد ومنشأه كما بينا قبل وهو يعد العدد كله الازواج والافراد جميعاً ومن خاصية الاثنين أنه أول العدد مطلقاً وهو يعد نصف العدد الازواج دون الافراد ومن خاصية الثلاثة أنها أول عدد الافراد وهي تعد ثلث الاعداد تارة الافراد وتارة الازواج ومن خاصية الاربعة انها أول عدد مجذور ومن خاصية الخمسة انها أول عدد دائر ويقال كري ومن خاصية الستة انها أول عدد تام ومن خاصية السبعة انها أول عدد كامل ومن خاصية الثمانية انها أول عدد مكعب ومن خاصية التسعة انها أول عدد فرد مجذور وانها آخر مرتبة الآحاد ومن خاصية العشرة انها أول مرتبة العشرات ومن خاصية الاحد عشر انها أول عدد اصم ومن خاصية الاثنى عشر انها أول عدد زائد. وبالجملة ان من خاصية كل عدد انه نصف حاشيتيه مجموعتين واذا جمعت حاشيتاه تكونان مثله مرتين ومثال ذلك خمسة فان احدى حاشيتيها أربعة والاخرى ستة ومجموعهما عشرة وخمسة نصفها وعلى هذا القياس يوجد سائر الاعداد اذا اعتبر ، وهذه صورتها :

١ ٢ ٣ ٤ — ٥ — ٦ ٧ ٨ ٩

وأما الواحد فليس له الا حاشية واحدة وهي الاثنان والواحد نصفها وهى مثله مرتين، وأما قولنا ان الواحد أصل العدد ومنشأه فهو ان الواحد اذا رفعته من الوجود ارتفع العدد بارتفاعه واذا رفعت العدد من الوجود لم يرتفع الواحد واما قولنا ان الاثنين أول العدد مطلقا فهو ان العدد كثرة الآحاد واول الكثرة اثنان واما قولنا ان الثلاثة اول الافراد فهي كذلك لان الاثنين اول العدد وهو الزوج ويليه ثلاثة وهى فرد، واما قولنا انها تعد ثلث العدد تارة الافراد وتارة الازواج فلأنها تتخطى العددين وتعد الثالث منهما وذلك الثالث يكون تارة زوجاً وتارة فرداً . واما قولنا ان الاربعة اول عدد مجذور فلأنها من ضرب الاثنين في نفسه وكل عدد اذا ضرب في نفسه يصير جذراً والمجتمع من ذلك مجذوراً

واما ماقيل من ان الخمسة اول عدد دائر فمعناه انها اذا ضربت في نفسها رجعت الى ذاتها وان ضرب ذلك العدد المجتمع من ضربها فى نفسها رجع الى ذاته ايضا وهكذا دائماً مثال ذلك خمسة فى خمسة خمسة وعشرون واذا ضرب خمسة وعشرون في مثله صار ستمائة وخمسة وعشرون واذا ضرب هذا العدد ايضا في نفسة خرج ثلثمائة الف وتسعون الفاً وستمائة وخمسة وعشرين ، وان ضرب هذا العدد فى نفسه خرج عدد آخر وخمسة وعشرون ، الا ترى ان الخمسة كيف تحفظ نفسها وما يتولد منها دائماً بالغاً مابلغ وهذه صورتها :

٥ _ ٢٥ _ ٦٢٥ _ ٦٢٥ ٣٩٠

واما الستة فان فيها مشابهة للخمسة فى هذا المعنى لكنها ليست ملازمة كلزوم الخمسة ودوامها ٦ ٣٦ ١٢٩٦ ستة في ستة ستة وثلاثون فالستة راجعة الى ذاتها وظهر ثلاثون واذا ضربت ستة وثلاثون في نفسها خرج الف ومئتان وستة وتسعون فظهرت الستة ولم يظهر الثلاثون فقد بان ان الستة تحفظ نفسها ولا تحفظ مايتولد منها واما الخمسة فانها تحفظ نفسها وما يتولد منها دائماً ابداً، واما ما قيل من خاصية الستة انها اول عدد تام فمعناه ان كل عدد اذا جمعت اجزاء

فكانت مثله سواء سمي ذلك العدد عددا تاما فالستة اولها وذلك ان لها نصفاً وهو ثلاثة ، وثلثا وهو اثنان وسدساً وهو واحد فاذا جمعت هذه الاجزاء كانت ستة سواء وليست هذه الخاصية لعدد قبلها ولكن لما بعدها لثمانية وعشرين ولأربع مائة وستة وتسعين وثمانية آلاف ومائة وثمانية وعشرين وهذه صورتها ٦ ٢٨ ٤٩٦ ٨١٢٨

وأما ماقيل ان السبعة أول عدد كامل فمعناه أن السبعة قد جمعت معاني العدد كلها وذلك ان العدد كله أزواج وأفراد والأزواج منها أول وثان فالاثنان أول الأزواج والاربعة زوج ثان والافراد منها أول وثان والثلاثة أول الافراد والخمسة فرد ثان فاذا جمعت فرداً أولا الى زوج ثان اوزوجا أولا الى فرد ثان كانت منها سبعة مثال ذلك أنك اذا جمعت الاثنين الذي هو أول الازواج الى الخمسة الذي هو فرد ثان كان منهما سبعة وكذلك اذا جمعت الثلاثة التي هي فرد أول الي الاربعة التي هي زوج ثان كانت منهما سبعة وكذلك اذا أخذ الواحد الذي هو أصل العدد مع الستة التي هي عدد تام يكون منهما السبعة التي هي عدد كامل وهذه صورتها ٧٦٥٤٣٢١ وهذه الخاصية لاتوجد لعدد قبل السبعة ولها خواص أخر سنذكرها عند ذكرنا ان الموجودات بحسب طبيعة العدد

وأما ماقيل ان الثمانية أول عدد مكعب فمعناه ان كل عدد اذا ضرب في نفسه سمي جذراً والمجتمع منهما مجذوراً كما بينا من قبل ، واذا ضرب المجذور في جذره سمي المجتمع من ذلك مكعباً وذلك ان الاثنين أول العدد فاذا ضرب في نفسه كان المجتمع منه أربعة وهي أول عدد مجذور ثم ضرب المجذور في جذره الذي هو اثنان تخرج من ذلك ثمانية فالثمانية أول عدد مكعب

وأما ماقيل أنها أول عدد مجسم فلأن الجسم لايكون الا من سطوح متراكمة ، والسطح لا يكون الا من خطوط متجاورة ، والخط لايكون الا من نقط منتظمة كما بينا في رسالة «الهندسة» فاقل خط من جزأين وأضيق سطح من خطين وأصغر جسم من سطحين ، فينتج من هذه المقدمات ان أصغر جسم من ثمانية أجزاء

أحدها الخط وهو جزءان فاذا ضرب الخط في نفسه كان منه السطح وهوأربعة أجزاء واذا ضرب السطح في أحد طوليه كان منه العمق فيصير جملة ذلك ثمانية أجزاء طول اثنين في عرض اثنين في عمق اثنين

وأما ماقيل ان التسعة أول فرد مجذور فلأن الثلاثة في الثلاثة تسعة وليس من السبعة والخمسة والثلاثة شيء مجذور

واما ماقيل ان العشرة اول مرتبة العشرات فهو بين ، كما ان الواحد اول مرتبة الآحاد وهذا بين ليس يحتاج الى الشرح ولها خاصية أخرى وهي تشبه خاصيةالواحد وذلك انه ليس لها من جنسها الاطرف واحد وهو العشرون وهي نصفها كما بينا للواحد انه نصف الاثنين

وأما ماقيل ان الاحد عشر اول عدد أصم، فلأنه ليس له جزء ينطق به ولكن يقال واحد من احد عشر واثنان منه. وكل عدد هذا وصفه يسمى أصم مثل ثلاثة عشر وسبعة عشر وما شاكل ذلك وهذه صورتها يا يج يز يط
١١ ١٣ ١٧ ١٩

كج كط لا لز ما مج مز نج نط سا سز عا عج عط فج فط صا
٢٣ ٢٩ ٣١ ٣٧ ٤١ ٤٣ ٤٧ ٥٣ ٥٩ ٦١ ٦٧ ٧١ ٧٣ ٧٩ ٨٣ ٨٩ ٩١

وأما ماقيل ان الاثنى عشر أول عدد زائدفلأن كل عدد اذاجمعت أجزاؤه وكانت أكثر منه سمي عدداً زائداً والاثنا عشر أولها وذلك ان لها نصفاً وهو ستة ولها ثلث وهو أربعة وربع وهو ثلاثة وسدس وهو اثنان ونصف سدس وهو واحد واذا جمعت هذه الاجزاء كانت ستة عشر وهي أكثر من الاثنى عشر بزيادة أربعة وهذه صورتها : ١٢ نصف ٦ ثلث ٤ ربع ٣ سدس ٢ نصف السدس ١

وبالجملة مامن عدد صحيح الا وله خاصية تختص به دون غيره ونحن تركنا ذكرها كراهية للتطويل

***

واعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، ان العدد ينقسم قسمين صحيح وكسور كما بينا قبل ، فالصحيح ينقسم قسمين أزواجاً وأفراداً فالزوج هو كل عدد ينقسم بنصفين صحيحين والفرد كل عدد يزيد على الزوج واحداً أو ينقص عن الزوج بواحد ، فأما نشوء عدد الزوج فيبتدىء من الاثنين بالتكرير دائماً على مايرى :

« ٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ١٦ ١٨ ٢٠ »

« ب د و ح ى يب يد يو يح ك »

وأما نشوء الافراد فيبتدىء من الواحد اذا أضيف اليه اثنان وأضيف الى ذلك اثنان دائماً بالغاً مابلغ

« ٣ ٥ ٧ ٩ ١١ ١٣ ١٥ ١٧ ١٩ »

« ج ه ز ط يا يج يه يز يط »

والزوج ينقسم على ثلاثة أنواع : زوج الزوج ، وزوج الفرد ، وزوج الزوج والفرد ، فزوج الزوج هو كل عدد ينقسم بنصفين صحيحين متساويين ونصفه بنصفين دائماً الى ان تنتهي القسمة الى الواحد . مثال ذلك أربعة وستون ، فانه زوج الزوج ، وذلك ان نصفه اثنان وثلاثون ، ونصفه ستة عشر ، ونصفه ثمانية ، ونصفه أربعة ، ونصفه اثنان ، ونصفه واحد . ونشوء هـذا العدد يبتدىء من الاثنين اذا ضرب في الاثنين ثم ضرب المجموع في الاثنين وما يجتمع من ذلك في الاثنين ، ثم ضرب المجموع في الاثنين دائماً بلا نهاية

ومن أراد ان يتبين هذا مستقصى فليضعف بيوت الشطرنج فانه لايخرج الا من هذا العدد أعني زوج الزوج ، ولهذا العدد خواص اخر ذكرها نيقوماخس في كتابه بشرح طويل ونحن نذكر منها طرفا قال :

ان هذا العدد اذا رتب على نظمه الطبيعي وهو واحد اثنان اربعة ثمانية ستة عشر اثنان وثلاثون اربعة وستون وعلى هـذا القياس بالغاً ما بلغ فان من خاصيته ان من ضرب الطرفين احدهما في آخر يكون مساويا لضرب

الواسطة في نفسها ان كان له واسطة واحدة ، وان كانت له واسطتان فمثل ضرب أحدهما في الاخرى، مثال ذلك أربعة وستون فانه الطرف الآخر والواحد الطرف الاول وله واسطة واحدة وهي ثمانية فاقول ان ضرب الواحد في أربعة وستين أو الاثنين في اثنين وثلاثين أو الاربعة في ستة عشر مساو لضرب ثمانية في نفسها وهذه صورتها: ا ب د ح يو لب سد

١ ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ ٦٤

وان زيدت فيه رتبة أخرى حتى يصير له واسطتان فاقول : ان ضرب الطرفين احدهما في الآخر يكون مساويا لضرب الواسطتين احداهما في الاخرى مثال ذلك مئة وثمانية وعشرون اذا ضرب في واحد اوأربع وستون في اثنين أو اثنان وثلاثون في أربعة يكون مساويا لضرب ستة عشر في ثمانية وهذه صورتها: ب د ح يو لب سد قكح

٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ ٦٤ ١٢٨

ولهذا العدد خاصية أخرى انه اذا جمع من واحد الى حيث ما بلغ يكون أقل من ذلك العدد الذي انتهى اليه بواحد مثال ذلك اذا أخذ واحد واثنان وأربعة يكون جملتها أقل من ثمانية بواحد وان زيدت الثمانية عليها يكون الجملة أقل من ستة عشر بواحد وان زيدت الستة عشر عليها يكون الجملة أقل من اثنين وثلاثين بواحد وعلى هذا القياس توجد مراتب هذا العدد بالغا ما بلغ وهذه صورتها ا ب د ح يو لب سد قكح رنو

١ ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ ٦٤ ١٢٨ ٢٥٦

واما زوج الفرد فهو كل عدد ينقسم بنصفين مرة واحدة ولا ينتهي في القسمة الى الواحد مثل ستة وعشرة وأربعة عشر وثمانية عشر واثنين وعشرين وستة وعشرين فان كل واحد من هذه وأمثالها من العدد ينقسم مرة واحدة ولا ينتهي الى الواحد ونشوء هذا العدد من ضرب كل عدد فرد في اثنين وهذه صورتها (و ى يد يح كب كو ل لو لج مب مو) كل واحد من هذه الاعداد نصف لما فوقه من العدد واما زوج الزوج والفرد فهو كل عدد ينقسم بنصفين أكثر من مرة واحدة ولا ينتهي في القسمة الى الواحد مثل اثني عشر وعشرين وأربعة وعشرين وثمانية وعشرين

وأمثالها في الاعداد وهذه صورتها يب كد كد كح لو مد نب س سح
ونشوء هذا العدد من ضرب زوج الفرد ١٢ ٢٠ ٢٤ ٢٨ ٣٦ ٤٤ ٥٢ ٦٠ ٦٨
في اثنين مرة أو مرارا كثيرة ولها خواص تركنا ذكرها مخافة التطويل. واما العدد الفرد فينتوع قسمين: فرد اول وفرد مركب، والفرد المركب نوعان، مشترك ومتباين. تفصيل ذلك: اما الفرد الاول فهو كل عدد لا يعده غير الواحد عدد آخر مثل ثلاثة خمسة سبعة أحد عشر ثلاثة عشر سبعة عشر تسعة عشر ثلاثة وعشرين واشباه ذلك من العدد وخاصية هذا العدد انه ليس له جزء سوى المسمى له وذلك ان الثلاثة ليس لها الا الثلث والخمسة ليس لها الا الخمس وكذلك السبعة ليس لها الا السبع وهكذا الاحد عشر والثلاثة عشر والسبعة عشر، وبالجملة جميع الاعداد الصم لا يعدها الا الواحد فان اسم جزئها مشتق منها. واما الفرد المركب فهو كل عدد يعده غير الواحد عدد آخر مثل تسعة وخمسة وعشرين وتسعة واربعين وواحد وثمانين وأمثالها من العدد وهذه صورتها (ط كه مط فا قكا قسط) واما الفرد المشترك فهو كل عددين يعدهما غير الواحد عدد آخر مثل تسعة وخمسة عشر وواحد وعشرين فان الثلاثة تعدها كلها وكذلك خمسة عشر وخمسة وعشرون وخمسة وثلاثون فان الخمسة تعدها كلها، فهذه الاعداد وأمثالها تسمى مشتركة في العدد الذي يعدها وهذه صورتها (ط يه كا كه له) واما الاعداد المتباينة فهي كل عددين يعدهما عددان آخران غير الواحد ولكن الذي يعد احدهما لا يعد الآخر مثل تسعة وخمسة وعشرين فان الثلاثة تعد التسعة ولا تعد الخمسة والعشرين والخمسة تعد الخمسة والعشرين ولا تعد التسعة فهذه الاعداد وأمثالها يقال لها المتباينه

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي، ايدك الله وايانا بروح منه، بان من خاصية كل عدد فرد انه اذا قسم بقسمين كيف ما كان فأحد القسمين يكون زوجا والآخر فردا ومن خاصية كل عدد زوج انه اذا قسم كيف ما كان فيكون كلا قسميه اما زوجا واما فردا وهذه صورتها :

ـر	<	>	ـه	ـبَ	ه	٥	ـ	ـہ	<	ـہـ	ه
ـبـ	ـبـ	ـبـ	ـبـ	ـبـ	ـب	ـبَ	ـبَ	ـبَ	ـبَ	ـبَ	م
٥	ـسـ	٤	ـہ	ـ	ـب.	٥	ـ	ـہ	<	ـہـ	ج

واعلم ياأخي، ايدك الله وايانا بروح منه ، بان العدد ينقسم من جهة أخري ثلاثة أنواع اما تاما واما زائدا واما ناقصا ، فالتام هو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت الجملة مثله سواء مثل ستة وثمانية وعشرين وأربعمائة وستة وتسعين وثمانية آلاف ومائة وثمانية وعشرين ، فانكل واحد من هذه الاعداد إذا جمعت أجزاؤه كانتالجملة مثلهسواء . ولا يوجد من هذا العدد إلا في كل مرتبة من مراتب العدد واحد كالستة في الآحاد وثمانية وعشرين في العشرات واربعمائة وستة وتسعين في المئات وثمانية آلافومائة وثمانيةوعشرين في الالوف وهذه صورتها ٦ ٢٨ ٤٩٦ ٨١٢٨ وأما العدد الزائد فهو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت أكثر منه مثل الاثنى عشر والعشرين والستين وأمثالها من العدد وذلك أن الاثنى عشر نصفها ستة وثلثها اربعة وربعها ثلثة وسدسها اثنان ونصف سدسها واحد فجملة هذه الاجزاء ستة عشر وهي أكثر من اثنى عشر وأما العددالناقص فهو كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت أقلمنهمثلأربعة وثمانية وعشرة وأمثالها من العدد وذلك أن الثمانية نصفها أربعة وربعها اثنان وثمنها واحد وجملتها تكون سبعة فهي أقل من الثمانية وعلى هذا القياس حكم سائر الاعداد الناقصة

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي، أيدك الله وايانا بروح منه، بأن العدد من جهة أخرى ينقسم قسمين أحدهما يقال له أعداد متحابة وهي كل عددين أحدهما زائد والآخر ناقص واذا جمعت أجزاء العدد الزائد كانت مساوية لجملة العددالناقص واذاجمعت أجزاء العدد الناقص كانت مساوية لجملة العدد الزائد ، مثالذلكمائتان وعشرون

وهو عدد زائد ومائتان وأربعة وثمانون وهو عدد ناقص ، فاذا جمعت أجزاء مائتين وعشرين كانت مساوية لمائتين وأربعة وثمانين واذا جمعت أجزاء هذا العدد يكون جملتها مائتين وعشرين فهذه الاعداد وأمثالها تسمى «متحابة» وهي قليلة الوجود ، وهذه صورتها :

عددزائد	٢٢٠	مخرج ربع الخمس	٢٠	عدد ناقص	٢٨٤
نصفه	١١٠	مخرج نصف الخمس	١٠	نصفه	١٤٢
ربعه	٥٥	مخرج الخمس	٥	ربعه	٧١
خمسه	٤٤	مخرج الربع	٤	مخرج الربع	٤
نصف الخمس	٢٢	مخرج النصف	٢	مخرج النصف	٢
ربع الخمس	١١	جزؤه	١	جزؤه	١
جملته	٢٨٤			جملته	٢٢٠

واعلم يا أخي بأن من خاصية العدد انه يقبل التضعيف والزيادة بلا نهاية ويكون ذلك على خمسة انواع : فمنها « على النظم الطبيعي » مثل هذا بالغاً مابلغ : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ومنها « على نظم الازواج » بالغاً مابلغ مثل هذا ٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ومنها « على نظم الافراد » بالغاً مابلغ مثل هذا ١ ٣ ٥ ٧ ٩ ١١ ١٣ ١٥ ١٧ ومنها « بالطرح » كيفما اتفق كما يوجد في سائر الحساب ، ومنها « بالضرب » كما نبين بعد

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن لكل نوع من هذه الانواع عدة خواص وقد ذكر ذلك في كتاب الارثماطيقي بشرح طويل ، ولكن نذكر منها طرفا في هذا الفصل فنقول :

ان من خاصية النظم الطبيعي انه اذا جمع من واحد الى حيث مابلغ يكون المجموع مساويا لضرب ذلك العدد الاخير بزيادة واحد عليه في نصفه مثال ذلك

اذا قيل: كم من واحد الى عشرة مجموعا على النظم الطبيعي ؟ فقياسه ان يزاد على العشرة واحد ثم يضرب في نصف العشرة فيكون خمسة وخمسين او تضرب الخمسة في نفسها فيكون خمسة وعشرين ثم في النصف الآخر الذي هو ستة فيكون ثلاثين، الجملة خمسة وخمسون وذلك بابه المطلوب وقياسه. واما نظم الازواج فهو مثل واحد اثنين اربعة ستة ثمانية عشرة اثنى عشر وعلى هذا المثال بالغاً مابلغ ، ومن خاصية هذا النظم ان يكون المجموع ابداً فرداً ومن خاصيته ايضا انه اذا جمع على نظمه الطبيعي من واحد الى حيث مابلغ يكون المجموع مساويا لضرب ذلك العدد في النصف الآخر بزيادة واحد ثم يزاد على الجملة واحد مثال ذلك اذا قيل لك : كم من واحد الى العشرة مجموعا على نظم الازواج ؟ فقياسه ان تأخذ نصف العشرة فتزيد عليه واحداً ثم تضربه في النصف الآخر ثم تزيد على الجملة واحداً فذلك احد وثلاثون وعلى هذا القياس سائر الاعداد

واما نظم الافراد فمثل واحد ، ثلاثة ، خمسة ، سبعة ، تسعة ، احد عشر ، بالغاً مابلغ . فمن خاصيته انه اذا جمع على نظمه الطبيعي يكون المجموعان الواحد زوج والآخر فرد ، يتلو بعضها بعضا ، بالغاً مابلغ ، وتكون كلها مجذورات. ومن خاصيته ايضا انه اذا جمع على نظمه الطبيعي من واحد الى حيث مابلغ فان المجموع يكون مساويا لضرب نصفه مجذوراً مجبوراً في نفسه، مثال ذلك اذا قيل : كم من واحد الى احد عشر؟ فبابه ان تأخذ نصف العدد وهو خمسة ونصف فتجبره فيصير ستة فتضربه في نفسه فيكون ستة وثلاثين وذلك بابه فقس عليه

***

واعلم ياأخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن معنى الضرب هو تضعيف احد العددين بقدر مافي الآخر من الآحاد ، مثال ذلك اذا قيل : كم ثلاثة في اربعة ؟ فمعناه كم جملة ثلاثة أربع مرات ؟

واعلم ياأخي بان العدد نوعان صحيح وكسور كما بينا قبل، فصار أيضاً ضرب العدد بعضها في بعض نوعين مفرد ومركب فالمفرد ثلاثة أنواع الصحيح في الصحيح

مثل اثنين في ثلاثة وثلاثة في أربعة وما شاكله ، ومنها الكسور في الكسور مثل نصف في ثلث وثلث في ربع وما شاكله . ومنها الصحيح في الكسور مثل اثنين في ثلث أو ثلث في أربعة وما شاكله ، وأما المركب فهو أيضاً ثلاثة أنواع ، فمنها الكسور والصحيح في الصحيح مثل اثنين وثلث في خمسة وما شاكلها ، ومنها الصحيح والكسور في الصحيح والكسور مثل اثنين وثلث في ثلاثة وربع وما شاكلها ، ومنها الصحيح والكسور في الكسور مثل اثنين وثلث في سبع

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن ضرب العدد الصحيح على أربعة أنواع وجملتها عشرة أبواب وهي : آحاد وعشرات ومئات وألوف . فالآحاد في الآحاد واحدها واحد وعشرتها عشرة ، والآحاد في العشرات واحدها عشرة وعشرتها مئة ، والآحاد في المئات واحدها مئة وعشرتها الف ، والآحاد في الالوف واحدها الف وعشرتها عشرة آلاف . فهذه أربعة أبواب . وأما العشرات في العشرات فواحدها مئة وعشرتها الف ، والعشرات في المئات واحدها الف وعشرتها عشرة آلاف ، والعشرات في الالوف واحدها عشرة آلاف وعشرتها مئة الف ، فهذه ثلاثة أبواب . وأما المئات في المئات فواحدها عشرة آلاف وعشرتها مئة الف ، والمئات في الالوف واحدها مئة الف وعشرتها الف الف فهذان بابان . وأما الالوف في الالوف فواحدها الف الف وعشرتها عشرة آلاف الف ، وهو باب واحد ، فصار جملة الجميع عشرة أبواب ، وهذه صورتها :

(آحاد في آحاد) (آحاد في عشرات) (آحاد في مئات) (آحاد في ألوف)
(عشرات في عشرات) (عشرات في مئات) (عشرات في الوف) (مئات في مئات)
(مئات في ألوف) (ألوف في ألوف)

﴿ فصل ﴾

فى الضرب والجذر والمكعبات ، وما يستعمله الجبريون والمهندسون من الالفاظ ومعانيها ، فنقول :

كل عددين ، أي عددين كانا، اذا ضرب أحدهما في الآخر فان المجتمع من ذلك يسمى عدداً مربعاً . فان كان العددان متساويين يسمى المجتمع من ضربيهما عدداً مربعاً مجذوراً أو العددان يسميان جذري ذلك العدد مثال ذلك اذا ضرب اثنان في اثنين يكون اربعة وثلاثة في ثلاثة تسعة وأربعة في أربعة ستة عشر فالاربعة والتسعة والستة عشر وامثالها من العدد يسمى كل واحد منها مربعاً مجذوراً ، والاثنان والثلاثة والاربعة يسمي جذراً ، لان الاثنين هو جذر الاربعة والثلاثة جذر التسعة والاربعة جذر الستة عشر ، وعلى هذا القياس يعتبر سائر المربعات المجذورات وجذورها

٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

د ط يو كه لو مط دس فا

وكل عددين مختلفين أي عددين كانا اذا ضرب أحدهما فى الآخر فان المجتمع من ذلك يسمى عدداً مربعاً غير مجذور والعددان المختلفان يسميان جزأين له ويسميان ضلعين لذلك المربع وهي من الفاظ المهندسين مثال ذلك اثنان في ثلاثة أو ثلاثة فى أربعة أو أربعة فى خمسة وأشباه ذلك فان المجتمع من مثل هذه الاعداد المضروبة بعضها فى بعض تسمى مربعات غير مجذورات

﴿ فصل ﴾

كل عدد مربع ، كان مجذوراً أو غير مجذور ، ضرب فى عدد آخر أي عدد كان فان المجتمع من ذلك يسمى عدداً مجسما فان كان العدد المربع مجذوراً وضرب فى جذره يسمي المجتمع من ذلك عدداً مجسما مكعبا مثال ذلك اربعة فانه عدد

مربع مجذور ضرب في الاثنين الذي هو جذرها خرج منه ثمانية وكذلك ايضاً التسعة وهو أيضاً عدد مربع مجذور ضرب في الثلاثة الذي هو جذرها كانت منه سبعة وعشرون، وكذلك الستة عشر فانه عددمجذور ضرب في الاربعة التي هي جذرها خرج منه أربعة وستون فالثمانية والسبعة والعشرون وأربعة وستون وأمثالها من الاعداد تسمى أعداداً مجسمة مكعبة والمكعب جسم طوله وعرضه وعمقه متساوية وله ستة سطوح مربعات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وله اثنا عشر ضلعاً متوازية وثماني زوايا مجسمة واربعةوعشرون زاوية مسطحة

وان ضرب العدد المربع المجذور في عدد أقل من جذره يسمى المجتمع من ضربه عدداً مجسما لبنيا والجسم اللبني هو الذي طوله وعرضه متساويان وسمكه أقل منهما وله ستة سطوح مربعات متوازى الاضلاع قائم الزوايا لكن له سطحين متقابلين مربعين متساويي الاضلاع قائمي الزوايا وله اربعة سطوح مستطيلات وله اثنا عشر ضلعا كل اثنين منها متوازيان وثماني زوايا مجسمة واربع وعشرون زاوية مسطحة. وان ضرب المربع المجذور في اكثر من جذره يسمى المجتمع منه عدداً مجسما بيريا مثال ذلك اربعة فانه عددمجذور ضرب في الثلاثة التي هي اكثر من جذرها فكان منه اثناعشر وكذلك التسعة اذا ضربت في اربعة التي هي اكثر من جذرها خرج منها ستة وثلاثون فالاثناعشر والستة والثلاثون وامثالها من العدد يسمى مجسما بيريا و « الجسم البيري » هو الذي سمكه أكثر من طوله وعرضه، وله ستة سطوح مربعات اثنان منها مربعان متقابلان متساويا الاضلاع قائما الزاويا واربعة منها مستطيلة متوازية الاضلاع قائمة الزوايا وله اثنا عشر ضلعاً كل اثنين منها متوازيان متساويان وله ثماني زوايا مجسمة واربع وعشرون زاوية مسطحة وكل عدد مربع غير مجذور ضرب في ضلعه الاصغر فان المجتمع منه يسمى مجسما لبنياً وان ضرب في ضلعه الاطول فان المجتمع منه يسمى مجسما بيريا، وان ضرب في عدد أقل منهما أو أكثر فان المجتمع منه يسمى « مجسما لوحياً » مثال ذلك الاثناعشر فانه عدد مربع غير مجذور واحد ضلعيه ثلاثة والآخر أربعة فان ضرب اثناعشر في

ثلاثة خرج منه ستة وثلاثون وهو مجسم لبني وان ضرب في أربعة خرج منه ثمانية واربعون وهو مجسم بيري وأن ضرب في أقل من الثلاثة أو أكثر من الاربعة يسمى مجسماً لوحياً. والجسم اللوحي هو الذي طوله أكثر من عرضه وعرضه أكثر من سمكه وله ستة سطوح كل اثنين منها متساويان متوازيان وله اثنا عشر ضلعاً كل اثنين منها متوازيان وثماني زوايا مجسمة واربع وعشرون زاوية مسطحة

﴿ فصل ﴾

في خواص العدد المجذور ، فنقول : وكل عدد مجذور اذا زيد عليه جذراه وواحد كان المجتمع من ذلك مجذوراً وكل عدد مجذور اذا انتقص منه جذراه الا واحداً يكون الباقي مجذوراً وكل عددين مجذورين على الولاء اذا ضرب جذر احدهما في جذر الآخر وزيد عليه ربع يكون الجملة مجذوراً مثال ذلك : جذر أربعة وهو اثنان في جذر تسعة وهو ثلاثة فيكون ستة وزيد عليه ربع يكون ستة وربعا جذرها اثنان ونصف فاذا ضرب الاثنان والنصف في مثله كان ستة وربعاً جذرها اثنان ونصف وكل عددين مجذورين على الولاء اذا ضرب جذر أحدهما في جذر الآخر يخرج بينهما عدد وسط وتكون ثلاثتها في نسبة واحدة مثاله ذلك : أربعة وتسعة فانهما عددان مجذوران وجذراهما اثنان وثلاثة واثنان في ثلاثة ستة فنسبة الاربعة الى الستة كنسبة الستة الى التسعة وعلى هذا القياس يعتبر سائرها

﴿ فصل ﴾

في مسائل من المقالة الثانية من كتاب اقليدس في الاصول

كل عددين قسم أحدهما بأقسام كم كانت فان ضرب أحدهما في الآخر مساو لضرب الذي لم يقسم في جميع أقسام العدد المقسوم قسما قسما مثال ذلك عشرة وخمسة عشر وقسم الخمسة عشر ثلاثة أقسام سبعة وثلاثة وخمسة فنقول « ا » ان

ضرب العشرة في خمسة عشر مساو لضرب العشرة في سبعة وفي ثلاثة وفي خمسة «ب» كل عدد قسم بأقسام كم كانت فان ضرب ذلك العدد في مثله مساو لضربه في في جميع أقسامه مثال ذلك عشرة قسمت بقسمين سبعة وثلاثة فأقول ان ضرب العشرة في نفسها مساو لضربها في سبعة وفي ثلاثة «ج» كل عدد قسم بقسمين فنقول ان ضرب ذلك العدد في أحد قسميه مساو لضرب ذلك القسم في نفسه وفي القسم الآخر مثال ذلك عشرة قسمت بقسمين ثلاثة وسبعة فأقول ان ضرب العشرة في سبعة مساو لضرب سبعة في نفسها وثلاثة في سبعة «د» كل عدد قسم قسمين فأقول ان ضرب ذلك العدد في نفسه مساو لضرب كل قسم في نفسه واحدهما في الآخر مرتين مثال ذلك عشرة قسمت قسمين سبعة وثلاثة فأقول ان ضرب العشرة في نفسها مساو لضرب سبعة في نفسها وثلاثة في نفسها وسبعة في ثلاثة مرتين «ه» كل عدد قسم بنصفين ثم بقسمين مختلفين فان ضرب احد المختلفين في الآخر وضرب التفاوت في نفسه مساو لضرب نصف ذلك العدد في نفسه مثاله عشرة قسمت بنصفين ثم بقسمين مختلفين ثلاثة وسبعة فنقول ان ضرب السبعة في ثلاثة والتفاوت في نفسها وهو اثنان مجموعا مساو لضرب الخمسة في نفسها «و» كل عدد قسم بنصفين ثم يزاد فيه زيادة ما فأقول ان ضرب ذلك العدد مع الزيادة في تلك الزيادة ونصف العدد في نفسه مجموعا يكون مساوياً لضرب نصف ذلك العدد مع الزيادة في نفسه ، مثاله عشرة قسمت بنصفين ثم زيد عليه اثنان فنقول ان ضرب الاثنى عشر في اثنين وخمسة في نفسها مجموعاً مساو لضرب الاثنين وخمسة مجموعاً في نفسه «ز» كل عدد قسم بقسمين فأقول ان ضرب ذلك العدد في نفسه وضرب أحد القسمين في نفسه مجموعا مساو لضرب ذلك العدد في ذلك القسم مرتين ، وضرب القسم الآخر في نفسه مجموعا مثاله عشرة قسمت بقسمين سبعة وثلاثة فأقول ان ضرب العشرة في نفسها وسبعة في نفسها مجموعا مساو لضرب العشرة

في سبعة مرتين وثلاثة في نفسها مجموعا «ح» كل عدد قسم بقسمين ثم زيد عليه مثل أحد القسمين فنقول ان الذي يكون من ضرب جميع ذلك في نفسه مساو لضرب ذلك العدد قبل الزيادة في تلك الزيادة أربع مرات والقسم الاخر في نفسه مثاله عشرة قسمت بقسمين سبعة وثلاثة ثم زيدت عليه ثلاثة فنقول ان ضرب الثلاثة عشر في نفسه مساو لضرب عشرة في ثلاثة أربع مرات وضرب سبعة في نفسه مرة واحدة «ط» كل عدد قسم بنصفين ثم بقسمين مختلفين فان الذي يكون من ضرب القسمين المختلفين كل واحد منهما في نفسه مجموعاً مثلا مايكون من ضرب نصف ذلك في نفسه وضرب التفاوت مابين العددين في نفسه مجموعاً مثال ذلك عشرة قسمت بنصفين ثم بقسمين مختلفين ثلاثة وسبعة فأقول ان الذي يكون من ضرب سبعة في نفسها وثلاثة في نفسها مجموعاً مثلا مايكون من ضرب الخمسة في نفسها ومن ضرب الاثنين الذي هو التفاوت مابين القسمين في نفسه مجموعاً «ى» كل عدد قسم بنصفين ثم زيد فيه زيادة ما فان الذي يكون من ضرب ذلك العدد مع الزيادة في نفسه وضرب الزيادة في نفسها مجموعاً مثلا مايكون من ضرب نصف العدد مع الزيادة في نفسه وضرب نصف العدد في نفسه مثال ذلك عشرة قسمت بنصفين ثم زيد عليها اثنان فأقول ان ضرب الاثنى عشر في نفسه والاثنين في نفسه مجموعاً مثلا مايكون من ضرب سبعة في نفسها وخمسة في نفسها مجموعاً

﴿فصل﴾

واعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، انه انما قدم الحكماء النظر في علم العدد قبل النظر في سائر العلوم الرياضية لان هذا العلم مركوز في كل نفس بالقوة وانما يحتاج الانسان الى التأمل بالقوة الفكرية حسب ، من غير أن يأخذ لها مثالا من علم آخر بل منه يؤخذ المثال على كل معلوم . وأما ما أشرنا اليه من المثالات التي بالخطوط في هذه الرسالة فانما ذلك للمتعلمين المبتدئين الذين قوة أفكارهم ضعيفة فأما من كان منهم فهما ذكياً فغير محتاج اليها

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه ان أحد أغراضنا من هذه الرسالة ماقد بينا في أولها وأما الغرض الآخر فهو التنبيه على «علم النفس» والحث على معرفة جوهرها وذلك ان العاقل الذهين اذا نظر في علم العدد وتفكر في كية أجناسه وتقاسيم أنواعه وخواص تلك الانواع علم انها كلها اعراض وجودها وقوامها بالنفس فالنفس اذاً جوهر لان العرض لا يكون له قوام إلا بالجوهر ولا يوجد إلا فيه

***

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن غرض الفلاسفة الحكماء من النظر في العلوم الرياضية وتخريجهم تلامذتهم بها انما هو السلوك والتطرق منها الى علوم الطبيعيات ، وأما غرضهم في النظر في الطبيعيات فهو الصعود منها والترقي الى العلوم الالهية الذي هو اقصى غرض الحكماء والنهاية التي اليها يرتقى بالمعارف الحقيقية ولما كان أول درجة من النظر في العلوم الالهية هو معرفة جوهر النفس والبحث عن مبدأها من أين كانت قبل تعلقها بالجسد والفحص عن معادها الى أين تكون بعد فراق الجسد الذي يسمى الموت وعن كيفية ثواب المحسنين كيف يكون في عالم الارواح وعن جزاء المسيئين كيف يكون في دار الآخرة وخصلة أخرى ايضا لما كان الانسان مندوباً الى معرفة ربه ولم يكن له طريق الى معرفته الا بعد معرفة نفسه كما قال الله تعالى «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه» أي جهل النفس وكما قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه وقد قيل ايضا اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وجب على كل عاقل طلب علم النفس ومعرفة جوهرها وتهذيبها وقد قال الله تعالى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » وقال الله تعالى حكاية عن امرأة العزيز في قصة يوسف عليه السلام «ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربي» وقال تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» وقال تعالى «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها» وقال

تعالى «ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية» وقال تعالى «الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها» وآيات كثيرة في القرآن ودلالات على وجود النفس وعلى تصرف حالاتها وهي حجة على الجرميين المنكرين أمر النفس ووجدانها

وأما أولئك الحكماء الذين كانوا يتكلمون في علم النفس قبل نزول القرآن والانجيل والتوراة فانهم لما بحثوا عن علم النفس بقرائح قلوبهم واستخرجوا معرفة جوهرها بنتائج عقولهم دعاهم ذلك الى تصنيف الكتب الفلسفية التي تقدم ذكرها في أول هذه الرسالة ، ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن فهم معانيها ولا عرف أغراض مؤلفيها انغلق على الناظرين في تلك الكتب فهم معانيها وثقلت على الباحثين أغراض مصنفيها ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى أغراض واضعيها وأوردناها بأوجز ما يمكن من الاختصار في اثنتين وخمسين رسالة أولها هذه ثم يتلوها أخواتها على الولاء كترتيب العدد تجدها ان شاء الله تعالى

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما



الرسالة الثانية

من القسم الرياضي

الموسومة بجومطريا في الهندسة وبيان ماهيتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أمما يشركون

اعلم ايها الاخ البار الرحيم ، ايدك الله وايانا بروح منه ، انا قد فرغنا من رسالة العدد في الارثماطيقي وبينا من خواص العدد قدر الكفاية والجهد وانتقلنا من تلك الرسالة الى هذه الرسالة التي هي الثانية من رسائل الرياضيات في المدخل الى علم الهندسة فنقول :

اعلم بان العلوم التي كان القدماء يخرجون اولادهم بها ويروضون بها تلامذتهم أربعة أجناس، أولها العلوم الرياضيات ، والثاني العلوم المنطقيات والثالث العلوم الطبيعيات، والرابع العلوم الالهيات فالرياضيات، أربعة أنواع أولها الارثماطيقي وهو معرفة العدد وكمية أجناسه وخواصه وأنواعه وخواص تلك الانواع . ومبدأ هذا العلم من الواحد الذي قبل الاثنين . والثاني . « الجومطريا » وهو علم الهندسة وهي معرفة المقادير والابعاد وكمية أنواعها وخواص تلك الانواع ومبدأ هذا العلم من النقطة التي هي طرف الخط أي نهايته والثالث الاسطرنوميا يعني علم النجوم وهو معرفة تركيب الافلاك وتخطيط البروج وعدد الكواكب وطبائعها ودلائلها على الاشياء الكائنات في هذا العلم من حركة الشمس. والرابع الموسيقى وهو معرفة التأليفات والنسب بين الاشياء المختلفة والجواهر المتضادة

القوى ومبدأ هذا العلم من نسبة المساواة نسبة الثلاثة الى الستة كنسبة الاثنين الى الاربعة

وأما المنطقيات فهي معرفة معاني الاشياء الموجودة التي هي مصورة في أفكار النفوس ومبدأها من الجوهر، وأما الطبيعيات فهي معرفة جواهر الاجسام وما يعرض لها من الاعراض ومبدأ هذا العلم من الحركة والسكون، وأما الالهيات فهي معرفة الصور المجردة المفارقة للهيولى ومبدأ هذا العلم من معرفة جوهر النفس كالملائكة والنفوس والشياطين والجن والارواح بلا أجسام وان الاجسام عندهم ذوو ابعاد ثلاثة ومبدأ هذا العلم من جوهر النفس. وقد عملنا في كل نوع من هذه العلوم رسالة شبه المدخل والمقدمات فأولها رسالة في العدد قبل هذه وقد بينا فيها طرفا من خواص الاعداد وكمية أنواعها وكيفية نشوئها من الواحد الذي قبل الاثنين، ونريد ان نبين ونذكر في هذه الرسالة أصل الهندسة التي هي أصل المقادير الثلاثة وكمية أنواعها وخواص تلك الانواع وكيفية نشوئها من النقطة التي هي رأس الخط وانها في صناعة الهندسة مثل الواحد في صناعة العدد

واعلم أيها الاخ البار الرحيم، أيدك الله وايانا بروح منه، ان الهندسة يقال على نوعين عقلية وحسية، فالحسية هي معرفة المقادير وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض وهي مايرى بالبصر ويدرك باللمس والعقلي بضد ذلك وهو مايعرف ويفهم فالذي يرى بالبصر هو الخط والسطح والجسم ذوو الابعاد وما يعرض فيها كما ان الثقل في الثقيل لا يعرف الا بالعقل والثقل عين الثقيل والمقادير ثلاثة أنواع وهي الخطوط والسطوح والاجسام وهذه الهندسة تدخل في الصنائع كلها وذلك ان كل صانع اذا قدر في صناعته قبل العمل فهو ضرب من الهندسة العقلية فهي معرفة الابعاد وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض وهي مايتصور في النفس بالفكر وهي ثلاثة أنواع الطول والعرض والعمق. وهذه الابعاد العقلية صفات لتلك المقادير الحسية وذلك ان الخط هو

أحد المقادير وله صفة واحدة وهي الطول حسب. وأما السطح فهو مقدار ثان وله صفتان وهما الطول والعرض. واما الجسم فهو مقدار ثالث وله ثلاث صفات وهي الطول والعرض والعمق

واعلم ان النظر في هذه الابعاد مجردة عن الاجسام من صناعة المحققين فنبدأ أولا بوصف الهندسة الحسية لانها اقرب الى فهم المتعلمين فنقول :

ان الخط الحسي الذي هو أحد المقادير أصله النقطة كما بينا قبل في الرسالة التي في خواص العدد بأن الواحد أصل العدد وذلك ان النقطة الحسية اذا انتظمت ظهر الخط بحاسة النظر مثل هذا . . . . . فانا لا نقول ان هذه النقطة شيء لا جزء له لكن النقطة العقلية هي التي لا جزء لها، ونقول أيضا الخط أصل السطح كما ان النقطة أصل الخط وكما ان الواحد أصل الاثنين، والاثنان أصل لعدد الزوج كما بينا قبل ذلك وذلك ان الخطوط اذا تجاورت ظهر السطح لحاسة البصر مثل هذا ونقول ان السطح أصل للجسم كما ان الخط أصل للسطح والنقطة أصل للخط كما ان الواحد أصل الاثنين والاثنان والواحد أصلان لاول الفرد كما بينا قبل ذلك وذلك ان السطوح اذا تراكمت بعضها فوق بعض ظهر الجسم لحاسة النظر مثل هذا

﴿ فصل في أنواع الخط ﴾

فنقول : الخطوط ثلاثة أنواع أولها المستقيم وهو مثل الذي يخط بالمسطر على ما يرى في هذه الصورة مثل هذا ———— والثاني المقوس وهو مثل الذي يخط بالبركار مثل هذا والثالث الخط المنحني وهو المركب منهما مثل هذا ـ⌒ـ فهذه أنواع الخطوط الثلاثة

﴿فصل في ألقاب الخطوط المستقيمة ﴾

فنقول : ان الخطوط المستقيمة اذا أضيف بعضها الى بعض اما ان تكون متساوية أو متوازية أو متلاقية أو مماسة أو متقاطعة، فالمتساوية هي التي طولها

واحد مثال هذا ═══ والمتوازية هي التي اذا كانت في سطح واحد واخرجت في كلتي الجهتين اخراجا دائما لا يلتقيان ابدا مثل هذا ═══ والمتلاقية هي التي تلتقي في احدى الجهتين وتحيط بزاويه واحدة مثل هذا ∠ والمماسة هي التي تماس احداهما الاخرى وتحدث زاويتين أو زاوية مثل هذا المثال ⊥ والمتقاطعة التي تقطع احداهما الاخرى وتحدث من تقاطعهما أربع زوايا مثل هذا + فهذه القاب الخطوط المستقيمة

﴿فصل في أسماء الخط المستقيم﴾

اذا قام خط مستقيم على خط آخر قياما مستويا من غير ميل الى طرف يقال عند ذلك للخط القائم العمود وللقائم عليه القاعدة مثل هذا ⊥ واذا أضيف الخطان الى زاوية يقال لهما الساقان لتلك الزاوية مثل هذا ∠

واذا قام خط مستقيم على خط وللخط والقائم ميل الى أحد الطرفين يحصل زاويتان احداهما أكبر يقال لها المنفرجة والاخرى أصغر يقال لها الحادة وكل خط مستقيم يقابل زاوية مايقال له وتر تلك الزاوية التي يقابلها مثل هذا △ والخطوط اذا أضيفت الى سطح مايقال لها اضلاع ذلك السطح مثل هذا □ وكل خط يخرج من زاوية وينتهي الى أخرى يقال له قطر المربع مثل هذا ▱ وكل خط يخرج من زاوية المثلث وينتهي الى الضلع المقابل لها ويقوم على الخط المقابل لها على زوايا قائمة يقال لذلك الخط مسقط الحجر ويقال له العمود أيضا ويقال للخط الذي وقع عليه مسقط الحجر القاعدة مثل هذا △ فهذه أسماء الخطوط المستقيمة

﴿فصل في أنواع الزوايا﴾

نقول : ان الزوايا على نوعين مسطح ومجسم والمسطحة هي التي يحيط بها

خطان على غير استقامة مثل هذا V والمجسمة هي التي تحيط بها ثلاثة خطوط في زاوية كل اثنين زاوية على غير استقامة

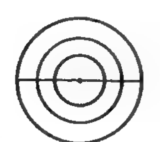
﴿ فصل في أنواع الزوايا المسطحة ﴾

تتنوع من جهة الخطوط ثلثة أنواع اما من خطين مستقيمين مثل هذا |__ أو خطين مقوسين مثل هذا ⌣ أو احدهما مقوس والآخر مستقيم . والزوايا التي تحيط بها خطوط مستقيمة تتنوع من جهة الكيفية ثلاثة أنواع قائمة ومنفرجة وحادة ، فالقائمة هي التي اذا قام خط مستقيم على خط آخر مستقيم قياما مستويا حدث عن جنبيه زاويتان متساويتان وكل واحدة منهما يقال لها زاوية قائمة مثل هذا _|_ واذا قام ذلك الخط قياما غير مستو على خط مستقيم حدث عن جنبيه زاويتان مختلفتان احداهما أكبر من القائمة يقال لها المنفرجة والاخرى أصغر من القائمة يقال لها الحادة ومجموعهما مساو لقائمتين لان الزاوية الحادة تنقص عن القائمة بمقدار زيادة المنفرجة على القائمة على هذا المثال V فهذا عدد أنواع الزوايا

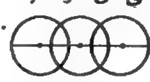
﴿فصل في أنواع الخطوط القوسية﴾

فنقول : ان الخطوط القوسية أربعة أنواع منها محيط الدائرة ومنها نصف الدائرة ومنها أكثر من نصف الدائرة ومنها أقل من نصف الدائرة ومركز الدائرة هي النقطة التي في وسط الدائرة وقطر الدائرة هو الخط المستقيم الذي يقطع الدائرة بنصفين والوتر الخط المستقيم الذي يصل بين طرفي الخط المقوس والسهم هو الخط المستقيم الذي يفصل الوتر والقوس كل واحد منهما بنصفين ، وهو اذا أضيف الى نصف القوس يقال له عند ذلك الجيب المعكوس واذا أضيف نصف الوتر الى نصف القوس يقال له عند ذلك الجيب المستوي والخطوط المقوسة المتوازية هي التي

مركزها واحد مثل هذا



والخطوط القوسية المتقاطعة هي التى مراكزها مختلفة مثل هذا



والخطوط القوسية المماسة هى التى تماس بعضها بعضاً اما من داخل أوخارج ولا

يتقاطع مثل هذا



واما الخطوط المنحنية فقد تركنا ذكرها لانها غير مستعملة فاعلم جميع ذلك

﴿ فصل في ذكر السطوح ﴾

فنقول : السطح هو شكل يحيط به خط أو خطوط. والدائرة هي شكل يحيط به خط واحد مثل هذا ◯ وفى داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة التى تخرج منها وينتهى الى جهتين مساو بعضهما لبعض. ونصف الدائرة شكل يحيط به خطان أحدهما مقوس والآخر مستقيم مثل هذا ◠ وقطعة الدائرة هو شكل يحيط به خط مستقيم وقوس من محيط الدائرة إما أكبر من نصفه واما أصغر حسب ما بينا وأوردنا مثالها قبل هذا

(فصل فى الاشكال المستقيمة الخطوط وأنواعها)

فنقول: الاشكال التى يحيط بها خطوط مستقيمة أولها الشكل المثلث وهو

الذى يحيط به ثلاثة خطوط وله ثلاث زوايا مثل هذا △ ثم المربع وهو الذى يحيط به أربعة خطوط مستقيمة وأربع زوايا قائمات مثل هذا □

ثم المخمس وهو شكل يحيط به خمسة خطوط وله خمس زوايا مثل هذا ⬠

ثم المسدس وهو الذى يحيط به ستة خطوط وله ست زوايا مثل هذا ⬡ وبعده المسبع مثل هذا وعلى هـذا القياس تتزايد الاشكال كتزايد العدد

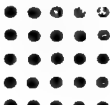
﴿ فصل ﴾

وقد بينا ان الخطوط يظهر طولها لحاسة البصر من النقطة اذا انتظمت فاقصر خط من نقطتين مثل هذا •• ثم من ثلاث مثل هذا ••• ثم من أربع مثل هذا •••• ثم من خمس مثل هذا ••••• ويتزايد واحداً بعد واحد كتزايد العدد على النظم الطبيعى . وأصـغر شـكل المثلث من ثلاثة أجزاء مثل هـذا ∴ ثم من أربعة أجزاء مثل هذا ⁘ ثم من عشرة أجزاء مثل هذا



وعلى هذا القياس يتزايد كما يتزايد جمع العـدد على النظم الطبيعى . وأما الاشكال المربعات فأولها تظهر فى أربعة أجزاء مثل هذا :: وبعده من تسعة أجزاء مثل هـذا ⁙ وبعده من سـتة عشر مثل هـذا

وبعده من خمسة وعشرين جزءاً مثل هذا



وعلى هذا القياس تتزايد المربعات دائما كتزايد جمع العدد على نظم طبيعة الافراد وتكون كلها مجذورات

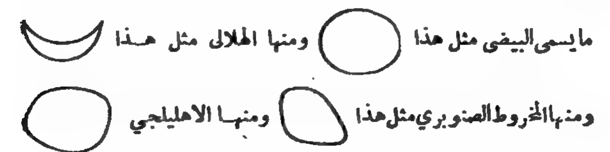
﴿ فصل فى بيان المثلث انه اصل لجميع الاشكال ﴾

فنقول: ان الشكل المثلث أصل لجميع الاشكال المستقيمة الخطوط كما ان الواحد اصل لجميع العدد والنقطة اصل الخطوط والخط اصل السطوح والسطح اصل للاجسام كما بينا قبل، وذلك انه اذا أضيف شكل مثلث الى شكل آخر مثله حدث من جملتهما شكل مربع مثل هذا ▱ واذا اضيف اليهما شكل آخر مثلث حدث من ذلك شكل مخمس . وان اضيف اليها شكل آخر مثلث حدث شكل مسدس وان اضيف اليها شكل آخر حدث من ذلك شكل مسبع مثل هذا وعلى هذا القياس تحدث الاشكال المستقيمة الخطوط الكثيرة الزوايا من الشكل المثلث اذا ضم بعضها الى بعض وتتزايد دائما بلا نهاية كتزايد العدد من الآحاد اذا ضم بعضها الى بعض دائما بلا نهاية كما بينا قبل

وقد تبين ان من الشكل المثلث تتركب الاشكال المستقيمة الخطوط وان من السطح تتركب الاجسام وان من الخطوط تتركب السطوح وان من النقطة تتركب الخطوط كما ان من الواحد يتركب العدد فان النقطة في صناعة الهندسة كالواحد فى صناعة العدد وكما ان الواحد لاجزء له فكذلك النقطة العقلية لاجزء لها

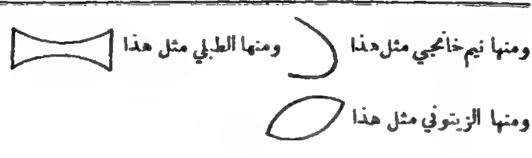
﴿ فصل فى أنواع السطوح ﴾

السطوح من جهة الكيفية تتنوع ثلاثة أنواع مسطحا ومقعرا ومقببا فالمسطح كوجوه الالواح والمقعر كقعر الاوانى والمقبب كظهر القباب ومن . الاشكال



مايسمى البيضى مثل هذا ومنها الهلالى مثل هذا

ومنها المخروط الصنوبري مثل هذا ومنها الاهليلجي

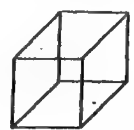


ومنها نيم خانجي مثل هذا ومنها الطبلي مثل هذا

ومنها الزيتوني مثل هذا

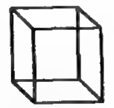
﴿ فصل في ذكر الاجسام ﴾

فنقول : السطوح هي نهايات الاجسام ونهايات السطوح الخطوط ونهايات الخطوط هي النقط. وذلك ان كل خط لابد أن يبتدىء من نقطة وينتهي الى أخرى ، فكل سطح ينتهي الى خط أو خطوط وكل جسم فلابد من أن ينتهي الى سطح أو سطوح فمن الاجسام مايحيط به سطح واحد وهي الكرة ومنها مايحيط به سطحان وهو نصف الكرة وذلك ان سطحاً منه مقبب وسطحاً مدور. ومن الاجسام مايحيط به ثلاثة سطوح وهو ربع الكرة ومنها مايحيط به أربعة سطوح مثلثات ويسمى الشكل النارى ومنها مايحيط به خمسة سطوح ومنها مايحيط به ستة سطوح مربعات فمنها المكعب ومنها اللبنى ومنها البئرى ومنها اللوحي . فالجسم المكعب هو الذى طوله مثل عرضه وعرضه مثل سمكه وله ستة سطوح مربعات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وله ثماني زوايا مجسمة وأربع وعشرون زاوية مسطحة واثناعشر ضلعاً متساوية كل أربعة منها متوازية وهذه صورته



وأما الجسم البئري فهو الذي طوله مثل عرضه وسمكه أكبر منهما وله ستة سطوح مربعات اثنان منها متقابلان متساويا الاضلاع قائما الزوايا وأربعة منها ضيقات مستطيلات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وله اثنا عشر ضلعاً أربعة منها طوال متساوية متوازية وثمانية قصار متساوية متوازية وله ثماني زوايا مجسمة

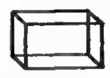
وأربع عشرون زاوية مسطحة



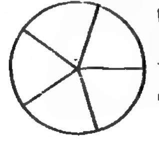
وأما الجسم اللوحي فهو الذي طوله اكبر من عرضه وعرضه أكبر من سمكه وله ستة سطوح مربعات اثنان منها طويلان متقابلان متسعان ومتساويا الاضلاع قائما الزوايا وسطحان آخران قصيران ضيقان متساويا الاضلاع قائما الزوايا وله اثناعشر ضلعاً أربعة منها طوال وأربعة منها قصار وأربعة أقصر من ذلك وله ثماني زوايا مجسمة وأربع وعشرون زاوية مسطحة مثل هذا



وأما الجسم اللبني فهو الذي طوله مثل عرضه وسمكه أقل منهما وله ستة سطوح مربعات اثنان منها واسعان متقابلان متساويا الاضلاع قائما الزوايا وأربعة منها ضيقات مستطيلات متساوية الاضلاع قائمة الزوايا وله اثناعشر ضلعاً أربعة منها قصار متساوية متوازية وثمانية منها طوال متساوية كل أربعة منها متوازية ولها ثماني زوايا مجسمات وأربع وعشرون زاويه مسطحة مثل هذا

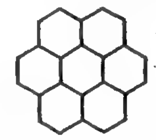


وأما الجسم الكري فهو الذي يحيط به سطح واحد وفي داخله نقطة وكل الخطوط المستقيمه الخارجة من تلك النقطة الى سطح الكرة متساوية يقال لتلك النقطة مركز الدائرة واذا دارت الكرة فيكون في سطحها نقطتان متقابلتان ساكنتان يقال لهما قطب الكرة مثل هذا واذا وصل بينهما بخط مستقيم جاز ذلك الخط على مركز الكرة يقال له محور الكرة واذا اتصل الخط من نقطة الى نقطة فهو المحور

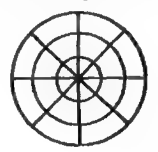


وإذ قد ذكرنا طرفاً من أصل الهندسة الحسية شبه المدخل والمقدمات وقلنا ان هذا العلم يحتاج اليه أكثر الصناع فلنبين ذلك. وهو التقدير قبل العمل لان كل صانع يؤلف الاجسام بعضها الى بعض ويركبها فلابدله ان يقدر اولا المكان في أى موضع يعملها والزمان في أي وقت يعملها ويبتدىء فيها والامكان هل يقدر عليه أم لا وبأي آلة وأدوات يعملها وكيف يؤلف أجزاءها حتى تلتئم وتأتلف فهذه هى الهندسة التى تدخل في أكثر الصنائع التى هي تأليف الاجسام بعضها الى بعض

واعلم ان كثيراً من الحيوانات تعمل صنعة طبيعية قد جبلت عليها بلا تعليم كالنحل في اتخاذها البيوت وذلك انها تبنى بيوتها مطبقات مستديرات الشكل كالأتراس بعضها فوق بعض وتجعل ثنب البيوت كلها مسدسات الاضلاع والزوايا لما في ذلك من اتقان الحكمة لان من خاصية هذا الشكل انه أوسع من المربع والمخمس وأنها تكشف تلك الثقوب حتى لايكون بينها خلل فيدخل الهواء فتفسد العسل فيعفن العسل وهذا مثال ذلك



وهكذا العنكبوت تنسج شبكتها في زوايا البيت والحائط شفقة عليها من تخريق الرياح لها وتمزيق حملها وأما كيفية نسجها فهو أن تمد سداها على الاستقامة وخيوط لحمتها على الاستدارة لما فيه من سهولة العمل وهذا مثال ذلك



ومن الناس من يستخرج صناعة بقريحته وذكاء نفسه لم يسبق اليها وأما أكثر الصناع فانهم يأخذونها توقيفاً وتعلماً من الاستاذين

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان علم الهندسة يدخل في الصنائع كلها وخاصة في المساحة وهي صناعة يحتاج اليها العمال والكتاب والدهاقين وأصحاب الضياع والعقارات في معاملاتهم من جباية الخراج وحفر الانهار وعمل البريدات وماشا كلها

ثم اعلم بان المقادير التي تمسح بها الاراضي بالعراق خمسة مقادير وهى الاشل والباب والذراع والقبضة والاصبع . واعلم بان الاصبع الواحدة غلظها ست شعيرات مصفوفة مضمومة ظهور بعضها الى بطون بعض والقبضة الواحدة أربع أصابع والذراع الواحد ثماني قبضات وهو اثنان وثلاثون أصبعا والباب طوله ستة أذرع وهى ثمان وأربعون قبضة وهو مائة واثنان وتسعون أصبعا والاشل حبل طوله عشرة أبواب وهو ستون ذراعا وأربع مئة وثمانون قبضة والف وتسع مئة وعشرون أصبعا واعلم بانك اذا ضربت هذه المقادير بعضها في بعض فالذي يخرج منها يسمى تكسيراً فاذا جمعت فيكون منها جريبات وقفيزات وعشيرات. واما حسابها فهو ان القبضة الواحدة في مثلها تكون ستة عشر أصبعاً والذراع الواحدة في مثلها تكون أربعاً وستين قبضة مكسرة والفا وأربعة وعشرين أصبعا مكسرة وهو تسع ربع عشر عشير الجريب والباب الواحد في مثله يكون ستة وثلاثين ذراعا مكسرة وهذه صورتها ٣٦ وهو ٢٣٠٤ قبضات مكسرة وهو ٣٦٨٦٤ أصبعا مكسرة وهو عشر عشير الجريب

واما الاشل في مثله فيكون جريبا وهو عشرة اقفزة وهو مائة عشير وهذه صورتها ٣٦٠٠ ذراعا مكسرة وهو ٢٣٠٤٠٠ قبضة مكسرة وهو ٣٦٨٦٤٠٠ أصبعا مكسرة واما القفيز فهو عشرة اعشار وهو عشرة أبواب مكسرة وهو من ضرب تسعة عشر ذراعا الاشيئاً يسيراً في مثله وهو ثلاثمائة وستون ذراعا واما

العشير فهو من ضرب باب واحد في مثله وهو ٣٦ ذراعا مكسرة وهو ٢٣٠٤ قبضات مكسرة وهو ٣٦٨٦٤ أصبعا مكسرة والاشوال في الاشوال واحدها جريب وعشرتها عشرة أجربة والاشوال في الابواب واحدها قفيز وعشرتها جريب والاشوال في الاذرع واحدها عشير وثلثا عشير وست منها قفيز والاشل في القبضات واحدها سدس عشير وربع سدس عشير وكل ثلاثة اخماس منها عشير وكل ٣٦ منها قفيز والاشل في الاصابع كل واحد منها ربع سدس عشير وربع ربع سدس عشير وكل عشرة منها ربعا عشير وسدس ثمن عشير والابواب في الابواب واحدها عشير وعشرتها قفيز والابواب في الاذرع واحدها سدس عشير وستة منها عشير والابواب في القبضات كل واحد منها ثلاثة أرباع ربع تسع عشير. والابواب في الاصابع كل خمسة وثمانين منها ثلث عشير وربع سدس عشير وتسع عشير تقريبا وكل أربعة منها ثلاثة أرباع وتسع عشير وكل مائة ثمان وعشرين منها ثلثا ثلث عشير والاذرع في الاذرع واحدها ربع تسع عشير. وكل أربع منها تسع عشير وكل مائة منها عشيران وثلثا عشير وتسع عشير فهذا شرح مساحة العرض والطول فاما مساحة العمق فهو ان تضرب الطول في العرض فما اجتمع من ذلك فاضربه في العمق وما يجتمع فهو تكسير الجسم والحاجة الى هذا العمل عند حفر الانهار والابار والحفائر والبريدات والمسنيات والاساسات للديار والبنيان وما شاكل ذلك

ثم اعلم يا أخي ايدك الله وايانا بروح منه انه قد تدخل الشبه في كل صناعة علمية على من يتعاطاها وليس من أهلها وكان ناقصا فيها أو ساهياً عنها مثال ذلك ما ذكروا ان رجلا باع من رجل آخر قطعة أرض بالف درهم على ان طولها مائة ذراع وعرضها مائة ذراع ثم قال له خذ مني عوضا عنها قطعتين من أرض كل واحدة منهما طولها خمسون ذراعا وعرضها خمسون ذراعا وتوهم ان ذلك حقه فتحا كما الى قاض غير مهندس فقضى بمثل ذلك خطأ ثم تحاكما الى حاكم من أهل الصناعة فحكم بان ذلك نصف حقه . وهكذا أيضا ذكر أن رجلا استأجر رجلا على ان

يحفرله بركة طولها أربعة أذرع في عرض أربعة أذرع في عمق أربعة أذرع بثمانية دراهم فحفر له ذراعين في ذراعين طولا وعرضا وعمقا فطالبه باربعة دراهم نصف الاجرة فتنازعا وتحاكما الى مفت غير مهندس فحكم بان ذلك حقه ثم تحاكما الى أهل الصناعة فحكموا له بدرهم واحد. وقيل لرجل يتعاطى الحساب ولم يكن من أهله كم نسبة الف الف الى الف الف الف فقال ثلثان فقال أهل الصناعة انه عشر عشر العشر فعلى هذا المثال تدخل الشبهة على كل من يتعاطى صناعة وليس من أهلها ومن أجل هذا قيل استعينوا على كل صنعة باهلها

﴿ فصل في حاجة الانسان الى التعاون ﴾

اعلم يا أخي، أيدك الله وايانا بروح منه، بأن الانسان الواحد لا يقدر ان يعيش وحده الا عيشا نكدا لانه محتاج الى طيب العيش من إحكام صنائع شتى ولا يمكن الانسان الواحد ان يبلغها كلها لان العمر قصير والصنائع كثيرة فمن أجل هذا اجتمع في كل مدينة أو قرية اناس كثيرون لمعاونة بعضهم بعضا وقد أوجبت الحكمة الالهية والعناية الربانية بان يشتغل جماعة منهم باحكام الصنائع وجماعة في التجارات وجماعة باحكام البنيان وجماعة بتدبير السياسات وجماعة باحكام العلوم وتعليمها وجماعة بالخدمة للجميع والسعي في حوائجهم لان مثلهم في ذلك كمثل اخوة من أب واحد في منزل واحد متعاونين في أمر معيشتهم كل منهم في وجه منها فأما ما اصطلحوا عليه من الكيل والوزن والثمن والاجرة فان ذلك حكمة وسياسة ليكون حثاً لهم على الاجتهاد في أعمالهم وصنائعهم ومعاوناتهم حتى يستحق كل انسان من الاجرة بحسب اجتهاده في العمل ونشاطه في الصنائع

واعلم يا أخي، أيدك الله وايانا بروح منه، أنه ينبغي لك ان تتيقن بأنك لا تقدر ان تنجو وحدك مما وقعت فيه من محنة هذه الدنيا وآفاتها بالجناية التي كانت من أبينا آدم عليه السلام لانك محتاج في نجاتك وتخلصك من هذه الدنيا التي هي عالم الكون والفساد ومن عذاب جهنم وجوار الشياطين وجنود إبليس أجمعين والصعود الى عالم الافلاك وسعة السموات ومسكن العليين وجوار ملائكة الرحمن المقربين الى معاونة اخوان لك نصحاء وأصدقاء لك فضلاء متبصرين

بأمر الذين علماء بحقائق الامور ليعرفوك طرائق الآخرة وكيفية الوصول اليها والنجاة من الورطة التي وقعنا فيها كلنا بجناية أبينا آدم عليه السلام فاعتبر بحديث الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب «كليلة ودمنة» وكيف نجت من الشبكة لتعلم حقيقة ماقلنا

واعلم ان الحكماء اذا ضربوا مثلا لامور الدنيا فإنما غرضهم منه أمور الآخرة والاشارة اليها بضروب الامثال بحسب ماتحتمل عقول الناس في كل مكان وزمان.

﴿ فصل في الهندسة العقلية ﴾

واذ قد ذكرنا طرفا من الهندسة الحسية شبه المدخل والمقدمات فنريد ان نذكر طرفا من الهندسة العقلية إذ كانت هي احد أغراض الحكماء الراسخين في العلوم الآلهية المرتاضين بالرياضات الفلسفية وذلك ان غرضهم في تقديم الهندسة بعد علم العدد هو تخريج المتعلمين من المحسوسات الى المعقولات وترقيتهم لتلاميذهم وأولادهم من الامور الجسمانية الى الامور الروحانية

فاعلم يا أخي، ايدك الله وايانا بروح منه ، ان النظر في الهندسة الحسية يؤدي الى الحذق في الصنائع العملية كلها ، والنظر في الهندسة العقلية يؤدى الى الحذق في الصنائع العلمية ، لان هذا العلم هو أحد الابواب التي تؤدى الى معرفة جوهر النفس التي هي جذر العلوم وعنصر الحكمة وأصل الصنائع العلمية والعملية جميعاً أعني معرفة جوهر النفس ، فاعلم جميع ماقلنا

﴿ فصل ﴾

الخط العقلي لايرى مجرداً الا بين السطحين وهو مثل الفصل المشترك الذى هو بين الشمس والظل واذا لم يكن شمس ولا فيء لم تر خطاً بنقطتين وهميتين فاذا توهمت ان قد تحركت احدى النقطتين وسكنت الاخرى حتى رجعت الى حيث ابتدأت بالحركة حدث في فكرك السطح ، والسطح العقلي أيضا لايرى

بمجرده الا بين الجسمين وهو الفصل المشترك بين الماء والدهن والنقطة العقلية لاترى أيضا بمجردها الا حيث ينقسم الخط بنصفين بالوهم أي موضع وقعت للاشارة اليها فهي تنتهي هناك

واعلم ياأخي أنك اذا توهمت حركة هذه النقطة على سمت واحد حدث في فكرك خط وهمي مستقيم واذا توهمت حركة هذا الخط في غير الجهة التي تحركت اليها النقطة حدث في فكرك سطح وهمي واذا توهمت حركة هذا السطح في غير الجهة التي تحرك اليها الخط والنقطة حدث في وهمك جسم وهمي له ستة سطوح مربعات قائمة الزوايا وهو المكعب ، وان كانت مسافة حركة السطح أقل من مسافة حركة الخط حدث من ذلك جسم لبني وان كان أكثر من ذلك حدث من ذلك جسم بئري وان كانت متساوية حدث مكعب

واعلم ياأخي بأن كل خط مستقيم مفروض في الوهم فلا بدله من نهايتين وهما رأساه ويسميان النقطتين الوهميتين واذا توهمت أنه تحركت احدى النقطتين وسكنت الاخرى حتى رجعت الى حيث ابتدأت بالحركة حدث في فكرك من ذلك سطح مدور وهمي وتكون النقطة الساكنة مركز الدائرة والنقطة المتحركة التي قد حدثت في فكرك بحركتها محيط الدائرة

ثم اعلم بأن أول سطح يحدث من حركتها ثلث الدائرة ثم ربع الدائرة ثم نصف الدائرة ثم الدائرة واذا توهمت ان الخط المقوس الذي هو نصف محيط الدائرة سكن رأساه جميعا وتحرك الخط نفسه حتى يرجع الى حيث ابتدأ بالحركة حدث في فكرك من حركتها جسم كرى . فقد بان لك بما ذكرنا ان الهندسة العقلية هي النظر في الابعاد الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق خلواً من الاجسام الطبيعية وذلك ان الناظرين في الهندسة الحسية التي تقدم ذكرها اذا ارتاضوا فيها وقويت افكارهم بالنظر فيها انتزعوا هذه الابعاد الثلاثة التي هي الخط والسطح والجسم وصورها في تقوسهم لتلك الابعاد المصورة كالهيولى وهي فيها كالصورة يسمونها مقادير مساحية ويستغنون عن النظر الى المقادير الحسية

ثم يتكلمون عليها ويخبرون عن اجناسها وأنواعها وخواصها وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض فيقولون الخط هو مقدار ذو بعد واحد والسطح هو مقدار ذو بعدين والجسم هو مقدار ذو ثلاثة أبعاد والخط المستقيم هو أقصر خط وصل بين النقطتين والنقطة رأس الخط والخط المقوس هو الخط الذى لا يمكن أن يفرض عليه ثلاث نقط على سمت واحد والزوايا ما بين خطين على غير استقامة والشكل ما أحاط به خط واحد أو خطوط والدائرة شكل يحيط به خط واحد يقال له المحيط وفي داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة المخرجة منها اليه متساوية والمثلث شكل يحيط به ثلاثة خطوط وثلاث زوايا والمربع شكل يحيط به أربعة خطوط وله أربع زوايا قائمات وعلى هذا القياس والمثال سائر ما يتكلمون به في أشكال الهندسة من غير اشارة الى جسم من الاجسام الطبيعية

﴿ فصل في حقيقة الابعاد في الهندسة العقلية ﴾

واعلم بان كثيراً من المهندسين والناظرين في العلوم يظنون ان هذه الابعاد الثلاثة، اعنى الطول والعرض والعمق، وجودا بذاتها وقوامها ولا يدرون ان ذلك الوجود انما هو في جوهر الجسم أو في جوهر النفس وهي لها كالهيولى وهى فيها كالصورة اذا انتزعتها القوة المفكرة من المحسوسات. ولو علموا ان الغرض الاقصى من النظر في العلوم الرياضية انما هو ان ترتاض أنفس المتعلمين بان يأخذوا صور المحسوسات من طريق القوى الحساسة وتصورها في ذاتها بالقوة المفكرة حتى اذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم التى أدتها القوى الحساسة الى القوة المتخيلة والمتخيلة الى القوة المفكرة والمفكرة أدت الى القوة الحافظة مصورة في جوهر النفس، فاستغنت عند ذلك النفس عن استخدامها القوى الحساسة في ادراك المعلومات عند نظرها الى ذاتها ووجدت صور المعلومات كلها في جوهرها فعند ذلك استغنت عن الجسد وزهدت في السكون معه وانتبهت من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة ونهضت بقوتها واستقلت بذاتها وفارقت الاجسام وخرجت من بحر الهيولى ونجت من أسر الطبيعة واعتقت من عبودية الشهوات الجسمانية وتخلصت من حرقة الاشتياق الى اللذات الجرمانية، وشاهدت عالم الارواح، وارتقت الى هناك حيث قال ﷻ اليه يصعد

الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» أراد به النفس الزكية، وجوزيت بأحسن الجزاء وهذا هو الغرض الاقصى من النظر في العلوم الرياضية التي كانوا يخرجون بها أولاد الحكماء وتلامذة القدماء. هكذا مذهب اخواننا الكرام، وفقك الله وإيانا سبيل الرشاد انه رؤف بالعباد .

﴿ فصل في خواص الاشكال الهندسية ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن للاشكال الهندسية خواص ولمجموعها خواص أيضا وقد بينا في رسالة الارثماطيقي طرفاً من خواص العدد فنريد ان نذكر في هذا الفصل طرفاً من خواص الاشكال الهندسية ليكون تنبيهاً للناظرين في هذين العلمين على الغرض منهما ويكون ايضا ارشاداً لطالبي خواص الاشياء وكيفية المسلك فيها. ونبدأ أولا بذكر المثلثات اذ كانت هي أول الاشكال الهندسية كما بينا في رسالة جومطريا فنقول :

ان الشكل المثلث هو الذي له ثلاثة أضلاع وثلاث زوايا وهو سبعة أنواع :—

أولها المتساوي الاضلاع الحاد الزوايا مثل هذا والثاني الحاد الزوايا المتساوي الضلعين مثل هذا والثالث الحاد الزوايا المختلف الاضلاع كهذا والرابع المتساوي الضلعين القائم الزاوية مثل هذا والخامس القائم الزاوية المختلف الاضلاع مثل هذا والسادس المنفرج الزاوية المتساوي الضلعين هكذا والسابع المنفرج الزاوية المختلف الاضلاع مثل هذا

﴿ فصل في بيان تلك الخواص ﴾

واعلم يا أخي بأن لكل واحد من هذه المثلثات خاصية ليست للآخر، فقد تبين ذلك في كتاب اوقليدس في المقالة الاولى ببراهينها ولكن نذكر منها الخاصية التي تشتمل على سبعتها كلها .وذلك أن من خاصية كل شكل مثلث أي مثلث كان أنه لابد من ان يكون فيه زاويتان حادتان فاما الزاوية الثالثة فيمكن ان تكون

حادة أو قائمة أو منفرجة

ومن خاصيتها ايضا ان ثلاث زوايا كل مثلث مجموعها مساو لزاويتين قائمتين ومن خاصيتها ايضا ان الضلع الأطول من كل مثلث يوتر الزاوية العظمى ومن خاصيتها ان كل ضلعين مجموعين من كل مثلث أطول من الضلع الثـالث ومن خاصيتها أيضاً انه اذا أخرج ضلع من اضلاعه أي ضلع كان على استقامته فانه يحدث زاوية خارجة من المثلث وتكون هي اكبر من كل زاوية تقابلها ويكون مساويا للداخلتين المقابلتين لها. ومن خاصيتها ايضاً ان ضرب مسقط الحجر من كل مثلث في نصف قاعدتها هو مساحة ذلك المثلث

واما خاصية المثلث القائم الزاوية فهي ان مربع وتر الزاوية القائمة مساو للمربعين الكائنين من الضلعين

ومن خاصيـة المثلث الحاد الزاوية ان مربع الوتر اقل من مربع الضلعين الباقيين بمقدار مربع الضلع الذي وقع عليه العمود فيما بين مسقط العمود والزاوية مرتين

ومن خاصية المثلث المنفرج الزاوية ان مربع الوتر اكثر من مربع الضلعين بمقدار مربع احد الضلعين فيما هو خارج منه الى مسقط العمود مرتين مثل هذا

واما الشكل المربع فهو الذي له اربعة اضلاع واربع زوايا وهو خمسة انواع

اولها المتساوي الاضلاع القائم الزوايا مثل هذا والثاني المستطيل القائم الزوايا المتساوي كل ضلعين متقـابلين مثل هذا الثالث المعين وهو المتساوي الاضلاع المختلف الزوايا مثل هذا والرابع الشبيـه بالمعين وهو المتساوي كل ضلعين متقابلين مثل هذا والخامس المختلف الاضلاع والزوايا مثل هذا

واعلم ياأخي بان لكل واحد من هذه الاشكال خواص يطول شرحها ولكن نذكر الخاصية التي تشملها كلها وهي ان كل مربع اي مربع كان فان زواياه الاربع مجموعة تكون مساوية لاربع زوايا قائمة وان كل مربع يمكن ان ينقسم بمثلثين وان زيد عليه مثلث آخر صار منها شكل مجسم. واما الشكل المخمس فهو الذي يحيط به خمسة اضلاع وله خمس زوايا وهو اول الاشكال الكثيرة الزوايا المتساوي الاضلاع وانه يمكن ان يحيط بكل واحد منها دائرة ،ويمكن ان يحيط هو ايضاً بدائرة وان كل شكل منها الذي هو اكثر زوايا فهو اكثر واوسع مساحة من الذي هو اقل منه اذا كان المحيط بها مقدارا واحدا وان ضرب عمود واحد من تلك المثلثات في نصف قواعدها فهو مساحة ذلك الشكل الكثير الزوايا

ومن خاصية الشكل المسدس المتساوي الاضلاع ان كل ضلع من أضلاعه مساو لنصف قطر الدائرة التي تحيط به وبالجملة مامن شكل الا وله خاصية أو عدة خواص تركنا ذكرها مخافة التطويل فأما خواص الشكل المستدير فقد أفرد لها أوقليدس مقالة من كتابه ولكن نذكر منها طرفا فنقول: ان الشكل المستدير هو سطح يحيط به خط واحد وان مركزه في وسطه وان اقطاره كلها متساوية وانه اوسع من كل شكل كثير الزوايا اذا كان الذي يحيط به سطحاً واحداً وهو يشارك الدائرة في خواصها، ونسبته من سائر الاجسام كنسبة الدائرة من سائر السطوح .وقد تبين خواص هذا الشكل في المقالة الاخيرة من كتاب اوقليدس بشرح وبراهين

وبالجملة انك لو تأملت ياأخي غرض أوقليدس من البيان وعلم ما في سائر كتب الهندسة لوجدت كلها انما هو البحث عن خواص المقادير ومعرفة حقائقها التي هي الخطوط والسطوح والاجسام وما يعرض فيها من الابعاد والزوايا والمناسبات التي بين بعضها وبعض.واذ قد بينا طرفا من خواص الاشكال في هذه الرسالة وقبلها طرفا من خواص العدد في رسالة الارثماطيقي فنريد ان نذكر

طرفا من خواص مجموعهما وذلك انه اذا جمع بين بعض الاعداد وبين بعض الاشكال الهندسية ظهر منها خواص أُخر لا يتبين في كل واحد منهما بمجرده مثال ذلك اذا كتب التسعة الاعداد في الشكل المتسع على هذه الصورة فان خاصيته في الشكل المتسع انه كيفما عد كانت الجملة خمسة عشر مثل هذا

٢	٧	٦
٩	٥	١
٤	٣	٨

وهكذا الستة عشر اذا كتب في الشكل ذى الستة عشر بيتا على هذه الصورة فان من خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة اربعة وثلاثين مثل هذا

٤	١٤	١٥	١
٩	٧	٦	١٢
٥	١١	١٠	٨
١٦	٢	٣	١٣

وهكذا الخمسة والعشرون اذا كتب في الشكل ذي الخمسة والعشرين بيتا على هذه الصورة فان من خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة خمسة وستين مثل هذا

٢١	٣	٤	١٢	٢٥
١٥	١٧	٦	١٩	٨
١٠	١٤	١٣	٢	١٦
١٨	٤٧	٢٠	٩	١١
١	١	٢٢	٢٣	٥

وهكذا الستة والثلاثون اذا كتب في الشكل ذي الستة والثلاثين بيتاً على هذه الصورة فانه من خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة مئة واحد عشر مثل هذا

١١	٢٢	٣٢	٥	٢٣	١٨
٢٥	١٦	٧	٣	١٣	٢٠
٢٧	٦	٣٥	٣٦	٤	٣
١٠	٣١	١	٢	٣٣	٣٤
١٤	١٩	٨	٩	٢٦	١٥
٢٤	١٧	٢٨	٩	١٢	٢١

وهكذا التسعة والاربعون اذا كتب فى الشكل ذي التسعة والاربعين بيتاً على هذه الصورة فان من خاصيته انه كيفما عدكانت الجملة مئة وخمسة وسبعين مثل هذا

٨٤	١١	٨	٩	٦	٤٥	٤٩
٤	٢٧	٢٠	١٧	١٦	٣٥	٤٦
٢	١٨	٢٦	٢١	٣٨	٣٢	٤٨
٤٣	١٩	٢٧	٢٥	٣٣	٣١	٧
٣٨	٣٦	٢٢	٣٩	٢٤	١٤	١٣
٤٠	١٥	٣	٣٣	٣٤	٣	١٠
١	٣٩	٤٣	٣١	٤٤	٥	٣

وهكذا الاربعة والستون اذا كتب فى الشكل ذي الاربعة والستين بيتاعلىهذه الصورة فان من خاصيته انه كيفماعدكانت الجملة مئتين وستين وهذه صورتها

٥٢	٤٤	٤٢	٦٣	١	٢٨	٢٩	٧
٣٥	٥٦	٢٢	٤	٦٣	٣٠	٩	٤٠
٢٣	٢٥	١٢	٦٠	٦	٥٥	٣٦	٤٧
١٤	١٧	٤٧	٣٣	٣١	١٨	٤٨	٥٢
١٦	١٣	٥٠	٣٢	٥٤	١٥	٥١	٤١
٢٠	٢٩	١١	٥	٥٦	٥٣	٤٦	٣٧
٣٨	٥٧	٤٥	٦١	٣	٢٢	١٠	٢٤
٥٨	٢	٢٧	٢	٦٤	٣٩	٤١	٨

وهكذا الاحدوالثمانون اذا كتب في الشكل ذي الاحد والثمانين بيتاً على هذه الصورة فانمن خاصيته انه كيفما عد كانت الجملة ثلاثمئة وتسعة وستين وهذه صورتها

٧٨	٦٥	٦٤	٢٧	١	١٨	١٩	١٧	٨٠
٢٥	٥	٤٧	٤٩	٦٨	٣٩	٤٠	٧٤	٢٢
٤٦	٤٥	٦	٥٠	١٥	٤٤	٧٣	٣٣	٥٧
٣٤	٤٣	٤٨	٧	١٦	٧٢	٣٧	٥٢	٦٠
٦٩	٥٦	٧١	٧٢	٣١	٤١	١٤	١٢	٣
٢٩	٤٢	٣١	١١	٦٦	٧٩	٣٤	٥١	٢٦
٣٢	٣٠	٩	٣٦	٦٧	٢٤	٧٧	٣٥	٥٩
٥٤	٨	٢٣	٥٧	١٣	٢٨	٥٣	٧٥	٥٨
٢	٦١	٦٢	٦٣	٨١	٥٥	٢٠	٢١	٤

وفي التي هي الاساس بالواسطة السفلى لأي حساب كان ثم يمشي على (كتمي) صاعداً سير الخسرو فيقع العدد ما يتلو الواسطة على النظم الطبيعي في الزاوية العليا التي عن (كتمي) ثم يمشي سير الرمك التي تلت الفرس التي هي واسطة للزاويتين اللتين على كرابوي ثم يصعد صعود البيدق الى الزاوية العليا من يسارك فالحساب على النظم الطبيعي ثم منها يسير سير الفرزان بعددين اثنين على النظم الطبيعي الى أن يبلغ الزاوية السفلى على يمينك ثم تدفع دفع البيدق بالعدد الذي يتلو العدد الواقع في الزاوية على النظم الطبيعي الى بيت الفرس الذي هو الزاوية السفلى عن يسارك على النظم الطبيعي ثم تدفع سير الفرس على النظم الطبيعي الى بيت الفرس الذي هو واسطة العليا ومن خاصيتها أن الزوايا كلها أزواج والاوساط كلها أفراد والسير فيه سير الفرس ثم سير البيدق ثم سير الفرزان مرتين ثم سير البيدق مرة ثم سير الفرس مرة أخرى ثم سير الفرس الى الواسطة العليا

وأما منافعها والفائدة منها فقد ذكرنا في رسالة الطلسمات والعزائم طرفاً منها ولكن نذكر منها في هذا الفصل مثالا واحداً ليكون دلالة على صدق ماقلنا . فنقول: ان من خاصية هذا الشكل المتسع ومنفعته تسهيل الولادة اذا كتب على خزفين لم يصبهما الماء وعلقتهما على المرأة التي ضربها الطلق وان اتفق ان يكون القمر في التاسع ومتصلا برب التاسع سهل الولادة أو برب بيته من التاسع وما شاكل ذلك من المتسعات

د	ج	ح
ط	ه	ا
ب	ز	و

وعلى هذا الطريق سلك أصحاب الطلسمات في نصبها وذلك انه مامن شيء من الموجودات الرياضية والطبيعية والالهية الا وله خاصية ليست لشيء آخر ولمجموعاتها خواص ليست لمفرداتها من الاعداد والاشكال والصور والمكان والزمان والعقاقير والطعوم والالوان والروائح والاصوات والكلمات والافعال والحروف والحركات فاذا جمعت بينها على النسب التأليفية ظهرت خواصها وأفعالها

والدليل على صحة ماقلنا أفعال التّرياقات والمراهم والشربات وألحان الموسيقي وتأثيراتها في الاجساد والنفوس جميعا مما لاخفاء به عن كل ذي لب حكيم فيلسوف كما بينا طرفا من ذلك في رسالة الموسيقى

﴿فصل في ثمرة هذا الفن﴾

واعلم بان النظر في علم الهندسة الحسية يعين على الحذق في الصنائع والنظر في الهندسة العقلية ومعرفة خواص العدد والاشكال يعين على فهم كيفية تأثيرات الاشخاص الفلكية وأصوات الموسيقى في نفوس المستمعين والنظر في كيفيات تأثيرات الحس في منفعلاتها يعين على فهم كيفية تأثيرات النفوس المفارقة في النفوس المتجسدة في عالم الكون والفساد وفي علم الهندسة العقلية للناظرين طريق الى الوصول الى معرفتها بعون الله وهدايته

تمت رسالة الجومطريا ويتلوها رسالة في مدخل علم النجوم وهي الثالثة من القسم الاول من الاربعة الاقسام



الرسالة الثالثة

من القسم الرياضي

الموسومة بالاسطرنوميا في علم النجوم وتركيب الافلاك

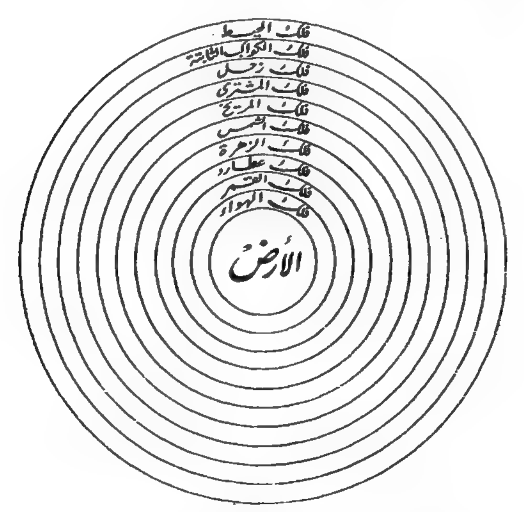
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أما يشركون . اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، انا قد فرغنا من رسالة المدخل الى علم الهندسة وبينا فيها الهندسة الحسية والعقلية واستوفينا الكلام في الخطوط والاشكال والزوايا التي لابد للمهندسين أن يعرفوها ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من علم النجوم مثل مافيها فنقول :

ان علم النجوم ينقسم ثلاثة أقسام قسم منها هو معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وأبعادها وعظمها وحركاتها ومايتبعها من هذا الفن ويسمى هذا القسم «علم الهيئة» ومنها قسم هو معرفة حل الزيجات وعمل التقاويم واستخراج التواريخ وماشا كل ذلك. ومنها قسم هو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر ويسمى هذا النوع «علم الاحكام» فنريد أن نذكر في هذه الرسالة من كل نوع طرفاً شبه المدخل كيما يسهل الطريق على المتعلمين ويقرب تناوله للمبتدئين ، فنقول :

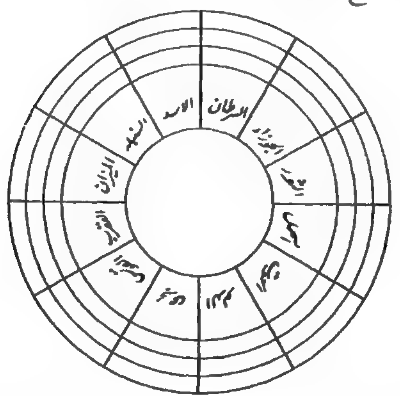
أصل علم النجوم هو معرفة ثلاثة أشياء وهي الكواكب والافلاك والبروج فالكواكب أجسام كريات مستديرات مضيئات وهي الف وتسعة وعشرون كوكباً كباراً التي أدركت بالرصد منها سبعة يقال لها السيارة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، والباقية يقال لها ثابتة ولكل كوكب

من السبعة السيارة فلك يخصه. والافلاك هي أجسام كريات مشفات مجوفات وهي تسعة أفلاك مركبة بعضها في جوف بعض كحلقة البصلة فأدناها الينا فلك القمر وهو محيط بالهواء من جميع الجهات كاحاطة قشرة البيضة ببياضها والارض في جوف الهواء كالمح في بياضها ومن وراء فلك القمر فلك عطارد ومن وراء فلك عطارد فلك الزهرة ومن وراء فلك الزهرة فلك الشمس ومن وراء فلك الشمس فلك المريخ ومن وراء فلك المريخ فلك المشترى ومن وراء فلك المشترى فلك زحل ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب الثابتة ومن وراء فلك الكواكب الثابتة فلك المحيط وهذا مثال ذلك



وذلك ان الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض في كل يوم وليلة دورة

واحدة ويدير سائر الافلاك والكواكب معه كما قال الله عز وجل «وكل في فلك يسبحون» وهذا الفلك المحيط مقسوم باثني عشر قسما كجزر البطيخة كل قسم منها يسمى برجا وهذه اسماؤها : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. فكل برج ثلاثون درجة جملتها ثلثمائة وستون درجة وكل درجة ستون جزءاً ، كل جزء يسمى دقيقة جملتها احد وعشرون الفاً وستمائة دقيقة ، وكل دقيقة ستون جزءاً يسمى ثانية وكل ثانية ستون جزءاً وكل جزء يسمى ثالثة وهكذا الى الروابع والخوامس وما زاد بالغاً ما بلغ، مثال ذلك:



وهذه البروج توصف باوصاف شتى من جهات عدة . وقبل وصفها نحتاج ان نذكر اشياء لابد من ذكرها منها ان الزمان اربعة اقسام وهي: الربيع والصيف والخريف والشتاء . والجهات اربع وهي المشرق والمغرب والجنوب والشمال والاركان اربعة وهي النار والهواء والماء والارض . والطبائع اربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . والاخلاط اربع وهي الصفراء والسوداء والبلغم والدم . والرياح اربع وهي الصبا والدبور والجربياء والتيماء

﴿ فصل في ذكر صفة البروج ﴾

فنقول : منها ستة شمالية وستة جنوبية وستة مستقيمة الطلوع وستة معوجة الطلوع وستة ذكور وستة اناث وستة نهارية وستة ليلية وستة فوق الارض وستة تحت الارض وستة تطلع بالنهار وستة تطلع بالليل وستة صاعدة وستة هابطة وستة يمنة وستة يسرة وستة من حيز الشمس وستة من حيز القمر

تفصيلها : أما الستة الشمالية فهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة واذا كانت الشمس في واحد منها يكون الليل أقصر والنهار أطول . وأما الستة الجنوبية فهي الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت واذا كانت الشمس في واحد منها يكون الليل أطول والنهار أقصر . وأما المستقيمة الطلوع فهي السرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس وكل واحد منها يطلع في أكثر من ساعتين واذا كانت الشمس في واحد منها تكون هابطة من الشمال الى الجنوب ومن الاوج الى الحضيض والليل آخذ من النهار وأما المعوجة الطلوع فهي الجدى والدلو والحوت والحمل والثور والجوزاء وكل واحد منها يطلع فى أقل من ساعتين واذا كانت الشمس في واحد منها تكون صاعدة من الجنوب الى الشمال ومن الحضيض الى الاوج والنهار آخذ من الليل . وأما الستة الذكور النهارية فهي الحمل والجوزاء والاسد والميزان والقوس والدلو . وأما الستة الاناث الليلية فهي الثور والسرطان والسنبلة والعقرب والجدي والحوت . وأما الستة التى تطلع بالنهار فهي من البرج الذي فيه الشمس الى البرج السابع منها . والستة التى تطلع بالليل هي من البرج السابع الى البرج الذي فيه الشمس . وأما الستة التى من حيز الشمس فهي من برج الاسد الى برج الجدي . والستة التى من حيز القمر هي من برج الدلو الى برج السرطان . ومن وجه آخر هذه البروج تنقسم أربعة أقسام منها ثلاثة ربيعية صاعدة في الشمال زائدة النهار على الليل وهي الحمل والثور والجوزاء وثلاثة صيفية هابطة في الشمال آخذة

الليل من النهار وهي السرطان والاسد والسنبلة. منها ثلاثة خريفية هابطة فى الجنوب زائدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب والقوس. ومنها ثلاثة شتوية صاعدة من الجنوب آخذة النهار من الليل وهي الجدى والدلو والحوت

وتنقسم هذه البروج من جهة أخرى أربعة أقسام ثلاثة منها مثلثات ناريات حارات يابسات شرقيات على طبيعة واحدة وهي : الحمل والاسد والقوس ، وثلاثة منها مثلثات ترابيات باردات يابسات جنوبيات على طبيعة واحدة وهي : الثور والسنبلة والجدى ، وثلاثة منها مثلثات هوائيات حارات رطبات غربيات على طبيعة واحدة وهي : الجوزاء والميزان والدلو. ومنها مثلثات مائيات باردات رطبات شماليات على طبيعة واحدة وهي السرطان والعقرب والحوت وكذلك من جهة أخرى تنقسم هذه البروج ثلاثة أثلاث أربعة منها منقلبة الزمان وهي الحمل والسرطان والميزان والجدى وأربعة منها ثابتة الزمان وهي الثور والاسد والعقرب والدلو، وأربعة منها ذوات الجسدين وهي الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت. فقد بان بهذا الوصف فى هذا الشكل ان لو كانت البروج أكثر من اثنى عشر أو أقل من ذلك لما استمرت فيه هذه الانقسام على هذا الوجه الذي ذكرناه فاذا بواجب الحكمة كانت اثنى عشر لأن الباري جل ثناؤه لا يفعل الا الأحكم والأتقن . ومن أجل هذا جعل الافلاك كريات الشكل لأن هذا الشكل أفضل الاشكال وذلك أنه أوسعها وأبعدها من الآفات وأسرعها حركة ومركزه فى وسطه وأقطاره متساوية ويحيط به سطح واحد ولا يماس غيره الا على نقطة ولا يوجد فى شكل غيره هذه الاوصاف. وجعل ايضا حركته مستديرة لأنها أفضل الحركات وهذه البروج الاثنا عشر تنقسم بين هذه الكواكب السبعة السيارة من عدة وجوه ولها فيها أقسام وخطوط من وجوه شتى فمنها البيت والوبال ومنها الاوج والحضيض ومنها الشرف والهبوط ومنها الجوزهر يعنى الرأس والذنب ومنها ربوبية المثلثات ومنها ربوبية الوجوه ومنها ربوبية الحدود ومنها ربوبية النوبهرات

ومنها ربوبية الاثنى عشريات ومنها ربوبية مواضع السهام وغير ذلك وان هذه الـكواكب السيارة كالارواح، والبروج لها كالاجساد

﴿ فصل في ذكر البيوت والوبال ﴾

فنقول : اعلم أن الاسد بيت الشمس والسرطان بيت القمر والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والثور والميزان بيتا الزهرة والحمل والعقرب بيتا المريخ والقوس والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل ولكل واحد من هذه الكواكب الخمسة بيت من حيز الشمس وبيت من حيز القمر ووبال كل كوكب في مقابلة بيته وهذه الكواكب لبعضها في بيوت بعض مواضع مخصوصة فمنها الشرف والهبوط ومنها الاوج والحضيض ومنها الجوزهر، مثال ذلك



تفسير ذلك : فأما الشرف فهو أعز موضع الكواكب فى الفلك والهبوط ضده والاوج أعلى موضع الكواكب فى الفلك والحضيض ضده فشرف الشمس فى الحمل وهو بيت المريخ واوجها فى الجوزاء بيت عطارد وشرف زحل فى الميزان بيت الزهرة واوجه فى القوس بيت المشتري وجوزهره فى السرطان بيت القمر ومعنى الجوزهر تقاطع طريق الكواكب لطريق الشمس بممرها فى البروج في موضعين أحدهما يسمى رأس الجوزهر والآخر ذنب الجوزهر، وذلك أن زحل

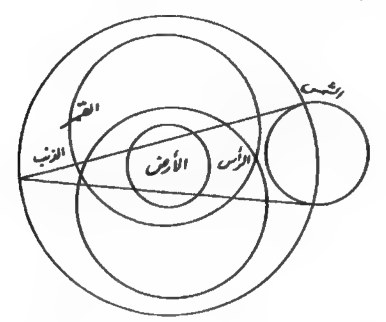
اذا سار فى البروج يكون مسيره في ستة أبراج عن يمنة طريق الشمس ثم يعبر الى الجانب الآخر ويسير ستة أبراج عن يسرة طريق الشمس فيحدث لطريقيهما تقاطع في موضعين أحدهما يسمى الرأس والآخر الذنب وهذا مثاله



ولكل كوكب من الخمسة السيارة جوزهر مثل ما لزحل مذكور ذلك فى الزيجات . وأما المذكور فى التقاويم فهو الذي للقمر . ويقال لهما أيضاً العقدتان وانما اختص ذكرهما فى التقاويم لانهما ينتقلان في البروج والدرج ولهما سير كسير الكواكب ولهما دلالة كدلالة الكوكب

واذا اجتمع الشمس والقمر فى وقت من الاوقات عند أحدهما في برج واحد ودرجة واحدة انكسفت الشمس ولا يكون ذلك الا في آخر الشهر لأن القمر يصير محاذياً لموضع الشمس من البرج والدرجة فيمنع نور الشمس عن أبصارنا فنراها منكسفة مثل ما تمنع قطعة غيم عن أبصارنا نور الشمس اذا مرت محاذية لأبصارنا ولعين الشمس .واذا كانت الشمس عند احدهما وبلغ القمر الى الآخر انكسف القمر ولا يكون كسوف القمر الا فى نصف الشهر لان القمر فى نصف الشهر يكون فى البرج المقابل للبرج الذى فيه الشمس وتكون الارض فى الوسط فتمنع نور الشمس

عن اشراقه على القمر فيرى القمر منكسفا لانه ليس له نور من نفسه وانما يكتسي النور من الشمس ومثال ذلك :



وشرف المشتري في السرطان واوجه في السنبلة ورأس جوزهره في الجوزاء وشرف المريخ في الجدي واوجه في الاسد وجوزهره في الحمل وشرف الزهرة في الحوت واوجها في الجوزاء ورأس جوزهرها في الثور وشرف عطارد في السنبلة واوجه في الميزان وجوزهره في الحمل وشرف القمر في الثور واوجه في البروج متحرك يعرف موضعه ذلك من التقويم والزيج وجملته ان القمر اذا قارن الشمس فهو عند الاوج أو قابلها فهو عند الاوج وفي مقابلة شرف كل كوكب هبوطه من البرج السابع مثله وفي مقابلة الاوج الحضيض مثل ذلك وفي مقابلة شرف راس الجوزهر موضع الذنب من البرج السابع مثله

﴿ فصل في ذكر أرباب المثلثات والوجوه والحدود ﴾

اعلم ان هذه الكواكب السيارة لبعضها في بيوت بعض شركة تسمى «ربوبية المثلثات» ولها فيها أقسام تسمى «الوجوه» ولها فيها خطوط تسمى «الحدود» تفصيل ذلك ان كل ثلاثة ابراج على طبيعة واحدة تسمى المثلثات كما بين من قبل ذلك وتديرها ثلاثة كواكب تسمى أرباب المثلثات يستدل بها على اثلاث أعمار

المواليد. فارباب المثلثات الناريات بالنهار الشمس ثم المشترى وبالليل المشترى ثم الشمس وشريكهما بالليل والنهار زحل وأرباب المثلثات الترابيات بالنهار الزهرة ثم القمر وبالليل القمر ثم الزهرة وشريكهما بالليل والنهار المريخ وأرباب المثلثات الهوائيات بالنهار زحل ثم عطارد وبالليل عطارد ثم زحل وشريكهما بالليل والنهار المشترى وأرباب المثلثات المائيات بالنهار الزهرة ثم المريخ وبالليل المريخ ثم الزهرة وشريكهما بالليل والنهار القمر.

﴿ فصل في ذكر أرباب الوجوه ﴾

اعلم ان كل برج من هذه الابراج ينقسم ثلاثة اثلاث كل ثلث عشر درجات يسمى وجها منسوبا ذلك الى كوكب من السيارة يقال له «رب الوجه» يستدل به على صورة المولود وعلى ظواهر الامور. تفصيل ذلك العشر درجات الاولى من برج الحمل وجه المريخ وعشر درجات الثانية وجه الشمس وعشر درجات الاخيرة وجه الزهرة وعشر درجات من الثور وجه عطارد والعشر الثانية وجه القمر والعشر الاخيرة وجه زحل وعشر درجات من الجوزاء وجه المشترى والعشر الثانية وجه المريخ والعشر الاخيرة وجه الشمس وعلى هذا القياس الى آخر الحوت كل عشر درجات وجه لكوكب واحد على توالى افلاكها كما بينا. فاما ذكر الحدود وأربابها فان كل برج من هذه الابراج ينقسم بخمسة أقسام مختلفة الدرج أقل جزء منها درجتان وأكثرها اثنتا عشرة درجة كل جزء منها يسمى حداً منسوبا ذلك الحد الى كوكب من الخمسة السيارة يقال له «رب الحد» يستدل به على أخلاق المولود وليس للشمس ولا للقمر فيها نصيب وقد صورنا الحساب به دائرة فيها مكتوب حرفان الحرف الأول من اسم صاحب الحد والثاني كمية درج الحد وكذلك حساب الوجوه حرفان اسم صاحب الوجه حرف والثاني كمية درج الوجه وهذه اسماؤها: كيوان (ك) مشترى (م) بهرام (ب) شمس (ش) قمر (ق) زهرة (ز) عطارد (ع)

فأما الأوسع من الدائرة فهو حساب الحدود حرفان حرفان والدائرة الوسطى حساب الوجوه

﴿ فصل في ذكر الكواكب السيارة ﴾

فنقول : اثنان منها نيران وهما الشمس والقمر واثنان منها سعدان وهما المشترى والزهرة واثنان منها نحسان وهما زحل والمريخ وواحد ممتزج وهو عطارد وعقدتان وهما الرأس والذنب

ذكر طبائعها :(الشمس)ذكر حار ناري نهارى سعد (زحل) بارد يابس ذكر نهاري نحس (المشتري) حار رطب ذكر نهارى سعد (المريخ) حار يابس انثى ليلى نحس (الزهرة) باردة رطبة مؤنثة ليلية سعد (عطارد) لطيف ممتزج سعد (القمر) بارد رطب انثى ليلى سعد أسود (الرأس) مثل المشتري (الذنب) مثل زحل

ذكر أنوارها : نور الشمس خمس عشرة درجة أمامها ومثل ذلك خلفها نور زحل والمشتري كل واحد تسع درجات قدامه ومثل ذلك خلفه نور المريخ ثماني درجات أمامه ومثل ذلك خلفه . نور الزهرة وعطارد كل واحد سبع درجات امامه ومثل ذلك خلفه . نور القمر اثنتا عشرة درجة قدامه ومثل ذلك خلفه

ذكر مالها من الايام والليالى : اعلم ان الليل والنهار وساعاتهما مقسومة بين الكواكب السيارة، فأول ساعة من يوم الاحد ومن ليلة الخميس للشمس وأول ساعة من يوم الاثنين ومن ليلة الجمعة للقمر وأول ساعة من يوم الثلاثاء ومن ليلة السبت للمريخ وأول ساعة من الاربعاء وليلة الاحد لعطارد وأول ساعة من يوم الخميس وليلة الاثنين للمشتري وأول ساعة من يوم الجمعة وليلة الثلاثاء للزهرة وأول ساعة من يوم السبت وليلة الاربعاء لزحل . فأما سائر ساعات الليل والنهار فمقسومة بين هذه الكواكب على توالى أفلاكها ، مثال ذلك ان الساعة الثانية من يوم الاحد للزهرة التى فلكها دون فلك الشمس والساعة الثالثة لعطارد الذي فلكه دون فلك الزهرة والساعة الرابعة للقمر الذي فلكه دون فلك عطارد والساعة الخامسة لزحل والساعة السادسة للمشتري والساعة السابعة للمريخ والساعة الثامنة للشمس والتاسعة للزهرة والعاشرة لعطارد والحادية عشرة للقمر والثانية عشرة لزحل وعلى

هذا الحساب سائر ساعات الايام والليالى يبتـدىء من رب السـاعة الاولى على توالي أفلاكها كما بينا

﴿ ذكر ماللـكواكب من الاعداد ﴾

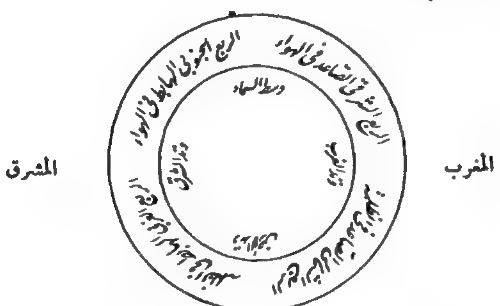
ان هذه الـكواكب السيارة لـكل واحد منها دلالة على اعداد معلومة من السنين والشهور والايام والساعات يستدل بها على كمية أعمار المواليد وعلى طول بقاء الـكائنات في عالم الـكون والفسّاد فنها

	زحل	المشتري	المريخ	الشمس	الزهرة	عطارد	القمر
العظمى	١٦٥	٤٢٩	٢٦٤	١٤٦١	١١٥١	٤٨٦	٥٢٥
الـكبرى	٥١	عط	سو	قط	قب	عو	مح
الوسطى	٤٣	مه	ب م	بط	مب	مح	لط
الصغرى	ح	يب	يه	يب	ح	ك	كه
المدادات	ك	يب	ل	ي	ح	صح	ك
الرأس	ح	الذنب	ب	الجميع	عه		

﴿ ذكر دوران الفلك وقسمة أرباعه ﴾

الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض فيكون في دائم الاوقات نصف الفلك ستة أبراج ماية وثمانين درجة فوق الارض ويسمى يمنة والنصف الآخر ستة أبراج ماية وثمانين درجة تحت الارض يسمى يسرة وكلما طلعت درجة من أفق المشرق غابت نظيرتها في أفق المغرب من البرج السابع منه فيكون في دائم الأوقات ستة أبراج طلوعها بالنهار وستة طلوعها بالليل ويكون في دائم الاوقات درجة في أفق المشرق وأخرى نظيرتها في أفق المغرب ودرجة أخرى فى كبـد السماء ويسمى وتد العاشر وأخرى نظيرتها منحطة تحت الارض تسمى وتدالرابع

فيكون الفلك في دائم الأوقات منقسما بأربعة أرباع كل ربع منها تسعون درجة فمن أفق المشرق الى وتد السماء تسعون درجة يقال لها الربع الشرقي الصاعد في الهواء ومن وتد السماء الى وتد المغرب تسعون درجة يقال لها الربع الجنوبي الهابط ومن وتد المغرب الى وتد الارض تسعون درجة يقال لها الربع الغربي الهابط فى الظلمة ومن وتد الارض الى وتدالمشرق تسعون درجة يقال لها الربع الشمالى الصاعد وهذا مثال ذلك



﴿ ذكر دوران الشمس فى البروج وتغييرات أرباع السنة ﴾

الشمس تدور فى البروج الاثنى عشر في كل ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع دورة واحدة تقيم فى كل برج ثلاثين يوماً وكسرا وفي كل درجة يوما وليلة وكسراً تكون بالنهار فوق الارض وبالليل تحت الارض وتكون فى الصيف فى البروج الشمالية فى الهواء وتقرب من سمت رؤوسنا وتكون في الشتاء فى البروج الجنوبية وتنحط فى الهواء وتبعد من سمت رؤوسنا وفى الاوج ترتفع في الفلك وتبعد من الارض وفى الحضيض تنحط فى الفلك وتقرب من الارض والدائرة الآتية مثاله وصورته :



﴿ ذكر نزول الشمس في أرباع ﴾
﴿ الفلك وتغيرات الازمان ﴾

اذا نزلت الشمس أول دقيقة من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم فذابت الثلوج وسالت الاودية ومدت الأنهار ونبعت العيون ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلألأ الزهر واورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض ونتجت البهائم ودرت الضروع وتكونت الحيوانات وانتشرت على وجه الارض وأخرجت الارض زخرفها وازينت وفرح الناس واستبشروا وصارت الدنيا كأنها جارية شابة تزينت وتجلت للناظرين

﴿ ذكر دخول الصيف ﴾

اذا بلغت الشمس آخر الجوزاء وأول السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وأخذ النهار في النقصان وانصرف الربيع ودخل الصيف واشتد الحر وحمي الهواء وهبت السموم ونقصت المياه ويبس العشب واستحكم الحب وأدرك الحصاد ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الابدان واخصبت الارض وكثر الريف ودرت أخلاف النعم وبطر الانسان وصارت الدنيا كأنها عروس غنية منعمة رعناء ذات جمال

﴿ ذكر دخول الخريف ﴾

واذا بلغت الشمس آخر السنبلة وأول الميزان استوى الليل والنهار مرة أخرى وأخذ الليل في الزيادة على النهار وانصرف الصيف ودخل الخريف وبرد الهواء وهبت ريح الشمال وتغير الزمان وجفت الانهار وغارت العيون واصفر ورق

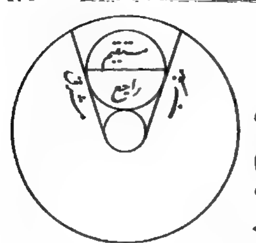
الاشجار وصرمت الثمار وديست البيادر واحرز الحب وفنى العشب واغبر وجه الارض وهزلت البهائم وماتت الهوام وانحجزت الحشرات وانصرف الطير والوحش يطلب البلدان الدفئة وأخذ الناس يحرزون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها كهلة مدبرة قد تولت عنها أيام الشباب

﴿ ذكر دخول الشتاء ﴾

واذا بلغت الشمس آخر القوس وأول الجدى تناهى طول النهار وأخذ الليل في الزيادة وانصرف الخريف ودخل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الاشجار ومات أكثر النبات وانحجرت هوام الحيوانات فى باطن الارض وضعفت قوى الابدان وعرى وجه الارض من زينته ونشأت الغيوم وكثرت الانداء واظلم الهواء وكلح وجه الارض وهرم الزمان ومنع الناس عن التصرف وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت واذا بلغت الشمس آخر الحوت وأول الحمل عاد الزمان كما كان فى العام الاول وهــذا دأبه، ذلك تقدير العزيز العليم

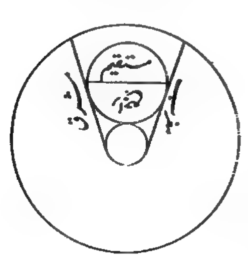
﴿ذكر دوران زحل في البروج وحالاته من الشمس﴾

زحل يدور في البروج الاثنى عشر في كل ثلاثين سنة بالتقريب دورة واحدة يقيم في كل برج سنتين ونصفاً وفى كل درجة شهراً، وفى كل دقيقة اثنتى عشرة ساعة وتقابله الشمس في كل سنة مرة واحدة اذا صارت الشمس في السابع منه وتربعه مرتين مرة يمنة ومرة يسرة وتقارنه فى كل سنة مرة اذا صارت معه في برج واحد ودرجة واحدة ثم تجاوزه الشمس ويظهر زحل بعد عشرين يوما من المشرق بالغدوات قبل طلوع الشمس ويسير زحل من وقت مفارقة الشمس الى ان تقارنه مرة أخرى ثلثمائة واحداً وثمانين يوما من ذلك مائة وثلاثة وعشرون يوما مستقيما مشرقاً ومائة وأربعة وثلاثون يوما راجعاً ومائة وأربعة وعشرون يوما مستقيما مغربا وذلك دأبهما في كل سنة وفيما يلى مثال ذلك



﴿ ذكر دوران المشتري في البروج ﴾
﴿ وحالاته من الشمس ﴾

المشتري يدور في البروج الاثني عشر في اثني عشرة سنة بالتقريب مرة واحدة يقيم في كل برج سنة وفي كل درجتين ونصف شهراً وفي كل خمس دقائق يوما وليلة وتقابله الشمس في كل مرة اذا صارت معه في البرج السابع منه وتربعه مرتين مرة يمنى ومرة يسرى وتقارنه في كل سنة مرة اذا صارت معه في برج واحد ودرجة واحدة ثم تجاوزه الشمس ويظهر المشتري بعد عشرين يومامن المشرق بالغدوات قبل طلوعها ويسير المشتري من وقت مفارقتها الى وقت مقارنتها دفعة أخرى ثلثمائةوتسعةوتسعين يوما من ذلك مائة وأربعة وأربعون يومامستقيامشرقا ومائة واحد عشر يوماراجعاًومائةوأربعةوأربعون يومامستقيامغرباوذلك دأبهاوهذه دائرة مثال ذلك المذكور وصورته



﴿ ذكر دوان المريخ في الفلك ﴾
﴿ وحالاته من الشمس ﴾

المريخ يدور في الفلك في مدة سنتين الا شهراً واحداً بالتقريب يقيم في كل برج خمسة وأربعين يوماً يزيد وينقص ويقيم في كل درجة مقدار يوم وبعض يوم فاذا رجع في البرج اقام فيه ستة أشهر يزيد وينقص وتقابله الشمس في هذه المدة مرة واحدة عند رجوعه من البرج السابع وتربعه مرتين مرة يمنى ومرة يسرى وتقارنه في هذه المدة مرة اذا صارت معه في برج واحد ودرجة واحدة ثم تجاوره الشمس ويسير المريخ تحت شعاع الشمس مقدار شهرين ثم يظهر بالغدوات من

المشرق قبل طلوع الشمس مقدار شهرين ويسير المريخ من وقت مفارقة الشمس له الى أن تقارنه مرة اخرى ٨٥٨ يوماً من ذلك ٣٢٥ يوماً مستقيما مشرقاً و ٨٨ يوماً راجعاً و ٤٥٥ يوما مستقيما مغربا وهذا دأبه ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ ذكر دوران الزهرة فى الفلك ﴾

الزهرة تدور فى البروج مثل دوان الشمس غير أنها تسرع السير تارة فتسبق الشمس وتصير قدامها وتارة تبطىء فى السير فترجع وتصير خلفها فتقارنها مرة وهي راجعة ومرة اخرى وهي مستقيمة فاذا قارنتها وهي راجعة ظهرت بعد خمسة أيام طالعة من المشرق بالغدوات قبل طلوع الشمس وترى ثمانية أشهر تطلع في أواخر الليل فيقال لها مشرقية ثم تسرع فى السير وتلحق بالشمس وتسير تحت شعاعها ثلاثة أشهر لا ترى ثم تظهر بالعشيات فى المغرب بعد غروب الشمس فترى ثمانية أشهر ثم تغيب في أول الليل وتسمى مغربية فمن وقت مقارنتها الشمس وهي مستقيمة الى أن تقارنها مرة أخرى يكون ٤٧٨ يوما ومن ذلك تكون ٤٥ يوما راجعة والباقى مستقيمة وأكثر ماتبعد عن الشمس ٤٨ درجة قدامها ومثل ذلك خلفها وذلك دأبها

﴿ ذكر دوران عطارد فى الفلك ﴾
وحالاته من الشمس

حالات عطارد من الشمس مثل حالات الزهرة منها غير أن عطارد من وقت مفارقة الشمس وهو مستقيم السير الى ان يقارنها مرة أخرى على تلك الحال يكون ١٢٤ يوماً من ذلك ٢٢ يوماً راجعاً والباقى مستقيما وأكثر مايبعد من الشمس ٢٧ درجة قدامها ومثل ذلك خلفها ويرجع فى كل سنة ثلاث مرات ويحترق ست مرات ويشرق ثلاث مرات ويغرب ثلاث مرات وذلك دأبه

﴿ ذكر دوران القمر فى الفلك وحالاته من الشمس ﴾

القمر يدور فى البروج فى كل سنة عربية اثنتى عشرة مرة فى كل شهر مرة ويقيم

فى كل برج يومين وثلثاً وفى كل منزل يوماً وليلة وفي كل درجة ساعتين بالتقريب ويقابل الشمس في كل شهر مرة ويربعها مرتين مرة يمنة ومرة يسرة ويقارنها في كل شهر مرة فلا يرى يومين ثم يظهر فى المغرب بعد مغيب الشمس ويهل ثم يزيد فى نوره كل ليلة نصف سبع الى ان يستكمل ويمتلىء من النور ليلة البدر الرابع عشر من كل شهر ثم يأخذ فى النقصان فينقص كل ليلة نصف السبع الى ان يمحق فى آخر الشهر وللقمر فى البروج ثمانية وعشرون منزلة كما قال الله تعالى «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» وفى كل ثلاثة أبراج منها سبعة منازل وفى كل برج منزلتان وثلث وهذه أسماؤها :السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع .وهذه منازل الربيع :النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك. وهذه منازل الصيف الغفر الزبانيان الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة وهذه منازل الخريف: سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرع المقدم الفرع المؤخر بطن الحوت . وهذه منازل الشتاء :الحمل بيت المريخ وشرف الشمس وهبوط زحل ووبال الزهرة وهو برج ناري شرقي ذكر منقلب طبيعته المرة الصفراء ربيعي اذا نزلت الشمس أول دقيقة منه استوى الليل والنهار وأخذ النهار يزيد والليل ينقص ثلاثة أشهر تسعين يوماً وله ثلاثة أوجه وخمسة حدود (الثور) بيت الزهرة وشرف القمر ووبال المريخ وهو برج ترابي ليلي جنوبي ثابت ربيعي وطبيعته المرة السوداء وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الجوزاء) وشرف الرأس وهبوط الذنب ووبال المشترى وهو برج هوائي ذكر نهاري غربي ربيعي دموي ذو جسدين وفي آخره ينتهي طول النهار وقصر الليل وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود والسرطان بيت القمر وشرف المشتري وهبوط المريخ ووبال زحل وهو برج مائي انثى ليلي شمالى منقلب صيفي بلغمي وفى أوله يبتدىء الليل بالزيادة والنهار فى النقصان تسعون يوماً وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الاسد) بيت الشمس وليس فيه شرف ولا هبوط وهو وبال زحل وهو برج ناري ذكر نهاري شرقى ثابت صيفي طبيعته مرة صفراء وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (السنبلة) بيت عطارد وشرفه وهبوط الزهرة ووبال المشترى وهو برج ترابي

ليلي انثى جنوبي صيفي ذوجسدين طبيعته السوداء وفي آخره يستوي الليل والنهار مرة أخرى وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الميزان) بيت الزهرة وشرف زحل وهبوط الشمس ووبال المريخ وهو برج ذكر هوائي نهاري غربي منقلب خريفي دموي وفي أوله يبتدىء الليل بالزيادة على النهار ثلاثة أشهر تسعون يوماً وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (العقرب) بيت المريخ وهبوط القمر ووبال الزهرة وهو برج مائي ليلي انثى خريفي شمالي بلغمي وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (القوس) بيت المشتري وشرف الذنب وهبوط الرأس ووبال عطارد وهو برج ناري ذكر نهاري ذو جسدين خريفي طبيعته المرة الصفراء وفي أخره ينتهي طول الليل وقصر النهار وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الجدى) بيت زحل وشرف المريخ وهبوط المشتري ووبال القمر وهو برج ترابي ليلي منقلب طبيعته السوداء شتوي جنوبي وفي أوله يأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان ثلاثة أشهر وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الدلو) بيت زحل وليس فيه شرف ولا هبوط بل هو وبال الشمس وهو برج هوائي ذكر ناري غربي ثابت شتوي دموي وله ثلاثة وجوه وخمسة حدود (الحوت) بيت المشتري وشرف الزهرة وهبوط عطارد ووباله وهو برج مائي انثى ليلي شمالي بلغمي وفي آخره يستوي الليل والنهار ثم تنزل الشمس أول الحمل ويستأنف الزمان مثل ما كان في العام الاول ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل في قران الكواكب ﴾

وهذه الكواكب السيارة تسير في هذه البروج الاثني عشر بحركاتها المختلفة كما بينا فربما اجتمع منها اثنان في برج واحد وثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو كلها واذا اجتمع منها اثنان في درجة واحدة من البرج يقال انهما مقترنان واما في أكثر الاوقات فانها تكون متفرقة في البروج فيعرف مواضعها في البروج والدرج كيف كانت متفرقة أو مجتمعة من التقويم أو الزيج

﴿ ذكر البيوت الاثنى عشر ﴾

اذا ولد مولود أو حدث أمر من الامور فلابد من ان تكون في تلك اللحظة درجة طالعة من أفق المشرق فمن تلك الدرجة الى تمام ثلاثين درجة فما يتلوها يسمى طالع بيت الحياة سواء كانت تلك الدرج من برج واحد أومن برجين ومن تمام ثلاثين درجة الى تمام ستين درجة يسمى الثانى بيت المال والى تمام تسعين درجة يسمى الثالث بيت الاخوة والى تمام مائة وعشرين درجة يسمى الرابع بيت الآباء والى تمام مائة وخمسين درجة يسمى الخامس بيت الاولاد والى تمام مائة وثمانين درجة يسمى السادس بيت الامراض والى تمام مائتين وعشر درجات يسمى السابع بيت الازواج والى تمام مائتين وأربعين درجة يسمى الثامن بيت الموت والى مائتين وسبعين درجة يسمى التاسع بيت الاسفار والى تمام ثلثمائة درجة يسمى العاشر بيت السرطان والى ثلثمائة وثلاثين درجة يسمى الحادى عشر بيت الرجاء والى تمام ثلثمائة وستين درجة يسمى الثانى عشر بيت الاعداد وكل بيت من هذه البيوت يدل على أشياء كثيرة تركنا ذكرها لانها مذكورة في كتب الاحكام بشرحها

﴿ فصل في تجرد النفس واشتياقها الى عالم الافلاك ﴾

اعلم ايها الاخ البار الرحيم ايدك الله وايانا بروح منه ان العاقل الفهم اذا نظر في علم النجوم وفكر في سعة هذه الافلاك وسرعة دورانها وعظم هذه الكواكب وعجيب حركاتها وأقسام هذه البروج وغرائب أوصافها كما وصفنا قبل تشوقت نفسه الى الصعود الى الفلك والنظر الى ماهناك معاينة ولكن لايمكن الصعود الى ماهناك بهذا الجسد الثقيل الكثيف بل النفس اذا فارقت هذه الجثة ولم يعقها شيء من سوء أفعالها أوفساد آرائها وتراكم جهالاتها أورداءة أخلاقها فهى هناك في أقل من طرفة عين بلا زمان لان كونها حيث همتها ومحبوبها كما تكون نفس العاشق حيث معشوقه فاذا كان عشقها هو الكون مع هذا الجسد ومعشوقها

هذه اللذات المحسوسة المحرقة الجرمانية وشهواتها هـذه الزينة الجسمانية فهي لاتبرح من هاهنا ولا تشتاق الصعود الى عالم الافلاك ولا تفتح لها أبواب السموات ولا تدخل الجنة مع زمر الملائكة بل تبقى تحت فلك القمر سائحة في قعر هـذه الاجسام المستحيلة المتضادة تارة من الكون الى الفساد وتارة من الفساد الى الكون كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب لابثين فيها أحقابا مادامت السموات والارض لايذوقون فيها برد عالم الارواح الذي هو الروح والريحان ولا يجدون لذة شراب الجنان المذكور في القرآن. ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ، الظالمين لا نفسهم الكافرين لحقائق الاشياء ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الجنة في السماء والنار في الارض

ويحكى في الحكمة القديمة أنه من قدر على خلع جسده ورفض حواسه وتسكين وساوسه وصعد الى الفلك جوزي هنالك بأحسن الجزاء ويقال أن بطليموس كان يعشق علم النجوم وجعل علم الهندسة سلما صعد به الى الفلك فمسح الافلاك وأبعادها والكواكب وأعظامها ثم دونه في المجسطي وانما كان ذلك الصعود بالنفس لا بالجسد وهكذا

ويحكى عن هرمس المثلث بالحكمة وهو ادريس النبي عليه السلام انه صعد الى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد جميع أحوال الفلك ثم نزل الى الارض فخبر الناس بعلم النجوم قال الله تعالى ورفعناه مكاناً علياً

وقال ارسطاطاليس في كتاب الثالوجياشبه الرمزاني ربما خلوت بنفسي وخلعت بدني وصرت كأني جوهر مجرد بلا بدن فأكون داخلا في ذاتي خارجاً عن جميع الأشياء فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء ما أبقى له متعجباً باهتاً فأعلم اني جزؤ من أجزاء العالم الأعلى الفاضل الشريف

وقال فيثاغورس في الوصية الذهبية اذا فعلت ما قلت لك ياديوجانس وفارقت

هذا البدن حتى تصير نحلا في الجو فتكون حينئذ سانحاً غير عائد الى الانسانية ولا قابل للموت

وقال المسيح عليه السلام للحواريين في وصية له : اذا فارقت هذا الهيكل فأنا واقف فى الهواء عن يمنة عرش ربى وأنا معكم حيثما ذهبتم فلا تخالفونى حتى تكونوا معي في ملكوت السماء غداً

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في خطبة له طويلة أنا واقف لكم على الصراط وانكم ستردون على الحوض غداً فأقربكم مني منزلا يوم القيامة من خرج من الدنيا على هيئة ما تركته الا لا تغيروا بعدي ألا لا تبدلوا بعدي فهذه الحكايات والاخبار كلها دليل على بقاء النفس بعد مفارقة الجسد وان الانسان العاقل اذا استبصرت نفسه في هذه الدنيا وصفت من درن الشهوات والمآثم وزهدت في الكون هاهنا فانها عند مفارقة الجسد لا يعوقها شيء عن الصعود الى السماء ودخول الجنة والكون هناك مع الملائكة وفي مثل هذه النفوس قيل بالعربية

شعر

وما كان الا كوكباً كان بيننا فودعنا جادت معاهده دهم
رأى المسكن العلوى اولى بمثله فقاز وأضحى بين أشكاله نجم

(وقيل بالفارسية بيت)

خواهي تامرك نيا بدترا خواهي كزمرك بهابى أمان
زير زمين خيره نهتى بجوى بس بفلك برشوبي نرد بان

وقيل أيضاً

خنك اين افتاب وزهره وماه كه نباشند جاودانه تباه
همه بريك نهاد خويش دوند كه نكردند هركزا زيك راه
راست كوئي ستاركان ملك اند جشمه افتاب شاهنشاه
نه بخوانيد ناشه مشغول بابتديين كين وحرب وسياه

دوستا نند بيش رويارويي يك بديكر همي كنندنكاه

فمن بلغ رتبة نفسه هذه المرتبة كما ذكرت من قبل صار بهذه المنزلة الا ان في هذه السموات جنة لكنها محفوفة بالمكاره (قال)الله عز وجل (اخواناً على سرر متقابلين) وانما ذكرنا هذه المعاني في هذه الرسالة لأن أكثر أهل زماننا الناظرين في علم النجوم شاكون في أمر الآخرة متحيرون في أحكام أمر الدين جاهلون بأسرار النبوات منكرون البعث والحساب فدللناهم على صحة أمور الدين من صناعتهم واحتججنا عليهم من علمهم ليكون أقرب من فهمهم وأوضح لتبيانهم

﴿ فصل ﴾

(في علة انحصار الافلاك والبروج والكواكب في عدد مخصوص)

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن علة كون الافلاك تسع طبقات والبروج اثنى عشر والكواكب السيارة سبعة ومنازل القمر ثمانية وعشرين واقتصارها على هذه الاعداد فيه حكمة جليلة لايبلغ فهم البشر كنه معرفتها ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون تنبيهاً لنفوس المتعلمين المرتاضين بالنظر في خواص العدد ومطابقة الموجودات لخواص العدد وطبيعته على رأي الحكماء الفيثاغوريين وذلك أن هؤلاء الحكماء لما نظروا في طبيعة العدد وجدوا لكل عدد خاصية ليست لغيره ثم تأملوا أحوال الموجودات فوجدوا كل نوع منها قد اقتصر على عدد مخصوص لا أقل ولا أكثر ثم بحثوا عن طبيعة ذلك الموجود وخاصية ذلك العدد فكانا مطابقين واستبان لهم اتقان الحكمة الآلهية فيها فمن أجل هذا قالوا ان الموجودات بحسب طبيعة العدد وخواصه فمن عرف طبيعة العدد وأنواعه وخواص تلك الانواع تبين له اتقان الحكمة وكون الموجودات على أعداد مخصوصة فكون الكواكب السيارة سبعة مطابق لأول عدد كامل وكون الافلاك تسعة مطابق لأول عدد فرد مجذور وكون البروج اثنى عشر مطابق لأول عدد زائد وكون المنازل ثمانية وعشرين مطابق لعدد تام. ولما كانت السبعة مجموعة من ثلاثة وأربعة وكان الاثنا عشر من ضرب ثلاثة في أربعة وثمانية

وعشرون من ضرب سبعة في أربعة فبواجب الحكمة صارت مقصورة على هذه الاعداد وكانت السبعة والاثنا عشر والتسعة مجموعها ثمانية وعشرون عدداً لتكون الموجودات الفاضلة مطابقة للأعداد الفاضلة

﴿ فصل ﴾

(في حكمة اختلاف خواص الكواكب)

وأما الحكمة في كون الكواكب السبعة السيارة اثنان منها نيران واثنان منها سعدان واثنان نحسان وواحد ممتزج وكون البروج الاثني عشر أربعة منها منقلبة وأربعة ثابتة وأربعة ذوات جسدين وكون العقدتين في خللها فالحكمة في ذلك أكثر مما يحصى ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقي وذلك ان الباري سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل حال الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس. فمن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الاجسام واعراضها وحالاتها ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفس. ومن الموجودات الظاهرة الجلية للحواس أيضا أمور الدنيا. ومن الموجودات الباطنة الخفية عن أكثر العقول أمور الآخرة ثم جعل ما كان منها ظاهراً جلياً دليلا على الباطن الخفي فمن ذلك النيران الشمس والقمر فان أحدهما الذي هو القمر دليل على أمور الدنيا وحالات أهلها من الزيادة والنقصان والتغيير والمحاق. والاخرى التي هي الشمس دليل على أمور الآخرة وحالات أهلها من التمام والكمال والنور والاشراق

ومن ذلك حال السعدين المشترى والزهرة فان أحدهما دليل على سعادة أبناء الدنيا وهي الزهرة وذلك أنها اذا استولت على المواليد دلت لهم على نعيم الدنيا من الأكل والشرب والنكاح والميلاد. ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهو من السعداء فيها. وأما المشترى فهو دليل على سعادة أبناء الآخرة وذلك انه اذا استولى على المواليد دل لهم على صلاح الاخلاق وصحة الدين وصدق الورع ومحض التقى. ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهو من السعداء في الآخرة

ومن ذلك أيضا النحسان: زحل والمريخ فان أحدهما دليل على منحسة أبناء

الدنيا وهو زحل وذلك انه اذا استولى على المواليد دل ذلك على الشقاء والبؤس والفقر والمرض والعسر في الامور ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهو من الاشقياء فيها. واما المريخ فانه دليل على منحسة أبناء الآخرة وذلك أنه اذا استولى على المواليد دل لهم على الشرور من الفسق والفجور والقتل والسرقة والفساد في الارض ومن كانت هذه حاله في الدنيا فهو من الاشقياء في الآخرة . واما من استولى على مولده المشترى والزهرة فسعادتهما دلالة على السعادة في الدنيا والآخرة ومن استولى على مولده زحل والمريخ فنحوستهما دلالة على منحسة الدنيا والآخرة. واما امتزاج عطارد بالسعادة والنحوسة فهو دليل على أمور الدنيا والآخرة وتعلق احداهما بالاخرى. وأما كون البروج المنقلبة وحالاتها تدل على تقلب أحوال أبناء الدنيا. والبروج الثوابت تدل على ثبات أحوال أبناء الآخرة والبروج ذوات الجسدين تدل على تعلق أمور الدنيا والآخرة أحدهما بالآخر

وقد قيل ان طالع الدنيا السرطان وهو برج منقلب وأوتاده مثله وأما العقدتان اللتان تسمى احداهما رأس التنين والأخرى الذنب فليسا بكوكبين ولا جسمين ولكنهما أمران خفيان كما بينا قبل ولهما حركات فى البرج كحركات الكواكب، ولهما دلالة على الكائنات كدلالة الكواكب النحوس وهما خفيا الذات ظاهرا الافعال لخفاء ذاتيهما وظهور أفعالهما يدل على ان في العالم نفوساً أفعالها ظاهرة وذواتها خفية يسمون الروحانيين وهم أجناس الملائكة وقبائل الجن وأحزاب الشياطين، فأجناس الملائكة هي نفوس خيرة موكلة بحفظ العالم وصلاح الخليقة وقد كانت متجسدة قبل وقتاً من الزمان فتهذبت واستبصرت وفارقت أجسادها واستقلت بذاتها وفازت ونجت وساحت في فضاء الأفلاك وسعة السموات فهى مغتبطة فرحانة مسرورة ملتذة مادامت السموات والارض. وأما عفاريت الجن ومردة الشياطين فهى نفوس شريرة مفسدة وقد كانت متجسدة قبل وقتاً من الزمان ففارقت أجسادها غير مستبصرة ولا متهذبة فبقيت عمياً عن رؤية الحقائق صما عن استماع الصواب بكما عن النطق الفكري في المعانى اللطيفة

فهي سابحة فى ظلمات بحر الهيولى غائصة في قعر من الأجسام المظلمة ذي ثلاثة شعب تهوي في هاوية البرزخ كلما نضجت جلودهم بالبلاء بدلناهم جلوداً غيرها بالكون فذلك دأبهم مادامت السموات والأرض لابثين فيها أحقاباً لايجدون برد نسيم عالم الأرواح ولايذوقون لذة شراب المعارف فهذه حالهم الى يوم يبعثون.
وأما الظاهر من تأثيرات الرأس والذنب فهو كسوف النيرين وذلك انهما من أوكد الأسباب في كسوفهما وانما اقتضت الحكمة كسوف النيرين لكيما تزول التهمة والريبة من قلوب المرتابين بأنهما إلهان فلو كانا إلهين ما انكسفا وانما صارت محنة الشخصين النيرين الجليلين بأمرين خفيين ليكون دليلا على ان أعظم المحنة من الشيطان على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين لأن الأنبياء هم شموس بنى آدم وأقمارهم فمن ذلك قصة ابليس مع آدم أبي البشر واخراجه له من الجنة وقصة ركوبه مع نوح في السفينة وقصته مع ابراهيم خليل الرحمن يوم طرح في النار فى اصلاح المنجنيق وقصته مع موسى عليه السلام حين وسوس اليه ان هذا الكلام الذي تسمع لعله ليس كلام رب العالمين فعند ذلك قال موسى رب أرني أنظر اليك قال لن تراني. وقصته مع المسيح وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء معروفة يطول شرحها. وانما ذكرنا هذه الأحرف في هذه الرسالة لأن أكثر أهل زماننا الناظرين في علم النجوم شاكون فى أمر الآخرة متحيرون فى أحكام الدين جاهلون بأسرار النبوات منكرون للحساب والبعث فدللناهم على تحقيق ما أنكروه من صناعتهم ليكون أقرب من فهمهم وأوضح لبيانهم وكذلك فعلنا فى سائر رسائلنا التى عملناها فى فنون العلوم

﴿ فصل فى علم أحكام النجوم ﴾

وإذ قد ذكرنا طرفاً من علم الهيئة وتركيب الافلاك شبه المدخل والمقدمات فنريد أن نذكر أيضاً طرفاً من علم « الأحكام » الذي يعرف بالاستدلال:

اعلم يا أخى، أيدك الله وإيانا بروح منه، ان العلماء مختلفون فى تصحيح علم

الأحكام وحقيقته فمنهم من يرى ويعتقد ان للأشخاص الفلكية دلالات على الكائنات فى هذا العالم قبل كونها ومنهم من يرى ويعتقد ان لها أفعالا وتأثيرات أيضاً مع دلالاتها ، ومنهم من يرى ويعتقد أن ليس لها أفعال ولا تأثيرات ولا دلالات البتة بل ترى ان حكمها حكم الجمادات والموات بزعمهم فأما الذين قالوا ان لها دلالات فهم أصحاب الأحكام وانما عرفوا دلالاتها بكثرة العناية بالارصاد لحركاتها وتأثيراتها والنظر فيها واعتبار أحوالها وشدة البحث عنها والناس لتصاريف أمورها على مر الأيام والشهور والأعوام أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن كلما أدركوا شيئاً منها أثبتوه فى الكتب كما ذكروها فى كتبهم بشرح طويل وأما الذين أنكروا ذلك فهم طائفة من أهل الجدل تركوا النظر فى هذا العلم وأعرضوا عن اعتبار أحوال الفلك وأشخاصه وحركاته ودورانه وأغفلوا البحث عنها والتأمل لتصاريف أمورها فجهلوا ذلك وأنكروه وعادوا أهلها وناصبوهم العداوة والبغضاء وأما الذين ذكروا أن لها مع دلالاتها أفعالا وتأثيرات فى الكائنات التى تحت فلك القمر فانما عرفوا ذلك بطريق آخر غير طريق أصحاب الاحكام وبحث أشد من بحثهم واعتبار أكثر من اعتبارهم وهو طريق الفلسفة الروحانية والعلوم النفسانية وتأييد إلهي وعناية ربانية ونريد أن نذكر من هذا الفن طرفاً ليكون ارشاداً للمحبين للفلسفة والراغبين فيها ودلالة لهم عليها ورغبة فيها أعني علم الفلسفة

فاعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سمواته خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته وهم خلفاء الله في أفلاكه كما ان ملوك الارض هم خلفاء الله في أرضه، خلفهم وملكهم بلاده وولاهم على عباده ليعمروا بلاده ويسوسوا عباده ويحفظوا شرائع أنبيائه بانفاذ أحكامهم على عباده، وحفظ نظامهم على أحسن حالات مايتأتي فيهم وأتم غايات مايمكنهم من البلوغ اليها وأفضل نهايات مايصلون اليها اما في الدنيا واما في الآخرة .

فعلى هذا المثال والقياس تجري أحكام هذه الكواكب في هذه الكائنات التى تحت فلك القمر ولها أفعال لطيفة وتأثيرات خفية تدق على أكثر الناس معرفتها وكيفيتها كما تدق على الصبيان والجهال معرفة كيفية سياسة الملوك وتدبيرهم في رعيتهم وانما يعرف ذلك منها العقلاء والبالغون المتأملون للامور فهكذا أيضاً لا يعرف كيفية تأثيرات هذه الكواكب وأفعالها في هذه الكائنات الا الراسخون في العلوم من الحكماء والفلاسفة البالغون في المعارف الربانية الناظرون في العلوم الالهية المؤيدون من السماء بتأييد الله والهامه لهم

﴿ فصل ﴾

(في كيفية وصول قوى أشخاص العالم العلوي الى أشخاص العالم السفلى)

« الذي هو عالم الكون والفساد »

اعلم أيدك الله وايانا بروح منه ان معنى قول الحكماء «العالم» انما هو اشارة الي جميع الاجسام الموجودة وما يتعلق بها من الصفات وهو عالم واحد كمدينة واحدة أو حيوان واحد ولكن لما كانت الاجسام كلها تنقسم قسمين حسب فمنها عالم الافلاك ومنها عالم الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ويسمى عالم الكون والفساد فنقول: ان أول حد عالم الافلاك هو من أعلى سطح الفلك المحيط الى منتهى مقعر سطح فلك الاثير وهو فلك القمر ثم مما يلى الهواء، وحد عالم الاركان هو من مقعر سطح فلك القمر الى منتهى الارض ويسمى احدهما العالم العلوي والآخر العالم السفلى لان العلوي هو مما يلى المحيط والسفلى مما يلى المركز واما الذي فوق الفلك فهو رتبة النفس الكلية التى هي سارية قواها فى جميع الاجسام التى في العالمين جميعا من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض باذن الباري جل ثناؤه

واعلم يا أخي ان أول قوة تسرى من النفس الكلية نحو العالم فهى فى الاشخاص الفاضلة النيرة التى هى الكواكب الثابتة ثم بعد ذلك في الكواكب السيارة

ثم بعد ذلك فيما دونها من الاركان الاربعة وفي الاشخاص الكائنة منها من المعادن والنبات والحيوان

واعلم بان مثال سريان قوى النفس الكلية في الاجسام الكلية والجزئية جميعاً كمثال سريان نور الشمس والكواكب في الهواء ومطارح شعاعاتها نحو مركز الارض

واعلم يا أخي بان الكواكب السيارة ترتقي تارة بحركاتها الى أعلى ذرى أفلاكها واوجاتها وتقرب من تلك الاشخاص الفاضلة التي تسمى الكواكب الثابتة وتستمد منها النور والفيض والقوى وتارة تنحط الى الحضيض وتقرب من عالم الكون والفساد وتوصل تلك الفيضات والقوى الى هذه الاشخاص السفلية فتسري فيها كما تسري قوة النفس الحيوانية في الدماغ، ثم بتوسط الاعصاب تصل الى سائر اطراف البدن كما بينا كيفيتها في رسالة الحاس والمحسوس فاذا وصلت تلك القوى والفيضات مع شعاعاتها الى هذا العالم فانها تسري أولا في الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ثم يكون ذلك سببا لكون الكائنات التي هي المعادن والنبات والحيوان ويكون اختلاف أجناسها وأنواعها بحسب اختلاف أشكال الفلك واختلاف الاماكن واختلاف الازمان لا يعلم أحد كثرتها وفنون أشخاصها وتفاوت أوصافها الا الله جل ثناؤه الذي هو خالقها وبارئها ومنشئها ومصورها كيف شاء

﴿ فصل في بيان كيفية سعادات الكائنات ومناحسها ﴾

اعلم ان الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق والكواكب أيضاً هكذا دائمة وان الحركات على توالي البروج كما هو بين في الزيجات والتقاويم وهكذا أيضاً الكائنات دائمة في الكون والفساد متصلة لا تنقطع ليلا ولا نهارا ولا شتاء ولا صيفاً ولكن اذا اتفق في وقت من الزمان ان تكون الكواكب السيارة في أوجاتها أو اشرافها أو بيوتها

أو حـدودها أو يكون بعضها من بعض على النسبة الفضلى التى تسمى النسبة الموسيقية وهى النصف والثلث والربع والثمن سرت تلك القوى عند ذلك من النفس الكلية ووصلت بتوسط تلك الكواكب الى هذا العالم السفلى الذي هو دون فلك القمر وحدث بذلك السبب الكائنات على أعدل مزاج وأصح طبائع وأجود نظام ونشأت ونمت وتمت وكملت وبلغت الى أقصى مدى غاياتها وتمام نهاياتها التى هى قاصدة نحوها وتسمى تلك الاحوال والاوصاف وما يتكون عنها سعادة وخيرات واذا اتفق أن يكون شكل الفلك ومواضع الكواكب على ضد ذلك كان أمر الكائنات بالضد أيضا وتناقصت من بلوغ غاياتها وتمام نهاياتها وسميت تلك مناحس الفلك وسبب الشرور ولا يكون ذلك بالقصد الاول ولكن بأسباب عارضة كما بينا في رسالة الآراء والمذاهب في باب علل الشرور وأسبابها فاعرفها من هناك ان شاء الله وحده

﴿ فصل في علة اختلاف تأثيرات الكواكب ﴾

« في الكائنات الفاسدات التي دون فلك القمر »

اعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان اشراق الكواكب على الهواء ومطارح شعاعاتها على مركز الارض على سنن واحد ولكن قبول القابلات لها ليس بواحد بل مختلف بحسب اختلاف جواهرها

مثال ذلك أن الشمس اذا أشرقت من الافق أضاءت الهواء من نورها وسخن وجه الارض من انعكاس شعاعاتها كما بينا في رسالة الآثار العلوية وجف الطين وذاب الثلج ولان الشمع ونضج الثمر ونتن اللحم وابيضت ثياب القصارين واسودت وجوههم وانعكس الشعاع من السطوح الصقيلة الوجوه كوجه المرايا وسرى الضوء في الاجسام الشفافة كالزجاج والبلور والمياه الصافية وقويت أبصار أكثر الحيوانات وضعفت أبصار بعضها كالبوم والخفافيش وبنات وردان وما شاكلها من الحيوانات فيكون اختلاف تلك التأثيرات منها في هذه الاشياء بحسب اختلاف جواهرها وتركيبها ومزاجها وقبولها والا فالاشراق واحد . وعلى هذا

المثال اختلاف قبولها لتأثيرات سائر الكواكب فى المواليد وتحاويل السنين

ومثال آخر اذا اتفق للفلك شكل محمود من سعادة أحوال الكواكب في وقت من أوقات الازمان ويولد فى ذلك الوقت عدة مواليد من أجناس الحيوانات ومواليد الناس ولكن يكون بعضهم من أولاد الملوك والرؤساء وبعضهم من أولاد التجار والدهاقين وأرباب النعم وبعضهم من أولاد الفقراء والمساكين والمكدين فلا يكون قبولهم لسعادة الفلك على سنن واحد بل كل واحد منهم بحسب مرتبته وذلك ان أولاد المكدين اذا حسنت أحوالهم من السعادة فهو ان يبلغوا مرتبة أولاد التجار وأرباب النعم وأوساط الناس واذا حسن أولاد التجار فهو ان يبلغوا مرتبة أولاد الملوك وأولاد الملوك اذا قبلوا سعادة الفلك ارتقوا وبلغوا سرير الملك والسلطان وان نحسوا قصر بهم عن ذلك وكذلك كل واحد من اولئك الذين تقدم ذكرهم ينحط من درجة الى مادونها في المرتبة

ومثال آخر أنه اذا اتفق عدة مواليد في طالع واحد ووقت واحد في بلدان مختلفة وشكل الفلك يدل علي ان يكونوا شعراء خطباء غير ان بعضهم في بلاد العرب وبعضهم فى بلاد النبط وبعضهم في بلاد الارمن فقبولهم يختلف لأن العربي أسرع قبولا لخاصية بلده والنبطي دون ذلك والارمني دونه وعلى هذا المثال والقياس تختلف تأثيرات الكواكب في الكائنات وقد ذكرت علل ذلك في كتب الاحكام بشرح طويل فاعرفه من هناك

واعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن لهذه الكواكب السيارة في أفلاكها المختصة بها حالات مختلفة

فمن ذلك السرعة فى السير والابطاء في الحركة والوقوف والاستقامة والرجوع والارتفاع فى الاوجات والانحطاط الى الحضيض والكون فى الميل والذهاب فى العرض والبلوغ الى الجوزهر وما يشاكل ذلك من الاوصاف المختلفة ولها إيضاً فى هذه البروج أقسام وانصبة كالبيوت والوبال والشرف والهبوط والمثلثات والحدود والنوبهرات وماشاكل ذلك ولها أيضاً مناظرات بعضها الى

بعض واتصالات ومقارنات وانصرافات واحترافات وتشريق وتغريب والكون في الاوتاد أو مايليها أو الزوال عنها وماشا كل هذه الاوصاف المذكورة فى كتب الاحكام بشرح طويل وقد ذكرنا طرفاً من هذه الاوصاف فيما تقدم من هذه الرسالة .

واعلم ياأخي ان هذه الكواكب السيارة تسير فى موازاة هذه البروج بحركاتها المختلفة فربما اجتمع اثنان منها فى برج واحد أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو كلها وذلك فى الندرة فى الازمان الطوال واما فى أكثر الاوقات فتكون متفرقة فى البروج ودرجاتها ويعرف مواضعها من البروج والدرج والدقائق من التقاويم والزيجات فى أي وقت وأي زمان شئت

واعلم ياأخي ان الشمس من بين الكواكب كالملك وسائرها كالاعوان والجنود فى التمثيل والقمر كالوزير وولى العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش والمشتري كالقاضى وزحل كصاحب الخزائن والزهرة كالجواري والخدم والافلاك لها كالاقاليم والبروج كالبلدان والسوادات والحدود والوجوه كالمدن والدرجات كالقرى والدقائق كالمحال والاسواق فى المدن والثواني فى الدقائق كالمنازل فى المحال والدكاكين فى الاسواق والكواكب فى البروج كالارواح فى الاجساد والكوكب فى بيته كالرجل فى بلده وعشيرته والكوكب فى شرفه كالرجل فى عزه وسلطانه والكوكب فى مثلثه كالرجل فى منزله أو دكانه أوضيعته والكوكب فى وجهه كالرجل فى زيه ولباسه والكوكب فى حده كالرجل فى خلقه وسجيته والكوكب فى أوجه كالرجل فى أعلى مرتبته والكوكب في حيزه كالرجل فى حاله اللائقة به وفي أصحابه ورفقائه والكوكب في وباله كالرجل المختلف المدبر والكوكب في غير حيزه كالرجل فى حال منكر والكوكب فى برج لاحظ له فيه كالرجل الغريب في بلدة غريبة والكوكب فى هبوطه كالرجل الذليل المهين والكوكب في حضيضه كالرجل الوضيع الحال الساقط عن مرتبته والكوكب تحت الشعاع كالبطل المحبوس والمحترق كالمريض والواقف كالمتحير في أمره والراجع كالعاصى

المخالف والسريع السير كالمقبل الصحيح والبطيء السير كالضعيف الذاهب القوة والكوكب في التشريق كالرجل النشيط والكوكب في التغريب كالهرم والناظر كالطالع الذاهب نحو حاجته والمنصرف كقاضي وطره والمقترنان من الكواكب كالقرينين من الناس والكوكب في الوتد كالرجل الحاضر للشيء الحاصل فيه ومائل الوتد كالجاني المنتظر والزائل كالذاهب او الفائت والكوكب في الطالع كالمولود في الظهور أو الشيء في الكون وفي الثاني كالمنتظر الذي سيكون وفي الثالث كالذاهب الى لقاء الاخوان وفي الرابع كالرجل في دار آبائه او الشيء في معدنه وفي الخامس كالرجل المستعد للتجارة اوالفرحان بما يرجو وفي السادس كالهارب المنهزم المتعوب وفي السابع كالرجل المبارز المنازع المحارب وفي الثامن كالرجل الخائف الوجل وفي التاسع كالرجل المسافر البعيد من الوطن الزائل من سلطانه وفي العاشر كالرجل في عمله وسلطانه المعروف المشهور به وفي الحادي عشر كالرجل الواد الموافق المحب وفي الثاني عشر كالمحبوس الكاره لموضعه المبغض لما هو فيه . واذا توارى كوكبان منها في درجة من الفلك فيقال انهما مقترنان واذا جاوز أحدهما الآخر فيقال قد انصرف واذا لحق بالآخر فيقال قد اتصل به والاتصال قد يكون بالمقارنة وقد يكون بالنظر وهو أن يكون بينهما ستون درجة سدس الفلك أو تسعون درجة ربع الفلك أو مائة وعشرون درجة ثلث الفلك أو مائة وثمانون درجة نصف الفلك فاذا تناظرا في التسديس فهما كالرجلين المتوادين بسبب من الاسباب واذا تناظرا في التثليث فهما كالرجلين المتفقين في الطبع والخلق واذا تناظرا في التربيع فكالرجلين المتعاملين اللذين يدعي كل واحد منهما الامر لنفسه واذا تناظرا في المقابلة فهما كالرجلين المتنازعين أو كالشريكين المتغارمين وهذا مثاله وصورته



فقد تبين بهذه الصورة ان مناظرة الكواكب بعضها الى بعض من سبعة مواضع من درجات الفلك ومعنى مناظراتها ومطارح شعاعاتها

واعلم ان الكواكب تطرح شعاعاتها الى جميع درجات الفلك فتضيئها وتملأها نوراً وضياء كما ان السراج يضيء جميع أجزاء الدائرة وبسيطها وانما ذكر علماء النجوم سبعة مواضع منها لظهور أفعالها وبيان تأثيراتها في هذا العالم من تلك الدرجات المعلومة لمناسبات بعضها بعضاً لان أفعال الكواكب وتأثيراتها في هذا العالم انما هي بحسب مناسباتها من الارض أعني نسب اجرامها الى جرم الارض وابعادها من مركز الارض أو بحسب تناسب حركاتها بعضها الى بعض وقد بينا طرفاً من علم هذا النسب في رسالة الموسيقى

﴿ فصل في ان المنجم لا يدعي علم الغيب فيما يخبر به من الكائنات ﴾

واعلم ان كثيراً من الناس يظنون ان علم أحكام النجوم هو ادعاء الغيب وليس

الامر كما ظنوا لان علم الغيب هو ان يعلم مايكون بلا استدلال ولا علل ولا سبب من الاسباب وهذا لا يعلمه أحد من الخلق كذلك لامنجم ولا كاهن ولا نبي من الانبياء ولا ملك من الملائكة الا الله عز وجل

واعلم ياأخي ان معلومات الانسان ثلاثة أنواع فنها ماقدكان وانقضى ومضى مع الزمان الماضي ومنها ماهو كائن موجود في الوقت الحاضر ومنها ماسيكون في الزمان المستقبل وله الى هذه الانواع الثلاثة من المعلومات ثلاثة طرق أحدها السماع والاخبار لما كان ومضى والآخر هو الاحساس لما هو حاضر موجود والثالث الاستدلال على ماهو كائن في المستقبل وهذا الطريق الثالث الطف الطرقات وأدقها وهو ينقسم الى عدة أنواع، فنها بالنجوم ومنها بالزجر والفال والكهانة ومنها بالفكر والروية والاعتبار ومنها بتأويل المنامات ومنها بالخواطر والوحي والالهام وهذا أجلها وأشرفها وليس ذلك باكتساب ولكن موهبة من الله عز اسمه لمن شاء ان يجتبيه من عباده. فأما علم النجوم فهو اكتساب من الانسان وتكلف منه وجهد واجتهاد في تعلم العلم وطلبه وهكذا الزجر والفال والنظر في الكتف وضرب الحصى والكهانة والقيافة والعرافة وتأويل المنامات وما شاكلها كلها يحتاج الانسان فيها الى التعلم والنظر والفكر والروية والاعتبار وهذا الفن من العلم يتفاضل فيه الناس بعضهم على بعض وكل واحد يختص بشيء منه

واعلم ياأخي ان الكائنات التي يستدل عليها المنجمون سبعة أنواع فنها الملل والدول التي يستدل عليها من القرانات الكبار التي تكون في كل الف سنة بالتقريب مرة واحدة ومنها أن تنتقل المملكة من أمير الى أمير ومن أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ومن أهل بيت الى أهل بيت آخر وهي التي يستدل عليها وعلى حدوثها من القرانات التي تكون في كل مئتين وأربعين سنة مرة واحدة ومنها تبدل الاشخاص على سرير الملك وما يحدث بأسباب ذلك من الحروب والفتن التي يستدل عليها من القرانات التي تكون في كل عشرين سنة مرة واحدة، ومنها الحوادث والكائنات التي تحدث في كل سنة من الرخص والغلاء والجدب والخصب

والحدثان والبلاء والوباء والموتان والقحط والأمراض والاعلال والسلامة منها ويستدل على حدوثها من تحاويل سني العالم التي تؤرخ بها التقاويم ومنها حوادث الأيام شهراً شهراً ويوماً يوماً التي يستدل عليها من الاوقات والاجتماعات والاستقبالات التي تؤرخ بها في التقاويم، ومنها أحكام المواليد لواحد واحد من الناس في تحاويل سنيهم بحسب ما يوجبه لهم تشكل الفلك ومواضع الكواكب في أصول مواليدهم وتحاويل سنيهم، ومنها الاستدلال على الخفيات من الامور كالخبر والسرقة واستخراج الضمير والمسائل التي يستدل عليها من طالع وقت المسئلة والسؤال عنها

واعلم يا أخي انه ليس في معرفة الكائنات قبل كونها صلاح لكل واحد من الناس لأن في ذلك تنغيصاً للعيش واستجلاباً للهم واستشعاراً للخوف والحزن والمصائب قبل حلولها وانما نظر الحكماء في هذا العلم وبحثهم عن هذه السرائر ليرضوا بذلك نفوسهم ويستعينوا بهذا العلم على الترقي الى ما هو أشرف منه وأجل وذلك ان الانسان العاقل المحصل المستيقظ القلب اذا نظر في هذا العلم وبحث عن هذا السر وعن أسبابه وعلله واعتبرها بقلب سليم من حب الدنيا انتبهت نفسه من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وانتعشت وانبعثت من موت الخطيئة وانفتحت لها عين البصيرة فأبصرت عند ذلك تصاريف الأمور وعرفت حقائق الموجودات ورأت بعين اليقين الدار الآخرة وتحققت أمر المعاد وعلمت عند ذلك بها ومن أجلها وتشوقت اليها وزهدت في الكون في الدنيا فعند ذلك تهون عليها مصائب الدنيا فلا تغتم ولا تجزع ولا تحزن اذا علمت موجبات أحكام الفلك من المخاوف والمصائب كما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وتصديق ذلك قول الله تعالى (كيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)

واعلم يا أخي ان في معرفة علم النجوم فوائد كثيرة فمنها ان الانسان اذا علم ما يكون من حادث في المستقبل أو كائن بعد الايام أمكنه أن يدفع عن نفسه

بعضها لا بأن يمنع ويدفع كونها ولكن يتحرز منها أو يستعد لها كما يفعل سائر الناس ويستعدون لدفع برد الشتاء بجمع الدثار ولحر الصيف بأخذ الكن ولسنى الغلاء بالادخار ولمواضع الفتن بالهرب منها والبعد عنها وترك الاسفار عند المخاوف وماشا كل ذلك مع علمهم بأنهم لا يصيبهم منها الا ما كتب الله لهم وعليهم وخصلة أخرى أيضاً وهي انه متى علم الناس الحوادث قبل كونها أمكنهم أن يدفعوها قبل نزولها بالدعاء والتضرع الى الله تعالى والتوبة والانابة اليه وبالصوم والصلاة والقربان والسؤال إياه أن يصرف مايخافون نزوله ويرفع ويدفع عنهم مايحذرون منه

واعلم يا أخي انك ان نظرت في أسرار النواميس وتأملت سنن الشرائع وأحكام الديانات علمت وتبين لك ان أجل أغراض واضعي النواميس كان هذا الذي ذكرت لك وذلك أن موسى عليه السلام ، أوصى بني اسرائيل فقال لهم احفظوا شرائع التوراة التي أنزل الله علي واعملوا بوصاياها فان الله تعالى يسمع دعاءكم ويرخص أسعاركم ويخصب بلادكم ويكثر أموالكم وأولادكم ويكف عنكم شر أعدائكم ومتى خفتم حوادث الأيام ومصائب الزمان فتوبوا الى الله جميعاً توبة نصوحاً واستغفروه وصلوا له وصوموا وتصدقوا في السر والعلانية وادعوه خوفاً وتضرعاً حتى يصرف عنكم شر ما تخافون ويدفع عنكم ما تحذرون ويكشف عنكم ماينزل بكم من محن الدنيا ومصائبها وحوادث أيامها وعلى هذا المثال كانت وصية المسيح عليه السلام لاصحابه الحواريين ولا حاجة بنا أن نكرر وصية محمد صلى الله عليه وسلم لأمته

* * *

واعلم ان الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل الورع والمتنسكين قد نهوا عن النظر في علم النجوم وانما نهوا عنه لأن علم النجوم جزء من علم الفلسفة ويكره النظر في علوم الفلسفة للأحداث والصبيان وكل من لم يتعلم علم الدين ولا يعرف

من أحكام الشريعة قدر مايحتاج اليه وما هو فرض عليه ولا يسعه جهله وتركه فاما من قد تعلم علم الشريعة وعرف أحكام الدين وتحقق أمر الناموس فان نظره في علم الفلسفة لايضره بل يزيده في علم الدين تحققاً وفي أمر المعاد استبصاراً وبثواب الآخرة وبالعقاب الشديد يقيناً واليها اشتياقا وفي الآخرة رغبة والى الله تعالى قربة وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا طريق السداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد

تمت الرسالة الثالثة في الاسطرنوميا من رسائل اخوان الصفاء والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين



الرسالة الرابعة

من القسم الرياضي

فى الجغرافيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة الرابعة فى جغرافيا يعنى صورة الارض والاقاليم من رسائل اخوان الصفا صان الله اقدارهم

مالله سر الا وهو ظاهر على ألسنة خلقه ولا له ستر أثخن من جهلهم به لانه لايعلم ماهو إلا هو والى ربك المنتهى، منه بدأ واليه يعود ثم اليه ترجعون فوجد الله عنده فوفاه حسابه البارى . وحده قبل كثرة كل انسان . وحده بعد كل كثرة . وكل كثرة فمن الواحد بدئت واليه تعود ، وكل الموجودات فمن البارى بدأت واليه تعود . ياابن آدم أنا الله حي لايموت ان اطعتني وقبلت وصيتي جعلتك حيا لاتموت . ياابن آدم انا الله أقول للشيء كن فيكون اطعني اجعلك تقول للشيء كن فيكون

من أجل أن مذهب أخواننا ايدهم الله وايانا بروح منه هو النظر فى جميع الموجودات والبحث عن مبادئها وعن علة وجدانها وعن مراتب نظامها والكشف عن كيفية ارتباط معلولاتها بعللها باذن باريها جل ثناؤه احتجنا الى أن نذكر حال الارض وكيفية صورتها وسبب وقوفها فى مركز العالم، وذلك ان المعرفة بحالها وبكيفية وقوفها فى الهواء من العلوم الشريفة لأن عليها وقوف اجسامنا ومنها بدأ كون أجسادنا ونشوؤها ومادة بقائها واليها عودها عند مفارقتها نفوسها وايضاً فان النظر في هذا العالم يكون سببا لترقي همم نفوسنا الى عالم الافلاك مسكن

العليين ويكثر جولان أفكارنا فى محل الروحانيين وكثرة أفكارنا فى عالم الافلاك تكون سببا لانتباه نفوسنا من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ويدعوها ذلك الى الانبعاث من عالم الكون والفساد الى عالم البقاء والدوام ويرغبها فى الرحلة من عالم الاجساد وجوار الشياطين الى عالم الارواح وجوار الملائكة المقربين. وقد ذكرنا فى هذه الرسالة طرفا من كيفيـة صورة الارض وصفة الربع المسكون منها وما فيه من الاقاليم السبعة ومن البحار والجبـال والبرارى والانهار والمدن ليكون طريقاً للمبتدئين بالنظر فى علم الهيئة وتركيب الافلاك وطوالع البروج ودوران الكواكب ويقرب تصورها فى افكار المتعلمين ويسهل تأملها المتفكرين فى ملكوت السموات والارضين الذين يقولون (ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) وقال الله تعالى : (وفى الارض آيات للموقنين) . وقال (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين)

فصل

﴿ فى صفة الاقاليم وما فى الربع المسكون من الارض مع مافيها من الجبال والبحار والبرارى والانهار والمدن وما فى البحار من الجزائر والمدن ﴾

وقبل وصفها نحتاج ان نذكر صفة الارض وجهاتها الست وكيفيـة وقوفها فى الهواء . أما الجهات فهي الشرق والغرب والجنوب والشمال والفوق والاسفل . فالشرق من حيث تطلع الشمس والغرب من حيث تغرب الشمس والجنـوب من حيث مدار سهيل والشمال من حيث مدار الجدى والفرقدين والفوق مما يلي السماء والاسفل مما يلي مركز الارض والارض جسم مدور مثل الكرة وهي واقفة فى الهواء بأن الله يجمع جبالها وبحارها وبراريها وعماراتها وخرابها والهواء محيط بها من جميع جهاتها شرقها وغربها وجنوبها وشمالها ومن ذا الجانب ومن ذلك الجانب وبعد الارض من السماء من جميع جهاتها متساو وأعظم دائرة فى بسيط الارض ٢٠٤٥٥ ميلا ٦٨٥٥ فرسخاً وقطر هذه الدائرة هو قطر الارض ٦٥٥١

ميلا ٢١٦٧ فرسخاً بالتقريب ومركزها هي نقطة متوهمة في عمقها على نصف القطر وبعدها من ظاهر سطح الارض ومن سطح البحر من جميع الجهات متساو لان الارض بجميع البحار التي على ظهرها كرة واحدة وليس شيء من ظاهر سطح الارض من جميع جهاتها هو أسفل الارض كما يتوهم كثير من الناس ممن ليس له رياضة بالنظر في علم الهندسة والهيئة وذلك أنهم يتوهمون ويظنون بأن سطح الارض من الجانب المقابل لموضعنا هو أسفل الارض وان الهواء المحيط بذلك الجانب هو أيضاً أسفل من الأرض وان النصف من فلك القمر المحيط بالهواء هو أيضاً أسفل من الهواء وهكذا سائر طبقات الأفلاك كل واحد أسفل من الآخر حتى يلزم أن أسفل السافلين هو نصف الفلك المحيط الذي هو أعلى عليين فى دائم الأوقات وليس الأمر كما توهموا لأن هذا رأي يتعقله الانسان من الصبا بالتوهم بغير روية ولا برهان فاذا ارتاض الانسان في علم الهيئة والهندسة تبين له ان الامر بخلاف ما توهم قبل وذلك أن أسفل الأرض بالحقيقة هو نقطة وهمية فى عمق الارض على نصف قطرها وهو الذي يسمى مركز العالم وهو عمق باطنها مما يلي مركزها من أي جانب كان من الارض لان مركز الارض هو أسفل السافلين فأما سطحها الظاهر المماس للهواء وسطح البحار من جميع الجهات فهو فوق والهواء المحيط ايضاً من جميع الجهات

وفلك القمر هو فوق فلك الهواء وفلك عطارد هو فوق فلك القمر وعلى هذا القياس سائر الافلاك واحد فوق الآخر الى الفلك التاسع الذي هو فوق كل فوق وهو أعلى عليين ومقابله مركز الأرض أسفل السافلين.

واعلم يا أخي ان الانسان أي موضع وقف على سطح الارض من شرقها أو غربها أو جنوبها أو شمالها أو من هذا الجانب أو من ذلك الجانب وقوفه حيث كان فقدمه أبداً يكون فوق الارض ورأسه الى فوق مما يلي السماء ورجلاه أسفل مما يلي مركز الارض وهو يرى من السماء نصفها والنصف الآخر يستره عنه حدبة الارض فاذا انتقل الانسان من ذلك الموضع الى الموضع الآخر ظهر

له من السماء مقدار ما خفي عنه من الجهة الاخرى وذلك المقدار كل تسعة عشر فرسخا درجة وكل فرسخ ثلاثة أميال ، كل ميل أربعة آلاف ذراع ، كل ذراع ست قبضات كل قبضة أربع أصابع كل أصبع ست شعيرات

﴿ ذكر وقوف الارض في وسط الهواء وسببه ﴾

وأما سبب وقوف الارض في وسط الهواء ففيه أربعة أقاويل منها ماقيل ان سبب وقوفها هو جذب القلب لها من جميع جهاتها بالسوية فوجب لها الوقوف في الوسط لما تساوت قوة الجذب من جميع الجهات ومنها ماقيل أنه الدفع بمثل ذلك فوجب لها الوقوف في الوسط لما تساوت قوة الدفع من جميع الجهات ومنها ماقيل ان سبب وقوفها في الوسط هو جذب المركز لجميع أجزائها من جميع الجهات الى الوسط لانه لما كان مركز الارض مركز الفلك أيضاً وهو مغناطيس الاثقال يعني مركز الارض وأجزاء الارض لما كانت كلها ثقيلة انجذبت الى المركز وسبق جزء واحد وحصل في المركز ووقف باقي الاجزاء حولها يعني حول النقط يطلب كل جزء منها المركز فصارت الارض بجميع أجزائها كرة واحدة بذلك السبب ولما كانت أجزاء الماء أخف من أجزاء الارض وقف الماء فوق الارض ولما كانت أجزاء الهواء أخف من أجزاء الماء صار الهواء فوق الماء والنار لما كانت أجزاؤها اخف من أجزاء الهواء صارت في العلو مما يلي فلك القمر والوجه الرابع ماقيل في سبب وقوف الارض في وسط الهواء هو خصوصية الموضع اللائق بها وذلك أن الباري عز وجل جعل لكل جسم من الاجسام الكليات يعني النار والهواء والماء والارض موضعا مخصوصاً هو اليق المواضع به وهكذا القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل جعل لكل واحد منها موضعا مخصوصاً في فلكه هو ثابت فيه والفلك يديره معه. وهذا القول أشبه الاقاويل بالحق لان هذه العلة مستمرة في ترتيب الافلاك التسعة والكواكب الثابتة والسيارة والاركان الاربعة أعني النار والهواء والماء والارض وذلك ان الله تبارك وتعالى

جعل لكل موجود من الموجودات موضعاً يختص به دون سائر المواضع أو رتبة معلومة هي اليق به من سائر المراتب

﴿ صفة الارض وقسمة أرباعها ﴾

الارض نصفها مغطى بالبحر الاعظم المحيط والنصف الآخر مكشوف ، مثلها مثل بيضة غائصة نصفها في الماء والنصف الآخر ناتىء من الماء . وهذا النصف المكشوف نصف منه خراب مما يلي الجنوب من خط الاستواء والنصف الآخر الذي هو الربع المسكون مما يلي الشمال من خط الاستواء . وخط الاستواء هو خط متوهم ابتداؤه من المشرق الى المغرب تحت مدار رأس برج الحمل ، والليل والنهار أبدا على ذلك الخط متساويان والقطبان هنالك ملازمان للافق احدهما مما يلي مدار سهيل في الجنوب والآخر في الشمال مما يلي الجدى وهذا مثال ذلك

﴿ صفة الربع المسكون من الارض ﴾

وفي هذا الربع الشمالي المسكون من الارض سبعة أبحر كبار وفي كل بحر منها عدة جزائر تكسير كل جزيرة منها عشرون فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ فمنها بحر الروم وفيه نحو خمسين جزيرة ومنها بحر الصقالبة وفيه نحو من ثلاثين جزيرة ومنها بحر جرجان وفيه خمس جزائر ومنها بحر القلزم وفيه نحو من خمس عشرة جزيرة ومنها بحر فارس وفيه سبع جزائر ومنها بحر السند والهند وفيه نحو من الف جزيرة ومنها بحر الصين وفيه نحو من مائتي جزيرة ، وفي هذا الربع أيضاً خمس عشرة بحيرة صغاراً تكسير كل واحدة من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ منها مالح ومنها عذب . واما بحر الغرب وبحر يأجوج ومأجوج وبحر الزنج وبحر الزانج والبحر الاخضر والبحر المحيط فخارج عن هذه

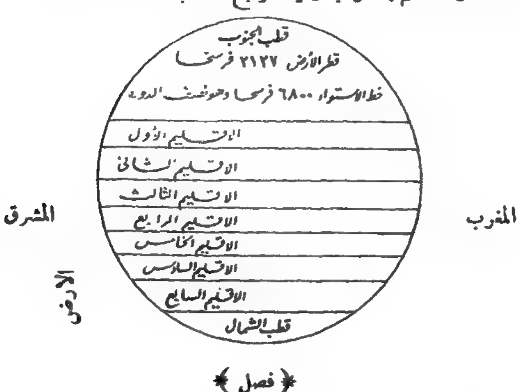
الربع المسكون وكل واحد من هذه الابحر شعبة وخليج من البحر المحيط وكلها مالح وفي هذا الربع أيضاً مقدار مئتى جبل طوال منها ماطوله من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ مختلف الالوان ومنها مايمتد طوله من المشرق الى المغرب أو من الجنوب الى الشمال ومنها مايتنكب مابين المشرق والجنوب ومنها مايتنكب مابين المشرق والشمال ومنها ماهو بين العمران والمدن والقرى ومنها ماهو في البراري والقفار ومنها ماهو في الجزائر والبحار وفي هذا الربع أيضاً مقدار مئتين وأربعين نهرا طول كل نهر منها من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ فمنها ماجريانه من المشرق الى المغرب ومنها ماجريانه من المغرب الى الشرق ومنها من الشمال الى الجنوب ومنها من الجنوب الى الشمال ومنها مايتنكب من هذه الجهات وكل هذه الانهار تبتدىء من الجبال وتنتهي الى البحار في جريانها والى البطائح والبحيرات وتسقي في ممرها المدن والقرى والسوادات وما يفضل من مائها ينصب الى البحار ويختلط بماء البحر ثم يصير بخاراً ويصعد في الهواء وتتراكم منه الغيوم وتسوقه الرياح الى رؤس الجبال والبراري ويمطر هناك ويسقي البلاد وتجري الاودية والانهار ويرجع الى البحار من الرأس وذلك دأبها في الشتاء والصيف ذلك تقدير العزيز العليم

وفي هذا الربع سبعة أقاليم تحتوي على سبعة عشر الف مدينة كبيرة يملكها نحو من الف ملك كل هذه في ربع واحد من بسيط الارض واما ثلاثة أرباعها الباقية فحكمها غير هذا

﴿ صفة الأقاليم السبعة ﴾

الأقاليم هي سبعة أقسام خطت في الربع المسكون من الارض كل اقليم منها كأنه بساط مفروش قد مد طوله من المشرق الى المغرب وعرضه من الجنوب الى الشمال وهي مختلفة الطول والعرض فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وذلك أن طوله من المشرق الى المغرب نحو من ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الجنوب الى

الشمال نحو مئة وخمسين فرسخاً وأقصرها طولا وعرضا الاقليم السابع وذلك أن طوله من المشرق الى المغرب نحو من الف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الجنوب نحو من سبعين فرسخاً وأما سائر الاقاليم ففيا بينهما من الطول والعرض وهذا مثال ذلك والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب



﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن هذه الاقاليم السبعة ليست هي أقساماً طبيعية وكأنها خطوط وهمية وضعتها الملوك الأولون الذين طافوا الربع المسكون من الارض لتعلم حدود البلدان والممالك والمسالك مثل افريذون النبطي وتبع الحميري وسليمان بن داود الاسرائيلي عليهما السلام والاسكندر اليوناني وازدشير بن بابك الفارسي ليعلموا بها حدود البلدان والمسالك والممالك وأما ثلاثة أرباعها الباقية فنمهم من سلوكها الجبال الشامخة والمسالك الوعرة والبحار الذاخرة والاهوية المتغيرة المفرطة التغير من الحر والبرد والظلمة مثل ما في ناحية الشمال تحت مدار الجدى فان هناك برداً مفرطاً جداً لانه ستة أشهر يكون الشتاء هناك ليلا كله فيظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه بشدة

البرودة ويتلف الحيوان والنبات وفى مقابل هذا الموضع فى ناحية الجنوب حيث مدار سهيل يكون نهاراً كله ستة أشهر صيفاً فيحمى الهواء ويصير ناراً سموماً ويحترق الحيوان والنبات من شدة الحر فلا يمكن السكنى ولا السلوك هناك وأما ناحية المغرب فيمنع السلوك فيها البحر المحيط لتلاطم أمواجه وشدة ظلماته وأما ناحية المشرق فيمنع السلوك هناك الجبال الشاهقة فاذا تأملت وجدت الناس محصورين فى الربع المسكون من الارض وليس لهم علم بالثلاثة أرباع الباقية

واعلم ان الارض بجميع ماعليها من الجبال والبحار بالنسبة الى سعة الافلاك ماهي الا كالنقطة فى الدائرة وذلك أن فى الفلك ألفاً وتسعة وعشرين كوكباً أصغر كوكب منها مثل الارض ثمانى عشرة مرة وأكبرها مائة وسبع مرات فلشدة البعد وسعة الافلاك تراها كأنها الدر المنثور على بساط أخضر فاذا فكر الانسان فى هذه العظمة تبين له حكمة الصانع وجلالة عظمته فينتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ويعلم أنه ماخلق هذه الاشياء الا لأمر عظيم وذلك قوله تعالى «ماخلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق»

﴿ فصل فى الحث على النظر فى الارض للاعتبار ﴾

اعلم ياأخي بأن من دخل الدنيا وعاش فيها زماناً طويلا مشغولا بالأكل والشرب والنكاح دائباً فى طلب الشهوات والحرص على جمع المال والاثاث واتخاذ البنيان وعمارة الارض والعقارات وطلب الرياسة متمنياً الخلود فيها تاركا لطلب العلم غافلا عن معرفة حقائق الاشياء مهملا لرياضة النفس متوانياً في الاستعداد للرحلة الى الدار الآخرة حتى اذا فنى العمر وقرب الأجل وجاءت سكرة الموت التى هي مفارقة النفس الجسد ثم خرج من هذه الدار جاهلا لم يعرفه صورتها ولم يفكر في الآيات التى فى آفاقها ولا اعتبر أحوال موجوداتها ولا تأمل الامور المحسوسة التى شاهد فيها فمثلهم مثل قوم دخلوا الى مدينة ملك عظيم حكيم عادل رحيم قد بناها بحكمته وأعد فيها من طرائف صنعته مايقصر

الوصف عنها الا بالمشاهدة لها ووضع فيها مائدة قوتاً للواردين اليها وزاداً للراحلين عنها ثم دعا عباداً له الى حضرته ليتحهم بالكرامة وأمرهم بالورود الى تلك المدينة فى طريقهم لينظروا اليها ويبصروا ما فيها ويتفكروا فى عجائب مصنوعاته ويعتبروا غرائب مصوراته ليروض بها نفوسهم فيصيرون برؤيتها ومعرفتها حكماء أخياراً فضلاء فيصلون الى حضرته ويستحقون كرامته فوردها قوم ليلا فباتوا طول ليلتهم مشغولين بالأكل والشرب واللعب واللهو ثم خرجوا منها سحراً لايدرون من أي باب دخلوا ولا من أيها خرجوا ولا رأوا مما فيها شيئاً من آثار حكمته وغرائب صنعته ولا انتفعوا بشيء منها أكثر من تمتعهم تلك الليلة بالأكل والشرب حسب .

فهكذا حكم أبناء الدنيا الواردين اليها جاهلين الماكثين فيها متحيرين مكرهين المنكرين أمر الدار الآخرة الراحلين عنها كما قال الله جل ثناؤه «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا» وقال ذماً لهم «صم بكم عمى فهم لايعقلون» بأمر الآخرة فأعيذك أيها الأخ البار الرحيم ان تكون منهم بل كن من الذين مدحهم عز وجل فقال جل ثناؤه «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» وحكى قولهم لما تمنوا عرض الدنيا حين قالوا «ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم» وقال الذين اوتوا العلم بحقيقة أمر الآخرة «ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون» «وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم» وفقك الله أيها الأخ البار الرحيم للسداد وهداك للرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد. واذ قد فرغنا من ذكر الارض ووصفنا الربع المسكون نريد أن نذكر الاقاليم السبعة ونبين حدودها طولا وعرضاً وما في كل اقليم من المدن الكبار والجبال والانهار الطوال

فاعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه بأن حدود الاقاليم

معتبرة بساعات النهار وتفاوت الزيادة فيها وبيان ذلك أنه اذا كانت الشمس فى أول برج الحمل كان طول الليل والنهار وساعاتهما تتساوى في هذه الاقاليم كلها فاذا سارت الشمس فى درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل اقليم حتى اذا بلغت آخر الجوزاء الذي هو أول السرطان صار طول النهار فى وسط الاقاليم الاول ثلاث عشرة ساعة وفى وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصفاً وفي وسط الاقليم الثالث أربع عشرة ساعةوفى وسط الاقليم الرابع أربع عشرة ساعة ونصفاً وفي وسط الاقليم الخامس خمسةعشر سواء وفى وسط الاقليم السادس خمسة عشر ونصف وفى وسط الاقليم السابع ستة عشر سواء وفى المواضع التى عرضها ست وستون درجة وما زاد الى تسعين درجة يصير نهاراً كله وشرح كيفيتها طويل مذكور فى المجسطي

واعلم ان معنى كل طول بلدة ومدينة هو بعدها من أقصى المغرب ومعنى عرضها هو بعدها من خط الاستواء ، وخط الاستواء هو الموضع الذي يكون الليل والنهار هناك أبداً متساويين فكل مدينة على ذلك الخط فلا عرض لها وكل مدينة في أقصى المغرب فلا طول لها أيضا ومن أقصى المغرب الى أقصى المشرق مائة وثمانون درجة مقدار كل درجة تسعة عشر فرسخاً وكل مدينة طولها تسعون درجة فهي فى وسط من المشرق والمغرب وما كان أكثر فهي الى المشرق أقرب وما كان أقل فهي الى المغرب أقرب وكل مدينتين إحداهما أكبر طولا وعرضاً فهي الى المشرق والشمال أقرب من الاخرى والتفاوت الذي يكون بينهما فى العرض كل درجة تسعة عشر فرسخاً بالتقريب وأما تفاوتهما في الطول فختلف فما كان منها على خط الاستواء فكل درجة في الطول تسعة عشر فرسخاً وما كان فى الاقاليم الاول فكل درجة سبعة عشر فرسخاً وما كان فى الثاني فكل درجة خمسة عشر فرسخاً وفي الثالث كل درجة ثلاثة عشر فرسخاً وفي الرابع كل درجة عشرة فراسخ وفي الخامس كل درجة سبعة فراسخ وفي السادس كل درجة خمسة فراسخ وفي السابع كل درجة ثلاثة فراسخ

﴿أسماء المدن الكبار﴾ التي ليست في الاقاليم السبعة وهي كل مدينة عرضها أقل من اثنتي عشرة درجة مما يلي خط الاستواء أولها مما يلي الشرق

أسماء المدن	الطول	العرض
بشمير من الهند	قكب	يا
جزيرة كوك من الهند	قب	ط
مدينة الطيب من السند	عب	٥
حضرموت من اليمن	عبا	٣
رعاه من الحبشة	س	يب
كوكو من الحبشة	ع	يا

(الاقليم الأول) لزحل وطوله من المشرق الى المغرب ٩٥٥٥ ميلا ٣١٨٥ فرسخاً وعرضه من الجنوب الى الشمال ٤٤٥ ميلا ١٤٦ فرسخاً وحده الاول مما يلي خط الاستواء حيث يكون ارتفاع القطب الشمالي ثلاث عشرة درجة غير ربع وساعات نهاره الأطول اثنتا عشرة ساعة ونصف وربع ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب عن الافق ست عشرة درجة وثلثي درجة وساعات نهاره الاطول ثلاث عشرة ساعة وحده الثاني حيث يكون ارتفاع القطب عشرين درجة ونصفاً وطول نهاره الاطول ثلاث عشرة ساعة وربع وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من عشرين جبلا منها ما طوله من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ وفيه أيضاً مقدار ثلاثين نهراً طوالا منها ما طوله من عشرين فرسخاً الى مائة فرسخ الى الف فرسخ وفيه من المدن المعروفة الكبار نحو من خمسين مدينة وابتداء هذا الاقليم من المشرق على شمال جزيرة الياقوت فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب ثم يمر على شمال بلد سرنديب ثم يمر على وسط بلاد الهند ثم يمر على وسط بلاد السند ثم يقطع بحر فارس مما يلي الجنوب بلاد عمان ثم يمر على وسط بلاد الشحر ثم يمر على وسط بلاد اليمن ثم يقطع بحر القلزم هناك ويمر على وسط بلاد الحبشة

ويقطع نيل مصر هناك ثم يمر على بلاد النوبة ثم يمر على وسط بلاد البربر وبلاد البواي ثم يمر على جنوب بلاد مردانة وينتهي الى بحر المغرب وعامة أهل هذه البلدان سود

﴿أسماء المدن الكبار﴾ التي في هذه الاقاليم وهي كل مدينة عرضها من ثلاث عشرة درجة الى عشرين درجة فأولها مايلي المشرق

اسماء المدن	الطول	العرض
مدينة في اقصى الصين	سد	ط ط
مدينة في جزيرة من الصين	قل	يب
اسقريار وهي من الصين	فكه	بو
ماسيوطا من الهند	في	بو
حارون من الهند	قدل	يط
سقلى من السند	٥٥	يح
عمان من بلاد العرب	سد	يح
الميد من السند	سد	ود
مدينة أخرى على البحر ميلا	يح	حه
عدن من اليمن	ل	يز
دنقلة من بلاد نوبة	يب	ك
كوص وواعله منه	لب	ك
مملكة الحبشة	ك	يط
جرمى الكبرى	كو	يط

الاقليم الثاني للمشتري وطوله من المشرق الى المغرب ٧٦٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٦٠٠ ميل وحده الاول مما يلي اقليم زحل ٤٠ حيث يكون ارتفاع القطب عشرين درجة ونصفاً فطول نهاره الاطول ثلاث عشرة

ساعة وربع ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب أربعاً وعشرين درجة وست دقائق ونهاره الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وحده الثاني حيث يكون ارتفاع القطب من الافق سبعاً وعشرين درجة ونصفاً ونهاره الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من سبعة عشر ميلا ومن الانهار الطوال مثل ذلك ومن المدن المعروفة الكبار نحو من خمسين مدينة وابتداء هذا الاقليم من المشرق ويمر على وسط بلاد الصين ثم يمر على شمال بلاد سرنديب ثم يمر على بلاد الهند مما يلي الشمال ثم يمر على بلاد قندهار ثم يمر على وسط كابل وشمال بلاد السند وجنوب بلاد مكران ثم يقطع بحر فارس ويمر على بلاد عمان ثم يمر على وسط بلاد العرب ثم يقطع بحر القلزم ويمر على شمال بلاد الحبشة وجنوب بلاد صعيد مصر فيقطع نيل مصر هناك ثم يمر على وسط بلاد الزقة وأفريقية ثم يمر على شمال بلاد البربر وجنوب بلاد القيروان ثم يمر على وسط بلاد مرطانه وينتهي الى بحر المغرب واكثر أهل هذه البلدان ألوانهم من بين السمرة الى السواد

فمن المدن الكبار التي في هذا الاقليم أولها مما يلي المشرق في اقصى بلاد الصين وهو كل مدينة عرضها من ك الى كرك وأولها مما يلي المشرق

اسماء المدن	الطول	العرض
ط ما من الصين	قد	ك
طفولا من الصين	لمح	مه
طوانيا من الصين	قم	كد
قرى من الهند	قد	ا كد
مدينة في سفح جبل منه	قيا	كد
الغمرة من السند	نج	كب
البرور منه على البحر	مز	كم ل
الدميل منه	كب	كدك

تابع أسماء المدن	الطول	العرض
ديار تلي منه	عرمه	كدم
اليمامة من الحجاز	عامه	كاد
طائف من اليمن	مج	كب
مكة من تهامة	مر	كا
يثرب مدينة الرسول	سه	كه
اخميم من صعيد مصر	بهل	كوب
افريقية من الغرب	له	.
بلاد السواني	ك	كا

الاقليم الثالث للمريخ وطوله من المشرق الى المغرب ٨٢٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٣٥٥ ميلا وحده من سبعة وعشرين درجة ونصف الى ثلاث وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب عن الافق ثلاثين درجة ونصفاً وخمساً ونهاره الاطول أربع عشرة ساعة سواء وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثة وثلاثون جبلاومن الانهار الطوال اثنان وعشرون نهراً ومن المدن المعروفة الكبار مئة وثمانية وعشرون مدينة وابتداء هذا الاقليم من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين وجنوب بلاد يأجوج ثم يمر على شمال بلاد الهند وجنوب بلاد الترك ثم يمر على وسط كابل ثم على بلاد قندهار ثم على بلاد مكران ثم على جنوب بلاد سجستان ثم يمر على وسط بلاد كرمان ثم يمر على بلاد فارس مما يلي البحر ثم يمر على بلاد العراق مما يلي الجنوب ثم يمر على جنوب بلاد ديار بكر وشمال بلاد العرب ثم يمر على وسط الشام ثم يمر على بلاد مصر ويمر على بلاد الاسكندرية ثم يمر على وسط بلاد مرماريق ثم يمر على وسط بلاد القادسية وعلى وسط بلاد القيروان ثم يمر على بلاد طنجة وينتهي الى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان سمر

﴿ أسماء المدن التي في الاقليم الثالث ﴾

وهي كل مدينة عرضها من (كرك الى الحرم) أولها مما يلي المشرق

أسماء المدن	الطول	العرض
ارانذا من الصين	مح	كج
القندهار من الهند	فك	لب
كابل من بلاد الهند	صديه	طل
روخ من سجستان	صب	ل
برمكران	لح	لو
السرجان من كرمان	عج	لا
شيراز من فارس	عه	لا
الاهواز من خوزستان	عد	لب
البصرة من العراق	سط	لخ
الكوفة من العراق	سه	
دمشق من الشام	لو	لب
بيت المقدس من فلسطين	لزم	كط
الفسطاط من مصر	س	لا
الاسكندرية بطليموس	لانه	لامه
القيروان من المغرب	ك	له
طنجة من المغرب	صه	لخ

الاقليم الرابع للشمس طوله من المشرق الى المغرب ٧٨٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٣٥٥ ميلا وحده من ثلاث وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة الى تسع وثلاثين درجة ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب عن الافق ستاً وثلاثين

درجة وخمسين دقيقة ونهاره الاطول أربع عشرة ساعة ونصف وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال خمسة وعشرون جبلا ومن الانهار الطوال اثنان وعشرون نهراً ومن المدن المعروفة الكبار نحو من مائتين واثنتي عشرة مدينة وابتداء هذا الاقليم من المشرق فيمر على شمال بلاد الصين وجنوب بلاد يأجوج ومأجوج ثم يمر على الترك مايلي الجنوب وشمال بلاد الهند وطخارستان ثم يمر على شمال بلاد بلخ باسيان ثم يمر على شمال بلاد مكران ثم يمر على وسط بلاد سجستان ثم بلاد كرمان ثم بلاد فارس ثم بلاد خوزستان ثم يمر على وسط بلاد العراق ثم يمر على وسط ديار ربيعة وديار بكر ثم يمر على جنوب بلاد الثغر وشمال بلاد الشام ويمر على وسط بحر الروم وجزيرة قبرص ويمر في البحر على شمال بلاد مصر والاسكندرية ثم يمر على جزيرة صقلية وشمال بلاد مرماريقي وبلاد القادسية وبلاد القيروان وبلاد طنجة وينتهي الى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان الوانهم مابين السمرة والبياض . وهذا الاقليم هو اقليم الانبياء والحكماء لانه وسط لاقاليم ثلاثة منها جنوبية وثلاثة شمالية وهو أيضاً قسمة الشمس النير الاعظم وأهل هذا الاقليم أعدل الناس طباعا وأخلاقا ثم بعده الاقليمان اللذان عن جنبيه أعني الثالث والخامس فاما الاقاليم الباقية فاهلها ناقصون عن طبيعة الافضل لان صورهم سمجة وأخلاقهم وحشية مثل الزنج والحبشة وأكثر الامم الذين هم فى الاقليم الاول والثاني وكذلك الامم الذين هم فى الاقليم السادس والسابع مثل يأجوج ومأجوج والبلغار والصقالبة وأمثالهم وهى كل مدينة عرضها من لح م الى لط

اسماء المدن	العرض	الطول
كاشغر من بلاد الصين	كط	قف
نفت من بلاد الترك	لط	ص
سمرقند من وراء النهر	لور	صدك
بلخ من خراسان	نور	مه
هراة من خراسان	لح	قد
مرو من خراسان	لو	وح
نيسابور من خراسان	لح ر	لو
جرجان من الجبل	لزمه	عدك
امل من طبرستان	لي	عد
الري من فارس	لدمه	عه
الديلم وجيلان	ع لح	عدم
اصفهان من فارس	لدك	عح لو
همذان من بلاد ماهان	مرمي	سط
بغداد من العراق	له ك	ماله
الموصل من ديار ربيعة	لح	سو
حلب من الشام	لدنب	لح

الاقليم الخامس للزهرة وطوله من الشرق الى الغرب ٧٤٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٢٥٥ ميلا وحده من تسع وثلاثين درجة الى ثلاث وأربعين درجة ونصف ووسطه من حيث يكون ارتفاع القطب احدى وأربعين درجة وثلثاً ونهاره الاطول ١٥ ساعة سواء

وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من ثلاثين جبلا ومن الانهار الطوال نحو من خمسة عشر نهراً ومن المدن المعروفة الكبار نحو من مائتي مدينة

وابتداؤه من المشرق فيمر على وسط بلاد يأجوج ومأجوج ويمر على وسط بلاد الترك وعلى بلاد فرغانة وبلاد اسبيجاب وعلى وسط بلاد ماوراء النهر ويقطع جيحون وعلى وسط بلاد خراسان وعلى شمال بلاد سجستان وكرمان وعلى شمال بلاد فارس ووسط بلاد الري والمهان وعلى شمال بلاد العراق وجنوب بلاد اذربيجان وعلى وسط بلاد ارمينية وشمال بلاد الثغر ويمر على وسط بلاد الروم ويقطع خليج قسطنطينية هناك ويمر على شمال بحر الروم ووسط بلاد رومية ويمر على جنوب هيكل الزهرة وعلى وسط بلاد الاندلس وينتهي الى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان بيض وهي كل مدينة عرضها من لط الى مج ك

أسماء المدن	الطول	العرض
بلاد يأجوج ومأجوج	معا	سح
بلاد خاقان من الترك	فر	مت
الطراز من بلاد الترك	يول	م كه
اسبيجاب من السند	صح	م
خوارزم من وراء النهر	فيه	مو
اردبيل من اذربيجان	عح	م
اخلاط من ارمينية	سر	لط له
ملطية من ارمينية	سا	لط
ماقارونية	له	كد طر
رومية الكبرى من الروم	كخ	مح

الاقليم السادس لعطارد وطوله من المشرق الى المغرب ٧٥٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ٢٥٥ ميلا وحده من ثلاث وأربعين درجة ونصف الى

سبع وأربعين درجة وربع ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب خمساً وأربعين درجة وخمسين دقيقة ونهاره الاطول خمس عشرة ساعة ونصف

وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من اثنين وعشرين جبلا ومن الانهار الطوال نحو اثنين وثلاثين نهراً ومن المدن المعروفة الكبار نحو تسعين مدينة وابتداؤه من المشرق فيمر على شمال بلاد يأجوج ومأجوج ويمر على جنوب بلاد سجستان وعلى جنوب بلاد الثغر وعلى وسط بلاد خاقان وجنوب بلاد كيماك وعلى شمال بلاد اسبيجاب وعلى شمال بلاد السغد وما وراء النهر وعلى وسط بلاد خوارزم وعلى شمال بلاد جرجان وطبرستان والديلم وكيلان ويقطع بحر طبرستان وعلى وسط بلاد اذربيجان وعلى وسط بلاد أرمنية وملطية على شمال بحر سطس وعلى شمال قسطنطينية وعلى وسط بلاد مقدونية وعلى وسط أفريقية مما يلي الشمال ويمر على جنوب بحر الصقالبة وعلى شمال هيكل الزهرة وينتهي الى بحر المغرب وأكثر أهل هذه البلدان ألوانهم ما بين الشقرة والبياض وكل مدينة عرضها من مح مد الى مز به أولها مما يلي المشرق والله أعلم

الاقليم السابع: للقمر طوله من المشرق الى المغرب ٦٦٥٥ ميلا وعرضه من الجنوب الى الشمال ١٨٥ ميلا وحده من سبع وأربعين درجة وربع الى خمسين درجة ونصف ووسطه حيث يكون ارتفاع القطب عن الافق ثمانياً وأربعين درجة وثلثين وطول نهاره الأطول ست عشرة ساعة سواء وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال نحو من عشرة جبال ومن الانهار الطوال نحو من أربعين نهراً ومن المدن المعروفة الكبار نحو من اثنتين وعشرين مدينة وابتداؤه من المشرق فيمر على جنوب بلاد يأجوج ومأجوج وبلاد سجستان وبلاد غرغر وعلى بلاد كيماك وعلى جنوب اللان وعلى شمال بحر جرجان وبلاد خنخ وعلى جبل باب الابواب وعلى وسط بحر سطس وعلى جنوب بلاد جرجان وشمال بلاد مقدونية وعلى جنوب بحر الصقالبة وجنوب جزيرة الري وينتهي الى بحر المغرب وأكثر

أهل هـذه البلدان الوانهم مائلة الى الشقرة وهي كل مدينة عرضها من مزبه الى مط أولها مما يلي المشرق

أسماء المدن	الطول	العرض
بلاد يأجوج	له ك	مع ب
بلاد كيمان من الترك	ما كه	عالا
بلاد الجزائر من الترك	لط م	عج
جزيرة من بحر جرجان	مت	مب
مراغه من اذر بيجان	موله	كوكه
جبل باب الابواب	م لا	مط د
بلاد بيحر	مب	كوكه
بلاد هقطه من الروم	ما	س

﴿ فصل ﴾
في خواص الاقاليم

واعلم يا أخي بان في كل اقليم من هذه الاقاليم السبعة الوفا من المدن تزيد وتنقص، وفي كل مدينة أمم من الناس مختلفة السنتهم والوانهم وطباعهم وآدابهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وعاداتهم لايشبه بعضهم بعضاوهكذا حكم حيوانها ومعادنها مختلفة الشكل والطعم واللون والرائحة. وسبب ذلك اختلاف أهوية البلاد وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها وكل هـذا الاختلاف بحسب طوالع البروج ودرجاتها على آفاق تلك البلاد بحسب ممرات الكواكب على مسامتات تلك البقاع ومطارح شعاعاتها من الآفاق على تلك المواضع . وهذه جملة يطول شرحها، وذكر ان ملكا من الاولين أمر وقتا من الزمان بأن تعد المدن المتكونة من الربع المسكون من الارض فوجد سبعة عشر الف مدينة سوى القرى

واعلم بانه ربما يزيد عدد مــدن الارض وينقص وذلك بحسب موجبات احـكام القرانات وأدوار الافلاك الالوف وذلك ان بالقرانات الدالة على قوة السعود واعتدال الزمان واستواء طبيعة الاركان ومجيء الانبياء وتواتر الوحي وكثرة العلماء وعدل الملوك وصلاح أحوال الناس ونزول بركات السماء بالغيث تزكو الارض والنبات ويكثر توالد الحيوان وتعمر البلاد ويكثر بنيان المدن وبالقرانات الدالة على قوة النحوس وفساد الزمان وخروج المزاج عن الاعتدال وانقطاع الوحي وقلة العلماء وموت الاخيار وجور الملوك وفساد أخلاق الناس وسوء أعمالهم واختلاف آرائهم يمنع نزول البركات من السماء بالغيث فلا تزكو الارض ويجف النبات ويهلك الحيوان وتخرب المدن في البلاد

واعلم ياأخي بأن أمور هذه الدنيا دول ونوب تدور بين أهلها قرناً بعــد قرن ومن أمة الى أمة ومن بلد الى بلد

﴿ فصل ﴾

واعلم بأن كل دولة لها وقت منه تبتدي، وغاية اليها ترتقي ، وحد اليه تنتهي فاذا بلغت الى أقصى غاياتها ومدى نهاياتها تسارع اليها الانحطاط والنقصان وبدا في أهلها الشؤم والخذلان واستأنف في الآخرين من القوة والنشاط والظهور والانبساط وجعل كل يوم يقوى هذا ويزيد ويضعف ذاك وينقص الى ان يضمحل الاول المقدم ويستمكن الآتي المتأخر والمثال في ذلك مجاري أحكام الزمان وذلك ان الزمان كله نصفان نصفه نهار مضيء ونصفه ليل مظلم وأيضا نصفه صيف حار ونصفه شتاء بارد وهما يتداولان في مجيئهما وذهابهما كلما ذهب هذا رجع هذا وتارة يزيد هذا وينقص هذا وكلما نقص من أحدهما زاد في الآخر بذلك المقدار حتى اذا تناهيا الى غايتهما في الزيادة والنقصان ابتدأ النقص في الذي تناهى في الزيادة وابتدأت الزيادة في الذي تناهى في النقصان فلا يزالان هكذا الى أن يتساويا في مقداريهما، ثم يتجاوزان على حالتيهما الى ان يتناهيا في غايتيهما

من الزيادة والنقصان وكلما تناهى أحدهما في الزيادة ظهرت قوته وكثرت أفعاله في العالم وخفيت قوة ضده وقلت أفعاله. فهكذا حكم الزمان في دولة أهل الخير ودولة أهل الشر تارة تكون الدولة والقوة وظهور الافعال في العالم لاهل الخير وتارة الدوله والقوة وظهور الافعال في العالم لاهل الشر كما ذكر الله عز وجل وقال «وتلك الايام نداولها بين الناس» . «وما يعقلها الا العالمون »

﴿ فصل ﴾

وقد نرى أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أنه قد تناهت دولة أهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت أفعالهم في العالم في هـذا الزمان وليس بعد التناهي في الزيادة الا الانحطاط والنقصان. واعلم بان الدولة والملك ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقران من أمة الى أمة ومن أهل بيت الى أهل بيت ومن بلد الى بلد

واعلم ياأخي أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحـد ودين واحد ويعقدون بينهم عهداً وميثاقا ان لايتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضاً ويكونون كرجل واحد في جميع أمورهم وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة لايبتغون سوي وجه الله ورضوانه جزاء ولا شكورا فهل لك أيها الاخ البار الحكيم أيدك الله وايانا بروح منه بان ترغب في صحبة اخوان لك نصحاء وأصدقاء لك أخيار فضلاء هذه صفتهم بان تقصد مقصدهم وتتخلق باخلاقهم وتنظر في علومهم لتعرف مناهجهم وتكون معهم وتنجو بمفازاتهم لايمسهم السوء ولا هم يحزنون وفقك الله أيها الاخ وجميع اخواننا للصواب بفضله ومنه. حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله

الرسالة الخامسة

من القسم الرياضي

في الموسيقى

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ قد فرغنا من ذكر الصنائع العلمية الروحانية التى هي أجناس العلوم ومن ذكر الصنائع العلمية الجسمانية التى هي أجناس الصنائع وبينا ماهية كل واحدة منهما وكمية أنواعهما وما الأغراض المطلوبة منها فى رسالتين لنا فنريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالموسيقى الصناعة المركبة من الجسمانية والروحانية التى هي صناعة التأليف في معرفة النسب وليس غرضنا من هذه الرسالة تعليم الغناء وصنعة الملاهي وان كان لابد من ذكرها بل غرضنا هو معرفة النسب وكيفية التأليف اللذين بهما وبمعرفتها يكون الحذق في الصنائع كلها

اعلم ياأخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن كل صناعة تعمل باليدين فان الهيولى الموضوعة فيها انما هي أجسام طبيعية ومصنوعاتها كلها أشكال جسمانية إلاالصناعة الموسيقية فان الهيولى الموضوعة فيها كلهاجواهرروحانية وهي نفوس المستمعين وتأثيراتها فيها مظاهر كلها روحانية أيضاً . وذلك ان ألحان الموسيقى أصوات ونغمات ولهافي النفوس تأثيرات كتأثيرات صناعات الصناع في الهيوليات الموضوعة في صناعتهم فن تلك النغمات والاصوات مايحرك النفوس نحو الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة وينشطها ويقوي عزماتها على الأفعال الصعبة المتعبة للابدان التى تبذل فيها مهج النفوس وذخائر الأموال وهي الالحان المشجعة التى تستعمل في الحروب

وعند القتال في الهيجاء ولاسيما إذا غنّى معها بأبيات موزونة فى وصف الحروب ومديح الشجعان مثل قول القائل

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

ومثل قول البسوس بنت منقذ :

لعمري لو أصبحت في دار منقذ لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربة متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فياسعد لاتغرر بنفسك وارتحل فانك في قوم عن الجار أموات

فان هذه الأبيات واخواتها يقال انها كانت سبباً لاثارة أقوام الى الحرب والقتال بين قبيلتين من قبائل العرب سنين متواترة . ومن الأبيات الموزونة أيضاً مايثير الأحقاد الكامنة ويحرك النفوس الساكنة ويلهب نيران الغضب مثل قول القائل

واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس

فان هذه الأبيات واخواتها أيضاً أثارت أحقاداً بين أقوام وحركت نفوسهم والتهبت فيها نيران الغضب وحثتهم على قتل أبناء الأعمام والأقرباء والعشائر حتى قتلوهم بذنوب آبائهم ووزر أجدادهم ولم يرحموا منهم أحداً . ومن الألحان والنغمات أيضاً مايسكن سورة الغضب ويحل الأحقاد ويوقع الصلح ويكسب الألفة والمحبة فمن ذلك مايحكى ان فى بعض مجالس الشراب اجتمع رجلان متغاضبان وكان بينهما ضغن قديم وحقد كامن فلما دار الشراب بينهما ثار الحقد والتهبت نيران الغضب وهم كل واحد منهما بقتل صاحبه فلما أحس الموسيقار بذلك منهما وكان ماهراً فى صناعته غير نغمات الأوتار وضرب اللحن الملين المسكن وأسمعهما . وداوم حتى سكن سورة الغضب عنهما وقاما فتعانقا وتصالحا . ومن الألحان والنغمات ماينقل النفوس من حال الى حال ويغير أخلاقها من ضد الى ضده ومن ذلك مايحكى ان جماعة كانت من أهل هذه الصناعة مجتمعة فى دعوة رجل

رئيس كبير فرتب مراتبهم فى مجلسه. بحسب حذقهم فى صناعتهم إذ دخل عليهم انسان رث الحال عليه ثياب رثة فرفعه صاحب المجلس عليهم كلهم وتبين انكار ذلك فى وجوههم فأراد أن يبين فضله ويسكن عنهم غضبهم فسأله أن يسمعهم شيئاً من صناعته فأخرج الرجل خشبات كانت معه فركبها ومد عليها أوتاره وحركها تحريكا فأضحك كل من كان فى المجلس من اللذة والفرح والسرور الذي حل داخل نفوسهم ثم قلبها وحركها تحريكا آخر أبكاهم كلهم من رقة النغمة وحزن القلوب ثم قلبها وحركها تحريكا نومهم كلهم وقام وخرج فلم يعرف له خبر

فقد تبين بما ذكرنا ان لصناعة الموسيقى تأثيرات فى نفوس المستمعين مختلفة كاختلاف تأثيرات صناعات الصناع فى الهيوليات الموضوعة فى صناعاتهم فمن أجلها يستعملها كل الامم من بنى آدم وكثير من الحيوانات أيضاً ومن الدليل على ان لها تأثيرات فى النفوس استعمال الناس لها تارة عند الفرح و السرور فى الاعراس والولائم والدعوات، وتارة عند الحزن والغم والمصائب وفى المآتم وتارة فى بيوت العبادات وفى الاعياد ، وتارة فى الاسواق والمنازل ، وفى الاسفار وفى الحضر وعند الراحة والتعب وفى مجالس الملوك ومنازل السوقة ، ويستعملها الرجال والنساء والصبيان والمشايخ والعلماء والجهال والصناع والتجار وجميع طبقات الناس

فصل

فى ان أصل صناعة الموسيقى للحكماء

اعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الصنائع كلها استخرجتها الحكماء بحكمتها ثم تعلمها الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثة من الحكماء للعامة ومن العلماء للمتعلمين ومن الاساتذة للتلامذة فصناعة الموسيقى استخرجتها الحكماء بحكمتها وتعلمها الناس منهم واستعملوها كسائر الصنائع في أعمالهم ومتصرفاتهم بحسب اغراضهم المختلفة فاما استعمال أصحاب النواميس الالهية لها

في الهيا كل وبيوت العبادات وعند القراءة في الصلوات وعند القرابين والدعاء والتضرع والبكاء كما كان يفعل داود النبي عليه السلام عند قراءة مزاميره وكما يفعل النصارى في كنائسهم والمسلمون في مساجدهم من طيب النغمة ولحن القراءة فان كل ذلك لرقة القلوب ولخضوع النفوس ولخشوعها والانقياد لاوامر الله تعالى ونواهيه والتوبة اليه من الذنوب والرجوع الى الله سبحانه وتعالى باستعمال سنن النواميس كما رسمت

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان أحد الاسباب التي دعت الحكماء الى وضع النواميس واستعمال سننها هو ماقد لاح لهم من موجبات أحكام النجوم من السعادات والمناحس عند ابتداء القرانات وتحاويل السنين من الغلاء أو الرخص أو الجدب أو الخصب أو القحط أو الطاعون والوباء أو تسلط الاشرار والظالمين وما شاكلها من تغيرات الزمان وحوادث الايام فلما تبين لهم ذلك طلبوا حيلة تنجيهم منها ان كانت شراً وتوفر حظهم فيها ان كانت خيرا فلم يجدوا حيلة أنجى ولا شيئاً أنفع من استعمال سنن النواميس الالهية التي هي الصوم والصلاة والقرابين والدعاء عندذلك بالتضرع الى الله تعالى جل ثناؤه بالخضوع والخشوع والبكاء والسؤال اياه ان يصرف عنهم ذلك ويكشف ماقد أوجبته أحكام النجوم من المناحس والبلاء وكانوا لا يشكون انهم اذا دعوا الله بالنية والاخلاص ورقة القلب والبكاء والتضرع والتوبة والانابة ان يصرف عنهم مايخافون ويكشف عنهم ماهم مبتلون به ويتوب عليهم ويغفر لهم ويجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم وكانوا يستعملون عند الدعاء والتسبيح والقراءة الحانا من الموسيقى تسمى «المحزن» وهي التي ترقق القلوب اذا سمعت وتبكي العيون وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب واخلاص السرائر واصلاح الضمائر فهذا كان احد أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى واستعمالها في الهيا كل وعند القرابين والدعاء والصلوات

وكانوا أيضا قد استخرجوا لحنا آخر يقال له « المشجع » كانت تستعمله قادة الجيوش فى الحروب والهيجاء يكسب النفس شجاعة واقداما . واستخرجوا أيضا لحنا آخر كانوا يستعملونه فى المارستانات وقت الاسحار يخفف ألم الاسقام والامراض عن المريض ويكسر سورتها ويشفي من كثير من الامراض والاعلال واستخرجوا أيضا لحنا آخر يستعمل عند المصائب والاحزان والغموم فى المآتم يعزى النفوس ويخفف ألم المصائب ويسلى عن الاشتياق ويسكن الحزن واستخرجوا أيضا لحنا آخر يستعمل عند الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة مثل مايستعمله الحمالون والبناؤن وملاح الزواريق وأصحاب المراكب يخفف عنهم كد الابدان وتعب النفوس

واستخرجوا أيضا ألحانا أخر تستعمل عند الفرح واللذة والسرور فى الاعراس والولائم وهى المعروفة المستعملة فى زماننا هذا. وقد تستعمل هذه الصناعة للحيوانات أيضا مثل مايستعمله الجمالون من الحداء فى الاسفار وفى ظلم الليل لينشط الجمال فى السير ويخفف عليها ثقل الاحمال، ويستعملها رعاة الغنم والبقر والخيل عند ورودها الماء من الصفير ترغيبا لها فى شرب الماء . ويستعملون لها أيضا الحانا أخر عند هيجانها للنزو والسفاد والحانا أخر عند حلب البانها لتدر ويستعمل صياد الغزلان والدراج والقطا وغيرها من الطيور الحانا فى ظلم الليل يوقعها بها حتى تؤخذ باليد، وتستعمل النساء للاطفال الحانا تسكن البكاء وتجلب النوم، فقد تبين بما ذكرنا ان صناعة الموسيقى يستعملها كل أحد من الامم ويستلذها جميع الحيوانات التى لها حاسة السمع وان للنغمات تأثيرات فى النفوس الروحانية كما أن لسائر الصنائع تأثيرات فى الهيوليات الجسمانية ، فنقول الآن: ان الموسيقى هى الغناء والموسيقار هو المغنى والموسيقات هو آلة الغناء والغناء هو الحان مؤلفة واللحن هو نغمات متواترة والنغمات هى أصوات متزنة والصوت هو قرع يحدث فى الهواء من تصادم الاجسام بعضها ببعض كما

بينا فى رسالة « الحاس والمحسوس » ولكن نحتاج ان نذكر من ذلك فى هذه الرسالة مالا بد منه

﴿ فصل ﴾

في كيفية ادراك القوة السامعة للاصوات

فاما كيفية ادراك القوة السامعة للاصوات فاعلم يا أخي ان الاصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية وغير الحيوانية أيضا نوعان طبيعية وآلية فالطبيعية هي كصوت الحجر والحديد والخشب والرعد والريح وسائر الاجسام التى لاروح فيها من الجمادات، والآلية كصوت الطبل والبوق والزمر والاوتار وما شاكلها. والحيوانية نوعان منطقية وغيرمنطقية فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات الغير الناطقة واما المنطقية فهى أصوات الناس، وهى نوعان دالة وغير دالة فغير الدالة كالضحك والبكاء والصياح، وبالجملة كل صوت لاهجاء له. واما الدالة فهى الكلام والاقاويل التى لها هجاء وكل هذه الاصوات انما هى قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجرام، وذلك ان الهواء لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الاجسام كلها فاذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج الى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروي واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه الى أن يسكن ويضمحل فمن كان حاضرا من الناس وسائر الحيوانات الذي له أذن بالقرب من ذلك المكان فيتموج ذلك الهواء بحركته يدخل في أذنيه الى صماخيه في مؤخر الدماغ ويتموج أيضا ذلك الهواء الذي هناك فتحس عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة وذلك التغيير

واعلم ان كل صوت له نغمة وصفية وهيئة روحانية خلاف صوت آخر، وان الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل صوت بهيأته وصفته ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض فيفسد هيأتها الى ان يبلغها الى أقصى مدى غاياتها عند القوة

السامعة لتؤديها الى القوة المتخيلة التى مسكنها مقدم الدماغ وذلك تقدير العزيز الحكيم الذي جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون . واذ قد فرغنا من ذكر ماهية الاصوات وكيفية حمل الهواء وكيفية ادراك القوة السامعة لها، فنذكر الآن كيفية حدوث أنواعها من تصادم الاجسام بعضها ببعض، فنقول : ان كل جسمين تصادما برفق ولين لا تسمع لهما صوتا لان الهواء ينسل من بينهما قليلا قليلا فلا يحدث صوتا وانما يحدث الصوت من تصادم الاجسام متى كان صدمها بشدة وسرعة لان الهواء عند ذلك يندفع مفاجأة ويتموج بحركته الى الجهات الست بسرعة فيحدث الصوت ويسمع كما بينا في فصل قبل هذا والاجسام العظيمة اذا تصادمت كان صوتها أعظم لانها تموج هواء أكثر . وكل جسمين من جوهر واحد مقدارهما واحد وشكلهما واحد نقرا نقرة واحدة معاً فان صوتيهما يكونان متساويين فان كان أحدهما أجوف كان صوته أعظم لانه يصدم هواء كثيرا داخلا وخارجا والاجسام الملس أصواتها ملساء لان السطوح المشتركة التى بينها وبين الهواء ملساء والاجسام الخشنة تكون أصواتها خشنة لان السطوح المشتركة بينها وبين الهواء خشنة والاجسام الصلبة المجوفة كالاوانى والطرجهارات والجرار اذا نقرت طنت زمانا طويلا لان الهواء في جوفها يتردد ويصدمها مرة بعد مرة وتارة بعد أخرى الى ان يسكن فما كان منها أوسع كان صوتها أعظم لانه يصدم هواء كثيرا داخلا وخارجا . والبوقات الطوال كان صوتها أعظم لان الهواء المتموج فيها يصدمها في مرور مسافة بعيدة. والحيوانات الكبيرة الرئات الطويلة الحلاقيم الواسعة المناخر والاشداق تكون جهيرة الاصوات لأنها تستنشق هواء كثيراً وترسله بشدة •

فقد تبين بما ذكرنا أن علة عظم الصوت انما هي بحسب عظم الأجسام المصوتة وشدة صدمها وكثرة تموج الهواء فى الجهات عنها فنقول :

ان أعظم الأصوات صوت الرعد وقد بينا علة حدوثه فى رسالة الآثار العلوية

ولكن نذكر هنا مالا بد منه. أما علة حدوثه فهو أن البخارين الصاعدين فى الجو من البحار والبراري اذا ارتفعا فى الهواء واختلطا واحتوى البخار الرطب اليابس الذى هو الدخان واحتوى الزمهرير على البخارين الرطب واليابس وحصرهما انضغط البخار اليابس فى جوف البخار الرطب والتهب وطلب الخروج فدفع البخار الرطب وخرقه فيفرقع البخار الرطب من حرارة ذلك الدخان اليابس كما تفرقع الأشياء الرطبة اذا احتوت عليها حرارة النار دفعة واحدة ويحدث من ذلك قرع في الهواء ويندفع الى جميع الجهات وينقدح من خروج ذلك الدخان اليابس فى جوف السحاب ضوء يسمى البرق كما يحدث من دخان السراج المنطفيء اذا أدنى من سراج مشتعل ثم ينطفي وربما يذوب من ذلك البخار الرطب شيء من جوف السحاب ويصير ريحاً ويدور في خلل السحاب وجوف الغيوم ويطلب الخروج ويسمع له دوي وقرقرة كما يسمع الانسان من جوفه اذا كان يعرض له ريح وانتفاخ وربما ينشق السحاب دفعة واحدة مفاجأة فتخرج تلك الريح ويكون منها صوت هائل يسمى صاعقة فهذه علة صوت الرعد وكيفية حدوثه فأما أصوات الرياح وعلة حدوثها فهي أن الرياح ليست شيئاً سوى تموج الهواء شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً وفوقاً وتحتاً فاذا صدم في حركته وجريانه الجبال والحيطان والاشجار والنبات وتخللها حدث من ذلك فنون الاصوات والدوي والطنين مختلفة الانواع كل ذلك بحسب كبر الاجسام المصدومة وصغرها وأشكالها وتجويفها ويطول شرحها.

وأما أصوات المياه في جريانها وتموجها وتصادمها مع الاجسام فان الهواء للطافة جوهره وسيلان عنصره يتخللها كلها ويكون حدوث تلك الاصوات وفنون أنواعها بحسب تلك الاسباب التى ذكرناها في أمر الرياح. وأما أصوات الحيوانات ذوات الرئة واختلاف أنواعها وفنون نغماتها فهي بحسب طول أعناقها وقصرها وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها وشدة استنشاقها الهواء

وقوة ارسال أنفاسها من أفواهها ومناخرها يطول شرحها وأما أصوات الحيوانات التي ليست لها رئة كالزنابير والجراد والصرصر وماشا كلها فانها تحرك الهواء بجناحين لها سرعة وخفة فيحدث من ذلك أصوات مختلفة كما يحدث من تحريك أوتار العيدان وتكون فنونها واختلاف أنواعها بحسب لطافة أجنحتها وغلظها وطولها وقصرها وسرعة تحريكها لها. وأما الحيوانات الخرس كالسمك والسرطان والسلاحف وماشا كلها فهي خرس لأن ليس لها رئة ولا جناحان وان اختلاف تلك الاصوات يكون بحسب شدة يبسها وصلابتها وكمية مقاديرها من الكبر والصغر والطول والقصر والسعة والضيق وفنون أشكالها من التجويف والتقبيب والثقب وقوة الصدمة وما يعرض فيها من الاسباب كما سنبين ذلك في موضعه

وأما فنون أصوات الآلات المتخذة للتصويت كالطبول والبوقات والدبادب والدفوف والسرناي والمزامير والعيدان وماشا كلها فهي بحسب أشكالها وجواهرها التي هي متخذة منها وكبرها وصغرها وطولها وقصرها وسعة أجوافها وضيق ثقبها ورقة أوتارها وغلظها وبحسب فنون تحريك المحركين لها.

ونحتاج ان نذكر من هذا الفن طرفاً اذ كان أحد أغراضنا من هذه الرسالة تبيان ماهية الموسيقى الذي هو ألحان مؤتلفة ونغمات متزنة وهو المسمى الغناء ولما تبين بما ذكرنا أن الغناء انما هو ألحان مؤتلفة واللحن هو نغمات متزنة والنغمات المتزنة لا تحدث الا من حركات متواترة بينها سكنات متتالية أحتجنا ان نذكر أولا ما الحركة وما السكون فنقول: ان الحركة هي النقلة من مكان الى مكان في زمان ثان وضدها السكون وهو الوقوف في المكان الاول في الزمان الثاني والحركة نوعان سريعة وبطيئة والحركة السريعة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة بعيدة في زمان قصير والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة أقل منها في ذلك الزمان بعينه والحركتان لا يعدان اثنتين الا ان يكون بينهما زمان سكون والسكون هو وقوف المتحرك في مكانه الاول زمانا ما كان يمكنه ان يكون متحركاً فيه حركة ما وإذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا ان نبينه فنقول الآن: ان الاصوات تنقسم

من جهة الكيفية ثمانية أنواع كل نوعين منها متقابلان من جنس المضاف فنها العظيم والصغير والسريع والبطيء والحاد والغليظ والجهير والخفيف، فأما العظيم والصغير من الاصوات فباضافة بعضها الى بعض والمثال في ذلك أصوات الطبول وذلك أن أصوات طبول المواكب اذا أضيفت الى أصوات طبول المخانيث كانت عظيمة واذا أضيفت الى أصوات الكوس كانت صغيرة وأصوات الكوس اذا أضيفت الى أصوات الرعد والصواعق كانت صغيرة والكوس هو طبل عظيم يضرب في ثغور خراسان عند النفير يسمع صوته من فراسخ فعلى هذا المثال يعتبر عظم الاصوات وصغرها باضافة بعضها الى بعض . وأما السريع والبطيء من الاصوات باضافة بعضها الى بعض فهي التي تكون أزمان سكونات ما بين نقراتها قصيرة بالاضافة الى غيرها والمثال في ذلك أصوات كوذينات القصارين ومطارق الحدادين فانها سريعة بالاضافة الى أصوات دق الرزازين والجصاصين وهي بطيئة بالاضافة اليها وأما بالاضافه الى أصوات مجاذيف الملاحين فهي سريعة وعلى هذا المثال تعتبر سرعة الاصوات وبطؤها باضافة بعضها الى بعض. وأما الحاد والغليظ من الاصوات باضافة بعضها الى بعض فهي كأصوات نقرات الزير وحدته بالاضافة الى نقرات المثنى والمثنى الى المثلث والمثلث الى البم فانها تكون حادة فأما بالعكس فان صوت البم بالاضافة الى المثلث والمثلث الى المثنى والمثنى الى الزير فغليظة ومن وجه آخر أيضاً فان صوت كل وتر مطلقاً غليظ بالاضافة الى مزمومه أي مزموم كان فعلى هذا القياس تعتبر حدة الاصوات وغلظها باضافة بعضها الى بعض. وأما الخفيف والجهير من الاصوات فقد تقدمت إبانتهما عند ذكر علتهما في الفصل الاول والاصوات تنقسم من جهة الكمية نوعين متصلة ومنفصلة فالمتصلة هي التي بين أزمان حركة نقراتها زمان سكون محسوس مثل نقرات الاوتار وإيقاعات القضبان .وأما المتصلة من الاصوات فهي مثل أصوات المزامير والنايات والدبادب والدواليب والنواعير وما شاكلها .والاصوات المتصلة تنقسم نوعين حادة وغليظة

فما كان من النايات والمزامير أوسع تجويفاً وثقباً كان صوته أغلظ وما كان أضيق تجويفاً وثقباً كان صوته أحد ومن جهة أخرى أيضاً ما كان من الثقب الى موضع النفخ أقرب كانت نغمته أحد وما كان أبعد كان أغلظ

﴿ فصل في امتزاج الاصوات وتنافرها ﴾

اعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان أصوات الأوتار المتساوية الغلظ والطول والخرق إذا نقرت نقرة واحده كانت متساوية ، وإن كانت متساوية في الطول مختلفة في الغلظ كانت أصوات الغليظ أغلظ وأصوات الدقيق أحد، وإن كانت متساوية في الطول والغلظ مختلفة في الخرق كانت أصوات المخروقة حادة وأصوات المسترخية غليظة ، وإن كانت متساوية في الغلظ والطول والخرق مختلفة في النقر كان أشدها نقراً أعلاها صوتاً

واعلم بأن الأصوات الحادة والغليظة متضادان ولكن إذا كانت على نسبة تأليفية ائتلفت وامتزجت واتحدت وصارت لحناً موزوناً واستلذتها المسامع وفرحت بها الارواح وسرت بها النفوس وإن كانت على غير النسبة تنافرت وتباينت ولم تأتلف ولم تستلذها المسامع بل تنفر عنها وتشمئز منها النفوس وتكرهها الأرواح . والأصوات الحادة حارة تسخن مزاج أخلاط الكيموسات الغليظة وتلطفها . والأصوات الغليظة باردة ترطب مزاج أخلاط الكيموسات الحارة اليابسة . والأصوات المعتدلة بين الحادة والغليظة تحفظ مزاج أخلاط الكيموس المعتدل على حالته كيلا يخرج عن الاعتدال . والأصوات العظيمة الهائلة الغير المتناسبة إذا وردت على المسامع دفعة واحدة مفاجأة أفسدت المزاج وأخرجت عن الاعتدال وتحدث موت الفجأة ولها آلة صناعية كان اليونانيون يستعملونها عند الحروب ويفزعون بها نفوس الأعداء ويسد النافخون فيها آذانهم عند استعمالها وتحريكها. والأصوات المعتدلة المتزنة المتناسبة تعدل مزاج الأخلاط وتفرح الطباع وتستلذ بها الأرواح وتسر بها النفوس

﴿ فصل في تأثر الأمزجة بالأصوات ﴾

إعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن أمزجة الأبدان كثيرة الفنون وطباع الحيوانات كثيرة الانواع ولكل مزاج وكل طبيعة نغمة تشا كلها ولحن يلائمها لايحصي عددها إلا الله عز وجل والدليل على حقيقة ماقلنا وصحة ماوصفنا انك تجد إذا تأملت لكل أمة من الناس ألحاناً ونغمات يستلذونها ويفرحون بها لايستلذها غيرهم ولايفرح بها سواهم مثل غناء الديلم والاتراك والاعراب والارمن والزنج والفرس والروم وغيرهم من الامم المختلفة الألسن والطباع والأخلاق والعادات . وهكذا أيضاً انك تجد فى الأمة الواحدة من هذه أقواماً يستلذون ألحاناً ونغمات وتفرح نفوسهم بها ولا يسر بها من سواهم. وهكذا أيضاً ربما تجد انساناً واحداً يستلذ وقتاً ما لحناً ويسره ووقتاً آخر لا يستلذه بل ربما يكرهه ويتألم منه وهكذا تجد حكمهم في مأكولاتهم ومشروباتهم وفي مشموماتهم وملبوساتهم وسائر الملاذ والزينة والمحاسن ، كل ذلك بحسب تغيرات أمزجة الأخلاط واختلاف الطبائع وتركيب الأبدان والأماكن والأزمان كما بينا طرفاً من ذلك فى رسالة الاخلاق

﴿ فصل في أصول الألحان وقوانينها ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان لكل أمة من الناس ألحاناً من الغناء وأصواتاً ونغمات لايشبه بعضها بعضاً ولايحصي عددها كثرة إلا الله تعالى الذي خلقهم وصورهم وطبعهم على اختلاف أخلاقهم وألسنتهم وألوانهم، ولكن نريد أن نذكر أصول الغناء وقوانين الألحان التي منها يتركب سائرها وذلك ان الغناء مركب من الألحان واللحن مركب من النغمات والنغمات مركبة من النقرات والايقاعات وأصلها كلها حركات وسكون كما أن الأشعار مركبة من المصاريع والمصاريع مركبة من المفاعيل والمفاعيل مركبة من الأسباب والأوتاد والفواصل وأصلها كلها حروف متحركات وسواكن كما بينا ذلك في كتاب العروض وكذلك الأقاويل كلها مركبة من الكلمات والكلمات من الأسماء والأفعال والأدوات.

وكلها مركبة من الحروف المتحركات والسواكن كما بينا في كتاب المنطق . ومن يريد أن ينظر في هذا العلم فيحتاج أن يرتاض أولا في علم النحو والعروض مما لابد منه ، وقد ذكرنا في رسالة المنطق مايحتاج اليه المتعلم والمبتدئ،ونحتاج أن نذكر هاهنا أصل العروض وهو ميزان الشعر وقوانينه إذ كانت قوانين الموسيقى مماثلة لقوانين العروض فنقول :

ان العروض هو ميزان الشعر يعرف به المستوي والمزحف وهي ثمانية مقاطع في الأشعار العربية وهي هذه : فعولن ، مفاعيل ، متفاعلن ، مستفعلن ، فاع لاتن ، فاعلن ، مفعولات ، مفاعلتن . وهذه الثمانية مركبة من ثلاثة أصول وهي : السبب ، والوتد ، والفاصلة . فالسبب حرفان : واحد متحرك ، وآخر ساكن أو متحرك مثل قولك هل لم وماشا كلها . والوتد ثلاثة أحرف : اثنان متحركان وواحد ساكن مثل قولك نعم وبلى وأجل وماشا كلها . والفاصلة أربعة أحرف : ثلاثة متحركة وواحد ساكن مثل قولك غلبت فعلت وماشا كلها . وأصل هذه الثلاثة حرف ساكن وحرف متحرك، فهذه قوانين العروض وأصوله

وأما قوانين الغناء والألحان فهي أيضاً ثلاثة أصول وهي السبب والوتد والفاصلة . فأما السبب فنقرة متحركة يتلوها سكون مثل قولك تن تن تن تن ويكرر دائماً . والوتد نقرتان متحركتان يتلوهما سكون مثل قولك تنن تنن تنن تنن يكرر دائماً . والفاصلة ثلاث نقرات متحركة يتلوها سكون مثل قولك تننن تننن تننن . فهذه الثلاثة هي الأصل والقانون في جميع مايركب منها من النغمات وما يركب من النغمات في جميع اللغات من الألحان ومايتركب منها من الغناء في جميع اللغات ، فاذا ركبت من هذه الثلاثة الاصول اثنين اثنين كانت منها تسع نغمات ثنائية وهي هكذا نقرة ونقرتان مثل قولك تن تنن وتكرر دائماً ومنها نقرتان ونقرة مثل قولك تنن تن وتكرر دائماً ومنها نقرة وثلاث نقرات مثل قولك تن تننن ويكرر دائماً ومنها نقرتان ونقرتان مثل قولك تنن تنن ويكرر دائماً ومنها ثلاث نقرات ثلاث نقرات مثل قولك تننن تننن ومنها ثلاث نقرات

ونقرتان مثل قولك تنن تن ويكرر دائماً ومنها ثلاث نقرات ونقرة مثل قولك تنن تن ويكرر دائماً ومنها نقرة وسكون قدر نقرة وهي الاصل والعمود مثل قولك تن تن تن تن ويكرر دائماً فهـذه جملة النغمات الثنائية

وأما الثلاثية فهي عشر تركيبات : نقرة ونقرتان وثلاث نقرات، ونقرتان ونقرة وثلاث نقرات، ونقرة وثلاث نقرات ونقرتان ، وثلاث نقرات ونقرة ونقرتان ، ونقرتان وثلاث نقرات ونقرة ، وثلاث نقرات ونقرتان ونقرة، ونقرة وثلاث نقرات ونقرة ، ونقرتان وثلاث نقرات ونقرتان، وثلاث نقرات ونقرة وثلاث نقرات، وثلاث نقرات ونقرتان وثلاث نقرات . فهذه جميع أنواع الايقاع المركبة من النقرات ثلاثة منها مفردة وتسعة ثنائية وعشرة ثلاثية فذلك اثنان وعشرون تركيباً

والذي تركب من هذه في غناء العربيـة ثمانية أنواع وهي : الثقيل الأول وخفيفه والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه والهزج وخفيفه . وهذه الثمانية الاجناس هي الأصل ومنها يتفرع سائر أنواع الألحان واليها تنسب كما ان من الثمانية مقاطع يتفرع سائر ما في دوائر العروض فقد تبين بما ذكرنا ان كل صناعة من الرياضيات أربعة أصول منها يتركب سائرها وتلك الأربعة أصلها واحد كما بينا في رسالة الارثماطيقي كيفية تركيب العدد من الواحد الذي قبـل الاثنين وفي رسالة جومطريا بينا بأن النقطة في صناعة الهندسة مماثلة للواحد في صناعة العدد وفي رسالة الاسـطرنوميا بينا ان الشمس وأحوالها من بين الـكواكب كالواحد في العدد والنقطة في صناعة الهندسة . وفي رسالة النسب العددية بينا ان نسـبة المساواة أصل وقانون في علم النسب كالواحد في صناعة العدد . وفي هذه الرسالة قد بينا ان الحركة كالواحد والسبب كالاثنين والوتد كالثلاثة والفاصلة كالأربعة وسائر نغمات الألحان والغناء مركبة منها كما ان سائر الأعداد من الآحاد والعشرات والمئين والألوف مركبة من الاربعة والثلاثة ولاثنين والواحد . وفي رسالة المنطق قد بينا أيضاً ان الجوهر كالواحد والتسع

المقولات الأُخر كتسعة الآحاد أربعة منها متقدمة على باقيها وهي الجوهر والكم والكيف والمضاف وسائرها مركبة منها . وفي رسالة الهيولى بينا ان الجسم مركب من الجوهر والطول والعرض والعمق وسائر الأجسام مركبة من الجسم المطلق . وفي رسالة المبادىء بينا ان الباري جل ثناؤه نسبته من الموجودات كنسبة الواحد من العدد والعقل كالاثنين والنفس كالثلاثة والهيولى كالاربعة وسائر الخلائق مركبة من الهيولى والصورة المخترعين من النفس الكلية والنفس الكلية منبعثة من العقل الكلي ، والعقل والعقل مبدع بأمر الباري جل ثناؤه ، أبدعه الله لا من شيء وصور فيه جميع الأشياء بالقوة والفعل .وغرضنا من هذه الرسائل كلها أن نبين لاهل كل صناعة وحدانية الباري جل ثناؤه من صناعتهم لتكون أقرب الى فهمهم وأبين لحجتهم وأوضح لبرهانهم وهكذا فعلنا في سائر الرسائل .و نبين أيضاً كيفية حدوث الموجودات بعضها من بعض باذن الله جل ثناؤه وحسن عنايته واتقان حكمته ودقة صنعته فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين وأرحم الراحمين وأكرم الاكرمين

ونرجع الآن الى ما كنا فيه فنقول : ان كل نقرتين من نقرات الاوتار وايقاعات القضبان فلا بد من أن يكون بينهما زمان سكون طويلا كان أو قصيراً وانه اذا تواترت نقرات تلك الاوتار وايقاعات تلك القضبان تواترت أيضاً سكونات بينهما ثم لا تخلو أزمان تلك السكونات من ان تكون مساوية لازمان تلك الحركات أو تكون أطول منها واذا كانت أقصر منها فالمتفق عليه بين أهل هذه الصناعة ان زمان الحركة لا يمكن ان يكون أطول من زمان السكون الذي هو من جنسه فان كانت أزمان السكونات مساوية لازمان الحركات في الطول ولا يمكن ان يقع في تلك الازمان حركة أخرى سميت تلك النغمات عند ذلك العمود الاول وهو الخفيف الذي لا يمكن ان يكون أخف منه لانه ان وقعت في تلك الازمان حركة أخرى صارت نغمتها متصلة بنغمة النقرة التي قبلها والتي بعدها وصار الجميع صوتا متصلا وان كانت أزمان السكونات طولها بمقدار ما يمكن ان يقع فيها حركة

أخرى سميت تلك النغمات العمود الثانى والخفيف الثانى وان كانت أزمان تلك السكونات أطول من هذه بمقدار مايمكن أن يقع فيهاحركتان سميت تلك النغمات الثقيل الاول وان كانت تلك الازمان أطول من هذه بمقدار مايمكن أن يقع فيها ثلاث حركات سميت تلك النغمات الثقيل الثانى وهذا الذي ذكرناه ووصفناه على مايوجبه القياس والقانون فاما على مايعرفه أهل هذا الزمان من المغنين وأصحاب الملاهي من الخفيف والثقيل فهو غير هذا وسنذكره بعد هذا الفصل

واعلم يا أخي بانه اذا زادت أزمان السكونات التى بين النقرات والايقاعات على هذا المقدار من الطول خرج من الاصل والقانون والقياس أعنى من ان تدركها وتميزها القوة الذائقة السمعية والعلة في ذلك أن الاصوات لاتمكث في الهواء زمانا طويلا الاريثما تأخذ المسامع حظها من الطنين ثم تضمحل تلك الاصوات من الهواء الحامل لها المؤدي الى المسامع كما بينا في فصل قبل هذا وهكذا أيضا طنين الاصوات لايمكث في المسامع زمانا الا ريثما تأخذ القوة المتخيلة رسومها ثم تضمحل من المسامع تلك الطنينات واذا طالت أزمان السكونات بين النقرات والايقاعات وزادت على المقدار الذي تقدم ذكره اضمحلت النغمة الاولى وطنينها من المسامع قبل ان ترد النغمة الاخرى فلا تقدر القوة المفكرة أن تعرف مقدار الزمان الذي بينهما فتميزها وتعرف التناسب الذي بينهما لأن جودة الذوق في المسامع هو معرفة كمية الازمان التى بين النغمتين وما بين ازمان السكونات وبين أزمان الحركات من التناسب والمقدار وعلى هذا المثال يجرى حكم سائر المحسوسات والقوى الحاسة المدركة لها . وذلك ان القوة الباصرة أيضا لاتقدر ان تعرف مقدار ابعاد مابين المرئيات الا اذا كانت متقاربة في الاماكن واما اذا بعد مابينها من الاماكن كما بعد ما بين المسموعات بالازمان فلا تقدر القوة الباصرة أن تدركها وتميز البعد مابينها الا بآلات هندسية كالذراع والأشل والباب والقبضة والاصابع كما بينافي رسالة الجو مطريا وهكذا اذا بعد مابين أزمان الحركات بطول أزمان السكونات فلا تقدر القوة الذائقة السامعة ان تدركها وتعرف بعد مابينها الا

بآلات رصدية كالطرجهارات والشياهين والاصطرلاب وما شاكلها من آلات الرصد فاما ان كانت قريبة أدركها السمع وميزها الذوق كما هو معروف في العروض فقد تبين بما ذكرناه من العلة فى أزمان السكونات التى بين النقرات وانه اذا زاد طولها على المقدار المذكور وخرج من الأصل والقانون وعلة أخرى أيضاً وهي ان النغمة الواحدة اذا وردت على القوة السامعة لايمكث فيها صوتها الى ان يضمحل الا بمقدار زمان ثلاث نقرات أخرى من أخواتها بين كل واحدة زمان سكون أحدهما. فتكون جملتها ثمانية أزمان فحسب، مثل هذا الشكل اه اه اه اه الألف علامة الساكن والهاء علامة المتحرك واذ قد فرغنا من ذكر مقادير أزمان الحركات والسكونات وما بينهما من البعد والتناسب فنريد ان نذكر أيضاً طرفاً من أمر الآلات المصوتة وكيفية صناعتها واصلاحها وما التام الكامل منها

﴿ فصل فى كيفية صناعة الآلات واصلاحها ﴾

اعلم يا أخي، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن الحكماء قد صنعوا آلات وأدوات كثيرة لنغمات الموسيقى والحان الغناء مفننة الاشكال كثيرة الانواع مثل الطبول والدفوف والنايات والصنوج والمزامير والسرنايات والصفارات والسلياب والشواشل والعيدان والطنابير والجنك والرباب والمعازف والاراغن والارمونيقي وما شاكلها من الآلات والادوات المصوتة . ولكن أتم آلة استخرجتها الحكماء وأحسن ماصنعوها الآلة المسماة بالعود ونحتاج ان نذكر من كيفية صنعها واصلاحها واستعمالها وكمية نسب مابين نغمات أوتارها وطولها وعرضها وغلظها ورقتها ونقراتها طرفاً شبه المدخل والمقدمات ليكون تنبيهاً لنفوس الطالبين للعلوم الفلسفية والناظرين في الآداب الرياضية ونبين لهم دقائق الحكمة وأسرار الصنائع التى هى كلها دلالة على الصانع الحكيم الذي هو الباري تبارك وجل ثناؤه وهو الذي خلق الصناع وألهمهم الصنائع الاول والحكم والعلوم والمعارف والله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين

ولكن نبدأ أولا بذكر ماقال أهل هذه الصناعة فانه قد قيل استعينوا في كل صناعة بأهلها فنقول : ان أهل هذه الصناعة قالوا ينبغي ان تتخذ الآلة التي تسمى العود خشباً طوله وعرضه وعمقه يكون على النسبة الشريفة وهي ان طوله مثل عرضه ومثل نصفه ويكون عمقه مثل نصف العرض وعنق العود مثل ربع الطول وتكون ألواحه رقاقاً متخذة من خشب خفيف ، ويكون الوجه رقيقاً من خشب صلب خفيف يطن اذا نقر ، ثم يتخذ أربعة أوتار بعضها أغلظ من بعض على النسبة الافضل وهو ان يكون غلظ البم مثل غلظ المثلث ومثل ثلثه وغلظ المثلث مثل غلظ المثنى ومثل ثلثه وغلظ المثنى مثل غلظ الزير ومثل ثلثه وهو ان يكون البم أربعة وستين طاقة ابريسم والمثلث ثمانياً واربعين طاقة والمثنى ستاً وثلاثين طاقة والزير سبعاً وعشرين طاقة ابريسم ثم تمد هذه الاوتار الاربعة على وجه العود مشدودة اسفلها في المشط ورؤسها في الملاوي فوق عنق العود فعند ذلك تكون اطوالها متساوية وهي في دقتها وغلظها مختلفة على هذه النسبة (سد مح لو كز) ثم يقسم طول الوتر الواحد بأربعة أقسام متساوية ويشد دستان الخنصر عند الثلاثة الارباع مما يلي عنق العود ثم يقسم طول الوتر من الرأس بتسعة أقسام متساوية ويشد دستان السبابة على التسع مما يلي عنق العود ثم يقسم طول الوتر عند دستان السبابة الى المشط بتسعة أقسام متساوية ويشد دستان البنصر على التسع منه فانه يقع فوق دستان الخنصر مما يلي دستان السبابة، ثم يقسم طول الوتر عند دستان الخنصر مما يلي المشط بثمانية أقسام ويزاد عليها هذا الدستان أعني دستان الوسطى يشد بحيال نقطة من الوتر بينها وبين دستان الخنصر ثمن مابين الخنصر الى المشط فيصير نسبة نغمة الوسطى هذه الى نغمة الخنصر مثلها فما بقي من الوتر فوق ويشد عند ذلك دستان الوسطى فانه يقع فيما بين دستان السبابة والبنصر فهذا هو إصلاح العود ونسب الاوتار ومواضع الدساتين

فأما كيفية اصلاح النغم ومعرفة مايكون بينها من النسب فهو ان يمد الزير ويحزق بحسب مايحتمل ان لاينقطع ثم يمد المثنى فوق الزير ويحزق ثم يزم بالخنصر وينقر مع مطلق الزير فاذا سمعت نغمتاهما متساويتين فقد استويا وإلا يزاد في حزق المثنى وإرخائه حتى يستويا، ثم يمد المثلث ويحزق ويزم بالخنصر وينقر مع مطلق المثنى حتى تسمع نغمتاهما متساويتين والا يزاد في الحزق والارخاء حتى يستويا ويسمع نغمتاهما كأنهما نغمة واحدة ثم يمد المثلث ويحزق ويزم بالخنصر وينقر مع مطلق المثنى حتى يسمع نغمتاهما متساويتين كأنهما نغمة واحدة ثم يمد البم ويحزق ويزم بالخنصر وينقر مع مطلق المثلث فاذا سمعت نغمتاهما متساويتين كأنهما نغمة واحدة فقد استويا واذا استوت هذه الأوتار على هذا الوصف وجدت نغمة مطلق كل وتر بالاضافة الى نغمة مزمومة بالخنصر مثله ومثل ثلثه في الغلظ والثقل ويوجد وأيضاً نغمة كل وتر مزموم بالخنصر مثل نغمة الوتر الذي تحته مطلقا بالسواء، أيضا نغمة مطلق كل وتر مثل نغمة مزمومه بالسبابة ومثل ثلثه سواء ويوجد أيضاً نغمة مطلق كل وتر ضعف نغمة الوتر الذي تحته وهو الثالث منه مزموماً بالسبابة ويوجد أيضاً نغمة سبابة كل وتر منه مثل نغمة بنصره ومثل ثمنه سواء ويوجد أيضاً نغمة وسطى كل وتر مثل نغمة خنصره ومثل ثمنه سواء وبالجملة مامن وتر ولا دستان من هذه الأوتار والدساتين الا ولنغماتها نسبة بعضها الى بعض ولكن منها ماهي فاضلة شريفة ومنها دون ذلك. فمن النسب الفاضلة الشريفة ان تكون النغمة مثل الأخرى سواء وتكون النغمة الغليظة مثل الحادة ومثل ثلثها ومثل نصفها او مثلها ومثل ربعها أو مثلها أومثل ثمنها. فاذا استوت هذه الاوتار على هذه النسب الفاضلة وحركت حركات متواترة متناسبة حدث عند ذلك منها نغمات متواترة متناسبة حادات خفيفات وثقيلات غليظات فاذا ألفت ضروبا من التأليفات كما تقدم ذكرها في فصل قبل هذا وصارت النغمات الغليظات الثقال للنغمات الحادات الخفاف كالاجساد وهي لها كالارواح واتحد بعضها ببعض وامتزجت وصارت الحانا وغناء كانت نقرات تلك الأوتار عند ذلك بمنزلة الأقلام

والنغمات الحادثات منها بمنزلة الحروف والألحان بمنزلة الكلمات والغناء بمنزلة الأقاويل والهواء الحامل لها بمنزلة القراطيس والمعاني المتضمنة في تلك النغمات والألحان بمنزلة الأرواح المستودعة في الأجساد فإذا وصلت المعاني المتضمنة في تلك النغمات والألحان الى المسامع أستلذت بها الطباع وفرحت فيها الأرواح وسرت بها النفوس لأن تلك الحركات والسكونات التي تكون بينها تصير عند ذلك مكيالا للازمان وأذرعا لها ومحاكية لحركات الاشخاص الفلكية ، كما ان حركات الكواكب والافلاك المتصلات المتناسبات هي أيضاً مكيال للدهور وأذرع لها ، فإذا كيل بها الزمان كيلا متساوياً متناسباً معتدلا كانت نغماتها مماثلة لنغمات حركات الافلاك والكواكب ومناسبة لها فعند ذلك تذكرت النفوس الجزئية التي في عالم الكون والفساد سرور عالم الافلاك ولذات النفوس التي هناك وعلمت وتبين لها بأنها في أحسن الاحوال وأطيب اللذات وأدوم السرور لأن تلك النغمات هي أصفى وتلك الالحان أطيب لأن تلك الاجسام أحسن تركيباً وأجود هنداماً وأصفى جوهراً وحركاتها أحسن نظاما ومناسباتها أجود تأليفا فاذا علمت النفس الجزئية التي في عالم الكون والفساد أحوال عالم الأفلاك وتيقنت حقيقة ما وصفنا تشوقت عند ذلك الى الصعود الى هناك واللحوق بأبناء جنسها من النفوس الناجية في الازمان الماضية من الامم الخالية فان قال قائل أن الفلك طبيعة خامسة لا يجوز أن يكون لاجسامه نغمات وأصوات فليعلم هذا القائل ان الفلك وان كانت طبيعته خامسة فليس بمخالف لهذه الاجسام في كل الصفات وذلك أن منها ما هو مضيء مثل النار وهي الكواكب ومنها ما هو مشف كالبلور وهي الافلاك ومنها ما هو صقيل كوجه المرآة وهو جرم القمر ومنها ما هو يقبل النور والظلمة مثل الهواء وهو فلك القمر وفلك عطارد وبيان ذلك ان ظل الأرض يبلغ مخروطه الى فلك عطارد وهذه كلها أوصاف للاجسام الطبيعية والاجسام الفلكية تشاركها فيها، فقد تبين ان الفلك وان كانت طبيعته خامسة فليس بمخالف للاجسام الطبيعية في كل الصفات بل في بعضها دون بعض وذلك أنها ليست بحارة ولا

باردة ولا رطبة بل يابسة صلبة أشد صلابة من الياقوت وأصفى من الهواء وأشف من البلور وأصقل من وجه المرآة وانها يماس بعضها بعضا وتصطك وتحتك وتطن كما يطن الحديد والنحاس وتكون نغماتها متناسبات مؤتلفات وألحانها موزونات كما بينامثالها فى نغمات أوتار العيدان ومناسباتها

﴿ فصل ﴾

فى أن لحركات الافلاك نغمات كنغمات العيدان

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه انه لو لم يكن لحركات أشخاص الافلاك أصوات ولا نغمات لم يكن لأهلها فائدة من القوة السامعة الموجودة فيهم فان لم يكن لهم سمع فهم صم بكم عمي وهذه حال الجمادات الجامدات الناقصات الوجود وقد قام الدليل وصح البرهان بطريق المنطق الفلسفي ان أهل السموات وسكان الافلاك هم ملائكة الله وخالص عباده يسمعون ويبصرون ويعقلون ويعلمون ويقرؤن ويسبحون الليل والنهار لايفترون وتسبيحهم ألحان أطيب من قراءة داود للزبور في المحراب و نغمات الذ من نغمات أوتار العيدان الفصيحة فى الايوان العالى. فان قال قائل فانهم ينبغي ان يكون لهم أيضا شم وذوق ولمس فليعلم هذا القائل بان الشم والذوق واللمس انما جعل للحيوان الآكل للطعام والشارب للشراب ليميز بها النافع من الضار ويحرز جثته عن الحر والبرد المفرطين المهلكين لجثته فأما أهل السموات وسكان الافلاك فقد كفوا هذه الاشياء وهم غير محتاجين الى أكل الطعام والشراب بل غذاؤهم التسبيح وشرابهم التهليل وفاكهتهم الفكر والروية والعلم والشعور والمعرفة والاحساس واللذة والفرح والسرور والراحة · فقد تبين بما ذكرنا أن لحركات الافلاك والكواكب نغمات وألحانا طيبة لذيذة مفرحة لنفوس أهلها وان تلك النغمات والالحان تذكر النفوس البسيطة التى هناك سرور عالم الارواح التى فوق الفلك التى جواهرها أشرف من جواهر عالم الافلاك وهو عالم النفوس ودار الحياة التى نعيمها كلها روح

وريحان فى درجات الجنان كما ذكر الله تعالى فى القرآن . والدليل على صحة ماقلناه والبرهان على حقيقة ماوصفنا ان نغمات حركات الموسيقار تذكر النفوس الجزئية التى في عالم الكون والفساد سرور عالم الافلاك كما تذكر نغمات حركات الافلاك والكواكب النفوس التى هى هناك سرور عالم الارواح وهي النتيجة التى أنتجت من المقدمات المقرر بها عند الحكماء وهي قولهم ان الموجودات المعلولات الثوانى تحاكى أحوالها أحوال الموجودات الاولى التى هى علل لها، فهذه مقدمة واحدة والاخرى قولهم ان الاشخاص الفلكية علل أوائل لهذه الاشخاص التى فى عالم الكون والفساد وان حركاتها علة لحركات هذه وحركات هــذه تحاكى حركاتها فوجب ان تكون نغمات هذه تحاكى نغماتها والمثال فى ذلك حركات الصبيان فى لعبهم فانهم يحاكون أفعال الآباء والامهات وهكذا التلامذة والمتعلمون يحاكون فى أفعالهم وصنائعهم أفعال الاستاذين والمعلمين وأحوالهم وان أكثر العقلاء يعلمون بان الاشخاص الفلكية وحركاتها المنتظمة متقدمة الوجود على الحيوانات التى تحت فلك القمر وحركاتهــا علة لحركات هــذه ، وعالم النفوس متقدم الوجود على عالم الأجسام كما بينا فى رسالة الهيولى ورسالة المبادىء العقلية

فلمــا وجد فى عالم الكون حركات منتظمة ، لها نغمات متناسبة، دلت على أن فى عالم الافلاك ، لتلك الحركات المنتظمــة المتصلة ، نغمات متناسبة مفرحة لنفوسها ومشوقة لها الى ما فوقها كما يوجد فى طباع الصبيان اشتياق الى أحوال الآباء والامهات وفي طباع التلامذة والمتعلمين اشتياق الى أحوال الاستاذين وفى طباع العامة اشتياق الى أحوال الملوك وفى طباع العقلاء اشتياق الى أحوال الملائكة والتشبه بهم كما ذكر فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسية ويقال ان فيثاغورس الحكيم سمع بصفاء جوهر نفســه وذكاء قلبه نغمات حركات الأفلاك والكواكب فاستخرج بجودة نظره أصول الموسيقى ونغمات الألحان وهو أول من تكلم فى هذا العلم وأخبر عن هذا السر من الحكماء ثم بعده نيقوماخس وبطليموس واقليدس وغيرهم من الحكماء وهــذا

كان غرض الحكماء من استعمالهم الألحان الموسيقية ونغم الأوتار في الهياكل وبيوت العبادات عند القرابين في سنن النواميس الالهية وخاصة الألحان المحزنة المرققة للقلوب القاسية المذكرة للنفوس الساهية والارواح اللاهية الغافلة عن سرور عالمها الروحاني ومحلها النوراني ودارها الحيوانية. وكانوا يلحنون مع نقرات تلك الاوتار كلمات وأبياتا موزونة قد ألفت في هذا المعنى ووصف فيها نعيم عالم الارواح ولذات أهله وسرورهم كما يقرأ غزاة المسلمين عند النفير آيات من القرآن أنزلت فى هذا المعنى لترق القلوب وتشوق النفوس الى عالم الأرواح ونعيم الجنان مثل قوله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليـه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به» وأخوات هذه الآيات من القرآن ، وكما ينشد غزاة المسلمين عند اللقاء أيضاً أو الحملة على الهيجاء ما قيل من أبيات الشعر فى وصف الحور العين ونعيم الجنان مما يشوق النفوس الى هناك أو يشجع على الاقدام ، بالعربية والفارسية ، نحو قول الشاعر :

أبت لى عفتى وأبى بلائي ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامي على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات ... واحمى بعد عن عرض صحيح

وقول الشاعر الفارسى

بياتادل وجان بخد اوند سياريم ... اندوه درم وغم دينارنه داريم
جان رازپي دين وديانت بفروشيم ... وابن عمر فنار ابره غزو كذاريم

فأما الاشعار التى كان الحكماء الالهيون يلحنونها عند استعمالهم الموسيقى في الهياكل وبيوت العبادات لترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الساهية من نومة الغفلة والارواح اللاهيـة في رقدة الجهالة ولتشويقها الى عالمها الروحاني

ومحلها النوراني ودارها الحيوانية ولاخراجها من عالم الكون والفساد ولتخليصها من غرق بحر الهيولى ونجاتها من أسر الطبيعة فهي ما هـذه معانيها: « يا أيتها النفوس الغائصة في بحر الاجسام المدلهمة ويا أيتها الارواح الغريقة في ظلمات الاجرام ذوات الثلاثة الابعاد الساهية عن ذكر المعاد المنحرفة عن سبيل الرشاد اذكروا عهد الميثاق اذ قال لكم الحق الست بربكم قلتم بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا الجسمانيون من قبل وكنا ذرية من بعدهم جرمانيين في دار الغرور وضنك القبور، اذكروا عالمكم الروحاني ودار كم الحيوانية ومحلكم النوراني وتشوقوا الى آبائكم وامهاتكم واخوانكم الروحانيين الذين هم في أعلى عليين الذين هم من أوساخ الاجرام مبرؤن وعن ملابسة الاجسام الطبيعية منزهون بادروا وارحلوا من دار الفناء الى دار البقاء قبل أن يبادر بكم الى هناك مكرهين مجبورين غير مستعدين نادمين خاسرين »

ففي مثل هذه الاوصاف وماشاكل هذه المعاني كانت الحكماء تلحن مع نغمات الموسيقى في الهياكل وبيوت العبادات فقد تبين اذا بما ذكرنا طرف من غرض الحكماء في استعمالهم الموسيقى واستخراجهم أصول الحانه وتركيب نغماته واما علة تحريم الموسيقى في بعض شرائع الانبياء عليهم السلام فهو من أجل استعمال الناس لها على غير السبيل التى استعملها الحكماء بل على سبيل اللهو واللعب والترغيب في شهوات لذات الدنيا والغرور بأمانيها والابيات التى تنشد مشاكلة لها مثل قول القائل

خذوا بنصيب من نعيم ولذة * فكل وان طال المدى يتصرم

وقول القائل

ماجاءنا أحد يخبر أنه * في جنه مذمات أوفي نار

واعلم بان مثل هذه الابيات اذا سمعها أكثر الناس ظنوا وتوهموا انه ليست لذة ولا نعيم ولا فرح ولا سرور غير هذه المحسوسات التى يشاهدونها وان الذي أخبرت به الانبياء عليهم السلام من نعيم الجنات ولذات أهلها باطل والذي

أخبرت به الحكماء من سرور عالم الارواح وفضله وشرفه كذب وزور ليست له حقيقة ، فيقعون في شكوك وحيرة . واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه انك ان لم تؤمن للانبياء عليهم السلام بما أخبروك عنه من نعيم الجنان ولذات أهلها ولم تصدق الحكماء بما عرفوك من سرور عالم الارواح ورضيت بما تخيلك الاوهام الكاذبة والظنون الفاسدة بقيت متحيراً شاكا ضالا مضلا .

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان غرض الانبياء عليهم السلام في وضعهم النواميس والشرائع وغرض الحكماء في وضع السياسات ليس هو اصلاح امور الدنيا فحسب . بل غرضهم جميعا في ذلك اصلاح الدين والدنيا جميعا فاما غرضهم الاقصى فهو نجاة النفوس من محن الدنيا وشقاوة أهلها وايصالها الى سعادة الآخرة ونعيم أهلها . ونرجع الآن الى ما كنا فيه فنقول: انه اذا وصلت معاني النغمات والالحان الى أفكار النفوس بطريق السمع وتصورت فيها رسوم تلك المعاني التي كانت مستودعة في تلك الالحان والنغمات استغنى عن وجودها في الهواء كما يستغنى عن المكتوب في الالواح اذا فهم وحفظ ما كان فيها مكتوباً من المعاني وهكذا يكون حكم النفوس الجزئية اذا ما هي تمت وكملت وبلغت الى أقصى مدى غاياتها مع هذه الاجسام فعند ذلك هدمت أجسامها اما بموت طبيعي أو عرضي أو بقربان في سبيل الله تعالى واستخرجت تلك النفوس من الاجسام كما يستخرج الدر من الصدف والجنين من الرحم والحب من الاكمام والثمرة من القشرة واستؤنف بها أمر آخر كما يستأنف بالدر أمر آخر اذا رمي بالصدف وحصل الدر وهكذا حكم الثمار والحب اذا أدركت ونضجت فليس الا الصرام والحصاد والرمي بقشورها وتحصيل لبها ويستأنف بها حكم آخر وهذا حكم النفوس بعد مفارقة الاجسام يراد بها أمر آخر كما ذكر الله تعالى «أفرأيتم ماتمنون أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون» هكذا أيضا حكم نفوس الحيوانات بعد الذبح يستأنف بها أمر آخر فلا تقدر ياأخي بان ذرض واضعي

النواميس في تحليل ذبح البهائم في الهياكل عند القرابين انما هو لا كل لحومها حسب . بل غرضهم تخليص نفوسها من دركات جهنم عالم الكون والفساد ونقلها من حال النقص الى حال التمام والكمال في الصورة الانسانية التي هي أتم وأكمل صورة تحت فلك القمر وهذه الصورة هي آخر باب في جهنم عالم الكون والفساد كما بينا في رسالة حكمة الموت فانظر الآن يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه وتفكر واعلم بأن جسمك صدف ونفسك درة ثمينة لاتتغفل عنها فان لها قيمة عظيمة عند باريها وخالقها وقد بلغت آخر باب في جهنم فان بادرت وتزودت وسعيت وخرجت من هذا الباب الذي ظاهره من قبله العذاب ودخلت من الباب الذي باطنه فيه الرحمة ساجداً في صورة الملائكة فقد أفلحت وفزت ونجوت

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان صورة الملائكة هي التي توفى نفسك عند مفارقة الجسد كما ذكر الله تعالى بقوله «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون» واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن ملك الموت هو قابلة الارواح ودابة النفوس كما ان الداية للأجسام هي قابلة الاطفال

واعلم يا أخي بأن لكل نفس من المؤمنين أبوين في عالم الارواح كما ان لأجسادهم أبوين في عالم الأجساد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه أنا وأنت يا علي أبوا هذه الامة قال الله تعالى «ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين» وهذه الأبوة روحانية لا جسمانية. فنرجع الى ما كنا فيه فنقول ان الحكماء الموسيقاريين انما اقتصروا من أوتار العود على أربعة لا أقل ولا أكثر لتكون مصنوعاتهم مماثلة للأمور الطبيعية التي دون فلك القمر اقتداء بحكمة الباري جل ثناؤه كما بينا في رسالة الارثماطيقي، فوتر الزير مماثل لركن النار ونغمته مناسبة لحرارتها وحدتها والمثنى مماثل لركن الهواء ونغمته مناسبة لرطوبة الهواء ولينه والمثلث مماثل لركن الماء ونغمته مناسبة لرطوبة الماء وبرودته، والبم مماثل لركن الارض ونغمته مماثلة لثقل الارض وغلظها . وهذه الاوصاف لها بحسب مناسبة

بعضها الى بعض وبحسب تأثيرات نغماتها في أمزجة طباع المستمعين لها وذلك ان نغمة الزير تقوي خلط الصفراء وتزيد في قوتها وتأثيرها وتضاد خلط البلغم وتلطفه ، ونغمة المثنى تقوي خلط الدم وتزيد في قوته وتأثيره وتضاد خلط السوداء وترقه وتلينه ونغمة المثلث تقوى خلط البلغم وتزيد في قوته وتأثيره وتضاد خلط الصفراء وتكسر حدتها، ونغمة البم تقوي خلط السوداء وتزيد في قوتها وتأثيرها وتضاد خلط الدم وتسكن فورانه.فاذا ألفت هذه النغمات في في الألحان المشاكلة لها واستعملت تلك الألحان في أوقات الليل والنهار المضادة طبيعتها طبيعة الأمراض الغالبة والعلل العارضة سكنتها وكسرت سورتها وخففت على المرضى آلامها لأن الأشياء المتشاكلة في الطباع اذا كثرت واجتمعت قويت أفعالها وظهرت تأثيراتها وغلبت أضدادها كما يعرف الناس مثل ذلك في الحروب والخصومات .

فقد تبين بما ذكرنا طرف من حكمة الحكماء الموسيقيين المستعملين لها في المارستانات في الأوقات المضادة لطبيعة الأمراض والأعراض والاعلال. وهم اقتصروا على أربعة أوتار لا أكثر ولا أقل فأما العلة التي من أجلها جعلوا غلظ كل وتر مثل غلظ الذي تحته ومثل ثلثه فذلك منهم أيضاً اقتداء بحكمة الباري جل ثناؤه واتباع لآثار صنعه في المصنوعات الطبيعية وذلك ان الحكماء الطبيعيين ذكروا ان أقطار أكر الأركان الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض كل واحد منها مثل الذي تحته ومثل ثلثه في الكيفية أعني في اللطافة والغلظ فقالوا ان قطر كرة الأثير أعني كرة النار التي دون فلك القمر مثل قطر كرة الزمهرير ومثل ثلثها وقطر كرة الزمهرير مثل قطر كرة النسيم ومثل ثلثها وقطر كرة النسيم مثل قطر كرة الماء ومثل ثلثها وقطر كرة الماء مثل قطر كرة الأرض ومثل ثلثها ومعنى هذه النسبة ان جوهر النار في اللطافة مثل جوهر الهواء ومثل ثلثه وجوهر الهواء في اللطافة مثل جوهر الماء ومثل ثلثه وجوهر الماء في اللطافة مثل جوهر الأرض ومثل ثلثها. وأما علة شدهم الزير الذي هو مماثل لركن النار ونغمته مماثلة

لحرارة النار وحدتها تحت الأوتار كلها، وشدهم البم المماثل لركن الأرض فوقها كلها والمثنى مما يلي الزير والمثلث مما يلي البم فهي أيضاً لعلتين اثنتين احداهما ان نغمة الزير حادة خفيفة تتحرك علوا ونغمة البم غليظة ثقيلة تتحرك الى أسفل فيكون ذلك أمكن لمزاجهما واتحادهما. وكذلك حال المثنى والمثلث. والعلة الأخرى ان نسبة غلظ الزير الى غلظ المثنى والمثنى الى المثلث والمثلث الى البم كنسبة قطر الارض الى قطر كرة النسيم وكرة النسيم الى كرة الزمهرير والزمهرير الى الأثير فهذا كان سبب شدهم لها على هذا الترتيب. وأما استعمالهم نسبة الثمن في نغمة الأوتار دون الخمس والسدس والسبع وتفضيلهم إياها فمن أجل انها مشتقة من الثمانية والثمانية هي أول عدد مكعب وأيضاً فان الستة لما كانت أول عدد تام وكانت الاشكال ذوات السطوح الستة أفضلها والمقدم عليها هو المكعب لما فيه من التساوي كما بينا في رسالة الجومطريا وذلك ان طول هذا الشكل وعرضه وعمقه كلها متساوية وله ستة سطوح مربعات كلها متساويات وله ثماني زوايا مجسمة كلها متساوية وله اثنا عشر ضلعاً متوازية متساوية وله أربع وعشرون زاوية قائمة متساوية وهي من ضرب ثلاثة في ثمانية وقد قلنا أن كل مصنوع كان التساوي فيه أكثر فهو أفضل وليس بعد الشكل الكرى شكل أكثر تساوياً من الشكل المكعب فمن أجل هذا قيل في كتاب اقليدس في المقالة الأخيرة أن شكل الارض بالمكعب أشبه وشكل الفلك بذى اثنتى عشرة قاعدة مخمسات أشبه. وقد بينا في رسالة الاسطرنوميا فضيلة الشكل الكرى والعدد الاثنى عشر، ومن فضيلة الثمانية ما ذكرته الحكماء الرياضيون بأن بين أقطار أكر الافلاك وبين قطر الارض والهواء نسبة موسيقية وبيان ذلك أنه اذا كان نصف قطر الارض ثمانية وكان نصف قطر كرة الهواء تسعة فان قطر كرة فلك القمر اثنا عشر وقطر فلك عطارد ثلاثة عشر وقطر فلك الزهرة ستة عشر وقطر فلك الشمس ثمانية عشر وقطر فلك المريخ احدى وعشرون ونصف وقطر فلك المشتري أربعة وعشرون وقطر فلك زحل سبعة وعشرون وأربعة أسباع وقطر فلك الكواكب الثابتة اثنان وثلاثون.

فنسبة قطر فلك القمر من قطر الارض مثله وثلث ومن قطر الهواء المثل والربع ونسبة قطر الزهرة من قطر الارض نسبة الضعف ومن قطر القمر المثل والثلث ونسبة قطر الشمس من قطر الهواء الضعف ومن قطر الارض الضعفان والربع ومن قطر القمر المثل والنصف ونسبة قطر المشتري من قطر القمر الضعف ومن قطر الارض الثلاثة الاضعاف ومن الزهرة المثل والنصف ونسبة قطر فلك الكواكب الثابتة من قطر المشترى المثل والربع ومن الزهرة الضعف ومن الشمس المثل والثلاثة الارباع ومن القمر الضعفان والثلاثة الارباع ومن الارض أربعة أضعاف وأما عطارد والمريخ وزحل فغير هذه النسبة . فمن أجل هذا قيل انها نحوس وذكر هؤلاء الحكماء أيضاً أن بين عظم أجرام هذه الكواكب بعضها لبعض نسباً شتى إما عددية واما هندسية وإما موسيقية وهكذا بينها وبين جرم الارض هذه النسب أيضاً موجودة، ولكن منها شريفة فاضلة ومنها دون ذلك ، يطول شرحها

فقد تبين بما ذكرنا ان جملة جسم العالم بجميع أفلاكه وأشخاص كواكبه وأركانها الاربعة وتركيب بعضها جوف بعض مركبة ومؤلفة ومصنوعة وموضوعة بعضها من بعض على هذه النسب المذكورة المقدم ذكرها وان جملة جسم العالم يجري مجرى جسم حيوان واحد وانسان واحد ومدينة واحدة وأن مدبرها ومصورها ومركبها ومؤلفها ومبدعها ومخترعها واحد لاشريك له وهذا كان أحد أغراضنا في هذه الرسالة. ومن فضيلة الثمانية أيضاً أنك اذا تأملت يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه وتصفحت الموجودات وعنصر الكائنات الفاسدات وجدت موجودات كثيرة مثمنات كطبائع الاركان الحار الرطب والبارد اليابس والبارد الرطب والحار اليابس ثمانية وهي أصل الموجودات الطبيعية وعنصر الكائنات الفاسدات، وأيضاً من فضيلة الثمانية أنك تجد مناظرات الكواكب الى ثمانية مواضع في الفلك مخصوصة دون غيرها وهي المركز والمقابلة والتثليثان والتربيعان والتسديسان وهذه الثمانية هي أيضاً أحد أسباب الكائنات الفاسدات التي دون فلك القمر. واذا تأملت أيضاً واعتبرت وجدت الثمانية والعشرين حرفاً

التي في اللغة العربية المماثلة لثمان وعشرين منزلة من منازل القمر هجاؤها ثمانية أحرف وهي (ا ل ف ى م ن د و) ومفاعيل أشعار العرب أيضاً ثمانية أجزاء وهي أجزاء العروض وأجناس ألحان غنائهم أيضاً ثمانية كما سنبين في فصل آخر وقد قيل ان الجنان ثماني مراتب وحملة العرش ثمانية والنيران سبعة أبواب وقد بينا في رسالة البعث والقيامة حقيقتها . وعلى هذا القياس يا اخي اذا تأملت الموجودات وتصفحت أحوال الكائنات وجدت أشياء كثيرة ثنائيات وثلاثيات ورباعيات وخماسيات وسداسيات وسباعيات وثمانيات ومتسعات ومعشرات وما زاد على ذلك بالغاً ما بلغ . وانما أردنا بذكر المثمنات ان ننبهك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، ولتعلم ان المسبعة الذين قد شغفوا بذكر المسبعات وتفضيلها على غيرها انما كان نظرهم جزئياً وكلامهم غير كلي وكذلك حكم الثنوية فى المثنويات والنصارى في تثليثهم والطبيعيين فى مربعاتهم والخزمية في مخمساتهم والهند فى مسدساتهم والكيالية في متسعاتهم وليس هذا مذهب اخواننا الكرام أيدهم الله وإيانا بروح منه حيث كانوا فى البلاد بل نظرهم كلي وبحثهم عمومي وعلمهم جامع ومعرفتهم شاملة .

ولنعد الآن الى ما كنا فيه فنقول: قد تبين اذاً بما ذكرنا طرف من صفة العود وكمية أوتاره وتناسب ما بين غلاظها ودقاقها وكمية دساتينها وكيفية شدها وما بينها من التناسب وكمية نغمات نقرات أوتاره مطلقاً ومزموماً وما بينها من التناسب فان أحكم المصنوعات وأتقن المركبات وأحسن المؤلفات ما كان تأليف أجزائه وهيئة تركيبه على النسبة الافضل ومن أجل هذا صارت الالحان تستلذها أكثر المسامع وتستحسن صفتها واستعمالها أكثر العقول ويغنى بها فى مجالس الملوك والرؤساء

﴿ فصل ﴾

في ان إحكام الكلام صنعة من الصنائع

ومن المصنوعات المحكمة المتقنة أيضاً صنعة الكلام والاقاويل وذلك ان أحكم الكلام ما كان أبين وأبلغ وأتقن البلاغات ما كان أفصح وأحسن الفصاحة ما كان موزونا مقفى والذ الموزونات من الاشعار ما كان غير مزحف والذي غير مزحف من الاشعار هو الذي حروفه الساكنة وأزمانها مناسبة لحروف متحركاتها وأزمانها والمثال فى ذلك الطويل والمديد والبسيط، فان كل واحد منها مركب من ثمانية مقاطع وهى هذه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن وهذه الثمانية مركبة من اثنى عشر سببا وثمانية أوتاد جملتها ثمانية وأربعون حرفاً عشرون منها سواكن وثمانية وعشرون حرفاً متحركات والمصراع منه أربعة وعشرون حرفاً عشرة سواكن وأربعة عشر متحركات ،ونصف المصراع الذي هو ربع البيت اثنا عشر حرفاً خمسة منها سواكن وسبعة متحركات ونسبة سواكن حروف ربعه الى متحركاته كنسبة سواكن حروف نصفه الى متحركاته وكنسبة سواكن حروفه كلها الى متحركاته كلها وهكذا تجد حكم الوافر والكامل فان كل واحد منهما مركب من ستة مقاطع وهى هذه مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن ست مرات ونسبة سواكن حروف ثلث البيت الى حروف متحركاته كنسبة حروف سواكن نصفه الى متحركاته وكنسبة سواكن كله الى متحركات كله وعلى هذا المثال والحكم يوجد كل بيت من الأشعار اذا سلم من الزحاف منصفاً كان أو مربعاً أو مسدساً وكذلك حكم الأزمان التى بينها ، وهذه صورتها فعولن مفاعيلن « ه ه ا ه ا ه ا ه ا ه ا » الهاآت علامة المتحركات والالفات علامة السواكن

فقد تبين بهذا المثال أيضاً ان أحكم المصنوعات وأتقن المركبات ما كان تأليف أجزائه وأساس بنيته على النسبة الأفضل ومن أمثال ذلك أيضاً صناعة الكتابة

التي هي أشرف الصنائع وبها يفتخر الوزراء والكتاب وأهل الأدب في مجالس الملوك مع كثرة أنواعها وفنون فروعها وذلك ان لكل أمة من الامم كتابة غير ما للأخرى ، كالعربية والفارسية والسريانية والقبطية والعبرانية واليونانية والهندية وماشا كلها، لايحصى عددها إلا الله عز وجل الذي خلقهم مع اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأخلاقهم وطبائعهم وصناعاتهم وعلومهم ومعارفهم كل ذلك لسعة علمه ونفاذ مشيئته واتقان حكمته سبحانه وتعالى .

ونريد أن نذكر في هذا الفصل أصل الحروف وكيفية ترتيبها وكمية مقاديرها ونسب تأليفها الفاضلة بينها فنقول :

ان أصل حروف الكتابات كلها في أي لغة وضعت ولأي أمة كانت وبأي أقلام كتبت وخطت أو بأي نقش صورت وإن كثرت فان أصلها كلها هو الخط المستقيم الذي هو قطر الدائرة والخط المقوس الذي هو محيط الدائرة ، فأما سائر الحروف فركبة منهما ومؤلفة كما بينا في رسالة الجومطريا شبه المدخل الى صناعة الهندسة ونبين مثالا لما ذكرنا من الحروف التى فى الكتابة العربية ليكون دليلا على صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا من أن أصل الحروف كلها هو الخط المستقيم والخط المقوس اللذان أحدهما قطر الدائرة والآخر محيطها .وهي هذه : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

فانظر الآن واعتبر وتأمل يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه فانك تجد هذه الحروف بعضها خطاً مستقيما مثل هذا : ا ب ت ث ، وبعضها مقوساً مثل هذا : د ذ ر ز ، وبعضها مركباً منهما مثل سائر الحروف وعلى هذا المثال والقياس توجد حروف كتابات سائر الامم مثل الهندية فانها هكذا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ وكذلك السريانية والعبرانية واليونانية والرومية فان لكل منها اصطلاحا في أشكال الحروف وصورها لايخرج عما قلنا واذ قد تبين بما ذكرنا ان أصل الحروف والكتابات كلها هو الخط المستقيم الذي هو قطر الدائرة والخط المقوس الذي هو محيطها فنريد ان نبين أيضا ان أجود الخطوط وأصح الكتابات وأحسن

المؤلفات ما كان مقادير حروفها بعضها من بعض على النسبة الافضل فلنذكر أولا ماقاله أهل هـذه الصناعة أعنى صناعة الكتابة ليكون أقوى وأصح للحجة وأوضح للبيان وارشد الى القياس والقانون ، قال المحرر الحاذق المهندس : ينبغي لمن يريد أن يكون خطه جيداً وكتابته صحيحة ان يجعل لها أصلا يبنى عليه حروفه وقانونا يقيس عليه خطوطه والمثال فى ذلك فى كتابة العربية هو ان يخط الالف أولا بأي قدر شاء ويجعل غلظه مناسباً لطوله وهو الثمن وأسفله أدق من أعلاه ، ثمّ يجعل الالف قطر الدائرة ثم يبنى سائر الحروف مناسباً لطول الالف والمحيط الدائرة التى الالف مساو لقطرها وهو ان يجعل الباء والتاء والثاء كل واحد منها طوله مساو لطول الالف وتكون رؤوسها الى فوق الثمن مثل هذا ا ب ت ث ثم يجعل الجيم والحاء والخاء كل واحد منها مدته من فوق نصف الالف وتقويسه الى أسفل نصف محيط الدائرة التى الالف مساو لقطرها مثل هذا ج ح خ ثم يجعل الدال والذال كل واحد منهما مثل طول الالف اذا قوس مثل هذا د ذ ثم يجعل الراء والزاي كل واحد منهما كمثل ربع محيط الدائرة التى الالف قطرها ثم يجعل السين والشين كل واحد منهما رؤسهما الى فوق ثمن الالف ومدتها الى أسفل نصف محيط الدائرة مثل هذا س ش ثم يجعل الصاد والضاد مدة طول كل واحد منهما الى قدام مثل طول الالف وفتحتها مثل ثمن الالف ومدتها الى أسفل مثل نصف الدائرة المقدم ذكرها مثل هـذا ص ض ويجعل الطاء والظاء كل واحد منهما طوله مثل طول الالف وفتحتها مثل ثمن الالف ورؤسها الى فوق بطول الالف مثل هذا ط ظ ثم يجعل العين والغين كل واحد منهما تقويسه من فوق ربع محيط تلك الدائرة وتقويسه من أسفل نصف محيطها مثل هذا ع غ ثم يجعل مدة الفاء الى قدام مثل طول الالف وفتحته ثمن الالف وحلقته وحلقة القاف والواو والميم والهاء كلها متساوية مثل ثلث الالف اذا دور مثل هذا ف ق و م ه ويجعل مدة القاف الى أسفل مثل نصف محيط تلك الدائرة مثل هذا ق ثم يجعل مدة الكاف الى قدام مثل طول الالف وفتحته مثل ثمن الالف وكسرته الى فوق ربع الالف

مثل هذا ك ثم يجعل طول اللام مثل الالف ومدته الى قدام نصف الالف مثل هذا ل ثم يجعل مدة الميم والواو كل واحد منهما الى أسفل مثل تقويس الراء والزاي مثل هذا م و ثم يجعل تقويس النون مثل نصف محيط تلك الدائرة التى الالف مساو لقطرها مثل هذا ن ثم يجعل الياء مثل الدال ومدته الى خلف مثل طول الالف أو تقويسه الى أسفل مثل نصف محيط الدائرة مثل هذا ى وهذا الذي ذكرناه من نسب هذه الحروف وكمية مقاديرها طولا وعرضا بعضها عند بعض فهو شيء توجبه قوانين الهندسة والنسب الفاضلة واما مايتعارفه الناس ويستحسنه الكتاب فعلى غير ماذكرنا من المقادير والنسب وذلك بحسب موضوعاتهم ومرضياتهم واختياراتهم دون غيرها وبحسب طول الدربة وجريان العادة فيها . واذ قد تبين بما ذكرنا ماهية النسب الفاضلة ومقادير الحروف وكمية أطوالها فنريد ان نذكر هاهنا أيضاً طرفاً من كيفية صورها وتخطيط أشكالها وكيفية تركيبها بعضها مع بعض على مايوجبه القياس والقانون بطريق الهندسة

اعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان صور حروف الكتابات كثيرة الفنون مختلفة الانواع كما تقدم ذكرها وهي بحسب موضوعات الحكماء من الكتاب واختياراتهم لها وتواطئهم عليها يطول ذكر علة ذلك وشرحه ولكن نذكر قولا مجملا مختصراً في ثلاث كلمات بحسب ماتوجبه قوانين الهندسة والقياسات الفلسفية كما أوصى المحرر الحاذق المهندس فقال: ينبغي ان تكون صور الحروف كلها لاي أمة كانت في أي لغة كانت وبأي أقلام خطت الى التقويس والانحناء ماهو الالف التي في كتابة العربية وان يكون غلظ الحروف الى الانخراط ماهو وان يكون عند التركيب الزوايا كلها حادة والى التدوير ماهو ، فهذا ماقاله أهل الصناعة في تقدير هذه الحروف ومناسباتها مفردة مفردة فأما عند التركيب والتأليف ذرعا تختلف وتتغير لعلل يطول شرحها ولكن على المحرر يجب عند تعليمه الخط التوقيف عليها

فقد تبين اذا بما ذكرنا أن أحكم المصنوعات وأتقن المركبات وأحسن المؤلفات ما كان تركيب بنيته وتأليف أجزائه على النسبة الافضل والنسب الفاضلة هي المثل والمثل والنصف والمثل والثلث والمثل والربع والمثل والثمن كما قد بينا قبل ومن أمثال ذلك أيضاً صورة الانسان وبنية هيكله وذلك ان البارئ جل جلاله جعل طول قامته مناسباً لعرض جثته وعرض جثته مناسباً لعمق تجويفه وطول ذراعيه مناسباً لطول ساقيه وطول عضديه مناسباً لطول فخذيه وطول رقبته مناسباً لطول عمود ظهره وكبر رأسه مناسباً لكبر جثته واستدارة وجهه مناسبة لسعة صدره وشكل عينيه مناسباً لشكل فمه وطول أنفه مناسباً لعرض جبينه وقدر أذنيه مناسباً لمقدار خديه وطول أصابع يديه مناسباً لاصابع رجليه وطول امعائه مناسباً لطول أوردته وتجويف معدته مناسباً لكبر كبده ومقدار قلبه مناسباً لكبر رئته وشكل طحاله مناسباً لشكل كبده وسعة حلقومه مناسبة لكبر رئته وطول أعضائه وغلظها مناسباً لكبر عظامه وطول اضلاعه وتقويسها مناسباً لصندوق صدره وطول عروقه وسعتها مناسباً لبعد مسافة أقطار جسده وعلى هذا المثال اذا تأملت واعتبرت كل عضو من أعضاء بدن الانسان وجدته مناسباً لجملة جثته نسبة ما ومناسباً لعضو عضو من أعضاء الجسد نسبة أخرى لا يعلم كنه معرفتها الا الله جل ثناؤه الذي خلقها وصورها كما شاء كيف يشاء كما ذكر بقوله جل ثناؤه «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم» وقال «خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك»

﴿ فصل في تناسب الاعضاء على الاصول الموسيقية ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان النطفة اذا سلمت في الرحم من الآفات العارضة هناك ومن فساد الاخلاط وتغير المزاج ومناحس أشكال الفلك عند مسقط النطفة وعند المبادئ شهراً بشهر وتمت بنية البدن وكملت صورة الجسد، كما بينا في رسالة لنا، خرج الطفل من الرحم صحيح البنية تام الصورة فكان طول قامته ثمانية أشبار بشبره سواء فمن رأس ركبتيه الى أسفل قدميه

شبران ومن رأس ركبته الى حقويه شبران ومن حقويه الى رأس فؤاده شبران ومن رأس فؤاده الى مفرق رأسه شبران واذا فتح يديه ومدهما يمنة ويسرة كما يفتح الطائر جناحيه وجد مابين رأس أصابع يده اليمنى الى رأس أصابع يده اليسرى ثمانية أشبار النصف من ذلك عند ترقوته والربع عند مرفقيه، واذا مد يديه الى فوق رأسه ووضع رأس البركار على سرته وفتح الى رؤوس أصابع يديه ثم أدير الى رؤوس أصابع رجليه كان البعد بينهما مساوياً عشرة أشبار بزيادة ربع طول قامته ويوجد طول وجهه من رأس ذقنه الى منبت الشعر فوق جبينه شبراً وثمناً ويوجد البعد مابين أذنه شبراً وربعاً ويوجد طول أنفه ربع شبره ويوجد طول شق عينيه كل واحد ربع ثمن شبره وطول جبينه ثلث طول وجهه ويوجد شق فمه وشفتيه كل واحد مساوياً لطول أنفه، وطول قدميه كل واحد شبر ، وربع شبر وطول كفيه من رأس الكرسوع الى رأس الأصبع الوسطى شبراً ويوجد طول ابهامه وطول خنصره متساويين ورأس البنصر زائداً على رأس الخنصر ثمن شبره وكذلك زيادة الوسطى على البنصر وكذلك السبابة ويوجد عرض صدره شبراً ونصفاً وبعد مابين ثدييه شبراً وما بين سرته الى عانته شبراً ومن رأس فؤاده الى رأس ترقوته شبراً ويوجد البعد مابين منكبيه شبرين، وعلى هذا المثال والقياس يوجد اذا اعتبر طول أمعائه ومصارين جوفه وعروق جسده والعصبات الممسكات لعظامه وأوتار مفاصله متناسبات بعضها الى بعض طولا وعرضاً وعمقاً مثل ماذكرنا من مناسبات مقادير أعضائه الظاهرة وعلى هذا القياس والمثال يوجد بنية أبدان سائر الحيوانات مناسبة أعضاء صورة كل نوع منها لجملة بدنه أو بعضها الى بعض مناسبة إما بالكيفية وإما بالكية وإما بهما جيعاً لاتخل شيئا اذا سلمت من الآفات العارضة عند الابتداء وعند النشوء من فساد الاخلاط وتغيير المزاج ومناحس أشكال الفلك. وعلى هذا المثال والقياس يعمل الصناع الحذاق مصنوعاتهم من الاشكال والتماثيل والصور مناسبات بعضها لبعض فى التركيب والتأليف والهندام، كل ذلك اقتداء بصنعة الباري تعالت قدرته وتشبه بحكمته كما قيل في حد الفلسفة أنها هي التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية

﴿ فصل فى حقيقة نغمات الافلاك ﴾

اعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان في اعتبار هذه المقالات التي تقدم ذكرها في هذه الفصول الدالة على ان أحكم المصنوعات وأتقن المركبات وأحسن التأليفات هو ما كان تركيب بنيته على النسبة الافضل وتأليف أجزائه على مثل ذلك دليل وقياس لكل عاقل متفكر معتبر على ان تركيب الافلاك وكواكبها ومقادير اجرامها ومقادير الاركان ومولداتها موضوعة بعضها على بعض على النسبة الافضل، وهكذا ابعاد هذه الافلاك وكواكبها وحركاتها متناسبات على النسبة الافضل وان لتلك الحركات المتناسبة نغمات متناسبات مطربات متوازيات لذيذات كما ينافي حركات أوتار العيدان ونغماتها، فاذا تفكر ذو اللب واعتبر تبين له عند ذلك وعلم بأن لها صانعاً حكيماً صنعها ومركباً حاذقاً ركبها ومؤلفاً لطيفاً ألفها وتيقن بذلك فتزول الشبهة المموهه التي دخلت على قلوب كثير من المرتابين وترتفع الشكوك ويتضح الحق ويعلم أيضاً ويتبين له ان في حركات تلك الاشخاص ونغمات تلك الحركات لذة وسروراً لأهلها مثل ما في نغمات أوتار العيدان لذة وسروراً لأهلها في هذا العالم، فعند ذلك تشوقت نفسه الى الصعود الى هناك والاستماع لها والنظر اليها كما صعدت نفس هرمس الثالث بالحكمة لما صفت ورأت ذلك وهو ادريس النبي عليه السلام واليه أشار بقوله تعالى «ورفعناه مكاناً علياً» وكما سمعته نفس فيثاغورس الحكيم لما صفت من درن الشهوات الجسمانية ولطفت بالافكار الدائمة وبالرياضات العددية والهندسية والموسيقية. فاجتهد ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه فى تصفية نفسك وتخليصها من بحر الهيولى وأسر الطبيعة وعبودية الشهوات الجسمانية وافعل كما فعلت الحكماء ووضعت في كتبها فان جوهر نفسك من جوهر نفوسهم واعمل كما وصفنا في كتاب الانبياء عليهم السلام، وصف نفسك من الاخلاق الرديئة والآراء الفاسدة والجهالات المتراكمة والافعال السيئة فان هذه الخصال هي المانعة لها عن الصعود الى هناك بعد الموت كما ذكر الله تعالى بقوله «لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان جوهر نفسك من الافلاك نزل يوم مسقط النطفة كما بينا في رسالة لنا والى السماء يكون مصيرها بعد الموت الذي هو مفارقة الجسد كما ان من التراب يكون جسدك والى التراب يكون جسدك بعد الموت

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن هذه الحياة الدنيا للنفوس المتجسدة الى وقت المفارقة التى هي الموت مماثلة لمدة كون الجنين في الرحم من يوم مسقط النطفة الى يوم الولادة

واعلم يا أخي ان الموت ليس شيئاً سوى مفارقة النفس الجسد كما ان الولادة ليست شيئاً سوي مفارقة الجنين الرحم . وقال المسيح عليه السلام من لم يولد ولادتين لم يصعد الى ملكوت السماء . وقال جل ثناؤه في صفة أهل الجنة « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى » وهو مفارقة النفس الجسد مرة واحدة على الشريطة التى تقدم ذكرها وهم السعداء الذين أشار اليهم بقوله (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) . فأما الأشقياء فهم الذين يتمنون العود الى الدنيا والتعلق بالأجساد مرة أخرى ويذوقون الموت مرة أخرى كما ذكر الله تعالى حكاية عنهم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) أعاذك الله أيها الاخ من حال هذه الطائفة وإيانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه لطيف بالعباد. فلنرجع الى ما كنا فيه وقد وعدنا به من ذكر قوانين الألحان العربية فنقول :

ان للغة العربية وألحانها ثمانية قوانين هي كالأجناس لها ومنها يتفرع سائرها واليها ينسب باقيها كما ان لأشعارها ثمانية مقاطع منها يتركب سائر دوائر العروض وأنواعها واليها ينسب وعليها يقاس باقيها كما هو مذكور في كتب العروض بشرحها

وأما الثمانية التى هي قوانين غناء العربية فأولها الثقيل الأول ثم خفيف الثقيل ثم الثقيل الثاني ثم خفيفه ثم الرمل ثم خفيف الرمل ثم خفيف الخفيف ثم الهزج . فهذه

الثمانية هي كالأجناس وسائرها كالأنواع المتفرعة منها المنسوبة اليها فأما الثقيل الأول فهو تسع نقرات ثلاث منها متواليات وواحدة مفردة ثقيلة ساكنة ثم خمس نقرات واحدة مطوية في أولها مثل قولك مفعولن مف مفاعيلن مف تن تن تن تن تن تن تن تن ثم يعود الايقاع ويكرر دائماً الى أن يسكت الموسيقار . وأما الثقيل الثاني فهو احد عشر نقرة ثلاث نقرات متواليات ثم واحدة ساكنة ثم واحدة ثقيلة ثم ست نقرات في أولها واحدة مطوية مثل قولك مفعولن مفعو مفاعيلن مفعو تن تن تن تن تن تن تن تن تن تن ثم يعود الايقاع ثانياً دائماً . وأما خفيف الثقيل الأول فهو سبع نقرات نقرتان منها متواليتان لا يكون بينهما زمان نقرة ثم نقرة مفردة ثقيلة ثم أربع نقرات واحدة مطوية في أولها مثل قولك مفاعل مفاعيلن تن تن تن تن تن ثم يعود الايقاع ويكرر إلى أن يسكت المغنى ، وأهل زماننا يسمون هذا اللحن الماخوري وهو مثال صياح الفاختات ككو كو كككو كو . وأما خفيف الثقيل الثاني فهو ثلاث نقرات متواليات لا يكون بينها زمان نقرة ولكن بين كل ثلاث نقرات وثلاث نقرات زمان نقرة مثل قولك فعلن فعلن تكرر دائماً تنن تنن الى أن يسكت المغنى . وأما الرمل فهو عكس الماخوري وذلك انه سبع نقرات مثله ولكن أوله نقرة مفردة ثقيلة ثم نقرتان متواليتان لا يكون بينهما زمان نقرة ثم أربع نقرات كل اثنتين منها متواليتان لا يكون بينهما زمان نقرة مثل قولك فاعلن مفاعلن مثل صياح القباج تن تنن تنن كي ككي ككي ككي . وأما خفيف الرمل فهو ثلاث نقرات متواليات متحركات مثل قولك متفاعلتن تنن تنن . وأما خفيف الخفيف فهو نقرتان متواليتان لا يكون بينهما زمان نقرة ولكن بين كل نقرتين ونقرتين زمان نقرة مثل قولك مفاعلن مفاعلن تنن تنن تنن تنن . وأما الهزج فهو نقرة مسكنة ونقرة أخرى أخف منها بينهما زمان نقرة وبين كل اثنتين زمان نقرتين مثل قولك فاعل فاعل .

فهذه الثمانية الأجناس التي قلنا انها أصل وقوانين لغناء العرب

وألحانها . وأما غير العربية كالفارسية والرومية واليونانية فلألحانها وغنائها قوانين أخر غير هذه ولكنها كلها مع كثرة أجناسها وفنون أنواعها ليست تخرج من الاصل والقانون الذي ذكرناه قبل هذا الفصل وإذا تأملت يا أخي أيدك الله وإيانا وجدت صحة ماقلنا وعرفت حقيقة ماوصفنا .

﴿ فصل في ذكر المربعات ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان الله تعالى جعل بواجب حكمته الأشياء الطبيعية التي تحت الكون والفساد وأسبابها وعللها الموجبة لكونها أكثرها مربعات بعضها متضادات وبعضها متشاكلات لما فيها من إحكام الصنعة واتقان الحكمة لا يعلم أحد من خلقه كنه معرفتها إلا هو الذي أبدعها واخترعها وأوجدها وركبها وألفها كما شاء كيف شاء . ونريد ان نذكر طرفاً من تلك الاشياء المربعات المتضادات والمتشاكلات ليكون تنبيها لنفوس الغافلين عن النظر فيها وحثالهم على التفكر بها والاعتبار لها وتسهيلا لنفوس الباحثين عن معرفة عللها والطالبين ما الحكمة فيها ، فمن الامور المربعات الظاهرات البينات الازمان الاربعة التي هي فصول السنة وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء والذي يشاكل الربيع من البروج من أول الحمل الى آخر الجوزاء والذي يشاكلها من أرباع الفلك الربع الشرقي الصاعد الى وتد السماء والذي يشاكلها من الشهر الرابع الاول سبعة أيام من أول الشهر والذي يشاكلها من اتصالات الكواكب التربيع الايسر ومن الاركان الاربعة ركن الهواء ومن الطبائع الحرارة والرطوبة ومن الجهات الجنوب ومن الرياح التيمي ومن أرباع اليوم الست ساعات الاولى ومن اخلاط المزاج الدم ومن أرباع العمر أيام الصبا ومن القوى الطبيعية القوة الهاضمة ومن القوى الحيوانية القوة المتخيلة ومن الافعال الظاهرة الفرح والسرور والطرب ومن الاخلاق الجود والكرم والعدل ومن المحسوسات المشاكلات لهذه أيضاً

وتر المثنى ونغماته ومن الالحان الرنم ومن الكلام والاشعار المديح ومن الطعوم الحلاوات ومن الالوان مااعتدلت اصباغه كالمنثور ومن الروائح الغالية البنفسج والمرزنجوش وما شاكلها من الروائح الحارة اللينة وبالجملة كل طعم ورائحة ولون معتدل . والذي شاكل زمان الصيف من أرباع الفلك الربع الهابط من وتد السماء الى وتد المغرب ومن البروج من أول السرطان الى آخر السنبلة ومن أرباع الشهر الربع الثانى سبعة أيام ومن الاتصالات ماجاوز التربيع الايسر الى المقابلة ومن الاركان ركن النار ومن الطبائع الحرارة واليبس ومن الجهات الشرق ومن الرياح الصبا ومن أرباع اليوم ست ساعات الى آخر النهار ومن الاخلاط المرة الصفراء ومن أرباع العمر أيام الشباب ومن القوى الطبيعية القوة الجاذبة ومن القوى الحيوانية القوة المفكرة ومن الاخلاق الباطنة الشجاعة والسخاء ومن الافعال الظاهرة سرعة الحركة والقوة والجلد ومن المحسوسات المقوية لها مثل نغمات وتر الزير ، ومن الالحان الماخورى وما شاكله ومن الكلام الاشعار وما شاكلها من مديح الفرسان والشجعان ، ومن الطعوم الحريفات ومن الالوان الصفرة والحمرة ومن الروائح المسك والياسمين وماشا كلهما . وبالجملة كل طعم ولون ورائحة حارة يابسة . والذي شاكل زمان الخريف من أرباع الفلك الربع الهابط من وتد المغرب الى وتد الارض ومن البروج من أول الميزان الى آخر القوس ومن أرباع الشهر الربع الثالث السبعة الايام بعد النصف ومن الاتصالات بعد المقابلة الى التربيع الايمن ومن الاركان ركن الارض ومن الطبائع البرودة واليبوسة ومن الجهات المغرب ومن الرياح الدبور ومن أرباع اليوم ست ساعات من أول الليل ومن الاخلاط المرة السوداء ومن أرباع العمر أيام الكهولة ومن القوى الطبيعية القوة الماسكة ومن القوى الحيوانية القوة الحافظة ومن الاخلاق العفة ومن الافعال الظاهرة التأني والتثبت ومن المحسوسات المشاكلة لها نغمات المثلث ومن الالحان الثقيل وماشاكله ومن الكلام المديح وما كان في وصف العقل والرزانة والركانة والحصافة ومن الطعوم الحموضات ومن الالوان السواد والغبرة وماشاكلهما ومن

الروائح رائحة الورد والعود وماشا كلهمامن الروائح الباردة اليابسة. والذي شا كل زمان الشتاء من أرباع الفلك الربع الصاعدمن وتد الارض الى أفق المشرق ومن البروج من أول الجدى الى آخر الحوت ومن أرباع الشهر الربع الاخير سبعة أيام ومن الاتصالات التربيع الايمن ومن الأركان ركن الماء ومن الطبائع البرودة والرطوبة ومن الجهات الشمال ومن الرياح الجربياء ومن أرباع اليوم النصف الأخير من الليل ومن أخلاط المزاج البلغم ومن القوى الطبيعية القوة الدافعة ومن القوى الحيوانية القوة المذكرة ومن الأخلاق الحلم والتجاوز ومن الافعال الظاهرة السهولة في المعاملة وحسن المعاشرة ومن المحسوسات المشاكلة له أيضاً نغمات وتر البم ومن الألحان الهزج والرمل ومن الكلام والاشعار ما كان مديحاً فى الجود والكرم والعدل وحسن الخلق ومن الطعوم الدسومات والعذوبات ومن الالوان الخضرة ومن الروائح النرجس والنيلوفر وماشا كلهما وبالجملة كل لون أو طعم أو رائحه باردة رطبة .

وعلى هذا المثال والقياس إذا تصفحت يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه، أحوال الموجودات الطبيعيات واعتبرت أنواع الكائنات المحسوسات وجدت كلها داخلة فى هذه الاقسام الاربعة مشاكلات بعضها لبعض أو مضادات بعضها لبعض كما ذكر الله بقوله جل ثناؤه (ومن كل شيء خلقنازوجين اثنين) وقوله عز وجل (خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون)

واعلم ياأخي بأن هذه الاشياء المتشاكلة إذا جمع بينها على النسبة التأليفية ائتلفت وتضاعفت قواها وظهرت أفعالها وغلبت أضدادها وقهرت مايخالفها وبمعرفتها استخرجت الحكماء الادوية المبرئة من الامراض الشافية للاسقام مثل الترياقات والمراهم والشرابات المعروفة بين الاطباء الموصوفة في كتبهم وعلى مثل ذلك عمل أصحاب الطلسمات بعد معرفتهم بطبائع الاشياء وخواصها ومشاكلتها وكيفية تركيبها ونسب تأليفها والمثال في ذلك الشكل المتسع في تسهيل الولادة إذا كتب فيه الاعداد التسعة في الشهر التاسع من الحمل في الساعة التاسعة من

الطالع ويكون رب الطالع في التاسع أو رب التاسع في الطالع أو يكون القمر في التاسع أو متصلا بكوكب منه في التاسع وماشاكل ذلك من المتسمات

﴿ فصل في الانتقال من طبقات الألحان ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان الله جل جلاله جعل بواجب حكمته لكل جنس من الموجودات حاسة مختصة بإدراكها وقوة من قوى النفس تنالها بها وتعرفها بطريقها لاتنال بطريقة أخرى وجعل أيضاً في جبلة كل حاسة دراكة أو قوة علامة أن تستلذ من إدراك محسوساتها وتتشوق اليها اذا فقدتها وملت منها إذادامت عليها وتستروح الى غيرها من أبناء جنسها مثل ماهو معروف بين الناس في مأكولاتهم ومشروباتهم وملبوساتهم ومشموماتهم ومبصراتهم ومسموعاتهم ، فالموسيقار الحاذق الفارههو الذي إذا علم بأن المستمعين قدملوا من لحن غنى لهم لحناً آخر إما مضاداً له أو مشاكلا له

واعلم يا أخي ان الخروج من لحن الى لحن والانتقال منه ليس له طريق إلا على أحد الوجهين إما أن يقطع ويسكت ويصلح الدساتين والاوتار بالحزق والارخاء ويبتدىء ويستأنف لحناً آخر أو يترك الامر بحاله ويخرج من ذلك اللحن إلى لحن آخر قريب منه مشاكل له، وهو أن ينتقل من الثقيل الى خفيفه أو من الخفيف إلى ثقيله أو إلى ماقارب منه . والمثال في ذلك انه إذا أراد أن ينتقل من خفيف الرمل الى الماخوري أن يقف عند النقرتين الاخيرتين من ثقيل الرمل ثم يتلوهما بنقرة ثم يقف وقفة خفيفة ثم يبتدىء بالماخوري ومن حذق الموسيقار أيضا أن يكسو الاشعار المفرحة الالحان المشاكلة لها مثل الارمال والاهزاج وما كان منها من المديح في معاني المجد والجود والكرم أن يكسوها من الالحان المشاكلة لها مثل الثقيل الاول والثاني وما كان في المديح من معاني الشجاعة والاقدام والنشاط والحركة أن يكسوها من الالحان مثل الماخوري والخفيف ومايشاكلها

ومن حذق الموسيقار أيضاً أن يستعمل الالحان المشاكلة للازمان في الاحوال المشاكلة بعضها لبعض، وهو أن يبتدىء في مجالس الدعوات والولائم

والشرب بالألحان التي تقوم الاخلاق والجود والكرم والسخاء مثل ثقيل الاول وما شاكلها ثم يتبعها بالالحان المفرحة المطربة مثل الهزج والرمل وعند الرقص والدستبند الماخوري وما شاكله وفي آخر المجلس ان خاف من السكارى الشغب والعربدة والخصومة أن يستعمل الالحان الملينة المنومة الحزينة

﴿ فصل ﴾

فى نوادر الفلاسفة فى الموسيقي

يقال انه اجتمعت جماعة من الحكماء والفلاسفة فى دعوة ملك من الملوك فأمر أن يكتب كل ما يتكلمون به من الحكمة فلما غنى الموسيقار لحناً مطرباً قال أحد الحكماء ان الغناء فضيلة يتعذر على المنطق اظهارها ولم يقدر على إخراجها بالعبارة فأخرجها النفس لحناً موزوناً فلما سمعتها الطبيعة استلذتها وفرحت وسرت بها فاسمعوا من النفس حديثها ومناجاتها ودعوا الطبيعة والتأمل زينتها لا تغرنكم . وقال آخر احذروا عند استماع الموسيقى أن تثور بكم شهوات النفس البهيمية نحو زينة الطبيعة فتميل بكم عن سنن الهدى وتصدكم عن مناجاة النفس العليا . وقال آخر الموسيقار حرك النفس نحو قواها الشريفة من الحلم والجود والشجاعة والعدل والكرم والرأفة ودع الطبيعة لا تحرك شهواتها البهيمية وقال آخر الموسيقار إذا كان حاذقاً بصنعته حرك النفوس نحو الفضائل ونفى عنها الرذائل . وقال آخر أنه سمع فيلسوف نغمة القينات فقال لتلميذه امض بنا نحو هذا الموسيقار لعله يفيدنا صورة شريفة فلما قرب منه سمع لحناً غير موزون ونغمة غير طيبة فقال لتلميذه زعم أهل الكهانة أن صوت البوم يدل على موت انسان فان كان ما قالوا صدقا فصوت هذا الموسيقار يدل على موت البوم، وقال آخر الموسيقار وإن كان ليس بحيوان فهو ناطق فصيح يخبر عن أسرار النفوس وضمائر القلوب ولكن كل كلامه أعجمي يحتاج إلى الترجمان لأن ألفاظه بسيطة ليس لها حروف معجمة وقد انشدت أبيات بالفارسية تدل على تصديق قول هذا الفيلسوف وهي هذه

وقت شب كيرنانك نالهٔ زير | خوشتر ايد بكوشم ازتكبير
زاري زير واين مدار شكفت | كرزوشت اندراورد نخجير
تن اوتيرنه زمان بزمان | بدل اندرهمى كذازد شير
كان كريان وكه تيالدزار | بامداد ان وروزتا شبكير
ان زبان اورى زبانش نه | خبر عاشقان كند تفسير
كان ديوانه راكند هشيار | كه بهشيار برنهد زنجير

وقال آخر أصوات الموسيقار ونغماته وان كانت بسيطة ليس لها حروف معجم فان النفوس اليها أشد ميلا ولها أسرع قبولا لمشاكلة ما بينهما وذلك أن النفوس أيضا جواهر بسيطة روحانية غير مركبة ونغمات الموسيقار كذلك والاشياء الى أشكالها أميل وقال آخر ان الموسيقار هو الترجمان عن الموسيقى والمعبر عنه فان كان جيد العبارة عن المعاني أفهم أسرار النفوس وأخبر عن ضمائر القلوب والا فالتقصير منه يكون . وقال آخر لا يفهم معانى الموسيقار ولطيف عبارته عن أسرار الغيوب الا النفوس الشريفة الصافية من الشوائب الطبيعية والبريئة من الشهوات البهيمية . وقال آخر ان الباري جل ثناؤه لما ربط النفوس الجزئية بالاجساد الحيوانية ركب في جبلتها الشهوات الجسمية ومكنها من تناول اللذات الجرمانية في أيام الصبا ثم سلبها عنها في أيام الشيخوخة وزهدها فيها كيما يدلها على الملاذ والسرور والنعيم الذى في عالمها الروحانى ويرغبها فيها فاذا سمعتم نغمات الموسيقار فتأملوا اشاراته نحو عالم النفوس . وقال آخر ان النفوس الناطقة إذا صفت عن الشهوات الجسمانية وزهدت في الملاذ الطبيعية وانجلت عنها الاصدية الهيولانية ترنمت بالالحان الحزينة وتذكرت عالمها الروحاني الشريف العالي وتشوقت نحوه فاذا سمعت الطبيعة ذلك اللحن تعرضت للنفس بزينة أشكالها ورونق أصباغها كيما تردها اليها فاحذروا من مكر الطبيعة ان لا تقعوا في شبكتها. وقال آخر ان السمع والبصر هما من أفضل الحواس الخمس وأشرفها التى وهب الباري جل ثناؤه للحيوان ولكن أرى البصر أفضل لانه كالنهار والسمع كالليل. وقال آخر لا بل السمع أفضل

من البصر لان البصر يذهب في طلب محسوساته ويخدمها حتى يدركها مثل العبيد والسمع يحمل اليه محسوساته حتى تخدمه مثل الملوك. وقال آخر: ان البصر لا يدرك المحسوسات الا على خطوط مستقيمة والسمع يدركها من محيط الدائرة. وقال آخر محسوسات البصر أكثرها جسمانية ومحسوسات السمع كلها روحانية . وقال آخر النفس بطريق السمع تنال خبر من هو غائب عنها بالمكان والزمان وبطريق البصر لاينال إلا ما كان حاضراً في الوقت . وقال آخر : السمع أدق تمييزاً من البصر اذ كان يعرف بجودة الذوق الكلام الموزون والنغمات المتناسبة والفرق بين الصحيح والمزحف والخروج من الايقاع واستواء اللحن، والبصر يخطيء في اكثر مدركاته فانه ربما يرى الكبير صغيراً والصغير كبيراً والقريب بعيداً والبعيد قريباً والمتحرك ساكناً والساكن متحركا والمستوي معوجاً والمعوج مستويا

وقال آخر ان جوهر النفس لما كان مجانساً ومشاكلا للاعداد التأليفية وكانت نغمات ألحان الموسيقار موزونة وأزمان حركات نقراتها وسكونات مابينها متناسبة استلذتها الطباع وفرحت بها الارواح وسرت بها النفوس لما بينها من المشاكلة والتناسب والمجانسة وهكذا حكمها في استحسان الوجوه وزينة الطبيعيات لأن محاسن الموجودات الطبيعية هي من أجل تناسب صنعتها وحسن تأليف أجزائها

وقال آخر انما تشخص أبصار الناظرين الى الوجوه الحسان لانها أثر من عالم النفس ولان عامة المرئيات في هذا العالم غير حسان لما يعرض لها من الآفات المشينة المشوهة اما في أصل التركيب أوبعده، وبيان ذلك أن الصغار من المواليد يكونون الطف بنية وأظرف شكلا وصورة لقرب عهدها من فراغ الصانع منها ، وهكذا حكم مايرى من حسن الثياب وروتقها في مبدء كونها قبل الآفات العارضة لها من الهوام والبلى والفساد .

وقال آخر: انما تشخص أبصار النفوس الجزئية نحو المحاسن اشتياقا اليها لما بينها من المجانسة لان محاسن هذا العالم من آثار النفس الكلية الفلكية

وقال آخر: ان وزن نقرات وتر الموسيقار وتناسب ما بينها ولذيذ نغماتها تنبيء النفوس الجزئية بان لحركات الافلاك والكواكب نغمات متناسبة مؤتلفة لذيذة

وقال آخر :اذا تصورت رسوم المحسوسات الحسان في الانفس الجزئية صارت هذه مشاكلة ومناسبة للنفس الكلية ومشتاقة نحوها ومتمنيـة اللحوق بها فاذا فارقت الهيكل الجسداني ارتقت الى ملكوت السماء ولحقت بالملأ الاعلى وعنـد ذلك أيقنت بالبقاء وأمنت من الفناء ووجدت لذة العيش صفواً . فقال قائل منهم: وما الملأ الاعلى ؟ فقال : أهل السموات وسكان الافلاك ، فقال : أنى لهم السمع والبصر ؟ فقال : ان لم يكن في عالم الافلاك وسعة السموات من يرى تلك الحركات المنتظمة وينظر الى تلك الاشخاص الفاضلة ويسمع تلك النغمات اللذيذة الموزونة فقد فعلت الحكمة اذاً شيئاً باطلا ، ومن المقدمات المتفق عليها بين الحكماء أن الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلا لا فائدة فيه

وقال آخر: ان لم يكن في فضاء الافلاك وسعة السموات خلائق وسكان فهي اذاً قفر خاوية وكيف يجوز في حكمة الباري جل ثناؤه ان يترك فضاء تلك الافلاك مع شرف جواهرها فارغا خاويا قفراً بلا خلائق هناك وهو لم يترك قعور البحار المالحة المرة المظلمة فارغا حتى خلق في قعرها أجناس الحيوانات من أنواع الاسماك والحيتان وغيرها ولم يترك جو هذا الهواء الرقيق حتى خلق له أجنـاس الطيور تسبح فيه كما تسبح الأسماك والحيتان في المياه ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة والجبال الراسية حتى خلق فيها أجناس السباع والوحوش ، ولم يترك ظلمات التراب وأجناس النبات والحب والثمر حتى خلق فيها أجناس الهوام والحشرات

وقال آخر : ان أجناس هذه الحيوانات التي في هذا العالم انما هي أشباح ومثالات لتلك الصور والخلائق التي في عالم الافلاك وسعة السموات كما أن النقوش والصور التي على وجوه الحيطان والسقوف أشباح ومثالات لصور هذه الحيوانات اللحمية ، وان نسبة الخلائق اللحميـة الى تلك الخلائق التي جواهرها صافيـة كنسبة هذه الصور المنقشة المزخرفة الى هذه الحيوانات اللحمية الدموية .

وقال آخر ان كانت هناك خلائق وليس لهم سمع ولا بصر ولا عقل ولا فهم ولا نطق ولا تمييز فهم اذاً صم بكم عمي . وقال آخر : فان كان لهم سمع وبصر وليس هناك أصوات تسمع ولا نغمات تلذ فسمعهم وبصرهم إذاً باطل لا فائدة فيه فان لم يكن لهم سمع وبصر وهم يسمعون ويبصرون فهم إذاً أشرف وأفضل مما هاهنا لان تلك الجواهر هي أصفى وأنور وأشف وأتم وا كمل . وقال آخر: انما استخرجت هذه الالحان الموسيقية التي هاهنا مماثلة لما هناك كما عملت الآلات الرصدية مثل الاسطرلاب والرباب والبنكان وذوات الحلق مماثلة لما هناك

وقال آخر : ان لم تكن تلك المحسوسات التي هناك أشرف وأفضل مما هاهنا ولم يكن للنفوس اليها وصول فترغيب الفلاسفة في الرجوع الى عالم الارواح وترغيب الانبياء عليهم السلام وتشويقهم الى نعيم الجنان اذاً باطل وزور وبهتان ومعاذ الله من ذلك، فان توهم متوهم أو ظن ظان أو قال مجادل أن الجنان هي من وراء هذه الافلاك وخارجة من فسحة السموات قيل له و كيف تطمع في الوصول اليها ان لم تصعد أولا الى ملكوت السموات وتجاوز سعة الافلاك ،ويقال انه إذا هبت نسيم الجنان بالاسحار تحركت أشجارها واهتزت أغصانها وتخشخشت أوراقها وتناثرت ثمارها وتلألأت أزهارها وفاحت روائحها ، فلو عاين أهل الدنيا منها نظرة واحدة لما تلذذوا بالحياة في الدنيا بعد ذلك أبداً فلمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون والفلاسفة تسمي الجنة « عالم الارواح »

﴿ فصل في تلون تأثيرات الانغام ﴾

اعلم يا أخي،أيدك الله وايانا بروح منه، بأن تأثيرات نغمات الموسيقار في نفوس المستمعين مختلفة الانواع ولذة النفوس منها وسرورها بها متفننة متباينة ، كل ذلك بحسب مراتبها في المعارف وبحسب معشوقاتها المألوفة من المحاسن فكل نفس اذا سمعت من الاوصاف مايشاكل معشوقاتها ، ومن النغمات مايلائم محبوبها، فرحت وسرت والتذت بحسب ما تصورت من رسوم معشوقها واعتقدت في

محبوبها حتى ربما وقع النكير من الآخرين اذا لم يعرفوا مذهبه ولا ما قصد نحوه . والمثال في ذلك ما يحكى أن رجلا من أهل الوجد من المتصوفة سمع قارئاً يقرأ « يأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » فاستمادها من القاريء مرارا وجعل يقول : كم أقول لها ارجعي فليس ترجع ، وتواجد وزعق وصعق صعقة فخرجت روحه ، وسمع آخر رجلا يقرأ : فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاء من وجد في رحله فهو جزاؤه ، فاستمادها وزعق وصعق فخرجت روحه . فقال أهل الوجد انما حمل معنى قوله جزاؤه من وجد في رحله ان المحبوب هو جزاء الحبيب لانه هو الموجود في رحله ، يعنون أن صورة المحبوب مصورة في نفس الحبيب ورسوم شكله منقوشة في قلبه ، فذلك جزاؤه . ألا ترى يا أخي كيف حمل معنى القول على مذهبه ومقصده مع شهرة معنى الآية في الظاهر ، وآخر سمع قول القائل وهو يغني :

قال الرسول غداً تزو ر فقلت تدري ما تقول

فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرره ويجعل مكان التاء نوناً ويقول غداً نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور ، فلما أفاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة

ويروى في الخبر أن ألذ نغمة يجدها أهل الجنة وأطيب نغمة يسمعونها مناجاة الباري جل ثناؤه وذلك قوله تعالى « تحيتهم يوم يلقونه سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » ويقال أن موسى عليه السلام لما سمع مناجاة ربه داخله من الفرح والسرور واللذة ما لم يتمالك نفسه حتى طرب وترنم وصغر عنده بعد ذلك كل النغمات والالحان والاصوات وفقك الله أيها الأخ لفهم معاني هذه الاشارات اللطيفة والأسرار الخفية وبلغك بلاغها وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا وأين كانوا من البلاد انه رؤوف بالعباد

تمت الرسالة الخامسة في الموسيقى والحمد لله حمد الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

الرسالة السادسة

من القسم الرياضي

في النسبة العددية والهندسية في تهذيب النفس واصلاح الاخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءالله خير أما يشركون . اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أنا قد فرغنا من الرسالة التي تقدم ذكرها ونريد أن نذكر في هذه الرسالة نسبة العدد بعضها الى بعض فنقول :

اعلم بأن النسبة هي قدر أحد المقدارين عند الآخر وكل عددين اذا أضيف أحدهما الى الآخر فلايخلو من أن يكونا متساويين أو مختلفين ، فان كانا متساويين فيقال لاضافة أحدهما الى الآخر نسبة التساوي وإن كانا مختلفين فلابد من أن يكون أحدهما أكثر والآخر أقل ، فان أضيف الاقل الى الاكثر يقال له الاختلاف الاصغر ويعبر عنه بأحد تسعة الالفاظ التي ذكرنا قبل ، وهي النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر وماتركب من هذه الالفاظ ويضاف اليها مثل مايقال نصف السدس وثلث الخمس وما شاكل ذلك. وهذه النسبة معروفة بين الحساب مثل نسبة الستة الى الستين وغيره من الاعداد وأما إن أضيف العدد الاكثر الى الاقل فيقال له الاختلاف الاعظم والنظر والكلام في مثل هذه النسبة للمتفلسفين لا لحساب الدواوين

وهذه النسبة معروفة تتنوع بخمسة أنواع ويعبر عنها بخمسة ألفاظ أولها نسبة الضعف ، والثاني نسبة المثل الزائد جزءاً ، والثالث نسبة المثل والزائد جزء ، والرابع نسبة الضعف والزائد جزء ، والخامس نسبة الضعف والزائد جزء .

ولايمكن أن يضاف عدد أكثر الى عدد أقل فيكون خارجاً من هذه النسب الخمس .

أما نسبة الضعف فهو مثل اضافة سائر الاعداد المبتدأة من الاثنين على النظم الطبيعي بالاضافة الى الواحد بالغاً ما بلغ فان الاثنين ضعف الواحد والثلاثة ثلاثة أضعافه والاربعة أربعة أضعافه وكذلك الخمسة خمسة أضعافه وعلى هذا القياس سائر الاعداد بالغاًمابلغ، وإذاأضيف الىالواحديةالله نسبة ذي الاضعاف وهذه صورتها ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وأما نسبة المثل والزائد جزء فهو مثل نسبة سائر الاعدادالمبتدأةمن الاثنين المنتظمة على النظم الطبيعي كل واحدة الى نظيرتها كالثلاثة الىالاثنين والاربعة الى الثلاثة والخمسة الى الاربعة والستة الى الخمسة وعلى هذا القياس سائرالاعداد بالغاً مابلغ اذا أضيف الى الذي قبله بواحد فانه لايخرج منهذهالنسبة التى هي مثل وجزء منه وهذه صورتها
٩٨٧٦٥٤٣
٨٧٦٥٤٣٢

وأما نسبة المثل والزائد أجزاء فهو مثل نسبة سائر الاعداد المبتدأة من الثلاثة المنتظمة على النظم الطبيعي إذا أضيف اليها سائر الاعداد المبتدأة من الخمسة المنتظمة على نظم الافراد دون الازواج كالخمسة الى الثلاثة والسبعة الى الاربعة والتسعة الى الخمسة والاحد عشر الى الستة والثلاثةعشر الى السبعة وعلى هذا القياس سائر الاعداد بالغاً مابلغوهذه صورتها ٥/٣ ٧/٤ ٩/٥ ١١/٦ ١٣/٧ ١٥/٨

وأما نسبة الضعف والزائد جزء فهو مثل سائر الاعداد المبتدأة من الاثنين المنتظمة على النظم الطبيعي إذا أضيف اليها سائرالاعداد المبتدأة من الخمسة على نظم الافراد دون الازواج كالخمسة الى الاثنين والسبعة الى الثلاثة والتسعة الى الاربعة والاحد عشر الى الخمسة وعلى هذا القياس سائر الاعداد بالغاً مابلغ وهذه صورتها ٥/٢ ٧/٣ ٩/٤ ١١/٥

وأما نسبة الضعف والزائد أجزاء فهو مثل نسبة سائر الاعداد المبتدأة من الثلاثة على النظم الطبيعي اذا أضيف اليها سائرالاعدادالمبتدأة من الثمانية بزيادة

الثلاثة كالثمانية الى الثلاثة والاحد عشر الى الاربعة والاربعة عشر الى الخمسة والسبعة عشر الى الستة وعلى هذا القياس سائر الاعداد بالغاً مابلغ يتخطى ثلاثة ثلاثة على هذا المثال وهذه صورتها ٨/٣ ١١/٤ ١٤/٥ ١٧/٦

فقد تبين ان كل عددين مختلفين إذا أضيف الاكثر الى الاقل فلايخلو من هذه الخمس النسب التى ذكرناها وهي نسبة الضعف والمثل وجزء والمثل وأجزاء والضعف وجزء والضعف وأجزاء. وأما إذا أضيف الاقل الى الاكثر على هذا الترتيب الذي بيناه فيزاد في هذه الخمسة الالفاظ لفظة أخرى هى لفظة تحت فيقال اذا أضيف الواحد الى سائر الاعداد فهي تحت ذي الاضعاف والاثنان اذا أضيفت الثلاثة فيقال تحت المثل والزائد جزءاً، وكذلك إذا أضيف الثلاثة الى الاربعة والاربعة إلى الخمسة وعلى هذا القياس بالعكس مما ذكرناه في الباب الأول من نسبة الاكثر إلى الأقل كل واحد بالنسبة إلى نظيره كالثلاثة إذا أضيف إلى الخمسة والأربعة إلى السبعة والخمسة إلى تسعة فيقال تحت المثل والزائد أجزاء وأما الاثنان إلى الخمسة والثلاثة الى السبعة والاربعة الى التسعة فيقال تحت الضعف والزائد جزءاً وأما الثلاثة الى الثمانية والاربعة الى الاحد عشر والخمسة الى الاربعة عشر والستة الى سبعة عشر فيقال تحت الضعف والزائد أجزاء. فقد تبين أن نسبة الأقل الى الأكثر لا تخلو من هذه الخمسة المعانى التى تحت ذي الاضعاف وتحت المثل والزائد جزءاً وتحت المثل والزائد أجزاء وتحت ذي الاضعاف والزائد جزءاً وتحت ذي الاضعاف والزائد أجزاء

فصل في النسب

اعلم أن النسبة على ثلاثة أنواع اما بالكمية وإما بالكيفية واما بهما جميعاً ، فالتى بالكمية يقال لها نسبة عددية ، والتى بالكيفية يقال لها نسبة هندسية والتى بهما جميعاً يقال لها نسبة تأليفية وموسيقية .واما النسبة العددية فهي تفاوت ما بين عددين مختلفين بالتساوى مثال ذلك واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة ، فان تفاوت ما بين كل عددين من هذه الاعداد واحد واحد وكذلك

اثنان اربعة ستة ثمانية عشرة اثنا عشر أربعة عشر ستة عشر ثمانية عشر ومازاد فان التفاوت بين كل عددين من هذه الاعداد اثنان اثنان وكذلك واحد ثلاثة خمسة سبعة تسعة أحدعشر وما زاد على ذلك فان التفاوت بين كل عددين منها اثنان اثنان وعلى هذا القياس تبنى سائر النسب العددية وانما يعتبر مساواة تفاوت ما بينهما ومن خاصية هذه النسبة أن كل عددين أي عددين كانا اذا أخذ نصف كل واحد منهما وجمع يكون منهما عدد آخر متوسط بين العددين مثال ذلك ثلاثة وأربعة تفاوت ما بينهما واحد فان أخذ نصف الثلاثة وهو واحد ونصف ونصف الأربعة وهو اثنان وجمع بينهما يكون ثلاثة ونصفاً وثلاثة ونصف أكثر من ثلاثة بنصف وينقص عن الاربعة بنصف وعلى هذا القياس يعتبر سائر النسب العددية

وأما النسبة الهندسية فهي قدر أحد العددين المختلفين عند العدد الآخر مثال ذلك أربعة ستة تسعة فانما هي في نسبة هندسية وذلك ان نسبة الاربعة الى الستة كنسبة الستة الى التسعة وذلك ان الاربعة ثلثا الستة والستة ثلثا التسعة وكذلك بالعكس فان نسبة التسعة الى الستة كنسبة الستة الى الاربعة وذلك ان التسعة مثل الستة ومثل نصفها والستة مثل الاربعة ومثل نصفها وهكذا ثمانية واثناعشر وثمانية عشر وسبعة وعشرون فانها كلها في نسبة هندسية وذلك ان الثمانية ثلثا الاثنى عشر والاثنى عشر ثلثا الثمانية عشر والثمانية عشر ثلثا السبعة والعشرين وكذلك بالعكس سبعة وعشرون مثل ثمانية عشر ومثل نصفها وثمانية عشر مثل اثنى عشر ومثل نصفها والاثناعشر مثل الثمانية ومثل نصفها وعلى هذا المثال يعتبر سائر النسب الهندسية

وهي تنقسم نوعين متصلة ومنفصلة ، فالمتصلة مثل هذه التي قدمنا ذكرها ومن خاصية هذه النسبة اذا كانت ثلاثة أعداد فان ضرب الاول في الثالث مثل ضرب الثاني في نفسه مثال ذلك ان ضرب الاربعة في التسعة مثل ضرب الستة في نفسها وإن كانت أربعة أعداد فان ضرب الاول في الرابع مثل ضرب الثاني

في الثالث مثال ذلك ثمانية واثنا عشر وثمانية عشر وسبعة وعشرون. وأما المنفصلة فهي مثل أربعة وستة وثمانية واثني عشر فان نسبة الاربعة الى الستة كنسبة الثمانية الى الاثني عشر لان الثمانية ثلثا الاثني عشر وليست الستة ثلثي الثمانية لكن الاربعة ثلثا الستة فهذه النسبة وأمثالها يقال لها منفصلة ومن خاصية هذه النسبة ان ضرب الاول في الرابع مثل ضرب الثاني في الثالث . ومن خاصية النسبة المتصلة ان الحد الاوسط مشترك في النسبة وأما المنفصلة فالحد الوسط غير مشترك في النسبة. وأما النسبة التأليفية فهي المركبة من الهندسية والعددية مثال ذلك واحد واثنان وثلاثة وأربعة وخمسة وستة فالستة تسمى الحد الاعظم والثلاثة الحد الاصغر والاربعة الحد الاوسط وواحد واثنان هما التفاضل بين الحدود وذلك ان فضل ما بين الستة والاربعة اثنان وفضل ما بين الاربعة والثلاثة واحد فنسبة الاثنين الذي هو التفاضل بين الستة والاربعة والثلاثة الى الواحد الذي هو التفاضل بين الاربعة والثلاثة كنسبة الحد الاعظم الذي هو الستة الى الحد الاصغر الذي هو الثلاثة . وكذلك بالعكس نسبة الثلاثة الذي هو الحد الاصغر الى الستة الذي هو الحد الاعظم كنسبة الواحد الى الاثنين الذي هو تفاوت ما بين الاربعة والستة ، ومن وجه آخر نسبة الواحد الى الاثنين كنسبة الاثنين الى الاربعة وكنسبة الثلاثة الى الستة ، وعكس ذلك نسبة الستة الى الثلاثة كنسبة الاربعة الى الاثنين ونسبة الاثنين الى الواحد ، ومن وجه آخر نسبة الستة الى الاربعة كنسبة الثلاثة الى الاثنين وعكس ذلك نسبة الاثنين الى الثلاثة كنسبة الاربعة الى الستة فان هذه النسبة مؤلفة من العددية والهندسية ومركبة منهما . ومن هذه النسبة استخراج تأليف النغم والالحان كما بينا في رسالة الموسيقى.

﴿ فصل في استخراج النسب المتصلة ﴾

كل عدد اي عدد كان اضيف الى عدد آخر أكثر منه فله اليه نسبة ما ، وقد يوجد عدد آخر أقل منه في تلك النسبة ، مثال ذلك عشرة اذا نسبت

الى مئة فانها في نسبة العشر ، ودونها الواحد في تلك النسبة لان الواحد عشر العشرة كما ان العشرة عشر المئة وكذلك نسبة العشرة الى التسعين كنسبة الواحد والتسع الى العشرة وكذلك نسبة العشرة الى الثمانين كنسبة الواحد والربع الى العشرة وكذلك نسبة العشرة الى السبعين كنسبة الواحد وثلاثة اسباع الى العشرة وكذلك نسبة العشرة الى الستين كنسبة الواحد والثلثين الى العشرة وكذلك نسبة العشرة من الخمسين كنسبة الاثنين من العشرة ونسبة العشرة من الاربعين كنسبة الاثنين ونصف الى العشرة ونسبة العشرة من الثلاثين كنسبة الثلاثة والثلث من العشرة ونسبة العشرة من العشرين كنسبة الخمسة من العشرة وعلى هذا القياس تعتبر سائر النسب المتصلة.

والقياس في استخراج هذه النسبة ان يضرب ذلك العدد في نفسه ويقسم العدد الحاصل منه على العدد الاكثر فما خرج فهو العدد الاقل في تلك النسبة وان قسم المبلغ على العدد الاقل خرج العدد الاكثر في تلك النسبة ، مثال ذلك اذا قيل لك اوجدني عدداً يكون نسبته الى العشرة كنسبة العشرة الى الاحد عشر فبابه ان تضرب العشرة في نفسها ويقسم المبلغ على احد عشر فيخرج تسعة وجزء من احد عشر فيكون نسبة التسعة وجزء من احد عشر الى العشرة كنسبة العشرة الى الاحد عشر، وان قسمت ذلك على تسعة خرج احد عشر وتسع فنسبة العشرة الى التسعة كنسبة الاحد عشر والتسع الى العشرة . ومن خاصية هذه النسبة انه متى كان اثنان منها معلومين والثالث مجهولا يمكن ان يعلم ذلك المجهول من المعلومين فبابه ان يضرب احد المعلومين في نفسه ويقسم المبلغ على الآخر فما خرج فهو ذلك المجهول المطلوب، مثال ذلك اذا قيل لك اوجدني عدداً يكون نسبته الى الاثنين كنسبة الاربعة الى الستة أو قال نسبة الاربعة اليه كنسبة الستة الى الاربعة فالقياس فيهما واحد وهو ان تضرب الاربعة في نفسها فيكون ستة عشر فتقسمها على الستة فيكون اثنين وثلثين فتقول نسبة الاثنين وثلثين الى الاربعة كنسبة الاربعة الى الستة وعكس ذلك نسبة الاربعة الى الاثنين

والثلثين كنسبة الستة الى الاربعة فان ذكر الستة فافعل بها مثل مافعلت بالاربعة فان الباب فيهما واحد وذلك ان الستة اذا ضربت في نفسها وقسم المبلغ على أربعة كانت تسعة فنقول نسبة التسعة الى الستة كنسبة الستة الى الاربعة وعكس ذلك نسبة الستة الى التسعة كنسبة الاربعة الى الستة وعلى هذا المثال فقس نظائر ذلك. ومن هذه النسبة يستخرج المجهولات الهندسية بالمعلومات وكذلك المجهولات التي في المعاملات ان كان ثمنا أو مثمناً مثاله اذا قيل عشرة نسبة الى أربعة بكم فاضرب الاربعة في ستة واقسم المبلغ على العشرة فما خرج فهو المطلوب

واعلم بانه تارة يكون المجهول هو الثمن وتارة هو المثمن فاجتهد في القياس ان لا يضرب الثمن في الثمن والمثمن في المثمن ولكن الثمن في المثمن والمثمن في الثمن

﴿ فصل في التناسب ﴾

اعلم ان التناسب هو اتفاق أقدار الاعداد بعضها من بعض والعددان لا يتناسبان أقل النسبة من ثلاثة أعداد وأقل الاعداد المتناسبة بثلاثة أعداد المتناسبة اذا كانت ثلاثة فان قدر اولها من ثانيها كقدر ثانيها من ثالثها وكذلك بالعكس كل ثلاثة أعداد متناسبة فان مضروب أولها في ثالثها كمضروب ثانيها في نفسه وهذا مثال ذلك ٩٦٤ كل ثلاثة أعداد متناسبة اذا كانت حاشيتاها معلومتين والواسطة مجهولة أعني بالحاشيتين الاول والثالث فاذا ضربت احدى الحاشيتين في الاخرى واخذ جذر المجتمع كان ذلك هو الواسطة المجهولة فان كانت احدى الحاشيتين معلومة والواسطة معلومة ضربت الواسطة في مثلها وقسم المبلغ على الحاشية المعلومة فما خرج من القسمة فهو الحاشية المجهولة الاعداد المتناسبة اذا كانت أربعة فان نسبتها على نوعين احدهما نسبة التوالي والآخر غير التوالي فاما الاعداد المتناسبة المتوالية على نسبتها اذا كانت أربعة فان قدر اولها من ثانيها كقدر ثانيها من ثالثها وثانيها من ثالثها كثالثها من رابعها مثال ذلك «ب د ح يو» اذا كانت أعداداً

متناسبة غير متوالية كان قدر اولها من ثانيها كقدر ثالثها من رابعها ولم يكن قدر ثانيها من ثالثها كقدر ثالثها من رابعها مثل هذه الصورة ح و ج يو كل أربعة أعداد متناسبة متوالية كانت أو غير متوالية فان مضروب أولها في رابعها مثل مضروب ثانيها في ثالثها. واذا ضربت احدى الواسطتين فى الاخرى وقسم المبلغ على الحاشية المعلومة فما خرج فهو الحاشية المجهولة فان كانت احدى الواسطتين مجهولة وسائرها معلومة ضربت احدى الحاشيتين في الأخرى وقسمت المبلغ على الواسطة المعلومة فما خرج فهو الواسطة المجهولة الاعداد المتناسبة المتوالية على نسبتها اذا كانت أربعة وكان عددان منها معلومين والباقيان مجهولين أمكن اخراج المجهولين بالمعلومين ، فان كان الاول والثانى معلومين ضربت الثانى فى مثله وقسمت المبلغ على الاول فما خرج فهو الثالث فان كان الاول والثالث معلومين ضربت الاول في الثالث وأخذت جذر المبلغ فما كان فهو الثانى ثم ضربت الثالث في نفسه وقسمت المبلغ على الثاني فما خرج فهو الرابع وكذلك العمل في سائر الاعداد . فأما اذا كانت أربعة أعداد متناسبة غير متوالية وكان المعلوم منها عددين لم يمكن استخراج المجهولين بالمعلومين غير أنه اذا كان الاول والثاني معلومين وكان الثانى أكثر من الاول قسم الثانى على الاول فما خرج من اضعاف الاول ونسبته فان في الرابع مثل ذلك من اضعاف الثالث واذا كان الاول أكثر من الثانى قسم الاول على الثانى فما خرج من القسمة ففي الثالث مثل ذلك من اضعاف الرابع

وأما قلب النسبة فان تجعل نسبة الاول الى الثالث كنسبة الثاني الى الرابع على الاستواء والعكس وأما ترتيب النسبة فان تجعل نسبة الاول الى الاول والثانى معاً كنسبة الثالث الى الثالث والرابع معاً وكذلك هو فى العكس والتبديل وأما تفضيل النسبة فهو نسبة زيادة الاول على الثانى الى الثانى كذلك يكون نسبة زيادة الثالث على الرابع الى الرابع وأما تنقيص النسبة فان تجعل نسبة ما بقى من

الثاني بعد ما نقص منه الاول الى الاول كنسبة الرابع بعد ما نقص منه الثالث الى الثالث وكذلك في العكس وتبديل النسبة

﴿ فصل ﴾

في فضيلة علم النسب العددية والهندسية والموسيقية

اعلم أيها الاخ البار الرحيم، أيدك الله وايانا بروح منه، أنه قد اتفقت الانبياء صلوات الله عليهم والفلاسفة بان الله عز وجل الذي لا شريك له ولا شبه له واحد بالحقيقة من جميع الوجوه وان كل ما سواه من جميع الموجودات مثنوية مؤلفة ومركبة وذلك ان الله لما أراد ايجاد العالم الجسماني اخترع أولا الاصلين وهما الهيولى والصورة ثم خلق منهما الجسم المطلق وجعل بعض الاجسام يعني الاركان على الطبائع الاربع التي هي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة والاركان هي النار والهواء والماء والأرض ثم خلق من هذه الاركان جميع ما على وجه الارض من الحيوان والنبات والمعادن

واعلم أن هذه الاركان متفاوتات القوى متضادات الطبائع مختلفات الصور متباينات الاماكن متماديات متنافرات لا تجتمع الا بتأليف المؤلف لها والتأليف متى لا يكون على النسبة لم يمتزج ولم يتحد، ومن أمثال ذلك أصوات النغم الموسيقية وذلك أن نغمة الزير رقيق خفيف ونغمة البم غليظ ثقيل والرقيق ضد الغليظ والخفيف ضد الثقيل وهما متباينان متنافران لا يجتمعان ولا يلتقيان الا بمركب ومؤلف يؤلفهما ومتى لا يكون التأليف على النسبة لا يمتزجان ولا يتحدان ولا يستلذهما السمع فمتى ألفا على النسبة ائتلفا وصارا كنغمة واحدة لا يميز السمع بينهما وتستلذهما الطبيعة وتسربهما النفوس، وهكذا أيضاً الكلام الموزون اذا كان على النسبة يكون في السمع ألذ من النثر الذي ليس بموزون لما في الموزون من النسب

ومن أمثال ذلك عروض الطويل فانه ثمانيـة وأربعون حرفاً ثمانيـة

وعشرون حرفاً متحركة وعشرون حرفاً ساكنة فنسبة سواكنه الى متحركاته كنسبة خمسة أسباع وهكذا نسبة نصف البيت وهو أربعة عشر حرفاً متحركة وعشرة أحرف ساكنة ، وهكذا نسبة الربع سبعة أحرف متحركة وخمسة أحرف سواكن،وأيضاً فهو مؤلف من اثنى عشر سبباً والاسباب اثنا عشر حرفا متحركة واثنا عشر ساكنة ، وثمانية أوتاد ثمانية أحرف منها سواكن وستة عشر حرفا متحركة

ومن أمثال ذلك أيضاً حروف الكتابة فانها مختلفة الاشكال متباينة الصور واذا جعل تقديرها ووضع بعضها من بعض على النسبة كان الخط جيداً وان كان على غير النسبة كان الخط رديئاً. وقد بينا نسبة الحروف بعضها من بعض كيف ينبغي أن تكون في رسالة أخرى

ومن أمثال ذلك أيضاً أصباغ المصورين فانها مختلفة الالوان متضادة الشعاع كالسواد والبياض والحمرة والخضرة والصفرة وما شاكلها من سائر الالوان ، فمتى وضعت هذه الاصباغ بعضها من بعض على النسبة كانت تلك التصاوير براقة حسنة تلمع ومتى كان وضعها على غير النسبة كانت مظلمة كدرة غير حسنه وقد بينا في رسالة أخرى كيف ينبغي أن يكون وضع تلك الاصباغ على النسبة بعضها من بعض حتى تكون حسنة

ومن أمثال ذلك أيضاً أعضاء الصور ومفاصلها فانها مختلفة الاشكال متباينة المقادير ، فمتى كانت مقادير بعضها من بعض على النسبة ووضع بعضها من بعض على النسبة كانت الصورة صحيحة محققة مقبولة ومتى كانت على غير ماوصفنا كانت سمجة مضطربة غير مقبولة في النفس وقد بينا من ذلك طرفاً كيف ينبغي تقدير الصور ووضع أعضائها بعضها من بعض في الرسالة المتقدم ذكرها

ومن أمثال ذلك أيضاً عقاقير الطب وأدويتها فانها متضادات الطباع مختلفات الطعوم والروائح والالوان فاذا ركبت على النسبة صارت أدوية ذات منافع كثيرة مثل الترياقات والمراهم وماشاكل ذلك، ومتى ركبت على غير نسبة في

أوزانها ومقاديرها صارت سموماً ضارة قاتلة. ومن أمثال ذلك أيضاً حوائج الطبيخ فانها مختلفة الطعم واللون والروائح والمقادير فمتى جعلت مقاديرها في القدر عند الطبخ لها على النسبة كان الطبيخ طيب الرائحة لذيذ الطعم جيد الصنعة ومتى كان على غير النسبة كان بخلاف ذلك. ومن أجل هذا ذكر في كتاب الطب وفي كتب الصنعة ان تلك العقاقير متى ركبت على النسبة ودبرت على تلك النسبة صحت ومتى كانت على غير ذلك فسدت ولم تصح، وعلى هذا القياس تركيب جواهر المعادن كلها من الزئبق والكبريت وذلك ان الزئبق والكبريت متى امتزجا وكان مقدارهما على النسبة وطبختهما حرارة المعدن على ترتيب واعتدال انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز، ومتى لم تكن أجزاؤهما على تلك النسبة وقصرت حرارة المعدن عن طبخهما صارت فضة بيضاء ، ومتى كانت أجزاء الكبريت زائدة الحرارة نشفت رطوبة الزئبق وغلب اليبس عليها وصارت نحاساً أحمر ومتى كان الزئبق والكبريت غليظين غير صافيين صار منهما الحديد ومتى كان الزئبق أكثر والكبريت أقل والحرارة ناقصة غلب البرد عليها وصارت أسرباً وعلى هذا القياس تختلف جواهر المعادن بحسب مقادير الزئبق والكبريت وامتزاجهما على النسبة والخروج الى الزيادة والنقصان واعتدال طبخ الحرارة لها والخروج منها بالافراط والتقصير

وعلى هذا القياس تختلف أشكال الحيوان والنبات وهيآتها وألوانها وطعومها وروائحها على حسب تركيب أجزاء الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ونسبة مقادير أجزائها وقوى بعضها من بعض . ومن أمثال ذلك ان المولودين من البشر متى كانت كمية الاخلاط التي ركبت منها أجسامهم أعني الدم والبلغم والمرتين في أصل تركيبهم على النسبة الافضل ولم يعرض لها عارض كانت أجسادهم صحيحة المزاج وبنية أبدانهم قوية وألوانهم صافية وهكذا متى كان تقدير أعضائهم ووضع بعضها من بعض على النسبة الافضل كانت صورهم حسنة وهيآتهم مقبولة وأخلاقهم محمودة ومتى كانت على خلاف ذلك كانت أجسادهم

مضطربة وصورهم وحشة وأخلاقهم غير محمودة والمثال في ذلك المولودون الذين غلبت على أمزجة ابدانهم الحرارة فان أجسادهم تكون نحيفة وألوانهم سمراً ويكونون سريعي الحركة والغضب زائدين في الشجاعة الى التهور ومن السخاء الى التبذير وأما الذين الغالب على أبدانهم البرودة فانهم يكونون بطيئي الحركة عبلي الاجساد بيض الالوان قليلي الغضب زائدين في الجبن والبخل وقد تبين هذا في كتب الطب وكتب الفراسة بشرح طويل وانما أردنا نحن أن نذكر من كل جنس من الموجودات مثالا ليكون دالا على شرف علم النسب الذي يعرف بالموسيقى وان هذا العلم محتاج اليه في الصنائع كلها وانما خص هذا العلم باسم الموسيقى الذي هو تألف الالحان والنغم لان المثال فيه أبين وذلك ان القدماء من الحكماء انما استخرجوا أصول الالحان والنغم من المعرفة بالنسبة العددية والهندسية لما جمعوا بينهما خرجت النسبة الموسيقية كما بينا فى الفصل الذي فى استخراج النسب

وذكر أصحاب النجوم والمتفلسفون بان للسعود من الكواكب لافلاكها ولاعظام أجرامها ولسرعة حركاتها الى الاركان الاربعة نسبة موسيقية وان لتلك الحركات نغمات لذيذة وان النحوس من الكواكب ليست لها تلك النسبة وكذلك لبيوت الفلك التى يناظر بعضها بعضاً نسبة شريفة وان البيوت التى لاتتناظر ليست لها تلك النسبة وان لبيوت النحوس وأفلاكها بعضها الى بعض نسبة وان لبيوت السعود وأفلاكها بعضها الى بعض نسبة شريفة ليست بينها وبين النحوس تلك النسبة ولا بين النحوس بعضها من بعض . ومن أجل شرف علم النسبة ولطيف معانيها أفرد في كتاب اقليدس مقالتان في علم النسب بمثالات وبراهين وبالجملة ان كل مصنوع من أشياء متضادة الطبائع متعادية القوى مختلفة الاشكال فان أحكمها وأتقنها ما كان تركيب أجزائه وتأليف أعضائه على النسبة الأفضل .

ومن عجائب خاصية النسبة مايظهر في الابعاد والاثقالمن المنافع . من ذلك مايظهر في القرسطون أعني القبان وذلك ان أحد رأسي عمود القرسطون طويل بعيد من المعلاق والآخر قصير قريب منه فاذا علق على رأسه الطويل ثقل قليل وعلى رأسه القصير ثقل كثير تساويا وتوازنا متى كانت نسبة الثقل القليل الى الثقل الكثير كنسبة بعد رأس القصير الى بعد راس الطويل من المعلاق. ومن أمثال ذلك مايظهرفي ظل الاشخاص من التناسب بينها وذلك ان كل شخص مستوي القد منتصب القوام فان له ظلاما وان نسبة طول ظل ذلك الشخص الى طول قامته في جميع الاوقات كنسبة جيب الارتفاع في ذلك الوقت الى جيب تمام الارتفاع سواءوهذا لايعرفه الا المهندسون أومن يحل الزيج وهكذا توجد هذه النسبة في جر الثقيل بالخفيف وفي تحريك المحرك زمانا طويلا بلا ثقل ثقيل ومن ذلك مايظهر أيضاً فيالاجسام الطافية فوقالماء مابين أثقالها ومقعر أجرامها في الماء من التناسب وذلك ان كل جسم يطفو فوق الماء فان مكانه المقعر يسع من الماء بمقدار وزنه سواء فانكان ذلك الجسم لايسع مقعره بوزنه من الماءفان ذلك الجسم يرسب فيالماء ولايطفو وان كان ذلكالمقعر يسع بوزنهمن الماء سواء فان ذلك الجسم لايرسب فيالماء ولايبقىمنه شيء ناتىء عن الماء بل يبقى سطحه منطفحاً مع سطحالماء سواء وكل جسمين طافيين فوق الماء فان نسبة سعة مقعر احدهما الى الآخر كنسبة ثقل احدهما الى الآخرسواء . وهذه الاشياء التي ذكرناها يعرفها من كان يتعاطى صناعةالحركات أو كان عالما بمراكز الاثقال والافلاك والاجراموالابعاد

ومن الفوائد مايظهر من المجهولات علمها بمعرفة النسب من ذلك مايتبين من التناسب بين الاشياء المثمنة وبين أثمانها المفروضة لها وذلك ان كل شيء يقدر بقدر ما من الوزن والكيل والذرع والعدد ثم يفرض له ثمن فان بين ذلك الشيء المقدر وبين ثمنه المفروض له نسبتين احداهما مستوية والاخرى معكوسة

مثال ذلك اذا قيل عشرة بستة فالعشرة هي الشيء المقدر والستة هي الثمن المفروض وبينهما نسبتان احداهما مستوية والاخرى معكوسة وذلك ان الستة نصف العشرة وعشرها وعكس ذلك العشرة فانها مثل الستة وثلثيها وكل سائل اذا سأل عن ثمن شيء مافلا بد له ان يلفظ باربعة مقادير ثلاثة منها معلومة وواحدة مجهولة وبين كل قدرين منها نسبتان مستوية ومعكوسة مثال ذلك اذا قيل عشرة بستة باربعة كم فقوله عشرة هي قدر معلوم وكذا ستة وأربعة وأما قوله كم فقدر مجهول فنقول ان بين الستة والعشرة نسبتين كما بينا وكذلك بين الاربعة وبين الكم الذي هو القدر المجهول نسبتان وكذلك بين العشرة وبين المجهول نسبتان، وكذلك بين الستة وبينه نسبتان بيان ذلك ان القدر المجهول هو الستة وثلثان فنقول ان الكم ثلثا العشرة كما ان الاربعة ثلثا الستة وان العشرة مثل الكم ومثل نصفه كما ان الستة مثل الاربعة ومثل نصفها وأيضا الكم مثل الاربعة ومثل ثلثيها كما ان العشرة مثل الستة ومثل ثلثيها وعكس ذلك ان الاربعة نصف الكم وعشره كما ان الستة نصف العشرة وعشرها

فاذا قيس على هذا المثال وجد بين كل مثمن وبين ثمنه نسبتان مستوية ومعكوسة وعرف المجهول بالمعلوم وان ضرب احد المعلومين في الآخر وقسم المبلغ على الثالث فما خرج فهو المجهول المطلوب ، مثال ذلك اذا قيل عشرة بستة كم باربعة فاضرب الاربعة في عشرة واقسمها على ستة فما خرج فهو المجهول المطلوب وهو ستة وثلثان

وعلى هذا المثال فقد بان ان علم نسبة العدد علم شريف جليل وان الحكماء جميع ماوضعوه من تأليف حكمتهم فعلى هذا الاصل أسسوه وأحكموه وقضوا لهذا العلم بالفضل على سائر العلوم اذ كانت كلها محتاجة الى ان تكون مبنية عليه ولولا ذلك لم يصح عمل ولا صناعة ولا ثبت شيء من الموجودات على الحال الافضل فاعلم ذلك أيها الأخ وتفكر فيه غاية التفكر فانه علم يهدي الى سواء الصراط نفعك الله وأرشدنا واياك وجميع اخواننا بمنه ورحمته

الرسالة السابعة

من القسم الرياضى

فى الصنائع العلمية والغرض منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءالله خير أما يشركون .

اعلم أيها الاخ ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، انا قد فرغنا من ذكر النسب العددية وأخبرنا بماهياتها وكية أجناسها وأنواع تلك الاجناس ووصفنا كيفية اظهارها من القوة الى الفعل وبينا ان الموضوع فيها كلها أجسام طبيعية وان مصنوعاتها كلها جواهر جسمانية وان أغراضها كلها عمارة الارض لتتميم أمر معيشة الحياة الدنيا فنريد أن نذكر في هذه الرسالة الصنائع العلمية التى هي الموضوع فيهاجواهر روحانيةالتيهي أنفس المتعلمين ونبين ان تأثيراتها في المتعلمين كلها روحانية كما ذكرنا في رسالة المنطق ونبين أيضاً ماهية العلوم ونذكر كمية اجناسها وأنواع تلك الاجناس ونصف أيضاً كيفية اخراج مافي قوة النفس من العلوم الى الفعل الذي هو الغرض الاقصى في التعاليم وهو اصلاح جواهر النفوس وتهذيب أخلاقها وتتميمها وتكميلها للبقاء فى دار الآخرة التى هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون والذين يريدون الخلود في الدنيا هم الغافلون عن أمر الآخرة

﴿ فصل فى مثنوية الانسان ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الانسان لما كان هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وهما جوهران متباينان فى الصفات متضادان

فى الاحوال ومشتركان في الافعال العارضة والصفات الزائلة صار الانسان من أجل جسده الجسماني مريداً للبقاء فى الدنيا متمنياً للخلود فيها ومن أجل نفسه الروحانية صار طالباً للدار الآخرة متمنيـاً للبلوغ اليها وهكذا أكثر أمور الانسان وتصرف أحواله مثنوية متضادة كالحياة والممات والنوم واليقظة والعلم والجهالة والتذكر والغفلة والعقل والحماقة والمرض والصحة والفجور والعفـة والبخل والسخاء والجبن والشجاعة والألم واللذة ، وهو متردد بين الصـداقة والعداوة والفقر والغنى والشبيبة والهرم والخوف والرجاء والصدق والـكذب والحق والباطل والصواب والخطأ والخير والشر والقبيح والحسن وماشا كلها من الأخلاق والأفعال والأقاويل المتضادة المتباينة التى تظهر من الانسان الذي هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية

واعلم يا أخي بأن هذه الخصال التى عددنا لاتنسب الى الجسد بمجرده ولاالى النفس بمجردها ولـكن الى الانسان الذي هو جملتهما والمجموع منهما الذي هو حي ناطق مائت فحياته ونطقه من قبل نفسه وموته من قبل جسده وهكذا نومه من قبل جسده ويقظته من قبل نفسه وعلى هذا القياس سائر أموره وأحواله المتباينات المتضادات بعضها من قبل النفس وبعضها من قبل الجسد مثال ذلك عقله وعلمه وحلمه وتفكره وسخاؤه وشجاعته وعفته وعدله وحكمته وصدقه وصوابه وخيره وماشا كلها من الخصال المحمودة فكلها من قبل نفسه وصفاء جوهرها وأضدادها من قبل أخلاط جسده ومزاج أخلاطه

﴿ فصل في الصفات المختصة بالجسد والنفس ﴾

واعلم يا أخي بأن الصفات المختصة بالجسد بمجرده هي ان الجسد جوهر جسماني طبيعي ذو طعم ولون ورائحة وثقل وخفة وسكون ولين وخشونة وصلابة ورخاوة وهو متكون من الاخلاط الاربعة التى هي الدم والبلغم والمرتان المتولدة من الغذاء الـكائن من الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ذوات الطبائع

الاربع التى هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهو منفسد أعنى الجسد ومتغير ومستحيل وراجع الى هذه الاركان الاربعة بعد الموت الذي هو مفارقة النفس الجسد وتركها استعماله

وأما الصفات المختصة بالنفس بمجردها فهي أنها جوهرة روحانية سماوية نورانية حية بذاتها علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة للتعاليم فعالة في الاجسام ومستعملة لها ومتممة للاجسام الحيوانية والنباتية الى وقت معلوم ثم انها تاركة لهذه الاجسام ومفارقة لها وراجعة الى عنصرها ومعدنها ومبدأها كما كانت إما بربح وغبطة أو ندامة وحزن وخسران كما ذكر الله عز وجل بقوله «كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة» وقال عز وجل «كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين» وقال تعالى «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لاترجعون» فكفى بهذا ياأخي زجراً ووعيداً وتهديداً وتوبيخاً ومذكراً ونذيراً إن كنت منتبهاً من نوم الغفلة ومستيقظاً من رقدة الجهالة

وأعيذك أيها الأخ البار الرحيم أن تكون من الذين ذمهم رب العالمين بقوله « لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » أفترى ذمهم من أجل انهم لم يكونوا يعقلون أمر معيشة الدنيا ؟ اعاذهم لانهم لم يكونوا يتفكرون في أمر الآخرة والمعاد ولايفقهون مايقال لهم من معانى أمر الآخرة وطريق المعاد فقال (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وقال عز وجل (الذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون)

﴿ فصل في مثنوية قنية الانسان ومثنوية الاعمال ﴾

ولما تبين ان أكثر أمور الانسان وتصرف أحواله مثنوية متضادة من أجل انه جملة مجموعة من جوهرين متباينين جسد جسماني ونفس روحانية كما بيناقبل صارت قنيته أيضاً نوعين جسمانية كالمال ومتاع الدنيا وروحانية كالعلم والدين

وذلك ان العلم قنية للنفس كما ان المال قنية للجسد وكما ان الانسان يتمكن بالمال من تناول اللذات من الاكل والشرب في الحياة الدنيا فهكذا بالعلم ينال الانسان طريق الآخرة وبالدين يصل اليها وبالعلم تضيء النفس وتشرق وتصح كما ان بالاكل والشرب ينمى الجسد ويزيد ويربو ويسمن، فلما كان هكذا صارت المجالس أيضاً اثنين مجلس للأكل والشرب واللهو واللعب واللذات الجسمانية من لحوم الحيوان ونبات الارض لصلاح هذا الجسد المستحيل الفاسد الفانى، ومجلس للعلم والحكمة وسماع روحانى من لذة النفوس التى لا تبيد جواهرها ولا ينقطع سرورها في الدار الآخرة كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله «فيها ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون» فلما كانت المجالس اثنين صار أيضاً السائلون اثنين واحد يسأل حاجة من عرض الدنيا لصلاح هذا الجسد ولجر المنفعة اليه أو لدفع المضرة عنه وواحد يسأل مسألة من العلم لصلاح أمر النفس وخلاصها من ظلمات الجهالة أو للتفقه في الدين طلباً لطريق الآخرة واجتهاداً في الوصول اليها وفراراً من نار جهنم ونجاة من عالم الكون والفساد وفوزاً بالوصول والصعود الى عالم الافلاك وسعة السموات والسيحان في درجات الجنان والتنفس من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن

﴿ فصل فى العلم والمعلوم والتعلم والتعليم وأوجه السؤال ﴾

وينبغي لطالبي العلم والباحثين عن حقائق الاشياء ان يعرفوا أولا ما العلم وما المعلوم وعلى كم وجه يكون السؤال وماجواب كل سؤال حتى يدروا ما الذي يسألون وما الذي يجيبون اذا سئلوا ، لان الذي يسأل ولا يدرى أى شيء سأل فاذا أجيب لايدرى باى شيء أجيب .

واعلم ياأخي بان العلم انما هو صورة المعلوم في نفس العالم وضده الجهل وهو عدم تلك الصورة من النفس. واعلم بان أنفس العلماء علامة بالفعل وأنفس المتعلمين علامة بالقوة وان التعلم والتعليم ليسا شيئاً سوى اخراج مافي القوة يعنى الامكان الى الفعل يعنى الوجود، فاذا نسب ذلك الى العالم سمى تعليما وان نسب الى المتعلم سمى تعلماً

واعلم بان السؤالات الفلسفية تسعة أنواع مثل تسعة آحاد: أولها هل هو والثاني ماهو والثالث كم هو والرابع كيف هو والخامس أي شيء هو والسادس أين هو والسابع متى هو والثامن لم هو والتاسع من هو. تفسيرها: هل هو سؤال يبحث عن وجدان شيء أو عن عدمه والجواب نعم أولا وقد بينا معنى الوجود والعدم في رسالة العقل والمعقول، وما هو سؤال يبحث عن حقيقة الشيء وحقيقة الشيء تعرف بالحد أو بالرسم وذلك ان الاشياء كلها نوعان مركب وبسيط فالمركب مثل الجسم والبسيط مثل الهيولى والصورة وقد بينا معناهما في رسالة الهيولى والاشياء المركبة تعرف حقيقتها اذا عرفت الاشياء التي هي مركبة منها مثال ذلك اذا قيل ماحقيقة الطين فيقال تراب وماء مختلطان وهكذا اذا قيل ماحقيقة السكنجبين فيقال خل وعسل ممزوجان وعلى هذا القياس كل مركب اذا سئل عنه فيحتاج ان يذكر الاشياء التي هو مركب منها وموصوف بها والحكماء يسمون مثل هذا الوصف الحد ومن أجل هذا قالوا في حد الجسم انه الشيء الطويل العريض العميق فقولهم الشيء اشارة الى الهيولى وقولهم الطويل والعريض والعميق اشارة الى الصورة لان حقيقة الجسم ليست بشيء غير هذه التي ذكرت في حده وهكذا قولهم في حد الانسان انه حي ناطق مائت فقولهم حي ناطق يعنون به النفس ومائت يعنون به الجسد لان الانسان هو جملة مجموعة منهما أعني جسداً جسمانياً ونفساً روحانية وعلى هذا القياس تعرف حقائق الاشياء المركبة من شيء

واما الاشياء التي ليست مركبة من شيء بل مخترعة مبدعة كما شاء باريها وخالقها تعالى فحقيقتها تعرف من الصفات المختصة بها مثال ذلك اذا قيل ماحقيقة الهيولى فيقال جوهر بسيط قابل للصورة لا كيفية فيه البتة. واذا قيل ما الصورة فيقال هي التي يكون الشيء بها ماهو، فمثل هذا الوصف تسميه الحكماء الرسم والفرق بين الحد والرسم ان الحد مأخوذ من الاشياء التي المحدود مركب منها كما بينا والرسم مأخوذ من الصفات المختصة بالمرسوم، وفرق آخر أن الحد

يخبرك عن جوهر الشيء المحدود ويميزه عما سواه والرسم يميز لك المرسوم عما سواه حسب فينبغي لك أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وايانا بروح منه اذا سئلت عن حقيقة شيء من الاشياء ان لا تستعجل بالجواب بل تنظر هل ذلك الشيء المسؤول عنه مركب ام بسيط حتى تجيب بحسب ذلك . وأما كم هو فسؤال يبحث عن مقدار الشيء ، والاشياء ذوات المقادير نوعان متصل ومنفصل فالمتصل خمسة انواع : الخط والسطح والجسم والمكان والزمان ، والمنفصل نوعان العدد والحركة . وهذه الاشياء كلها يقال فيها كم هو وقد بينا ماهية العدد في رسالة الارثماطيقي وماهيـة الحركة والزمان والمكان والجسم فى رسالة الهيولى وماهيـة الخط والسطح في رسالة الهندسة . واما كيف هو فسؤال يبحث عن صفة الشيء والصفات كثيرة الانواع وقد بيناها فى رسالة شرح المقولات العشر التى كل واحدة منها جنس الاجناس . وأما أي شيء هو فسؤال يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل مثال ذلك اذا قيل طلع الكوكب فيقال أي كوكب هو لأن الكواكب كثيرة . وأما اذا قيل طلعت الشمس فلا يقال أي شمس هي اذ ليس من جنسها كثرة وكذلك القمر . واما أين هو فسؤال يبحث عن مكان الشيء أو عن رتبته والفرق بينهما أن المكان صفة لبعض الاجسام لا لكلها ، مثال ذلك اذا قيل: أين زيد ؟ فيقال فى البيت أو في المسجد أو في السوق أو فى موضع آخر . وأما المحل فهو صفة للعرض ، والعرض نوعان جسماني وروحاني فالاعراض الجسمانية حالة في الاجسام مثال ذلك اذا قيل أين السواد فيقال حال فى الجسم الاسود وهكذا الالوان كلها والطعوم والروائح حالة في الاجسام ذات الطعم واللون والرائحة وهكذا حكم جميع الاعراض الجسمانية

وأما الأعراض الروحانية فحالة في الجواهر الروحانية مثال ذلك اذا قيل : أين العلم؟ فيقال:حال فى نفس العالم ، وكذلك السخاء والشجاعة والعدل وما شاكلها من الصفات حالة في النفس وهكذا حكم أضدادها . وقد ظن كثير من أهل العلم ممن ليست له خبرة بأمر النفس ولا معرفة بجوهرها ان هذه

الاعراض حالة في الجسم كل واحد فى محل مختص مثال ذلك ما قالوا أن العلم في القلب والشهوة فى الكبد والعقل في الدماغ والشجاعة في المرارة والجبن فى الطحال وعلى هذا القياس سائر الاعراض وقد بينا نحن ان هذه الاعضاء آلات وأدوات للنفس تظهر بها ومنها فى الجسد هذه الافعال والأخلاق في رسالة تركيب الجسد

وأما الرتبة فهي من صفات الجواهر الروحانية، مثال ذلك اذا قيل أين النفس ، فيقال هي دون العقل وفوق الطبيعة وهكذا اذا قيل أين الخمسة من العدد فيقال بعد الاربعة وقبل الستة وعلى هذا القياس حكم الجواهر الروحانية التي لا توصف بالمكان ولا بالمحل ولكن بالرتبة كما بينا فى رسالة المبادي العقلية

وأما متى هو فسؤال يبحث عن زمان كون الشيء والازمان ثلاثة ماض مثل أمس ومستقبل مثل غد وحاضر مثل اليوم وهكذا حكم السنين والشهور والساعات وقد بينا ماهية الزمان واختلاف أقاويل العلماء في ماهيته فى رسالة الهيولى . واما لم هو فسؤال يبحث عن علة الشيء المعلول

واعلم يا أخي بأن لكل معلول صناعي أربع علل احداها علة هيولانية والثانية علة صورية والثالثة علة فاعلية والرابعة علة تمامية مثال ذلك الكرسي والباب والسرير فان العلة الهيولانية فيها الخشب والعلة الصورية الشكل والتربيع والعلة الفاعلية النجار والعلة التمامية للكرسي القعود عليه وللسرير النوم عليه وللباب ليغلق على الدار . وعلى هذا القياس كل معلول لا بد له من هذه الاربع العلل فاذا سئلت عن علة شيء فاعرف أولا عن أيها تسأل حتى يكون الجواب بحسب ذلك

وأما من هو فسؤال يبحث عن التعريف للشيء ويقول علماء النحو ان هذا السؤال لا يتوجه الا الى كل ذي عقل ويقول قوم آخرون الى كل ذي علم وتمييز

والجواب فيه أن يعرف السؤال بأحد ثلاثة أشياء اما ان ينسب الى بلده أو الى أصله أو الى صناعته مثال ذلك اذا قيل من زيد فيقال البصري ينسب الى بلده والهاشمي الى أصله والنجار الى صناعته

فهذه جملة مختصرة فى كمية السؤالات وأجوبتها ومباحث العلوم والنظر فى حقائق الاشياء شبه المدخل والمقدمات ليقرب من فهم المتعلمين النظر فى المنطق الفلسفي وليوقفوا عليها قبل النظر فى ايساغوجي الذي هو المدخل الى المنطق الفلسفى

﴿ فصل فى أجناس العلوم ﴾

واذ قد فرغنا من ذكر ماهية العلوم وأنواع السؤالات وما يقتضى كل واحد من الاجوبة فنريد أن نذكر أجناس العلوم وأنواع تلك الاجناس ليكون دليلا لطالبي العلم الى أغراضهم وليهتدوا الى مطلوباتهم لان رغبة النفوس فى العلوم المختلفة وفنون الآداب كشهوات الاجسام للأطعمة المختلفة الطعم واللون والرائحة

فاعلم يا أخي بأن العلوم التى يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس فمنها الرياضية ، ومنها الشرعية الوضعية ، ومنها الفلسفية الحقيقية . فالرياضية هي علم الآداب التى وضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهي تسعة أنواع أولها علم الكتابة والقراءة ومنها علم اللغة والنحو ومنها علم الحساب والمعاملات ومنها علم الشعر والعروض ومنها علم الزجر والفال وما يشاكله ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما شاكلها ومنها علم الحرف والصنائع ومنها علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل ومنها علم السير والاخبار

فأما انواع العلوم الشرعية التى وضعت لطب النفوس وطلب الآخرة فهي ستة انواع: اولها علم التنزيل ، وثانيها علم التأويل ، والثالث علم الروايات والاخبار ، والرابع علم الفقه والسنن والاحكام ، والخامس علم التذكار والمواعظ والزهد والتصوف ، والسادس علم تأويل المنامات . فعلماء التنزيل هم القراء

والحفظة ، وعلماء التأويل هم الائمه وخلفاء الانبياء ،وعلماء الروايات هم أصحاب الحديث ، وعلماء الاحكام والسنن هم الفقهاء ، وعلماء التذكار والمواعظ هم العباد والزهاد والرهبان ومن شاكلهم ، وعلماء تأويل المنامات هم المعبرون

واما العلوم الفلسفية فهى اربعة انواع منها الرياضيات ومنها المنطقيات ومنها الطبيعيات ومنها الالهيات .فالرياضيات أربعة أنواع أولها الارثماطيقي وهو معرفة ماهية العدد وكمية انواعه وخواص تلك الانواع وكيفية نشوئها من الواحد الذي قبل الاثنين وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض والثانى الجومطريا وهو الهندسة وهي معرفة ماهية المقادير ذوات الابعاد وكمية انواعها وخواص تلك الانواع وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض وكيفية مبدئها من النقطة التى هي رأس الخط وهي فى صناعة الهندسة كالواحد فى صناعة العدد ، والثالث الاسطرنوميا وهي النجوم وهي معرفة كمية الافلاك والكواكب والبروج وكمية ابعادها ومقادير أجرامها وكيفية تركيبها وسرعة حركاتها وكيفية دورانها وماهية طبائعها وكيفية دلائلها على الكائنات قبل كونها ، والرابع الموسيقى الذي هو علم التأليف وهو معرفة ماهية النسب وكيفية تأليف الأشياء المختلفة الجواهر المتباينة الصور المتضادة القوى المتنافرة الطبائع كيف تجمع ويؤلف بينها كيما لا تتنافر وتأتلف وتتحد وتصير شيئاً واحداً وتفعل فعلا واحداً أو عدة أفعال وقد عملنا فى كل صناعة من هذه الصناعات رسالة شبه المدخل والمقدمات

والعلوم المنطقيات خمسة أنواع أولها انولوطيقيا وهي معرفة صناعة الشعر والثانى ريطوريقيا وهي معرفة صناعة الخطب والثالث طوسيقا وهي معرفة صناعة الجدل والرابع يولوطيقا وهي معرفة صناعة البرهان والخامس سوفسطيقا وهي معرفة صناعة المغالطين في المناظرة والجدل وقد تكلم الحكماء الاولون والمتأخرون في هذه الصنائع والعلوم وصنفوا فيها كتباً كثيرة وهي موجودة

في أيدي الناس وقد عمل ارسطاطاليس ثلاثة كتب أخر وجعلها مقدمات لكتاب البرهان أولها قاطيغورياس والثاني باريمنياس والثالث انولوطيقيا الاولى وانما جعل عنايته أكثرها بكتاب البرهان لأن البرهان ميزان الحكماء يعرفون به الصدق من الكذب في الاقوال والصواب من الخطأ في الآراء والحق من الباطل في الاعتقادات والخير من الشر في الافعال كما يعرف جمهور الناس بالموازين والمكاييل والاذرع تقدير الاشياء الموزونة والمكيلة والمذروعة اذا اختلفوا في حزرها وتخمينها فهكذا العلماء العارفون بصناعة البرهان يعرفون بها حقائق الاشياء اذا اختلف فيها حزر العقول وتخمين الرأي كما يعرف الشعراء العروضيون استواء القوافي وانزحافها اذا اختلف فيه بصناعة العروض الذي هو ميزان الشعر وقد عمل فرفوريوس الصوري كتاباً وسماه ايساغوجي وهو المدخل الى صناعة المنطق الفلسفي ولكن من أجل انهم طولوا الخطب فيها ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن عارفاً بها وبمعانيها انغلق على الناظرين فى هذه الكتب فهم معانيها وعسر على المتعلمين أخذها وقد عملنا فى كل واحدة من هذه الصنائع رسالة ذكرنا فيها نكت مايحتاج اليه وتركنا التطويل

لكن نريد أن نذكر غرض ما فى كل رسالة منها هاهنا ليكون من ينظر فيها قد عرف غرض كل صناعة من هذه قبل النظر فيها فنقول : أما غرض ما في ايساغوجي فهو معرفة معاني الستة الالفاظ التى تستعملها الفلاسفة في أقاويلها وهو قولهم الشخص والنوع والجنس والفصل والخاصة والعرض وماهية كل واحد منها وكيفية اشتراكاتها وماهية رسومها التى تميز بعضها من بعض وكيفية دلالاتها على المعاني التى فى أفكار النفوس. وأما غرض قاطيغورياس فهو معرفة معانى العشرة ألفاظ التى كل واحدة يقال لها جنس الاجناس وان واحداً منها جوهر وتسعة أعراض، وماهية كل واحد منها وكمية أنواعها ورسم كل واحد منها المميز لها بعضها من بعض وكيفية دلالتها على جميع المعانى التى في أفكار النفوس . وأما

غرض مافي بارمينياس فهو معرفة تلك العشرة الالفاظ التي هي في قاطيغورياس وماتدل عليه من المعاني عند التركيب حتى تصير كلمات وقضايا ويكون منها الصدق والكذب وأما غرض ما في انولوطيقا الاولى فهو معرفة كيفية تركيب تلك الالفاظ مرة أخرى حتى يكون منها مقدمات وكمية أنواعها وكيف تستعمل حتى يكون منها شيء محسوس واقتران القضايا ونتائجها . واما غرض ما في انولوطيقا الثانية فهو معرفة كيفية استعمال القياس الحق والبرهان الصحيح الذي لاخطأ فيه ولا زلل

واما العلوم الطبيعية فهي سبعة أنواع : أولها علم المبادىء الجسمانية وهي معرفة خمسة أشياء الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة وما يعرض فيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض ، والثاني علم السماء والعالم وهو معرفة جواهر الافلاك والكواكب وكميتها وكيفية تركيبها وعلة دورانها وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الاركان الاربعة التي هي دون فلك القمر أم لا وما علة حركات الكواكب واختلافها في السرعة والابطاء وما علة حركة الافلاك وما علة سكون الارض في وسط الفلك في المركز وهل خارج العالم جسم آخر أم لا وهل في العالم موضع فارغ لاشيء فيه وما شاكل ذلك من المباحث

والثالث علم الكون والفساد وهو معرفة ماهية جواهر الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وكيف يستحيل بعضها الى بعض بتأثيرات الاشخاص العالية ويكون منها الحوادث والكائنات من المعادن والنبات والحيوان وكيف تستحيل اليها راجعة عند الفساد

والرابع علم حوادث الجو وهو معرفة كيفية تغييرات الهواء بتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطارح شعاعاتها على هذه الاركان واتصالاتها منها وخاصة الهواء فانه كثير التلون والتغير من النور والظلمة والحر والبرد وتصاريف الرياح والضباب والغيوم والامطار والثلوج والبرد والبروق والرعود والشهب والصواعق

وكواكب الاذناب وقوس قزح والزوابع والهالات وماشا كلها مما يحدث فوق رؤسنا من التغييرات والحوادث

والخامس علم المعادن ، وهو معرفة الجواهر المعدنية التي تنعقد من البخارات المحتقنة في باطن الارض والعصارات المنعقدة في الاهوية وكهوف الجبال وقعور البحار من العقاقير والجواهر من الكباريت والزوابيق والشبوب والاملاح والنوشاذر والذهب والفضة والنحاس والحديدوالرصاص والاسرب والكحل والزرنيخ والبلوروالياقوت والبازهرات وماشا كلها ومعرفة خواصها ومنافعها ومضارها

والسادس علم النبات وهو معرفة كل نبت يغرس أو يبذر اوينبت على وجه الارض أو في رؤس الجبال أو قعر المياه أو شطوط الانهار من الاشجار والزروع والبقول والحشائش والعشب والكلاء ومعرفة كمية أنواعها وخواص تلك الانواع ومواضع منابتها من البقاع وكيفية امتداد عروقها فى الارض وارتفاع فروعها وأصولها فى الهواء وانبساطها على وجه الارض وتفرق فروعها في الجهات وأشكال أغصانها من الطول والقصر والدقة والغلظ والاستقامة والاعوجاج وكيفية أشكال أوراقها من السعة والضيق واللين والخشونة وألوان أزهارها وأصباغ أنوارها وكيفية صور ثمارها وحبوبها وبذورها وصموغها وطعومها وروائحها وخواصها ومنافعها ومضارها واحداً واحداً

والسابع علم الحيوان وهو معرفة كل جسم يغتذي وينمي ويحس ويتحرك مما يمشي على وجه الارض أو يطير في الهواء أو يسبح فى الماء أو يدب فى التراب أو يتحرك فى جوف جسم آخر كالديدان فى جوف الحيوان وفى لب النبات والثمر والحبوب وماشا كلها ومعرفة كمية أجناسها وأنواع الاجناس وخواص تلك الانواع ومعرفة كيفية تكونها فى الارحام أو فى البيض أو فى العفونات ومعرفة كيفية تأليف أعضائها وتركيب أجسادها واختلاف صورها وائتلاف أزواجها

وفنون أصواتها ومنافرة طباعها وتباين أخلاقها وتشاكل أفعالها ومعرفة أوقات هيجانها وسفادها واتخاذ أعشاشها ورفقها بتربية أولادها وتحننها على صغار نتاجها ومعرفتها بمنافعها ومضارها وأوطانها وأربابها وأعدائها ومعارفها وماشاكل ذلك

فالنظر في هذه كلها والبحث عنها ينسب الى العلوم الطبيعيات وكذلك علم الطب والبيطرة وسياسه الدواب والسباع والطيور والحرث والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في الطبيعيات

﴿ فصل في العلوم الالهية ﴾

والعلوم الالهية خمسة أنواع : أولها معرفة الباري جل جلاله وعم نواله وصفة وحدانيته وكيف هو علة الموجودات وخالق المخلوقات وفائض الجود ومعطي الوجود ومعدن الفضائل والخيرات وحافظ النظام ومبقي الدوام ومدبر الكل وعالم الغيب والشهادة لايعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وأول كل شيء ابتداء وآخر كل شيء انتهاء وظاهر كل شيء قدرة وباطن كل شيء علماً وهو السميع العليم اللطيف الخبير الرؤوف بالعباد عز شأنه وجلت قدرته وتعالى جده وجل ثناؤه ولا إله غيره تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

والثاني علم الروحانيات وهو معرفة الجواهر البسيطة العقلية العلامة الفعالة التي هي ملائكة الله وخالص عباده وهي الصور المجردة من الهيولى المستعملة للأجسام المدبرة بها لها ومنها أفعالها ومعرفة كيفية ارتباط بعضها ببعض وفيض بعضها على بعض وهي أفلاك روحانية محيطات بالافلاك الجسمانية

والثالث علم النفسانيات وهي معرفة النفوس والارواح السارية في الاجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض ومعرفة كيفية ادارتها للافلاك وتحريكها للكواكب وتربيتها للحيوان والنبات وحلولها في جثث الحيوانات وكيفية انبعاثها بعد الممات

الرابع علم السياسة وهي خمسة أنواع : اولها السياسة النبوية ، والثاني

السياسة الملوكية ، والثالث السياسة العامية ، والرابع السياسة الخاصية ، والخامس السياسة الذاتية

فأما السياسة النبوية فهي معرفة كيفية وضع النواميس المرضية والسنن الزكية بالأقاويل الفصيحة ومداواة النفوس المريضة من الديانات الفاسدة والآراء السخيفة والعادات الردية والافعال الجائرة ومعرفة كيفية نقلها من تلك الاديان والعادات ومحو تلك الآراء عن ضمائرها بذكر عيوبها ونشر تزييفها ومداواتها من سقام تلك الآراء وتلك العادات بالحمية لها من العود اليها وشفائها بالرأي المرضي والعادات الجميلة والاعمال الزكية والاخلاق المحمودة بالمدح لها والترغيب في جزيل الثواب يوم المآب وكيفية سياسة النفوس الشريرة بصدودها عن قصد سبيل الرشاد وسلوكها في وعور طرق الغي والتمادي بالقمع لها والزجر والوعيد والتوبيخ والتهديد لترجع الى سبل النجاة وترغب في جزيل الثواب ومعرفة كيفية تنبيه الانفس اللاهية والارواح الساهية من طول الرقاد ونسيانها ذكر المعاد والاذكار لها عهد يوم الميثاق لئلا يقولوا ماجاءنا من رسول ولا كتاب . وهذه السياسة تختص بها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم

وأما السياسة الملوكية فهي معرفة حفظ الشريعة على الامة واحياء السنة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقامة الحدود وانفاذ الاحكام التي رسمها صاحب الشريعة ورد المظالم وقمع الاعداء وكف الاشرار ونصرة الاخيار وهذه السياسة يختص بها خلفاء الانبياء صلوات الله عليهم والائمة المهديون الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون

وأما السياسة العامية التي هي الرياسة على الجماعات كرياسة الامراء على البلدان والمدن ورياسة الدهاقين على أهل القرى ورياسة قادة الجيوش على العساكر وماشاكلها فهي معرفة طبقات المرؤسين وحالاتهم وأنسابهم وصنائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم وترتيب مراتبهم ومراعاة أمورهم وتفقد أسبابهم وتأليف شملهم

والتناصف بينهم وجمع شتاتهم واستخدامهم في ما يصلحون له من الامور واستعمالهم في ما يشا كلهم من صنائعهم وأعمالهم اللائقة بواحد واحد منهم

وأما السياسة الخاصية فهي معرفة كل انسان كيفية تدبير منزله وأمر معيشته ومراعاة أمر خدمه وغلمانه وأولاده ومماليكه وأقربائه وعشرته مع جيرانه وصحبته مع اخوانه وقضاء حقوقهم وتفقد أسبابهم والنظر فى مصالحهم من أمور دنياهم وآخرتهم

وأما السياسة الذاتية فهي معرفة كل انسان نفسه وأخلاقه وتفقد أفعاله وأقاويله فى حال شهواته وغضبه ورضاه والنظر في جميع أموره

والخامس علم المعاد وهو معرفة ماهية النشأة الأخرى وكيفية انبعاث الارواح من ظلمة الأجساد وانتباه النفوس من طول الرقاد وحشرها يوم المعاد وقيامها على الصراط المستقيم وحشرها لحساب يوم الدين ومعرفة كيفية جزاء المحسنين وعقاب المسيئين

وقد عملنا فى كل فصل من هذه العلوم التى تقدم ذكرها رسالة وذكرنا فيها طرفاً من تلك المعاني وأتممناها بالجامعة ليكون تنبيهاً للغافلين وارشاداً للمريدين وترغيباً للطالبين ومسلكاً للمتعلمين . فكن به يا أخي سعيداً واعرض هذه الرسالة على اخوانك وأصدقائك ورغبهم فى العلم وزهدهم فى الدنيا ودلهم على طريق الآخرة فانك بذلك تنال الزلفى من الله تعالى وتستوجب رضوانه وتفوز بسعادة الآخرة وتبلغ به المرتبة العليا كما دل عليه قول النبي عليه السلام الدال على الخير كفاعله.

واعلم يا أخي بأن هذه الطريقة هي التى سلكها الانبياء صلوات الله عليهم واتبعهم عليها الاخيار الفضلاء من العلماء والحكماء فاجتهد لعلك تحشر فى زمرتهم كما وعد الله تعالى فقال « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله » « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » وفقك الله وإيانا أيها الأخ للسداد وهدانا وإياك سبيل الرشاد

الرسالة الثامنة

من القسم الرياضي

في الصنائع العملية والغرض منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، «الله خير أما يشركون».

وإذ قد فرغنا من ذكر الجواهر الجسمانية ووصفنا هيولاتها وصورها وتركيبها ومايعرض للمركب من الأعراض وبينا أيضاً كيفية إدراكها بطريق الحواس بتوسط أعراضها في رسائلنا «الطبيعيات» نريد أن نذكر في العقليات الجواهر الروحانية لأنه لما كانت الموجودات كلها معقولة أو محسوسة جواهر أو أعراضاً أو مجموعاً منهما صوراً أو هيولى أو مركباً منهما جسمانياً أو روحانياً أو مقروناً بينهما وكانت الجواهر الجسمانية منفعلة كلها مدركة بطريق الحواس والجواهر الروحانية فاعلة ولاتدرك بطريق الحواس ولاتعرف إلا بالعقل وبما يصدر عنها من الافعال العقلية والصنائع العملية بعدالعلمية في الجواهرالجسمانية احتجنا أن نذكر الصنائع العملية في الهيوليات وماهياتها وكمياتها وكيفياتها وكيفية اظهار صناعتها في الهيوليات الموضوعة لها ليكون أوضح في الدليل على اثبات الذوات الروحانية الفاعلة وأبين لمعرفة جواهرها وفنون حركاتها وعجائب قوتها وغرائب علومها وبدائع صنائعها واختلاف أفعالها

فاعلم أيها الأخ البار الرحيم، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الصنائع البشرية نوعان علمية وعملية وتقدم القول في العلمية فيما تقدم فنقول : أولا ما العلوم ؟ العلوم هي صور المعلومات في نفس العالم

واعلم يا أخي بأن العلم لايكون إلا بعد التعليم والتعلم ، والتعليم هو تنبيه النفس العلامة بالفعل للنفس العلامة بالقوة ، والتعلم هو تصور النفس لصورة المعلوم.

واعلم يا أخي بأن النفس انما تنال صور المعلومات من طرقات ثلاث إحداها طريق الحواس والاخرى طريق البرهان والاخيرة طريق الفكر والروية . وقد عملنا في كل واحدة منها رسالة فنريد أن نذكر الآن الصنائع العملية فنقول :

ان الصنعة العملية هي إخراج الصانع العالم الصورة التى في فكره ووضعها في الهيولى والمصنوع هو جملة مصنوعة من الهيولى والصورة جميعاً وابتداء ذلك من تأثير النفس الكلية فيها بقوة تأييد العقل الكلي بأمر الله جل ثناؤه

واعلم بأن المصنوعات أربعة أجناس : بشرية وطبيعية ونفسانية وإلهية . فالبشرية مثل مايعمل الصناع من الاشكال والنقوش والأصباغ في الأجسام الطبيعية في اسواق المدن وغيرها من المواضع . والمصنوعات الطبيعية هي صور هياكل الحيوانات وفنون أشكال النبات وألوان جواهر المعادن . والمصنوعات النفسانية مثل نظام مراكز الأركان الأربعة التى هي تحت فلك القمر وهي النار والهواء والماء والأرض ومثل تركيب الافلاك ونظام صورة العالم بالجملة . والمصنوعات الالهية هي الصور المجردة من الهيوليات المخترعات من مبدع المبدعات تعالى وجوداً من العدم ليس من ليس وشيء لامن شيء دفعة واحدة بلا زمان ولامكان ولاهيولى ولاصورة ولاحركة لأنها كلها مبدعات الباري ومخترعاته ومصنوعاته فتبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين

واعلم يا أخي بأن كل صانع من البشر محتاج في تتميم صنعته الى ستة أشياء مختلفة وهو السابع، والى سبع حركات والى سبع جهات. فأما الأشياء المختلفة فهي الهيولى والمكان والزمان والأداة والآلة والحركة والسابع النفس . وكل صانع طبيعي فحتاج الى أربعة منها وهي الهيولى والمكان والزمان والحركة وكل صانع نفساني فحتاج الى اثنين منها وهي الهيولى والحركة حسب وكل صانع عقلي فحتاج

الى صورة واحدة فقط وهو العقل الأول أثر من مبدع البدائع الحق لامن شيء الى شيء . وأما الباري جل ثناؤه فغير محتاج الى شيء منها لانها كلها مخترعاته ومبتدعاته أعني الهيولى والصورة والمكان والزمان والحركة والآلة والأدوات كلها

فصل في الصورة والهيولى والاداة

واعلم يا أخي ان الجسم الواحد يسمى تارة هيولى وتارة موضوعاً وتارة صورة وتارة مصنوعاً وتارة آلة وتارة أداة وانما يسمى الجسم هيولى للصورة التي يقبلها وهي الاشكال والنقوش والأصباغ وماشا كلها ويسمى موضوعاً للصانع الذي يعمل منه وفيه صنعته من الأشكال والنقوش واذا قبل ذلك سمي مصنوعاً واذا استعمله الصانع في صنعته أو في صنعة أخرى يسمى أداة . مثال ذلك قطعة حديد فانه يقال لها هيولى لكل صورة تقبلها ويقال لها أيضاً انها موضوع للحداد الذي يعمل فيها صنعته واذا صنع الحداد منه سكيناً أوفأساً أو منشاراً أو مبرداً أو غير ذلك سمي مصنوعاً واذا استعمل السكين القصاب أو غيره تسمى أداة وهكذا الفأس وغيرها

واعلم يا أخي ان موضوعات الصناع البشريين في صناعتهم نوعان فقط بسيط ومركب فالبسيط اربعة انواع وهي النار والهواء والماء والارض والمركب ثلاثة أنواع وهي الاجسام المعدنية والاجسام النباتية والاجسام الحيوانية وهي كلها مصنوعات الطبيعة كما ان موضوعات الطبيعة كلها مصنوعات نفسانية وان الموضوعات النفسانية كلها مصنوعات الهية

واعلم ان كل صانع من البشر لا بد له من اداة أو أدوات أو آلة أو آلات يستعملها في صنعته والفرق بين الآلة والاداة ان الآلة هي اليد والاصابع والرجل والرأس والعين وبالجملة أعضاء الجسد وان الاداة ما كانت خارجة من ذات الصانع كفأس النجار ومطرقة الحداد وابرة الخياط وقلم الكاتب وشفرة الاسكاف

وموسى المزين وما شاكل هذه من الادوات التى يستعملها الصناع في صنائعهم ولا تتم صناعتهم الا بها

واعلم بان كل صانع له فى صنعته أدوات مختلفة الاشكال والهيآت وهذا أحد اسبابه فى اختلاف افعاله وهو يظهر بكل واحد منها فى صنعته ضروبا من الحركات وفنوناً من الافعال، مثال ذلك النجار فانه بالفأس ينحت وحركته من فوق الى اسفل وبالمنشار ينشر وحركته من قدام الى خلف وبالمثقب يثقب وحركته قوسية يمنة ويسرة وحركة مثقبه دورية ، وعلى هذا القياس يوجد في كل صنعة لصانعها سبع حركات واحدة دورية وست مستقيمة وذلك بواجب الحكمة الالهية لانه لما كانت حركات الاجرام العلوية الفلكية سبعة انواع واحدة دورية بالقصد الاول وست عرضية كما بينا في رسالة «السماء والعالم» صارت حركات الاشخاص التى تحت فلك القمر أيضاً مماثلة لها لان تلك علل وهذه معلولات ومن شأن المعلولات ان يوجد فيها عللها وتأثيراتها ومن أجل هذا قالت الحكماء ان الثواني من الامور تحكى أوائلها كما يحكي الصبيان في لعبهم صناعة الآباء والامهات والاستاذين

وأعلم ياأخى بانه لابد لكل صانع من البشر من تحريك عضو من اعضائه فى صناعته أو عدة أعضاء كاليد والرجل والظهر والكتف والركبة وبالجملة مامن عضو فى الجسد الا وللنفس بذلك العضو فعل أو عدة أفعال خلاف مايكون بعضو آخر فان أعضاء الجسد هى آلات النفس وأدوات لها وقد بينا طرفاً من ذلك في رسالة تركيب الجسد وفي رسالة الحاس المحسوس وفي رسالة العقل والمعقول وفي رسالة الانسان عالم صغير

فصل في أن موضوع الصناع نوعان

واعلم ياأخي بانه لابد في كل صنعة من موضوع يعمل الصانع منه وفيه صنعته فالموضوع فى صناعة البشريين نوعان روحانى وجسماني فالروحاني هو الموضوع

فى الصناعة العلمية كما بينا فى رسالة المنطق، والجسمانى هو الموضوع فى الصناعة العملية ، وهو نوعان بسيطة ومركبة فالبسيطة هى النار والهواء والماء والارض والمركبة ثلاثة انواع وهي الاجسام المعدنية والاجسام النباتية والاجسام الحيوانية.

فمن الصنائع ماهى الموضوع فيها الماء حسب كصناعة الملاحين والسقائين والروائين والشرابين والسباحين ومن شاكلهم ، ومنها ماهي الموضوع فيها التراب حسب كصناعة حفار الابار والانهار والقنى والقبور والمعادن وكل من ينقل التراب ويقلع الحجارة ، ومنها ماهي الموضوع فيها النار حسب كصناعة النفاطين والوقادين والمشعلين ، ومنها ماهي الموضوع فيها الهواء حسب كصناعة الزمارين والبواقين والنفاخين اجمع ، ومنها ماهي الموضوع فيها المـاء والتراب حسب كصناعة الفخارين والغضارين والقدوريين وضرابي اللبن وكل من يبل التراب ، ومنها ماهي الموضوع فيها أحد الاجسام المعدنية كصناعة الحدادين والصفارين والرصاصين والزجاجين والصواغين ومن شاكلهم ، ومنها ماهي الموضوع فيهـا أصول النبات من الاشجار والقضبان والاوراق كصناعة النجارين والخواصين والبوادين والحصريين والاقفاصيين ومن شاكلهم ،ومنهاماهى الموضوع فيها لحاء النبات حسب كصناعة الـكتانين ومن يعمل القنب والـكاغد ومن شاكلهم،ومنها ماهي الموضوع فيها ورق الاشجار والحشائش وزهر النبات ونورها وعروقها وقشورها ، ومنها ماهي الموضوغ فيها ثمر الاشجار وحب النبات كصناعة الدقاقين والرزازين والنوائيين والعصارين والبزارين والشيرجيين وكل من يخرج الادهان من ثمر الشجر وحب النبات .

ومنها ماهي الموضوع فيها الحيوان كصناعة الصيادين ورعاة الغنم والبقر وساسة الدواب والبياطرة واصحاب الطيور ومن شاكلهم، ومنهاماهي الموضوع فيها أحد الاجسام الحيوانيــة من اللحم والعظم والجلد والشعر والصوف والقز كصناعة القصابين والشوائين والطباخين والدباغين والاساكفة والخرازين

والسيوريين والدنانين والحذائين ومن شا كلهم ، ومن الصنائع ماهي الموضوع فيها مقادير الاجسام كصناعة الوزانين والكيالين والذراعين ومن شا كلهم ، ومن الصنائع ماهي الموضوع فيها قيمة الاشياء كصناعة الصيارفة والدلالين والمقومين ومن شا كلهم ، ومن الصنائع ماهي الموضوع فيها اجساد الناس كصناعة الطب والمزينين ومن شا كلهم ، ومن الصنائع ماهي الموضوع فيها نفوس الناس كصناعة المعلمين اجمع وهي نوعان عملية وعلمية فالعلمية مثل ماذكرنا في رسالة اجناس العلوم وانواعها بما قد شرحناه في احدى وخمسين رسالة من رسائلنا والعملية مثل ما ذكرنا في ما تقدم .

﴿ فصل في الحاجة الى الآلات والادوات ﴾

واعلم يا أخي أن من الصناع ما يحتاج في صنعته الى استعمال عضو من جسده أو عضوين واداة من خارج أو أدوات كثيرة كالحراث والبناء والدباغ والحائك وأمثالهم فان كل واحد منهم يحتاج الى ادوات من خارج وتحريك يديه ورجليه في صناعته ومن الصنائع ما لا يحتاج فيها الى أدوات من خارج بل يكفيه عضو من جسده كالخطيب والشاعر والقاضي والقاريء ومن شا كلهم فان كل واحد منهم يكفيه لسانه حسب وكذلك الناطور والديدبان واصحاب المراتب يكفيهم في صناعتهم العينان حسب ومنهم من يستعمل في صنعته عضوين كالحاكي والنائحة باليد واللسان ومنهم من يحتاج الى استعمال جسده كله كالرقاص والسابح ، ومن الصناع من يحتاج في صنعته الى المشي كالساعي والماسح ، ومنهم من يحتاج الى القعود دائماً كالرفاء والنداف ومن الصناع من لا يحتاج في صناعته الا الى اداة واحدة كالبواق والزمار والدفاف ومنهم من يحتاج الى اداتين كالخياط والكاتب فان الخياط يكفيه في صنعته الابرة والمقص والكاتب يكفيه القلم والدواة واما استعمال الكاتب السكين فليس من صناعة الكتابة ولكن من صناعة النجارة ومن الصناع من يحتاج الى القيام دائماً في صناعته كالحلاج ودقاق الارز والذي يدير الدولاب برجليه

﴿ فصل فى ان النار من الادوات المفيدة فى الصناعة ﴾

واعلم يا أخي بأن أكثر الصنائع لا بد من استعمال النار فيها ، وكل صانع استعمل النار في صناعته فلأحد أسباب ثلاثة اما في موضوعه كالحدادين والصفارين والزجاجين ومن يطبخ الجص والنورة وأمثالهم وغرضهم هو تليين الهيولى لقبول الصورة والأشكال وذلك انه لما كانت موضوعاتهم أحجاراً صلبة لا تقبل الصورة والاشكال الا بعد تليين بالنار فاذا لانت أمكن الصانع أن يصنع الصنعة التي في فكره فتصير الهيولى بعد قبولها تلك الصورة مصنوعة ، ومن الصناع من يستعمل النار كالجرارين والقدوريين والغضارين ومن يطبخ الآجر وغرضهم في ذلك تقييد الصورة في الهيولى وثباتها فيها لئلا تنسل منها الصورة بالعجلة لان من شأن الهيولى دفع الصورة عن ذاتها ورجوعها الى حالها الاول جوهراً بسيطاً لا تركيب فيه ولا كمية ولا كيفية .ومن الصناع من يستعمل النار في موضوعه ومصنوعه كالطباخين والشوائين والخبازين وأمثالهم ، وغرضهم تتميمها وتنضيجها ليتم الانتفاع بها

﴿ فصل فى مراتب الصناعات ﴾

واعلم يا أخي بأن من هذه الصنائع ما هي بالقصد الاول دعت الضرورة اليها ومنها ما هي تابعة لها وخادمة ومنها ما هي متممة لها ومكملة ومن الصنائع ما هي جمال وزينة، فأما التي بالقصد الاول فثلاثة وهي الحراثة والحياكة والبناء وأما سائرها فتابعة وخادمة ومتممة وذلك أن الانسان لما خلق رقيق الجلد عرياناً من الشعر والصوف والوبر والصدف والريش وما هو موجود لسائر الحيوان دعته الضرورة الى اتخاذ اللباس بصناعة الحياكة ولما كانت الحياكة لا تتم الا بصناعة الغزل وصناعة الغزل لا تتم الا بصناعة الحلج فصارت هذه الثلاثة تابعة لها وخادمة وأيضا لما كان اللباس لا يتم الا بالحياكة حسب صارت صناعة

الخياطة والقصارة والرفو والطرز متممة لها ومكملة، وأيضاً لما خلق الانسان محتاجاً الى القوت والغذاء والقوت والغذاء لا يكونان الا من حب النبات وثمر الشجر دعت الضرورة الى صناعة الحراثة والغرس ولما كانت صناعة الحراثة والغرس محتاجة الى اثارة الارض وحفر الانهار ولا يتم هذا الا بالمساحي والفدن وما شاكلها والمساحي والفدن لا تكون الا بصناعة النجارة والحدادة دعت الضرورة الى اتخاذها وصناعة الحديد محتاجة الى صناعة المعدن والى صنائع أخرى فصارت كلها تابعة وخادمة لصناعة الحراثة والغرس

ولما كان حب الزرع وثمر الشجر يحتاج الى الدق والطحن دعت الضرورة الى اتخاذ صناعة الطحن والعصر ولما كان الطحن لا يتم الغذاء به الا بعد الخبز دعت الضرورة الى صناعة الخبز والطبخ وكل واحد منهما محتاج الى صناعة أخرى متممة لها وخادمة. وأيضاً لما كان الانسان محتاجاً الى ما يكنه من الحر والبرد والتحرز من السباع وتحصين القوت دعته الضرورة الى صناعة البناء وصناعة البناء محتاجة ايضاً الى صناعة النجارة والحدادة وكل واحدة منهما محتاجة الى صناعة أخرى معينة أو متممة بعضها لبعض. واما صناعة الزينة والجمال فهي كصناعة الديباج والحرير وصناعة العطر وما شاكلها. والصنائع كلها الحذق فيها هو تحصيل الصور في الهيولى وتتميمها وتكميلها لينال الانتفاع بها في الحياة الدنيا حسب

واعلم يا أخي أن الناس كلهم صناع ، وتجار أغنياء وفقراء ، فالصناع هم الذين يعملون بأبدانهم وأدواتهم في مصنوعاتهم الصور والنقوش والاصباغ والاشكال وغرضهم طلب العوض عن مصنوعاتهم لصلاح معيشة الحياة الدنيا والتجار هم الذين يتبايعون بالأخذ والاعطاء وغرضهم طلب الزيادة فيما يأخذونه على ما يعطون ، والاغنياء هم الذين يتملكون هذه الاجسام المصنوعة الطبيعية والصناعية وغرضهم في جمعها وحفظها مخافة الفقر . والفقراء هم المحتاجون اليها وطلبهم الغنى .

واعلم أن الغرض فى كون الناس أكثرهم فقراء وخوف الاغنياء من الفقر هو الحث لهم على الاجتهاد في اتخاذ الصنائع والثبوت فيها والتجارات والغرض فيهما جميعاً هو اصلاح الحاجات وايصالها الى المحتاجين والغرض في ذلك متاع لهم الى حين والغرض فى تمتعهم الى حين هو أن تتمم النفس بالمعارف الحقيقية والاخلاق الجميلة والآراء الصحيحة والاعمال الزكية ، والغرض في تتميم النفس التمكين لها من الصعود الى ملكوت السماء والغرض فى صعودها الى ملكوت السماء هو النجاة من بحر الهيولى واسر الطبيعة والخروج من هاوية عالم الكون والفساد الى فسحة عالم الارواح والمكث هناك فرحاً مسروراً ملتذاً مخلداً أبداً

﴿ فصل في ان كل صناعة تحتاج الى الفكر والتعقل ﴾

واعلم يا أخي انا انما ذكرنا هذه الصنائع والمهن ونسبنا هذه الرسالة الى رسائل العقل والمعقول لأن هذه الصنائع يعملها الانسان بعقله وتمييزه ورويته وفكرته التى كلها قوى روحانية عقلية وايضا أن كل عاقل اذا فكر فى هذه الصنائع والافعال التى تظهر على أيدي البشر فيعلم أن مع هذا الجسد جوهراً آخر هو مظهر هذه الافعال المحكمة وهذه الصنائع المتقنة من هذا الجسد ، لان الجسد قد يوجد بعد الممات برمته تاما لم ينقص منه شيء وقد فقدت منه هذه كلها فيعلم أن معه جوهراً آخر فارقه فمن أجل ذلك فقدت هذه الفضائل كلها لانه هو الذي كان يحرك هذا الجسد وينقله من موضع الى موضع فى الجهات الست وكان يحرك أيضا بتوسطه أشياء خارجة من ذاته وكان أيضاً يحمل معه حملا على ظهره وكتفه فلما فارقه احتاج هذا الجسد الى اربعة نفر يحملونه على لوح مطروحا عليه لا يطيق قياماً ولا قعوداً ولا حركة ولا يحس بوجوده ولا ما يفعل به من غسل ودفن، وقد زعم كثير من أهل العلم ممن ليست له خبرة بأمر النفس ولا معرفة بجوهرها ان هذه الصنائع المحكمة والافعال المتقنة التى تظهر على أيدي البشر الفاعل لها هو هذا الجسد المؤلف من اللحم والدم والشحم والعظام

والعصب بأعراض تحله مثل الحياة والقدرة والعلم وما شاكلها ولم يعرفوا بأن هذه الاعراض ليس حلولها فى الجسم وانما هي اعراض نفسانية تحل جوهر النفس وذلك أن الانسان لما كان مجموعا من جسم ميت ونفس حية وجدت هذه الاعراض فى حال حياته وفقدت فى حال مماته وليست الحياة شيئا سوى استعمال النفس الجسد ولا الممات شيئا سوى تركها استعماله كما انه ليست اليقظة سوى استعمالها الحواس الخمس ولا النوم شيئاً سوى تركها استعمالها

﴿ فصل فى شرف الصنائع ﴾

اعلم يا أخي بأن الصنائع يتفاضل بعضها على بعض من عدة وجوه احداها من جهة الهيولى التى هي الموضوع فيها ومنها من جهة مصنوعاتها ومنها من جهة الحاجة الضرورية الداعية الى اتخاذها ومنها من جهة منفعة العموم ومنها من جهة الصناعة نفسها ، فاما التى شرفها من جهة الحاجة الضرورية اليها فهي ثلاثة أجناس وهي الحياكة والحراثة والبناء كما ذكرنا قبل ، وأما التى شرفها من جهة الهيولى الموضوع فيها فمثل صناعة الصاغة والعطارين وما شاكلها واما التى من جهة مصنوعاتها فمثل صناعة الذين يعملون آلات الرصد مثل الاسطرلاب وذوات الحلق والاكر الممثلة بصورة الافلاك وما شاكلها فان قطعة من الصفر قيمتها خمسة دراهم إذا عمل منها اسطرلاب يساوي مائة درهم فان تلك القيمة ليست للهيولى ولكن لتلك الصورة التى جعلت فيها ، وأما الذهب والفضة اللذان هما الهيولى الموضوع فى صناعة الصواغين أو الضرابين اذا ضرب منهما دراهم ودنانير أو صياغة ما فليس مبلغ تفاوت القيمة ما بين الموضوع والمصنوع مثل ما يبلغ في صناعة اسطرلاب وغيرها ، وأما التى شرفها من جهة النفع منها للعموم فهي مثل صناعة الحمامين والسمادين والكناسين وغيرهم وذلك أن الحمام المنفعة منه للصغير والكبير والشريف والوضيع والمدنى والغريب والقريب والبعيد كلهم بالسوية لايتفاضلون فى الانتفاع به

وأما أكثر الصنائع فأهلها متفاوتون في منافعها كاختلافهم فى الملبوسات والمأكولات والمشروبات والمسكونات وأمثالها من الامتعة المصنوعة حال الغنى فيها خلاف حال الفقير الا الحجام والمزين وأمثالهما ، وأما صناعة السمادين والزبالين فان الضرر في تركها عظيم عام على أهل المدينة وذلك أن العطارين الذين الموضوع في صناعتهم مضاد للموضوع فى صناعة السمادين لو أنهم أغلقوا دكاكينهم وأسواقهم شهراً واحداً لم يلحق من ذلك من الضرر لأهل المدينة مثل ما يلحق من الضرر من ترك السمادين صناعتهم أسبوعاً واحداً فان المدينة تمتلىء من السماد والسرقين والجيف والقاذورات ومايتنغص عيش أهلها من أجله

وأما التي شرفها من الصناعة نفسها فهي مثل صناعة المشعبذين والمصورين والموسيقيين وأمثالهم وذلك ان الشعبذة ليست شيئا سوى سرعة الحركة واخفاء الأسباب التي يعملها الصانع فيها حتى انه مع ضحك السفهاء منها يتعجب العقلاء أيضاً من حذق صانعها . وأما صناعة المصورين فليست شيئاً سوى محاكاتهم صور الموجودات المصنوعات الطبيعية أو البشرية أو النفسانية حتى انه يبلغ من حذقهم فيها أن تصرف أبصار الناظرين اليها عن النظر الى الموجودات أنفسها بالتعجب من حسنها ورونق منظرها ويبلغ أيضاً التفاوت بين صناعها تفاوتاً بعيداً فانه يحكى ان رجلا في بعض المواضع عمل صوراً وتماثيل مصورة بأصباغ صافية وألوان حسنة براقة وكان الناظرون اليها يتعجبون من حسنها ورونقها ولكن كان في الصنعة نقص حتى مر بها صانع فاره حاذق فتأملها فاستزرى بها وأخذ فحمة من الطريق ومثل بجانب تلك التصاوير صورة رجل زنجي كأنه يشير بيديه الى الناظرين فانصرفت أبصار الناظرين بعد ذلك عن النظر الى تلك التصاوير والأصباغ بالنظر اليه والتعجب من عجيب صنعته وحسن اشارته وهيئة حركته .

وأما شرف صناعة الموسيقى فمن وجهين اثنين : أحدهما من جهة الصناعة

نفسها والآخر من جهة تأثيراتها في النفوس ، وأيضاً من جهة تفاوت ما بين صناعها ، وذلك ان الواحد منهم يضرب لحناً فيطرب بعض المستمعين وآخر يضرب لحناً فيطرب كل المستمعين . وقد يحكى ان جماعة من أهل هذه الصناعة كانوا مجتمعين فى دعوة رجل كبير رئيس إذ دخل عليهم انسان رث الحال عليه ثياب النساك فرفعه صاحب المجلس عليهم كلهم فتبين الانكار فى وجوههم فأراد أن يبين فضله فسأله أن يسمعهم شيئاً من صنعته فأخرج خشبات وركبها تركيباً ومد عليها أوتاراً كانت معه وحركها تحريكا فأضحك كل من كان فى المجلس من اللذة والفرح ثم قلب وحرك تحريكا آخر فأبكى كل من كان فى المجلس من الحزن ورقة القلب ثم قلب وحرك تحريكا فنوم كل من كان فى المجلس وقام وخرج فلم يعرف له خبر

واعلم يا أخي بأن الحذق فى كل صنعـة هو التشبه بالصانع الحـكيم الذي هو الباري جل ثناؤه ويقال ان الله تعالى يحب الصانع الفاره الحاذق ، وروي عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان الله تعالى يحب الصانع المتقن فى صنعته. ومن أجل هذا قيل فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب طاقة الانسان وانما أردنا بالتشبه التشبه في العلوم والصنائع وإفاضة الخير وذلك ان الباري جل ثناؤه أعلم العلماء وأحكم الحكماء وأصنع الصناع وأفضل الأخيار فكل من زاد في هذه الاشياء درجة ازداد من الله قربه كما ذكر الله سبحانه في وصف الملائكة الذين هم خالص عباده فقال « يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته »

واعلم يا أخي ان الوسيلة لاتكون إلا بعمل أو علم أو عبادة لان العبـاد لايملكون شيئاً سوى سعيهم كما ذكر الله عز وجل فقال « وأن ليس للانسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى »

فصل في قابلية الانسان الصنعة

واعلم ان قبول الصبيان تعلم الصنائع يختلف بحسب طباعهم المختلفة واختلاف

طباعهم بحسب مواليدهم وقد شرحنا ذلك في رسالة تأثيرات النجوم في المواليد ولكن نريد أن نذكر هاهنا من ذلك طرفاً، فاعلم ان من الناس من هو مطبوع على تعلم صناعة واحدة أوعدة صنائع بسهولة في قبولها حتى ان كثيراً من الناس من يتعلم صناعة بجودة قريحته اذا رأى أهل تلك الصناعة في أعمالهم بأدنى تأمل كأنه قد وقف عليها ومنهم من يحتاج الى توقيف شديد وحث دائم وترغيب وربما لايفلح فيها اذا لم يكن فيها موافقاً للطبيعة ومأوجبه له مولده ومن الناس من لايتعلم الصناعة البتة ويكون فارغاً خلواً منها جميعاً والسبب في ذلك ان الصناعة لاتأتي للمولود الا بدلالة كوكب متول لبرج العاشر من طالعه وذلك انه اذا استولى عليه من أحد الكواكب الثلاثة واحد فلابد من صنعة يتعلمها وهي المريخ والزهرة وعطارد ، وذلك ان كل صنعة فلابد لها من حركة ونشاط وحذق . فالحركة للمريخ والنشاط للزهرة والحذق لعطارد

وأربعة منها اذا انفرد أحدها بالدلالة فلايعطي الصنعة ولكن يدل على مايشا كله من الاعمال وهي الشمس وزحل والمشتري والقمر وذلك ان من استولى في مولده على الدرجة العاشرة الشمس فهو لايتعلم الصناعة لكبر نفسه مثل أولاد الملوك ، وأما من استولى عليه المشتري فهو لايتعلم ولا يعمل لزهده وورعه ورضاه بقليل من أمور الدنيا واقباله على طلب الآخرة مثل الانبياء عليهم السلام ومن يقتدي بهم ، وأما من استولى عليه زحل فانه لا يعمل ولا يتعلم لكسله وثقل طبيعته عن الحركة ويرضى بالذل والهوان في طلب معاشه كالمكدين والسؤال ، وأما من استولى عليه القمر فانه لايعمل من أجل مهانته واسترخاء طبيعته وقلة فهمه مثل النساء وامثالهن من الرجال

ومن أجل هذا كان اليونانيون الذين كانوا في قديم الزمان اذا ارادوا تسليم الصبي الى صناعة من الصنائع اختاروا له يوماً من الايام وادخلوه الى هيكل الصنائع وصور سائر الكواكب وقربوا قرباناً لصنم ذلك الكوكب الذي دله على صناعته وسلموه الى تلك الصناعة بعد ماعرفوا ذلك من مولده وان لم يكونوا

عرفوه من مولده عرضوا عليه الصنائع المصورة فى ذلك الهيكل فان رغب في واحدة منها بعد توقيفهم له على احوال تلك الصنعة سلموه اليها

واعلم ياأخي بأن صناعة الآباء والاجداد انجع فى الاولاد من صناعة الغرباء وخاصة من دل مولده عليها ويكونون فيها احذق وانجب ومن أجل هذا أوجبوا فى سياسة ازدشير بن بابكان على أهل كل طبقة من الناس لزوم صناعة آبائهم واجدادهم قطعاً وان لايتجاوزها وزعموا ان ذلك فرض من الله عز وجل في كتاب زرادشت

واعم بأن هذا كله صيانة للملك ان لايرغب فيه من ليس من اهله لانه اذا كثر الطالبون للملك كثر التنازع بينهم واذا كثر التنازع كثر الشغب واضطربت الامور وانفسد النظام وفساد النظام يتبعه البوار والبطلان

﴿ فصل في الغرض من الملك ﴾

واعلم بان الغرض من الملك هو حفظ الناموس على اهله ان لايندرس بتركهم القيام بموجباته لان اكثر أهل الشرائع النبوية والفلسفية لولا خوف السلطان لتركوا الدخول تحت احكام الناموس وحدوده وتأدية فرائضه واتباع سنته واجتناب محارمه واتباع أوامره ونواهيه .

واعلم بأن الغرض في حفظ الناموس هو طلب صلاح الدين والدنيا جميعاً فمتى ترك القيام بواجباته انفسدا جميعاً وبطلت الحكمة ولكن السياسة الالهية والعناية الربانية لاتتركهما ينفسدان لانها هي العلة الموجبة لوجودهما وبقائهما ونظامهما وتمامهما وكمالهما وكل صورة في المصنوع فانها أولا تكون في فكر الصانع وعلمه

﴿ فصل في ان الجسم لايتحرك من ذاته ﴾

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان موضوعات الصناع ومصنوعاتهم وآلاتهم وادواتهم واجسادهم كلها اجسام والجسم من حيث الجسمية ليس يتحرك

والافعال لاتكون الا بالحركة فالمحرك للاجسام جوهر آخر وهو الذي نسميه نفسا والنفوس من حيث النفسية جوهر واحد كما أن الأجسام من حيث الجسمية جوهر واحد ، وانما تختلف النفوس بحسب اختلاف قواها واختلاف قواها بحسب اختلاف افعالها ومعارفها واخلاقها كما ان اختلاف الاجسام بحسب اختلاف اشكالها واختلاف اشكالها بحسب اختلاف اعراضها

واعلم بأن نفس العالم نفس واحدة كما ان جسمه جسم واحد بجميع افلاكه وكواكبه واركانه ومولداته ولكن لما كانت لنفس العالم افعال كلية بقوى كلية وافعال جنسية بقوى جنسية وافعال نوعية بقوى نوعية وافعال شخصية بقوى شخصية وهي حركتها من المشرق الى المغرب وبالعكس ومن الشمال الى الجنوب وبالعكس ومن فوق الى أسفل وبالعكس ، سميت هذه القوى بافعالها نفوساً جنسية ونوعية وشخصية فتكثرت النفوس بحسب قواها المختلفة وتكثرت قواها بحسب افعالها المفتنة كما تكثر جسم العالم بحسب اختلاف اشكاله وتكثر اشكاله بحسب اختلاف اعراضه فافعال نفس العالم الكلية هي ادارتها الافلاك والكواكب من المشرق الى المغرب بالقصد الاول وتسكينها مركزها الخاص بها وافعالها الجنسية مايختص بكل فلك وكل كوكب من الحركات الست العارضة كما بينا في رسالة السماء والعالم وما يختص أيضاً بالاركان الاربعة التى تحت فلك القمر من الحركات الطبيعية كما بيناه في رسالة الكون والفساد وافعالها النوعية ما يختص بالكائنات المولدات التى هي الحيوان والنبات والمعادن وافعالها الشخصية التى تظهر من اشخاص الحيوانات ومايجرى على أيدي البشر من الصنائع التى تقدم ذكرها

واعلم ياأخى بأن النفس جوهرة روحانية حية بذاتها فاذا قارنت جسما من الاجسام صيرته حيا مثلها كما ان النار جوهرة جسمانية حارة بذاتها فاذا جاورت جسما من الاجسام صيرته حاراً مثلها واعلم بأن للنفس قوتين اثنتين احداهما علامة والاخرى فعالة فهي بقوتها العلامة تنزع رسوم المعلومات من هيولاها

وتصورها في ذاتها فتكون ذات جواهرها لتلك الرسوم كالهيولى وهي فيها كالصورة وبقوتها الفعالة تخرج الصور التي في فكرها وتنقشها في الهيولى الجسماني فيكون الجسم عند ذلك مصنوعاً لها وكل متعلم علماً فان صورة المعلوم في نفسه بالقوة فاذا تعلمها صارت فيها بالفعل وهكذا كل متعلم صنعة فان صور المصنوعات في نفسه بالقوة فاذا تعلمها صارت فيها بالفعل والتعلم ليس شيئاً سوى الطريق من القوة الى الفعل والتعليم ليس شيئاً سوى الدلالة على الطريق، والاستاذون هم الادلاء وتعليمهم هو الدلالة والتعلم هو الطريق والمعلوم هو المطلوب المدلول عليه، فنفوس الصبيان علامة بالقوة، ونفوس الاستاذين علامة بالفعل وكل نفس علامة بالقوة لا بد لها من نفس علامة بالفعل تخرجها من القوة الى الفعل

واعلم يا أخي بان كل صانع من البشر لا بد له من استاذ يتعلم منه صنعته أو علمه وذلك الاستاذ من استاذ له قبل وهكذا حتى ينتهي الى واحد ليس علمه من أحد من البشر فيكون عند ذلك أحد الأمرين اما أن تقول انه استخرجه بقوة نفسه وفكره ورويته واجتهاده كما يزعم المتفلسفون واما أن تقول أنه أخذه عن موقف له ليس من البشر كما يقول الانبياء صلوات الله عليهم

واعلم يا أخي علما يقيناً أنه ليس من البشر أحد يحيط بعلم من العلوم لا الانبياء ولا الفلاسفة ولا غيرهم الا بما شاء الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم، وذلك أن الذين زعموا أنهم استخرجوا العلوم والصنائع بقوة عقولهم وجودة فكرهم ورويتهم لو لا أنهم رأوا وشاهدوا مصنوعات الطبيعة فاعتبروها وقاسوا عليها وكان ذلك لهم كالتعليم من الطبيعة لما اهتدوا الى شيء منها والطبيعة أيضاً لولا انها مؤيدة بالنفس الكلية والنفس الكلية لو لا انها مؤيدة بالعقل الكلي الذي هو أول الموجودات من الباري سبحانه والبارى سبحانه هو المؤيد الكل كيف شاء الذي هو صانع الاسباب والمؤيد لب ذوي الالباب .

واذ قد فرغنا من ذكر الصنائع البشرية وموضوعاتها وأغراضها وشرفها ومنافعها فقد بينا أن خير صناعة تبلغ اليها طاقة البشر وضع الناموس الالهي وقد ذكرنا كيفيتها وشرائطها في رسالة الناموس الالهي ، فاجتهد يا أخي في معرفة أسراره لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح المعارف العقلية فتعيش بعيش العلماء الربانيين وتنال نعيم عالم الروحانيين في جوار الملائكة المقربين مخلدا أبد الآبدين فان لم يستو لك ذلك فكن خادماً في الناموس بحفظ أحكامه والقيام بحدوده فلعلك تنجو بشفاعة أهله من بحر الهيولي وأسر الطبيعة وهاوية عالم الاجسام بالكون والفساد ذوي الآلام وفقك الله وايانا أيها الأخ للرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه كريم جواد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله



الرسالة التاسعة

من القسم الرياضي

في بيان الاخلاق واسباب اختلافها وانواع عللها ونكت من آداب الانبياء وزبد من اخلاق الحكماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءالله خير أما يشركون .

وإذ قد فرغنا من ذكر الجواهر الجسمانية ووصفنا هيولاتها وصورها وتركيبها

وإذ قد فرغنا من ذكر تصاريف الاحوال بالانسان في الرحم من يوم مسقط النطفه الى يوم ولادة الجسد وبينا كيف ينضاف الى خلقة الجنين قوى روحانيات الكواكب وكيف تنطبع في جبلته الاخلاق المختلفة المركوزة في الطبيعة تسعة أشهر شهراً بعد شهر الذي هو المكث الطبيعي الى يوم ولادة الطفل واستئناف الانسان العمر في الحياة الدنيا مائة وعشرين سنة الذي هو العمر الطبيعي في رسالة مسقط النطفة، فنريد أن نذكر في هذه الرسالة ماينضاف الى تلك الطباع المركوزة في الاخلاق المكتسبة بعد الولادة بالعادات الجارية والاسباب الداعية المولدة لها اما زائدة عليها أو ناقصة عنها في تصاريف أيام الحياة الدنيا الى يوم الممات الذي هو مفارقة النفس الجسد وولادتها الثانية التي هي النشأة الاخرى كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله « ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون » يعني النشأة الآخرة وقال تعالى « وننشئكم فيما لاتعلمون» وقال الله عز وجل « ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير»

﴿ فصل في قابلية الانسان جميع الاخلاق ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الله جل ثناؤه لما أراد أن يجعل في الارض خليفة له من البشر ليكون العالم السفلي الذي هو دون فلك القمر عامرا بكون الناس فيه مملوءاً من المصنوعات العجيبة على أيديهم محفوظاً على النظام والترتيب بالسياسات الناموسية والملكوتية والفلسفية والعامية والخاصيه جميعاً ليكون العالم باقياً على أتم حالاته واكمل غاياته كما ذكر في السفر الرابع من صحف هرمس وهو ادريس النبي عليه السلام وذكرناه في رسالة الجامعة وأشرنا اليه في رسائلنا وكما سنبين في هذه الرسالة فبدأ أولا ربنا تعالى فبنى لخليفته هيكلا من التراب عجيب البنية ظريف الخلقة مختلف الاعضاء كثير القوى ثم ركبها وصورها في أحسن صورة من سائر الحيوانات ليكون بها منضلا عليها مالكا لها متصرفا فيها كيف يشاء ثم نفخ فيه من روحه فقرن ذلك الجسد الترابي بنفس روحانية من أفضل النفوس الحيوانية وأشرفها ليكون بها متحركا حساساً دراكا علاما عاملا فاعلا مايشاء ثم أيد نفسه بقوى روحانية سائر الكواكب في الفلك ليكون متهيئاً له بها وممكناً له قبول جميع سائر الاخلاق وتعلم جميع العلوم والآداب والرياضيات والمعارف والسياسات كما مكنه وهيأ له باعضاء بدنه المختلفة الاشكال والهيئات تعاطى جميع الصنائع البشرية والافعال الانسانية والاعمال الملكية

وذلك انه قد جمع في بنية هيكله جميع اخلاط الاركان الاربعة وكل المزاجات التسعة في غاية الاعتدال ليكون بها متهيئاً وقابلا لجميع اخلاق الحيوانات وخواص طباعها كل ذلك كيما يسهل عليه ويتهيأ له اظهار جميع الافعال والصنائع العجيبة والاعمال المتقنة المختلفة والسياسات المحكمة إذ كان اظهارها كلها بعضو واحد واداة واحدة وخلق واحد ومزاج واحد يتعذر على الانسان كما بينا في رسالة الصنائع البشرية والغرض من هذه كلها هو ان يتمكن للانسان ويتهيأ له التشبه بإلاهه وباريه الذي هو خليفته في ارضه وعامر عالمه ومالك ما فيه وسائس حيوانها

ومربي نباتها ومستخرج معادنها ومتحكم ومتسلط على مافيها ليدبرها تدبيرات سياسية ويسوسها سياسة ربوبية كما رسم له الوصايا الناموسية والرياضات الفلسفية كل ذلك كيما تصير نفسه بهذه العناية والسياسة والتدبير ملكا من الملائكة المقربين فينال بذلك الخلود في النعيم أبد الآبدين ودهر الداهرين كما ذكر في بعض كتب انبياء بني اسرائيل قال الله تعالى يابن آدم خلقتك للابد وأنا حي لا أموت اطعني فيما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه اجعلك حياً لا تموت أبداً يابن آدم أنا قادر على أن أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه اجعلك قادراً على ان تقول للشيء كن فيكون. وإذ قد تبين بما ذكرنا ما الغرض وما المراد من وجود الاخلاق المختلفة في جبلة الانسان وطبيعته فنريد أن نذكر العلل والاسباب التي بها ومن أجلها تختلف اخلاق البشر وسجاياهم كم هي وما هي وكيف هي إذ قد تبين فيما تقدم لم هي

﴿ فصل في وجوه اختلاف الاخلاق ﴾

اعلم يا أخي أن اخلاق الناس وطبائعهم تختلف من اربعة وجوه، أحدها من جهة اخلاط اجسادهم ومزاج اخلاطها ، والثاني من جهة تربة بلدانهم واختلاف أهويتها ، والثالث من جهة نشوئهم على ديانات آبائهم ومعلميهم واستاذيهم ومن يربيهم ويؤدبهم ، والرابع من جهة موجبات احكام النجوم في أصول مواليدهم ومساقط نطفهم ، وهي الاصل وباقيها فروع عليها . ونحتاج الى شرح هذا الباب ليتبين صدق ماقلنا وحقيقة ماوصفنا ونبدأ أولا بذكر العلل والاسباب التي تكون من جهة اخلاط الجسد وتغيرات أمزجتها من الاعتدال والزيادة والنقصان وما يتبعها من الاخلاق والسجايا المختلفة المتضادة

﴿ فصل في اختلاف الاخلاق من جهة الاخلاط ﴾

اعلم ياأخي بأن المحروري الطباع من الناس وخاصة مزاج القلب يكونون على الامر الاكثر شجعان القلوب أسخياء النفوس متهورين في الامور المخوفة

قليلي الثبات والتأني في الامور مستعجلي الحركة شديدي الغضب سريعي المراجعة قليلي الحقد اذكياء النفوس حادي الخواطر جيدي التصور، والمبرودين في الامر الاكثر يكونون بليدي الذهن غليظي الطباع ثقيلي الارواح غير نضيجي الاخلاق ،والمرطوبين يكونون في أكثر الامر ذوى طباع بلدة وقلة ثبات في الامور ليني الجانب سمحاء النفوس طيبي الاخلاق سهلي القبول سريعي النسيان مع كثرة تهور في الامور الطبيعية ، واليابسي المزاج يكونون في أكثر الامور صابرين في الاعمال ثابتي الرأي عسري القبول الغالب عليهم الصبر والحقد والبخل والامساك والحفظ.

فصل فى خلق آدم عليه السلام

— كما وجد في بعض كتب بني اسرائيل —

وجد فى بعض كتب انبياء بنى اسرائيل من صفة خلقة آدم وتكوين جسده أن الله عز وجل حين ابتدعه واخترعه قال : إنى خلقت آدم وركبت بدنه من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثة في ولده وذريته تنشأ في أجسادهم وينمون عليها الى يوم القيامة، ركبت جسده من رطب ويابس وحار وبارد وذلك انى خلقته من تراب وماء ثم نفخت فيه نفساً وروحا فيبوسة جسده من قبل التراب ورطوبته من قبل الماء وحرارته من النفس وبرودته من الروح ، ثم جعلت في الجسد بعد هذا أربعة أنواع أخر هن ملاك أمور الجسد لايقوم الجسد الا بهن ولاتقوم واحدة منهن الا بالاخرى فمنهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم اسكنت بعضها في بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء والحرارة في المرة الصفراء والرطوبة في الدم والبرودة في البلغم فايما جسد اعتدلت فيه هذه الاربعة الاخلاط التى جعلتها ملاكه وقوامه وكانت كل واحدة منهن ربعاً لاتزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت بنيته وان زادت واحدة منهن على اخواتها وقهرتهن ومالت بهن دخل السقم على الجسد من ناحيتها بقدر مازادت وإذا كانت ناقصة

ضعفت طاقتها عن مقاومتهن فغلبنها ودخل السقم على الجسد من نواحيهن بقدر قلتها عنهن وضعف طاقتها عن مقاومتهن

ثم علمته الطب وكيفية الدواء وكيف يزيد في الناقص أو ينقص من الزائد حتى يعتدل ويستقيم أمر الجسد ، فالطبيب الماهر العالم بالداء والدواء هو الذي يعرف من أين دخل السقم على الجسد من الزيادة أو النقصان ويعلم الدواء الذي يعالج به فيزيد في ناقصها وينقص من زائدها حتى يستقيم أمر الجسد على فطرته ويعتدل الشيء بأقرانه

ثم صيرت هذه الأخلاط التي ركبت عليها الجسد فطراً وأصولا عليها تبنى أخلاق بني آدم وبها توصف، فمن التراب العزم ومن الماء اللين ومن الحرارة الحدة ومن البرودة الأناة فإن مالت به اليبوسة وأفرطت كانت عزمته قساوة وفظاظة وإن مالت به الرطوبة كان لينه توانياً ومهانة وإن مالت به الحرارة كانت حدته طيشاً وسفاهة وإن مالت به البرودة كانت أناءته ريثاً وبلادة وإن اعتدلت وكن سواء اعتدلت أخلاقه واستقام أمره وكان عازماً في اناته ليناً في عزمه هادئاً في لينه متأنياً في حدته لا يغلبه خلق من أخلاقه ولا تميل به طبيعة من أخلاطه عن المقدار المعتدل من أيها شاء استكثر ومن أيها شاء قلل وكيف شاء عدل

ثم نفخت فيه من روحي وقرنت بجسده نفساً وروحاً فبالنفس يسمع ابن آدم ويبصر ويشم ويذوق ويلمس ويحس ويأكل ويشرب وينام ويقعد ويضحك ويبكي ويفرح ويحزن وبالروح يعقل ويفهم ويدري ويتعلم ويستحي ويحلم ويحذر ويتقدم ويمنع ويتكرم ويقف ويهجم فمن النفس تكون حدته وخفته وشهوته ولعبه ولهوه وضحكه وسفهه وخداعه ومكره وعنفه وخرقه ومن الروح يكون حلمه ووقاره وعفافه وحياؤه وبهاؤه وفهمه وتكرمه وحذقه وصدقه ورفقه وصبره ، فإذا خاف ذو اللب أن يغلب عليه خلق من أخلاق النفس قابله بضده من أخلاق الروح وألزمه إياه فيعدله به ويقومه ، فيقابل الحدة بالحلم والخفة بالوقار والشهوة بالعفاف واللعب بالحياء واللهو بالبهاء والضحك بالهم

والسفه بالكرم والخداع بالشجاعة والكذب بالصدق والعنف بالرفق والنزق بالصبر والخرق بالاناة إذ كل مرض يعالج بضده ومن التراب تكون قساوته وبخله وفظاظته وشحه ويأسه وقنوطه وعزمه واصراره، ومن الماء يكون لينه وسهولته واسترساله ومعروفه وتكرمه وسماحته وقوته وقربه وقبوله ورجاؤه واستبشاره فاذا خاف ذو اللب أن يغلب عليه خلق من أخلاقه الترابية قابله بضده من الاخلاق المائية وألزمه إياه ليعدله ويقومه فيقابل القسوة باللين والبخل بالعطاء والفظاظة بالبشر والشح بالكرم واليأس بالرجاء والقنوط بالاستبشار والعزم بالقبول والاصرار بالعدل

واعلم يا أخي بأن لكل خلق من الاخلاق أخوات مشاكلات ولهن أضداد مخالفات ولهن كلهن أفعال متباينات متضادات تحتاج الى شرح لتبين وتعرف لان هذا الباب من العلوم الشريفة والمعارف اللطيفة إذ كان من هذا الفن تعرف أخلاق الكرام من بنى آدم وأخلاق الملائكة الذين هم سكان الجنان كما ذكر الله تعالى فقال « كراماً كاتبين » و « كرام بررة » ومن هذا الباب تعرف أيضاً أخلاق الشياطين الذين هم أهل النيران كما ذكر الله تعالى بقوله « كلما دخلت أمة لعنت أختها وقالوا لامرحباً بهم انهم صالوا النار » واذ قد تبين بما ذكرنا طرف من الاسباب المؤدية الى اختلاف أخلاق الانسان من جهة مزاج أخلاط جسده فنريد أيضاً أن نذكر طرفاً من الاسباب التى تكون من جهة اختلاف تربة البلاد وتغييرات أهويتها المؤدية الى اختلاف الاخلاق

فصل في تأثير طبيعة البلدان فى الاخلاق

واعلم يا أخي بأن ترب البلاد والمدن والقرى تختلف وأهويتها تتغير من جهات عدة فمنها كونها في ناحية الجنوب أو الشمال أو الشرق أو الغرب أو على رؤوس الجبال أو فى بطون الاودية والاغوار أو على سواحل البحار أو شطوط الانهار أو فى البراري والقفار أو فى الآجام والدحال والارض ذات الرملة والارضين

السباخ السهلة أو في البقاع الصخرية والحجارة والحصا والرمال أو في الارضين السهلة والتربة اللينة بين الانهار والاشجار والزروع والبساتين والزهر والنور وأيضاً فان أهوية البلاد والبقاع تختلف بحسب اختلاف تصاريف الرياح الاربع ونكباواتها وبحسب مطالع البروج عليها ومطارح شعاعات الكواكب عليها من آفاقها ، وهذه كلها تؤدي الى اختلاف أمزجة الاخلاط ، واختلاف أمزجة الاخلاط يؤدي الى اختلاف أخلاق أهلها وطباعهم وألوانهم ولغتهم وعاداتهم وآرائهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وتدابيرهم وسياساتهم ، لايشبه بعضها بعضاً بل تنفرد كل أمة منها بأشياء من هذه التي تقدم ذكرها لايشاركها فيها غيرها

مثال ذلك أن الذين يولدون فى البلاد الحارة ويتربون هناك وينشأون على ذلك الهواء فان الغالب على باطن أمزجة أبدانهم البرودة وهكذا أيضاً الذين يولدون فى البلدان الباردة ويتربون هناك وينشأون على ذلك الهواء يكون الغالب على باطن أمزجة أبدانهم الحرارة لأن الحرارة والبرودة هما ضدان لا يجتمعان فى حال واحدة فى موضع واحد ولكن إذا ظهر أحدهما استبطن الآخر واستجن ليكونا موجودين فى دائم الاوقات اذ كانت المكونات لاوجود لها ولا قوام الا بهما ، والدليل على ما قلنا أن مزاج أبدان أهل البلدان الجنوبية من الحبشة والزنج والنوبة وأهل السند وأهل الهند فانه لما كان الغالب على أهوية بلادهم الحرارة بمرور الشمس على سمت تلك البلاد فى السنة مرتين سخنت أهويتها فحمى الجو فاحترقت ظواهر أبدانهم واسودت جلودهم وتجعدت شعورهم لذلك السبب وبردت بواطن أبدانهم وابيضت عظامهم وأسنانهم واتسعت عيونهم ومناخرهم وأفواههم بذلك السبب ، وبالعكس فى هذا حال أهل البلدان الشمالية وعلتها أن الشمس لما بعدت من سمت تلك البلاد وصارت لا تمر عليها لا شتاء ولا صيفا غلب على أهويتها البرد وابيضت لذلك جلودهم وترطبت أبدانهم واحمرت عظامهم وأسنانهم وكثرت الشجاعة

والفروسة فيهم وسبطت شعورهم وضاقت عيونهم واستجنت الحرارة في بواطن أبدانهم لذلك السبب وعلى هذا القياس توجد صفات أهل البلدان المتضادة بالطباع والاهوية يكونون مختلفين في الطباع والاخلاق في أكثر الامر وأعم الحالات.

واذ قد تبين بما ذكرنا طرف من تغير اخلاق الناس من جهة اختلاف ترب البلاد وتغير أهويتها فنريد أن نذكر طرفا من أسباب موجبات أحكام النجوم فنقول: ان الذين يولدون بالبروج النارية فى الاوقات التى يكون المستولى عليها الكواكب النارية مثل المريخ وقلب الاسد وما شاكلهما من الكواكب فان الغالب على أمزجة أبدانهم الحرارة وقوة الصفراء، والذين يولدون بالبروج المائية فى الاوقات التى يكون المستولى عليها الكواكب المائية مثل الزهرة والشعرى اليمانية فان الغالب على امزجة ابدانهم يكون الرطوبة والبلغم، وهكذا الذين يولدون بالبروج الترابية فى الاوقات التى يكون المستولى عليها زحل وما شاكله من الكواكب الثابتة فان الغالب على امزجة ابدانهم اليبوسة والمرة السوداء، وهكذا الذين يولدون بالبروج الهوائية فى الاوقات التى يكون المستولى عليها المشترى وما شاكله من الكواكب الثابتة فان الغالب على امزجة ابدانهم الدم والاعتدال، يعرف حقيقة ما قلنا وصحة ما وصفنا اهل الصناعات والتجارب

واذ قد تبين بما قلنا وذكرنا ما الاسباب والعلل الموجبة لوجود الاخلاق المركوزة فى الجبلة فنريد ان نبين ما الاخلاق المركوزة فى الجبلة وما المكتسبة بالعادة الجارية منها وما الغرض فى ذلك وما الفرق بينهما يعنى الاخلاق المكتسبة والمركوزة

فصل فى ماهية الاخلاق

اعلم يا اخى، ايدك الله وايانا بروح منه، ان الاخلاق المركوزة فى الجبلة هى

تهيؤ ما في كل عضو من أعضاء الجسد يسهل به على النفس اظهار فعل من الافعال او عمل من الاعمال او صناعة من الصنائع او تعلم علم من العلوم او ادب من الآداب أو سياسة من غير فكر ولا روية ، مثال ذلك أنه متى كان الانسان مطبوعاً على الشجاعة فانه يسهل عليه الاقدام على الأمور المخوفة من غير فكر ولا روية وهكذا متى كان مطبوعاً على السخاء يسهل عليه بذل العطية من غير فكر ولا روية وهكذا متى كان الانسان مطبوعاً على العفة سهل عليه اجتناب المحظورات المحرمات من غير فكر ولا روية، وهكذا من كان مطبوعاً على الاعتدال سهل عليه الحكومة في الخصومات والعدل والنصفة في المعاملات، وعلى هذا المثال والقياس سائر الاخلاق والسجايا المطبوعة في الجبلة المركوزة فيها انما جعلت لكيما يسهل على النفس إظهار أفعالها وعلومها وصنائعها وسياساتها وتدبيرها بلا فكر ولا روية

وأما من كان مطبوعاً على الضد من ذلك فهو يحتاج عند استعمال هذه الخصال واظهار هذه الافعال إلى فكر وروية واجتهاد شديد وكلفة ولا يفعل الانسان هذه الامور إلا بعد أمر ونهي ووعد ووعيد ومدح وذم وترغيب وترهيب ، وعلى هذا المثال يكون كل حكم في الطبع خلافه يحتاج صاحبه إلى أمر ونهي وفكر واجتهاد ورغبة وبهذه العلة وردت أكثر أوامر الناموس ونواهيه ولهذا السبب كان وعده ووعيده وترغيبه وترهيبه ولو كان الانسان الواحد مطبوعاً على جميع الاخلاق لما كان عليه كلفة في اظهار كل الافعال وجميع الصنائع ولكن الانسان المطلق الكلي هو المطبوع على قبول جميع الاخلاق واظهار جميع الصنائع والاعمال لا الانسان الجزئي

واعلم بأن كل الناس أشخاص لهذا الانسان المطلق وهو الذي أشرنا اليه انه خليفة الله في أرضه منذ يوم خلق آدم أبو البشر الى يوم القيامة الكبرى وهي النفس الكلية الانسانية الموجودة في كل أشخاص الناس كما ذكر جل ثناؤه بقوله «ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» كما بينا في رسالة البعث

واعلم يا أخي، أيدك الله بروح منه ، بأن هذا الانسان المطلق الذي قلنا هو خليفة الله في أرضه وهو مطبوع على قبول جميع الاخلاق البشرية وجميع العلوم الانسانية والصنائع الحكمية هو موجود في كل وقت وزمان ومع كل شخص من أشخاص البشر تظهر منه أفعاله وعلومه وأخلاقه وصنائعه ولكن من الاشخاص ما هو أشد تهيؤاً لقبول علم من العلوم أو صناعة من الصنائع أو خلق من الاخلاق أو عمل من الاعمال، والاظهار بحسب ذلك يكون

﴿ مطلب في التربية ﴾

واعلم بأن العادات الجارية بالمداومة فيها تقوى الاخلاق المشاكلة لها كما أن النظر في العلوم والمداومة على البحث عنها والدرس لها والمذاكرة فيها يقوي الحذق بها والرسوخ فيها وهكذا المداومة على استعمال الصنائع والدؤوب فيها يقوي الحذق والاستاذية فيها ، وهكذا جميع الاخلاق والسجايا . والمثال في ذلك ان كثيرا من الصبيان اذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم وهكذا ايضاً كثير من الصبيان إذا نشأوا مع النساء والمخانيث والمعيوبين وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم ان لم يكن في كل الخلق ففي بعض وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الاخلاق والسجايا التي يتطبع عليها الصبيان منذ الصغر اما بأخلاق الآباء والامهات أو الاخوة والاخوات والأتراب والاصدقاء والمعلمين والاستاذين المخالطين لهم في تصاريف أحوالهم وعلى هذا القياس حكم الآراء والمذاهب والديانات جميعاً

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن من الناس من يكون اعتقاده تابعاً لأخلاقه ومنهم من تكون أخلاقه تابعة لاعتقاده وذلك أن من يكون مطبوعاً على طبيعة مريخية فانه تميل نفسه الى الآراء والمذاهب التي يكون فيها التعصب والجدال والخصومات

أكثر وهكذا أيضاً من يكون مطبوعاً على طبيعة مشترية فانه تكون نفسه مائلة الى الآراء والمذاهب التي يكون فيها الزهد والورع واللين أكثر وعلى هذا القياس توجد آراء الناس ومذاهبهم تابعة لأخلاقهم ، وأما الذي تكون أخلاقه تابعة لاعتقاده فهو الذي اذا اعتقد رأياً أو ذهب مذهباً وتصوره وتحقق به صارت أخلاقه وسجاياه مشاكلة لمذهبه واعتقاده لأنه يصرف أكثر همه وعنايته الى نصرة مذهبه وتحقيق اعتقاده في جميع متصرفاته فيصير ذلك خلقاً له وسجية وعادة يصعب اقلاعه عنها وتركه لها

وعلى هذا الجنس من الاخلاق تقع المجازاة من المدح والذم والثواب والعقاب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب لأنه اكتساب من صاحبه وفعل له ، والمثال في ذلك ما جاء في الخبر ان رجلين اصطحبا في بعض الاسفار أحدهما مجوسي من أهل كرمان والآخر يهودي من أهل اصفهان وكان المجوسي راكبا على بغلة عليها كل ما يحتاج اليه المسافر في سفره من الزاد والنفقة والأثاث فهو يسير مرفها واليهودي كان ماشياً ليس معه زاد ولا نفقة فبينما هما يتحدثان اذ قال المجوسي لليهودي ما مذهبك واعتقادك ياخوشاك قال اليهودي اعتقادي أن في هذه السماء الها هو إله بني اسرائيل وأنا أعبده وأسأله وأطلب اليه ومنه سعة الرزق وطول العمر وصحة البدن والسلامة من الآفات والنصرة على الأعداء أريد منه الخير لنفسي ولمن يوافقني في ديني ومذهبي ولا أفكر فيمن يخالفني في ديني ومذهبي بل أرى وأعتقد أن من يخالفني في ديني ومذهبي حلال لي دمه وماله وحرام علي نصرته أو نصيحته أو معاونته أو الرحمة أو الشفقة عليه ، ثم قال للمجوسي :قد أخبرتك عن مذهبي واعتقادي لما سألتني عنه فاخبرني يامغا أنت أيضا عن مذهبك واعتقادك ، قال المجوسي أما اعتقادي ورأيي فهو اني أريد الخير لنفسي ولأبناء جنسي كلهم ولا أريد لأحد من الخلق سوءاً لا لمن كان على ديني ويوافقني ولا لمن يخالفني ويضادني في مذهبي ، فقال اليهودي له وان ظلمك وتعدى عليك ؟ قال نعم لأني أعلم أن في هذه السماء الها خبيرا فاضلا

عادلا حكيما عليما لا تخفى عليه خافية في أمر خلقه وهو مجازي المحسنين باحسانهم ويكافيء المسيئين على اساءتهم ، فقال اليهودي للمجوسي فلست أراك تنصر مذهبك وتحقق اعتقادك ، فقال المجوسي وكيف ذلك قال لأني من أبناء جنسك وأنت تراني أمشي متعوبا جائعا وأنت راكب شبعان مترفه قال صدقت وماذا تريد ، قال اطعمني واحملني ساعة لاستريح فقد اعييت فنزل المجوسي عن بغلته وفتح له سفرته فأطعمه حتى أشبعه ثم أركبه ومشى معه ساعة يتحدثان ، فلما تمكن اليهودي من الركوب وعلم ان المجوسي قد أعيا حرك البغلة وسبقه وجعل المجوسي يمشي فلا يلحقه فناداه ياخوشاك قف لي وانزل فقد اعييت ، فقال له اليهودي أليس قد أخبرتك عن مذهبي يامغا وخبرتني عن مذهبك ونصرته وحققته وانا اريد ايضا ان انصر مذهبي وأحقق اعتقادي وجعل يجري البغلة والمجوسي في أثره يعدو ويقول ويحك ياخوشاك قف لي قليلا واحملني معك ولا تتركني في هذه البرية تأكلني السباع وأموت جوعاً وعطشاً وارحمني كما رحمتك ، وجعل اليهودي لايفكر في ندائه ولايلوي عليه حتى مضى وغاب عن بصره . فلما يئس المجوسي منه وأشرف على الهلاك تذكر تمام اعتقاده وماوصف له بأن في السماء الهاً خبيراً فاضلا عالماً عادلا لايخفى عليه من أمر خلقه خافية فرفع رأسه الى السماء فقال يا إلهي قد علمت اني قد اعتقدت مذهباً ونصرته وحققته ووصفتك بما سمعت وعلمت وتحققت فحقق عند اليهودي خوشاك ماوصفتك به ليعلم حقيقة ماقلت . فامشى المجوسي إلا قليلا حتى رأى اليهودي وقد رمت به البغلة فاندقت عنقه وهي واقفة بالبعد منه تنتظر صاحبها • فلما لحق المجوسي بغلته ركبها ومضى لسبيله وترك اليهودي يقاسي الجهد ويعالج كرب الموت ، فناداه اليهودي يامغا ارحمني واحملني ولا تتركني في هذه البرية تأكلني السباع وأموت جوعاً وعطشاً وحقق مذهبك وانصر اعتقادك قال المجوسي قد فعلت مرة ولكن بعد لم تفهم ماقلت لك ولم تعقل ماوصفت لك فقال اليهودي وكيف ذلك فقال لاني وصفت لك مذهبي فلم تصدقني بقولي حتى حققته بفعلي وأنت بعد لم تعقل ماقلت لك وذلك اني قلت لك ان في هذه

السماء الهاً خبيراً فاضلا عالماً عادلا لايخفى عليه خافية وهو يجازي المحسنين باحسانهم ويكافىء المسيئين باساءتهم ، قال اليهودى قد فهمت ماقلت وعلمت ماوصفت، فقال له المجوسى فما الذى منعك أن تتعظ بما قلت لك ياخوشاك فقال اليهودى اعتقاد قد نشأت عليه ومذهب قد ألفته وصار عادة وجبلة بطول الدؤوب فيه وكثرة الاستعمال له اقتداء بالآباء والأمهات والأستاذين والمعلمين من أهل ديني ومذهبي فقد صار جبلة وطبيعة ثابتة يصعب علي تركها والاقلاع عنها، فرحمه المجوسي وحمله معه حتى جاء به الى المدينة وسلمه الى أهله مكسوراً ، وحدث الناس بقصته وحديثه معه فجعلوا يتعجبون ، فقال بعض الناس للمجوسى كيف حملته بعد شدة جفائه بك وقبيح مكافأته احسانك اليه ؟ قال المجوسى اعتذر الي وقال مذهبي كيت وكيت وقد صار جبلة وطبيعة ثابتة لطول الدؤوب فيه وجريان العادة به يصعب الاقلاع عنها والترك لها وأنا أيضاً قد اعتقدت رأياً وسلكت مذهباً صار لي عادة وجبلة فيصعب الاقلاع عنها والترك لها

واذ قد تبين بما ذكرنا ان العلل الموجبة لاختلاف أخلاق النفوس والاسباب المؤدية اليها أربعة أنواع حسب كما قلنا في أول الرسالة فنقول الآن ان الاخلاق كلها نوعان اما مطبوعة في جبلة النفوس مركوزة فيها واما مكتسبة معتادة من جريان العادة وكثرة استعمالها ومن وجه آخر أيضاً ان الاخلاق نوعان منها ماهي أصول وقوانين ومنها ماهي فروع وتابعة لها فنحتاج ان نبينها وتفصلها ليعرف بعضها من بعض اذ كان هذا الفن من المعرفة من العلوم الشريفة النافعة جداً وخاصة لمن له عناية برياضة النفس وتهذيبها واصلاح أخلاقها اذ كانت أخلاق النفوس هى أحد الاسباب المنجية لها من الهلكة المفصلة بعضها من بعض كما بينا في رسالة الدعوة الى الله سبحانه وتعالى

فصل فى مراتب الأنفس

اعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن الباري جل ثناؤه لما أبدع النفوس واخترعها وأبرز المستكن والمستجن من الكائنات رتبها ونظمها كراتب

الاعداد المفردات كما ذكر تعالى بقوله حكاية عن الملائكة قولهم « ومامنا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون »

واعلم يا أخي بأن أعداد النفوس كثيرة لايحصيها الا الله جل ثناؤه كما قال « ومايعلم جنود ربك الا هو » ولكن نحتاج أن نذكر طرفاً من مراتبها ومقاماتها الجنسية اذ كانت الأنواع والاشخاص لايمكن تحديدها ولايعلمها الا هو

واعلم يا أخي بأن مراتب النفوس ثلاثة أنواع فمنها مرتبة الأنفس الانسانية ومنها ماهي فوقها ومنها ماهي دونها، فالتى هى دونها سبع مراتب والتى فوقها سبع أيضاً وجملتها خمس عشرة مرتبة والمعلوم من هذه المراتب التى ذكرناها عند العلماء ويمكن لكل عاقل أن يعرفها ويحس بها خمس منها اثنتان فوق رتبة الانسانية وهي رتبة الملكية والقدسية ورتبة الملكية هي رتبة الحكمية ورتبة القدسية هي رتبة النبوة والناموسية ، واثنتان دونها وهي مرتبة النفس النباتية والحيوانية ويعلم صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا الناظرون في علم النفس من الحكماء والفلاسفة وكثير من الاطباء

وأما الرتبتان التان فوق رتبة الانسانية فهي مرتبة الحكمة وفوقها الناموسية وأما مرتبة الانسانية فهي التى ذكرها الله تعالى بقوله « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » وأما التى فوق هذه فما أشار اليه بقوله « ولما بلغ أشده واستوى » يعنى الانسان « آتيناه حكما وعلما » وقال أيضاً « أو من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » يعنى الانسان أحيينا نفسه بنور الهداية وهذه هى مرتبة نفوس المؤمنين العارفين والعلماء الراسخين.

فاما التى فوقها فرتبة النفوس النبوية الواضعين النواميس الالهية واليها أشار بقوله جل ثناؤه « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وهذه المرتبة تلي مرتبة القدسية الملكية. فقد تبين بما ذكرنا المراتب الخمس التى يمكن الانسان أن يعلمها ويحس بها . فاما المراتب التى دون النباتية وفوق القدسية

فبعيدة معرفتها على المرتاضين بالعلوم الالهية فكيف على غيرهم وإذ قد فرغنا من ذكر ما أردنا أن نقدمه فنقول الآن ونخبر بكل مايخص كل نوع من هذه النفوس الخمس من المعونة والتأييد

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان الله جل ثناؤه لما ربط الانفس الجزئية بالاجسام الجزئية للعلة التي ذكرناها في رسالة «الانسان عالم صغير» أيدها وأعانها بضروب من المعاونة وفنون من التأييدات كل ذلك جود منه ولطف بها وانعام منه عليها وافضال واحسان اليها واكرام لها وذلك انه كلما بلغت نفس منها رتبة ما أمدها بزيادة فضلا منه وجوداً أو نقلها الى مافوقها وأرفع منها وأعز وأشرف وأجل وأكرم كل ذلك ليبلغها الى اقصى مدى غاياتها وتمام نهاياتها وإذ قد تبين بما ذكرنا مراتب النفوس الخمس وما الفائدة والحكمة في رباطها بالاجسام فنريد أن نذكر مايخص كل نوع منها من المعاونة والتأييد وهي القوى الطبيعية والاخلاق المركوزة والهياكل الجسمانية والادوات الجسدانية والشعورات الحسية والاوهام الفكرية والحركات المكانية والافعال الارادية والاعمال الاختياريه والصنائع الحكمية والاوضاع الناموسية والسياسات الملكوتية ، ونبدأ أولا بذكر الشهوات المركوزة في الجبلة والقوى الطبيعية المعينة لها إذ كانت هي الاصل والقانون في جميع القوى والاخلاق والخصال والافعال والحركات والحس والشعور بها ومن أجلها كما سنبين بعد

فصل

وأعلم يا أخي بان من الاخلاق والقوى ماهي منسوبة الى النفس النباتية الشهوانية ومنها ماهي منسوبة الى الحيوانية الغضبية ومنها ماهي منسوبة الى النفس الانسانية الناطقة ومنها ماهي منسوبة الى النفس العاقلة الحكمية ومنها ماهي منسوبة الى النفس الناموسية الملكية. فاما المنسوبة الى النفس الشهوانيـة من الخصال والقوى التي تخصها فاولها شهوة الغذاء وهي النزوع والشوق نحو

المأكولات والمشروبات والمشتهيات والرغبة فيها والحرص في طلبها واحتمال المشقة والذل من أجلها والفرح والسرور بوجدانها والراحة واللذة في تناولها والملل والشبع عند الاستكفاء منها والنفور من الضار منها والبغض له، ومن القوى المختصة بها أيضاً القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة ومن الشعور والتمييز معرفة الجهات الست، ومن الافعال ارسال العروق نحو الجهات الندية والتراب اللين وتوجيه الفروع والقضبان الى الجهات المتسعة والميل والانحراف عن الامكنة الضيقة والاجسام المؤذية

كل هذه الخصال مركوزة في الجبلة من غير فكر ولا روية وكل ذلك معاونة من الطبيعة لنفوسها وتأييدها باذن باريها جل ثناؤه على طلب مشتهياتها والوصول الى منافعها والفرار من المضرة منها إذ كانت تلك المشتهيات هي غذاء لاجسامها ومادة لقوامها وسبب لبقائها كلها إذ كان في بقائها كلها تتميم لمعارفها وتكميل لفضائلها وفي تتميم معارفها وتكميل فضائلها ترق لها الى أفضل حالاتها وأشرف نهاياتها

وأما المنسوبة الى النفس الحيوانية المختصة بها من الخصال المركوزة في الجبلة زيادة على ماتقدم فهي شهوة الجماع وشهوة الانتقام وشهوة الرياسة ولها أيضاً الهيا كل اللحمية والاعضاء المختلفة للاغراض العجيبة والمفاصل اللينة للحركات المكانية والتنقل في الجهات الست لمآرب ومنافع كثيرة ولها الشعور بالحواس المخصوصة والاصوات المختلفة لدلالات متباينة ولها أيضاً الوهم والتخيل للمطالب والمنافع والحفظ والذكر لعرفان أبناء الجنس والمخالف وامكان الاحتراس من المضار والنفور والفرار من العدو، كل هذه مركوزة في جبلة الحيوانات القريبة النسبة الى الانسان فأما علة شهوة الجماع المركوزة في جبلتها فهي من أجل التناسل والتناسل هو من أجل بقاء الصورة في الاشخاص المتواترة إذ كانت الهيولى دائبة في السيلان لاتقف طرفة عين. وأما علة شهوة الانتقام المركوزة في جبلتها فهي من أجل دفع المضرات المفسدات لهيا كلها المتشخصة

واعلم يا أخي بأن دفع المضار تارة يكون بالقهر والغلبة وتارة يكون بالهرب والفرار وتارة بالتحرز والتحصن وتارة بالمكر والحيلة كما قد شرحنا ذلك في رسالة الحيوانات وأما شهوة الرياسة المركوزة في جبلتها فهي من أجل تأكيد السياسة إذ كانت السياسة لا تتم الا بعد وجدان الرياسة

واعلم يا أخي بأن المراد من السياسة هو صلاح الموجودات وبقاؤها على أفضل الحالات وأتم الغايات كما سنبين في فصل آخر

وأما المنسوبة الى النفس الناطقة المختصة بها زيادة على ما تقدم ذكره فهي شهوة العلوم والمعارف والتبحر والاستكثار منها وشهوة الصنائع والاعمال والحذق فيها والافتخار بها وشهوة العز والرفعة والترقي في غايات نهاياتها والشوق اليها والرغبة فيها والحرص في طلبها واحتمال الذل والمشقة من أجلها والفرح والسرور من وجدانها واللذة والراحة عند الوصول اليها والغم والحزن من فقدانها

فصل في اختلاف مناهج النفوس

واعلم يا أخي بأن هذه الخصال مركوزة في جبلة الانسان ولكن تختلف اختيارات كل واحد لها حسب ما تيسر له وتتأكد أسبابه وذلك أن من الناس من تيسر له أسباب الصنائع والحرف وآخر أسباب العلوم والآداب وآخر تيسر له أسباب العمل والتصرف وآخر أسباب التجارات والبيع والشراء وآخر أسباب الملك والسلطان وآخر أسباب البطالة والفراغ وآخر أسباب الحكم والمعارف كما سنبينه بعد هذا الفصل

ومما أعطيت النفس الناطقة من نعم الله تعالى وخصت به من احسانه من بين نفوس سائر الحيوانات وأعينت به على البلوغ الى أقصى مدى غاياتها وأيدت للوصول الى تمام نهاياتها هذا الهيكل العجيب البنية المحكم الصورة المتقن الصنعة الذي قد عجزت الحكماء عن كنه معرفته وتركيب بنيته من غرائب الصنعة مما قد وصف طرف منه في كتاب منافع الاعضاء وكتاب التشريح

من كيفية انتصاب قامته من بين سائر الحيوانات وما خص به أيضاً من فصاحة لسانه وغرائب لغاته وفنون أقاويله وحسن بيانه من بين سائرها وما خص به أيضاً من طريف شكل يديه وما يتأتى له بهما من الصنائع المحكمة والاعمال المتقنة من بين سائرها وما خص به أيضاً من طرائف أدوات حواسه وغرائب طرقات ادراكها للمحسوسات كما وصفنا في رسالة الحاس والمحسوس

ومما خصت به أيضاً النفس الناطقة الانسانية من نعم الله تعالى واحسانه العقل الغريزي وكثرة أعوانه وجنوده وخصاله المحمودة كما سنبين بعد وأما التي تنسب من الخصال المحمودة الى النفس الحكمية فشهوة العلوم والمعارف وما أعينت به على طلبها وادراكها والوصول اليها من الخصال المركوزة والقوي المجبولة كالذهن الصافي والفهم الجيد وذكاء النفس وصفاء القلب وحدة الفؤاد وسرعة الخاطر وقوة التخيل وجودة التصور والفكر والروية والتأمل والاعتبار والنظر والاستبصار والحفظ والتذكار ومعرفة الروايات والاخبار ووضع القياسات واستخراج النتائج بالمقدمات والتكهن والقيافة والفراسة وقبول الوحي والالهام ورؤية المنامات والانذار بالكائنات بعلم النجوم والزجر كل ذلك معاونة لها وتأييد الى البلوغ الى الغاية والوصول اليها. وأما التي تنسب الى النفس الملكية القدسية فهي شهوة القرب الى ربها والزلفى لديه وقبول الفيض منه وافاضة الجود على من دونها من أبناء جنسها كما ذكر الله تعالى بقوله « يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » وقوله سبحانه « يستغفرون لمن في الارض » وقوله « فاغفر للذين تابوا » وقال « كراماً كاتبين » الآية • فهذا تفصيل جملة ما ينسب الى كل جنس من النفوس والمخصوص بها من الشهوات المركوزة فيها فأما التي تعمها كلها فشهوة البقاء على أتم الحالات وأكمل الغايات وكراهية الفناء والنقص عن الحال الافضل والاكمل

فصل

واعلم يا أخي ، أيدك الله بروح منه ، بأنك ان أنعمت النظر فيما وصفنا وتأملت ما ذكرنا وجودت البحث عن مباديء الكائنات وعلة الموجودات علمت وتيقنت ان هاتين الحالتين أعني شهوة البقاء وكراهية الفناء أصل وقانون لجميع شهوات النفوس المركوزة في جبلتها وان تلك الشهوات المركوزة في جبلتها أصول وقوانين لجميع أخلاقها وسجاياها وتلك الاخلاق أصول وقوانين لجميع أفعالها وصنائعها ومعارفها ومتصرفاتها كما سنبين في هذه الفصول

وانما صارت هاتان الحالتان مركوزتين في جبلة كل الموجودات وجميع الكائنات من أجل ان الباري جل ثناؤه لما كان هو علة الموجودات وسبب الكائنات ومبدعها ومخترعها وموجدها ومبقيها ومتممها ومكملها ومبلغها الى أقصى مدى غاياتها وأفضل حالاتها وكان جل ثناؤه دائم البقاء لا يعرض له شيء من الفناء صار من أجل هذا فى جبلة الموجودات محبة البقاء وشهوته وكراهية الفناء وبغضه لأن في جبلة المعلول يوجد بعض صفات العلة دلالة دائمة عليها ، وانما لا يعرض للباري جل ثناؤه شيء من النقص والفناء من أجل انه علة الوجود لذاته وبقاؤه من نفسه ، وأما سائر الموجودات وجميع الكائنات فلوجودها أسباب وعلل ومتى عدم منها شيء أو نقص عرض لها الفناء والنقص والقصور عن البلوغ الى الحال الافضل والوجود الاكمل ، والمثال في ذلك النبات والحيوان فانه متى عدم الغذاء الذى هو هيولى الأجساد ومادة بقائها هلك وانفسد وتغير واضمحل

وهكذا حكم نفوسها متى بطلت هياكلها بطل شعورها واحساسها ولم يمكنها اظهار أفعالها وتأثيراتها فتكون بتلك الحال النفوس موجودة ولكن على حال النقص كما أن تراب أجسادها يكون موجوداً لكن على حال النقص وقد يعلم بأوائل العقول بأن الوجود على الحال الافضل ألذ وأشرف وأفضل من الوجود على النقص ، وقد قالت الحكماء والفلاسفة بأن كل شيء يراد فهو

من أجل الخير والخير يراد من أجل ذاته والخير المحض السعادة والسعادة تراد لنفسها لا لشيء آخر وقد قلنا وبينا في رسالة الايمان بأن السعادة نوعان دنيوية وأخروية فالسعادة الدنيوية هي أن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حالاته وأتم غاياته والسعادة الاخروية أن تبقى كل نفس الى أبد الآبدين على أفضل حالاتها وأتم غاياتها

واعلم يا أخي بأن النفوس الجزئية انما ربطت بأجسادها التي هي أجسام جزئية كيما تكمل فضائلها وتخرج كل ما في القوة والامكان الى الفعل والظهور من الفضائل والخيرات ولم يمكن ذلك الا بارتباطها بهذه الاجساد وتدبيراتها لها كما ان الباري جل ثناؤه لم يكن اظهار جوده وفيض احسانه وافضاله وانعامه الا بايجاده هذا الهيكل العظيم المبني بالحكمة المصنوع بالقدرة أعني الفلك المحيط وما يحويه من سائر الافلاك والكواكب والاركان والمولدات الكائنات وتدبيره لها وسياسته اياها

واذ قد تبين بما ذكرنا ما الغرض وما الفائدة من الشهوات المركوزة في الجبلة وما يتبعها من الاخلاق والخصال وهي ان تدعو تلك الشهوات النفوس الى طلب المنفعة لاجسادها ودفع المكروه والمضرة عنها وتعينها تلك الاخلاق والخصال عليها فنريد ان نبين الآن ما الخير منها وما الشر وما المذموم منها وما المحمود ومتى يكون الانسان مثابا بها أو معاقبا

﴿ فصل ﴾

(في ترتب الاخلاق على بعضها وكونها فضيلة أو رذيلة)

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ، بان الانسان لما كان جسده مركبا من الاخلاط الاربعة وكان مزاجه من الطبائع الاربع جعل الباري جل ثناؤه بواجب الحكمة أكثر أموره وتصاريف أحواله مربعات مشاكلات مطابقات بعضها لبعض ليكون أعون له على ما يراد منه وأدل ، من ذلك انك تجد أخلاقه

وأفعاله بعضها طبيعية مركوزة فى الجبلة كما ذكرنا طرفا من ذلك وبعضها نفسانية اختيارية وبعضها عقلية فكرية وبعضها ناموسية سياسية

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الطبيعة هى خادمة للنفس ومقدمة لها وان النفس خادمة للعقل ومقدمة له وان العقل خادم للناموس ومقدمة له وذلك ان الطبيعة اذا اصلت خلقاً وركزته فى الجبلة جاءت النفس بالاختيار فاظهرته وبينته ثم جاء العقل بالفكر والروية فتممه وكمله ثم جاء الناموس بالامر والنهى فسواه وقومه وعدله وذلك انه متى ظهرت من الطبيعة هذه الشهوات المركوزة فى الجبلة وكانت على ماينبغى فى الوقت الذى ينبغى من أجل ماينبغى سميت خيرا ومتى كانت بخلافه سميت شرا ومتى فعل ذلك باختياره وارادته على ماينبغى بمقدار ماينبغى من اجل ماينبغى كان صاحبه محمودا ومتى كان بخلافه كان مذموما ومتى كان اختياره وارادته بفكر وروية على ماوصفنا كان صاحبه حكيما فيلسوفا فاضلا ومتى كان بخلافه سمى سفيهاً جاهلا رذلا ومتى كان فعله وارادته واختياره وفكره ورويته مأموراً بها ومنهياً عنها وفعل ماينبغى كما ينبغى على ماينبغى كان صاحبه مثابا بها ومجازى عليها ومتى كان بخلاف ماذكرناه كان مأخوذاً بها ومعاقبا عليها فقد تبين بما ذكرنا أن الشهوات المركوزة فى الجبلة والاخلاق المنتشئة منها والافعال التابعة لها وجميع المتصرفات من اجلها هى لان تبقي النفوس على أفضل حالاتها ويبلغ كل نوع منها الى أقصى مدى غاياتها

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان البارى جل ثناؤه لما رتب النفوس مراتبها كمراتب الاعداد المفردات على مااقتضت حكمته جعل أولها متصلا بآخرها وآخرها متصلا باولها بوسائطها المرتبة بينهما لترتقى بها مادونها الى المرتبة التى فوقها ليبلغها الى مدى غايتها وتمام نهاياتها وذلك انه رتب النفوس النباتية تحت الحيوانية وجعلها خادمة لها ورتب الحيوانية تحت الناطقة الانسانية وجعلها خادمة لها ورتب الناطقة الانسانية تحت العاقلة الحكمية وجعلها خادمة لها ورتب العاقلة تحت الناموسية وجعلها خادمة لها ورتب الناموسية تحت الملكية

وجعلها خادمة لهـا ، فاية نفس منها انقادت لرئيسها وامتثلت أمره في سياستها نقلت الى مرتبة رئيسها وصارت مثلها في الفعل، والمثال في ذلك من المشاهد ان أي تلميذ أومتعلم في علم أوصناعة امتثل أمراستاذه وانقاد لمعلمه ودام عليه فانه سيصير يوماًماالى مرتبة استاذه ويصيرمثل معلمه لايخفى هذا على كل عاقل متأمل مثل ماوصفنا فعلى هذا المثال يكون تنقل النفوس في مراتبها

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان أحق النفوس الحيوانية ان تنتقل الى رتبة الانسانية التي هي الخادمة للانسان المستأنسة به المنقادة لامره المتعوبة في طاعته الشقية في خدمته وخاصة المذبوحة منها في القرابين وعلى هذا المثـال والقياس حكم النفوس الانسانية فان احقها ان تنتقل الى رتبة الملائـكة التي هي الخادمة في أوامر الناموس ونواهيه المنقادة لاحكامه المتعوبة في حفظ أركانه كما سنبين بعد هذا الفصل

واعلم ياأخي،أيدك الله وايانا بروح منه، بان الناس أصناف وطبقات في متصرفاتهم في أمور الدنيا لايحصى عددها الا الله جل ثناؤه كماذكر بقوله تعالى «وقدخلقكم أطوارا» ولـكن يجمعهم كلهم هذه السبعة الاقسام وذلك ان منهم أرباب الصنائع والحرف والاعمال ومنهم أرباب التجارات والمعاملات والاموال ومنهم أرباب البنايات والعمارات والاملاك ومنهم الملوك والسلاطين والاجناد وأرباب السياسات ومنهم المتصرفون والخدامون والمتعيشون يوماً بيوم ومنهم الزمنى والعطل وأهل البطالة والفراغ ومنهم أهل العلم والدين والمستخدمون في الناموس وكل طائفة من هذه السبعة تنقسم الى اصناف كثيرة،ولـكل صنف منها أخلاق وطباع وسجايا وما رب أكسبتهم اياها أعمالهم واوجبتها لهم متصرفاتهم لايشبه بعضها بعضاً ولايحصى عددها الا الله عز وجل

ولـكن نريد ان نذكر منهـا ما يحتاج اليـه من الاخـلاق والسجايا والخصال والاعمـال والاداب والعلوم أهل الدين المتمسكون باحكام الناموس الحافظون أركانه الذين يرجى لهم النجـاة بهـا والفوز باستعمالها كماذكر

الله جل ثناؤه « قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » وقوله « ينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم » وقال تعالى « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى » الى آخر الآية ، وآيات كثيرة من القرآن في مثل هذه المعاني.

﴿ فصل ﴾

(في مراتب الناس في الاخلاق حسب الاعمال)

اعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بان الناس اذا اعتبرت أحوالهم وتبينت أمورهم وجدتهم كلهم كالآلات والادوات لواضعي النواميس الالهية في تأسيسهم بنيانها وتتميمهم أحكامها وتكميلهم شرائطها وحفظهم أركانها ثم تجدهم خدما وخولا للملوك الذين هم خلفاء الانبياء من بعدهم في حفظها وحراستها على نظامها وترتيبها كما رتبها واضعو النواميس وأمروا بمراعاتها ، وهم في ذلك أصناف وطبقات ومراتب مرتبات كترتيب الاعداد المفردات وذلك ان واضع الناموس في مبدئه كالواحد في العدد وأصحابه وأنصاره الذين اتبعوه كالآحاد ومن تبعهم على مناهجهم كالعشرات ومن جاء من بعدهم كالمئات ومن بعدهم كالالوف ومن جاء من بعدهم كعشرات الالوف ومئات الالوف بالغاً مابلغ الى يوم القيامة ثم يصيرون بذلك كلهم جملة واحدة كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله وأشار الى هذا المعنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون » وقال « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفا »

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بانك اذا أنعمت النظر في الامور المعقولة وجودت التأمل لاحكام الناموس وحدوده واعتبرت أحوال صاحب الناموس ونفاذ أمره ونهيه في نفوس اتباعه وانصاره وامتثالهم أمره ونهيه وطاعتهم له تبينت وعرفت بان الناموس مملكة روحانية وان وجوده وقوامه في حفظ اركانه الثمانيـة وتبينت بان اركانه الذين هم اتباع صاحب الناموس وانصاره وهم ثمانية اصناف كل صنف منهم كأنهم صف قيام حاملون ركناً من اركان الناموس

فاول الاصناف هم قراء تنزيله وكتبه وحفاظ الفاظه على رسومها ومعلموها لمن بعدهم من ذراريهم ليؤدوا الى من بعدهم من اتباعهم ما أخذوا ممن قبلهم كل ذلك لكيلا يجهلها من يجيء من بعدهم وتنسى فتندرس معالم الدين وتضمحل وتبطل احكام الناموس ، والصنف الثاني هم رواة أخباره وناقلو احاديثه وحافظو سيره ومؤدوها الى من بعدهم ليبلغوها الى آخرهم كيلا يجهل وينسى فتندرس آثاره وتموت أخباره فلا تعرف ، والصنف الثالث هم فقهاء احكام الناموس وعلماء سننه وحفاظ حدوده كيلا تجهل فلا تستعمل أو تنسى فتندرس معالم الدين وتضمحل ويبطل الناموس ، والصنف الرابع هم المفسرون الفاظ تنزيله الظاهرة وأقاويله المروية والمعبرون عن وجوه معانيه المختلفة لمن قصر فهمه عنها وقلت معرفته بها كل ذلك كيلا يجهلها من يجيء من بعدهم من ذراريهم واتباعهم في احكام الناموس أو تنسى فتندرس معالم الدين وتضمحل وتبطل احكام الناموس ، والصنف الخامس هم أنصاره المجاهدون وغزاة اعدائه الحافظون ثغور بلاد اتباع صاحب الناموس وانصاره كيلا يغلب عليها اعداؤهم ويفسد أمر دينهم عليهم كما فعل بخت نصر بايلياء في هيكل بنى اسرائل وهو ببيت المقدس وكما فعلت الروم بثغور المسلمين ، والصنف السادس هم خلفاء صاحب الناموس في أمته ورؤساء الجماعات والحارسون شريعته على أمته بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر المانعون لهم أن يسيروا بغير سيرة الناموس الحافظون اطراف المملكة كيلا يخرج خارجي سراً أو علانية فيفسد احكام الناموس بتمويهه وزوره على قلوب العامة والجهال كما فعل مزدك الخرمي في مملكة قبادملك الفرس ، والصنف السابع هم الزهاد والعباد في المساجد والرهبان والقوام في الهياكل والخطباء على المنابر الواعظون الناس المحذرون لهم من ترك استعمال احكام الناموس الذامون أمور الدنيا المحذرون لهم من الاغترار بامانيها المزهدون للمنهمكين في الشهوات المذكرون أمر المعاد وأحوال القيامة للغافلين عنها المشوقون الى نعيم الآخرة المقرون بها ، كل ذلك كيلا يجهل أمر المعاد ولا ينسى ذكر الآخرة والاستعداد

للرحلة اليها والتزود من الدنيا التقوى الذي هو خير الزاد اذ كان هذا هو الغرض الاقصى في وضع الناموس الالهي والغاية والمطلب من الرياضيات الفلسفية، والصنف الثامن هم علماء تأويل تنزيله والراسخون في العلوم الالهيـة والمعارف الربانيـة العارفون خفيات اسرار الناموس الذين هم الائمة المهديون والخلفاء الراشدون الذين يقضون بالحق وبه يعدلون

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بانك اذا تأملت ونظرت الى كل صـنف من هـذه الاصناف الثمانية واعتبرت أحوالهم وما هم عليه ومتعلقون به من حفظ هذه الامور الثمانية وحرصهم على مراعاتها بشرائطها كما وصفنا ثم نظرت بعين قلبك ونور بصيرتك وصفاء جوهرك الى جملتهم وتخيلتها في وهمك وفكرت ، رأيت الناموس مملكة روحانية ورأيت أتباع صاحب الناموس وأنصاره يسعون فيه ويعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، ورأيت واضع الناموس قد استوى على عرشه نافذاً فيهم أمره ونهيه وهم حاملون عرشه يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن في الارض وهم من بعدهم من اتباعهم لانهم كالسماء لمن بعدهم ومن بعدهم كالارض لهم ولمن قبلهم من اسلافهم

واعلم يا أخي بان كل طائفة من هذه الاصناف الثمانية تحتاج في حفظها ركنا من أركان الناموس الى شرائط معلومة وخصال محمودة وأخلاق جميـلة نحتاج ان نشرحها ونصفها: اما التي يحتاج اليها القراء والحفظة من الاخلاق الجميلة والخصال المحمودة والشرائط المعلومة فاولها فصاحة الالفاظ وتقويم اللسان وطيب النغمة وجودة العبارة وسرعة الحفظ وجودة الفهم ودوام الدرس والنشاط في القراءة والتواضع لمن يتعلم منه والتعظيم له ومعرفة حقه وحرمتـه والرفق بمن يعلمه والشفقة عليه وقلة الضجر من ابطاء فهمه وحفظه وترك ضيق الصدر من تلقينه وقلة الطمع في أخذ العوض منه وقلة المنة عليه بما يعلمه. واما التي يحتاج اليها من

هذه الخصال والاخلاق أصحاب الاخبار وحملة الاحاديث فاولها جودة الاستماع واستيفاء الكلام وضبط الالفاظ على رسمها وتقييدها بالكتابة والتحرز والتحرج والحذر من الزيادة فيها والنقصان عن تمامها والصدق وحسن الاداء وتجنب الكذب ، ثم الحكاية عنها بهيأتها وبذلها ونشرها لمن سأل عنها أو يصلح له الاخبار عنها ، وطيها وصونها عمن لا تصلح له ولا تليق به ، كل ذلك نصيحة للاخوان ونصرة للدين ولواضع الناموس وابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه في الآخرة

واما التي يحتاج اليها الفقهاء والقضاة والمفتون من هذه الخصال والاخلاق والشرائط المحمودة فيها والقيام منها بعالم بسبيله فاولها معرفة الرتب التي رتبها واضع الناموس من الاوامر والنواهي والفرائض والسنن والنوافل والحلال والحرام والحدود والاحكام ، ثم معرفة القياس وكيفية استخراج الفروع من الاصول فى الفتاوى والمسائل الواردة التي ليس لها ذكر فى الأصول ، والتثبت والتأني في الفتيا والاستقصاء في استفهام السؤال بجميع شرائطه ، ثم قلة الترخيص فى الشبهات من المحذورات وترك التحرج في المشكلات ودرء الحدود بالشبهات وقلة الخلاف مع أبناء الجنس وترك الحسد للاقران وبذل النصيحة للاخوان والشفقة والتحنن على الجهال وترك الافتخار في الاصابة في الاحكام وقلة الشنعة على العلماء بزلاتهم والاحتمال لاذية الجيران وقلة الرغبة في حطام الدنيا وعفة الفرج وترك الطمع والقيام بواجب أحكام الناموس وان لا يكون قوله مخالفا لعمله

واما التي يحتاج اليها من هذه الخصال والاخلاق والشرائط المفسرون لالفاظ التنزيل فاولها معرفة غرض صاحب الناموس في ايراده التنزيل واستعماله الالفاظ المشتركة المعاني ثم ان يكون له اتساع في معرفة تصاريف الكلام والاقاويل وما يحتملها من المعاني مما يؤكد غرض واضع الناموس ويكون له جودة بحث وبعد غور في استخراج المعاني ولطف العبارة عنها بحسب ما تحتمل عقول المستمعين ويقرب من فهم المتعلمين ويكون له من يقظة القلب ما لا يناقض في أقاويله وعباراته

ولا في المعاني التي يشير اليها في تفسيره لالفاظ تنزيل واضع الناموس وأقاويله وكلامه وبيانه

واعلم يا أخي بانه متى لم يكن المفسر عارفاً بغرض واضع الناموس في ايراده الالفاظ المشتركة المعاني في تنزيله وأقاويله وعبارته وبيانه تخيل له من تلك الالفاظ من المعاني غير ما أشار اليه واضع الناموس وتوهم سوى ما أرادفيها فأفهم المستمعين من تفسيره ما تخيل هو وعلم المتعلمين ما علم به فصار له ذلك ديناً ومذهبا غير دين واضع الناموس وطريقته وكان مخالفاً له في اعتقاده في الشريعة وهو لا يشعر ويكون بذلك مفسداً في أحكام الناموس وهو يظن انه من المصلحين ولا يدرى فاحذر يا أخي من هذا الباب فان فساد ديانات واضعي الناموس وأحكام شرائعهم أكثرها من هذا الباب يكون

واما التي يحتاج اليها من هذه الخصال والاخلاق والشرائط أنصار واضع الناموس وغزاة أعدائه والحافظون ثغور بلاد أتباعه وأنصاره ان يكون لهم تعصب للدين وغيرة على حرمة الناموس وحمية من أجل فساد يدخل عليه وحنق على الاعداء المجاهرين بالعداوة لواضع الناموس ودينه المريدين فساد أحكامه وقلة الهيبة منهم وشجاعة النفس عند البراز وخفة الحركة عند الجولان وتيقظ القلب من غدر العدو وأخذ الحذر في أوقات الغفلة وقلة الاغترار بقلتهم وطلب الحيلة للظفر ما استوى من غير قتال ومخادعة في الحروب ومبادرة في البراز الى الاقران والاكفاء وصبر عند اللقاء وكثرة الذكر لله عزوجل والاستعانة به والانفة من الفرار وما يكون فيه من العار وقلة الرغبة في النهب والتقية من هتك الحريم عند الظفر وكثرة الشكر لله وترك الافساد عند هزيمة العدو ورحمة الاسير وقبول الصلح عند الهدنة والوفاء بالعهد وترك الاعجاب عند كثرة عدد الاعوان والانصار

واما التي يحتاج اليها من هذه الخصال والاخلاق والشرائط الزهاد والعباد والمذكرون للناس أمر الآخرة وذكر المعاد فاولها التي هي أساس الدين وملاك

الامر القناعة باليسير من حطام الدنيا والرضى بالقليل من متاعها ولذاتها وصيانة النفس عن الانهماك في شهواتها ولذاتها وترك طلب المنزلة والجلالة والكرامة وقلة الحرص في طلب الحاجات فيها والاشتغال بطلب العلم والعبادة بالصوم والصلاة مع أبناء الجنس وترك الخلطة في الراغبين فيها من أبنائها والتفرد في الخلوات وكثرة ذكر الموت وفناء نعيم الدنيا وزوال ملكها والنظر الى آثار القرون الماضية والاعتبار بها والدور الخربة والمنازل الدارسة العافية للامم الخالية والنظر في كتب الحكماء وأخبار سير الملوك الماضية والتفكر في الامثال المضروبة على ألسنة الحكماء ذوى التجربة في وصفهم الدنيا واعتبارهم تصاريف الزمان ونوائب الحدثان والتيقن بامر المعاد وشدة الاشتياق الى نعيم الاخرة دار القرار مع الابرار من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

واما التى يحتاج اليها من هذه الخصال والاخلاق والشرائط خلفاء واضع الناموس وهم طائفتان احداهما خلفاؤه في الملك والرياسة في أمور الدنيا والتدبير والسياسة في حفظ ظاهر أحكام الناموس على أهله فقد أفردناله رسالة اذ كان هذا الباب يحتاج الى خطب طويل وشرح كثير واما خلفاؤه في اسرار أحكام الناموس الذين هم الائمة المهديون والخلفاء الراشدون فقد بينا أخلاقهم وخصالهم وشرائطهم وعلومهم ومعارفهم وطرائقهم في احدى وخمسين رسالة عملناها ودوناها وهذه الرسالة واحدة منها، فقم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه، بالعمل بواجبها والقيام بحقها وأخبر جميع اخواننا حيث كانوا في البلاد بما في هذه الرسالة والرسائل الاخر، اذ الدال على الخير كفاعله

وقد بينا بما ذكرنا طرفاً من خصال صاحب الناموس وحكم اتباعه معه في حفظهم أركان الناموس وتصاريف أحوالهم في الدنيا فنريد ان نذكر طرفا من كيفية أحوالهم في الآخرة وتصاريف أحكامها اذ كان هذا هو الغرض الاقصى في وضع النواميس الالهية وسنن الديانات النبوية

فاعلم يا أخي بأن لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهراً وباطنا وظواهر الامور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وان الناموس هو أحد الاشياء الموجودة في هذا العالم منذ كان الناس وله أحكام وحدود ظاهرة بينة يعلمها أهل الشريعة وعلماء أحكامها من الخاص والعام ولاحكامه وحدوده أسرار وبواطن لا يعرفها إلا الخواص منهم والراسخون في العلم

واعلم يا أخي بأن الناموس وضع لصلاح الدين والدنيا جميعاً وأن الدنيا والآخرة هما داران متقابلتان واسماهما متضادان ومعناهما وحقيقتهما وصفتهما مختلفات متضادات احداهما كالقشرة وهي الدنيا والاخرى كاللب وهي الآخرة ولهما أهل وبنون ولاهلهما وبنيهما صفات وأخلاق وسجايا وأعمال متخالفات متضادات نحتاج ان نشرحها ونفصلها ونذكر الفرق بينها وبين حقيقتها ونميز بين أهلها ليعلمها ويعرفها كل من أراد ان يفهمه ويريد هذا العلم اذ كان هو من أشرف العلوم وأجل المعارف التي يتعاطاها الناس من سائر العلوم فنقول: اما الدنيا فاسمها مشتق من الدنو والقرب والآخرة من التأخر واما حقيقتهما فالدنيا هي تصاريف أمور تجري على الانسان من يوم ولادة الجسد الى يوم الممات الذي هو ولادة النفس ومفارقتها اياه والآخرة هي تصاريف أمور تجري على الانسان من يوم الممات ومفارقة النفس الجسد الى ما بعدها أبد الابدين ودهر الداهرين

واعلم يا أخي بأن الله جل ثناؤه سمى الحياة الدنيا عرضاً ومتاعاً الى حين لأن كون الانسان في الدنيا عارض عرض في طريق الآخرة ولم يكن القصد والغرض المقام فيها كما ان الغرض في الكون في الرحم لم يكن الغرض والقصد طول المكث والمقام هناك ولكن طريقا وجوازا الى الدنيا فكذلك كون النفس في هذا الجسد هو سفينة ومركوب ومعبر الى الدار الآخرة وذلك انه لم يكن الورود الى الدنيا دون الكون هنالك زمانا لتتميم بنية الجسد وتكميل صورته كما بينا في رسالة مسقط النطفة فهكذا أيضاً حكم المكث في الدنيا والكون فيها زمانا هو طريق وجواز الى ما بعدها وذلك انه لم يمكن الورود الى الدار الاخرة دون الجواز على

الدنيا والكون فيها زمانا ما لكيما تتم أحوال النفس وتكمل فضائلها كما بينا في رسالة الانسان عالم صغير ورسالة حكمة الموت

ولهذا المعنى الذي ذكرناه ووصفناه قيل في الخطب على المنابر في الاعياد والجمعات اعلموا أيها الناس انكم انما خلقتم للابد ولكن من دار الى دار تنقلون ومن الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى الدنيا ومن الدنيا الى البرزخ ومن البرزخ الى الجنة أو الى النار كما ذكر الله عز وجل بقوله « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » وقوله « يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » وقوله « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا » وآيات كثيرة فى القرآن فى التزهيد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة مثل قوله تعالى « وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » يعني أبناء الدنيا لرغبوا فيها أكثر وحرصوا فى طلبها أشد ولكنهم عنها غافلون ساهون جاهلون لا يدرون ما هناك من النعيم واللذات والسرور والفرح والراحة كما ذكر الله عز وجل واختصر بقوله « فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون » فلما جهل أبناء الدنيا أمور الآخرة وغفلوا عنها اشتغلوا عند ذلك بطلب الدنيا ونعيمها ولذاتها وشهواتها وتمنوا الخلود فيها لانها محسوسة لهم يشهدونها وتلك غائبة عن ادراك الحواس فتركوا البحث عنها والرغبة فيها والطلب لها واليهم أشار بقوله جل ثناؤه « ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون »

واعلم يا أخي بأن الله جل ثناؤه سمى الدار الآخرة الحيوان لانها عالم الارواح ومعدن النفوس والدنيا عالم الاجسام وجواهر الاجسام موات بطباعها وانما تكسبها الحياة النفوس والارواح بكونها فيها ومعها كما تكسب الشمس الهواء النور والضياء باشراقها عليه وفيه الدليل على ان النفوس هي التي تكسب الاجساد الحياة بكونها معها وما يرى من حال الاجساد قبل الموت من الحس والحركة والشعور والاصوات والتصاريف وكيفية فقدانها ذلك عند الموت الذي ليس هو شيئا سوى مفارقة النفس الجسد مما لا اخفاء به عند كل عاقل منصف بعقله في موجبات أحكامه

واعلم يا أخي بأن أكثر الناس من اتباع واضعي الناموس وأنصارهم مقرون بالآخرة مؤمنون بها ولكنهم لا يعرفون ماهيتها ولا يدرون ماحقيقتها ولا كيفيتها ولا أبنيتها ولا متى وقت الوصول اليها وهكذا أيضاً كثير من المتفلسفين مقرون بعالم الارواح وجواهر النفوس ولكن أكثرهم أيضاً لا يدرون كيف الطريق نحوها ولا كيف الوصول وقد بينا نحن في رسائلنا الناموسية والعقلية مايحتاج اليه كلا الفريقين جميعاً في هذا المعنى. وإذ قد تبين بما ذكرنا ماالدنيا وما الآخرة فنقول الآن ان الناس كلهم أبناء الآخرة وأهلها كما هم أبناء الدنيا وأهلها ولكنهم ينقسمون في الآخرة قسمين اثنين كما هم في الدنيا قسمان اثنان سعداء وأشقياء فأما سعداء بني الدنيا وأشقياؤهم فهم معروفون ولسنا نحتاج الى ذكرهم اذ كان هذا هو مشاهد ولكن الذي نحتاج أن نذكره علامات سعداء أبناء الآخرة وأخلاقهم وأعمالهم إذ كان هذا أمراً خفياً لا يعلم إلا بعد الوصف والشرح والدليل والعلامات .

فصل

في انقسام الناس في السعادة أربعة أقسام

اعلم يا أخي ان الناس ينقسمون في سعادة الدنيا والآخرة وشقائهما أربعة أقسام : فمنهم سعداء في الدنيا والآخرة جميعاً ومنهم أشقياء فيهما جميعاً ومنهم أشقياء في الدنيا سعداء في الآخرة ومنهم سعداء في الدنيا أشقياء في الآخرة .

فأما السعداء في الدنيا والآخرة جميعاً فهم الذين وفر حظهم في الدنيا من المال والمتاع والصحة ومكنوا فيها فاقتصروا منها على البلغة ورضوا بالقليل وقنعوا به وقدموا الفضل الى الآخرة ذخيرة لأنفسهم كما ذكر الله تعالى بقوله « وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » وقال الله سبحانه « ووجدوا ماعملوا حاضراً » وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى

وأما سعداء أبناء الدنيا وأشقياء أبناء الآخرة فهم الذين وفر حظهم من

متاعها ومكنوا منهـا وارتقوا فيها فتمتعوا وتلذذوا وتفاخروا وتكاثروا ولم يتعظوا بزواجر الناموس ولم ينقادوا له ولم يأتمروا لامره وتعـدوا حدوده وتجاوزوا المقدار وطغوا وبغوا وأسرفوا ، والله لايحب المسرفين ، وهم الذين أشار اليهم بقوله جل ثناؤه « أذهبتم طيباتكم فيحياتكم الدنيا واستمتعتم بها » الى آخر الآية وقال « من كان يريد الحياة الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب » وآيات كثيرة في القرآن في وصف هؤلاء

وأما أشقياء الدنيا وسعداء الآخرة فهم الذين طالت أعمارهم فيها وكثرت مصائبهم في تصاريف أيامها واشتدت عنايتهم في طلبها وفنيت أبدانهم في خدمة أهلها وكثرت همومهم من أجلها ولم يحظوا بشيء من نعيمها ولذاتها وائتمروا بأوامر الناموس ولم يتعدوا حدوده وقد ذكر الله ذلك في آيات كثيرة من القرآن « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »

وأما أشقياء الدنيا والآخرة فهم الذين بخسوا حظهم من الدنيا ولم يمكنوا منها وشقوا في طلبها فعاشوا فيها طول أعمارهم بأبدان متعوبة ونفوس مهمومة ولم ينالوا خيراً ثم لم يأتمروا بأوامر الناموس ولم ينقادوا لأحكامه وتجاوزوا حدوده ولم يتعظوا بزواجره ولم يعملوا في عمارة بنيانه ولا في حفظ أركانه فهم الذين خسروا الدنيا والآخرة جميعاً ذلك هو الخسران المبين

فصل

وإذ قد تبين بما ذكرنا بأقسام عقلية أنه لايخلو أحد من الناس من أن يكون داخلا في أحد تلك الاقسام الاربعة فنريد أن نذكر أخلاق أبناء الدنيا وطباعهم وأخلاق أبناء الآخرة وسجاياهم ليعرف الفرق بينهم

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن أخلاق بني الدنيـا هي التي ركزتها الطبيعة في الجبلة من غير كسب منهم ولا اختيار ولا فكرة ولا روية ولا اجتهاد ولا كلفة فهم يسعون فيها ويعملون عليها مثل البهائم في

طلب منافع الاجساد ودفع المضرة عنها كما قال الله تعالى ذكره « يأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » وأما أخلاق أبناء الآخرة فهي التي اكتسبوها باجتهادهم إما بموجب العقل والفكر والروية وإما باتباع أوامر الناموس وتأديبه كما سنبين وتصير عند ذلك عادة لهم بطول الدؤوب فيها وكثرة الاستعمال لها وعليها يجازون ويثابون كما ذكر الله تعالى بقوله « وأن ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى »

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بانك اذا أنعمت النظر بعقلك وفكرت برويتك وتأملت أوامر الناموس ونواهيه وأحكامه وحدوده وترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وزجره وتهديده عرفت وتبينت أن أكثر أوامره هي بخلاف ما في طباع الناس ونواهيه عما هو في الجبلة مركوز من ترك الشهوات أو طلب الراحة والنعيم والتلذذ وما هو مركوز في الجبلة، وذلك انه أمر بالصيام وترك الاكل والشرب عند شدة الجوع والعطش وبالطهارة عند البرد وبالقيام في الصلاة وترك النوم على الفراش الوطيء وبالمواساة عند القلة وشدة الحاجة وبالتعفف عند هيجان الشهوة وبالحلم عند سورة الغضب وبالشجاعة عند المخاوف وبالعفو عند المقدرة وبالعدل عند الحكومة وبالصبر عند الشدائد وبالرضى عند مر المقادير وبحسن العزاء عند المصائب وبالاجتهاد والتشمير عند الكسل وبصدق القول عند شدة الخوف منه ، وبالسخاء عند شدة الفقر وبوفاء العهد عند المغيب وبالزهد في الدنيا عند التمكن منها وما شاكل هذه الافعال والاعمال والاخلاق والسجايا التي في الجبلة خلافها وفي الطباع مركوز غيرها ويروى في الخبر انه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى قول الله عز وجل خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين فقال جمع في هذه الآية مكارم الاخلاق وهي سبعة عفوك عمن ظلمك واعطاؤك من حرمك وصلتك لمن قطعك واحسانك الى من أساء اليك ونصيحتك لمن غشك واستغفارك لمن اغتابك وحلمك عمن اغضبك

واعلم يا أخي بان هذه هي أمهات أخلاق الكرام من أولياء الله الذين أشار اليهم بقوله « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا » الى آخر الآية وقوله « رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً » وهي أخلاق الملائكة الذين أشار اليهم بقوله جل ثناؤه « الذين يحملون العرش ومن حوله » الآية. انظر الآن يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه الى ماذكرناه من أخلاق الكرام وتفكر فيها ان كنت تريد ان تكون من أولياء الله وأهل جنته ومن حزب ملائكته الكرام البررة فاقتد بهم وتخلق باخلاقهم باجتهاد منك وروية وعناية شديدة وكثرة استعمال لها وطول دربة بها لتصير لك عادة وطبيعة وجبلة مركوزة وتبقى في نفسك مصورة عند المفارقة ودع اخلاق إخوان الشياطين وجنود إبليس اجمعين واعلم علماً يقيناً بان ليس يصحب الانسان بعد الموت عند مفارقة النفس الجسد ويبقى معه من كل ما يملك في الدنيا من المال والاهل والمتاع الا ما كسبت يداه من هذه الاخلاق والاعمال المشاكلة لها والعلوم والمعارف والاراء التي اعتقدها واضمرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد اليكم وقال الله جل ثناؤه « ووجدوا ما عملوا حاضراً »

واعلم يا أخي بان اخلاق بني الدنيا وسجاياهم انما جعلت طبيعة مركوزة في الجبلة لانهم وردوا الى الدنيا جاهلين غير مستعدين لها فازيحت عللهم في ذلك فاما أبناء الاخرة فصارت اخلاقهم مكتسبة معتادة لانهم ازيحت عللهم قبل ورودهم الى الاخرة بما اعلموا بها واخبروا عنها وبشروا بها وأنذروا منها وجدوا في طلبها وأوضح لهم طريقها وأزيحت عللهم فيما يحتاجون اليه من البيان والاستطاعة والقدرة والهداية والامر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب وما شاكل ذلك مما هو بين واضح في احكام النواميس وحدودها وفي موجبات العقول وقضاياها لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والعقول المركوزة. وإذ قد تبين بما ذكرنا ما العلة وما السبب في كون اخلاق أبناء الدنيا مركوزة في الجبلة واخلاق ابناء الآخرة مكتسبة معتادة فنريد أن نبين أن من الاخلاق المكتسبة

ماهي مذمومة وما هي محمودة وان المحمودة منها ماهي بموجب العقل وقضاياه ومنها ماهي بموجب احكام الناموس وأوامره وهكذا حكم المذمومة منها

واعلم ياأخي بأن كل عاقل ذكي القلب اذا نظر بعقله وتفكر برويته في احوال الناس وميز بين طبقاتهم واعتبر تصاريف أمورهم في دنياهم عرف وتبين له بان منهم خاصاً وعاماً وملوكا وسوقة ويعلم ويتبين له بان اخلاق الملوك وسجاياهم وآداب اتباعهم ومن يصحبهم وينادمهم خلاف اخلاق العامة والسوقة ويعلم بانه لايترك أحد من العامة والسوقة أن يدخل الى مجالس الملوك الا بعد أدب وعلم وسكون ووقار وهيبة وجلالة فيكون في هذا دلالة له فيعلم انه لايمكن أحداً من الناس ولا يليق به ولايتق أن يصعد الى ملكوت السموات وسعة الافلاك والدخول في زمرة الملائكة الا بعد عناية شديدة في تهذيب نفسه واصلاح اخلاقه وصحة اعتقاده وحقيقة معلوماته فيجتهد عند ذلك في اصلاح ماهو فاسد منها ويتجنب ماهو مذموم بحسب ماتوجبه قضية عقله ويؤدي اليه اجتهاده كما هو مذكور في كتب السياسة الفلسفية .

واعلم ياأخي انه لما لم يكن في مكنة كل عاقل أن يفعل ماوصفنا إذ كان يحتاج فيه الى عناية شديدة وبحث دقيق ونظر قوي خفف الله تعالى ذلك عليهم وبعث واضعي النواميس الالهية مؤيدين مع الوصايا المرضية وأمرهم بامتثال أمرهم ونهيهم فبنوا لهم الهياكل والمساجد والبيع ومواضع الصلوات وبيوت العبادات وأمروهم بالدخول اليها بعد طهارة ونظافة ولبس الزينة بسكينة ووقار وأدب وورع وخشوع وتسبيح واستغفار وترك أشياء كانت مباحة لهم وجائزاً أن يفعلوها في بيوتهم وأسواقهم ومجالسهم وطرقاتهم كل ذلك ليكون دلالة لكل عاقل فهم انه هكذا ينبغي أن تكون سيرة من يريد أن يدخل الجنة ويعرج بروحه الى ملكوت السموات طول عمره وايام حياته كلها لتصير عادة له وجبلة وطبيعة ثابتة فيستحق ويستاهل أن يعرج بروحه الى هناك كما ذكر الله تعالى بقوله « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعني روح المؤمن فاذا

تفكر كل عاقل فيما يسمع من الخطب على المنابر فى كل الديانات والملل فى الاعياد والجمعات تبين له حقيقة ماقلنا وصحة ماوصفنا

واعلم يا أخي أن لواضعي النواميس وصايا كثيرة مفننة لان دعوتهم عموم للخاص والعام جميعاً وهم أعني اتباعهم مختلفو الاحوال فبينوا لكل طبقة ماينبغي ويصلح لها ولكن الذي عمهم كلهم هي الدعوة الى الاقرار بما جاؤا به والتصديق لهم بما خبروا عنه من الامور الغائبة علم ذلك اتباعهم أو لم يعلموا هذا هو الايمان كما قال تعالى « ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً » فآمنوا بالله ورسوله ثم أمرهم بعد هذا باشياء ونهاهم عن أشياء كثيرة هي معروفة معلومة عند علماء أهل الشريعة وفقهائهم ولكن آخر ماختمها به قوله « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون » وروى في الخبر بأن هذا آخر مانزل من القرآن .

واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن أوامر الله تعالى لعباده مماثلة لأوامر الملوك وذلك ان من سنة الملوك والخلفاء وكثير من الرؤساء ومن آدابهم انهم اذا تفرس أحدهم في أحد أولاده أو عبيده النجابة والفلاح عنى به أفضل عناية في تعليمه وتأديبه ورياضته وحماه من اللعب واللهو والانهماك في الشهوات ونهاه عن ترك الآداب وسوء الاخلاق ومالايليق بأخلاق الرؤساء والعقلاء والأخيار كل ذلك ليتخرج ويكون مهذباً متهيئاً لقبول مايراد منه أن يكون خليفة لمولاه ومكان أبيه في الرياسة والملك وهكذا كان تأديب الله تعالى لانبيائه ورسله وأوليائه من المؤمنين فيما أمرهم به من اتباع رضوانه ونهاهم عنه من اتباع هوى أنفسهم كما قال تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » وهكذا أيضاً ان كثيراً من أولاد الملوك وعبيدهم إذا أحس من أبيه أو مولاه ماذكرنا أخذ نفسه بامتثال أمره ونهيه وترك شهواته واتباع هواه كل ذلك لما يرجو من الامر الجليل والخطب العظيم فهكذا حكم أولياء الله من المؤمنين الذين يرجون لقاء الله

وأما المتخلفون والمدابير من أولاد الملوك والرؤساء وعبيدهم الاشقياء الذين لايرجون مايوعدون فهم لايقبلون مايؤمرون ولايسمعون مايقال لهم ولايفكرون فيما يقال من الترغيب والترهيب بل يسعون ليلهم ونهارهم في طلب شهواتهم وارتكاب هوى أنفسهم فلاجرم انهم يحرمون ماينال اخوانهم من الرياسة والامر والنهي والسلطان والعز والكرامات فأما هؤلاء المدابير من أولاد الملوك فلايصلحون لشيء غير أن يكونوا رهائن عند أعدائهم أو معتقلين عند اخوتهم فهكذا يا أخي حكم الكافرين والمنافقين والفاسقين في الآخرة يحرمون ماينال المؤمنين من الكرامات والقرب والمراتب والدرجات والسرور واللذات عقوبة لهم لما تركوا من وصية ربهم وارتكبوا هوى أنفسهم وضلوا عن الهدى وحرموا الثواب والجزاء كما قال الله تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » الآية

واذ قد تبين بما ذكرنا أن تأديب الله للمؤمنين مماثل لتأديب الملوك لاولادهم فنقول : اعلم يا أخي ان وعده ووعيده وعذابه للكافرين والمنافقين والفاسقين مماثل لوعيد الطبيب المشفق الحكيم لولده الجاهل العليل كما بينا في رسالة الآلام واللذات وقد ذكر الله وعده للمؤمنين ووعيده للكافرين والمنافقين في القرآن في نحو من ألف آية مثل قوله تعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار » الآية . وانما جعل الله جل ثناؤه ثواب المؤمنين الجنان ونعيم الآخرة لان الايمان خصلة تجمع فضائل كثيرة ملكية وشرائط كثيرة عقلية فللمؤمنين علامات يعرفون بها ويتميزون عن الكافرين والمنافقين . وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسالة الايمان وخصال المؤمنين ولكن نحتاج أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً منها ليكون تذكاراً وموعظة للغافلين كما أمر الله تعالى بقوله : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

فصل

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان خواص عباده المؤمنين العارفين المستبصرين يعاملون الله جل ثناؤه بالصدق واليقين ويحاسبون أنفسهم في ساعات الليل والنهار فيما يعملون كأنهم يشاهدون الله ويرونه فيجدون ثواب أعمالهم ساعة ساعة لا يتأخر عنهم لحظة واحدة وهي البشرى في الحياة الدنيا قبل بلوغهم الى الآخرة ويرون جزاء سيئاتهم أيضا يعقب أفعالهم لا يخفى عليهم الا قليل واليهم أشار بقوله جل ثناؤه : « ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » وبقوله تعالى « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » وقال : « الا عبادك المخلصين » وآيات كثيرة ذكرها بمدحهم وحسن الثناء عليهم وهم أعرف الناس بالله وأحسنهم معاملة معه

وذكروا أن واحداً منهم اجتاز يوماً في بعض سياحته براهب في صومعة له على رأس تل فوقف بازائه فناداه ياراهب فأخرج رأسه اليه من صومعته وقال من هذا ؟ قال: رجل من أبناء جنسك الآدميين ، قال فما تريد قال كيف الطريق الى الله قال الراهب في خلاف الهوى قال له فما خير الزاد قال التقوى قال لم تباعدت عن الناس وتحصنت في هذه الصومعة قال مخافة على قلبي من فتنتهم وحذراً على عقلي الحيرة من سوء عشرتهم فطلبت راحة نفسي من مقاساة مداراتهم وقبيح أفعالهم وجعلت معاملتي مع ربي فاسترحت منهم

قال فاخبرني كيف وجدتهم قال أسوأ قوم وأشر أصحاب ففارقتهم قال فكيف وجدتم يا معشر أتباع المسيح معاملتكم مع ربكم فاصدقني القول ودع عنك تزويق الكلام وزخارف الالفاظ فسكت الراهب متفكراً ثم قال أسوأ معاملة تكون قال له وكيف ذلك قال لانه أمرنا بكد الابدان وجهد النفوس وصيام النهار وقيام الليل وترك الشهوات المركوزة في الجبلة ومخالفة الهوى الغالب ومجاهدة العدو المتسلط والرضى بخشونة العيش والصبر على الشدائد

والبلوى ومع هذه كلها جعل الاجر نسيئة في الآخرة بعد الموت مع بعد الطريق وكثرة الشكوك والحيرة فهذه حالتنا في معاملتنا مع ربنا فخبرني عنكم يامعشر أتباع أحمد كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم قال خير معاملة تكون واحسنها

قال الراهب صفها لي قال له انه أعطانا سلفا كثيرة ومواهب جزيلة لا تحصى فنون أنواعها من النعم والاحسان والافضال فنحن ليلنا ونهارنا نتقلب في أنواع من نعمه وفنون من آلائه ما بين سالف معتاد وآنف مستفاد وخالف منقاد قال الراهب كيف خصصتم بهذه المعاملة دون غيركم والرب واحد قال أما النعمة والاحسان والافضال فعموم للجميع قد عمتنا كلنا ولكن نحن خصصنا بحسن الاعتقاد وصحة الرأي والاقرار بالحق والايمان والتسليم فوفقنا لمعرفة الحقائق لما اعطينا بالانقياد والايمان والتسليم وصدق المعاملة من محاسبة النفس وملازمة الطريق وتعقد تصاريف الاحوال الطارئة من الغيب ومراعاة القلب بما يرد عليه من الخواطر والوحي والالهام ساعة بساعة

قال الراهب زدني في البيان قال نعم اسمع ما أقوله وافهمه واعقل ما تفهم ان الله جل ثناؤه لما خلق الانسان من طين ولم يكن شيئاً مذكورا وجعل نسله من سلالة ماء مهين ثم جعله نطفة في قرار مكين ثم قلبه حالا بعد حال تسعة أشهر الى أن أخرجه من هناك خلق سوياً بنية صحيحة وصورة تامة وقامة منتصبة وحواس سالمة ثم زوده من هناك لبناً لذيذاً خالصاً سائغاً لذة للشاربين حولين كاملين ثم رباه وأنشأه وأنماه بفنون من لطفه وغرائب من حكمته الى أن بلغه أشده واستوى ثم آتاه حكماً وعلما وقلبا ذكيا وسمعا دقيقا وبصراً حاداً وذوقا لذيذاً وشما طيبا ولمسا لينا ولسانا ناطقا وعقلا صحيحا وفهماً جيداً وذهنا صافيا وتمييزاً وفكراً وروية ومشيئة واختياراً وجوارح طائعة ويدين صانعتين ورجلين ساعيتين ثم علمه الفصاحة والبيان والخط بالقلم والصنائع والحرف والزراعة والبيع والتجارة والتصرف في المعاش وطلب وجوه المنافع واتخاذ

البنيان وطلب العز والسلطان والامر والرياسة والتدبير والسياسة وسخر له ما في الارض جميعا من الحيوان والنبات والمعادن فغدا متحكما عليها تحكم الارباب ومتصرفا فيها تصرف الملاك متمتعا بها الى حين ثم أراد الله ان يزيده من احسانه وفضله وجوده وانعامه شيئا آخر أشرف وأجل مما عددناوذكرنا وهوما أكرم الله به ملائكته وخالص عباده وأهل جنته من النعيم الذي لا يشوبه نقص ولا تنغيص اذ كان نعيم الدنيا مشوبا بالبؤس ولذاتها بالالام وسرورها بالحزن وراحتها بالنصب وعزها بالذل وصفوها بالكدر وغناها بالفقر وصحتها بالسقم وأهلها فيها معذبون في صورة المنعمين مفتنون في صورة المغبوطين مغرورون في صورة الواثقين مهانون في صورة المكرمين وجلون غير مطمئنين خائفون غير آمنين مترددون بين الاضداد من نور وظلمة وليل ونهار وشتاء وصيف وحر وبرد ورطب ويابس ونوم ويقظة وجوع وشبع وعطش وري وراحة وتعب وشباب وهرم وقوة وضعف وحياة وموت وما شاكل ذلك من الامور التى أهل الدنيا وأبناؤها مترددون بينها متحيرون فيها مدفوعون اليها فأراد ربك أن يخلصهم من هذه الآلام المشوبة باللذات وينقلهم منها الى نعيم لا بؤس فيه ولذة لا يشوبها ألم وسرور بلا حزن وفرح بلا غم وعز بلا ذل وكرامة بلا هوان وراحة بلا تعب وصفو لا يخالطه كدر وأمن بلا خوف وغناء بلا فقر وصحة بلا سقم وحياة بلا موت وشباب بلا هرم ومودة لازمة ونور لا يشوبه ظلام ويقظة بلا نوم وذكر بلا غفلة وعلم بلا جهالة وصداقة بلا عداوة بين أهلها ولا حسد ولا غيبة اخوانا على سرر متقابلين آمنين مطمئنين أبدالآبدين ودهر الداهرين ولما لم يمكن أن يكون الانسان هناك بهذا الجسد الفاني والجسم الثقيل المستحيل الطويل العريض العميق المظلم المركب من أجزاء الاركان المتضادة المؤلفة من الاخلاط الاربعة اذ كان لا يليق بمن هذه سبيله من تلك الاوصاف الصافية والاحوال الباقية اقتضت العناية بواجب حكمة الباري جل ثناؤه أن ينشأ نشوءاً آخر كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله « ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا

تذكرون » يعنى النشأة الاخرى وقال « وتنشئكم فيما لا تعلمون » وقال« ثم ينشىء النشأة الآخرة » فبعث بلطفه أنبياءه ورسله يرغبونهم فيها ويدلونهم على طريقها كيما يطلبوها ويكونوا لها مستعدين قبل الورود اليها ولكي يسهل عليهم مفارقة ما ألفوا من الدنيا من شهواتها ولذاتها وتخف عليهم شدائد الدنيا ومصائبها اذ كانوا يرجون بعدها ما يغمرها ويمحو ما قبلها من نعيم الدنيا وبؤسها ويحذرونهم أيضا التواني في طلبها كى لا يفوتهم ما وعدوا به فانه من فاتته فقد خسر الدنيا والآخرة جميعا وضل ضلالا بعيداً وخسر خسرانا مبينا

فهذا رأينا واعتقادنا يا راهب فى معاملتنا مع ربنا وبهذا الاعتقاد طاب عيشنا في الدنيا وسهل علينا الزهد فيها وترك شهواتها واشتدت رغبتنا في الآخرة وزاد حرصنا في طلبها وخف علينا كد العبادة فلا نحس بها بل نرى أن ذلك نعمة وكرامة وعز وشرف اذ جعلنا اهلا ان نذكره واذ هدى قلوبنا وشرح صدورنا ونور أبصارنا لما عرفنا من كثرة انعامه وفنون ألطافه واحسانه ، قال الراهب جزاك الله خيرا من واعظ ما أبلغه ومن ذاكر أنعاماً ما أحسنه ومن هاد رشيد ما أبصره وطبيب رفيق ما أحذقه وأخ ناصح ما أشفقه

فصل

واعلم يا أخي ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بأن الامور الطبيعية محيطة بنا ومحتوية على نفوسنا كاحاطة الرحم بالجنين وكاحاطة قشرة البيضة بمحها كل ذلك حرص من الطبيعة على تتميمها وتكميلها وصيانتها من الآفات العارضة الى أجل معلوم فاذا جاء وقت الخروج من هناك بعد تتميم البنية وتكميل الصورة فالجنين حينئذ هو الذى يحرك أعضاءه ويركض برجليه ويضرب بيديه حتى يخرق المشيمة وتنقطع تلك الأوتار والرباطات التى كانت تمسكه هناك ويمكنه الخروج من الرحم وكذلك أفعال الفرخ بالبيضة فهذا قياس ودليل لكل نفس

تريد فراق الدنيا والخروج من عالم الاجسام الى عالم الارواح وتنبيه لها على أنه ينبغي لنا أن نتحرك ونجتهد حتى ندفع عن أنفسنا الاخلاق الطبيعية المركوزة في الجبلة المذمومة منها المانعة للنفوس عن النهوض والخروج من عالم الكون والفساد الى عالم الافلاك وسعة السموات ومعدن الأرواح ومقر النفوس

فلما كان هذا كما ذكرناه ولم يكن في منة انسان أن يعقل هذا الامر الجليل ويفهم هذا الخطب الخطير كان من فضل الله واحسانه واكرامه لعباده أن بعث اليهم النبيين والمرسلين مؤيدين ليعلموا الناس هذه الامور ويعرفوهم هذا الخطب وينبهوهم عليه ويدعوهم اليه ويرغبوهم فيه ويحثوهم على طلبه ويكلفوهم الاجتهاد في نيله طوعاً أوكرها وهذه من جسيم نعم الله سبحانه على عباده وعظيم احسانه اليهم الذى عمهم كلهم ولم يخص أحدهم دون الآخر .واذ قد تبين بما ذكرنا بأن بعض نعم الله تعالى واحسانه ماهى عموم لجميع خلقه لا يخص واحداً دون الآخر فنريد أن نذكر مايخص منها ونبين كيف يكون ذلك ومن يستحقها ويستأهلها

فاعلم يا أخي أن من نعم الله واحسانه واكرامه ما يخص به خواص من عبيده بحسب اجتهادهم وسعيهم وحسن معاملتهم ويحرمه قوماً آخرين ، عقوبة لهم ، اذ كان سعيهم واجتهادهم ومعاملتهم بخلاف سعي أولئك واجتهادهم فهذا الباب من عدله وانصافه بين خلقه اذ كان الاحسان اليهم والنعم التي هي من قبله تفضلا عليهم تعمهم كلهم والتي يستحقونها بحسب سعيهم ويستأهلونها باجتهادهم لا يساوي بينهم فيها اذ لم يكونوا متساوين في العمل

واعلم يا أخي بأن الله جل ثناؤه لما بعث أنبياءه ورسله الى الامم الجاهلة الغافلة عن هذا الامر الجليل الخطير لم يأمرهم ولا كلفهم شيئا شاقا سوى ما في وسع طاقتهم من القول والعمل والنية والاضمار فاول شيء أمرهم الانبياء وطالبوهم به هو الايمان الذي هو اقرار اللسان لهم بما جاؤا به من الانباء والاخبار عن أمور غائبة

عن حواسهم وترك الجحود والانكار لها كما ذكر بقوله جل ثناؤه «قل ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً» فآمنوا بالله ورسوله. فمن أعطاه الاقرار باللسان وثبت عليه ولم يرجع كان جزاؤه ومكافأته لاقراره في الدنيا عاجلا ان يهدي الله قلبه بنور اليقين ويشرح صدره للتصديق بما أخبر به عن الغيب وينجي قلبه من ألم الكرب والتكذيب ويخلص نفسه من عذاب الشك والريبة والحيرة كما وعد جل ثناؤه بقوله «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» يعني من يقر بلسانه يهد قلبه للتصديق واليقين والاخلاص وقال «والذين اهتدوا» يعني اقروا «زادهم هدى» يعني يقيناً واستبصاراً وآتاهم تقواهم يعني أزال عنهم الشك والارتياب

واعلم ياأخي بان المقر بلسانه والمنكر بقلبه يكون شاكا مرتابا متحيراً دهشاً وهذه كلها آلام للقلوب وعذاب للنفوس فاراد الله جل ثناؤه ان يخلص عباده المقرين لانبيائه بما جاءوا به من هذه الآلام والعذاب فامر المقرين باشياء يفعلونها ونهاهم عن أشياء ليتركوها كل ذلك ليبلوهم فمن قبل وصاياه وعمل بها وثبت عليها كان جزاؤه وثواب عمله في الدنيا عاجلا قبل وصوله الى الآخرة ان هدى قلوبهم بنور اليقين وشرح صدورهم من ضيق الشك والريبة والانكار والحيرة والدهشة والنفاق وخلصهم من عذابها واما من ترك الوصية ولم يعمل بها بل خادع ومكر واضمر خلاف ماأظهر واسر غير ماأعلن وأخلف الوعد وأقام على هذه المساوىء والمخازي كان جزاؤه وعقوبته ان يترك في ريبة مترددا في دينه متحيرا شاكا مذبذباً معذبا قلبه متألمة نفسه كما ذكر الله تعالى بقوله «فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماعدوه وبما كانوا يكذبون» وقوله تعالى «ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون» وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله انى يؤفكون . فقد تبين بما ذكرنا طرف من كيفية اختصاص الله تعالى المؤمنين بافضاله وانعامه واحسانه الى قوم دون قوم مكافأة لهم بحسب معاملتهم مع ربهم في عاجل الحياة الدنيا

قبل وصولهم الى الآخرة وكيف يحرم تلك النعم قوما آخرين عقوبة لهم وجزاء لما تركوا من وصاياه ولم يعملوا بها

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله بانه جل ثناؤه قد فرض على المؤمنين المقرين به وبانبيائه أشياء يفعلونها ونهاهم عن أشياء ليتركوها كل ذلك ليبتليهم بها وجعلها عللا وأسبابا ليرقيهم فيها وينقلهم بها حالا بعد حال الى ان يبلغهم الى أتم حالاتهم وأكمل غاياتهم

واعلم يا أخي بان من بلغه الله درجة ورتبة فوقف عندها ولم يرجع القهقرى بعد بلوغها ثم قام بحقها ووفى بشرائطها جعل جزاءه وثوابه ان ينقله من تلك الرتبة والدرجة الى مافوقها ويرفعه من تلك الى ماهو أشرف وأجل منها ومن جهل قدر النعمة فى تلك الرتبة فلم يشكرها ولا اجتهد في طلب مافوقها ولا رغب في الزيادة عليها كان جزاؤه ان يترك مكانه ويوقف حيث انتهى به عمله ويحرم المزيد فيفوته ماوراء ذلك وفوقه من الدرجات والمراتب وكان ذلك الفوت والحرمان هو عقوبته والمثال فى ذلك ماتقدم ذكره فى أمر المؤمنين المقرين المخلصين الصادقين والمنافقين المخادعين المرتابين وقد ذكر الله تعالى علامات المؤمنين المخلصين الموقنين الصادقين وأعمالهم وأخلاقهم فى آيات كثيرة من سور القرآن وذكر أيضاً علامات المنافقين المرتابين المرائين فى آيات كثيرة وخاصة مافي سورة الانفال وسورة التوبة وسورة الاحزاب بما فيه كفاية عن اعادته هاهنا. ويروى فى الخبر ان عمر بن الخطاب (رض) كان يأمر الناس أيام امارته بقراءة هذه السور ويأمرهم بحفظها ودرسها وان يأخذوا أنفسهم بواجب ماذكر فيها وبراءة ساحتهم مما وصف فيها من صفات المنافقين المرتابين الشاكين المرائين المخادعين فينبغي لك يا أخي ان تجعل هذا الذي ذكرنا دليلا وقياساً لك فى كل ماتعامل به ربك طول عمرك وأيام حياتك ان أردت ان يرقيك

برحمته فى المراتب ويرفعك فى الدرجات حتى يبلغك اقصاها وأشرفها فى الدنيا والآخرة جميعاً كما وعد الله تعالى ذلك بقوله «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»

﴿ فصل في فضل طلب العلم ﴾

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الله جل ثناؤه قد فرض على المؤمنين أشياء كثيرة يفعلونها ونهاهم عن أشياء كثيرة يتركونها كما قلنا آنفا ولكن ليس من فريضة من جميع مفروضات الشريعة وأحكام الناموس أوجب ولا أفضل ولا أجل ولا أشرف ولا أنفع لعبد ولا أقرب له الى ربه بعد الاقرار به والتصديق لانبيائه ورسله فيما جاؤا به وخبروا عنه ، من العلم وطلبه وتعليمه . وبيان ذكر شرف العلم على ماذكرناه من فضيلته وجلالته وفضل طلبه وتعلمه ماروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال تعلموا العلم فان فى تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمونه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس فى الوحدة والوحشة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والمقرب عند الغرباء والزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة يهتدى بهم وأئمة فى الخير تقتفى آثارهم ويوثق باعمالهم وينتهى الى آرائهم وترغب الملائكة فى خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفى صلاتها تستغفر لهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلب من الجهل ومصابيح الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الاحرار ومجالس الملوك والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يعلم الخير وبه يتورع وبه يؤجر وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام واعلم ان العلم امام العمل والعمل تابعه ويلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان طالب العلم يحتاج الى سبع خصال ، أولها السؤال والصمت ، ثم الاستماع ، ثم التفكر ، ثم العمل به ، ثم طلب الصدق من نفسه ، ثم كثرة الذكر انه من نعم الله ، ثم ترك الاعجاب بما يحسنه . والعلم يكسب صاحبه عشر خصال محمودة ، أولها الشرف وان كان دنيا ، والعز وان كان مهيناً ، والغناء وان كان فقيرا ، والقوة وان كان ضعيفاً ، والنبل وان كان حقيراً ، والقرب وان كان بعيداً ، والقدر وان كان ناقصاً ، والجود وان كان بخيلا ، والحياء وان كان صلفا ، والمهابة وان كان وضيعاً ، والسلامة وان كان سقيما ، وقال الله جل ذكره « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب » وقال سبحانه « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وآيات كثيرة في القرآن فى مدح العلماء وفضائلهم وحسن الثناء عليهم فى مثل ذلك .

واعلم ياأخي بان للعلماء مع كثرة فضائل العلم آفات وعيوباً وأخلاقا ردية تحتاج ان تتجنبها وتتحذرها فنها الكبر والعجب والافتخار وقد روى عن رسول الله انه قال من ازداد علما ولم يزدد لله تواضعاً وللجهال رحمة وللعلماء مودة لم يزدد من الله الا بعدا ، ومنها كثرة الخلاف والمنازعة فيه و طلب الرياسة به والتعصب والعداوة والبغضاء فيما بينهم وقال لقمان الحكيم لابنه يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور العلم كما تحيي الارض الميتة بوابل المطر واياك ومنازعة العلماء فان الحكمة نزلت من السماء صافية فلما تعلمها الرجال صرفوها الى أهواء أنفسهم . ومن آفات العلماء الخوض فى المشكلات والترخيص فى الشبهات وترك العمل بموجبات العلم . ومن آفات العلماء أيضا كثرة الرغبة فى الدنيا وشدة الحرص فى طلبها ، وقد قيل فى المثل ان حب الدنيا رأس كل خطيئة والحرص فى طلبها مرض للنفوس وسقام لها وعلماء أحكام الناموس

هم أطباء النفوس ومداووها فمثل العالم الراغب فى الدنيا الحريص على طلب شهواتها كمثل الطبيب المداوى غيره وهو مريض لا يرجى صلاحه فكيف يشفى المريض بعلاجه . وقد قيل ان عالما زاهدا فى الدنيا يكون عالما بدين الله وبصيرا بطريق الآخرة خير من الف عالم راغب فيها وقال المسيح عليه السلام أيها العلماء والفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا أنتم تسيرون اليها فتدخلون الجنة ولا تتركون أحدا يجوزكم فيصل اليها وان الجاهل أعذر من العالم وليس لواحد منهما عذر

واعلم ياأخي بان كل علم وأدب لا يؤدى صاحبه الى طلب الآخرة ولا يعينه على الوصول اليها فهو وبال على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة وذلك ان الملوك والجبابرة والفراعنة والقرون الماضية كانت لهم عقول رضية وآداب بارعة وسياسة وحكمة وصنائع عجيبة وهكذا من كان يعاشرهم وينادمهم ويقرب اليهم من وزرائهم وكتابهم وعمالهم وقوادهم وعلمائهم وأدبائهم ولكن هلكوا من أجل أنهم صرفوا تلك القوى والعقول والافهام وأكثر أفكارهم وتمييزهم ورويتهم فى طلب شهوات الدنيا والتمتع بلذاتها ونعيمها بالرغبة الشديدة والحرص والتمنى للخلود فيها وجعلوا أكثر كدهم وسعيهم فى صلاح أمور الدنيا حتى عمروها وأهملوا الآخرة وذكر المعاد ولم يستعدوا له وذكروا الدنيا وغفلوا عن الآخرة ولم يتزودوا من الدنيا وتركوها لغيرهم ورحلوا عنها كارهين فصارت تلك النعم وبالا عليهم اذ لم ينالوا بها الآخرة فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

وانما أكثر الله سبحانه فى القرآن ذم هؤلاء وسوء الثناء عليهم لكيما يعتبر بهم المعتبرون ممن يجيء بعدهم ويتعظون بحالهم ولا يغترون بالدنيا كاغترارهم كما قال الله جل ذكره « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » وقال « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة » الى آخر الآية . وقال تعالى ذكره « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة » الاية وقال « انما

مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً* المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » وآيات كثيرة في القرآن في ذم الراغبين في الدنيا والتحذير منها ومن غرورها وأمانيها كل ذلك نصح من الله سبحانه لعباده المؤمنين ولطف بهم ونظر ورحمة لئلا تفوتهم الآخرة كما فاتت اولئك ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من يحيى عن بينة قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الاخلاق المكتسبة ماهي محمودة منسوبة الى الملائكة كما سنبينها بعد ومنها ما هي مذمومة منسوبة الى الشيطان وهي كثيرة نحتاج أن نبينها ونشرحها ليظهر الفرق بينها ويعرفها اخواننا الكرام فيجتنبوا أخلاق الشياطين ويتركوها ويتخلقوا بأخلاق الملائكة الكرام ويؤثروها ويجتهدوا في اكتسابها اذ كانت أخلاق النفوس هي أحد الاربعة الاشياء التي لا تفارق النفس بعد مفارقتها الاجساد وعليها أيضا تجازى النفوس ان خيرا فخيرا وان شراً فشراً وهذه الاربعة الاشياء التي ذكرنا ان النفس تجازى عليها بعد الفراق أولها الاخلاق المكتسبة المعتادة والثاني العلوم التعليمية والثالث الآراء المعتقدة والرابع الاعمال المكتسبة بالاختيار والارادة فمن اخلاق الشياطين أولها كبر ابليس وحرص آدم وحسد قابيل

واعلم يا أخي بأن هذه الخصال الثلاث هي أمهات المعاصي وأصول الشرور ولها أخوات مشاكلات لها وفروع وأغصان متفننات منها نحتاج أن نذكر طرفا منها ليعلم صحة ما قلنا ويعرف حقيقة ما وصفنا

فمن أخوات الكبر وأشكاله عجب المرء برأي نفسه والانفة عن قبول الحق

وترك الاقرار به والانقياد لأمر الآمر والناهي الواجب الطاعة والتعدي والخروج عن الحد الواجب والحق اللازم والظلم والجور عند القدرة في الحكومات وترك الانصاف في المعاملة والتهاون في الواجبات والاعراض عن اللوازم من الحقوق والقحة والصلابة في الوجه في دفع الحق والعيان والضرورات والفحش والسفاهة في الخطاب والجدال واللجاج في الخصومات والخرق والنزق في العشرة والحدة والطيش في التصرف والغش والمكر في المعاملة والاستصغار والاحتقار لابناء الجنس والاستطالة عليهم والافتخار في الامور بما خص من المواهب والانكار لفضل من فضل عليه والبغي والعدوان وما شاكلها من الخصال المذمومة والاخلاق الرديئة والافعال السيئة والاعمال القبيحة

ومن أخوات الحرص وأشكاله الطمع الكاذب وشدة الرغبة والطلب الحثيث والعجلة في السعي وتعب البدن وعناء النفس وكد الروح في الجمع والادخار والاستكثار والاحتكار من خوف الفقر والبخل والمنع والشح واللؤم والنكد وما يتبعها من الشؤم والخذلان وقلة الانتفاع بالموجود والحرمان من المدخور والمضايقة في المعاملة والمناقشة في المحاسبة وسوء الظن بالامين والتهمة للثقات والمؤتمنين والخيانة في الامانة وطلب الحرام وهتك الحرم وارتكاب الفحشاء واضمار القلب على الاضرار واظهار الكذب لكتمان السر والحيل في أسباب الطلب من البيع والشراء والغش في الامتعة وقلة النصيحة في الصنائع والحلف واليمين الكاذبة عند الاعتذار في الحكومات وأقاويل الزور في أسباب الخصومات والعداوة والتعدي في الحدود وما شاكلها من الخصال المذمومة والاخلاق الرديئة والاقاويل الباطلة والافعال القبيحة والاعمال السيئة

ومن أخوات الحسد وأشكاله الحقد والغل والدغل ثم تدعو هذه الخصال الى المكاشفة بالعداوة والبغضاء والبغي والغضب والحرد والتعدي والعدوان وقساوة القلب وقلة الرحمة والفظاظة والغلظة والطعن واللعن والفحشاء وتكون سبباً للخصومة والشر والحرب والقتال ان أمكن ذلك جهاراً واعلانا والا يدعو الى

المكر والحيلة والخداع والغدر والخيانة والسعاية والغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب والمداهنة والنفاق والرياء ويصير ذلك سبباً لتشتيت الشمل وتفريق الجميع وقطيعة الرحم والبعد من الاخوان ومفارقة الالف وخراب الديار ووحشة الوحدة والحزن والغم وألم القلب وهموم النفس وعذاب الارواح وتنغيص العيش وسوء المنقلب وخسران الدنيا والآخرة نعوذ بالله من هذه الخصال والشرور والاخلاق والافعال القبيحة والاعمال السيئة الدنية التي تنكرها العقول السليمة والنفوس المهذبة والارواح الطاهرة

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن المتكبر عن قبول الحق عدو للطاعة وقد قيل ان الطاعة هي اسم الله الاعظم الذي به قامت السموات والارض بالعدل وضد الكبر التواضع للحق والقبول له ويقال في المثل السائر من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وقيل في بعض كتب بني اسرائيل قال الله سبحانه وتعالى الكبر ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما كببته في نار جهنم على منخريه. قال الله عز وجل في القرآن «أليس في جهنم مثوى للمتكبرين» وقيل ان الحرص الشديد ربما كان سبب الحرمان والحاسد عدو لنعم الله وليس للحاسد الا ماحسد وقال الله جل ذكره «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» فاحذر يا أخي من هذه الخصال والاخلاق والاعمال فانها من اخلاق الشياطين وجنود ابليس اجمعين الذين يبغض بعضهم بعضاً ويعادي بعضهم بعضاً كما ذكر الله تعالى بقوله: «كلما دخلت أمة لعنت أختها» وقال تعالى «الامر حباً بهم إنهم صالو النار» وآيات كثيرة في القرآن في ذم هؤلاء وسوء الثناء عليهم.

فقد تبين بما ذكرنا ان الكبر والحرص والحسد أصول وأمهات لسائر الخصال المذمومة والاخلاق الرديئة المنتشئة منها الشرور والمعاصي كلها فاحذر يا أخي منها فان قيل ما الحكمة والفائدة في كون هذه الخصال الثلاث موجودة في الخليقة مركوزة في الجبلة، فنقول أما التكبر فهو من كبر النفس وكبر النفس هو من علو

همتها وعلو الهمة جعل في جبلة النفس لطلب الرياسة وطلب الرياسة من أجل السياسة وذلك ان الناس محتاجون في تصاريف أمورهم الى رئيس يسوسهم على شرائط معلومة كما ذكرذلك فى كتب السياسات بشرح طويل ، وقد ذكرنا طرفا منها في رسالة سياسة النبوة والملك ، فاذا لم يكن الرئيس عالى الهمة كبير النفس لم يصلح للرياسة وكبر النفس يليق بالرؤساء ويصلح للملوك وسياسة الجماعات فاما الرعية والاعوان والاتباع والخدم والعبيد فلا يصلح لهم كبر النفس ولا يليق بهم

وأقول بالجملة ان كبر النفس في كل وقت وفي كل شيء ليس بامر محمود ولكن اذا استعمل كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي بمقدار ما ينبغي من أجل ما ينبغي سمي ذلك محمودا فيكون عامل ذلك طلق النفس ذامروءة عالى الهمة عفيفاً كريما جميلا دينا ويكون صاحبه محمودا معظماً مبجلا مهيباً واما التكبر عن قبول الحق وترك الاقرار بالواجب والفسق عن أمر الرئيس وترك الانقياد والاذعان للطاعة المفروضة فهو المذموم وهو وهو الشر والمعصية والمنكر

وأقول بالجملة ينبغي لك يا أخي ان تعلم وتتيقن بانك كما تريد وتحب وتشتهي من عبدك ان ينقاد لامرك وكذلك خادمك وأجيرك وتابعك وزوجك وولدك ولا يتكبرون عليك ولا يخرجون عن أمرك ولا يجاوزون نهيك فهكذا ينبغي ويجب ان تكون لرئيسك ومن هو فوقك فى الامر والنهى حتى تكون عادلا منصفاً محقاً ممدوحاً مثابا مجازا ملتذا فرحاً مسرورا منعما مكرما . فقد تبين بما ذكرنا ما الحكمة والفائدة فى وجود التكبر فى طباع النفس المركوزة فى جبلتها ومتى يكون صاحبه مذموما معاقباً ومتى يكون محموداً مثابا واما كون الحرص فى طلب المرغوب فيه الموجود فى الخليقة المركوز فى الجبلة فهو من أجل ان الانسان لما خلق محتاجاً الى مواد لبقاء هيكله ودوام شخصه مدة ما وابقاء صورته فى نسله زمانا ما جعل فى طبعه وجبلته الرغبة فيها والحرص فى طلبها والجمع لها والادخار والحفظ لوقت الحاجة اليها اذ كان ليس فى كل وقت وفى كل مكان

موجوداً مايريده ويحتاج اليه فاذا رغب الانسان فيما يحتاج اليه وطلب ماينبغي له وجمع مقدار الحاجة وحفظه الى وقت الحاجة ثم استعمل ماينبغي كما ينبغي وانفق بقدر الحاجة فهو يكون محمودا عادلا منصفا محقا مصيباً جورا ملتذا مثابا منعما فرحا مسروراً مكرما

فقد بينا ما الحكمة والفائدة في كون الرغبة والحرص في الجبلة المركوزة فاذا طلب مالا يحتاج اليه كان مذموماً أو جمع أكثر مما يحتاج اليه كان متعوبا أو جمع ولم ينفق ولم يستعمل في وقت الحاجة اليه كان مقتراً محروما فان انفق واستعمل فيما لاينبغي كان مسرفا مخطئاً جائرا معاقباً معذباً . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال من طلب الدنيا تعففا عن المسألة وتوسعاً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا مكاثرا مفاخرا مرائياً جعل الله فقره بين عينيه ولم يبال الله به باي واد هلك

فاما كون الحسد المركوز في الجبلة الموجود في الخليقة فهو من أجل التنافس في الرغائب من نعم الله وذلك أن نعم الباري تعالى على خلقه كثيرة لايحصى عددها الاهو ولم يمكن أن يجمع عددها كلها على شخص واحد ففرقت في الاشخاص بالقسط كما شاء ربهم عزوجل وضعها وفضل بعضهم على بعض كما اقتضت حكمته فلم يخل أحد من الخلق من نعم الله وآلائه ولا استوفاها أحد من خلقه فمن رأى على أحد من الخلق نعمة ليست عليه بعينها فلينظر هل عليه نعمة ليست بعينها على ذلك الشخص فيقابل هذه بتلك ويشكر الله ويسأله أن يديمها عليه . ومن رأى على أخيه نعمة ليس عليه مثلها فليسأل الله تعالى من فضله ولا يتمنى زوال تلك عن أخيه فان ذلك هو الحسد بعينه وهو المذموم الذي يكون الحاسد به معذبة نفسه مؤلماً قلبه عدوا لنعم الله على خلقه

﴿ فصل ﴾

في الحرص والزهد ودرجات الناس

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بانك ان انعمت النظر بعقلك وجودت الفكر برويتك وتأملت أمور الدنيا واعتبرت تصاريف أحوال الناس تبينت وعرفت أن أكثر الشرور التي تجري بين الناس انما سببها شدة الرغبة في الدنيا والحرص على طلب شهواتها ولذاتها ورياستها وتمني الخلود فيها واذا تأملت واعتبرت وجدت اس كل خير واصل كل فضيلة الزهد في الدنيا وقلة الرغبة في شهواتها ونعيمها ولذاتها والرغبة في الآخرة وكثرة ذكر المعاد في آناء الليل وأطراف النهار والاستعداد للرحلة اليها .

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن الخلق كلهم عبيد الله وأهل طاعته طوعا أو كرها ولكن منهم خاص وعام وما بينهما طبقات متفاوتة الدرجات فأول الخواص هم العقلاء الذين توجه نحوهم الخطاب بالامر والنهي والوعد والوعيد والمدح والذم والترغيب والترهيب ثم ان الله تعالى بواجب حكمته رفع قدر المؤمنين على سائر العقلاء وهم المقرون والقابلون أوامره ونواهيه المنقادون لطاعته فيما رسم لهم في احكام النواميس وموجبات العقول التاركون لما نهوا عنه سرا وعلانية ثم ان الله سبحانه رفع من المؤمنين المقرين المخلصين واصطفى منهم طائفة وفضلهم على غيرهم وهم العلماء والفقهاء الذين اجتهدوا في تعلم أوامر الناموس ونواهيه واحكامه وحدوده وشرائطه بواجبها كما ذكر الله تعالى بقوله « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

ثم ان الله جل اسمه رفع من جملة العلماء طائفة وهم التائبون العابدون والصالحون الورعون المتقون المحسنون بما استحقوا باجتهادهم من القيام بواجبات أحكام الناموس درجات كما ذكر الله عز وجل بقوله « امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » الآية وقال تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب » وقال تعالى « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » الآية وآيات كثيرة في القرآن في ذكر هؤلاء ومدحهم وحسن الثناء عليهم

ثم ان الله جل ثناؤه رفع من هؤلاء طائفة في الدرجات وهم الزاهدون في الدنيا العارفون عيوبها الراغبون في الآخرة المتحققون بها الراسخون في علمها وهم أولياء الله المخلصون وعباده المؤمنون وصفوته من خلقه اجمعين الذين سماهم الباري تعالى أولي الالباب وأولي الابصار وأولي النهى وأخلصهم بخالصة ذكرى الدار التي هي الحيوان واليهم أشار بقوله سبحانه «وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار» وقوله « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » وآيات كثيرة في القرآن في ذكرهم ومدحهم وحسن الثناء عليهم.

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن للمؤمنين فضائل كثيرة من محاسن الاخلاق ومكارم الافعال وفضائل الاعمال وجميل الفعال لا يمكن ان تجمع كلها في شخص واحد بل في عدة أشخاص فقل ومكثر ولكن ليس بعد العلم والايمان خصلة للمؤمنين ولا خلق من أخلاق الكرام أشرف ولا أجل ولا أفضل من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وذلك ان الزهد في الدنيا انما هو ترك فضول متاع الحياة الدنيا وترك طلب شهواتها والرضا بالقليل والقناعة باليسير من الذي لا بد منه وهذه خصلة تتبعها خصال كثيرة من محاسن الاخلاق وفضائل الاعمال وجميل الافعال، وضد الزهد هو الرغبة في الدنيا والحرص في طلب شهواتها وهي خصلة تتبعها أخلاق ردية وأفعال قبيحة وأعمال سيئة كما تقدم ذكره وذلك ان من خصال الزهاد وشعارهم قلة الاكل وترك الشهوات، وفي قلة الاكل وترك الشهوات خصال محمودة كثيرة ومناقب حسنة جميلة فمنها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أجيعوا أنفسكم تفرح بكم سكان السماء ومنها ان الانسان يكون أصح جسما وأجود حفظاً وأزكي فهما وأجلى قلبا وأقل نوما وأصدق رؤيا وأخف نفساً وأحد بصراً والطف فكرا وأصغى سمعاً وأصح حساً وأثبت رأيا وأقبل للعلم

وأسرع حركة وأسلم طبيعة وأقل مؤنة واوسع مواساة وأكرم خلقا وأثبت صحبة وأحلى في القلوب . وقلة الاكل اذا ساعدته القناعة كان مزرعة الفكر وينبوع الحكمة وحياة الفطنة ومصباح القلب وطبيب البدن وقاتل الشهوات وهادم الوسواس ومنزل الالهام وعصمة من شر النفس واماناً من شدة الحساب والشكر له تابع وكفر النعمة عنه زائل

﴿ فصل ﴾

في آفات الشبع وكثرة الاكل وخصال الزهاد

يروى عن عائشة (رض) انها قالت : أول بلاء حدث في هذه الامة بعد ذهاب نبيها صلى الله عليه وسلم الشبع وكثرته وذلك ان القوم اذا شبعت بطونهم سمنت أبدانهم وقست قلوبهم وجمحت نفوسهم واشتدت شهواتهم، ومن آفات الشبع وكثرة الاكل عفونة القلب ومرض الاجساد وذهاب البهاء ونسيان الرب وعمى القلوب وهزال الروح وسلاح الشياطين وجراحة الدين وذهاب اليقين ونسيان العلم ونقصان العقل وعداوة الحكمة وذهاب السخاء وزيادة البخل ومزرعة ابليس وترك الادب وركوب المعاصي واحتقار الفقراء وثقل النفس وإدرار الشهوات وزيادة الجهل وكثرة فضول القول ويزيد في حب الدنيا وينقص الخوف ويكثر الضحك ويحبب العيش وينسي ذكر الموت ويهدم العبادة ويقل الاخلاص ويذهب بالحياء ويهيج عادة السوء ويطيل النوم ويكثر الغفلة ويسبب تفريق الاصحاب ويحرج الاعمال ويكدر الصفو ويذهب الحلاوة من القلوب ويحبب الشيطان ويبغض الرحمن ويكثر الغم يوم الحساب ويقرب من النيران ويبعد من الجنان لانه سبب المعاصي ويحرك الكبر ويثبت الحسد ويقل الشكر ويذهب الصبر فهذه خمسون خصلة تهيج من الشبع وكثرة الاكل

ويقال ان المعدة قدر الطعام ونارها حرارة الكبد فاذا لم ينطبخ كان سبب الامراض المختلفة فحسب ابن آدم أكلات تعمر بطنه فان غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس

ومن خصال الزهاد وشعارهم العفة والتصون فهذه خصلة يتبعها أخلاق جميلة وخصال محمودة وفضائل كثيرة فمنها الكف والورع والحفظ والوقار والتقى والامانة والمروءة والكرم واللين والسكون والمراقبة والتوقى والصحة والسلامة وحسن الثناء عليهم والتزكية لهم والغبطة والسرور ومحبة القلوب وبراءة الساحة وسكون الناس اليهم والثقة بهم والاجلال لهم والاكرام، ومن خصال الزهاد أيضاً وشعارهم السخاء والكرم والجود والبذل والمواساة والاحسان والايثار والافضال والرأفة والرحمة والتودد والبر والمعروف والصدقة والهدية ومن خصالهم أيضا وشعارهم الحلم والاناة والتثبت والرزانة والتؤدة والرفق والمداراة والسكينة والوقار والحياء والصفح والعفو والتغافل والشفقة والرحمة والعدل والنصفة والمحبة والقبول والاجابة والتواضع والاحتمال ومن خصالهم أيضاً الرضى والقناعة والتجمل والكفاف واليأس من الطمع والراحة من العناء والتسليم للقضاء والصبر فى الشدائد والبلوى وحسن العزاء

ومن خصالهم وشعارهم التوكل على الله والثقة به والطمأنينة اليه والاخلاص له فى العمل والدعاء والصدق بالقول والتصديق فى الضمير والنصح للاخوان والوفاء بالعهد والحزم والعزم في عمل الخير والاحسان والبر والمعروف والمسارعة فى الخيرات رغبا ورهبا وهم من خشية ربهم مشفقون فهؤلاء هم أولياء الله وخالص عباده من المؤمنين الذين يحبون الله ويحبهم كما ذكر بقوله «والذين آمنوا أشد حبا لله» وهم الذين يتمنون لقاءه لما يرجون من التحية قال الله تعالى « تحيتهم يوم يلقونه سلام » فهل لك يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن ترغب فى صحبتهم وتقصد مناهجهم وتقفو أثرهم وتتخلق بأخلاقهم وتسير بسيرتهم لعلك تفوز بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون

واعلم يا أخي بأن الطريق الى هذه الخصال التى وصفناها هو أن تبتديء أولا بسنة الناموس فتعمل بوصايا صاحبه كما هي في كتب النواميس الالهية

يعرفها أكثر علماء أهل الشريعة قد استغنينا عن ذكرها ، والذي نوصيك به نحن أن تنزع عن نفسك القشور التي تعلقت عليها من صحبة الجسد وتخلع اللباس الذي أحاط بها من الامور الطبيعية والصفات الجسمانية وتجلو عنها الصدأ الذي تركب عليها من اخلاط البدن وسوء الاخلاق وتراكم الجهالات وفساد الاراء وتنحي عنها هذه الاشياء ليصفو لك اللب والمخ وهو جوهر نفسك النيرة الشفافة الروحانية النورانية التي هي كلمة من كلمات الله وروح منه نفخها في الجسد وأحياه بها وهي التي مدحها الله تعالى بقوله «ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » الآية ، وقال «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعني به روح المؤمن اذا فارقت الجسد صعد بها الى سعة السماوات وفسحة الافلاك فيكون سائحا هناك حيث شاء ذهب وجاء ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح بالنهار في الجنة على رؤوس أشجارها وأنهارها وثمارها وتأوى بالليل الى قناديل معلقة تحت العرش » ، فهذه حال أرواح المؤمنين الصالحين بعد الموت ، وأما حال أرواح الكافرين والفاسقين والفاجرين والمنافقين فلا يصعد بها الى هناك بل تحجب دون السماء وتهيم في هاوية البرزخ الى يوم يبعثون واليهم أشار بقوله تعالى « لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة» الى قوله « وكذلك نجزي الظالمين» لانه لايليق بها ذلك المكان الشريف والمحل الاعلى كما لايليق بالاوساخ من الناس والاقذار منهم مجالس الملوك والسادة والكرام

فان أردت ياأخي أن تعرج بروحك الى هناك بعد فراق الجسد فاجتهد قبل ذلك واغسلها من درن الاخلاق الرديئة ووسخ الآراء الفاسدة واخرجها من ظلمات الجهالات المتراكمة وجنبها الاعمال السيئة والبسها لباس التقوى وزمها عن الانهماك في الشهوات الجرمانية والغرور باللذات الجسمانية . فاما الآراء الفاسدة فقد بيناها في رسالة لنا وأما كيفية الخروج من الجهالات المتراكمة فقد بيناها في احدى وخمسين رسالة عملناهـا في فنون العلوم وغرائب الحكم وطرائف

الآداب وأما تهذيب الاخلاق فقد وصفنا بعضها في هذه الرسالة وبعضها في رسالة عشرة إخوان الصفاء والاصدقاء الكرام فاقرأهما واعمل بما ذكرنا فيهما وعلمهما إخوانك وأصدقاءك فانك بذلك تفوز وتنال الزلفى عند ربك أبد الآبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

﴿ فصل ﴾

في بيان علامات أولياء الله عز وجل وعباده الصالحين

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان لاولياء الله صفات وعلامات كثيرة يعرفون بها ويمتازون عمن سواهم وهكذا ايضا لاعداء الله علامات وصفات يعرفون بها ويمتازون عن غيرهم نحتاج أن نذكر طرفا منها ليعلم كل عاقل فهم مميز مستبصر اذا أراد أن يعرف من أي الفريقين هو لم يخف عليه ذلك

واعلم يا أخي بان العاقل الفهم المستبصر هو الذي يعرف الفرق بين الاشياء المتشابهة ويميز بين الامور المتجانسة ويفضل بعضها على بعض بعلامات وصفات مختصة بواحد واحد منها فنقول الآن ان من احدى علامات أولياء الله الصالحين المختصين به ماذكره الله تعالى بقوله لابليس اللعين «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان» وحكى أيضا قول ابليس مجاوبا له «فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين» وآيات كثيرة في القرآن في ذكر أولياء الله وصفاتهم وعلاماتهم وهي مثل قوله تعالى «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون » الى آخر الآية ، وآيات كثيرة في القرآن في ذكر أولياء الله تعالى ومدحهم وصفاتهم وعلاماتهم وحسن الثناء عليهم

ومن علاماتهم وصفاتهم ايضا حفظ الجوارح من كل مالايحل في الشريعة ولا يجوز في السنة ولا يحسن في المروءة، ومن علاماتهم وصفاتهم حفظ اللسان عن الكذب والغيبة والبهتان والزور والنميمة والفحش والسفاهة والطعن واللغو

والوقيعة فى أحد من الخليقة عدواً كان أو صديقا مخالفا كان أو مؤالفا ، ومن علاماتهم ايضا وصفاتهم وهي العمدة والاصل في جميع الخيرات والخصال المحمودة سلامة الصدر من الغل والغش والدغل والحسد والبغض والكبر والحرص والطمع والمكر والنفاق والرياء وما أشبهها من الخصال المذمومة ومما هي مملوءة منها قلوب ابناء الدنيا الراغبين فيها المكبين عليها الطالبين لها ، ومن علاماتهم ايضا وصفاتهم المختصة بهم الرحمة والتحنن ورقة القلب على كل ذي روح يحس بالآلام ، ومن خصالهم أيضاً النصيحه والشفقة والرفق والمداراة والتلطف والتودد لكل من يصحبهم ويعاشرهم، ومن احدى علامات أولياء الله وعباده المخلصين ومن أخص صفاتهم التي يمتازون بها عن غيرهم هي معرفتهم بحقيقة الملائكة وكيفية الهامها وقد ذكرنا طرفاً من هذا العلم في رسالة الايمان وماهيته وخصال المؤمنين، ومن دقيق معرفتهم ولطيف علومهم معرفة حقيقة الشياطين وجنود ابليس اللعين وكيفية وسواسهم ومسهم كما ذكر الله سبحانه بقوله « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغي ثم لا يقصرون »

ومن علاماتهم وصفاتهم ودقيق علومهم ولطيف أسرارهم معرفة البعث والقيامة والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجواز وذلك أن أكثر علماء أهل الشرائع النبوية وفقهائها المتعبدين فيها متحيرون فى معنى الابليسية وحقيقة ابليس المخاطب لرب العالمين بقوله : « انظرني الى يوم يبعثون » وأكثر العلماء شاكون في وجود هذا القائل « لاغوينهم أجمعين » وأكثر المتفلسفة منكرون قصته مع آدم وعداوته له وخطابه لرب العالمين ومواجهته له بخشونة الخطاب بما ذكر الله سبحانه في القرآن في نحو من خمسين آية مثل قوله « ولآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » وآيات كثيرة في أمثال هذه الحكايات موجودة في التوراة والانجيل

وصحف الانبياء عليهم السلام كثيرة وقد بينا نحن معانيها في رسالة البعث والقيامة ولكن نريد أن نذكر فى هذا الفصل منها طرفاً فى كيفية عداوة أولياء الله تعالى مع أبليس وكيفية محاربتهم مع الشياطين ومخالفتهم ومجاهدتهم معهم طول أعمارهم ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً وانه لا يخفى عليهم مكائدهم ولا يذهب عنهم غرورهم وأمانيهم

فصل

فيما حكاه ولي من أولياء الله عن كيفية معرفة مكائد الشياطين (ومحاربته معهم ومخالفته جنود ابليس اجمعين)

قال العالم المستبصر لاخ له من أبناء جنسه فيما جرى بينهما من المذاكرة فى أمر الشياطين وعداوتهم : كيف عرفت الشياطين ووساوسهم ؟ قال اني لما نشأت وتربيت وشدوت من الآداب طرفاً وأخذت من العلم نصيباً وعقلت من امر المعاش قسطاً وعرفت أمر المنافع والمضار تبينت ما يجب علي من أحكام الناموس من الأوامر والنواهي والسنن والفرائض والاحكام والحدود والوعد والوعيد والذم والمدح على الاعمال والافعال وعلى تركها ثم قمت بواجبها جهدى وطاقتى بحسب ما وفقت له وقضى علي ويسر لي ثم تفكرت فى قول الله تعالى «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » وقوله « ان الشيطان كان للانسان عدواً مبينا » وآيات كثيرة فى القرآن فى هذا المعنى وتفكرت فى قول النبي صلى الله عليه وآله : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يعنى مجاهدة النفس وتصديقه قول الله تعالى « ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه » وفكرت فى قوله عليه السلام (لكل انسان شيطانان يغويانه) ، وقوله (ان شيطاني أعانني الله عليه فأسلم)، وقوله (ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) وتصديق ذلك قول الله تعالى « من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس فى صدور الناس » الى آخر السورة ، وقوله تعالى « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » وآيات كثيرة فى

القرآن في مثل هذا المعنى واحاديث مروية أيضاً في هذا المعنى كثيرة ·

فلما سمعت ما ذكر الله تعالى وتفكرت فيما روى عن النبي ﷺ في هذا المعنى نظرت عند ذلك بعقلي وفكرت بقلبي وتأملت برويتي فلم أر أحداً في ظاهر الأمر يضادني في هذا المعنى ولا يخالفني ولا يعاديني من أبناء جنسي وذلك لاني وجدت الخطاب متوجها عليهم كلهم مثل ماهو متوجه علي ووجدت حكمهم في ذلك حكمي سواء لا فرق بيني وبينهم في هذا الامر فعلمت ان هذا هو أمر عموم يشمل جميع بني آدم ويعمهم ثم تأملت وبحثت ودققت النظر فوجدت حقيقة معنى الشياطين وكثرة جنود ابليس اللعين اجمعين ومخالفتهم بني آدم وعداوتهم لهم ووساوسهم اياهم هي أمور باطنة وأسرار خفية مركوزة في الجبلة مطبوعة في الخليقة وهي الاخلاق الرديئة والطباع المذمومة المنتشئة منذ الصبى مع الانسان بالجهالات المتراكمة واعتقادات آراء فاسدة من غير معرفة ولا بصيرة وما يتبعها من الاعمال السيئة والافعال القبيحة المكتسبة بالعادات الجارية الخارجة من الاعتدال بالزيادة والنقصان المنسوبة الى النفس الشهوانية والنفس الغضبية، ثم تأملت ونظرت فوجدت الخطاب في الامر والنهي والوعد والوعيد والمدح والذم متوجها كله الى النفس الناطقة العاقلة المميزة المستبصرة ووجدتها هي بما توصف من الاخلاق الجميلة والمعارف الحقيقية والآراء الصحيحة والاعمال الزكية ملكا من الملائكة بالاضافة الى النفس الشهوانية والغضبية جميعاً ووجدت هاتين النفسين أعني الشهوانية والغضبية بما توصفان به من الجهالات المتراكمة والاخلاق المذمومة والطباع المركوزة والافعال القبيحة التي لهما بلافكر ولاروية كأنهما شيطانان بالاضافة الى النفس الناطقة

ثم تأملت وبحثت ودققت النظر فوجدت جميع الاعمال الزكية والافعال الحسنة التي هي منسوبة الى النفس الناطقة انما هي لها بحسب آرائها الصحيحة واعتقاداتها الجميلة ثم وجدت تلك الآراء والاعتقادات انما هي لها بحسب أخلاقها المحمودة المكتسبة بالاجتهاد والروية والعادات الجارية العادلة اوما كانت مركوزة في الجبلة فتبينت عند ذلك وعرفت بهذا الاعتبار أن أصل جميع الخيرات وصلاح

الانسان كلها هي الاخلاق المحمودة المكتسبة بالاجتهاد والروية والمركوزة في الجبلة ، وتبين لي وعرفت أيضاً ان أصل جميع الشرور وفساد أمور الانسان كلها هي الاخلاق المذمومة المكتسبة بالعادات الجارية منذ الصبا من غير بصيرة أو ما كانت مركوزة في الجبلة ، فلما تبين لى ماقلت وعرفت حقيقة ماوصفت تأملت قول النبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وقول الله تعالى « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً » يعني خالفوه وحاربوه كما تحاربون أعداءكم المشركين فتبين لى بقول النبي صلى الله عليه وسلم وقول الله عز وجل أن العدو جنسان والعداوة نوعان والجهاد قسمان : أحدهما ظاهر جلي وهو عداوة الكفار والمخالفين في الشريعة وحربهم وجهادهم والآخر باطن خفي وهو عداوة الشياطين المخالفين في الجبلة المتضادين في الطبيعة وتبين ان حربهم وعداوتهم وخلافهم هي الحقيقة وعداوة الكفار وحربهم هي العرضية

وذلك ان عداوة الكفار هي من أجل أسباب دنيوية وعداوة الشياطين من أجل أسباب دينية وان غلبتهم وظفرهم يعرض منها شقاوة الدنيا ويفوت العز والسلطان والتمتع باللذات الدنيوية ونعيمها وطيب عيشها ثم تزول يوماً ما وأما عداوة الشياطين وغلبتهم وظفرهم فيعرض منها شقاوة الآخرة وعذابها ويفوت عزها وسلطانها ونعيمها ولذاتها وسرورها وفرحها وروحها وريحانها ودوامها فبحسب التفاوت ما بين هذين الامرين قال النبي صلى الله عليه وآله « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وماذكر الله سبحانه في القرآن في عدة سور في آيات كثيرة من التحذير من مكر الشياطين والغرور بخطراتهم والامر بمخالفتهم وعداوتهم والجهاد لهم إذ كان الخطب فيهم أجل والخطر أعظم بحسب التفاوت ما بين السعادتين في الدنيا والآخرة والشقاوة فيهما . فلما تبين لى ماذكرت وعرفت حقيقة ماوصفت تبين لى أعدائي وشياطيني ومخالفي ومن يريد أن يغويني عن رشدي ويضلني عن هداي الذي دعاني اليه ربي وإلهي وأوصاني به ومانصحني نبي عليه السلام ببيانه لى ، وعلمت اني إن لم أقبل وصية ربي ونصيحة نبيي واني متى

توانيت وتركت الاجتهاد في مخالفة أعدائي وعداوتهم غلبوني وظفروا بي وأسروني وملكوني واستخدموني في أهوائهم ومراداتهم المشاكلة لافعالهم السيئة وصارت تلك الاشياء عادة لي وجبلة في وطبيعة ثانية فتصير نفسي الناطقة التي هي جوهرة شريفة شيطانة مثلهم فأكون قد هلكت وبقيت في عالم الكون والفساد مع الشياطين معذباً كما قال الله سبحانه « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » الآية وكقوله تعالى « لابثين فيها أحقاباً » الآية

ثم تفكرت وعرفت وتبين لي أني اذا قبلت وصية ربي ونصيحة نبيي واقتديت بهما واستعنت بربي وشمرت واجتهدت وخالفت هوى نفسي الشهوانية وعاديت نفسي الغضبية وحاربت اعدائي المخالفين لنفسي الناطقة فاني أظفر بهم وأغلبهم بقوة ربي وأملكهم باذنه واستعبدهم بحوله وقوته وأكون ملكا عليهم وسلطانا ويصيرون كلهم عبيداً لي وخدما وخولا فاصرفهم تحت أمر نفسي الناطقة ونهيها وتكون هي عند ذلك ملكا من الملائكة باظهار افعالها الحسنة واعمالها الزكية وأخلاقها الجميلة وآرائها الصحيحة ومعارفها الحقيقية وتكون هاتان النفسان الباقيتان أعني الشهوانية والغضبية عبدين مقهورين لها وتحت أمرها ونهيها ويكون جميع اخلاقهما وسجاياهما كالجنود والاعوان والخدم والعبيد للنفس الناطقة مسوسين بسياسة عادلة جارية على هذا السداد كما رسم في الشريعة الوضية أو في الموجبات العقلية فاكون عند ذلك قد فعلت ماوصاني به ربي بقولي وفعلي بقوله « ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه » الاية، وقال لنبيه عليه السلام « قل هذه سبيلي ادعو الى الله » الاية

فلما تبين لي ماذكرت وعرفت حقيقة ماوصفت نظرت عند ذلك في احوالي وتفكرت في تصاريف أموري فوجدت بنية هيكلي مركبة من اخلاط ممتزجة متضادة القوى مركوزة فيها شهوات مختلفة ، فتأملتها فاذا هي كأنها نيران كامنة في احجار كبريتية ووجدت وقودها هي المشتهيات من ملاذ الدنيا ونعيمها ،

ووجدت اشتمال تلك النيران عند الوقود كأنها حريق لا يطفأ ولهب لا يخمد أو كامواج بحر متلاطمة أو رياح عاصفة تدمر كل شيء أو كعساكر اعداء حلت في غارة ، وذلك اني وجدت حرارة شهوات المأكولات والمشروبات في نفسي عند هيجان نار الجوع والظمأ كانها لهب النيران التي لا تطفأ ، ووجدت نفسي الشهوانية عند الاكل والشرب من الشره كأنها كلاب وقعت على جيف تنهش ووجدت حرارة الحرص في نفسي عند هيجان نار الطمع كأنها حريق تلهب الدنيا كلها ووجدت نفسي عند ذلك كأنها وعاء لا يمتلىء من جميع ما في الدنيا من المتاع ووجدت حرارة الغضب في نفسي الحيوانية عند هيجان نار الحركة كأنها حريق ترمي بشرر كالقصر ورأيتها عند هيجان حرارة نار الافتخار والمباهاة كانها خير خليقة الله واشرفهم ورأيتها عند هيجان نار حرارة شهوة الرياسة وتملكها لها كان الناس كلهم عبيد لها وخول ورأيتها عند هيجان حرارة نار شهوة الكرامة وطلبها لها كأنها دين لازم حال ورأيتها عند هيجان نار طلب خدمة خولها كأنها ترى الطاعة لها حتما فريضة كالطاعة لله ، وكالحتم والفريضة ، ورأيتها عند قضاء ما يجب عليها من حق من حقوق غيرها متوانية في تأديته كانها ناقلة اجبال وكأنها عليها أحمال ثقيلة ورأيت حركتها عند اللهو واللعب كانها مجنونة والهة سكرانة ورأيتها عند محبة المدح والثناء عليها كانها أعقل الناس وأفضلهم وأجلهم ورأيتها عند هيجان نار الحسد كانها عدو يريد خراب الدنيا وزوال النعم عن أهلها وحلول النقم بهم وعلى هذا المثال وجدت ورأيت سائر اخلاقها الرديئة وخصالها المذمومة وأعمالها السيئة وافعالها القبيحة وآرائها الفاسدة فعلمت عند ذلك أن هذه كلها نيران لا تخمد وحريق لا يطفأ ، واعداء لا يتصالحون وحرب لا تهدأ وقتال لا يسكن وداء لا يبرأ ومرض لا يشفى وعناء طويل وشغل لا يفرغ منه الى الموت .

فشمرت عند ذلك بالعزم الصحيح والنية الصادقة وشددت وسطي بازار الحزم وأخذت سلاح الاجتهاد وارتديت برداء الورع ولبست قميص الحياء

وتسربلت سربال الجد ووضعت على رأسي تاج الزهد في الدنيا وأثبت قدمي على التقوى وأسندت ظهري الى الله بالتوكل عليه وجعلت شعاري الخوف منه والرجاء وزممت قوى نفسي بالنهي وفتحت عيني بالنظر الى اشارة المعلم وجعلت دليلي حسن الظن بربي وسلكت منهاج السنة وقصدت الصراط المستقيم للقاء ربي وناديته نداء الغريق ودعوته دعوة المضطر وأقررت بالعجز والتقصير وطرحت نفسي بين يديه بلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتضرعت اليه مثل الصبي الى والده الشفيق الرفيق، فلما رآني ربي على تلك الحال سمع ندائي وأجاب دعائي ورحم ضعفي وأعطاني سؤلي وأمدني بجنوده ودلني على مكائد اعدائي فغزوتهم مع ملائكته وأظفرني بهم وأعانني عليهم وحرسني من غرورهم وأحرزني من خطواتهم وسلمت من خطر كيدهم وفزت بالغنيمة سالماً غانماً ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً ، وجند الله كانوا هم الغالبين وحزب الشيطان كانوا هم الخاسرين وكل هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر «ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم »

فصل في حكاية أخرى

عن ولي من أولياء الله تعالى لما تفكر في معنى التكليف والبلوى ولم يتجه له وجه الحكمة فيهما قال في مناجاته : رب خلقتني ولم تستأمرني وتوفيتني ولم تستشرني وأمرتني ونهيتني ولم تخيرني وسلطت علي هوى مؤذيا وشيطاناً مغويا وركبت في نفسي شهوات مركوزة وجعلت في عيني دنيا مزينة وخوفتني وزجرتني بوعيد وتهديد وقلت لي فاستقم كما أمرت ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيلي واحذر الشيطان لا يغوينك والدنيا لا تغرنك وتجنب شهواتك لا تردك وأمانيك وآمالك أن تلهيك وأوصيك بابناء جنسك فدارهم ومعيشة الدنيا فاطلبها من وجه الحلال وأما الآخرة فلا تنسها ولا تعرض عنها فتخسر الدنيا والآخرة وذلك

هو الخسران المبين فقد حصلت يارب بين أمور متضادة وقوى متجاذبة وأحوال متغالبة فلا أدرى كيف أعمل ولا أي شيء أصنع ، وقد تحيرت في أموري ، وضلت عنى حيلتى فادركنى يارب وخذ بيدي ودلنى على سبيل نجاتى وإلا هلكت .

فأوحى الله سبحانه اليه والقى في سره والهمه وقال : ياعبدي ما أمرتك بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرني ان فعلته بل انما امرتك لتعلم بأن لك رباً والهاً هو خالقك ومصورك ورازقك ومنشيك وحافظك وهاديك وناصرك ومعينك ولتعلم بأنك محتاج في جميع ما أمرتك به الى معاونتي وتوفيقي وهدايتي وتيسيري وعنايتي ولتعلم أيضاً بانك محتاج في جميع مانهيتك عنه الى عصمتي وحفظي ورعايتي وانك محتاج فى جميع متصرفاتك واحوالك في جميع أوقاتك من أمر دنياك وآخرتك ليلا ونهاراً الى تأييدي لك وانه لايخفى علي من أمرك صغيرة ولا كبيرة سراً وعلانية وليتبين لك وتعرف انك محتاج ومفتقر الي وانك لا بد لك مني فعند ذلك لاتعرض عني ولا تنساني بل تكون في دائم الاوقات في ذكري وفي جميع احوالك تدعوني وفي جميع حوائجك تسألني وفي جميع متصرفاتك تخاطبني وفي جميع خلواتك تناجيني وتشاهدني وتراقبني وتكون منقطعاً الي عن جميع خلقي ومتصلا بي دونهم وتعلم اني معك حيث ماتكون أراك ولاتراني فاذا عرفت هذه كلها وتيقنت وبان لك حقيقة ماقلت وصحة ماوصفت تركت كل شيء وراءك واقبلت علي وحدك فعند ذلك أقربك مني وأوصلك الي وارفعك عندي وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي في جواري مع ملائكتي مكرماً مفضلا فرحاً مسروراً منعما ملتذاً آمناً أبداً دائماً سرمداً

فلا تظن بي ياعبدي الظن السوء ولا تتوهم علي غير الحق واذكر سالف انعامي عليك وقديم احساني اليك وجميل آلائي لديك اذ خلقتك ولم تكن شيئاً مذكوراً خلقا سويا ، وجعلت لك سمعا لطيفا وبصرا حادا وحواس دراكة وقلبا ذكيا وفهما ثاقبا وذهنا صافيا وفكرا لطيفا ولسانا فصيحا وعقلا رصينا وبنية

تامة وجنانا ثابتا وصورة حسنة وأعضاء صحيحة وأدوات كاملة وجوارح طائعة، ثم الهمتك الكلام والمقال وعرفتك المنافع والمضار وكيفية التصرف في الاحوال والصنائع والاعمال وكشفت الحجب عن بصرك وفتحت عينيك لتنظر الى ملكوتي وترى عجائب فعلي وتقدير مجارى الليل والنهار والافلاك الدوارة والكواكب السيارة ، وعلمتك حساب الاوقات والازمان والشهور والاعوام وسخرت لك مافي البر والبحر من المعادن والنبات والحيوان تتصرف فيها تصرف الملاك وتتحكم عليها تحكم الارباب ، فلما رأيتك متعديا وجائراً ظالما طاغيا باغياً متجاوزاً الحدود والمقدار عرفتك الحدود والاحكام والقياس والمقدار والعدل والانصاف والحق والصواب والخير والمعروف والسيرة العادلة ليدوم لك الفضل والنعم وينصرف عنك العذاب والنقم وعرضتك لما هو خير وافضل وأجل وأشرف وأعز وأكرم وألذ وأنعم ، ثم أنت تظن بي ظنون السوء وتتوهم غير الحق

ياعبدي إذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فقل لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم كما قال حملة العرش لما ثقل عليهم حمله، وإذا أصابتك مصيبة فقل إنا لله وإنا اليه راجعون كما يقول صفوتي وأهل ولايتي ، وإذا زلت بك القدمان في معصيتي فقل كما قال صفيي آدم وزوجته « ربنا ظلمنا أنفسنا » الى آخر الآية وإذا أشكل عليك أمر وأهمك رأي وأردت رشداً وقولا صواباً فقل كما قال خليلي ابراهيم « الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين » الى آخر الآيات الى قوله « إلا من أتى الله بقلب سليم » وإذا أصابتك مصيبة أو غم أو حزن فقل كما قال يعقوب اسرائيل « انما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون » وقال « يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلاتموتن » الآية ، وإذا جرت منك خطيئة فقل كما قال موسى نجيي « هذا من عمل الشيطان » الآية ، وإذا صرفت عنك معصية فقل كما قال يوسف الصديق « وما أبرىء نفسي » الآية ، وإذا ابتليت بفتنة فافعل كما فعل داوود خليفتي «فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب » وإذا رأيت العصاة من خلقي والخاطئين من

عبادي ولاتدري ماحكي فيهم فقل كما قال المسيح روحي « إن تعذبهم فأنهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » وإذا استغفرتني وطلبت عفوي فقل كما قال محمد نبي صلى الله عليه وآله وأنصاره « ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » الى آخر السورة ، وإذا خفت من عواقب الأمور ولاتدري بماذا يختم لك فقل كما قال أصفيائي « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »

فصل

في فضل التوبة والاستغفار والدعاء

واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن الله عز وجل لم يذكر ذنوب أنبيائه وخطاياهم في القرآن شنعة عليهم ولاتقبيحاً لآثارهم ولالسوء الثناء عليهم ولكن ليكون للباقين قدوة بهم في التوبة والندامة والرجوع عن الذنوب والاستغفار لله عز وجل والانابة اليه كما أمر الله بقوله « توبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون » وقال الله تعالى « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » يعني الذين لم يذنبوا ، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « قل ياعبادي الذين أسرفوا » الآية ، وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: لولا أن بني آدم إذا أذنبوا تابوا واستغفروا فيغفر الله لهم لخلق الله خلقاً يذنبون فيتوبون ويستغفرون فيغفر لهم. وانما ذكرنا هذه الحكايات لكيما تتفكر فيها وتعتبر وماذكر الله من اخبار رسوله وقصص أوليائه فلاتيأس من روح الله ولاتقنط من رحمته إذا سمعت قول الذين لايعلمون وذلك ان قوماً من أهل الحشوية والجدل يتعصبون في الورع من غير حقيقة ولامعرفة بأحكام الدين فيكفرون المؤمنين بالذنوب ويفسقونهم ويحكمون لهم بالخلود في النار بغير علم ولا بيان بل بقياسات لفقوها لهم

وسولوها بعقولهم الناقصة وحكموا بها بزعمهم فلاجرم أنهم انقطعوا عن الله ويئسوا من روحه وقنطوا من رحمته

واعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن لكل طائفة من المؤمنين وجماعة من المتدينين صناعة ينفردون بها عن غيرهم أو حرفة يمتازون بها عمن سواهم وان من صنعة أولياء الله وعباده الصالحين الدعاء الى الله بالتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة على بصيرة ومعرفة ويقين وحقيقة كما ذكر الله تعالى وأخبر عنهم واحداً واحداً .

من ذلك حكاية عن رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه قوله « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الى قوله « فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب » ومن ذلك قوله « ياليت قومي يعلمون » الآية ، وقوله حكاية عن نفر من الجن قولهم (ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم) الى آخر الآية . ومن ذلك قوله (انهم فتية آمنوا بربهم) الآية ومن ذلك قوله حكاية عن أحد الأخوين في الدنيا (أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) الى قوله (فلن تستطيع له طلباً) وقوله حكاية عن أخ مؤمن في الآخرة قوله لأهل الجنة (انه كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدقين) الى آخر الآية ، ومن ذلك قوله حكاية عن لقمان (يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله) الآية

ومن ذلك قوله حكاية عن السحرة قولهم لفرعون (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) الى آخر الآيات . ومن ذلك قوله حكاية عن العلماء المستبصرين في أمر الآخرة اذ قالوا لقومهم المريدين الحياة الدنيا (اذ قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن) الى آخر الآية . ومن ذلك قول أصحاب طالوت (وقال الذين لايعلمون لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة

غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ومن ذلك قول أتباع المسيح (اذ قال المسيح من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) وقول أتباعه أيضاً لما سمعوا القرآن (ومالنا ألا نؤمن بالله وماجاءنا من الحق) الآية ، ومن ذلك قول المؤمنين العارفين المستبصرين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) وآيات كثيرة في القرآن في صفات المؤمنين وعلامات أولياء الله وكلام عباد الله الصالحين

فهذه الكلمات والأقاويل وأمثالها من كلام أولياء الله وعباده الصالحين المستبصرين تدل على انهم يعرفون حقيقة المعاد وحقيقة أمر الآخرة وهؤلاء العلماء بأسرار النبوات والمتخرجون بالرياضات الفلسفية وهم ورثة الانبياء وصناعتهم الدعاء الى الله والى الدار الآخرة التي هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون ، يعني أبناء الدنيا

ومن صناعتهم أيضاً التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة بضروب الامثال والوصف البليغ والمواعظ الحسنة والحكمة البالغة والتذكار والبشارة والانذار بمعرفة واستبصار ويقين ودراية بلاشك ولاريبة، وقال الله تعالى في مدحهم (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين) ومن علامات أولياء الله أيضاً وصفات عباده الصالحين انهم لايذكرون في مجالسهم وخلواتهم أحداً الا الله ، ولا يتفكرون الا في مصنوعاته ولاينظرون الا الى فنون احسانه وعظيم انعامه وجميل آلائه ولايعملون الا لله ولايخدمون الا اياه ولا يرغبون الا اليه ولايرجون الا منه ولايسألون الا هو ولايخافون غيره وهم من خشيته مشفقون ،كل ذلك لصحة آرائهم وتحقق اعتقادهم في ربهم وشدة استبصارهم انه لايقدر على ذلك بالحقيقه الا الله تعالى. وهذا الاعتقاد الحق والرأي الصحيح الجميل ينتج لهم من صحة معرفتهم بربهم وتيقن علمهم به وذلك انهم يرونه رؤية الحق في جميع متصرفاتهم ويشاهدونه في كل حالاتهم لايسمعون الا منه ولاينظرون الا اليه ولايرون غيره على الحقيقة ، فمن أجل ذلك انقطعوا

اليه عن الخلق واشتغلوا بالخالق عن المخلوق وبالرب عن المربوب وبالصانع عن المصنوع وبالمسبب عن السبب وتساوت عندهم الاماكن والازمان وانمحقت الأغيار عند رؤيتهم حقيقته فتركوا الشك وأخذوا باليقين وباعوا الدنيا بالدين وربحوا السلامة من التعب والعناء وعاشوا في الدنيا آمنين ورحلوا عنها سالمين ووصلوا إلى الآخرة غانمين ، لأنهم كانوا في الدنيا محسنين وما على المحسنين من سبيل

وقد ذكر الله تعالى نعت هؤلاء القوم في القرآن في آيات كثيرة وأثنى عليهم ومدحهم ووردت عن النبي عليه السلام أخبار كثيرة في نعتهم وصفتهم ومدحهم وحسن الثناء عليهم ، ومن ذلك ماروى عنه ﷺ أنه قال : لا يزال في هذه الامة أربعون رجلا من الصالحين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام . فقيل يارسول الله خبرنا عن ملة ابراهيم عند ربه فقال : انه كان حنيفاً مسلماً سليم القلب وذلك انه لما هم به قومه يقذفونه في النار بكت الملائكة في السماء رحمة له فاوحى الله سبحانه الى جبرائيل ان الحقه وأعنه ان استعان بك فجاء جبرائيل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى به في النار . فقال له يا ابراهيم هل لك من حاجة ؟ فلشدة تعلق قلبه بربه وتوكله عليه وثقته بوعده ويقينه بتخليصه إياه واستغنائه عمن سواه قال أما اليك فلا فعند ذلك قال الله تعالى يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ويقال ان من هؤلاء الاربعين رجلا أربعة منهم الابدال وانما سموا الابدال لأنهم بدلوا خلقاً بعد خلق وصفوا تصفية بعد تصفية

وذلك أن هؤلاء الاربعين منتقون من جملة اربعمائة من الزاهدين العارفين المحققين وهؤلاء الاربعمائة منتقون من اربعة آلاف من المؤمنين التائبين المخلصين وكلما مضى شخص من الاربعة قام في رتبته شخص من الاربعين ، واذا مضى شخص من الاربعين قام في رتبته شخص من الاربعمائة ، واذا مضى شخص من الاربعمائة ارتقى الى منزلته شخص من الاربعة الآلاف فبلغ مرتبته وقام مقامه ، وكلما مضى شخص من الاربعة الآلاف ارتقى مكانه بدلا منه واحد من المؤمنين

التائبين المخلصين ، فبلغ درجته وتام مقامه ، واليهم أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله لكميل بن زياد أولئك الاقلون عدداً الاعظمون عندالله قدراً هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح حقيقة اليقين الى آخر كلامه وفيهم يقول صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالملأ الاعلى ، واليهم أشار موسى عليه السلام بقوله في مناجاته : يارب اني أجد في التوراة نعت رجال كادوا يكونون أنبياء من قوة التمييز والمعرفة والصلاح من هم يارب اجعلهم من أمتي فأوحى الله تعالى اليه وقال الله تلك أمة احمد واليهم أشار بقوله تعالى « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله »

واعلم يا أخي بأن هؤلاء القوم الذين تقدم ذكرهم هم ورثة أنبياء الله وخلفاء رسله في الارض وان الذي ورثوه منهم انما هو العلم والايمان والتعبد وقبول التأييد والالهام والزهادة في الدنيا وترك طلبها والرغبة في الآخرة والاشتياق اليها وذلك انهم متشبهون بالملائكة في أفعالهم واخلاقهم وسيرتهم من تركهم الشهوات الجسمانية واعراضهم عن اللذات الحسية المركوزة في الطبيعة بالامتناع عنها بعد المقدرة عليها مع شدة مجاذبة الطبيعة لهم اليها وهم يتركونها باجتهاد منهم وعناية شديدة بعد الفكر والروية ويختارون الشدة على الرخاء والتعب على الراحة ومخالفة الهوى وحمل ثقل التعبد على النفس وكل ذلك لمرضاة الله والاقتداء بأنبيائه ورسله في سنة الدين فلا جرم أنهم ملائكة بالقوة فاذا فارقت نفوسهم أجسادهم كانت ملائكة بالفعل فهذا الذى كان الغرض من رباط النفس بالجسد أن تصير النفس الناطقة ملكا من الملائكة بالفعل بعد ما كانت بالقوة

واعلم ياأخي بانه لو لم يكن في قوة النفس الناطقة أن تصير ملكا بالفعل لما جاءت الوصية من الله تعالى لها يأمرها بالتشبه بالملائكة في أفعالها وأخلاقها وسيرتها

ولا كانت موعودة بعلاقاتها ومخاطبتها مثل قوله جل ثناؤه « تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » يعني المؤمنين عند قبض أرواحهم مثل قوله تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) ومثله قوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى يطول تمدادها

واعلم يا أخي ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الصالحين هم الذين سماهم الله تعالى اولى الالباب واولي النهى وأولي الابصار وهم أولياء الله وأحباؤه واليهم أشار بقوله تعالى لا بليس « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » وهم المفلحون وهم الفائزون واليهم أشار رسول الله ﷺ في وصيته لابي هريرة بقوله عليك يا أبا هريرة بطريق أقوام اذا فزع الناس لم يفزعوا واذا طلب الناس الامان من النار لم يخافوا . قال من هم يا رسول الله عدهم لي وصفهم حتى أعرفهم قال قوم من أمتي في آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر الانبياء اذا نظر اليهم الخلائق ظنوهم أنبياء مما يرون من حالهم حتى أعرفهم أنا بسيماهم فأقول : أمتي أمتي ليعرف الخلائق انهم ليسوا بانبياء ويمرون مثل البرق والريح يغشى أبصار الجميع نورهم قلت يارسول الله مرني بمثل عملهم لعلي الحق بهم قال يا أبا هريرة ان القوم ارتكبوا طريقاً صعباً لحقوا بدرجة الانبياء آثروا الجوع بعد ما أشبعهم الله والعطش بعد ما أرواهم الله والعري بعد ما كساهم الله تركوا ذلك رجاء ما عند الله تركوا الحلال مخافة حسابه صحبوا الدنيا بأبدانهم من غير ان تعلق بشيء منها قلوبهم تعجب الانبياء والملائكة من طاعتهم لربهم فطوبي لهم وددت ان الله جمع بيني وبينهم ثم بكى رسول الله ﷺ شوقاً الى رؤيتهم ثم قال اذا أراد الله سبحانه بأهل الارض عذاباً فنظر اليهم ان كان واحد منهم صرف العذاب عنهم فعليك يا ابا هريرة بطريقتهم فمن خالف طريقتهم وقع في شدة الحساب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :طوبى لاخواني، قيل يارسول الله أولسنا اخوانك قال أنتم أصحابي وأولئك اخواني قيل من هم اخوانك يارسول الله صلى الله عليك قال : قوم يكونون في آخر الزمان يؤمنون بي ولم يروني يصدقوني ويتبعوني هم اخواني وأنتم أصحابي طوبى لهم ، واليهم أشار بقوله في وصيته لأسامة بن زيد عليك بطريق الجنة واياك أن تختلج بدونها قال يارسول الله ما أيسر مايقطع به تلك الطريق قال الظمأ في الهواجر وكسر النفوس عن لذة الدنيا يا أسامة عليك بالصوم فانه يقرب الى الله انه ليس شيء أحب الى الله من ريح فم الصائم وترك الطعام والشراب لله تعالى فانك ان استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك أشرف المنازل في الآخرة وتحل مع النبيين عليهم السلام وتفرح الانبياء والملائكة بقدوم روحك عليهم ويصلي عليك أهل الجنان اياك يا أسامة ودعاء كل كبد جائع قد أذابوا اللحوم وأحرقوا الجلود في الرياح والسمائم واظمأوا الاكباد حتى غشيت أبصارهم فان الله سبحانه اذا نظر اليهم باهى كرام الملائكة بهم ، بهم يصرف الله الزلازل والفتن حيث كانوا ، ثم بكى رسول الله شوقاً الى رؤيتهم حتى اشتد بكاؤه وعلا نحيبه وهاب الناس أن يتكلموا حتى ظنوا انه أمر حدث من السماء ثم قال ويح لهذه الامة مايلقى منهم من أطاع الله فيهم كيف يقتلونهم ويكذبونهم من أجل انهم أطاعوا الله فقال عمر بن الخطاب يارسول الله والناس يومئذ على الاسلام قال نعم قال فيم يقتلون من أطاع الله قال ياعمر ترك القوم الطريق وركبوا فره الدواب ولبسوا الحرير والديباج واللين من الثياب وأكلوا الطيبات وشربوا بارد الشراب وجلسوا على أرائكهم متكئين وخدمهم أبناء فارس والروم يتزين الرجل منهم زينة المرأة لزوجها ويتبرج النساء بزي كسرى بن هرمز والملوك الجبابرة ويسمنون أبدانهم ويتباهون بالكساء واللباس فاذا نظروا أولياء الله وعليهم العباء منحنية أصلابهم قد ذبحوا أنفسهم من شدة العطش وان تكلم منهم

متكلم كذب وأبعد وطرد وقيل قرين الشيطان ورأس ضلالة يحرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق فأولوا كتاب الله بغير تأويله واستذلوا أولياء الله وأخافوهم، يا أسامة ان أقرب الناس الى الله يوم القيامة من طال حزنه وجوعه وعطشه في الدنيا هم الاخيار الابرار الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا يعرفهم أهل السماء ويخفون على أهل الارض تشتاق اليهم البقاع وتحف بهم الملائكة ينعم الناس بالدنيا وينعمون بالجوع والعطش لبس الناس لين الثياب ولبسوا الخشن افترش الناس الوطاء وافترشوا هم الجباه والركب ضحك الناس وبكوا هم ، ياأسامة ألا لهم الشرف الأعلى يوم القيامة وددت اني رأيتهم وبقاع الارض لهم رحيبة والجبار عنهم راض ، والراغب الى الله من رغب فيما رغبوا والخاسر من خالفهم ، تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على بلد ليس فيه منهم أحد ياأسامة اذا رأيت أحدهم في قرية فاعلم انه أمان لأهلها لايعذب الله قوماً فيهم منهم أحد، اتخذهم يا أسامة لنفسك أصحاباً عساك تنجو معهم، واياك أن تسلك غير طريقهم فتزل قدمك فتهوي في النار ، ياأسامة ترك القوم الحلال من الطعام والشراب، طلبوا الفضل في الآخرة ولم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخلق تراهم شعثاً غبراً اذا رآهم الناس ظنوا ان بهم داء ومابهم داء وظنوا انهم خولطوا وماخولطوا ولكن خالط القوم أمر عظيم ظن الناس ان قد ذهبت عقولهم وماذهبت ولكن نظروا بقلوبهم الى أمر الهي فهم في الدنيا عند أهلها يمشون بلاعقول، ياأسامة عقلوا حين ذهبت عقول الناس طوبى لهم وحسن مآب ألا لهم الشرف الاعظم

ويحكى عن بعضهم انه كان يسمع في خلواته وهو يقول يارب ويحي كيف أغفل ولست بمغفول عني أم كيف يهنئني العيش واليوم الثقيل أمامي أم كيف لايطول حزني ولاأدري مايكون من ذنبي أم كيف أؤخر عملي ولاأدري متى يأتي أجلي أم كيف أسكن الى الدنيا وليست بداري أم كيف أجمعها وفي غيرها

مقامي ومأواي ام كيف تعظم رغبتي فيها والقليل منها يكفيني ام كيف آمن فيها وانا لايدوم فيها حالي أم كيف يشتد حرصي عليها ولا ينفعني منها ما أخلفه لغيري أم كيف اؤثرها وقد طردت من آثرها قبلي أم كيف لاابادر بعملي من قبل أن يتصرم منها مدتي ام كيف لااعمل في فكاك نفسي قبل أن يغلق ذهني ام كيف يشتد عجبي بها وهي مفارقة لي ومنقطعة عني. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: إن هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى، قال كان فيها مكتوباً عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل السيئات وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب بدنه وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وعجبت لمن أيقن بالجنة كيف لا يعمل الحسنات لا إله إلا الله محمد رسول الله. ويروى عن أبي ذر رحمة الله عليه انه قال قلت لرسول الله أوصني قال عليك بتقوى الله فانه رأس أمرك فقلت زدني يارسول الله قال عليك بذكر الله فانه رأس كل خير وقراءة القرآن فانه نور لك في السماء وذكر لك في الارض قلت زدني قال عليك بالجهاد فانه رهبانية هذه الامة قلت زدني قال انظر الى من دونك ولا تنظر الى من هو فوقك قلت زدني ،قال أقل الكلام الا من ذكر الله فانك بذلك تغلب الشيطان، قلت زدني قال أحب المساكين وجالسهم قلت زدني قال كن في الدنيا كأنك غريب وعد نفسك في الموتى قلت زدني قال قل الحق ولو كان مراً قلت زدني قال لا يأخذك في الله لومة لائم قلت زدني قال ارض من الدنيا بكسرة تقيم بها جسدك وخرقة تواري بها عورتك وظل تسكن فيه قلت زدني قال اكظم الغيظ وأحسن الى من أساء اليك قلت زدني قال أياك وحب الدنيا فانه رأس الخطايا ان الدنيا تهلك صاحبها وصاحب الدنيا لايهلكها قلت زدني قال انصح للناس كما تنصح لنفسك ولا تعب عليهم بما فيك مثله ياأباذر انه لاعقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق

وقال رسول الله ﷺ من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن اشفق

من النار سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ،ويقال ان الزهد في الدنيا مفتاح كل خير والرغبة فيها مفتاح كل شر وخطيئة وقيل في الحكمة الدنيا قنطرة فاعبروها الى الآخرة ولا تعمروها انكم خلقتم للآخرة لا للدنيا وانما الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء وهي دار القرار ودار المقام ودار النعيم ودار الخلود.

فصل في حسن التكليف

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الله تعالى كلم موسى بن عمران وناجاه بأثني عشر الف كلمة يقول له في عقب كل كلمة ياموسى ادن مني واعرف قدري فانا الله ياموسى أتدرى لم كلمتك من بين خلقي واصطفيتك لرسالتي من بين بني اسرائيل، قال موسى فمن علي يارب ، قال لأني اطلعت على أسرار عبادي فلم أر قلباً أصفى لمودتي من قلبك قال موسى عليه السلام لم خلقتني يارب بعد ان لم أكن شيئاً قال أردت بك خيرا قال رب من علي قال اسكنك جنتي وادخلك دار كرامتي مع ملائكتي فتخلد هناك منعما، ملتذا مسروراً ، قال فما الذي ينبغي لي أن أعمل قال لايزل لسانك رطبا من ذكري وقلبك وجلا من خشيتي وبدنك مشغولا بخدمتي ولا تأمن مكري الى ان ترى رجلك في الجنة ، قال يارب لم ابتليتني بفرعون قال انما اصطنعتك لنفسي على أن اخاطب بلسانك بني اسرائيل فاسمعهم كلامي وأعلمهم شريعة التوراة وسنة الدين وأدلهم على الآخرة ومن اتبعك منهم ومن غيرهم كائناً من كان ، ياموسى بلغ بني اسرائيل اني لما خلقت السموات والارض جعلت لها أهلا وسكانا فاهل سماواتي هم ملائكتي وخالص عبادي الذين لايعصونني ويفعلون مايؤمرون ياموسى قل لبني اسرائيل وبلغهم عني انه من قبل وصيتي ووفى بعهدي ولم يعص رقيته الى رتبة ملائكتي وادخلته جنتي وجازيته باحسن الذي كانوا يعملون، ياموسى قل لبني اسرائيل وابلغهم عني اني لما خلقت الجن والانس والحيوانات اجمع الهمتهم مصالح الحياة الدنية

وعرفتهم كيفية التصرف فيها لطلب منافعها والهرب من المضار منها كل ذلك بما جعلت لهم من السمع والبصر والفؤاد والتمييز والشعور اجمع وهكذا الهمت أنبيائي ورسلي والخواص من عبادي وعرفتهم أمر المبدأ والمعاد والنشأة الآخرة و بينت لهم الطريق و كيفية الوصول اليها، ياموسى قل لبني اسرائيل يقبلون من أنبيائي وصيتي ويعملون بها واضمن لهم عني اني أكفيهم كل مايحتاجون اليه من مصالح الدنيا والآخرة جميعاً ومن وفى بعهدي وفيت بعهده كائنا من كان من بني آدم وألحقتهم بأنبيائي وملائكتي في الآخرة دار القرار . قال موسى يارب لو خلقتنا في الجنة وكفيتنا محن الدنيا ومصائبها وبلاءها أليس كان خيراً لنا قال ياموسى قد فعلت بأبيكم آدم ماذكرت ولكن لم يعرف حقي وقدر نعمتي ولم يحفظ وصيتي ولم يوف بعهدي بل عصاني فاخرجته منها فلما تاب واناب وعدته ان اردّه اليها وآليت على نفسي ان لايدخلها أحد من ذريته الا من قبل وصيتي واوفى بعهدي ولا ينال عهدي الظالمين ولا يدخل جنتي المتكبرون لأني جعلتها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ياموسى ادع لعبادي وذكرهم آلائي فانهم لايذكرون مني الا كل خير سالفاً وخالفاً عاجلا وآجلا ياموسى ويل لمن تفوته جنتي وياحسرة عليه وندامة حين لاينفعانه ، ياموسى خلقت الجنة يوم خلقت السموات وزينتها بالوان المحاسن وجعلت نعيم أهلها وسرورها روحاً وريحاناً ، فلو نظر أهل الدنيا اليها نظرة من بعيد لما تهنوا بالحياة في الدنيا بعدها ، ياموسى هي مدخرة لأوليائي والصالحين من عبادي تحيتهم يوم يلقونه سلام وطوبى لهم وحسن مآب

قال موسى: يارب قد شوقتني اليها فارني يارب لانظر اليها قال ياموسى لايهنئك العيش في الدنيا بعد النظر اليها لانك من ابناء الدنيا الى وقت معلوم فاذا فارق الروح الجسد رأيتها. ووصلت اليها ودخلتها وتكون فيها مادامت السموات والارض فلا تعجل ياموسى واعمل كما أمرت وبشر بني اسرائيل بالذي بشرتك به وادعهم اليها ورغبهم فيها وزهدهم في الدنيا .

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن الرغبة في الدنيا مع طلب الآخرة لايجتمعان ، فمن زهد في الآخرة رغب في الدنيا ومن رغب في الآخرة زهد في الدنيا . وقال المسيح عليه السلام في بعض مواعظه لبني اسرائيل: اعلموا ان مثل دنيا كم مع الآخرة كمثل مشرقكم ومغربكم كلما أقبلتم الى المغرب ازددتم من المشرق بعداً وكلما اقبلتم الى المشرق ازددتم من المغرب بعداً . وقيل في بعض كتب بني اسرائيل : رغبناكم في الآخرة فلم ترغبوا وزهدناكم في الدنيا فلم تزهدوا وخوفناكم من النار فلم تخافوا وشوقناكم الى الجنة فلم تشتاقوا وونحنا كم فلم تبكوا بشر القائلين بان لله سيفاً لاينام وهو نار جهنم ويقول الله تعالى يا ابن آدم خيري اليك نازل وشرك الى صاعد أتحبب اليك بالغنى وأنت تتبغض الى بالمعاصى لايزال يأتيني كل يوم ملك كريم بقبيح افعالك ، ياابن آدم أما تراقبني أما تعلم انك بعيني ياابن آدم اذكرني عند خلواتك وعند حضور الشهوات الحرام واسألني أن انزعها من قلبك واعصمك عن معصيتي وأبغضها اليك وأيسر لك طاعتي وأحببها اليك وأزينها في عينيك ، ياابن آدم انما أمرتك ونهيتك لتستعين بي وتعتصم بحبلي لئلا تستغني وتتولى عني فاعرض عنك وانا الغني عنك وأنت الفقير الى انما خلقتك في الدنيا وسخرتها لك لتستعد للقائي وتتزود منها للقدوم على لئلا تعرض عني وتخلد الى الارض ، واعلم يا ابن آدم بان الدار الآخرة خير لك من الدنيا فلا تختر غيرما اخترت لك ولا تكره لقائي فانه من كره لقائي كرهت لقاءه ومن أحب لقائي أحببت لقاءه

﴿فصل في عظات مختلفة﴾

تأمل ياأخي، أيدك الله وايانا بروح منه ، ماترى من الامور الدنيوية واعتبر بما تشاهد فيها من تصاريفها باهلها حالا بعد حال وتفكر فيما ذكرنا في هذه الرسالة من هذه الحكايات عن انبياء الله وأوليائه وعباده الصالحين

وما وصفنا من اخلاقهم الحسنة وسيرتهم العادلة وأفعالهم الجميلة ، فاجتهد ان تقتدي بهم وتسلك طريقهم واستعن بالله واسأله التوفيق ، وانظر ان استوى لك أن تكون في اعلى المراتب فلا ترض لنفسك بأدونها واحذر مخالفتهم وترك الاقتداء بهم فانهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى والدعاة والهداة الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وهم حجج الله على خلقه وصفوته من عباده فالمفلح من اتبعهم والخاسر من خالف طريقهم هم صفوة الله وخيرته من خلقه

واعلم ياأخي بانه ليس بين الله عز وجل وبين أحد من خلقه من قرابة وان أكرم عباده عنده اتقاهم وأحبهم اليه اطوعهم له وأكثرهم له ذكراً وأكيسهم في الامور وأشدهم اجتهاداً وأشدهم استعدادا للرحلة من الدنيا الى الآخرة وأكثرهم زاداً للمعاد.

واعلم ان أخفهم مؤنة في الدنيا وأروحهم قلباً من زهد فيها ، فبادر ياأخي وتزود من الدنيا لطريق الاخرة فان خير الزاد التقوى ، فسارع الى الخيرات ونافس في الدرجات قبل فناء العمر ونفاد الاجل وقرب الفوت

واعلم ياأخي بأن خير مناقب الانسان العقل وأفضل خصاله العلم ولكل شيء خاصية وخاصية العقل صحة التمييز ومعرفة الحقائق والسيرة العادلة وحسن الاختيار فانظر الآن ان كنت عاقلا واختر من الامور افضلها ومن الاخلاق أجلها ومن الاعمال خيرها ومن المراتب أشرفها ومن المنافع أعمها وأدومها.

واعلم ياأخي بان الآخرة أفضل من الدنيا وأهلها أفضل من اهل الدنيا واخلاقهم اكرم من اخلاقهم وسيرتهم اعدل من سيرتهم ومراتبهم أشرف ونعيمهم أدوم وسرورهم أبقى ولذاتهم أخلص فانظر الآن على مايقع اختيارك وكيف يكون ولا يهما تعمل ولا يكن ايثارك ان كنت عاقلا الا للآخرة فقد تبين لك الرشد من الغي وعرفت الضلالة من الهدى وميزت الصواب من الخطاء وعلمت الحق من الباطل وازاحت العلة ، وقد اعذر من انذر ليهلك من هلك عن

بينة ويحيى من حي عن بينةولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وما على الرسول الا البلاغ المبين

فانظر الآن ياأخي ان كان لم يتبين لك بعد ماقد شرحناه من هذه الاوصاف ولم ينبهك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ماخولناك ولم يشفك ماذكرناه ولم ينفعك ماوصفناه فأبيت الا التعمد والغمرة فى طغيان أبناء الدنيا المغرورين بها الغافلين عن الآخرة الجاهلين لها بان تقول لابد لى من الاقتداء بهم ومداخلتهم فيما هم فيه من الغرور ومزاحمتهم على ماهم مزدحمون عليه ورضيت لنفسك بالتشبه بهم في سوء اخلاقهم وتراكم جهالاتهم وفساد آرائهم وسوء اعمالهم وقبيح افعالهم وسيرتهم الجائرة وأمورهم المسيئة وأحوالهم المتغايرة وتصاريفهم المختلفة واسبابهم المتضادة من عداوة بعضهم بعضاً وحسد بعضهم بعضاً وبغي بعضهم على بعض وتكبرهم وتكاثرهم وتفاخرهم فيما هم فيه من أمور هذه الدنيا الدنية والاغترار بها وما يتكلفونه بينهم من زخرف القول غروراً ويتمكنون به من الكلام خداعا وقلوبهم مملوءة غشا وغلا وحسداً وكبراً وحرصاً وطمعاً وبغضاً وعداوة ومكرا وحيلا مثل قوم دينهم التعصب واعتقادهم النفاق واعمالهم الرياء واختيارهم شهوات الدنيا يتمنون الخلود فيها مع علمهم بانه لاسبيل اليه، يجمعون مالايأكلون ويبنون مالايسكنون ويؤملون مالا يدركون ويكسبون من الحرام وينفقون فى المعاصى ويمنعون من المعروف ويركبون كل منكر سكارى متمردون في طغيانهم يعمهون ، لا يسمعون النداء ولا يبصرون الهدى ولاينجع فيهم الوعظ ولا الذكر ولا الامر ولا النهي ولا الوعد ولا الوعيد ولاالترغيب ولاالترهيب ولا الزجر ولاالتهديد بل تراهم فى غيهم يترددون وفى طغيانهم يعمهون ، مولون مدبرون عن الآخرة معرضون على الدنيا يتكالبون تكالب الكلاب على الجيفة منهمكين في الشهوات تاركين للصلوات لايسمعون الموعظة ولاتنفعهم التذكرة فلا جرم انهم يمهلون قليلا ويمتعون يسيرا ثم تجيئهم سكرة الموت بالحق ان شاؤا أو أبوا فيفارقون محبوباتهم على رغم منهم ويتركون

ماجمعوا لغيرهم يتمتع بمال أحدهم حليل زوجه وامرأة ابنه وبعل ابنته وصاحب ميراثه لهم المهنأة وعليه الوبال ثقيل ظهره باوزاره معـذب النفس بما كسبت يداه ياحسرة عليهم قامت القيامة على أهلها . وفقك الله أيها الاخ للسداد وهداك للرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا فى البلاد انه رؤوف بالعباد

تمت رسالة الاخلاق والحمد لله والصلاة على رسوله مستنبط ينابيع الحكمة بصفاء جوهره والمقارع به أنوف الجاحدين لاوله ومصدره والمفصح عن غرائبه وعلى آله وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.



الرسالة العاشرة

من القسم الرياضى

في ايساغوجي

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه انه لما كان الانسان أفضل الموجودات التى تحت فلك القمر وكان من فضيلته العلوم والصنائع وكان النطق من أفضل الصنائع البشرية أردنا أن نبين ماهية النطق وكميته وكيفيته اذكان به ينفصل الانسان من سائر الحيوانات كما يقال في حده انه حى ناطق مائت لان سائر الحيوانات كلها أحياء مائتون غير ناطقين وأيضاً فان النطق من سائر الصنائع البشرية الى الروحانية ما هو أقرب ، وذلك أن سائر الصنائع الموضوع فيها الاجسام الطبيعية موضوعاتها كلها جواهر جسمانية كما بينا في رسالة الصنائع

فأما النطق فان الموضوع فيه جواهر النفس الجزئية الحية وتأثيراته فيها روحانية مثل الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والمديح والهجاء ، والدليل على ذلك ما يتبين لنا من تأثيرات الكلام في النفوس مثل ما يرى من تأثيرات الاجسام بعضها في بعض

وذلك أن تأثيرات الاجسام بعضها في بعض نوعان مفسد ومصلح فالمصلح

مثل الطعام والشراب المصلحين لاجساد الحيوانات ومثل العقاقير والادوية المصلحة لاجساد المرضى ، والمفسد مثل النار المهلكة لاجساد الحيوانات وأجساد النبات ومثل الضرب بالسيف والسكين وما شاكله من الاجساد المفسدة المهلكة لاجسام الحيوانات فكذا حكم الكلام والاقاويل في النفوس نوعان مصلح ومفسد فالمصلح كالمديح والثناء الجميل الباعثين النفوس على مكارم الاخلاق ومثل المواعظ والمواعيد الزاجرين للنفوس عن الافعال القبيحة وعن مساويء الاخلاق والمفسد من الكلام للنفوس كالشتيمة والتهديد والقبيح من الاقاويل الجالبة الى النفوس العداوة والبغضاء كما يقال رب كلمة جلبت فتنة وحروبا كما قيل في المثل أن سبب العداوة بين الغربان والبوم كلمة تكلم بها الغراب يوم اجتماع الطير على تمليك البوم ،ورب كلمة أطفأت نيران الحروب كما قيل في قصيدة:

لفظ يثبت في النفوس مهابة يكفي كفاية قائد القواد
لا تبلغ الاسياف باستهلاكها ما تبلغ الاقلام بالايعاد

ومن فضيلة النطق أيضاً أنه كاد أن يكون مطابقاً للموجودات كلها كمطابقة العدد للمعدودات والدليل على ذلك كثرة اللغات واختلاف الاقاويل وفنون تصاريف الكلام مما لا يبلغ أحد كنه معرفتها إلا الله عز وجل فنريد أن نذكر من ذلك طرفاً شبه المدخل ليقرب على المتعلمين وليسهل على الناظرين فى علم المنطق فهم معانيها

﴿ فصل في اشتقاق المنطق وانقسام النطق الى قسمين ﴾

اعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه، أن المنطق مشتق من نطق ينطق نطقاً والنطق فعل من أفعال النفس الانسانية وهذا الفعل نوعان فكري ولفظي فالنطق اللفظي هو أمر جسماني محسوس والنطق الفكري أمر روحاني معقول ، وذلك أن النطق اللفظي انما هو أصوات مسموعة لها هجاء وهي تظهر من اللسان الذي هو عضو من الجسد وتمر الى المسامع من الآذان التى هي

أعضاء من أجساد أخر وان النظر في هذا المنطق والبحث عنه والكلام على كيفية تصاريفه وما يدل عليه من المعاني يسمى علم المنطق اللغوي. وأما النطق الفكري الذي هو أمر روحاني معقول فهو تصور النفس معاني الاشياء في ذاتها ورؤيتها لرسوم المحسوسات في جوهرها وتمييزها لها في فكرتها، وبهذا النطق يحد الانسان فيقال انه حي ناطق مائت فنطق الانسان وحياته من قبل النفس وموته من قبل الجسد لان اسم الانسان انما هو واقع على النفس والجسد جميعاً

واعلم ان النظر في هذا النطق والبحث عنه ومعرفة كيفية ادراك النفس معاني الموجودات في ذاتها بطريق الحواس وكيفية انقداح المعاني في فكرها من جهة العقل الذي يسمى الوحي والالهام وعبارتها عنها بألفاظ بأي لغة كانت يسمى علم المنطق الفلسفي

ولما كان النطق اللفظي أمراً جسمانيا ظاهراً جليا محسوسا وضع بين الناس لكيما يعبر به كل انسان عما في نفسه من المعاني لغيره من الناس السائلين عنه والمخاطبين له احتجنا الى أن نذكر من هذا المنطق طرفاً شبه المدخل ليقرب على المتعلمين فهم علم المنطق الفلسفي ويسهل تأمله على الناظرين فنقول أيضا انه لما كان النطق اللفظي هو الفاظ مؤلفة من الحروف المعجمة احتجنا ان نذكر الحروف أولا فنقول ان الحرف ثلاثة أنواع فكرية ولفظية وخطية فالفكرية هي صورة روحانية في أفكار النفوس مصورة في جواهرها قبل اخراجها معانيها بالالفاظ، والحروف اللفظية هي أصوات محمولة في الهواء فمدركة بطريق الاذنين بالقوة السامعة كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس، والخطية هي نقوش خطت بالاقلام في وجوه الالواح وبطون الطوامير مدركة بالقوة الباصرة بطريق العينين

واعلم أن الحروف الخطية انما وضعت سمات ليستدل بها على الحروف اللفظية والحروف اللفظية وضعت سمات ليستدل بها على الحروف الفكرية والحروف الفكرية هي الاصل

ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وسنبين ماهيتها فى فصل آخر

واعلم أن الحروف اللفظية انما هي أصوات تحدث فى الحلقوم والحنك وبين اللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة بعد ترويحها الحرارة الغريزية التى هي في القلب وهى ثمانية وعشرون حرفاً فى اللغة العربية وأما فى سائر اللغات فربما تزيد وتنقص وقد بينا علة ذلك فى رسالة اختلاف اللغات. واعلم أن الحروف اذا ألفت صارت ألفاظا والالفاظ اذا ضمنت المعاني صارت أسماء والاسماء اذا ترادفت صارت كلاماً والكلمات اذا اتسقت صارت أقاويل والاقاويل نوعان موزون ونثر فالموزون كالشعر والرجز والقوافى ، والنثر نوعان فمنه فصاحة وبلاغة ومنه مخاطبات ومحاورات والخطاب نوعان فمنه ما يتكلم به جمهور الناس فيما بينهم فى طلب حاجاتهم بلا احتجاج ولا خصومة ومنه ما يتكلمون به فى دعاويهم وخصوماتهم باحتجاج وبراهين. والدعاوي والخصومات نوعان إما فى أمور الدنيا وإما فى أمور الديانات والمذاهب والعلوم

ولما كانت البراهين على صحة الدعاوي التى فى أمور الدنيا لا تكون الا بالشهود والعقود والصكوك صارت البراهين أيضا على صحة الدعاوي فى أمور الديانات والمذاهب والعلوم لا تكون الا باستشهاد ما فى الكتب الالهية والاخبار عن اصحاب الشرائع أو اجماع الخصوم أو شهادة العقول بالقياس الصحيح الذي هو ميزان الحق

ولما كان اختلاف الناس بالحزر والتخمين في مقادير الأشياء الموزونة والمكيلة دعتهم الى وضع الموازين والمكاييل ليرفع الخلف بها عند الحزر وكذلك اختلاف العلماء في الحكم بالحزر والتخمين على الامور الغائبة عن الحواس دعتهم إلى وضع القياسات ليرفع الخلف بها عند النظر ولما كان في صحة الوزن والكيل يحتاج الى شرائط من عيار الصنجات وصحة المكيال والميزان وتقويم الكيل والوزن بها كذلك حكم القياسات التى يعرف بها الحق من الباطل والصواب

من الخطأ والخير من الشر يحتاج الى شرائط ليصح بها الحكم وقد ذكر ذلك في كتب المنطق الفلسفي بشرح طويل ولكن نريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً ليقرب على المتعلمين فهمها ونرجع الآن الى ذكر الالفاظ الدالة على المعاني التي في أفكار النفوس فنقول :

﴿ فصل في الالفاظ الدالة على المعاني ﴾

أولا : ما الاسم وما المسمى وما التسمية وما المسمى ؟ ونقول أيضاً من الواصف وما الوصف وما الموصوف ، وما الصفة ؟ وأيضاً من الناعت وما المنعوت وما النعت ؟

تفسيرها : الاسم كل لفظة دالة على معنى من المعانى بلا زمان ، والمسمي هو القائل ، والتسمية هي قول القائل ، والمسمى هو المعنى المشار اليه ، والواصف هو القائل ، والوصف هو قول القائل ، والموصوف هو الذات المشار اليه ، والصفة هي معنى متعلق بالموصوف ، والناعت هو القائل ، والنعت هو قول القائل ، والمنعوت هو الذات المشار اليه ، وليس له لفظة رابية تدل على معنى متعلق بالمنعوت كما كانت الصفة متعلقة بالموصوف

﴿ فصل في الالفاظ الستة ﴾

واعلم ان الالفاظ التى تستعملها الفلاسفة فى أقاويلها واشاراتها الى المعانى التى في أفكار الناس ستة أنواع ثلاثة منها دالات على الاعيان التى هي موصوفات وثلاثة منها دالات على المعانى التى هي الصفات . فالألفاظ الثلاثة الدالة على الموصوفات قولهم الشخص والنوع والجنس والثلاثة الدالة على الصفات هي قولهم الفصل والخاصة والعرض

وأما شرح معانيها فنقول : الشخص كل لفظة يشار بها الى موجود مفرد عن غيره من الموجودات مدرك باحدى الحواس مثل قولك هذا الرجل وهذه

الدابة وهذه الشجرة وذا الحائط وذاك الحجر وماشا كل هذه الالفاظ المشار بها الى شيء واحد بعينه

والنوع كل لفظة يشار بها الى كثرة تعمها صورة واحدة مثل قولك الانسان والفرس والجمل والغنم والبقر والسمك وبالجملة كل لفظة تعم عدة أشخاص متفقة الصور

وأما الجنس فهو كل لفظة يشار بها الى كثرة مختلفة الصور تعمها كلها صورة أخرى كالحيوان والنبات والثمار والحب وماشا كلها من الالفاظ فان كل لفظة منها تعم جماعات مختلفة الصور، وذلك ان قولك الحيوان يعم الناس كلهم والسباع والطيور والسمك وحيوان الماء أجمع وهي كلها صور مختلفة يعمها الحيوان وهي صورة روحانية متممة للجسم

وأما قولهم الفصل والخاصة والعرض فهي الفاظ دالة على الصفات التي يوصف بها الاجناس والانواع والاشخاص. واعلم ان الصفات ثلاثة فنها صفات اذا بطلت بطل وجدان الموصوف معه فتسمى فصولا ذاتيـة جوهرية مثل حرارة النار ورطوبة الماء ويبوسة الحجر وماشا كلها وذلك ان حرارة النار اذا بطلت بطل وجدان النار وكذلك حكم رطوبة الماء ويبوسة الحجر وكل صفة لموصوف هكـذا حكمه سميت فصلا ذاتياً جوهرياً ومنها صفات اذا بطلت لم يبطل وجدان الموصوف ولـكنها بطيئة الزوال مثل سواد القير وبياض الثلج وحلاوة العسـل ورائحة المسك والـكافور وماشا كلها من الصفات البطيئة الزوال ولـكن ليس من الضرورة انه اذا بطل سواد القير أو بياض الثلج أن يبطل وجدان أعيانها فثل هذه الصفات تسمى خاصية ومنها صفات سريعة الزوال تسمى عرضاً مثل حمرة الخجل وصفرة الوجل ومثل القيام والقعود والنوم واليقظة وماشا كل هذه من الصفات يسمى عرضاً لانها تعرض لشيء وتزول عنه من غير زواله ، وسميت الصفات البطيئـة الزوال خاصية لانها صفات تختص بنوع دون سائر الانواع

وتسمى الصفات الذاتية الجوهرية فصولا لانها تفصل الجنس فتجعله أنواعاً

واعلم ان الصفات التي تسمى خاصية أربعة أنواع فمنها مايكون خاصية لنوع ويشاركه فيها نوع آخر مثل خاصية الانسان انه ذو رجلين من بين سائر الحيوانات ولكن يشاركه فيه الطير، ومنها ماهي خاصية لنوع ولايشاركه فيها غيره ولكن لايوجد في جميع أشخاصه تلك الخاصية مثل الكتابة والتجارة وأكثر الصنائع فانها خاصية لنوع الناس ولكن لاتوجد في كل انسان، ومنها خاصية قد توجد لكل أشخاص النوع ولكن لاتوجد في كل وقت مثل المشيب فانه خاصية للانسان دون سائر الحيوانات ولكن لايوجد الا في آخر العمر

ومنها خاصية لنوع دون غيره وتوجد في كل أشخاصه وفي كل وقت وتسمى خاص الخاص مثل الضحك والبكاء فانهما من خاصية الانسان دون سائر الحيوانات ولكل أشخاصه وفي كل وقت وذلك ان الضحك والبكاء يوجدان للانسان من وقت ولادته الى وقت موته وكذلك الصهيل للفرس والنهيق للحمار والنباح للكلاب، وبالجملة مامن نوع من أنواع الحيوان الا وله خاصية تختص به دون غيره وهكذا حكم كل موجود من الموجودات له خاصية تميزه عما سواه تسمى رسوماً علم ذلك أو لم يعلم

واعلم ان بالفصول تنقسم الاجناس فتصير أنواعاً وبها تحد الأنواع لانها مركبة منها وبالرسوم تختلف الانواع ويخالف بعضها بعضاً يعني خاص الخاص وبالخواص التي هي أعراض بطيئة الزوال تختلف الاشخاص التي تحت نوع واحد مثل الزرقة والشهلة والفطسة والقنوة والنحافة والسمرة والطول والقصر وماشا كلها من الصفات التي تختلف بها أشخاص الناس ويمتاز بعضهم عن بعض وكل هذه صفات بطيئة الزوال وبالاعراض تختلف أحوال الاشخاص مثل القيام والقعود والغضب والرضا وماشاكلها من الصفات التي لاتدوم ويتعاقبها ضدها

واعلم بأن كل صفة للجنس فهي في جميع أنواعه وكل صفة للنوع فهي في جميع

أشخاصه ضرورة وليس من الضرورة ان كل صفة للشخص لجميع نوعه ولاصفة النوع لجميع جنسه

﴿ فصل في ان الاشياء كلها صور واعيان ﴾

واذ قد ذكرنا طرفاً من المنطق اللفظي شبه المدخل فنريد أن نذكر طرفاً من المنطق الفكري اذ كان هو الاصل وهذا فرع عليه كما ذكرنا قبل فان الالفاظ إنما هي سمات دالات على المعاني التي في أفكار النفوس وضعت بين الناس ليعبر كل انسان عما في نفسه من المعاني لغيره من الناس عند الخطاب والسؤال فنقول ان الاشياء كلها بأجمعها صور و أعيان غيريات أفاضها الباري تعالى على العقل الفعال الذي هو جوهر بسيط مدرك حقائق الاشياء كما بينا في رسالة المبادىء العقلية ومن العقل على النفس الكلية الفلكية التي هي نفس العالم بأسره كما بينا في الرسالة التي فسرنا فيها معنى قول الحكماء ان الانسان عالم صغير وان العالم انسان كبير ومن النفس الكلية فاضت على الهيولى الاولى التي بينا ماهيتها في رسالة الهيولى والصورة ومن الهيولى على النفس الجزئية البشرية التي بينا كيفية نشوئها في رسالة لنا ترجمتها « الانسان عالم صغير » وهي ما يتصور الناس في أفكارهم من المعلومات بعد مشاهدتهم لها في الهيولى بطريق الحواس

فمن أراد أن يعرف كيف كانت صور الاشياء في النفس الكلية قبل فيضها على الهيولى فليعتبر صور مصنوعات البشر كيف تكونها في نفوسهم قبل اظهارهم لها في الهيوليات الموضوعة لهم في صناعتهم كما بينا في رسالة الصنائع ، ومن أراد أن يعرف أيضاً كيف كانت صور الاشياء في العقل الفعال قبل فيضه على النفس الكلية وكيف كان قبولها تلك الرسوم والصور فليعتبر حال رسوم المعلومات التي في أنفس العلماء وكيف افادتهم للمتعلمين وكيف قبولهم لها كما بينا في رسالة التعليم ومن أراد أيضاً أن يعرف كيف حال المعلومات في علم الباري عز وجل قبل فيضه على العقل فليعتبر حال العدد كيف كان في الواحد الذي قبل الاثنين وكيف نشأ منه كما بينا في رسالة خواص العدد

﴿ فصل ﴾
فى العلم والتعلم والتعليم

واعلم ان العلم ليس بشيء سوى صورة المعلوم فى نفس العالم وان الصنعة ليست شيئاً سوى اخراج تلك الصورة التى فى نفس الصانع العالم ووضعها فى الهيولى

واعلم يا أخي ان أنفس العلماء علامة بالفعل وأنفس المتعلمين علامة بالقوة والتعليم ليس شيئاً سوى اخراج مافى القوة الى الفعل والتعلم هو الخروج من القوة اليه ، وان كل شيء بالقوة لايخرج الى الفعل الا لشيء هو بالفعل يخرجه اليه وان النفس الكلية الفلكية هي علامة بالفعل والانفس الجزئية علامة بالقوة فكل نفس جزئية تكون أكثر معلومات وأحكم مصنوعات فهي أقرب الى النفس الكلية لقرب نسبتها اليها وشدة شبهها بها كما قيل فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية فاجتهد أن تكتسب معلومات كثيرة تكن أفعالك كلها حكمية زكية فانها القنية الروحانية كما تجتهد أبناء الدنيا فى اكتساب المال الذى هو القنية الجسدية

واعلم انه كما ان المال يتمكن الانسان به مما يريده من اللذات فى الدنيا وطيب العيش فهكذا بالعلم تتمكن النفس من اللذات فى الدار الآخرة وبالعلم يتقرب الى الله أبناء الآخرة وبه يتفاضل بعضهم على بعض كما قال الله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) الآية

واعلم ان بالعلم تحيا النفوس من موت الجهالة وبه تنتبه من نوم الغفلة كما قال الله (أفمن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به) الآية فالعلم يهديك الى طريق ملكوت السماء ويعينك على الصعود الى هناك كقوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وأخبر عن أهل الجهالة فقال تعالى (لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)

وهذا وعيد لهم بالاياس عن الصعود الى ملكوت السماء فأعيذك أيها الأخ أن ترضى بأن تكون منهم أو معهم وقيل ان المرء مع من أحب بل كن من الذين أمرهم رسول الله ﷺ فقال: كن عالماً أو متعلماً أو تجالس العلماء أو تحب العلماء واياك والخامس الا ان تكون من الطوائف

﴿ فصل في اشتراك الالفاظ وأخواتها ﴾

واذ قد فرغنا من ذكر المعاني وأخبرنا بأنها صور كلها ورسوم فى أفكار النفوس الجزئية وانها تناولتها من الهيولى بطريق الحواس وقلنا أيضاً ان الصور التى فى الهيولى فاضت عليها من النفس الكلية الفلكية وان التى فى النفس أيضاً فاضت عليها من العقل الفعال وان التى فى العقل أيضا أفاضها عليه الباري عزوجل وذكرنا أيضا الالفاظ بمجردها وأخبرنا أن الحروف التى هى أصوات مفردة إذا الفت صارت ألفاظا وان الالفاظ اذا ضمنت المعاني صارت أسماء وان الاسماء إذا ترادفت صارت كلاما وان الكلام اذا اتسق صار أقاويل واعلم ان المعانى هى الارواح والالفاظ كالاجساد لها، وذلك أن كل لفظة لا معنى لها فهى بمنزلة جسد لا روح فيه وكل معنى في فكر النفس لا لفظ له فهو بمنزلة روح لا جسد له. واعلم أن الكلمات اذا اتسقت صارت أقاويل وأن الاقاويل تختلف تارة من جهة اللفظ وتارة من جهة المعنى وتارة منهما جميعا وهى خمسة أنواع فمنها المشتركة في اللفظ المختلفة في المعنى كقولك عين الانسان وعين الماء ومقابلتها هى المترادفة التى هى المختلفة في اللفظ المتفقة في المعنى كقولك البر والحنطة، ومنها المتباينة فى اللفظ والمعنى جميعا كقولك حجر وشجر ومقابلتها المتواطئة وهى المتفقة في اللفظ والمعنى جميعا كقولك هذا انسان اسمه زيد وهذا اسمه عمر ومنها المشتق أسماؤها وهى كقولك الضارب والمضروب وما شاكلها من الاسماء المشتقة من الافعال

﴿ فصل ﴾
في أن الاشياء كلها جواهر وأعراض

واعلم يا أخي أن العلماء قالوا ان الاشياء كلها نوعان جواهر وأعراض. وأن الجواهر كلها جنس واحد قائمة بانفسها وان الاعراض تسعة أجناس وهي حالة في الجواهر وهي صفات لها وان الباري عز وجل ليس يوصف بانه عرض ولا جوهر بل هو خالقهما وعلتهما الفاعلة ونحن نقول أن الاشياء كلها صور وأعيان غيريات مرتب بعضها تحت بعض كترتيب العدد ومتعلق وجود بعضها ببعض كوجود العدد من الواحد الذي قبل الاثنين كما بينا في رسالة العدد وان الباري جل جلاله هو علتها وهو موجدها كما بينا في رسالة المبادىء العقلية

واعلم ان الصورة نوعان مقومة ومتممة وقد سمت العلماء الصور المقومة جواهر وسمت الصور المتممة أعراضا وقد بينا الفرق بين الصورة المقومة والصورة المتممة في رسالة الهيولى والصورة وفي رسالة الكون والفساد فاعرفهما من هناك ان شاء الله

﴿ فصل ﴾
في حاجة الانسان الى المنطق

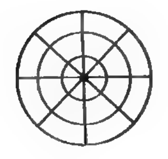
واعلم أيها الاخ أنه لو أمكن الناس ان يفهم بعضهم من بعض المعاني التي في أفكار نفوسهم من غير عبارة اللسان لما احتاجوا الى الاقاويل التي هي أصوات مسموعة لان في استماعها واستفهامها كلفة على النفوس من تعليم اللغات وتقويم اللسان والافصاح والبيان ولكن لما كانت نفس كل واحد من البشر مغمورة في الجسد مغطاة بظلمات الجسم حتى لا ترى واحدة منهما الاخرى الا الهيا كل الظاهرة التي هي الاجسام الطويلة العريضة العميقة ولا يدري ما عند كل واحدة منها من العلوم الا ما عبر كل انسان عما في نفسه لغيره من أبناء جنسه ولا يمكنه ذلك الابادوات وآلات مثل اللسان والشفتين واستنشاق الهواء ومده

شا كلها من الشرائط التي يحتاج الانسان اليها في افهامه غيره من العلوم واستفهامه منه فمن أجل هذا احتيج الى المنطق اللفظي وتعليمه والنظر في شرائطه التي يطول الخطاب فيها

فأما النفوس الصافية الغير المتجسدة فهي غير محتاجة الى الكلام والاقاويل في افهام بعضها بعضا من العلوم والمعاني التي في الافكار وهي النفوس الفلكية لأنها قد صفت من درن الشهوات الجسمانية ونجت من بحر الهيولى وأسر الطبيعة واستغنت عن الكون مع الاجساد المظلمة التي هي أسفل السافلين وعالم الكون والفساد وارتفعت الى أعلى أفق العالم العلوي وسرت في الجواهر النيرة والشفافة التي هي الكواكب والافلاك وذلك كما توجب الحكمة الالهية والعناية الربانية إذ لم تقرن بالاجسام الساترة ولم تحتج الى كتمان أسرارها ولا الى اخفاء ما في ضمائرها اذ كانت صافية من الخبث والدغل وبريئة من الاضمار للشر فقرنت بالجواهر النيرة والاكر الشفافة التي يتراءى الجزء منها في الكل والكل يتراءى في الجزء كما تتراءى وجوه المرايا المجلاة بعضها في بعض وكما تتراءى وجوه الجماعة المتقابلين في عين الواحد منهم ووجه الواحد في اعين الجميع فهم غير محتاجين الى الاخبار عن الاضمار ولا السؤال عن كتمان الاسرار لانهم في الاشراق والانوار التي هي معدن الاخيار والابرار

فاجتهد يا أخي فلعل نفسك تصفو وهمتك تعلو من الرغبة في هذه الدنيا الدنية التي ذمها رب العالمين فقال عز وجل « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر » الى قوله « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » وقال تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء » الآية وقال تعالى «قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات » الآية وقال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

واعلم بأنه اذا عدم الجنس عدم جميع أنواعهمعه واذا عدم النوع عدم جميع أشخاصه معه وليس من الضروري اذا وجد الشخص وجد النوع كله ولا إذا وجد النوع وجد الجنس كله . واعلم بأن الاجناس أربعة أنواع ثلاثة يستعملها صاحب اللغة في أقاويله وواحد يستعمله صاحب الفلسفة في أقاويله فالذي يستعمله صاحب اللغة من هذه الثلاثة أحدها جنس البلدي والآخر جنس الصناعي والآخر جنس النسبي فالجنس البلدي كقولك لجماعة تشير اليهم فتقول البغداديون والبصريون والخراسانيون وما شاكله ، والصناعي كقولك لجماعة تشير اليهم فتقول نجارون حدادون خبازون وما شاكله ، والنسبي كقولك لجماعة هاشميون علويون ربعيون . وأما الذي يستعمله الفيلسوف في أقاويله فهو عشرة الفاظ بيناها في قاطيغورياس



الرسالة الحادية عشرة

من القسم الرياضي

في المقولات العشر التي هي قاطيغورياس

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ قد فرغنا من ذكر الستة الالفاظ التي في ايساغوجي وبينا ماهية المعاني التي تدل عليها واحداً واحدا فنريد أن نذكر العشرة الالفاظ التي في قاطيغورياس ونبين معانيها ونصف كيف هي وأن كل لفظة منها اسم لجنس من الاجناس الموجودة وان المعاني كلها كيف هي داخلة تحت هذه العشرة الالفاظ

اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيدك الله وايانا بروح منه ، بان الحكماء الاولين لما نظروا الى الاشياء الظاهرة بابصار عيونهم وشاهدوا الامور الجلية بحواسهم تفكروا عند ذلك في معاني بواطنها بعقولهم وبحثوا عن خفيات الامور برويتهم وادركوا حقائق الموجودات بتمييزهم وبان لهم ان الاشياء كلها أعيان غيريات ، مرتبة في الوجود كترتيب العدد ومتعلقة مرتبطة بعضها ببعض في البقاء والدوام عن العلة الاولى الذي هو الباري سبحانه كتعلق الاعداد ورباط بعضها ببعض من الواحد الذي قبل الاثنين كما بينا في رسالة العدد

ولما تبين لهم هذه الاشياء كما ذكرنا لقبوا وسموا الاشياء المتقدمة في الوجود الهيولى وسموا الاشياء المتأخرة في الوجود الصورة ، ولما بان لهم ان

الصورة نوعان مقومة ومتممة كما بينا في رسالة «الكون الفساد» سموا الصور المقومة جواهر وسموا الصور المتممة أعراضاً ، ولما بان لهم أيضاً أن الصور المقومة حكمها حكم واحد قالوا ان الجواهر كلها جنس واحد ، وكذلك لما تبينوا ان الصور المتممة احكامها مختلفة قالوا ان الاعراض مختلفة الاجناس وهي تسعة اجناس مثل تسعة آحاد فالجوهر فى الموجودات كالواحد في العدد والاعراض التسعة كالتسعة الآحاد التى بعد الواحد فصارت الموجودات كلها عشرة اجناس مطابقة لعشرة آحاد وصارت الاعراض مرتبة بعضها تحت بعض كترتيب العدد وتعلقه في الوجود عن الواحد الذي قبل الاثنين

فاما الالفاظ العشرة التى تتضمن معانى الموجودات كلها فهى قولهم: الجوهر والكم والكيف والمضاف والاين ومتى والنصبة (الوضع) والملك ويفعل وينفعل

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي بأن كل لفظة من هذه الالفاظ اسم لجنس من الاشياء الموجودة وكل جنس ينقسم الى عدة انواع وكل نوع الى انواع أخر وهكذا دائما الى ان تنتهي القسمة الى الاشخاص كما سنبين بعد

واعلم ياأخي بأن الحكماء لما نظروا الى الموجودات فاول ما رأوا الاشخاص مثل زيد وعمرو وخالد ، ثم تفكروا فيمن لم يروه من الناس الماضين والغابرين جميعاً فعلموا ان كلهم تشملهم الصورة الانسانية وان اختلفوا في صفاتهم من الطول والقصر والسواد والبياض والسمرة والزرقة والشهلة والفطسة والقنوة وماشا كلها من الصفات التى يمتاز بها بعضهم من بعض فقالوا كلهم انسان وسموا الانسان نوعا لانه جملة الاشخاص المتفقة في الصور المختلفة بالاعراض ، ثم رأوا شخصاً آخر مثل حمار زيد واتان عمرو وجحش خالد فعلموا أن الصورة الحمارية تشملها كلها فسموها أيضاً نوعا ، ثم رأوا فرس زيد وحصان عمرو ومهر خالد فعلموا ان صورة الفرسية تشملها كلها فسموها أيضاً نوعا ، وعلى هذا القياس سائر اشخاص الحيوانات من الانعام والسباع والطير وحيوان الماء ودواب البر

كل جماعة منها تشملها صورة واحدة سموها نوعاً ، ثم تفكروا فى جميعها فعلموا ان الحياة تشملها كلها فسموها الحيوان ولقبوها الجنس الشامل لجماعات مختلفة الصور وهي أنواع له . ثم نظروا الى أشخاص أخر كالنبات والشجر وأنواعها فعلموا ان النمو والغذاء يشملها كلها فسموها النامي فقالوا هي جنس والحيوان والنبات نوعان له ، ثم رأوا أشياء أخر مثل الحجر والماء والنار والهواء والكواكب وعلموا بأنها كلها أجسام فسموها جنساً، وعلموا بأن الجسم من حيث هو جسم لايتحرك ولايعقل ولايحس ولايعلم شيئاً ، ثم وجدوه متحركا منفعلا ومصنوعاً فيه الاشكال والصور والنقوش والاصباغ فعلموا ان مع الجسم جوهراً آخر هو الفاعل في الاجسام هذه الافعال والآثار فسموه روحانياً ، ثم جمعوا هذه كلها فى لفظة واحدة وهي قولهم جوهر فصار الجوهر جنساً والروحانى والجسمانى نوعان له ، والجسم جنس لما تحته من النامى والجماد وهما نوعان له ، والنامي جنس لما تحته من الحيوان والنبات وهما نوعان له ، والحيوان جنس لما تحته من الناس والطير التى هي سكان الهواء والسابح التى هي سكان الماء والمشاء التى هي سكان البر والهوام التى هي سكان التراب وهي كلها أنواع الحيوان وهو جنس لها

فالانسان نوع الانواع والجوهر جنس الاجناس والجسم والنامى والحيوان نوع من جنس المضاف لانها اذا أضيفت الى ماتحتها سميت أجناساً لها واذا أضيفت الى مافوقها سميت أنواعاً لها . فهذا وجيز من القول في معاني أحد المقولات العشر التى هي الجوهر وأقسامه وأنواعه وأشخاصه وليس له حد ولكن رسمه انه القائم بنفسه القابل للأعراض المتضادة ، ولما رأوا من الجواهر مايقال له ثلاثة أذرع وأربعة أرطال وخمسة مكاييل وماشا كلها جمعوا هذه وسموها جنس الكم وهي كلها أعراض في الجوهر ولما رأوا أشياء أخر ليست بالجوهر ولايقال لها كم مثل البياض والسواد والحلاوة والمرارة والرائحة وماشا كلها جمعوها كلها وسموها جنس الكيف وهذه الأعراض هي صفات للجوهر وهو

موصوف بها وهي قائمة به وكلها صور متممة له كما بينا في رسالة الكون والفساد

ثم انهم وجدوا أشياء شتى تقع على شيء واحد لم يتغير في ذاته بل من أجل اضافته الى أشياء شتى فسموها جنس المضاف مثال ذلك رجل يسمى أباً وابناً وأخاً وزوجاً وجاراً وصديقاً وشريكا وماشا كلها من الاسماء التي لا تقع إلا بين اثنين يشتركان في معنى من المعاني وذلك المعنى لا يكون موجوداً في ذاتيهما ولكن في نفس المفكر سموها جنس المضاف، وأصحاب الصفات يسمون هذه المعاني أحوالا . ثم انهم وجدوا أسماء أخر معانيها غير معاني ماتقدم ذكرها مثل فوق وتحت وهاهنا وماشا كلها من الاسماء فجمعوها كلها وسموها جنس الاين . ثم وجدوا أسماء أخر معانيها غير معاني ماذكرنا مثل يوم وشهر وسنة وحين ومدة وماشا كلها من الأسماء فجمعوها كلها وسموها جنس المتى . ثم وجدوا أسماء معانيها غير ذلك مثل قائم وقاعد ونائم ومنحن ومتكىء ومستند ومستلق وماشا كل ذلك من الاسماء فجمعوها كلها وسموها جنس النصبة يعني الوضع . ثم وجدوا أسماء أخر مثل قولك له وبه ومنه وعليه وعنده وما شا كلها من الاسماء فجمعوها كلها وسموها جنس الملكة . ثم وجدوا أسماء أخر مثل قولك ضرب وفعل وصنع وماشا كلها من الالفاظ التي تدل على تأثير الفاعل فجمعوها كلها وسموها جنس يفعل . ثم وجدوا أسماء أخر مثل قولك انقطع انكسر انبعث انبجس وماشا كلها من الالفاظ وجمعوها كلها وسموها جنس ينفعل . ثم تأملوا الاشياء كلها فلم يجدوا معنى خارجاً عن هذه التي ذكرنا فاجتمعت لهم معاني الاشياء كلها في عشرة ألفاظ حسب كما وجدوا لمراتب الآحاد عشرة ألفاظ حسب

واعلم يا أخي بأنه قد جمعت هذه الاجناس كل موجود من الجواهر والاعراض وما كان وما يكون ولا يقدر أحد أن يتوهم شيئاً خارجاً عن هذه الاجناس وماتحتويه من الانواع والاشخاص

واعلم بأنه ربما اجتمعت هذه المعاني في شخص واحد مثال ذلك زيد فانه جوهر وفيه كمية لانه طويل وفيه كيفية لأنه أسود وفيه مضاف لانه ابن وأين

لانه في مكان ومتى لانه في زمان ونصبة لانه قائم أو قاعد وملكة لانه ذومال ويفعل اذا ضرب وينفعل اذا ضرب

واذ قد فرغنا من ذكر الاجناس العشرة بقول وجيز فانا نذكر الآن طرفاً من كيفية تقسيمها الى الانواع ليكون ارشاداً للمتعلمين الى أحد طرق التعاليم اذ كانت طرق التعاليم أربعة أنواع أحدها طريق الحدود والآخر طريق البرهان والآخر طريق التحليل والآخر طريق التقسيم وهي هذه : الجوهر نوعان جسماني وروحاني ، فالجسماني نوعان فلكي وطبيعي ، فالطبيعي نوعان بسيط ومركب ، فالبسيط أربعة أنواع نار وهواء وماء وأرض والمركب نوعان جماد ونامي فالجماد هو الاجسام المعدنية والنامي نوعان نبات وحيوان والنبات ثلاثة أنواع منه مايكون بالغرس كالاشجار ومنه مايتكون بالبذر كالزرع ومنه مايكون بنفسه كالحشائش والكلاء . والحيوان نوعان ناطق كالانسان وغير ناطق كسائرها وهو ثلاثة أنواع منه مايتكون في الرحم ومنه مايتكون في البيض ومنه مايتكون في العفونات كالدبيب وتحت كل نوع من هذه أنواع وتحت تلك الانواع أنواع أخر الى أن ينتهي الى الاشخاص

وأما الجواهر الروحانية فتنقسم قسمين الهيولى والصورة فالصورة نوعان مفارقة كالنفس والعقل وغير مفارقة كالاشكال والاصباغ ، والكم ينقسم نوعين متصل ومنفصل فالمتصل خمسة أنواع الخط والسطح والجسم والمكان والزمان والمنفصل نوعان العدد والحركة ، والخط ثلاثة أنواع مستقيم ومقوس ومنحن والسطوح ثلاثة أنواع بسيط ومقبب ومقعر والجسم قد تقدم ذكر أقسامه والمكان سبعة أنواع فوق وتحت وقدام وخلف ويمنة ويسرة ووسط ، والزمان ثلاثة ماض ومستقبل وحاضر وكل واحد ينقسم أربعة أنواع السنون والشهور والايام والساعات ، والعدد نوعان أزواج وأفراد ووجه آخر صحيح وكسور ووجه آخر آحاد وعشرات ومئون وألوف . والحركة ستة أنواع الكون والفساد والزيادة والنقصان والتغير والنقلة وخاصة هذا الجنس مساو وغير مساو،

والكيف نوعان جسماني وروحاني فالجسماني مايدرك بالحواس والروحاني مايعرف بالعقول كالعلم والقدرة والشجاعة والاعتقادات، والجسماني نوعان مفردة ومركبة فالمفردة نوعان فاعلة وهي الحرارة والبرودة ومنفعلة وهي اليبوسة والرطوبة والمركبة نوعان ملازمة ومزايلة فالملازمة كالطعوم والالوان والروائح وزرقة الازرق وفطسة الافطس والمزايلة كالقيام والقعود وصفرة الوجل وحمرة الخجل.

والكيفية الروحانية أربعة انواع الاخلاق والعلوم والآراء والاعمال وخاصية هذا الجنس الشبيه وغير الشبيه ، والمضاف نوعان النظير وغير النظير فالنظير ما كان المضافان في الاسماء سواء كالاخ والجار والصديق وغير النظير ما كان المضافان في الاسماء مختلفين كالاب والابن والعبد والمولى والعلة والمعلول والاول والآخر والنصف والضعف والاصغر والاكبر وكلها في الاضافة معا، فأماذواتها في الوجود فعلى وجهين الوجه الاول أن يكون أحدهما قبل الآخر كالاب والابن والعلة والمعلول والآخر أن يكونا موجودين قبل الاضافة مثل العبد والمولى والجار والصديق، وجنس المضاف اذا أضيفت ادارته دخل باقي الاجناس كلها فيه بالعرض لا بالذات وذلك ان الجوهر موصوف بالاعراض والاعراض صفات له والصفة صفة للموصوف والموصوف موصوف بالصفة كما ان الاب أب للابن والابن أبن للاب وخاصية هذا الجنس ان المضافين يدوران أحدهما على الآخر ولايتنافيان وهما فى الاضافة معاً فهذه الاربعة الاجناس يقال لها البسيطة

وأما الستة الباقية فيقال لها مركبة أولها الاين وهو من تركيب جوهر مع المكان والاماكن سبعة أنواع كما بينا في جنس الكمية التى هي من تركيب جوهر مع الزمان وقد بينا أنواع الزمان في جنس الكم والنصبة تركيب جوهر مع جوهر آخر فان المتكيء متكيء على المتكأ والمستند مستند على المستند والملكة من تركيب جوهر مع جوهر آخر وهو ينقسم نوعين إما داخل وإما خارج فالداخل

اما في النفس كما يقال له علم وعقل وحلم وإما في الجسم كما يقال له حسن وجمال ورونق والذي من خارج نوعان حيوان وجماد كما يقال له عبيد ودواب ودراهم وعقارات وتجارات، وجنس يفعل نوعان إما أن يكون أثر الفاعل يبقى في المصنوع كالكتابة والبناء وما شاكلهما من الصنائع ومنها مالا يبقى للفاعل أثر كالرقص والغناء ، وجنس ينفعل نوعان اما في الاجسام كما بينا في رسالة الصنائع العملية واما في النفوس كما بينا في رسالة الصنائع العلمية .

وإذ قد فرغنا من ذكر الاجناس العشرة وبينا كيفية انقسامها الى الانواع فنحتاج أن نذكر الاشياء التي لابد من ذكرها وذلك ان هذه الاشياء اذا قابل بعضها بعضاً فلا يخلو أن يكون تقابلها في القول أو في ذواتها فالذي في القول هو الايجاب والسلب فالايجاب هو اثبات صفة لموصوف والسلب هو نفي صفة عن موصوف والذي يخص هذا التقابل الصدق والكذب وأما الذي في ذوات الاشياء فهو ثلاثة أنواع احدها في الاشياء المتضادة والآخر في الاشياء التي في جنس المضاف والآخر في القنية والعدم والمتضادان هما الشيئان اللذان ينافي كل واحد منهما صاحبه ولايدور عليه والمتضادان نوعان ذو وسط وغير ذي وسط فالذي هو ذو وسط مثل السواد والبياض اللذين هما ضدان وبينهما وسائط من الالوان كالحمرة والصفرة والخضرة وغيرها ومثل الحلو والمر فانهما ضدان وبينهما طعوم أخر كالحموضة والملوحة والعذوبة وغيرها من الطعوم وغير ذي الوسط كالصحة والمرض ومن خاصية هذين الضدين أن احدهما اذا كان في الجسم فالآخر أيضاً يكون في الجسم فان كان أحدهما في النفس فالآخر أيضاً يكون في النفس وخاصية أخرى ان ادراك أحدهما اذا كان بحاسة فالآخر أيضاً يدرك بتلك الحاسة .

مثال ذلك ان السواد لايكون الا في الجسم ولا يدرك الا في البصر كذلك حكم البياض، والعلم لايكون إلا في النفس ولا يدرك الا بالعقل والجهل كذلك حكمه وأما المضافان فانهما متقابلان ولا يتنافيان ويدور أحدهما على الآخر كما بينا

قبل وأما القنية والعدم فشبيه الضد والمضاف جميعاً وذلك ان العدم يضاف الى القنية والقنية لا تضاف الى العدم فيقال عمى البصر ولا يقال بصر العمى والقنية والعدم لا يجتمعان كما ان الضدين لا يجتمعان فاذا كانت القنية جسمانية كان العدم أيضاً جسمانياً وان كانت روحانية فكذلك العدم أيضاً روحاني ولا يقال العادم للقنية الا اذا حان وقت وجوده مثال ذلك لا يقال للطفل انه ادرد الا اذا حان خروج اسنانه ولا تاركا للفعل الا حين امكانه الفعل

فصل في معنى قدم الاشياء

واعلم بان تقدم الاشياء بعضها على بعض من خمسة أوجه أحدها بالزمان والكون كما يقال ان موسى أقدم من عيسى والآخر بالطبع كما يقال ان الحيوان اقدم من الانسان والثالث بالشرف كما يقال الشمس أقدم من القمر والرابعة بالمرتبة كما يقال في العدد ان الخمسة أقدم من الستة والوجه الخامس بالذات كالعلة والمعلول والشيء في الشيء على عدة أوجه الشيء في المكان وفى الزمان وفى الوعاء والعرض في الجوهر والجوهر في العرض والشخص في النوع والنوع فى الجنس وعكس هذا والسائس في السياسة والسياسة في السائس والشيء فى التمام والاجزاء في الكل وماشا كلها . والشيء مع الشيء يقال على ثلاثة أوجه مع الزمان مثل الفيء مع الضوء ومثل المضافين كما بينا ومثل الانواع التى كلها معاً تحت جنس واحد .

واعلم يا أخي بأن مثل هذه العشرة الالفاظ ومايتضمنها من المعاني التى هي عشرة اجناس المحتوية على جميع معاني الاشياء وما تحت كل واحد من الانواع وماتحت تلك الانواع من الاشخاص كمثل بستان فيه عشرة اشجار على كل شجرة عدة فروع واغصان وعلى كل غصن عدة قضبان وعلى كل قضيب عدة أوراق وتحت كل ورقة عدة أنوار وثمار وكل ثمرة لها طعم ولون ورائحة لا تشبه الاخرى وان مثل النفس اذا هي عرفت معاني هذه العشرة الاجناس وتصورتها

في ذاتها وتأملت فنون تصاريفها وما تحتوي عليه من المعلومات المختلفة الصور المفننة الهيئات المتلونة الاصباغ كمثل صاحب ذلك البستان اذا فتح بابه ونظر الى ما فيه من الالوان والازهار واشتم من روائح تلك الانوار وتناول من تلك الثمار وتطعم من تلك الطعوم وتمتع بنتائج ذلك البستان ، فاجتهد يا أخي في طلب العلوم وفنون الآداب فان العلوم بساتين النفوس وفنون معانيها وفوائدها الوان الثمار والعلوم غذاء النفس كما ان الطعام غذاء الجسد وبها تكون حياتها ولذة عيشها وسرورها ونعيمها بعد مفارقة الجسد كما بينا في رسالة المعاد .

وفقك الله أيها الاخ البار الرحيم للسداد والرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

تمت الرسالة الحادية عشرة في المنطق الفلسفي والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين



الرسالة الثانية عشرة

من القسم الرياضي

في معنى باريمانياس

﴿ وهي الرسالة الثالثة من المنطقيات ﴾

واذ قد فرغنا من ذكر العشرة الالفاظ التي يسميها الحكماء المنطقيون « المقولات العشرة » ووصفنا كيف ما يتضمن كل واحد منها جنساً من المعاني وهي الصور المنتزعة من الهيولى ورسومها المصورة في أفكار النفوس الانسانية مثالها في رسالة قاطيغورياس، وقبل ذلك قد ذكرنا في فصل آخر الستة الالفاظ التي تستعملها الفلاسفة في أقاويلها وفي فصل آخر قبله وصفنا أن الحروف المفردة اذا ائتلفت صارت الفاظاً وان الالفاظ اذا ضمنت المعاني صارت سمات وان السمات اذا ترادفت صارت كلاماً مفيداً فنقول في هذا الفصل :

ان الكلام كله ثلاثة أنواع ، فمنها ما هي سمات دالات على الاعيان يسميها المنطقيون والنحويون الاسماء ، ومنها ما هي سمات دالات على تأثيرات الاعيان بعضها في بعض ويسميها النحويون الافعال ويسميها المنطقيون الكلمات ، ومنها ما هي سمات دالات على معان كأنها أدوات للمتكلمين تربط بعضها ببعض كالأسماء بالأفعال والأفعال بالأسماء يسميها النحويون الحروف ويسميها المنطقيون الرباطات

فالاسماء هي كل لفظة دالة على معنى بلا زمان كقولك زيد وعمرو وحجر وخشب وما شاكلها من الالفاظ، والفعل مثل ضرب يضرب وعقل يعقل وهو كل لفظة دالة على معنى في زمان والحروف مثل قولك من وفي وعلى وما شاكلها

من الفاظ مذكور شرحها في كتب النحو. وبالجملة ينبغي لمن يريد أن ينظر في المنطق الفلسفي أن يكون قد ارتاض أولا في علم النحو قبل ذلك

واعلم يا أخي ان الكلمات والاسماء اذا اتسقت صارت أقاويل والاقاويل نوعان فنها ما يقع فيه الصدق والكذب ومنها ما لا يقع فيه لا الصدق ولا الكذب وهذه أربعة أنواع الامر والسؤال والنداء والتمني. والذي يقع الصدق والكذب فيه يسمى الاخبار والاخبار نوعان اما ايجاب صفة لموصوف واما سلبها عنه كقولك النار حارة وليست بحارة فقولك ليست بحارة سلب فالايجاب إما ان يكون صدقا واما أن يكون كذبا وكذلك السلب مثل قولك اذا قلت النار حارة فصدق واذا قلت باردة فكذب واذا قلت النار ليست بباردة فصدق واذا قلت ليست بحارة فكذب فقد تبين لك كيف يكون السلب والايجاب تارة صدقاً وتارة كذبا

واعلم بأن الايجاب والسلب تارة يكون حكما حتما وتارة شرطاً واستثناء فالايجاب الحتم مثل قولك الشمس فوق الارض وهو نهار والشرط مثل قولك ان كانت الشمس فوق الارض فهو نهار وكذلك حكم السلب مثله مثال ذلك ليست الشمس فوق الارض ولا هو نهار والشرط والاستثناء مثل قولك ان كانت الشمس ليست فوق الارض فليس هو نهاراً

واعلم بأن الحكم نوعان تارة يكون الصدق والكذب فيه ظاهرين وتارة يكونان فيه خفيين بيان ذلك أنه متى كان قول القائل محتملا للتأويل لم يتبين فيه الصدق والكذب ومتى كان غير محتمل للتأويل بان فيه الصدق والكذب

واعلم بأن القول يكون غير محتمل للتأويل متى كان محصوراً والمحصور من الاقاويل ما كان عليه سور وسور الاقاويل نوعان كلي وجزئي فالسور الكلي مثل قولك كل انسان حيوان فهذه صدق وظاهر بين لأن عليه سورا كليا والكذب الظاهر البين مثل قول القائل ليس واحد من الناس حيوانا فكذب ظاهر لان عليه سورا كليا، وأما السور الجزئي فمثل قولك بعض الناس كاتب

وبعض الناس ليس بكاتب والصدق فيهما ظاهر بين لأن عليهما سوراً جزئياوأما ما كان من الاقاويل الغير المحصورة فهو الذى ليس عليه سور وهو نوعان مهمل ومخصوص فالمهمل مثل قولك الانسان كاتب والانسان ليس بكاتب فلا يتبين فيه الصدق والكذب لانه لايمكن للقائل أن يقول أردت بعض الناس وأما المخصوص فمثل قول القائل زيد كاتب وزيد ليس بكاتب فلا يتبين فيهما الصدق والكذب لانه يمكنه أن يقول أردت بزيد الفلاني . واما اذا جعل على كل قول قائل سور كلي كما وصفنا فيتبين الصدق عند ذلك لانه لا يمكنه ان يقول أردت غير ما أوجبه الحكم

واعلم انه يجب على المستمع ان يلزم القائل ما يوجبه قوله ويطالبه به لا بما فى ضميره لان الضمائر لايطلع عليها أحد الا الله تعالى، فقد تبين بهذا المثال ان الكلام اذا لم يكن محصوراً بسور لا يتبين فيه الصدق ولاالكذب ظاهراً

واعلم بأن الاسوار انما تحصل الصفات للموصوفات وتحتاج أيضا ان يكون الموصوف محصلا بصفات معلومة معروفة وذلك ان الموصوف اذا لم يكن معروفا باسم فلا يتبين فيه الصدق والكذب فى القول مثل قولك غير الانسان حيوان وغير زيد كاتب وما سوي الحيوان جواهر ميتة وما شاكل هذه الالفاظ التى هى سمات لاعيان غير معروفة بل مشتركة لكل شيء سوى ذلك المستثنى منه

واعلم يا أخى بأن السلب والايجاب هما حكمان متناقضان في اللفظ والمعنى جميعاً لا يجتمعان فى الصدق والكذب فى صفة واحدة في زمان واحد من جهة واحدة فى إضافة واحدة لأنه رفع الشيء الذى أوجب من الشيء الذي أوجبته له على النحو الذى اوجبته له في الوقت الذي اوجبته له من الوجه الذي اوجبته له ومتى نقصت من هذه الشرائط واحدة جاز اجتماعها على الصدق والكذب جيما مثال ذلك قولك بعض الناس كاتب وبعض الناس ليس بكاتب وفي الصبى انه كاتب بالقوة ليس بكاتب بالفعل واليه أشار بقوله عليه السلام : « كنت

نبياً وآدم بين الماء والطين» عنى كنت نبياً بالقوة لا بالفعل وفى الرجل الواحد انه عالم بشيء ليس بعالم بشيء آخر وصائم فى رمضان بالنهار ليس بصائم بالليل وكبير بالاضافة الى ما هو أصغر منه وليس بكبير بالاضافة الى ما هو أكبر منه والكلب ليس يتحرك لان الكلب اسم مشترك وكذلك يتحرك اسم يقع فيه الحركات الست

واعلم يا أخى بأنه اذا حكم بالقول على موصوف بصفة سميت تلك الصفة قضية ثنائية مثل قولك زيد كاتب لانه يجوز أن يكون كاتباً وغير كاتب فاذا قطعت على أحد الخبرين كان قولا جازما وقضية جازمة واذا قرن بهذه القضية أحد الازمان الثلاثة سميت قضية ثلاثية مثل قولك زيد كتب أمس او يكتب غدا أو هو كاتب اليوم وان زدت على إحدى القضايا الثلاثية أحد العناصر الثلاثة الذى هو من الممكن والممتنع والواجب سميت رباعية مثل قولك يمكن ان يكون هذا الصبى يوما ما رجلا جلدا وممتنع ان يحمل يوما ما الف رطل وواجب ان يموت يوما ما

واعلم بأن السلب والايجاب نوعان كلية وجزئية فالكلية الموجبة مثل قولك كل نار حارة وسالبتها ليس شيء من النيران حارة فاذا تقابلتا سميتا أضداداً كبرى والموجبة الجزئية مثل قولك بعض الناس كاتب وسالبتها ليس واحد من الناس بكاتب واذا تقابلتا سميتا أضداداً صغرى، واذا تقابلت قضيتان موجبتان أو سالبتان سميتا متتاليتين مثل قولك بعض الناس حيوان بل كل الناس حيوان وان بعض الناس لا يطير بل كل الناس لا يطيرون والقضيتان المتلازمتان هما اللتان تتفقان في المعنى وتختلفان في اللفظ مثال ذلك كل نار حارة وليست شيء من النيران باردة وبعض الناس كاتب ليس بعض الناس أمياً

واعلم ان الصفة تسمى محمولا والموصوف يسمى موضوعاً لحمله فاذا كثرت الموصوفات والصفة واحدة فالقضايا تكون كثيرة مثل قولك زيد كاتب وخالد كاتب وعمرو كاتب واذا كثرت الصفات والموصوف واحد فالقضايا كثيرة مثل

قولك زيد كاتب وحداد ونجار فاذا كثرت الصفات في اللفظ والمعنى واحد فالقضية واحدة مثل قولك زيد فهم فقيه عالم

واعلم أن القضايا تختلف تارة بالسلب والايجاب وتارة بالكل والجزء والاختلاف بالسلب والايجاب يسمى كيفية وبالكلية والجزئيـة يسمى كمية فاذا اختلفت القضايا بالكيفية والكمية سميتا متناقضتين واذا اختلفت بالكيفيـة سميتا متضادتين والمتناقضان أشـد عناداً من المتضادين والمتضادان مثـل قولك كل انسان كاتب كل انسان ليس بكاتب والمتناقضان مثل قولك كل انسان كاتب ليس كل من الناس بكاتب

واعلم بأن الواجب في الكون أقدم في الطبع من الممكن والممكن أقدم من الممتنع لانه لو لم يكن الواجب في الكون لما عرف الممكن ولو لم يكن الممكن لما عرف الممتنع

واعلم يا أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه بأن كل قضية كلية أو جزئية موجبة كانت أو سالبة فهي مركبة من حدين يسمى أحدهما الموضوع والآخر المحمول مثال ذلك قولك النار حارة فالنار هي الموضوعة والحرارة هي المحمولة

واعلم بأنه ربما جعل الموضوع محمولا والمحمول موضوعاً مثال ذلك اذا قيل النار حارة ثم قيل الحارة نار ويسمى هذا عكس القضية

واعلم بأنه ربما تكون القضية قبل العكس صادقة وبعده كاذبة مثل قولك كل حيوان انسان وكل انسان حيوان وربما تكون صادقة قبل العكس وبعده مثل قولك كل انسان ضحاك وكل ضحاك انسان وربما تكون كاذبة فى الحالتين جميعاً مثل قولك كل انسان طائر وكل طائر انسان

هذه آخر رسالة بارامانياس وتليها رسالة انولوطيقا الاولى والحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

الرسالة الثالثة عشرة

من القسم الرياضي

في معنى انولوطيقا

﴿ فصل في أنولوطيقا الاولى ﴾

اعلم يا أخي بأن كل قضيتين اذا قرنتا ووجب عنهما حكم آخر سميت القضيتان مقدمتين وسمي ذلك الحكم نتيجتهما مثال ذلك اذا قيل كل انسان حيوان وكل حيوان نام فينتج من هاتين ان كل انسان نام

واعلم بأن المقدمتين لاتقترنان الا ان تشتركا في كل حد واحد وتتباينان بحدين آخرين، وذلك الحد لايخلو من أن يكون موضوعاً في احداهما ومحمولا في الاخرى أو يكون محمولا في كلتيهما أو يكون موضوعاً فيهما جميعاً فان كان موضوعاً في احداهما محمولا في الاخرى يسمى ذلك الشكل الاول وهو مثل قولك كل انسان حيوان وكل حيوان متحرك فالحيوان هو الحد المشترك في المقدمتين جميعاً محمولا في الاولى موضوعاً في الاخرى وان كان محمولا فيهما جميعاً سمي ذلك الشكل الثاني وهو قولك كل انسان حيوان وكل طير حيوان فالحد المشترك الذي هو الحيوان محمول فيهما جميعاً وان كان موضوعاً فيهما سمي ذلك الشكل الثالث وهو مثل قولك كل انسان حيوان وكل انسان ضحاك.

واعلم يا أخي بانه إذا اقترنت هذه المقدمات على هذه الشرائط واستخرج بها حكم ماسمي جميع ذلك الشكل « سلوجيموس » يعني القياس المنتج

واعلم يا أخي بان من المقدمات ماهو منتج ومنها ماهو غير منتج فالمنتج ماتقدم ذكره وغير المنتج هو ماليس له حد مشترك مثل قولك كل انسان حيوان وكل حجر يابس فان هاتين المقدمتين وان كانتا صادقتين فليستا تنتجان شيئاً لانه ليس لهما حد مشترك .

واعلم يا أخي انه انما احتيج فى المقدمات الى الحد المشترك ليقع الازدواج بينهما وانما يراد الازدواج لتخرج النتيجة التى هى الغرض من تقديم المقدمات كما ان الغرض من تزويج الحيوان الذكور مع الاناث هو ان ينتج منها أولاد مثلهم، فهكذا أيضا حكم المقدمتين واقترانهما هو لان ينتج منهما حكم على شىء ليس بظاهر للعقول فمن أجل هذا احتيج الى اقتران المقدمات

واعلم يا أخي بانه ليس كل اقتران منتجاً كما انه ليس من كل تزويج يكون الولادة وذلك انه اذا قيل كل انسان حيوان وكل طائر حيوان فان هاتين المقدمتين وان كانتا قد اشتركتا في حد فليس ينتج من اقترانهما نتيجة لانهما من الشكل الثاني وهكذا اذا قيل ليس واحد من الناس طائراً ولا واحد من الناس حجراً فان هاتين المقدمتين وان كانتا قد اشتركتا فليس ينتج من اقترانهما شىء لانهما من الشكل الثالث وهذان الشكلان ليس يوثق بنتيجتهما دون أن يعتبر بالشكل الاول كما بين ذلك في كتب المنطق بشرح طويل

واعلم يا أخي بأن مقدمات الشكل الاول منتجة كلها كلية كانت أو جزئية سالبة كانت أو موجبة مثال ذلك اذا قيل كل انسان حيوان كلية موجبة صادقة وكل حيوان متحرك كلية موجبة صادقة ينتجان كل انسان متحرك كلية موجبة صادقة واذا قيل ليس واحد من الناس حجراً كلية سالبة صادقة ولا واحد من الاحجار طائراً كلية سالبة صادقة نتيجتهما ليس واحد من الناس طائراً كلية سالبة صادقة وبعض الناس كاتب جزئية موجبة صادقة وبعض الكتاب حاسب جزئية موجبة صادقة نتيجتهما بعض الناس حاسب جزئية موجبة صادقة وبعض الناس ليس بكاتب جزئية سالبة صادقة وبعض الكتاب ليس بحاسب جزئية سالبة صادقة نتيجتهما بعض الناس ليس بحاسب جزئية سالبة صادقة فقد بان ان هذا الشكل ومقدماته ينبغي أن يتحفظ بها ويعرف استعمالها فى القياسات وكيفية استخراج نتائجها ويتحرز من السهو والغلط فيها فانه يدخل عليها الآفات العارضة كما يدخل فى سائر الموازين والقياسات اما بقصد من المستعملين لها أو بسهو يدخل

عليهم فيها وذلك انه ربما تكون المقدمات صادقة ونتائجها كاذبة وربما كانت المقدمات كاذبة ونتائجها صادقة وربما تكون المقدمات والنتيجة كاذبة كلها أو صادقة كلها .

واعلم يا أخي بأن هذا الباب ينبغي أن يتفحص وينظر موضع المغالطة فيه ويتحرز منه فان الذين راموا ابطال القياس المنطقي من هذا الباب أتوا وذلك ان أرسطاطاليس لما عمل كتاب القياس وبين فيه القياس الصحيح الذي لايدخله الخطاء والزلل وذكر انه ميزان يعرف به الصدق من الكذب في الاقاويل والصواب من الخطأ في الاراء والحق من الباطل في الاعتقادات والشر من الخير في الافعال فكثر الراغبون فيه في ذلك الزمان والطالبون له وتركوا ماسواه من كتب الجدل وزال الاختلاف الذي كان بينهم لرجوعهم الى الميزان الذى يريهم الحق ووثقوا به وأيقنوا انه لايجوز غيره كقوم اختلفوا في وزن شيء من الاشياء فلما اعتبروه بالميزان عرفوه يقيناً ورجعوا اليه وتركوا الجدل والمراء فلما زال الاختلاف فيما بينهم حسده جماعة من أبناء جنسه من المتفلسفة وراموا ابطال ذلك عليه من هذا الطريق وهو ان أتوا بمقدمات صادقة نتائجها كاذبة وبمقدمات كاذبة نتائجها صادقة وبمقدمات كاذبة نتائجها كاذبة وعارضوا بها تلامذة ارسطاطاليس لكيما ينفروهم عنها ويزهدوهم فيها وهي هذه ليس واحد من الناس بحجر سالبة صادقة ولاواحد من الاحجار بحيوان سالبة صادقة نتيجتهما لاواحد من الناس بحيوان سالبة كاذبة والآخر كل انسان طائر موجبة كاذبة وكل طائر ناطق موجبة كاذبة نتيجتهما كل انسان ناطق موجبة صادقة وكل انسان طائر موجبة كاذبة وكل طائر حجر موجبة كاذبة نتيجتهما كل انسان حجر موجبة كاذبة وكل انسان حيوان موجبة صادقة

واعلم يا أخي بأن مثل هذه المغالطة تدخل في الصناعة من وجهين أحدهما أن يكون المتعاطى جاهلا بصناعة القياس أو ناقصاً فيها فيغالط ولايدري من أين وكيف ولم ، كما يغلط من يحسب ولايدري الحساب أو يزن أو يكيل ولايدري

كيف الوزن والكيل أو يكون عارفاً بالصناعة ولكن يقصد عمداً وعناداً لغرض من الاغراض كما يفعل الحاسب والوزان والكيال دغلا وغشاً وحيلة فمن أجل هذه المغالطة التى أتى بها القوم أوصى ارسطاطاليس تلاميذه بسبع شرائط أن لا يستعمل قياس برهانى من مقدمتين سالبتين لا كليتين ولا جزئيتين أصلا ولا مهملتين ولا جزئية ولا خاصية البتة إذ كان منها تكون هذه المقدمات التى أتى بها القوم لمغالطتهم بل يقتصر على استعمال المقدمات الصادقة التى نتائجها صادقة وهي التى تغافل القوم عن ذكرها والمقدمات التى تصدق هي ونتائجها في كل مادة وفي كل زمان قبل العكس وبعد العكس تبين ذلك كله في انولوطيقا الثانية

فصل

في بيان العلة الداعية الى تصنيف القياسات المنطقية

اعلم يا أخي بأن الحكماء الأولين لما نظروا في فنون العلوم وأحكموها واستخرجوا الصنائع العجيبة وأتقنوها واستنبطوا عند ذلك لكل علم وصناعة أصلا منه تتفرع أنواعه ووضعوا له قياساً يعرف به فروعها وميزاناً يتبين به الزائد والناقص والمستوي منها مثل صناعة العروض التى هي ميزان الشعر يعرف بها الصحيح والمزحف من الابيات ومثل صناعة النحو التى هى ميزان الاعراب يعرف بها اللحن والصواب في الكلام ومثل الاسطرلاب الذي هو ميزان يعرف به الاوقات في صناعة النجوم ومثل المسطرة والبركار والكونيا التى هي موازين في أكثر الصنائع يعرف بها الاستواء من الاعوجاج ومثل المكيال والذراع والشاهين والقبان التى هى موازين يعرف بها الزائد والناقص والمستوى في البيع والشراء في معاملات التجار ومثل الحساب الذي هو ميزان العمال وأصحاب الدواوين

واعلم يا أخي بأن هذه المقاييس والموازين هي حكام بين الناس نصبها الله البارى جل ثناؤه بين خلقه قضاة وعدولا تحكم بالحق فيما يختلف الناس فيه

من الحكم بالحزر والتخمين لكيما اذا تحاكموا الى الموازين والمكاييل والمقاييس حكمت بينهم بالحق وقضي الامر وانفصل الخطاب وارتفع الخلف، فلما رأى الحكماء المنطقيون اختلاف العلماء في الاقاويل والحكم على المعلومات بالحزر والتخمين بالأوهام الكاذبة ومنازعتهم فيها وتكذيب بعضهم بعضاً وادعاء كل واحد ان حكمه الحق وخصمه المبطل ولم يجدوا لهم قاضياً من البشر يرضون بحكمه لان ذلك القاضي أيضاً يكون أحد الخصوم فرأوا من الرأي الصواب والحكمة البالغة أن يستخرجوا بقرائح عقولهم ميزاناً مستوياً وقياسا صحيحا ليكون قاضيا بينهم فيما يختلفون فيه لايدخله الخلل واذا تحاكموا اليه قضى بالحق وحكم بالعدل لايحابي أحداً وهو القياس الذي يسمى البرهان المنطقي المماثل للبرهان الهندسي الذي يشبه البرهان العددي

﴿ فصل فى القياس المنطقي ﴾

واعلم بأنه لما كان مقياس كل صناعة وميزان كل بضاعة متخذاً من الاشياء التي تشا كلها من موضوعاتها كالموازين التي يعرف بها الاثقال بصنجات لها ثقل وميزان المساحة الذى تعرف به ابعاد أشياء لها ابعاد وهي الذراع والباب والاشل، ومثل المسطرة التي تعرف بها الاشياء المستوية، فهكذا قاس الذين استخرجوا البرهان المنطقي وقالوا ان اختلاف العلماء فيما يدعون من الحق والباطل والصواب والخطأ الذي في ضمائرهم لايتبين لنا إلا في أقاويلهم من الصدق والكذب وان الاقاويل الصادقة والكاذبة لاتعرف الابميزان وقياس يقاس بها ويوزن، ولما كان الميزان أيضا لايكون الا من أشياء تجمع وتركب ضربا من التأليف حتى تصير ميزانا يمكن أن يوزن به ويقاس عليه مثال ذلك الميزان الذي تعرف به الاثقال فانه مجموع من كفتين وعمود وخيوط وصنجات فهكذا سلكوا في اتخاذ الميزان المنطقي الذي يسمى البرهان وبدأوا أولا فذكروا الأشياء التي منها يكون الميزان والموزون جميعاً في قاطيغورياس ثم ذكروا في باراميناس كيف تركب وتؤلف تلك الاشياء حتى يكون منها ميزان ومقياس ثم ذكروا في انولوطيقا الاولى كيف يعتبر ذلك الميزان حتى لا

يكون فيه الغبن والاعوجاج ثم ذكروا كيفية الوزن به حتى يصح ولا يدخل الخلل في أنولوطيقا الثانية

﴿ فصل في ان الحكم على الاشياء بالعقل والحث على تحري الصواب ﴾

واعلم يا أخي بأن الانسان قادر على أن يقول خلاف ما يعلم ولكن لا يقدر أن يعلم خلاف ما يعقل وذلك انه يمكنه أن يقول زيد قائم قاعد في حال واحدة ولكن لا يمكنه ان يعلم ذلك لأن عقله ينكره عليه فلما كان هذا هكذا فلا ينبغي أن ينزل بالحكم على قول القائلين ولكن على حكم المعقول

واعلم يا أخي بأن أهل كل صناعة يحرصون على حفظ أنفسهم من الخطأ والزلل في صناعتهم وذلك أن أهل كل علم يتجنبون الخطأ ويتحرون الصواب والحق ويجتهدون في ذلك فينبغي لاخواننا ، أيدهم الله وايانا بروح منه ، ومن يتعاطى منهم المنطق الفلسفي ان يحفظ أقاويله من التناقض من أولها الى آخرها فان من المتكلمين من يحفظ أقاويله من التناقض في مجلس واحد أو عدة مجالس ولكن قل من يحفظ كل أقاويله من أوائلها الى أواخرها حتى لا يناقض بعضها بعضاً مثال ذلك من قال في كتاب له ان من شأن النفس أن تتبع مزاج البدن ثم قال في كتاب آخر ان النفس مزاج البدن ثم قال في كتاب آخر لا أدري ما النفس اومثل من يعتقد بأن الله عز وجل خلق الخلق لينفعهم ثم يقول ويعتقد بأنه لا يغفر لهم ولا يخرجهم من النار ومثل من يعتقد بأن المكان جسم أو عرض حال في الجسم ثم يعتقد انه يبطل الجسم ويبقى المكان فارغا ومثل من يقول ان الجزء لا يتجزأ ثم يعتقد بأن له ست جهات وهو يشغل الحيز وما شاكل ذلك من الاقاويل المتناقضة والآراء الفاسدة يعتقدها انسان واحد في نفسه ثم يتعاطى مع هذا المنطق الفلسفي والبرهان الحقيقي

واعلم يا أخي علما يقينا بأن أهل كل صناعة وعلم اذا لم يكن لهم أصل صحيح في صناعتهم منه يتفرع علمهم وقياس مستو عليه يقاس ما يعملونه مثل

صناعة العدد كما بينا قبل فانه لا يمكنه ان يتحرز فيه من الخطأ ولا أن يتجنب فيه من الباطل لأن الاصل اذا كان خطأ فالفروع عليه تدور

واعلم بأن من لا يحس بالتناقض في أقاويله فكيف يوثق به في آرائه واعتقاده وكيف يؤمن عليه أنه غير معتقد آراء متناقضة ويكون فيها مخالفا لنفسه ولا يدري وكيف يرجى منه الوفاق مع غيره وهو مخالف لنفسه ومناقض لاعتقاده وجاهل في معلوماته ؟

﴿ فصل ان المنطق اداة الفيلسوف ﴾

واعلم يا أخي بأن الحكماء المنطقيين انما وضعوا القياس المنطقي واستخرجوا البرهان الصحيح ليكون المتعاطي للمنطق يبتديء أولا ويقيم البرهان من عند نفسه على اعتقاداته فاذا صحت في نفسه تلك رام أن يصححها عند غيره وقبل كل شيء تحتاج يا أخي أن تعلم كيف تحفظ أقاويلك من التناقض فانك اذا فعلت ذلك فقد أحكمت صناعة المنطق الفلسفي

واعلم بأن المنطق ميزان الفلسفة وقد قيل انه اداة الفيلسوف وذلك أنه لما كانت الفلسفة أشرف الصنائع البشرية بعد النبوة صار من الواجب أن يكون ميزان الفلسفة أصح الموازين واداة الفيلسوف أشرف الأدوات لأنه قيل في حد الفلسفة أنها التشبه بالاله بحسب الطاقة الانسانية

واعلم بأن معنى قولهم طاقة الانسان هو أن يجتهد الانسان ويتحرز من الكذب في كلامه وأقاويله ويتجنب من الباطل في اعتقاده ومن الخطأ في معلوماته ومن الرداءة في أخلاقه ومن الشر في أفعاله ومن الزلل في أعماله ومن النقص في صناعته . هذا هو معنى قولهم التشبه بالاله بحسب طاقة الانسان لان الله عزوجل لا يقول الا الصدق ولا يفعل الا الخير فاجتهد يا أخي في التشبه به في هذه الاشياء فلعلك توفق لذلك فتصلح ان تلقاه فانه لا يصلح للقائه الا المهذبون بالتأديب الشرعي والرياضات الفلسفية

واذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا ان نقدمه من هذه الرسالة بلفظ وجيز عمدنا الى الرسالة التي هي موضوعة للبرهان

الرسالة الرابعة عشرة

من القسم الرياضي

في معنى انولوطيقا الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ قد فرغنا من ذكر المقولات العشرة وكمية أنواعها وكيفية اقتراناتها وفنون نتائجها فيما تقدم فنريد الآن أن نبين ماالقياس البرهاني وكمية أنواعه وكيفية تأليفه واستعماله واستخراج نتائجه ولكن نحتاج قبل ذلك كله أن نخبر أولا ماغرض الفلاسفة في استعمال القياس البرهاني

واعلم يا أخي بأنه لما كانت طرق العلوم والمعارف والاستشعار والاحساس كثيرة كما بينا بعضها في رسالة الحاس والمحسوس وبعضها في رسالة العقل والمعقول وبعضها في رسالة أجناس العلوم وكانت الطرق التي سلكها الفلاسفة منها في التعاليم وطلبهم معرفة حقائق الاشياء أربعة أنواع وهي التقسيم والتحليل والحدود والبرهان احتجنا أن نذكر واحداً واحداً منها ونبين كيفية المسلك فيها وان المعلومات كيف تعرف بها ولم هي أربع طرق لاأقل ولا أكثر، أما علة ذلك فانه لما استبان واتضح في قاطيغورياس بطريق القسمة ان الموجودات كلها ليست تخلو أن تكون أجناساً وأنواعاً وفصولا وأشخاصاً وجب ضرورة أن تكون طريق المعرفة بكل واحد منها غير الاخرى ، بيان ذلك انه بالقسمة

تعرف حقيقة الاجناس من الانواع والانواع من الاشخاص وبالتحليل تعرف حقيقة الاشخاص أعني كل واحد منها بماذا هو مركب ومن أي الاشياء هو مؤلف والى ماذا ينحل وبالحدود تعرف حقيقة الانواع من أي الاجناس كل واحد منها وبكم فصل يمتاز عن غيره وبالبرهان تعرف حقيقة الاجناس التى هي أعيان كليات معقولات كما سنبين بعد هذا الفصل، فنريد أن نشرح أولا طريق التحليل في هذا الفصل إذ قد فرغنا من طريق القسمة في قاطيغورياس ولعلة أخرى أيضاً ان طريق التحليل أقرب الى افهام المتعلمين لانها طريق يعرف بها حقيقة الاشخاص والاشخاص هي أمور جزئية محسوسة كما سنبين بعد هذا الفصل، وأما طريق الحدود وطريق البرهان فهما أدق وألطف وانما يعرف بهما الاشياء المعقولة وهي الانواع والاجناس

﴿ فصل فى طريق التحليل والحدود والبرهان ﴾

واعلم بأن معنى قولنا الشخص انما هو اشارة الى جملة مجموعة من أشياء شتى أو مؤلفة من أجزاء عدة منفردة متميزة عن غيرها من الموجودات، والاشخاص نوعان فنها مجموع من أجزاء متشابهة مثل هذه السبيكة وهذا الحجر وهذه الخشبة وماشا كل ذلك من الاشخاص التى أجزاؤها كلها من جوهر واحد ومنها أشخاص مجموعة من أجزاء مختلفة الجواهر متغايرة الاعراض مثل هذا الجسد وهذه الشجرة وهذه المدينة وماشا كل ذلك من المجموعات من أشياء شتى ، فاذا أردنا أن نعرف حقيقة شخص من هذه الاشخاص نظرنا أولا الى الاشياء التى هى مركبة منها ماهى وبحثنا عن الاجزاء التى هى مؤلفة منها كم هى

واعلم يا أخي بأن الاشياء المركبة كثيرة الانواع لايحصى عددها الا الله عز وجل ولكن يجمعها كلها ثلاثة أجناس إما أن تكون جسمانية طبيعية أو جرمانية صناعية أو نفسانية روحانية ، فنريد أن نذكر من كل جنس منه

واحداً لكيما يقاس عليه سائرها فمن الاشخاص الجسمانية الطبيعية جسد الانسان فانه جملة مجموعة مؤلفة من أعضاء مختلفة الاشكال كالرأس واليدين والرجلين والرقبة والصدر وماشا كلها ، وكل عضو منها أيضاً مركب من أجزاء مختلفة الجواهر والاعراض كالعظم والعصب والعروق واللحم والجلد وماشا كلها وكل واحد منها مكون من الاخلاط الاربعة وكل واحد من الاخلاط له مزاج من الكيموس والكيموس من صفو الغذاء والغذاء من لب النبات والنبات من لطائف الاركان والاركان من الجسم المطلق بما يخصها من الاوصاف والجسم مؤلف من الهيولى والصورة وهما البسيطان الاولان والجسد هو المركب الاخير وأما سائرها فبسائط ومركبات بالاضافة ، ومثال آخر من الجرمانية الصناعية وهو قولنا المدينة فانا نشير به الى جملة من أسواق ومحال وكل واحد منها جملة من منازل ودور وحوانيت وكل واحد منها مؤلف ومركب من حيطان وسقوف وكل واحد منها أيضاً مركب من الجص والآجر والخشب وماشا كل ذلك وكلها من الاركان والاركان من الجسم والجسم من الهيولى والصورة

ومثال آخر من الروحانى والنفسانى وهو قولنا الغناء اشارة الى ألحان مؤتلفة واللحن مؤلف من نغمات متناسبة وأبيات متزنة والابيات مؤلفة من المفاعيل والمفاعيل من الاوتاد والاسباب وكل واحد منها أيضاً مؤلف من حروف متحركات وسواكن وانما يعرف هذه الاشياء صاحب العروض ومن ينظر في النسب الموسيقية وعلى هذه المثالات يعتبر طريق التحليل حتى يتضح ان الاشياء المركبة من ماذا هي مركبة ومؤلفة فعند ذلك يعرف حقيقتها . وأما طريق الحدود فالغرض منها معرفة حقيقة الانواع وكيفية المسلك فيه هو ان يشار الى نوع من الانواع ثم يبحث عن جنسه وكمية فصوله وتجمع كلها في أوجز الالفاظ ويعبر عنها عند السؤال مثال ذلك ماحد الانسان فيقال حيوان ناطق مائت فان قيل ماحد الحيوان فيقال جسم متحرك حساس فان قيل ماحد الجسم فيقال جوهر مركب طويل عريض عميق فان قيل ماحد الجوهر فيقال لاحد له ولكن له رسم وهو ان

تقول هو الموجود القائم بنفسه القابل للصفات المتضادة فان قيل ما الصفات المتضادة فيقال اعراض حالة في الجواهر لا كالجزء منها ، فعلى هذا القياس يعتبر طريق الحدود وقد افردنا لها رسالة . وأما طريق البرهان والغرض المطلوب فيه فهو معرفة الصور المقومة التى هى ذوات أعيان موجودة والفرق بينها وبين الصور المتممة لها التى هى كلها صفات لها ونعوت واحوال ترادفت عليها وهى موصوفة بها ولكن الحواس لاتميزها لانها مغمورة تحت هذه الاوصاف مغطاة بها فمن أجل هذا احتيج الى النظر الدقيق والبحث الشافي في معرفتها والتمييز بينها وبين مايليق بها ويترادف عليها بطريق القياس والبرهان

﴿ فصل فى ماهية القياس ﴾

واعلم يا أخى انه لما كان أكثر معلومات الانسان مكتسباً بطريق القياس وكان القياس حكمه تارة يكون صوابا وتارة يكون خطاء احتجنا أن نبين ماعلة ذلك لكيما يتحرز من الخطاء عند استعمال القياس ، فنقول :

القياس هو تأليف المقدمات واستعماله هو استخراج نتائجها ومقدمات القياس مأخوذة من المعلومات التى فى أوائل العقول وتلك المعلومات أيضاً مأخوذة أوائلها من طرق الحواس كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس كيفيتها

﴿ فصل في بيان حاجة الانسان الى استعمال القياس ﴾

اعلم ياأخى بانه لما كانت الحواس تدرك أن الاشخاص مركبة من جواهر بسيطة فى أماكن متباينة واعراض جزئية فى محال متميزة عرفت بانها اعيان غيريات موجودة فحسب وأما كمياتها وكيفياتها فلم تعلم على الاستقصاء الا بالقياسات الموضوعة المركبة مثال ذلك انه اذا علم الانسان بالحواس ان بعض الاجسام ثقيلة أو كثيرة أو عظيمة فانه لايمكنه أن يعلم كمية اثقالها الا بالميزان ولا كثرتها الا بالكيل ولا عظمها الا بالذرع وما شاكل هذه وهي كلها موازين ومقاييس يعلم الانسان بها مالايمكنه ان يعلمه بالحزر والتخمين

﴿ فصل فى وجوه الخطأ فى القياس ﴾

واعلم يا أخى بان الخطأ يدخل فى القياس من وجوه ثلاثة احدها أن يكون المقياس معوجا ناقصاً أو زائداً والثانى أن يكون المستعمل للقياس جاهلا بكيفية استعماله والثالث أن يكون القياس صحيحاً والمستعمل عارفاً ولكن يقصد فيغالط دغلا وغشاً لمآرب له.

﴿فصل في كيفية دخول الخطأ من جهة المستعمل الجاهل﴾

واعلم يا أخي بان الانسان مطبوع على استعمال القياس منذ الصبى كما هو مجبول على استعمال الحواس وذلك ان الطفل اذا ترعرع واستوى وأخذ يتأمل المحسوسات ونظر الى والديه وعرفهما حساً وميز بينهما وبين نفسه أخذ عند ذلك باستعمال الظنون والتوهم والتخمين فاذا رأى صبياً مثله وتأمله علم عند ذلك ان له والدين وان لم يرهما حسا قياساً على نفسه وهذا قياس صحيح لاخطأ فيه لانه استدلال بمشاهدة المعلول على اثبات العلة فان كان له إخوة وقدعرفهم بالحس أخذ عند ذلك أيضاً بالتوهم والظن والتخمين بأن لذلك الصبي ايضاً إخوة قياساً على نفسه وهذا القياس يدخله الخطأ والصواب لانه استدلال بمشاهدة المعلول على اثبات ابناء جنسه لاعلى اثبات علته وهكذا أيضاً كلما رأى هذا الصبى امرأة ورجلا ظن وتوهم ان لهما ولداً وان لم ير ولدهما قياساً على حكم والديه وربما صدق هذا القياس حكمه وربما كذب لانه استدلال بمشاهدة أبناء جنس العلة على اثبات معلولاتها وعلى هذا المثال يقيس الانسان من الصبا كلما وجد حالا أو سبباً لنفسه أو لابويه أو لاخوته ظن مثل ذلك وتوهم لسائر الصبيان ولآبائهم ولاخوتهم قياساً على نفسه وابويه واخوته حتى انه كلما أصابه جوع أو عطش أو عرى أو وجد حراً أو برداً أو أكل طعاماً فاستلذه أو شرب شراباً فاستطابه أو لبس لباسا فاستحسنه أو حزن على شيء فاته أو فرح بشيء وجده ظن عند مايصيبه من هذه الاحوال شيء ان قدأصاب سائر الصبيان الذين هم أبناء جنسه مثل ذلك

وعلى هذا المثال تجري سائر ظنونه وتوهمه فى احكام المحسوسات حتى ربما كان في دار والديه دابة أو متاع أو أثاث أو بئر ماؤها مالح ظن وتوهم أن في سائر دور الصبيان مثل ذلك حتى اذا بلغ وعقل وتفحص الامور المحسوسة واعتبر احوال الاشخاص الموجودة عرف عند ذلك حقائق ما كان يظن ويتوهم فى ايام الصبي واستبان له شيء بعد شيء صوابا كان ظنه أو خطأ

فصل فى بيان طريق الخطأ عند العقلاء وخطأ القياس عند الفلاسفة

واعلم يا أخي بأن على هذا المثال يجري سائر أحكام العقلاء وظنونهم وتوهمهم فى الاشياء قبل البحث والكشف وذلك أن أكثر الناس اذا رأوا في بلدهم ريحا أو مطراً أو حراً أو برداً أو ليلا أو نهاراً أو شتاء أو صيفا ظنوا وتوهموا بان ذلك موجود في سائر البلدان قياساً على ما يجدون في بلدهم كما كانوا يظنون وهم صبيان في سائر بيوت الناس مثل ما كانوا يجدون في بيوت آبائهم حتى استبان لهم بعد التجربة حقيقة ما كانوا يتوهمون كما بينا قبل . فهكذا يجري حكم العقلاء من الناس فى ظنونهم وتوهمهم فى مثل هذه الاشياء التى تقدم ذكرها حتى اذا نظروا فى العلوم الرياضية وخاصة علم الهيئة استبان لهم عند ذلك حقيقة ما كانوا يظنون ويتوهمون صوابا كان أو خطأ .

واعلم يا أخي بأن الانسان لا ينفك من هذه الظنون والاوهام لا العقلاء المتيقنون ولا العلماء المرتاضون ولا الحكماء المتفلسفون أيضاً وذلك انا نجد كثيراً ممن يتعاطى الفلسفة والمعقولات والبراهين يظنون ويتوهمون أن الارض فى موضعها الخاص بها هي ثقيلة أيضا قياسا على ما وجدوا من ثقل أجزائها أي جزء كان. فاذا كان هذا هكذا فغير مأمون أن تكون سائر القياسات تجري هذا المجرى ، وفي هذا ما يدل على ضعف القياس وفساده ودلالته وهكذا يظن كثير منهم من يكون فى مقابلة بلدهم من جانب الارض ان قيامهم يكون منكوسا قياساً على ما يجدون

من حال من يكون واقفاً تحت سطح وآخر هو قائم فوقه رجلاه في مقابلة رجليه وهكذا يظن كثير منهم ان خارج العالم فضاء بلا نهاية إما ملاء واما خلاء قياسا على ما يجدون من خارج دورهم من أماكن أخر وخارج بلدهم بلدانا أخر وخارج عالمهم عالم الافلاك وهكذا يظنون أن الباري عز وجل خلق العالم في مكان وزمان قياسا على ما يجدون من أفعالهم وصنائعهم في مكان وزمان . ولهذه العلة ظن كثير منهم ان البارى جل جلاله جسم قياسا على ما شاهدوا اذ لم يجدوا فاعلا الا جسما ووجدوا البارى فاعلا واذا ارتاضوا فى العلوم الالهية استبان لهم ان الامر بخلاف ذلك كما بينا في الرسالة الالهية

واعلم يا أخي بأن الانسان لا يرتقى فى درجات العلوم والمعارف رتبة الا وتسنح له أمور يكون علمه بها قبل البيان والكشف كظنونه بالاشياء المحسوسات قبل معرفة حقائقها وهو طفل كما بينا قبل

فصل فى معقولات الحواس ونتائجها

واعلم يا أخي بأن نسبة المعلومات التى يدركها الانسان بالحواس الخمس بالاضافة الى ما ينتج عنها فى أوائل العقول كثيرة كنسبة الحروف المعجمة بالاضافة الى ما يتركب عنها من الاسماء ، ونسبة المعلومات التى هى فى أوائل العقول بالاضافة الى ما ينتج عنها بالبراهين والقياسات من العلوم كثيرة كنسبة الاسماء الى ما يتألف عنها فى المقالات والخطب والمحاورات من الكلام واللغات، والدليل على صحة ما قلنا بان المعلومات القياسية أكثر عدداً من المعلومات التى هى فى أوائل العقول ما ذكر فى كتاب اقليدس وذلك أنه يذكر فى صدر كل مقالة مقدار عشر معلومات أقل أو أكثر مما هى فى أوائل العقول ثم يستخرج من نتائجها مئتى مسألة معلومات برهانية وهكذا حكم كتاب المجسطي وأكثر كتب الفلسفة هكذا حكمها .واذ قد فرغنا من ذكر كيفية دخول الخطأ فى القياس من جهة جهل المتعلمين فنريد أن نذكر كيفية دخول الخطأ من جهة القياس واعوجاجه

﴿ فصل في كيفية اعوجاج القياس وكيف التحرز منه ﴾

واعلم يا أخي بأن الخطأ الذي يدخل في القياس من جهة اعوجاجه كثير الفنون كثرة يطول شرحها ذكر ذلك في كتب المنطق الا انا نريد ان نذكر في هذا الفصل شرائط القياس المستوي حسب، ليتحفظ بها ويقتصر على استعمال ما في البراهين ويترك ما سواه من القياسات التي لا يؤمن فيها من الخطأ والزلل فمن القياسات التي تخطيء وتصيب القياس على مجرى العادة بالانموذج وهو قياس الجزء على الكل

واعلم يا أخي ان القياس الذي لا يدخله الخطأ والزلل هو الذي حفظ في تركيبه واستعماله الشرائط التي أوصى بها ارسطاطاليس تلاميذه وهي هذه: ينبغي أن يؤخذ في كل علم وتعلم قياسي معنيان معلومان مما هو في أوائل العقول وهي هل هو وما هو وانما أوصى بهذا من أجل أنه لا يمكن ان يعلم مجهول بمجهول ولا أن يقاس على شيء مجهول وشيء معلوم فلابد ان يؤخذ شيء معلوم مما هو في أوائل العقول ثم يقاس عليه سائر ما يطلب بالبرهان والذي في أوائل العقول شيئان اثنان هويات الاشياء وماهياتها وذلك أن هويات الاشياء تحصل في النفوس بطريق الحواس وماهياتها بطريق الفكر والروية والتمييز كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس واذا حصلت هويات المحسوسات في النفس بطريق الحواس وماهياتها بطريق الفكر والروية والتمييز سميت النفوس عند ذلك عاقلة واذا تأملت وأردت يا أخي ان تعرف ما العقل الانساني فليس هو شيئاً سوى النفس الانسانية التي صارت علامة بالفعل بعد ما كانت علامة بالقوة وانما صارت علامة بالفعل بعد ما حصل فيها صور هوية الاشياء بطريق الحواس وصور ماهيتها بطريق الفكر والروية

فصل في اساس القياس البرهاني

واعلم يا أخي بان على هذين العلمين يبنى سائر القياسات البرهانية أعنى هل هو وما هو مثال ذلك ما ذكر فى كتاب اقليدس في أول المقالة الاولى تسع معلومات مما هو فى أوائل العقول ثم بتوسطها يبرهن على سائر المسائل وهي قوله اذا كانت أشياء متساوية لشيء واحد فهي أيضاً متساوية وان زيد على أشياء متساوية اشياء متساوية صارت كلها متساوية وان نقص منها متساوية كانت الباقية متساوية وان زيد على اشياء غير متساوية أشياء متساوية كانت كلها غير متساوية وان نقص منها اشياء متساوية كانت الباقية غير متساوية وان كان كل واحد مثلين لشيء واحد فهي متساوية وان كان كل واحد نصف الشيء فهي أيضاً متساوية واذا انطبقت مقاديرها ولم يفضل بعضها على بعض فهي أيضاً متساوية والكل أكثر من جزء فهذه الحكومات كلها مأخوذة من العلوم التي هي في أوائل العقول بالسوية لا يختلف العقلاء في شيء منها ثم يقاس عليها ما هم مختلفون فيه

فصل في أوائل العقول وأوائل المعلومات

واعلم يا أخي بان هذه الاشياء وأمثالها تسمى أوائل فى العقول لأن كل العقلاء يعلمونها ولا يختلفون فيها اذا تأملوها وانعموا النظر فيها وانما اختلافهم تكون في الاشياء التي تعلم بطريق الاستدلال والمقاييس وسبب اختلافهم فيها كثرة الطرق وفنون المقاييس وكيفية استعمالها وشرح ذلك طويل قد ذكر فى كتب المنطق وكتب الجدل ونريد أن نبين كيف تحصل حقائق هذه المعلومات في أنفس العقلاء

واعلم يا أخي بأن هذه المعلومات التي تسمى أوائل في العقول انما تحصل في نفوس العقلاء باستقراء الامور المحسوسة شيئاً بعد شيء وتصفحها جزءاً بعد جزء وتأملها شخصاً بعد شخص فاذا وجدوا منها أشخاصاً كثيرة تشملها

صفة واحدة حصلت فى نفوسهم بهذا الاعتبار أن كل ما كان من جنس ذلك الشخص ومن جنس ذلك الجزء هذا حكمه وان لم يكونوا يشاهدون جميع أجزاء ذلك الجنس وأشخاص ذلك النوع مثال ذلك أن الصبى اذا ترعرع واستوى وأخذ يتأمل أشخاص الحيوانات واحداً بعد واحد فيجدها كلها تحس وتتحرك فيعلم عند ذلك ان كل ما كان من جنسها هذا حكمه وهكذا اذا تأمل كل جزء من الماء أي جزء كان فوجده رطبا سيالا وكل جزء من النار فوجده حاراً محرقا وكل جزء من الاحجار فوجده صلباً يابسا علم عند ذلك ان كل ما كان من ذلك الجنس فهذا حكمه فبمثل هذا الاعتبار تحصل المعلومات فى أوائل العقول بطريق الحواس

واعلم يا أخي بان مراتب العقلاء فى مثل هذه الاشياء التى تحصل فى النفوس بطريق الحواس متفاوتة في الدرجات وذلك أن كل من كان منهم انعم نظراً وأحسن تأملا وأجود تفكراً وألطف روية وأكثر اعتباراً كانت الاشياء التى تعلم ببدائه العقول فى نفوسهم أكثر مما فى نفوس من يكون طول عمره ساهيا لاهيا مشغولا بالاكل والشرب واللهو واللذات والامور الجسمانية

واعلم يا أخي بأن أكثر ما يدخل الخطأ على المتأملين فى حقائق الاشياء المحسوسة اذا حكموا على حقيقتها بحاسة واحدة مثال ذلك من يرى السراب ويتأمله فيظن أنه غدران وانهار وانما دخل الخطأ عليه لانه حكم على حقيقته بحاسة واحدة وليس كل الاشياء تعرف حقائقها بحاسة واحدة ذلك أن بحاسة البصر لا يدرك الا الالوان والاشكال وحقيقة الماء لا تعرف باللون واللمس والشكل بل بالذوق وذلك أن كثيراً من الاجساد السيالة تشبه لون الماء مثل الخل المصعد والنفط الابيض وما شاكلهما

واعلم بان لكل جنس من المحسوسات حاسة تعرف بها حقيقة ذلك الجنس والاجسام السيالة يعرف فرق ما بينها وبين غيرها باللمس وبعضها يعرف الفرق بينها بالذوق وألوانها تعرف بالبصر فلا ينبغى للمتأمل ان يحكم على حقيقة

شيء من المحسوسات الا بتلك الحاسة المختصة بعرفة حقيقة ذلك الجنس من المحسوسات كما بينا فى رسالة الحاس والمحسوس . ونرجع الآن الى ما كنا فيه فنقول :

وأما قوله ينبغى ان يوضع فى القياس البرهاني أو لا شيء معلوم هل هو وما هو ليعلم به شيء آخر كما يفعل المهندس فيضع خط ا = ثم يعمل عليه مثلثا متساوي الاضلاع أو يقسمه بقسمين او يقيم عليه خطاً آخر أو يعمل عليه زاوية وما شا كل ذلك مما قد ذكر فى كتاب اقليدس وغيره من كتب الهندسة والمعلوم هل هو وما هو خط ا = والمطلوب المجهول ليعلم أو يعمل هو المثلث فهكذا ينبغي أيضا أن يعمل في القياس البرهاني ان تؤخذ أولا أشياء مما هي معلومة في أوائل العقول ويركب التأليف ضربا من التركيب ثم يطلب بها أشياء مجهولة ليس تعلم بأوائل العقول ولا تدرك بالحواس . وأما قوله ولا ينبغى فى البرهان أن يكون الشيء علة لنفسه فهذا بين فى أوائل العقول أي ان الشيء المعلول لا يكون علة نفسه ولكن من أجل ان كثيراً ممن يتعاطى البرهان ربما جعل المعلول علة لنفسه وهو لا يشعر لطول الخطاب

مثال ذلك من يتعاطى علم الطبيعيات اذا سئل ماعلة كثرة الامطار فى بعض السنين فيقول كثرة الغيوم فان سئل ماعلة كثرة الغيوم فيقول كثرة البخارات المتصاعدة من البحار والآجام فى الهواء فان سئل ماعلة كثرة البخارات المتصاعدة فيقول أو يظن كثرة المدود وانصباب مياه الانهار والاودية والسيول الى البحار فان سئل ماعلة كثرة المياه والمدود والسيول الى البحار فيقول كثرة الامطار ، فعلى هذا القياس يلزمه ان علة كثرة الامطار هى كثرة الامطار فمن أجل هذا يحتاج صاحب البرهان أن يقول احدى العلل كيت وكيت والثانية والثالثة والرابعة ليسلم من الاعتراض اذ قد تكون الغيوم كثيرة والامطار قليلة لان لكل شيء معلول أربع علل كما بينا في رسالة العلل والمعلولات

﴿ فصل فى ان المعلول لايوجد قبل العلة ﴾

وقوله ان لا يكون المعلول قبل العلة فهذا أيضا بين فى أوائل العقول لان المعلول لا يكون قبل العلة ولـكن من أجل انهما من جنس المضاف انما يوجدان معا فى الحس وان كانت العلة قبل المعلول بالعقل حتى ربما يشكل فلاتتبين العلة من المعلول ، مثـال ذلك اذا سئل من يتعاطى عـلم الهيئة ماعلة طول النهـار في بلد دون بلد فيقول كون الشمس فوق الارض هناك زمانا أطول واذا عكس هذه القضيةوقيل كل بلديكون فيه مكث الشمس فوق الارض أكثر فنهاره أطول فتصدق فيخفى على كثير ممن ليست له رياضة بالتعاليم أيهما علة للآخر أكون الشمس فوق الارض لطول النهار أو طول النهار لـكون الشمس فوق الارض وهكذا النار والدخان ربما يوجدان معا وربما يوجد أحدهما قبل الآخر وربما يستدل بالدخان على النار وربما تجعل النار سببا لوجود الدخان فلايدري أيهما علة للآخر

واعلم ياأخى بأن النار والدخان ليس أحدهما علة للآخر بل علتهما الهيولانية هى الاجسام المستحيلة وعلتهما الفاعلية هى الحرارة وهما يختلفان في الصورة وذلك ان الحرارة اذا فعلت فى الاجسام المستحيلة فعلا تاما صارت ناراً وان قصرت عن فعلها لرطوبة غالبة صارت دخانا وبخاراً

﴿ فصل فى قوله وان لايستعمل في البرهان الاعراض الملازمة وأن علة الشيء من ذاتياته ، وكون المقدمة كلية ﴾

قوله ان لا يستعمل فى البرهان الاعراض الملازمة، انما هو لأن الاعراض الملازمة لاتفارق الاشياء التى هى لازمة لها كما ان العلة لا تفارق معلولها وذلك انه متى حكم على شيء بانه معلول فقد وجب ان له علة فاعلة له والاعراض الملازمة وان كانت لاتفارق فليست هى فاعلة له مثال ذلك ان الموت وان كان لا يفارق القتـل فانه ليس له بعلة ولا القتل أيضاً علة للموت ذاتية إذ قد يكون موت كثير بلاقتل فلا يكون معلول بلا

علة. وأماقوله وان تكون العلة ذاتية للشيء فاعاقال هذا من أجل انه قد يكون للشيء الواحد علل عرضية ولكنها لاتكون مستمرة فى جميع انواع ذلك الجنس ولا جميع اشخاص النوع كالقتل الذي هو علة عرضية للموت غير مستمرة فى جميع انواعه ولكن تحتاج أن تكون العلة ذاتيـة حتى تكون القضية صادقة قبل العكس وبعده كقولك كل ذي لون فهو جسم فاذا عكسته وقلت وكل جسم فهو ذو لون لانه لايوجد شيء ذو لون الا وهو جسم فاذاً الجسم علة ذاتية لذي اللون

وأما قوله وان تكون المقدمة كلية فمن أجل ان المقـدمات الجزئية لاتكون نتائجها ضرورية ولكن ممكنة كقولك زيد كاتب وبعض الكتاب وزير فيمكن أن يكون زيد وزيراً وأما اذا قيل كل كاتب فهو يقرأ وزيد كاتب فاذاً زيد بالضرورة قارىء

﴿ فصل في أن الحكم بالصفات الذاتية ﴾

وأما قوله وان يكون كون المحمول فى الموضوع كوناً أولياً فمن أجل ان المحمولات في الموضوعات على نوعين منها أوليات ومنها ثوان مثال ذلك كون ثلاث زوايا في كل مثلث كوناً أولا لانها هى الصورة المقومة له فاما أن تكون حادة أو قائمة أو منفرجة فهو كون ثان فقد استبان أنه لايستعمل فى القياس البرهاني الا الصفات الذاتية الجوهرية وهي الصورة المقومة للشيء وبها يكون ذلك الحكم المطلوب الذى يخرج في النتيجة الصادقة

واعلم ياأخي أن الصـفات الذاتية الجوهرية ثلاثة اقسام جنسية ونوعيـة وشخصية كما بينا فى رسالة ايساغوجي فاقول واحكم حكما حتما كما تعلمه ولاتشك فيه بان كل صفة جنسية فهى تصدق عند الوصف على جميع انواع ذلك الجنس ضرورة وهكذا أيضا كل صفة نوعية فهى تصدق على جميع اشخاص ذلك النوع عند الوصف لها فهذه الصفات هي التى تخرج في النتيجة صادقة فاستعملها فى البرهان واحكم بها .وأما الصفات الشخصية فانها ليس من الضرورة أن تصدق على

جميع النوع ولا كل صفة نوعية تصدق على جميع الجنس فلاتستعملها في البرهان ولاتحكم بها حكماحتما فانك لست منها على حكم يقين فقد عرفت واستبان لك أن الحكماء والمتفلسفين ماوضعوا القياس البرهانى الا ليعلموا به الاشياء التى لاتعلم الا بالقياس وهي الاشياء التى لايمكن أن تعلم بالحس ولا بأوائل العقول بل بطريق الاستدلال وهو المسمى البرهان

واعلم يا أخي بأن لكل صناعة أهلا ولأهل كل صناعة أصولا في صناعتهم هم متفقون عليها وأوائل فى علومهم لايختلفون فيها لأن أوائل كل صناعة مأخوذة من صناعة أخرى قبلها في الترتيب

﴿ فصل في ان صناعة البرهان نوعان ﴾

واعلم بأن أوائل صناعة البرهان مأخوذة مما في بداية العقول وان التى في بداية العقول مأخوذة أوائلها من طريق الحواس كما بينا قبل

واعلم ان صناعة البرهان نوعان هندسية ومنطقية فالاوائل التى فى صناعة الهندسة مأخوذة من صناعة أخرى قبلها مثل قول اقليدس النقطة هي شيء لاجزء له والخط طول بلاعرض والسطح ماله طول وعرض وماشا كل هذه من المصادرات المذكورة في أوائل المقالات فهكذا أيضاً حكم البراهين المنطقية فان أوائلها مأخوذة من صناعة قبلها ولابدللمتعلمين أن يصادروا عليها قبل البرهان فمن ذلك قول صاحب المنطق ان كل شيء موجود سوى الباري جل جلاله فهو اما جوهر واما عرض ومثل قوله ان الجوهر هو القائم بنفسه القابل للمتضادات وان العرض هو الذي يكون في الشيء لا كالجزء منه يبطل من غير بطلان ذلك الشيء ومثل قوله ان الجوهر منه ماهو بسيط كالهيولى والصورة ومنه ماهو مركب كالجسم ، ومثل قوله ان كل جوهر فهو اما علة فاعلة أو معلول منفعل ومثل قوله كل علة فاعلة فهي أشرف من معلولها المنفعل ، ومثل قوله ليس بين السلب والايجاب منزلة ولا بين العدم والوجود رتبة وان العرض لافعل له

وماشا كل هذه المقدمات التى يصادر عليها المتعلمون قبل البراهين

وينبغي لمن يريد النظر في البراهين المنطقية أن يكون قد ارتاض في البراهين الهندسية أولا وقد أخذ منها طرفاً لانها أقرب من فهم المتعلمين وأسهل على المتأملين لان مثالاتها محسوسة مرئية بالبصر وان كانت معانيها مسموعة ومعقولة لان الامور المحسوسة أقرب الى فهم المتعلمين

واعلم بأن البراهين سواء كانت هندسية أو منطقية فلاتكون الا من نتائج صادقة والنتيجة الواحدة لابد لها من مقدمتين صادقتين أومازاد على ذلك بالغاً مابلغ، مثال ذلك مابين في كتاب اقليدس فى البرهان على ان ثلاث زوايا من كل مثلث مساوية لزاويتين قائمتين لم يكن ذلك الا بعد اثنين وثلاثين شكلا وعلى هذا المثال سائر الاشكال تحتاج الى براهين أخر وان مربع وتر الزاوية القائمة مساو لمربعي الضلعين لم يكن البرهان عليه الا بعد ستة وأربعين شكلا ويسمى هذا الشكل بشكل العروس وعلى هذا المثال سائر المبرهنات وهكذا أيضا حكم البراهين المنطقية وربما تكفيه مقدمتان وربما يحتاج الى عدة مقدمات مثال ذلك في البرهان على وجود النفس مع الجسم تكفي ثلاث مقدمات وهي هذه كل جسم فهو ذو جهات وهذه مقدمة كلية موجبة صادقة في أولية العقل والمقدمة الاخرى وليس يمكن الجسم أن يتحرك الى جميع جهاته دفعة واحدة وهذه مقدمة كلية سالبة صادقة في أولية العقل والمقدمة الثالثة وكل جسم يتحرك الى جهة دون جهة فلعلة ماتحرك له مقدمة كلية صادقة في أولية العقل فينتج من هذه المقدمات وجود النفس والذي ينبغي ليبرهن بأنها جوهر لاعرض أن يضاف الى هذه المقدمات التى تقدمت هذه الاخرى وكل علة محركة للجسم لاتخلو أن تكون حركتها على وتيرة واحدة فى جهة واحدة مثل حركة الثقيل الى أسفل والخفيف الى فوق فتسمى هذه علة طبيعية واما أن تكون حركتها الى جهات مختلفة وعلى فنون شتى بارادة واختيار مثل حركة الحيوان فتسمى نفسانية وهذه قسمة عقلية مدركة حسا وكل علة محركة للجسم بارادة واختيار

فهي جوهر فالنفس اذاً جوهر لأن العرض لافعل له وهذه مقدمات مقبولة في أوائل العقول فينتج من هذه ان النفس جوهر

فصل في كيفية البرهان على انه ليس في العالم خلاء

ومعنى الخلاء هو المكان الفارغ الذي لامتمكن فيه وليس يعقل في العالم مكان لامضيء ولامظلم مقدمة كلية سالبة صادقة في أولية العقل، مقدمة أخرى وليس يخلو النور والظلمة أن يكونا جوهرين أو عرضين أو أحدهما جوهراً والآخر عرضاً وهذه أقسام عقلية صحيحة ،مقدمة أخرى فان يكونا جوهرين فاذاً الخلاء ليس بموجود أو عرضين فالعرض لايقوم الا في الجوهر فالخلاء اذاً ليس موجوداً وان يكن أحدهما جوهراً والآخر عرضاً فهكذا الحكم

فصل في البرهان على انه ليس في العالم لاخلاء ولاملاء

اعلم يا أخي بأن الخلاء والملاء صفتان للمكان والمكان صفة من صفات الاجسام فان كان خارج الفلك جسم آخر فقولنا العالم نعني به ذلك الجسم مع الفلك جميعا فمن أين خارج العالم شيء آخر

فصل في معنى قول الحكماء هل العالم قديم أو محدث

فان كان المراد بالقديم انه قد أتى عليه زمان طويل فالقول صحيح وان كان المراد به انه لم يزل ثابت العين على ماهو عليه الآن فلا، لان العالم ليس بثابت العين على حالة واحدة طرفة عين فضلا عن أن يكون لم يزل على ماهو عليه الآن وذلك ان قول الحكماء في تسميتهم العالم انما يعنون به عالم الاجسام وهو نوعان فلكي وطبيعي فاما الاجسام الطبيعية التي دون فلك القمر فهي نوعان الاركان الكليات والمولدات الجزئيات فالمولدات دائما في الكون والفساد وأما الاركان الكليات فهي دائما في التغير والاستحالة لايخفى هذا على الناظرين في الامور الطبيعية وأما الاجسام الفلكية فهي دائما في الحركة والنقلة والتبدل في المحاذيات

فاين ثباتها على حالة واحدة وأما ان يكون يراد بالثبات الصورة والشكل الكري الذي هو عليه في دائم الاوقات فليعلم بان الشكل الكري والحركة الدورية ليسا للجسم من حيث هو جسم ولا مقومين لذاته بل هما صورتان متممتان بقصد قاصد كما بينا في رسالة الهيولى والصورة وكل صورة من المصور بقصد قاصد لا تكون ثابتة العين أبدية الوجود وانما يكون الشيء ثابت العين أبدي الوجود بالصورة المقومة .

واعلم يا أخي بان الحافظ للعالم على هذه الصورة هو سرعة حركة الفلك المحيط والمحرك للفلك هو غير الفلك وان تسكين الفلك عن الحركة بطلان العالم وانما يكون طرفة عين كما قال عز وجل «وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب»

واعلم بانه ان وقف الفلك عن الدوران وقفت الكواكب عن مسيرها والبروج عن طلوعها وغروبها وعند ذلك تبطل صورة العالم وقوامه وتقوم القيامة الكبرى وهذا لا محالة كائن لان كل شيء في الامكان اذا فرض له زمان بلا نهاية فلابد أن يخرج الى الفعل، ووقوف الفلك عن الدوران من الممكن لان الذي يحركه يمكنه أن يسكنه وهو أهون عليه وله المثل الاعلى وقد بينا فى رسالة المبادىء ما العلة فى حدوث عالم الاجسام وفى رسالة البعث والقيامة ما علة فناء عالم الاجسام

﴿ فصل في ان الانسان اذا ارتقى نفساً صار ملكا ﴾

واعلم يا أخي أن الانسان اذا سلك فى مذهب نفسه وتصرف في احوالها مثل ماسلك به في خلق جسده وصورة بدنه فانه سيبلغ اقصى نهاية الانسانية مما يلى رتبة الملائكة ويقرب من باريه عز وجل ويجازى باحسن الجزاء مما يقصر الوصف عنه كما وصف الله عز وجل فقال «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» وأما ماسلك به في خلقه فهو انه ابتدىء من نطفة من ماء مهين ثم كان علقة جامدة في قرار مكين ثم كان مضغة ثم كان جنينا مصوراً تاما

ثم كان طفلا متحركا حساساً ثم كان صبياً ذكيا فهماً ثم كان شابا متصرفا قويا نشيطاً ثم كان كهلا مجربا عالما عارفا ثم كان شيخاً حكيما فيلسوفا وبانياً ثم بعد الموت تكون نفسه ملكا سماويا روحانياً أبدي الوجود ملتذاً مسروراً فرحا باقيا سرمداً أبداً .

واعلم يا أخي بانك لم تنقل رتبة من هذه المراتب الا وقد خلع عنك أعراض وأوصاف ناقصة والبست ماهو أجود منها وأشرف فهكذا ينبغي أن لا ترتقي في درجة العلوم والمعارف الا وتخلع عن نفسك اخلاقا وعادات وآراء ومذاهب وأعمالا مما كنت معتاداً لها منذ الصبى من غير بصيرة ولا روية حتى يمكنك أن تفارق الصورة الانسانية وتلبس الصورة الملكية ويمكنك الصعود الى ملكوت السموات وسعة عالم الافلاك وتجازى هناك باحسن الجزاء وأوفر الثواب وتعيش بالذ عيش مع أبناء جنسك الذين سبقوك اليها من الحكماء والاخيار المؤمنين الابرار ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

واعلم يا أخي بان الانسان مطبوع على استعمال القياس منذ الصبى كما هو مجبول على استعمال الحواس بلا فكر ولا روية كما بينا قبل ولكن قوانين القياسات مختلفة كما قد تبين ذلك في كتب المنطق وشرائط الجدل بشرح طويل ولكن نذكر منها طرفا ليكون مثالا على سائرها فمن ذلك ان الصبيان يجعلون قوانين القياسات مختلفة كما يجعلون قياساتهم أحوال أنفسهم وآبائهم واخوانهم وتصرفهم في الامور وما يجدون فى منازلهم من الاشياء أصولا على سائر احوال الصبيان وتصرف آبائهم وما يكون في منازلهم وان لم يروهم ولم يشاهدوا احوالهم قياساً على ماعرفوا من احوال أنفسهم، وأما العقلاء البالغون من الناس فانهم يجعلون قوانين قياساتهم ماعرفوه من الامور في متصرفاتهم وما قد جربوه من الاحوال أصولا يقيسون بها سائر الاشياء مما لم يشاهدوه ولا جربوه

جل قياساً الى ماعرفوه حسب ، وأما العلماء الذين يتعاطون الجدل ودقيق النظر فانهم يجعلون قوانين قياساتهم ماقد اتفقوا عليه هم وخصماؤهم أصولا ومقدمات يقيسون عليها مام فيه مختلفون سواء كان ما اتفقوا عليه حقاً أو باطلا صواباً أو خطاء ، وأما المرتاضون بالبراهين الهندسية أو المنطقية فانهم يجعلون قوانين قياساتهم الاشياء التى هي في أوائل العقول أصولا ومقدمات ويستخرجون من نتائجها معلومات أخرى ليست بمحسوسات ولا معلومات بأوائل العقول، بل مكتسبة بالبراهين الضرورية ثم يجعلون تلك المعلومات المكتسبة مقدمات وقياسات ويستخرجون من نتائجها معلومات أخرى هي الطف وأدق مما قبلها وهكذا يفعلون دائماً طول أعمارهم ولو عاش الانسان عمر الدنيا لكان له في ذلك متسع

﴿ فصل في ان الحيوانات تتفاوت فى الحواس ومعلوماتها ﴾

واعلم يا أخى بان من الحيوان ماله حاسة واحدة ومنه ماله حاستان ومنه ما له ثلاث حواس ومنه ماله اربع ومنه ماله خمس حواس كما بينا في رسالة الحيوان .

واعلم يا أخى بأن كل حيوان كان أكثر حواس فانه يكون أكثر محسوسات فاما الانسان فله هذه الخمس بكمالها ولكن كل من كان من الناس أكثر تأملا لمحسوساته وأكثر اعتباراً لاحوالها كانت المعلومات التى في أوليـة العقل في نفسه أكثر ومن كان بهذا الوصف وجعل هذه المعلومات الاولية مقـدمات وقياسات واستخرج نتائجها كانت المعلومات البرهانية فى نفسه أكثر وكل من كان أكثر معلومات حقيقة كان بالملائكة أشبه والى ربه أقرب.

﴿ فصل في المعلومات البرهانية والامور الروحية ﴾

واعلم يا أخى بان الانسان العاقل اللبيب اذا أكثر التأمل والنظر الى الامور المحسوسة واعتبر احوالها بفكرته وميزها برويته كثرت المعلومات العقليـة فى نفسه واذا استعمل هذه المعلومات بالقياسات واستخرج نتائجها كثرت المعـلومات البرهانيـة في نفسه وكل نفس كثرت معـلوماتها البرهانيـة

كانت قوتهـا على تصور الامور الروحانية التى هي صورة مجردة عن الهيولى بحسب ذلك وعند ذلك تشبهت بها وصارت مثلها بالقوة فاذا فارقت الجسد عند الممات صارت مثلها بالفعل واستقلت بذاتها ونجت من جهنم عالم الكون والفساد وفازت بالدخول الى الجنـة عالم الارواح التى هى دار الحيوان لو كانوا يعلمون ابناء الدنيا الذين يريدون الحياة الدنيا ويتمنون الخلود فيها «يود أحدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر» فاعيذك أيها الاخ أن تكون منهم بل كن من أبناء الآخرة وأولياء الله الذين مدحهم بقوله تعالى توبيخاً لمن زعم انه منهم فقال جل جلاله «قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » فبادر ياأخي واجتهد في طلب المعارف الربانية واكتساب الاخلاق الملكية وسارع الى الخيرات من الاعمال الزكية قبل فناء العمر وتقارب الاجل واغتنم خمسا قبل خمس قال رسول الله صلى عليه وسلم: اغتنم فراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وصحتك قبل سقمك وشبابك قبل هرمك وحياتك قبل موتك وتزود فان خـير الزاد التقوى ، فلعلك توفق للصعود الى ملكوت السماء وسعة الافلاك وتدخل الى الجنة عالم الارواح بنفسك الزكية الروحانية لابجسدك الجثة الجرمانية وفقك الله أيها الاخ للسداد وهدانا وإياك للرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا فى البلاد انه رؤوف بالعباد

***

تمت الرسالة بعون الله سبحانه وتعالى والحمد لله وحده وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما، وبها تم القسم الاول في الرياضيات من كتاب «اخوان الصفا وخلان الوفا» ويتلوه القسم الثانى في الطبيعيات الجسمانية أوله رسالة الهيولى والصورة .

فهرس الجزء الثانى

من رسائل اخوان الصفا

الصفحة

٣ القسم الثانى من الجسمانيات الطبيعيات

٣ الرسالة الاولى في بيان الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان وما فيها من المعانى اذا أضيف بعضها الى بعض

٧ فصل في الأجسام الجزئية

٩ فصل في أقاويل الحكماء في ماهية المكان

١٠ فصل في أقاويل الحكماء في ماهية الحركة

١٣ فصل في ماهية الزمان من أقاويل العلماء

٢٠ الرسالة الثانية الموسومة بالسماء والعالم في اصلاح النفس وتهذيب الاخلاق

٢٠ فصل في بيان معرفة ان العالم انسان كبير

٢٢ فصل في بيان ان السماوات هي الافلاك

٢٢ فصل في تركيب الافلاك واطباق السماوات

٢٣ فصل في أنه ليس فى العالم فراغ

٢٤ فصل في أنه ليس خارج العالم لا خلاء ولا ملاء

٢٥ فصل في أن موضع الشمس وسط العالم

٢٥ « « ماهية البروج

٢٦ « « اقطار الافلاك والسماوات

٢٧ « « كمية عدد الكواكب الثابتة والسيارة

٢٧ « « مقادير أقطارها في رأي العين

٢٨ « « نسبة أقطارها من قطر الارض

٢٨ فصل فى مقادير أجرام هذه الكواكب من جرم الارض

٢٨ « « مقادير الكواكب الثابتة

صفحة

٢٩ فصل في اختلاف دوران الافلاك حول الارض
٣٠ » » ما يعرض للكواكب من الدوران في فلك البروج
٣٢ » » بطلان أنها تتحرك من المغرب الى المشرق
٣٣ » » ان مثال دورانها حول الارض كدوران الطائفين حول البيت الحرام
٣٦ فصل فيما يرى لها من الرجوع والاستقامة والوقوف
٣٦ » » تفصيل الحركات الخمس والاربعين
٣٧ » » في بيان الظلمتين الموجودتين في العالم
٣٨ » » في علة الكسوفين
٣٩ » » ان الفلك طبيعة خامسة
٤٠ » » ابطال قول المتوهمين
٤٠ » » انها ليست ثقيلة ولا خفيفة
٤٢ » » ان الاجسام الفلكية ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة
٤٢ » » معنى القيامة
٤٥ الرسالة الثالثة في بيان الكون والفساد
٥٤ الرسالة الرابعة في الآثار العلوية
٥٥ فصل فى ماهية الطبيعة
٧٦ الرسالة الخامسة في بيان تكوين المعادن
١١٢ الرسالة السادسة فى ماهية الطبيعة
١١٧ فصل فى كيفية وصول تأثير الاشخاص الفلكية الى الاشخاص السفلية
١٢٨ الرسالة السابعة فى أجناس النبات
١٣٧ فصل فى بيان أجناس النبات من جهة الاماكن
١٣٨ » فى اختلاف النبات من جهة الازمان
١٤٥ » » مرتبة الانسانية
١٥٣ الرسالة الثامنة فى كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها

صفحة

١٦٩ فصل فى ذكر تصانيف أحوال الطيور
١٧٣ » » بيان بدء الخلق
١٧٩ » » بيان علة اختلاف صور الحيوانات
١٨١ » » بيان جودة الحواس فى الحيوانات
١٨٢ » » شكاية الحيوان من جور الانس
١٨٧ » » بيان تفضيل الخيل على سائر البهائم
١٩٠ » » منفعة المشاورة لذوي الرأي
١٩٣ » » العداوة بين الجان وبنى آدم
١٩٨ » » كيفية استخراج العامة أسرار الملوك
٢٠٢ » » بيان تبليغ الرسالة
٢٠٦ » » صفة الرسول وكيف ينبغي أن تكون
٢٤٤ » » بيان صفات الاسد وأخلاقه
٢٤٦ » » بيان صفة الثعابين
٢٥١ » » بيان فضيلة النحل وعجائب أموره
٢٥٦ » » بيان حسن طاعة الجن لرؤسائها
٣١٨ الرسالة التاسعة فى تركيب الجسد
٣٢٠ فصل فى كيفية تركيب الجسد وكيفية أخلاط البدن ومزاج الطبائع
٣٢٢ فصل فى ان الجسد كالدار وأن النفس كالساكن في الدار
٣٢٥ فصل في ان في النفس الساكنة في الجسد قوى طبيعية وأخلاقاً غريزية
٣٣٤ الرسالة العاشرة في الحاس والمحسوس
٣٣٩ فصل في ماهي الحواس الخمس وماهي القوى الحساسة
٣٤٠ » في كيفية ادراك القوي اللامسة للحرارة والبرودة
٣٤٣ » في كيفية أدراك الذائقة لمحسوساتها
٣٤٤ » في ادراك القوة السامعة
٣٤٥ » في ادراك القوة الباصرة

صفحة

٣٤٦ » في ان القوة الحساسة ليست هي من أجزاء النفس
٣٤٧ » في كيفية وصول آثار المحسوسات الى القوة المتخيلة
٣٤٨ » في بيان المحسوسات بعضها بالذات وبعضها بالعرض
٣٤٩ » في ماهية اللذة والألم
٣٤٩ » في ذكر القوى الخمسة الروحانية
٣٥١ » في العلة التي من أجلها صار علم الانسان بالمعلومات من ثلاثة طرق
٣٥٣ الرسالة الحادية عشرة في مسقط النطفة
٣٥٦ فصل في ان للنفس النباتية سبع قوى
٣٥٨ » في كيفية حال الجنين في الشهر الرابع
٣٥٩ » في كيفية حال الجنين في الشهر الخامس
٣٦٠ » في كيفية حال الجنين في الشهر السادس
٣٦٣ » في ان بنية الجسد وتركيب أعضائه يتم في أربعة أشهر
٣٦٤ » في ان الكواكب لايمكن أن تفعل تأثيراتها في شهرين ولا ثلاثة
٣٦٦ » في كيفية تأثيرات الكواكب
٣٦٧ » في ان الموجودات التي دون فلك القمر
٣٦٧ » في فنون تأثيرات الكواكب
٣٧٦ فصل في ان مكث الجنين بالرحم انما هو لكي تتم البنية
٣٧٧ » في ان الاستغراق في الشهوات ينسى الآخرة
٣٧٨ » في ان كل مولود لابد أن تكون درجة طالعه من الشرق
٣٧٨ » في ان لكل نوع من الحيوانات عمراً طبيعياً
٣٧٩ » في ان لكل مولود من الحيوان أبوين من الفلك
٣٧٩ » في ان المتفق عليه بين أهل صناعة التنجيم
٣٨٣ » في ان لكل قاصد غرضاً
٣٨٧ » في ان أكثر الناس لايعيشون أعماراً طبيعية

رسائل إخوان الصفاء

وخلان الوفاء

الجزء الثاني

عني بتصحيحه

خير الدين الزركلي

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على بمصر

لصاحبها: مصطفى محمد

المطبعة العربية بمصر

١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

القسم الثاني

في الجسمانيات الطبيعيات

﴿ الرسالة الاولى ﴾

في بيان الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان ومافيها من المعاني اذا أضيف بعضها الى بعض

وهي الرسالة الخامسة عشرة من رسائل اخوان الصفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أالله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ ، أيدك الله وإيانا بروح منه، انا قد فرغنا من الرسائل الرياضية بجملتها حسب ماوعدنا في صدر الكتاب ، واستوفينا الكلام في ذلك حسب مايليق بنا ،فعلينا أن نشتغل بذكر القسم الثاني وهو في «الجسمانيات الطبيعيات» فلنبدأ بالرسالة الاولى منها في « الهيولى والصورة »فنقول :

لما كان النظر في علم الطبيعيات جزءاً من اجزاء صناعة اخواننا أيدهم الله والاصل في هذا العلم هو معرفة خمسة أشياء وهي الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان ، ومافيها من المعاني اذا اضيف بعضها الى بعض ، احتجنا أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من معاني الهيولى والصورة شبه المدخل والمقدمات ليكون أقرب من فهم المبتدئين عند النظر في الطبيعيات وأسهل على تعليمهم فنقول:

اعلم وفقك الله ان معنى قول الحكماء «الهيولى» انما يعنون به كل جوهر قابل للصورة ، وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقش يقبله الجوهر

واعلم ان اختلاف الموجودات انما هو بالصورة لا بالهيولى ، وذلك انا نجد أشياء كثيرة جوهرها واحد وصورها مختلفة مثال ذلك السكين والسيف والفأس والمنشار وكل مايعمل من الحديد من الآلات والادوات والاواني، فان اختلاف اسمائها من اجل اختلاف صورها لا من أجل اختلاف جواهرها لأن كلها الحديد واحد ، وكذلك الباب والكرسي والسرير والسفينة وكل ما يعمل من الخشب فان اختلاف اسمائها انما هو بحسب اختلاف صورها ، فأما هيولاها التي هي الخشب فواحدة ، وعلى هذا المثال يعتبر حال الهيولى والصورة في المصنوعات كلها لان كل مصنوع لا بد له من هيولى وصورة يركب منهما

واعلم أن الهيولى على أربعة أنواع منها هيولى الصناعة ، وهيولى الطبيعة ، وهيولى الكل ، والهيولى الاولى . فهيولى الصناعة هي كل جسم يعمل منه وفيه الصانع صنعته كالخشب للنجارين والحديد للحدادين والتراب والماء للبنائين والغزل للحاكة والدقيق للخبازين ، وعلى هذا القياس كل صانع لا بد له من جسم يعمل صنعته منه وفيه فذلك الجسم هو هيولى الصناعة ، أما الاشكال والنقوش التي يعملها فيها فهي الصورة ، فهذا هو معنى الهيولى والصورة في الصنائع . وأما الهيولى الطبيعية فهي الاركان الاربعة وذلك ان كل ما تحت فلك القمر من الكائنات أعني النبات والحيوان والمعادن فنها تكون واليها تستحيل عند الفساد ، أما الطبيعة الفاعلة لهذا فهي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية ، وقد بينا كيفية فعلها في هذه الهيولى في رسالة أخرى . وأما هيولى الكل فهي الجسم المطلق الذي منه جملة العالم ، وأعني الافلاك والكواكب والاركان والكائنات أجمع لأنها كلها أجسام وانما اختلافها من أجل صورها المختلفة . وأما الهيولى الاولى فهي جوهر بسيط معقول لايدركه الحس ، وذلك أنه صورة الوجود حسب ، وهو الهوية . ولما قبلت الهوية الكمية صارت بذلك

جسما مطلقاً مشاراً اليه أنه ذو ثلاثة أبعاد التى هي الطول والعرض والعمق ، ولما قبل الجسم الكيفية وهى الشكل كالتدوير والتثليث والتربيع وغيرهامن الاشكال صار بذلك جسما مخصوصاً مشاراً اليه أي شكل هو ، فالكيفية هي كالثلاثة والكمية كالاثنين والهوية كالواحد ، وكما أن الثلاثة متأخرة الوجود عن الاثنين كذلك الكيفية متأخرة الوجود عن الكمية ، وكما أن الاثنين متأخرةالوجود عن الواحد كذلك الكمية متأخرة الوجود عن الهوية ، والهوية هي متقدمة الوجود على الكمية والكيفية وغيرهما كتقدم الواحد على الاثنين والثلاثة وجميع العدد

ثم اعلم ان الهوية والكمية والكيفية كلها صور بسيطة معقولةغيرمحسوسة فاذا تركت بعضها على بعض صار بعضها كالهيولى وبعضها كالصورة، فالكيفيةهي صورة في الكمية والكمية هيولى لها ، والكمية هي صورة في الهوية والهوية هيولى لها ، والمثال في ذلك من المحسوسات أن القميص صورة في الثوب والثوب هيولى له والثوب صورة في الغزل والغزل هيولى له والغزل صورة في القطن والقطن هيولى له والقطن صورة في النبات والنبات هيولى له والنبات صورة في الاركان وهي هيولى له والاركان صورة في الجسم والجسم هيولى لها والجسم صورة في الجوهر والجوهر هيولى له ، وكذلك الخبز صورة في العجين والعجين هيولى له والعجين صورة فى الدقيق والدقيق هيولى له والدقيق صورة في الحب والحب هيولى له والحب صورة في النبات والنبات هيولى له والنبات صورة في الاركان وهي هيولى له وهي صورة في الجسم والجسم هيولى لها والجسم صورة فى الجوهر والجوهر هيولى له

وعلى هذا المثال يعتبر حال الصورة عند الهيولى وحال الهيولى عندالصورة الى أن تنتهي الاشياء كلها الى الهيولى الاولى التى هي صورة الوجود حسب ، لا كيفية فيها ولا كمية ، وهي جوهر بسيط لاتركيب فيه بوجه من الوجوه ، قابل للصور كلها ولكن على الترتيب كما بينا لا أي صورة كانت تأخرت أو

تقدمت ، بل الاول فالأول ، مثال ذلك أن القطن لا يقبل صورة الثوب الا بعد قبوله صورة الغزل والغزل لا يقبل صورة القميص الا بعد قبوله صورة الثوب وكذلك الحب لا يقبل صورة العجين الا بعد قبوله صورة الدقيق والدقيق لا يقبل صورة الخبز الا بعد قبوله صورة العجين وعلى هذا المثال يكون قبول الهيولى للصور واحدة بعد أخرى

ثم اعلم ان الاجسام كلها جنس واحد من جوهر واحد وهيولى واحدة ، وانما اختلافها بحسب اختلاف صورها ومن أجلها صار بعضها أصفى من بعض وأشرف ، وذلك أن عالم الافلاك اصفى واشرف من عالم الاركان ، وعالم الاركان بعضها أشرف من بعض ، وذلك أن النار أصفى من الهواء وأشرف منه ، والهواء أصفى من الماء والطف منه ، والماء اصفى من التراب واشرف منه ، وكلها اجسام طبيعية يستحيل بعضها الى بعض ، وذلك أن النار اذا أطفئت صارت هواء والهواء اذا غلظ صار ماء والماء اذا غلظ وجمد صار أرضاً وليس للنار أن تلطف او للارض ان تغلظ فتصير شيئاً آخر بل اذا تكونت أجزاؤها يكون منها المولدات أعني المعادن والنبات والحيوان لكن يكون بعضها أشرف تركيباً من بعض ، وذلك ان الياقوت اصفى من البلور واشرف منه وان البلور أصفى من الزجاج وأشرف منه والزجاج أصفى من الخزف وأشرف منه ، وكذلك الذهب أشرف من الفضة وأصفى منها والفضة أصفى من النحاس وأشرف منه والنحاس أصفى من الحديد وأشرف منه والحديد أشرف من الاسرب ، وكلها أحجار معدنية أصلها كلها الزئبق والكبريت ، والزئبق والكبريت أصلهما التراب والماء والهواء والنار ، فهيولاها واحد وصورها مختلفة وصفاؤها وشرفها بحسب تركيبها واختلاف صورها ، وكذلك حكم الحيوان والنبات فانها بالهيولى واحد وان اختلافها وشرف بعضها على بعض بحسب اختلاف صورها

﴿ فصل في الاجسام الجزئية ﴾

اعلم أن الاجسام الجزئية منها ما يقبل صورة الكلى اذا صور فيه فيصير بقبوله تلك الصورة أفضل وأشرف من سائر الاجسام الجزئية الساذجة ، والمثال في ذلك قطعة من النحاس اذا صور فيها الفلك مثل الاصطرلاب وذات الحلق والكرة المصورة فانها عند ذلك تكون أشرف وأفضل وأحسن من أن تكون ساذجة ، وكذلك كل جسم قبل صورة ما فانه عند ذلك يكون أفضل وأشرف وأحسن من كونه ساذجاً ، فهكذا الحكم في جواهر النفوس ، وذلك أنها كلها جنس واحد وجوهر واحد وان اختلافها بحسب معارفها وأخلاقها وآرائها وأعمالها لأن هذه الحالات هي صور في جواهرها وهي كالهيولى ، وكذلك النفس الجزئية اذا قبلت علماً من العلوم تكون أفضل وأشرف من سائر النفوس التى هي أبناء جنسها

ثم اعلم أن العلوم فى النفس لست بشيء سوى صور المعلومات انتزعتها النفس وصورتها في فكرها فيكون عند ذلك جوهر النفس لصور تلك المعلومات كالهيولى ، وهي فيها كالصورة

واعلم أن من الانفس الجزئية ما يتصور بصورة النفس الكلية ومنها ما يقاربها وذلك بحسب قبولها ما يفيض عليها من العلوم والمعارف والاخلاق الجميلة ، وكلما كانت أكثر قبولا كانت أفضل وأشرف من سائر أبناء جنسها ، مثل نفوس الانبياء عليهم السلام فانها لما قبلت بصفاء جوهرها الفيض من النفس الكلية أتت بالكتب الالهية التى فيها عجائب العلوم الخفية والمعانى اللطيفة والاسرار المكنونة التى لا يمسها الا المطهرون من أدناس الطبيعة ، وماوضعت من الشرائع العلمية النافعة للكل والسنن العادلة الزكية ، فاستنقذوا بها نفوسا كثيرة غريقة في بحر الهيولى ، وأسر الطبيعة ومثل نفوس المحققين من الحكماء التى استنبطت علوماً كثيرة حقيقية واستخرجت صنائع بديعة وبنت هيا كل حكيمة

ونصبت طلسمات عجيبة ، ومثل نفوس الكهنة المخبرة بالكائنات قبل كونها بدلائل فلكية وعلامات زجرية ، والى مثل هذه النفوس أشاروا بقولهم الفلسفة هي التشبه بالآله بحسب الطاقة الانسانية ، واليها أشاروا بقولهم من خاصية العقل المنفعل أن يقبل الجزء منه صورة الكل ، واليها أشار القائل بقوله :

كل الهيا كل صورة مذمومة الا التي في صورة الافلاك
واتمها بين الذوات لانها قبلت تماماً صورة الادراك
كم بين نفس شامخ في ذروة أو ما يكون حجارة الحكاك

واليها أشار القائل بقوله :

وماكان الا كوكبا كان بيننا فودعنا جادت معاهده ُ رهم
وأصبح روحاً لم يقيده منزل وأضحى بسيطا ليس يدركه وهم
رأى المسكن العلوي اولى بمثله ففاز وأضحى بين أشكاله نجم

واعلم يا أخي ان فضائل النفس الكلية فائضة على الانفس الجزئية دفعة واحدة مبذولة لها دائم الأوقات ، لكن الانفس الجزئية لا تطيق قبولها الا شيئاً بعد شيء في مر الزمان ، والمثال فى ذلك فيض الانفس الجزئية بعضها على بعض ، وذلك ان الاب الشفيق والمعلم الحريص على تعليم تلميذه يود أن يعلم كل ما يحسنه ويعلمه لتلميذه دفعة واحدة ولكن نفس المتعلم لا تقبل الا شيئاً بعد الشيء على التدريج

ثم ان المانع للانفس الجزئية قبول فيض النفس الكلية دفعة واحدة هو لأجل استغراقها فى بحر الهيولى وتراكم ظلمات الاجسام على بصرها لشدة ميلها الى الشهوات الجسمانية وغرورها باللذات الجرمانية ، فمتى انتبهت من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وصحت من سكرة عمايتها وأفاقت من غمرة غشيتها وأخذت ترتقي في العلوم والمعارف ودامت على تلك الحال لحقت بالنفس الكلية وشاهدت تلك الانوار العقلية والاضواء البهية ونالت تلك الملاذ الروحانية والسرورات الديمومية الأبدية التي كلها أشرف وأعلى منزلة مما كان فوق ما

تقدم قبله ودون ما يأتى بعده ، ومتى هى أعرضت عما وصفنا وأقبلت على طلب الشهوات الجسمانية والزينة الطبيعية بعدت من هناك وانحطت الى أسفل السافلين وغرقت في بحر الهيولى وغشيتها أمواجها وتراكمت على بصرها ظلماتها ، والى هاتين الحالتين اشار عز اسمه بقوله تعالى « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري » الآية ، ثم قال تعالى « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض » الآية

﴿ فصل في أقاويل الحكماء في ماهية المكان ﴾

اما المكان عند الجمهور فهو الوعاء الذي يكون فيه المتمكن ، فيقال ان الماء مكانه الكوز الذى هو فيه وان الخل مكانه الزق الذى هو فيه ، وعلى هذا القياس مكان كل شيء هو الوعاء الذي هو فيه ، وكما يقال ان مكان السمك هو الماء ومكان الطير هو الهواء ، وبالجملة مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به وقيل أيضا أن المكان هو سطح الجسم الحاوي الذي يلي المحوي ، وقيل لا بل المكان هو سطح الجسم المحوى الذى يلي الحاوي ، وعلى كلا الرأيين والقولين يجب أن يكون المكان جوهراً ، وقيل أن المكان هو الفصل المشترك بين سطح الجسم الحاوى وسطح المحوى وعلى هذا الرأي يجب أن يكون المكان عرضا ، وقيل أيضا إن المكان هو الفضاء الذي يكون فيه الجسم ذاهبا طولا وعرضا وعمقا وإن كان كل جسم مثله سواء فان كان الجسم مدور الشكل اومربعا او مثلثا اوغيرها من الأشكال فان مكانه مثله سواء لا أصغر ولا أكبر حتى قيل فى المثل ان المكان مكيال الجسم وعلى هذا الرأي يجب أن يكون المكان جوهرا

واعلم أن الذين قالوا إن المكان هو الفضاء إنما نظروا الى صورة الجسم ثم انتزعوها من الهيولى بالقوة الفكرية وصوروها في نفوسهم وسموها الفضاء وإذا نظروا اليها وهي في الهيولى سموها المكان وهذا يدل على قلة معرفتهم أيضاً بجوهر النفس وكيفية معارفها ومعانيها

واعلم أن من شرف جوهر النفس وعجائب قواها وظرائف معارفها أنها تنتزع صورة المحسوسات من هيولاها وتصورها في ذاتها وتنظر اليها خلواً من الهيولى وتفرق بين الهيولى والصورة وانظر إلى كل واحد منهما تارة مفردة وتارة مركبة وان من شدة قوتها الوهمية أنها تارة تنظر إلى العالم وكأنها خارجة منه وتارة تنظر اليه وكأنها داخلة فيه وربما ترفع العالم من الوجود أصلا وربما تقدمت الزمان الماضي ونظرت الى بدء كون العالم وبحثت عن علة كونه بعد ان لم يكن شيئاً وربما سبقت الزمان المستقبل ونظرت إلى فناء العالم قبل حينه وتصور كيف يكون ذلك ، وان من شدة قوتها أيضاً أنها تضاعف العدد الى مالا نهاية له وتجرى المقادير الى مالا نهاية لها وتتوهم أيضاً أن خارج العالم فضاء الى مالا نهاية له وما يشاكل هذا من أفعالها العجيبة وما يتصور بقوتها الوهمية فمن ظن أن الفضاء هو جوهر قائم بنفسه وان خارج العالم فضاء لا نهاية له وأن المدة جوهر اسبق من نشوء العالم وأن الجزء من الهيولى يتجزأ أبداً وماشا كل هذه المسائل ، فكل هذه الاقاويل قالوها لقلة معرفتهم بجوهر النفس وعجائب قواها وكيفية تصرفها في المعارف والعلوم

﴿ فصل فى أقاويل الحكماء في ماهية الحركة ﴾

الحركة يقال على ستة أوجه الكون والفساد والزيادة والنقصان والتغير والنقلة فالكون هو خروج الشيء من العدم إلى الوجود أومن القوة إلى الفعل والفساد عكس ذلك والزيادة هي تباعد نهايات الجسم عن مركزه والنقصان عكس ذلك والتغيير هو تبدل الصفات على الموصوف من الألوان والطعوم والروائح وغيرها من الصفات وأما الحركة التى تسمى النقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكان إلى مكان آخر وقد يقال أن النقلة هي الكون فى محاذاة ناحية أخرى في زمان ثان وكلا القولين يصح فى الحركة التى هي على سبيل الاستقامة ، فاما التى على الاستدارة فلا يصح لأن المتحرك على الاستدارة ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير في محاذاة أخرى فى زمان ثان، فان قيل أن المتحرك على الاستدارة

اجزاؤه كلها تتبدل أماكنها وتصير في محاذاة أخرى في زمان ثان الا الجزء الذي هو ساكن في المركز فانه ساكن فيه لا يتحرك ، فليعلم من يقول هذا القول ويظن هذا الظن أو يقدر أن هذا الرأي صحيح أن المركز انما نقطة هو متوهمة وهي رأس الخط ورأس الخط لا يكون مكان الجزء من الجسم ، وليعلم أيضاً أن المتحرك على الاستدارة بجميع أجزائه متحرك . وهو لا ينتقل من مكان إلى مكان ولا يصير محاذيا بالشيء آخر في زمان ثان ، فأما الحركة على الاستقامة فلا يمكن أن تكون الا بالانتقال من مكان الى مكان والمرور بمحاذيات في زمان ثان ، فاذا قيل أنه يمكن ذلك فان الانسان مثلا قد يحرك يده أو بعض أجزائه وهو لا ينتقل من مكان الى مكان فاذا ترى كيف يكون حال اليد هل يجوز أن تتحرك ولا تخرج من مكان الى مكان وكذلك حكم الأصبع هل يجوز أن يتحرك ولا ينتقل من مكان الى مكان ولا يمر بمحاذاة أخرى في زمان ثان ؟

واعلم أنه متى تحركت الأجزاء من جسم فقد تحركت تلك الجملة ومتى تحركت تلك الجملة فقد تحركت تلك الأجزاء لأن تلك الأجزاء ليست غير تلك الجملة . وذلك أنه اذا تحرك الانسان فقد تحركت جملة أعضائه. واذا تحركت أعضاؤه فقد تحرك هو ، وان تحركت يده وحدها فقد تحركت أجزاء اليد كلها لان اليد ليست شيئاً غير تلك الاجزاء وكذلك ان تحرك أصبع واحد فقد تحركت أجزاء الأصبع كلها لأن الاصبع ليست غير تلك الاجزاء ، فمن ظن أنه يجوز ان تتحرك الاجزاء ولا تتحرك الجملة أو تتحرك الجملة ولا تتحرك بعض الاجزاء فقد أخطأ

واعلم انه قد ظن كثير من أهل العلم أن المتحرك على الاستقامة يتحرك حركات كثيرة لانه يمر في حركته بمحاذيات كثيرة في حال حركته ولا ينبغي أن تعتبر كثرة الحركات لكثرة المحاذيات فان السهم في مروره الى ان يقع حركة واحدة يمر بمحاذيات كثيرة ، وكذلك المتحرك على الاستدارة فحركته واحدة الى ان يقف وان كان يدور ادواراً كثيرة

ثم اعلم انه لاتنفصل حركة عن حركة الا بسكون بينهما ، وهـذا يعرفه ولايشك فيه أهل صناعة الموسيقى ، وذلك ان صناعتهم معرفة تأليف النغم. والنغم لايكون الا بالاصوات والاصوات لاتحدث الا من تصادم الاجسام. وتصادم الاجسام لايكون الا بالحركات والحركات لاتنفصل بعضها عن بعض. الا بسكونات تكون بينها فن أجل هذا قال الذين نظروا فى تأليف النغم إن بين زمان كل نقرتين زمان سكون وقد بينا طرفا من هـذا العلم فى رسالتنا فى تأليف اللحون ماهي وكم هى وكيف هي فاعرفها من هناك

واعلم انه ينبغي لمن ينظر فى حقائق الاشياء ويبحث عن ماهياتها أن يبتدىء أولا وينظر ويبحث هل الشىء جوهر أو عرض أو هيولى أو صورة جسمانية أو روحانية ، فان كان جوهراً فاي جوهر هو ، وان كان عرضاً فأي عرض هو ، وان كان هيولى فأي هيولى هو وان كان صورة فاي صورة هى وكيف هي

واعلم ان الحركة فى بعض الاجسام جوهرية كحركة النار فانها متى سكنت حركتها طفئت وبطلت وبطل وجودها ، وفى بعض الاجسام عرضية لها حركة كحركة الماء والهواء والارض ، لأنها ان سكنت حركتها لايبطل وجدانها

واعلم ان الحركة هي صورة جعلتها النفس فى الجسم بعد الشكل وان السكون هو عدم تلك الصورة ، والسكون بالجسم أولى من الحركة لان الجسم ذو جهات لايمكنه أن يتحرك الى جميع جهاته دفعة واحدة وليست حركته الى جهة أولى به من جهة فالسكون به اذاً أولى من الحركة

واعلم ان الحركة وان كانت صورة فهي صورة روحانية متممة تسرى فى جميع اجزاء الجسم وتنسل عنه بلا زمان كما يسري الضوء فى جميع اجزاء الجسم الشفاف وينسل عنه بلا زمان ، فانك ترى السراج اذا دخل البيت اضاء البيت من أوله الى آخره دفعة واحدة واذا خرج أظلم الهواء في البيت دفعة واحدة بلا زمان ، وكذلك الشمس اذا طلعت بالمشرق أضاء الهواء من المشرق الى المغرب دفعة واحدة فاذا غابت بالمغرب أظلم الهواء دفعة واحدة ، فالحرارة

اذا بدت تدب أولا فاولا يحمى الجو بزمان ، وكذلك اذا طلعت الشمس يحمى الجو أولا فأولا بزمان ، وكذلك اذا غابت الشمس برد الهواء أولا فاولا بزمان

واعلم ان الحركة حكمها كحكم الضوء ، وذلك لو ان خشبة طولها من المشرق الى المغرب نصبت ثم جذبت الى المشرق أو الى المغرب عقداً واحداً لتحركت جميع اجزائها دفعة واحدة

وأعلم أن بعض افعال النفس فى الجسم بزمان ، وبعض افعالها بلا زمان ، دلالة على ان جوهرها فوق الزمان ، لان الزمان مقرون بحركة الجسم والجسم مفعول النفس وان النفس لما جعلت الجسم الكلي كري الشكل الذي هو أفضل الاشكال جعلت حركته أيضاً الحركة المستديرة التى هي أفضل الحركات

﴿ فصل فى ماهية الزمان من أقاويل العلماء ﴾

أما الزمان عند جمهور الناس فهو مرور السنين والشهور والايام والساعات ، وقد قيل ان عدد حركات الفلك بالتكرر ، وقد قيل انه مدة يعدها حركات الفلك وقد يظن كثير من الناس أن الزمان ليس بموجود اصلا اذا اعتبر بهذا الوجه وذلك ان اطول اجزاء الزمان السنون والسنون منها ماقد مضى ومنها مالم يجيء بعد وليس الموجود منها الا سنة واحدة وهذه السنة أيضاً شهور منها ماقد مضى ومنها مالم يجيء بعد وليس الموجود منها الا شهراً واحداً وهذا الشهر منه ايام قد مضت وايام لم تجيء بعد وليس الموجود منها الا يوماً واحداً وهذا اليوم ساعات منها ما قد مضت ومنها ما لم تجيء بعد وليس الموجود منها الا ساعة واحدة وهذه الساعة اجزاء منها ما قد مضى وآخر ماجاء بعد ، فبهذا الاعتبار ليس للزمان وجود أصلا

فاما الوجه الآخر اذا اعتبر فالزمان موجود أبداً وذلك ان الزمان كله يوم وليلة اربع وعشرون ساعة وهي موجودة فى اربع وعشرين بقعة من استدارة

الارض تكون حولها دائما . بيان ذلك انه اذا كان نصف النهار فى يوم الاحد مثلا فى البلد الذي طوله تسعون درجة فان الساعة الاولى من هذا اليوم موجودة فى البلدان التى طولها من درجة الى خمس عشرة درجة والساعة الثانية موجودة فى البلدان التى طولها من ست عشرة درجة الى ثلاثين درجة والساعة الثالثة موجودة فى البلد الذي طوله من إحدى وثلاثين درجة الى خمس واربعين درجة والساعة الرابعة موجودة في البلدان التي طولها من ست واربعين درجة الى ستين درجة والساعة الخامسة موجودة فى البلدان التى طولها من إحدى وستين درجة الى خمس وسبعين درجة والساعة السادسة موجودة فى البلدان التى طولها من ست وسبعين درجة الى سبعين درجة ، والساعة السابعة موجودة فى البلدان التى طولها من احدى وتسعين درجة الى مئة وخمس درجات، والساعة الثامنة موجودة فى البلدان التى طولها مئة وست درجات تمام مائة وعشرين درجة ، والساعة التاسعة موجودة فى البلدان التى طولها مائة وخمس وثلاثون درجة ، والساعة العاشرة موجودة فى البلدان التى طولها الى تمام مائة وخمسين درجة ، والساعة الحادية عشرة موجودة فى البلدان التى طولها الى تمام مائة وخمس وستين درجة والساعة الثانية عشرة موجودة فى البلدان التى طولها الى تمام مائة وثمانين درجة

وفى مقابلة كل بقعة من هذه البقاع من استدارة الارض ساعات الليل موجودة كل واحدة كنظيرتها ، ولكل موضع من الارض أقدار مختلفة من الليل والنهار والشمس تضيء في نصف الارض أبداً حيث كانت ويستر قطر الارض عن نصفها الآخر الذي كان أشرق على نصفها الذي يلي الشمس فيكون ما طلعت عليه الشمس نهاراً وما سترت بقطرها عن نصفها من ضوء الشمس ليلا، وكلما دار النهار دار الليل معه كل واحد منهما ضد صاحبه ، وكلما زال أحدهما زال الآخر معه فالليل والنهار يبتديان الاقبال من مشرق الارض ثم يسيران على مسير الشمس فيسبق طلوع الشمس على أول الارض طلوعها على آخرها باثنتى عشرة ساعة ، وكذلك الليل . فان شككت فيما قلنا فاسأل أهل الصناعة الناظرين فى

علم المجسطي يخبروك بصحة ماقلناه ، فانه قد قيل استعينوا على كل صناعة باهلها

ثم اعلم ان من كرور الليل والنهار حول الارض دائماً يحصل في نفس من يتأملها صورة الزمان كلها ، يحصل فيها صورة العدد من تكرار الواحد : وذلك أن العدد كله أفراده وازواجه صحيحه وكسوره آحاده وعشراته ومئاته وألوفه ليست بشيء غير جملة الآحاد تحصل في نفس من يتأملها كما بينا في رسالة العدد وهكذا الزمان ليس هو بشيء سوى جملة السنين والشهور والايام والساعات تحصل صورتها في نفس من يتأمل تكرار كرور الليل والنهار حول الارض دائماً فهذه الخمسة الاشياء التي أتينا على شرحها وهي الهيولي والصورة والمكان والزمان والحركة محتوية على كل جسم ، فمن لم يكن مرتاضاً بالنظر في هذه الاشياء فلا يسعه النظر في أمور الطبيعة لانه لا يمكن له أن يعرفها كنه معرفتها البتة ، ولو لم يكن مرتاضا في الامور الطبيعية فلا يسعه الكلام في الامور الالهية لانه لا يمكنه أن يعرفها كنه معرفتها

فتفكر فيما ذكرنا يا أخي في هذه الرسالة من أقاويل العلماء لتفهم ماقالوه ، وتصور ماوضعوه من معاني هذه الاشياء فان كان عندك زيادة عليها أفدناها وان أنكرت شيئاً مما قالوه فبينه لنا وان اشتبه عليك شيء مما حكيناه فلاتتهمنا بانا قصرنا في البيان أو قلنا ماليس بالحق

ثم اعلم ان لكل صناعة أهلا ولكل أهل علم وصناعة أصولا هم فيهامتفقون وفي فروعها يتكلمون وعلى تلك الاصول يقيسون فيما يختلفون

واعلم بان النظر في الامور الطبيعية جزء من صناعة اخواننا الكرام ، أيدهم الله تعالى والامور الطبيعية هي الاجسام وما يعرض لها من الاعراض اللازمة والمزايلة ، وقد عملنا في هذه العلوم سبع رسائل أولها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولى والصورة والحركة والمكان والزمان إذ كانت هذه الاشياء الخمسة محتوية على كل جسم ، وقد ذكرنا في رسالة الحاس والمحسوس الاشياء العارضة للاجسام بقول وجيز ثم يتلو هذه الرسالة التي ذكرنا فيها السماء والعالم

ووصفنا فيها تركيب الافلاك وكميتها وسعة أقطارها وسرعة دورانها وعظم الكواكب وفنون حركاتها وأوصاف البروج وتخصيصها ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها الكون والفساد وماهية الاركان الاربعة التي تحت فلك القمر وهي النار والهواء والماء والارض وصفنا فيها كيفية استحالة بعضها الى بعض وحدوث الكائنات منها ، ثم يتلوها الرسالة الرابعة التي فيها حوادث الجو والتغييرات التي تحدث في الهواء ، ثم يتلوها الرسالة الخامسة التي ذكرنا فيها جواهر المعادن ووصفنا كيفية تكونها في باطن الارض وجوف الجبال وقعر البحار ، ثم يتلوها الرسالة السادسة التي ذكرنا فيها أمر النبات ووصفنا أجناسه وأنواعه وخواصه ومنافعه ومضاره ، ثم يتلوها الرسالة السابعة التي ذكرنا فيها اجناس الحيوانات وانواعها واختلاف طباعها بقول وجيز .

وقد عملنا خمس رسائل أخر قبل هذه الرسالة في الرياضيات ، أولها رسالة العدد وخواصه وكيفية نشوئه من الواحد الذي قبل الاثنين ، ثم يتلوها الرسالة الثانية التي ذكرنا فيها أصول الهندسة وأنواع المقادير وكيفية نشوئها من النقطة التي هي في صناعة الهندسة كالواحد في العدد ، ثم يتلوها الرسالة الثالثة التي ذكرنا فيها النجوم ووصفنا الافلاك والكواكب وبينا ان نسبتها الى الشمس كنسبة العدد من الواحد ومنشأ مقادير الهندسة من النقطة ، ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها النسبة العددية والهندسية والتاليفية وأن منشأها كلها من نسبة المساواة كمنشأ العدد من الواحد وكمنشأ مقادير الهندسة من النقطة ، ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها المنطق ووصفنا فيها المقولات العشرة التي كل واحد منها جنس الاجناس وبينا كمية أنواعها وخواصها وان الواحد منها هو الجوهر والتسعة الباقية هي الاعراض وتعلقها في وجودها بالجوهر كتعلق العدد بالواحد الذي قبل الاثنين . وقد تكلم في هذه الاشياء من قبلنا من الحكماء الاولين ودونوها في الكتب وهي موجودة في أيدي الناس ولكن من أجل انهم طولوا فيها الخطب ونقلوها من لغة الى لغة اغلق على الناظرين في تلك الكتب فهم معانيها

وضاعت في الباحثين معرفة حقائقها ، من أجل هذا عملنا هذه الرسائل وأوجزنا القول فيها شبه المدخل والمقدمات لكيما يقرب على المتعلمين فهمها ويسهل على المبتدئين النظر فيها

فصل

واعلم ان كنت محباً لأهل العلم والحكمة أنك تحتاج أن تسلك طريق أهلها وهو أن تقتصر من أمور الدنيا على مالا بد منه وتترك الفضول وتجعل أكثر همتك وعنايتك في طلب العلوم ولقاء أهلها ومجالستهم بالمذاكرة والبحث وأن تروض نفسك بالسيرة العادلة التي وصفت في كتب الانبياء عليهم السلام وبالنظر في هذه العلوم التي تقدم ذكرها وهي التي كانوا يروضون أولاد الحكماء بها ويخرجون بها تلامذتهم ليقوى فهمهم على النظر في الأمور الالهية التي هي الغرض الاقصى في المعارف

ثم اعلم ان الامور الالهية هي الصور المجردة من الهيولى وهي جواهر باقية خالدة لايعرض لها الفساد والآفات كما يعرض للأمور الجسمانية ، واعلم ان نفسك هي احدى تلك الصور ، فاجتهد في معرفتها لعلك تخلصها من بحر الهيولى وهاوية الاجسام وأسر الطبيعة التي وقعنا فيها بجناية كانت من أبينا آدم عليه السلام حين عصى ربه فأخرج هو وذريته من الجنة التي هي عالم الارواح وقيل لهم « اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين. فيها تموتون ومنها تخرجون » فقد قيل في المثل ان أول اناس اذا نفخ في الصور وشق عليهم القبور يوم البعث والنشور وقيل انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب هو عالم الاجسام ذو الطول والعرض والعمق . فاجتهد يا أخي في معرفة هذه المرامي والرموز التي ظهرت في كتب الانبياء عليهم السلام لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح المعارف الربانية وتعيش بحياة العلوم الالهية وتسلم من الآفات الطبيعية

واعلم ان النفس بمجردها لا تلحقها الآلام والامراض والاسقام والجوع والعطش والحر والبرد والغموم والهموم والاحزان ونوائب الحدثان ، لان هذه كلها تعرض لها من أجل مقارنتها للجسد لأن الجسد جسم قابل للآفات والفساد والاستحالة والتغير ، فأما النفس فانها جوهرة روحانية فليس لها من هذه الآفات شيء .

واعلم انه قد ذهب على أكثر أهل العلم معرفة أنفسهم لتركهم النظر في علم النفس والبحث عن معرفة جواهرها والسؤال من العلماء العارفين بعلمها ، ولقلة اهتمامهم بأمر أنفسهم وطلب خلاصها من بحر الهيولى وهاوية الأجسام والنجاة من أسر الطبيعة والخروج من ظلمة الاجسام لشدة ميلهم في الخلود الى الدنيا واستغراقهم في الشهوات الجسمانية والغرور باللذات الحيوانية والانس بالمحسوسات الطبيعية ولغفلتهم عما وصف في الكتب الالهية والنواميس الشرعية النبوية من نعيم الجنان وما في عالم الارواح من الروح والريحان والنعيم والسرور واللذة والكرامة وبقاء الابد التي وعد المتقون « فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات والنخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون»

وانما قلة رغبتهم فيها لقلة تصديقهم بما أخبرت به الانبياء عليهم السلام وما أشارت اليه الفلاسفة والحكماء مما يقصر الوصف عنه من لطيف المعاني ودقائق الاسرار ، فانصرفت همم نفوسهم كلها الى أمر هذا الجسد المستحيل ، وجعلوا سعيهم كله لصلاح معيشة الدنيا من جمع الاموال والمآكل والمشارب والملابس والمناكح والمراكب ، وصيروا نفوسهم عبيداً لأجسادهم وأجسادهم مالكة لنفوسهم ، وسلطوا الناسوت على اللاهوت والظلمة والشياطين على النور والملائكة ، وصاروا من حزب إبليس وأعداء الرحمن

فهل لك يا أخي بأن تنظر لنفسك وتسعى في صلاحها وتطلب نجاتها وتفك أسرها وتخلصها من الغرق في بحر الهيولى وأسر الطبيعة وظلمة الأجسام وتخفف عنها أوزارها وهي الاسباب المانعة لها عن الترقي الى ملكوت السماء والدخول في زمر الملائكة والسيحان في فسحة عالم الافلاك والارتقاع في درجات الجنان والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن ، وأن ترغب في صحبة أصدقاء لك نصحاء ، واخوان لك فضلاء ، وادين لك كرماء ، حريصين معاونين لك على صلاحك ونجاتك مع أنفسهم ، قد خلعوا أنفسهم من خدمة أبناء الدنيا وجعلوا عنايتهم وكدهم في طلب نعيم الآخرة ، بأن تسلك مسلكهم وتنصد مقصدهم وتخلص سرك معهم وتتخلق بأخلاقهم وتسمع أقاويلهم لتعرف اعتقادهم وتنظر في علومهم لتفهم أسرارهم وما يخبرونك به من العلوم النفسية والمعارف الحقيقية والمعقولات الروحانية والمحسوسات النفسانية اذا دخلت مدينتنا الروحانية وسرت بسيرتنا الملكية وعملت بسنتنا الزكية وتفقهت في شريعتنا العقلية فلعلك تؤيد بروح الحياة لتنظر الى الملأ الأعلى وتعيش عيش السعداء مخلداً مسروراً أبداً بنفسك الباقية الشريفة الشفافة الفاضلة لا بجسدك المظلم الثقيل المتغير المستحيل الفاسد الفانى . وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا السداد وهداك وإيانا وجميع اخواننا للرشاد حيث كانوا فى البلاد انه رؤوف رحيم بالعباد

تمت رسالة الهيولى والصورة وتتلوها رسالة السماء والعالم



الرسالة الثانية

من الجسمانيات الطبيعيات

الموسومة بالسماء والعالم في اصلاح النفس وتهذيب الأخلاق

﴿ وهي الرسالة السادسة عشرة من رسائل اخوان الصفاء ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أنه لما فرغنا من ذكر الجسم المطلق وما يخصه من الصفات المقومة لذاته من الهيولى والصورة ومايتبعها من سائر الصفات اللازمة مثل الحركة والسكون وماشا كلهما أردنا أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالسماء والعالم الأجسام الكليات البسيطات التي هي الأفلاك والكواكب والاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض اذكان الجسم المطلق أول ماينقسم اليهاثم من بعدها الاجسام الجزئيات المولدات التي هي الحيوان والمعادن والنبات

﴿ فصل في بيان معرفة قول الحكماء ان العالم انسان كبير ﴾

اعلم أيها الاخ أن معنى قول الحكماء العالم انما يعنون به السماوات السبع والارضين ومابينهما من الخلائق أجمعين،وسموه أيضاً إنسانا كبيراً لانهم يرون أنه جسم واحد بجميع أفلاكه وأطباق سماواته وأركان أمهاته ومولداتها ويرون أيضاً أن له نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزاء جسمها كسريان نفس الانسان

الواحد في جميع أجزاء جسده ، فنريد أن نذكر في هذه الرسالة صورة العالم و نصف كيفية تركيب جسمه كما وصف في كتاب التشريح تركيب جسد الانسان ، ثم نصف في رسالة أخرى ماهية نفس العالم وكيفية سريان قواها في الاجسام التي في العالم من أعلى الفلك المحيط إلى منتهى مركز الارض ، ثم نبين فنون حركاتها واظهار افعالها في اجسام العالم بعضها في بعض ، فنرجع الآن الى وصف جسم العالم فنقول

الجسم هو أحد الموجودات بطريق الحواس بتوسط أعراضه كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس ، والموجودات كلها جواهر وأعراض وصور وهيوليات مركب منها كما بينا في رسالة الهيولى والصورة ، والصورة نوعان مقومة ومتممة كما بينا في رسالة العقل والمعقول ، والصورة المقومة لذات الجسم هي الطول والعرض والعمق إذا وجدت في الهيولى التي هي جوهر بسيط قابل للصورة ، والصورة المتممة للجسم المبلغة له الى أفضل حالاته كثيرة لايحصى عددها الا الله عز وجل ، ولكن نذكر منها طرفاً لتفهم معانيها : فمن الصورة المتممة للجسم الشكل ، والاشكال كثيرة كالتثليث والتربيع والتخميس والتدوير وماشا كلها ، ومن الصورة المتممة أيضاً الحركة ، والحركات ستة أنواع أحدها النقلة وهي نوعان دورية ومستقيمة ، ومن الصور المتممة أيضاً النور وهي نوعان ذاتي وعرضي ، ومن الصور المتممة للجسم الصفاء ، وأفضل الاشكال الشكل الكرى كما بينا في رسالة الهندسة ، وأتم الحركات الدورية كما بينا في رسالة الحركات ، وأبهى الأنوار الذاتية وأصفى النعوت الشفاف كما بينا في رسالة الصفات والموصوفات . فجسم العالم بأسره كري الشكل وحركات أفلاكه كلها دورية ، ونور الكواكب السماوية كلها ذاتي الا القمر ، وأجرام الكرة كلها شفافة الا الارض فقد بينا ماالعلة في أمر الارض والقمر في رسالة العلل والمعلولات

فصل في ان السماوات هي الأفلاك

واعلم يا أخي ان السماوات هي الافلاك وانما سميت السماء سماء لسموها والفلك لاستدارته . واعلم بأن الافلاك تسعة سبعة منها هي السماوات السبع وأدناها وأقربها الينا فلك القمر وهي السماء الأولى ثم من ورائه فلك عطارد وهي السماء الثانية ، ومن ورائه فلك الزهرة وهي السماء الثالثة ، ثم من ورائه فلك الشمس وهي السماء الرابعة ، ومن ورائه فلك المريخ وهي السماء الخامسة ومن ورائه فلك المشتري وهي السماء السادسة ، ثم من ورائه فلك زحل وهي السماء السابعة ، وزحل النجم الثاقب ، وانما سمي الثاقب لأن نوره يثقب سمك سبع سماوات حتى يبلغ أبصارنا ، هكذا روي في الخبر عن عبد الله بن عباس ترجمان القرآن ، وأما الفلك الثامن وهو فلك الكواكب الثابتة الواسع المحيط بهذه الافلاك السبعة فهو الكرسي الذي وسع السماوات والارض ، وأما الفلك التاسع المحيط بهذه الافلاك الثمانية فهو العرش العظيم الذي يحمله فوقهم يومئذ ثمانية كما قال الله عز وجل

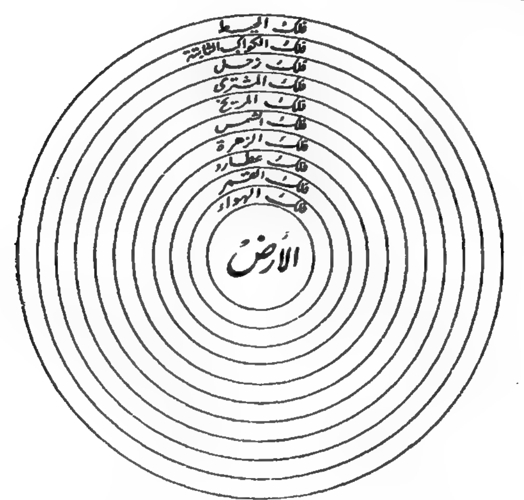
واعلم يا أخي ان كل واحد من هذه السبعة المقدم ذكرها سماء لما تحته وأرض لما فوقه ، ففلك القمر سماء الارض التي نحن عليها وأرض لفلك عطارد ، وكذلك فلك عطارد سماء لفلك القمر وأرض لفلك الزهرة ، وعلى هذا القياس حكم سائر الافلاك كل واحد منها سماء لما تحته وأرض لما فوقه الى فلك زحل الذي هو السماء السابعة .

فصل في تركيب الافلاك وأطباق السماوات

اعلم يا أخي ان الأرض التي نحن عليها هي كرة واحدة بجميع ما عليها من الجبال والبحار والبراري والأنهار والعمران والخراب ، وهي واقفة في مركز العالم في وسط الهواء بجميع ما عليها باذن الله عزوجل ، والهواء محيط بها من جميع جهاتها كاحاطة بياض البيضة بمحها ، وفلك القمر محيط بالهواء من جميع جهاته

كاحاطة القشرة ببياض البيضة ، وفلك عطارد محيط بفلك القمر على مثل ذلك . وعلى هذا القياس سائر الافلاك الى أن تنتهي الى الفلك المحيط بالكل كما ذكره الله جل ثناؤه « وكل في فلك يسبحون »

وهذا مثال تركيب الافلاك وصورة سمك السماوات ومن فوقها فلك البروج ومن فوقه الفلك المحيط :



فقد بان بهذا المثال ان جملة العالم احدى عشرة كرة اثنتان في جوف فلك القمر وهما الأرض والهواء لان الأرض والماء كرة واحدة والهواء والأثير كرة واحدة ، وتسع من ورائه محيطات بعضها ببعض .

فصل في انه ليس للعالم فراغ

اعلم يا أخي ان هذه الاكر محيطات بعضها ببعض كاحاطة طبقات البصل ،

تماس سطح الحاوي بسطح المحوي ، وليس بينهما فراغ ولاخلاء إلا فصل مشترك وهمي . وقد ظن قوم من أهل العلم ان بين فضاء الأفلاك وأطباق السماوات وأجزاء الأمهات مواضع فارغة وليس الامر كما ظنوا ، لأن معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذى لامتمكن فيه والمكان صفة من صفات الأجسام لايقوم إلا بالجسم ولايوجد الا معه

واعلم ان النور والظلمة هما أيضاً صفتان من صفات الاجسام ولايمكن أن يعقل ان موضعاً في العالم لامظلماً ولامضيئاً البتة فأين وجود الخلاء إذن

واعلم انه انما ظن من قال بوجود الخلاء انه لما رأى بعض الاجسام تنتقل من موضع الى موضع آخر توهم انه لولا الخلاء لكان الملء يمنعه من الحركة والنقلة

واعلم بأنه لو كانت الاجسام كلها صلبة متماسكة الاجزاء كالحجر والحديد لكان الامر كما ظنوا ولكن لما كان بعض الاجسام رخواً لطيفاً سيالا كالماء والهواء لم يمتنع ان تتحرك بعض الاجسام بين أجزائه كما يتحرك السمك في الماء والطير في الهواء وسائر الحيوانات على وجه الارض

فصل في انه ليس خارج العالم لاخلاء ولاملاء

اعلم يا أخي ان هذه الاحدى عشرة كرة هي جملة العالم ومساكن الخلائق أجمعين وقد ظن كثير بالاوهام ان وراء الفلك المحيط جسم آخر وخلاء بلانهاية، وكلا الحكمين خطأ لاحقيقة له، لانه قد تام بالبرهان العقلي ان الخلاء غير موجود اصلا لاخارج العالم ولاداخله ، لان معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذي لامتمكن فيه كما وصفنا والمكان صفة من صفات الاجسام وهوعرض ولايقوم الا بالجسم ولايوجد إلا معه ، فمن ادعى ان خارج العالم جسم آخر من أجل الوهم الذي يتخيله فهو المطالب بالدليل على دعواه

واعلم ان الوهم قوة من قوى النفس وهي تتخيل مالاحقيقة له وماله حقيقة فليس ينبغي أن يحكم على متخيلاتها انها حق وباطل دون أن تشهد لها احدى القوى الحساسة ويقوم عليها برهان ضروري أو يقضى لها العقل

واعلم ان حكم العقل هو الذي يتساوى فيه العقلاء وكلهم لم يتفقوا على أن خارج العالم جسم آخر لان الحس لم يدركه والعقل لم يقض به والبرهان لم يقم عليه فأي قضية تحكم ان هناك جسما آخر غير تخيل الاوهام الكاذبة ، فان كان هناك جسم آخر كما ادعى المدعي فلا يمكن أن يكون من ورائه شيء آخر لان الجسم ذو نهاية والخلاء ليس بموجود ببراهين قد قامت كما ذكرنا . فأما الدليل على ان كل جسم ذو نهاية فقد اتفقت عليه الآراء النبوية والفلسفية جميعاً . وذلك ان من الرأي النبوي ان كل جسم مخلوق وكل مخلوق ذو نهاية في أولية العقل ومن الرأي الفلسفي ان كل جسم مركب من هيولى وصورة وكل مركب ذو نهاية في أولية العقل

فصل في ان موضع الشمس وسط العالم

اعلم ان الشمس لما كانت في الفلك كالملك في الارض والكواكب لها كالجنود والاعوان والرعية للملك والافلاك كالاقاليم والبروج كالبلدان والدرجات والدقائق كالقرى صار مركزها بواجب الحكمة الالهية وسط العالم كما ان دار الملك وسط المدينة ومدينته وسط البلدان من مملكته ، وذلك ان مركز الشمس وسط فلكها وفلكها في وسط الافلاك لانه لما كانت جملة العالم احدى عشرة كرة كما بينا قبل وكان خمس منها من وراء فلكها محيطات بعضها ببعض ، وهي كرة المريخ وكرة المشتري وكرة زحل وكرة الكواكب الثابتة وكرة المحيط وخمس دونها وهي في جوف كرتها محيطات بعضها ببعض أولها فلك الزهرة ودونها كرة عطارد ودونها كرة القمر ودونها كرة الهواء ودونها كرة الارض ، فصار موضعها في وسط العالم بهذا الاعتبار كما ان موضع الارض في مركز العالم

فصل في ماهية البروج

اعلم يا أخي ان البروج هي اثنى عشر قسمة وهمية في سطح فلك المحيط

يفصلها اثناعشر خطاً وهمياً ، وهي تبتدىء من نقطة وتنتهي الى نقطة أخرى في مقابلتها فيقسم سطح كرة باثنيعشرة قسمة كل واحدة منها كأنها جزء البطيخة تسمى البرج ، والنقطتان تسميان قطبي الكرة ، وان الشمس ترسم على سطح كرتها بحركتها في كل ثلثمائة وخمسة وستين يوماً دائرة وهمية كما سنبين بعد ، والدائرة تقسم الكرة بنصفين ، وكل برج بقسمين متساويين ، حصة كل برج من تلك الدائرة قطعة قوس قدرها ثلاثون جزءاً من ثلثمائة وستين ، وبهذه الدائرة ودرجتها يقاس دوران سائر الافلاك والكواكب ، وبحركات الشمس تعتبر سائر حركات الكواكب في الزيجات ، وبأحوال الشمس تعتبر أحوال الكواكب في المواليد

فصل في أقطار الافلاك وسموك السماوات

واعلم يا أخي ان لكل كرة من هذه الاكر قطراً وسمكا ، وسمك كل واحد منها أقل من قطرها الا الارض فان سمكها مثل قطرها لانها كرة غير مجوفة ، وأما سائر الاكر فانها لما كانت مجوفة صارت سموكها أقل من أقطارها فقطر الارض الفان ومائة وسبعة وستين فرسخاً وأعظم دائرة على بسيطها ستة آلاف وثمانمائة فرسخ . وأما سمك كرة الهواء فانهسبع عشرةمرة ونصف مثل قطر الارض ، فيكون ذلك سبعة وثلاثين الف وتسعمائةواثنين وعشرين فرسخاً ونصف فرسخ وقطر هذه الكرة مثل سمكها مرتان وزيادة قطر الارض عليه مرة واحدة . وأما سمك كرة القمر فمثل سمك كرةالهواء سواء وقطره مثل سمكه مرتان ، وزيادة قطر الهواء عليها مرة واحدة . وأما سمك كرة عطارد فانه مثل قطر الارض مائة مرة وخمس قطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك القمر عليها مرة واحدة . وأما سمك الزهرة فمثل قطر الارض تسع مائة وخمس عشرة مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك عطاردعليه مرة واحدة . وأما سمك كرة الشمس فمئة مرة مثل قطارالارض وقطرها مثلسمكها مرتان وزيادة قطر فلك الزهرة عليه مرة واحدة

وأما سمك كرة المريخ فثل قطر الارض سبع آلاف مرة وستمائة وست وخمسين مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر الشمس عليه مرة واحدة . وأما سمك فلك المشتري فثل قطر الارض خمس آلاف مرة وخمس مائة وسبع وعشرين مرة وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك المريخ عليه مرة واحدة . وأما سمك فلك زحل فثل قطر الارض سبع آلاف وستمئة وخمس مرات وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر فلك المشتري عليه مرة واحدة . وأما سمك كرة فلك الكواكب الثابتة فانه مثل قطر الارض اثنتى عشرة الف مرة بالتقريب وقطرها مثل سمكها مرتان وزيادة قطر زحل عليه مرة واحدة

فصل في كمية عدد الكواكب الثابتة والسيارة

وهى الف وتسعة وعشرين كوكباً ، الذي أدرك بالرصد منها السبعة السيارة وهي : زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، لكل واحد منها فلك يختص به وهي محيطات بعضها ببعض كما بينا من قبل. وأما سائر الكواكب وهي الف واثنان وعشرين كوكباً فكلها في فلك واحد وهو الفلك الثامن المحيط بفلك الكواكب اى زحل وسائر الافلاك هي في جوفه

فصل فى مقادير أقطارها في رأي العين

وقطر جرم الشمس في رأي العين مساو لاحدى وثلاثين دقيقة من درجة على أن الدرجة ستون دقيقة وقطر جرم القمر اذا كان فى أبعد أبعاده مساو لقطر الشمس ، وقطر جرم عطارد إذا كان في بعده الاوسط جزء من خمسة وعشرين جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم الزهرة جزء من اثنى عشر جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم المريخ جزء من عشرين جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم المشترى جزء من اثنى عشر جزءاً من قطر الشمس ، وقطر جرم زحل جزء من ثمانية وعشرين جزءاً من قطر الشمس

﴿ فصل في نسبة أقطارها من قطر الارض ﴾

فقطر جرم عطارد جزء من ثمانية عشر جزءاً من قطر الارض وقطر جرم الزهرة جزء وربع من ثلاثة أجزاء من قطر الارض وقطر جرم القمر جزآن وخمس من ثلاثة أجزاء من قطر الارض وقطر جرم الشمس مثل قطر الارض خمس مرات ونصف وقطر جرم المريخ مثل قطر الارض مرة وسدس وقطر جرم المشتري أربع مرات ونصف وثمن مثل قطر الارض وقطر زحل أربع مرات ونصف مثل قطر الارض

﴿ فصل في مقادير أجرام هذه الكواكب من جرم الارض ﴾

القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءاً من الارض وعطارد جزء من اثنين وعشرين جزءاً من الارض والزهرة جزء من سبعة واربعين جزءاً من الارض والشمس مثل الارض مائة وستين مرة وكسر والمريخ مثل الارض مرة ونصف وثمن ، والمشترى مثل الارض خمس وتسعين مرة وزحل مثل الارض احدى وتسعين مرة

﴿ فصل في مقادير الكواكب الثابتة ﴾

وهي الف واثنان وعشرين كوكباً خمسة عشر منها كل واحد مثل الارض مائة مرة وثمان مرات وقطر كل واحد منها مثل قطر الارض اربع مرات ونصف وربع وفي رأي العين جزء من عشرين جزءاً من قطر جرم الشمس ومنها خمسة واربعين كوكباً كل واحد منها مثل الارض تسعين مرة ومنها مائتا كوكب وثمانية كواكب كل واحد مثل الارض اثنين وسبعين مرة ومنها اربعمائة وأربعة وسبعين كوكبا كل واحد منها مثل الارض اربع وخمسون مرة ومنها مايتان وسبعة وعشرين كوكبا كل واحد منها مثل الارض ستة وثلاثون مرة ومنها ثلاثة وثلاثون كوكباً كل واحد منها مثل الارض ثمان عشرة مرة

فصل في اختلاف دوران الافلاك حول الأرض

واعلم يا أخي ان الفلك المحيط الذي هو المحرك الاول عن الحركة الاولى التي هي النفس الكلية يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة سواء دورة واحدة ، ولما كان الكوكب في جوفه مماساً له من داخله صار يديره معه نحو الجهة التي يدور اليها ولكن تقصر حركته عن سرعة حركة محركه بشيء يسير فيختلف عن موازاة أجزائه في كل مائة سنة درجة واحدة . ولما كان أيضاً فلك زحل في جوف هذا الفلك مماساً له في داخله صار يديره معه نحو الجهة التي يدور اليها ويتبعه فلك زحل ولكن يقصر أيضاً حركته عن سرعة محركه بشيء يسير فيختلف في كل يوم عن موازاة أجزاء الفلك المحيط دقيقتين وهكذا يجرى حكم فلك المشترى في جوف فلك زحل كل يوم خمس دقائق يتأخر عن موازاة أجزاء الفلك المحيط وكذلك حكم فلك المريخ في جوف فلك المشترى يتأخر عن موازاة أجزاء الفلك المحيط في دورة في كل يوم احدى وثلاثين دقيقة وهكذا حكم الشمس في جوف فلك المريخ وفلك الزهرة في جوف فلك الشمس وفلك عطارد في جوف فلك الزهرة يتأخر كل واحد منها عن موازاة أجزاء الفلك المحيط في كل يوم تسع وخمسين دقيقة . وأما فلك القمر فيتأخر كل يوم عن موازاة الدرجة التي كان موازياً لها ثلاث عشرة درجة وكسراً . فقد بان بهذا الشرح أن كل واحدة من هذه الاكر متحركة بما فوقها ومحركة لما تحتها الى أن تنتهي الى فلك القمر وان كل واحدة تنقص حركتها عن سرعة حركة محركها وان فلك القمر أبطأها حركة من أجل بعده من المحركة الاولى التي هي فلك المحيط لكثرة المتوسطات بينهما فلهذا السبب صار دوران هذه الاكر حول الارض مختلف الازمان

﴿ فصل ﴾

وأما تفاوت أزمان أدوارها فذلك أن الفلك المحيط يدور حول الارض فى كل أربع وعشرين ساعة سواء دورة واحدة وفلك الكواكب فى أكثر من هذه المدة بشيء يسير وفلك زحل في أكثر من ذلك بما يكون مقداره جزءاً من أربعمائة وخمسين جزءاً من ساعة وهكذا فلك المشترى يدور حول الارض في كل أربع عشرين ساعة وجزءاً من مائة وثمانين جزءاً من ساعة دورة واحدة وأما فلك المريخ فيدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة وسدساً وخمس ساعة من ساعة دورة واحدة وأما فلك الشمس والزهرة وعطارد فان كل واحد منها يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة وخمس وثلث ساعة من ساعة دورة واحدة . وأما القمر فانه لما كان أبطأها حركة صار يدور حول الارض فى كل أربع وعشرين ساعة وزيادة ست أسباع ساعة دورة واحدة

﴿ فصل فيما يعرض للكواكب من الدوران فى فلك البروج ﴾

فلهذا السبب عرض للكواكب دورانها فى فلك البروج فى أزمان مختلفة بيان ذلك أنه اذا سامتت الشمس بقعة من الارض مع أول درجة من الحمل فان تلك تعود الى سمت تلك البقعة بعد اربع وعشرين ساعة وهكذا دأبها دائماً ، أما الشمس فانها تعود الى سمت تلك البقعة مع الدرجة الثانية منه وهكذا دأبها دائماً . وأما القمر فانه يعود الى سمت تلك البقعة مع الدرجة الثالثة عشرة من برج الحمل بعد أربع وعشرين ساعة بزيادة ست أسباع ساعة بالتقريب وفي اليوم الثالث يعود في الدرجة السادسة والعشرين من برج الحمل بعد ساعة وخمس أسباع ساعة وفي اليوم الرابع يعود مع الدرجة التاسعة من برج الثور بعد ساعتين وأربع أسباع ساعة وعلى هذا القياس تتأخر مسامتته في كل يوم لتلك البقعة مع درجة أخرى الى أن يحصل من هذا التأخر عن فلك البروج في

كل سبعة وعشرين يوما وتسع ساعات وخمس وسدس ساعة دورة واحدة ويحصل له أيضاً في هذه المدة حول الأرض سبع وعشرين دورة وكسر ويحصل أيضاً لتلك الدرجة في هذه المدة حول الارض ثمانية وعشرين دورةوكسر وأما الشمس فهكذا حكمها وذلك بأنها اذا سامتت بقعة من الارض مع أول دقيقة من برج الحمل فانها تعود الى مسامتة تلك البقعة مع الدقيقة التاسعةوالخمسين من تلك الدرجة بعد أربع وعشرين ساعة وخمس دقيقة من ساعة وفي اليوم الثانى تعود مع آخر الدرجة الثانيـة من الحمل وهكذا تتأخر مسامتتها في كل يوم مع درجة أخرى الى أن يحصل لها في فلك البروج ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وست ساعات دورة واحدة ويحصل أيضاً حول الأرض في هذه المدة ثلثمائة وخمسة وستين دورة وكسراً ويحصل لتلك الدقيقة في هـذه المدة حول الارض ثلثمائة وست وستين دورة وكسر وكذلك يجرى حكم عطارد والزهرة وأما المريخ فانه اذا سامت بقعة من الارض مع دقيقة من درجة فانه يعود في اليوم الثانى مع الدقيقة الحادية والثلاثين من تلك الدرجة . وفى اليوم الثالث مع الدقيقة من الدرجةالتى تتـلوها الى أن يحصل له في فلك البروج سنة فارسية وعشرة أشـهر واثنان وعشرين يوماً دورة واحدة وفى هذه المدة أيضا يحصل له حول الارض سبع وثمانين وستمائة دورة ولتلك الدقيقة ٦٨٨ وهي زيادة دورة واحدة

وأما المشترى اذا سامت بقعة مع دقيقة من درجة فانه يعود الى سمت تلك البقعة مع الدقيقة الخامسة من تلك الدرجة وفي اليوم الثانى مع الدقيقة العاشرة وهكذا دأبه الى ان يحصل فى فلك البروج في كل احـدى عشر سنة وعشرة أشهر وستة وعشرين يوما دورة واحدة ويحصل له فى هذه المدة حول الارض ٤٤٣٥ دورة ولتلك الدقيقة ٤٣٣٦ دورة

وأما زحل فانه اذا سامت بقعة فانه يعود فى اليوم الثانى مع أول دقيقة ثالثة وفي اليوم الثالث مع الدقيقة الخامسة وحصة كل يوم دقيقتان الى ان يحصل له في فلك البروج فى كل تسعة وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة ايام دورة واحدة

ويحصل له حول الارض في هذه المدة ٩١١١ دورة ولتلك الدورة ٩١١٢دورة.

وأما الكواكب الثابتة فانه اذا سامت واحد منها بقعة من الارض فانه يعود الى تلك البقعة مسامتا لها مع ثالثة من ثانية من دقيقة من درجة فيحصل له في فلك البروج في ست وثلاثين الف سنة دورة واحدة ويحصل له حول الارض دورات كثيرة

ولما بان لاصحاب الرصد دوران الفلك المحيط من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض ودوران باقي الافلاك تابعة له بكواكبها ووجدوها مقصرة عنه عن سرعة حركته متأخرة عنه في كل يوم بقدر ما لكل دور دون الاخر كما بينا عملوا لها حسابا ودونوه في الزيجات ليعرفوا أي وقت أرادوا مواضعها وموازاتها من فلك البروج معرفة حقيقته

ولما تبين أصحاب الزيجات أيضاً مايعرض للكواكب من الدوران في فلك البروج بسبب ابطاء حركة أكرها عن سرعة حركة فلك المحيط سموا مايعرض لها في فلك البروج من الدوران حركة من المغرب الي المشرق ليكون فرق بالتسمية بين دورانها حول الارض ودورانها في فلك البروج

﴿ فصل في بطلان ﴾
قول من يقول انها تتحرك من المغرب الى المشرق

وقد ظن كثير من الناظرين في علم النجوم ممن ليس له رياضة بالنظر في علم الهندسة والطبيعيات ان هذه الكواكب السيارة تتحرك من المشرق الى المغرب مخالفة لدوران الفلك المحيط وليس الامر كما ظنوا وتوهموا لانه لو كان كما ظنوا لكان سبيلها ان تطلع من المغرب وتغيب بالمشرق كما ان الفلك المحيط تطلع درجاته من المشرق وتغيب في المغرب وقد شهدوا دورانها في فلك البروج مخالفا لدوران الفلك فسموها حركة من المشرق الى المغرب وشبهوها بحركات

نملات تتحرك على وجه الرحى مستقلة بحركتها معاندة مخالفة لها في حركتها والرحى بسرعة حركتها ترد تلك النملات الى دورانها فلو كان كما قالوا حقيقة لكانت حركتها سبعة فقط لانها سبعة كواكب والامر بخلاف ذلك لان اصحاب سيارة الرصد ذكروا انها خمس واربعون حركة كما سنبين بعد وقالوا ان القمر اسرع الكواكب حركة فلو كان كما ذكروا لدار حول الارض في أقل من اربع وعشرين ساعة وقد بينا انه يدور في اكثر من ذلك ولو كانت حركاتها بالقصد معاندة لحركات الفلك المحيط لوجب أن تكون طباعها مخالفة لطباع الفلك مضادة لها وكان يجب أن يكون لها خمس واربعون طبيعة لانها خمس واربعون حركة وليس الامر كما ظنوا وتوهموا بل طبيعة الافلاك والكواكب كلها طبيعة واحدة في الحركة الدورية وقصدها قصد واحد وانما اختلفت حركاتها في السرعة والابطاء من اجل انها في الافلاك محركات ومتحركات كما بينا قبل ومن أجل اختلاف حركاتها في السرعة والابطاء اختلفت ازمان ادوارها حول الارض ومن أجل اختلافها حول الارض اختلفت ادوارها في فلك البروج كما بينا وأما مثل اختلاف دورانها حول الارض كدوران الطائفين حول البيت الحرام .

﴿ فصل في ان مثال دورانها حول الارض كدوران الطائفين حول البيت الحرام ﴾

وذلك ان مثل البيت وسط المسجد الحرام والمسجد وسط الحرم والحرم وسط الحجاز والحجاز وسط بلدان الاسلام كمثل الارض وسط كرة الهواء وكرة الهواء في وسط كرة القمر وفلك القمر في وسط الافلاك وكمثل المصلين من الآفاق المتوجهين نحو البيت كمثل الكواكب في الافلاك ومطارح شعاعاتها نحو مركز الارض ومثل دوران الافلاك بكواكبها حول الارض كمثل دوران الطائفين حول البيت ومثل اختلاف ادوارها حول الارض كمثل اختلاف اشواط الطائفين حول البيت وذلك انا نرى الطائفين حول البيت منهم من يمشي الهوينا

ومنهم من يستعجل ومنهم من يهرول ومنهم من يسعي فتختلف بحسب ذلك اشواطهم وكلهم متوجهون في طوافهم نحوا واحداً وقصدا واحدا ولكن اذا بلغ الماشى الركن العراقى فقد بلغ المستعجل الركن الشامي والمهرول الركن اليمانى والساعي الحجر الاسود فبهذا السبب اذا طاف الماشى شوطا واحداً فقد طاف الساعي اشواطاً فهؤلاء الطائفون وان اختلفت اشواطهم من أجل سرعة حركاتهم وابطائها فليس قصدهم الا قصد واحدا الى جهة واحدة فهكذا حكم الافلاك وكواكبها فى دورانها حول الارض وكما ان الطائفين حول البيت يبتدؤن من عند باب البيت ويجتمعون عنده سبعة اشواط يدورنها حول البيت فهكذا يقال ان الكواكب كلها ابتدأت بحركاتها من موازاة أول دقيقة من برج الحمل الذي كأنه باب الفلك ثم دارت حول الارض ثم اختلفت موازاتها بعد ذلك في درجات البروج بحسب سرعتها وابطائها كما قيل ، واذا اجتمعت هذه كلها بعد دورات كثيرة في موازاة تلك الدقيقة التى ابتدأت منها قامت القومة الكبرى واستأنفت الدور

﴿ فصل في مثال أدوارها ﴾

واعلم يا أخى ان حكماء الهند ضربوا مثلا لدوران هذه الكواكب حول الارض ليقرب على المتعلمين فهمه ويسهل على المتأملين تصوره : ذكروا انه ملكا من الملوك بنى مدينة دورها ستون فرسخاً وأرسل سبعة نفر يدورون حولها بسير مختلف: أحدهم كل يوم فرسخاً والآخر كل يوم فرسخين والثالث كل يوم ثلاثة فراسخ والرابع كل يوم أربعة فراسخ والخامس كل يوم خمسة فراسخ والسادس كل يوم ستة فراسخ والسابع كل يوم سبعة فراسخ ، فقال دوروا حول هذه المدينة وليكن ابتداؤكم من عندالباب فاذا اجتمعتم عندالباب بعدد دوراتكم فتعالوا فعرفوني كم دار كل واحد منكم

فمن فهم حساب دوران هؤلاء النفر حول تلك المدينة وتصوره يمكنه أن

يفهم دوران هذه الكواكب حول الارض بعد كم دورة يجتمعون فى أول برج الحمل كما كان ابتداؤهم . فأما حساب أولئك النفر فانهم بعد ستين يوماً يجتمع ستة نفر عند باب المدينة وقد دار واحد منهم دورة والآخر دورتين والثالث ثلاث دورات والرابع أربع دورات والخامس خمس دورات والسادس ست دورات ، فأما الذي يدور كل يوم سبع فقد دار ثمانية أدوار وزاد أربعة اسباع فرسخ دور ، فيحتاج هؤلاء النفر أن يستأنفوا الدور فبعد مائة وعشرين يوماً يجتمعون مرة أخرى عند الباب وقد دار كل واحد حسابه الاول مرة أخرى ولكن السابع قد دار سبع عشرة مرة وزاد فرسخاً واحداً ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد مئة وثمانين يوماً يجتمع الستة مرة ثالثة وقد دار كل واحد حسابه الاول مرة ثالثة ولكن صاحب السابع قد دار خمساً وعشرين دورة وزاد خمسة أسباع فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد مئتين وأربعين يوماً يجتمعون مرة رابعة وقد دار كل واحد منهم حسابه الاول ولكن صاحب السبعة قد دار أربعاً وثلاثين دورة وزاد سبعين ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد ثلاثمائة يوم يجتمعون مرة خامسة وقد دار كل واحد منهم حسابه الاول مرة خامسة ولكن صاحب السبعة قد دار اثنتين وأربعين دورة وزاد ستة أسباع فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد ثلثمائة وستين يوماً يجتمعون مرة سادسة وقد دار كل واحد منهم لحسابه الاول مرة سادسة ولكن صاحب السبعة دار احدى وخمسين دورة وزاد ثلاثة فراسخ ، فيحتاجون أن يستأنفوا الدور فبعد أربع مئة وعشرين يوماً يجتمعون كلهم عند باب المدينة وقد دار الاول سبعة أدوار والثاني أربع عشرة دورة والثالث احدى وعشرين دورة والرابع ثمانياً وعشرين دورة والخامس خمساً وثلاثين دورة والسادس اثنتين وأربعين دورة والسابع قد دار ستين دورة

فهذا مثل ضربه حكماء الهند لدوران الافلاك والكواكب حول الارض. وذلك ان مثل الارض كمثل تلك المدينة المبنية التي دورها ستون فرسخاً ، ومثل

الكواكب السبعة السيارة ودوراتها حول الارض كمثل أولئك النفر السبعة ، واختلاف حركاتهم في السرعة والابطاء كاختلاف سير أولئك النفر ، والملك هو الله البارىء المصور تبارك الله رب العالمين

﴿ فصل فيما يرى لها من الرجوع والاستقامة والوقوف ﴾

اعلم يا أخي ان الذي يوصف من هذه الكواكب السبعة السيارة خمسة منها وهي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ، تارة بالرجوع وتارة بالوقوف وليس بالحقيقة ذلك وانما هو عارض في رأي العين ، وذلك ان كل كوكب جرمه على كرة صغيرة تسمى أفلاك التداوير وهي مركبة كل واحدة على فلك من الافلاك الكبار التي تقدم ذكرها وغائصة في غلظ سموكها ويكون جانب منها مما يلي سطوحها العلوى وجانب منها مما يلي سطوحها السفلى، كل واحدة منها أيضاً دائمة الدوران في مواضعها من أفلاكها الحاملة لها ، ويعرض لكل كوكب اذا كان مركباً عليها تارة الصعود الى أعلى سطح فلك فيبعد عن الارض ، وتارة النزول من هناك فيقرب من الارض ، فاذا كان في أعلى ذراها ترى له حركة على توالي البروج من أولها الى آخرها واذا كان في أسفل فلكه ترى له حركة من آخر البروج الى أولها واذا كان صاعداً أو نازلا يرى كأنه واقف وليس بواقف ولا راجع ولكن دأبه الدوران وانما جعل أصحاب الرصد هذه الاسماء ألقاباً له .

﴿ فصل في تفصيل الحركات الخمس والاربعين ﴾

اعلم يا أخي انه يعرض لكل كوكب من هذه السبعة ست جهات مختلفات إحداها من المشرق الى المغرب ، وأخرى من المغرب الي المشرق ، وأخرى من الشمال الى الجنوب ، واخرى من الجنوب الى الشمال ، وأخرى من فوق الى أسفل وأخرى من أسفل الى فوق . فتكون جملتها اثنتين وأربعين حركة ، ويعرض للكواكب الثابتة حركتان وللفلك المحيط حركة واحدة ، فتلك هي خمس وأربعون

حركة . فأما حركتها من المشرق الى المغرب فهي بالقصد الاول الحقيقي ، وأما سائرها فبالعرض لا بالقصد ، وأما الذى يعرض من المغرب الى المشرق فقد بينا معناه فيما تقدم ، وأما الذي يعرض من فوق الى أسفل ومن أسفل الى فوق فهو من جهة أفلاك التداوير ومن جهة الافلاك الخارجة عن المراكز ، وأما التى تعرض من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال فمن جهة ميل فلك البروج عن فلك معدل النهار وشرحها يطول ، فمن أراد هذا العلم مستقصى فلينظره فى كتاب المجسطي أو بعض المختصرات في تركيب الافلاك

﴿ فصل في بيان الظلمتين الموجودتين في العالم ﴾

اعلم يا أخي ان العالم كله بأسره مضيء بنور الشمس والكواكب وليس فيه الا ظلمتان احداهما ظل الارض والاخرى ظل القمر ، وانما صار لهذين الجسمين الظل من أجل انهما غير نيرين ولا مشفين ، وأما النور الذي يرى على وجه القمر فان ذلك من اشراق الشمس على سطح جرمه ولانعكاس شعاعاتها كما يرى مثل ذلك في وجه المرآة اذا قابلت الشمس ، وأما سائر الاجسام التى في العالم فبعضها نير ونورها ذاتي لها وهي الشمس والكواكب والنار التى عندنا ، وأما باقي الاجسام فكلها مشفات وهي الافلاك والهواء والماء وبعض الاجسام الارضية كالزجاج والبلور وماشاكلها ، والاجسام النيرة هي التى نورها ذاتي والاجسام المشفة هي التى ليس لها نور ذاتي ولا لون طبيعي ولكن اذا قابلها جسم نير سرى نوره في جميع أجزائها مرة واحدة لان النور صورة روحانية ، ومن خاصية الصور الروحانية أن تسري في الاجسام دفعة واحدة وتنسل منها دفعة واحدة بلا زمان ، فاذا حال بين الاجسام النيرة وبين الاجسام المشفة حائل غير مشف منع نور النير ان يسري في الجسم المشف ، والنور في جرم الشمس والكواكب والنار ذاتى لها ، وأما في أجرام الافلاك والهواء والماء فعرضى ، وأما جرم الارض والقمر فلما كانا غير نيرين ولا مشفين صار لهما الظل لان النور لا يسري فيهما كما يسري في

الاجسام المشفة غير ان جرم القمر صقيل يرد النور كما يرد وجه المرآة ، وسطح جرم الارض غير صقيل فهذا هو الفرق بينهما

﴿ فصل في علة الكسوفين ﴾

واعلم يا أخي انه لما كان جرم الارض وجرم القمر كل واحد منهما أصغر من جرم الشمس صار شكل ظليهما مخروطاً وشكل المخروط هو الذي أوله غليظ وآخره دقيق حتى ينقطع من دقته . فظل الارض يبتدىء من سطحها ويمتد في الهواء منخرطاً حتى يبلغ الى فلك القمر ويمتد في سمكه حتى يبلغ الى فلك عطارد ويمتد في سمكه أيضاً الى أن ينقطع هناك ، فطوله من سطح الارض الى حيث ينقطع في فلك عطارد مثل قطر الارض مئة مرة وثلاثون مرة ، فيكون في سمك الهواء منه ستة عشر جزءاً ونصفاً وفي سمك فلك القمر مثل ذلك وسبعة وستين جزءاً منه في سمك فلك عطارد الى حيث ينقطع ويكون قطر هذا الظل حيث يمر القمر في وقت مقابلة الشمس مثل قطر جرم القمر مرتين وثلاثة أخماس فاذا اتفق أن تكون الشمس عند احدى العقدتين اللتين تسميان الرأس والذنب فيكون مرور القمر في سمك الظل كله ممنوعاً عنه نور الشمس فينكسف ثم يخرج من الجانب الآخر وينجلي

وأما ظل جرم القمر فيبتدىء من سطح جرمه ويمتد منخرطاً في سمك بعضه والباقي في سمك الهواء ويقطعه حتى يصل الى وجه الارض فيكون قطر استدارته على وجه الارض هناك مقدار مئة وخمسين فرسخاً يزيد وينقص بقدر بعد القمر عن الارض وقربه منها وهذا في وقت اجتماعه مع الشمس . فان اتفق اجتماعهما عند احدى العقدتين نرى القمر محاذياً لابصارنا ولجرم الشمس فيمنع عنا نورها فنراها منكسفة . واذا كان القمر في غير هذين الموضعين أعني الاجتماع والاستقبال يكون الى أحد الموضعين أقرب فان كان قربه الى الاجتماع أكثر كان رأس مخروط ظله في سمك الهواء وان كان الى الاستقبال أقرب كان

رأس مخروط ظله فى سمك فلكه أو فى سمك فلك عطارد. وأما رأس مخروط ظل الارض فالى الدرجة المقابلة لدرجة الشمس فى أي برج كانت ويدور أبداً فى مقابلة الشمس اذا كانت من فوق الارض فظل الارض تحتها وان كانت تحت الارض فظل الارض فوقها وان كانت بالمشرق فظل الارض الى ناحية المغرب واذا صارت بالمغرب صار الظل الى ناحية المشرق وهذا دأبهما دائماً يكونان حول الارض وهما الليل والنهار

﴿ فصل فى أن الفلك طبيعة خامسة ﴾

واعلم يا أخي ان معنى قول الحكماء ان الفلك طبيعة خامسة انما يعنون ان الاجسام الفلكية لاتقبل الكون والفساد والتغيير والاستحالة والزيادة والنقصان كما تقبلها الاجسام التى تحت فلك القمر وان حركاتها كلها دورية

واعلم ان للاجسام صفات كثيرة فمنها ماتشترك الاجسام كلها فيها ومنها مايختص ببعضها دون بعض فالصفات التى تشترك فيها الاجسام كلها الطول والعرض والعمق فحسب

واعلم ان الصفات أنما هي صور تحصل في الهيولى فيكون الهيولى بها موصوفا فمن هذه الصورة التى تسمى الصفات مهايا ذاتية للجسم مقومة لوجدانه كالطول والعرض والعمق لانها متى بطلت عن الجسم بطل وجدان الجسم ومن الصورة ماهى متممة للجسم مبلغة الى أفضل حالاته وهذه الصورة تختص ببعض الاجسام دون بعض وربما يشترك فيها عدة اجسام فمن الصور المتممة مايشترك فيها الاجسام الفلكية والطبيعية وهي الشكل والحركة والنور والشفافة واليبس الذي هو تماسك الاجزاء ومما يختص بالاجسام الطبيعية الحرارة والبرودة والثقل والتغيير والخفة والاستحالة والحركة على الاستقامة وما شاكلها. والذي يختص بالاجسام الفلكية سلب هذه الصفات كلها فمن أجل هذا قيل انها طبيعة خامسة لانها ليست حارة ولا باردة ولا رطبة ولاثقيلة ولا خفيفة ولا يستحيل بعضها

الى بعض فيكون منها شيء آخر ولا يزيد في مقاديرها ولاينقص لان البارى جل ثناؤه أبدعها كلها واخترعها تامة كاملة فهي باقية بحالاتها الى وقت مايريد باريها عز وجل أن يفنيها كيف شاء كما أبدعها وصورها واخترعها وركبها وحركها ودبرها فتبارك الله أحسن الخالقين

فصل في ابطال قول المتوهمين غير الحق

واعلم يا أخى أن كثيراً من أهل العلم ظنوا أن معنى قول الحكماء أن الفلك طبيعة خامسة انه مخالف لهذه الاجسام الطبيعية في كل الصفات وليس الامر كما ظنوا لان العيان يكذبهم وذلك ان القمر أحد الاجسام الفلكية وقد يرى فيه اختلاف قبول النور والظلمة كما يرى فى الاجسام الارضية وله ظل كظلالها وهو غير مشف مثل الارض والافلاك كلها تشارك الهواء والماء والبلور والزجاج في الاشفاف والشمس والكواكب تشارك النار في النور وكلها يشارك الارض فى اليبس فقد بان بهذا انهم لم يريدوا بقولهم طبيعة خامسة الا الحركة الدورية وانها لاتقبل الكون والفساد والزيادة والنقصان كما تقبله الاجسام الطبيعية ٠

فصل في انها ليست ثقيلة ولا خفيفة

واعلم ياأخى انما قيل ان الاجسام الفلكية ليست خفيفة ولا ثقيلة لانها ملازمة لاماكنها الخاصة بها وذلك ان الباري عز وجل لما خلق الجسم المطلق وفصل ابعاضه بالصور المتممة ورتبها محيطات بعضها ببعض كما بينا أولا جعل لكل واحد منها مكانا هو اليق الاماكن به وكل جسم في مكانه الخاص ليس بثقيل ولا خفيف لان الثقل والخفة يعرضان لبعض الاجسام بسبب خروجها من أماكنها الخاصة بها الى مكان غريب

واعلم يا أخي ان الارض في مكانها وهو مركز العالم ليست بثقيلة ولا الماء فوقها

بثقيل ولا الهواء أيضاً ثقيل فوق الماء ولا النار فوق الهواء أيضاً بثقيلة لا نها في أماكنها الخاصة بها وانما يعرض الثقل والخفة لاجزائها اذا صارت في أماكن غريبة وذلك ان اجزاء الارض في جوف الماء والهواء غريبة تريد اللحاق بمركزها وجنسها فاذا منعها مانع وقع التنازع والتدافع فيسمى ذلك ثقلا وهكذا حكم الماء واجزائه في جوف الهواء وحكم اجزاء الهواء في الماء واجزاء النار في جوف الهواء وكل واحد يريد اللحاق بعالمه ومركزه وابناء جنسه ولكن ما كان متوجها نحو مركز العالم يسمى ثقيلا وما كان متوجها نحو المحيط يسمى خفيفاً والدليل على ان كل جسم في موضعه ومكانه الخاص به لا خفيف ولا ثقيل هو كون اجزائه في جوف كليته لا ثقيلة ولا خفيفة وبيان ذلك بالتجربة والاعتبار وطريق تجربته ان تملأ قربتين احدهما من الماء والاخرى من الريح الذي هو الهواء ثم تطرحهما في بركة ماء فانك ترى القربة التي هي مملوءة من الماء تغوص في جوف الماء والتي فيها الريح تطفو فوق الماء فاذا شيلت القربة التي هي مملوءة من الماء لا يوجد لها ثقل مادامت في الماء لان الماء في الماء ليس بثقيل واذا صارت الى فوق الماء أحس بثقلها. وأما القربة التي هي مملوءة من الهواء فانها اذا غوصت في الماء وجد لها تمانع شديد لان الهواء في جوف الماء خفيف فاذا شيلت الى الهواء لا يوجد ذلك التمانع لان الهواء في الهواء ليس بخفيف

واعلم انه اذا أخذ من بركة ملأت ماء قدر من الماء ثم رد اليها وقف ذلك الماء المردود حيث رد كما ان التراب اذا أخذ من الارض ثم رد اليها وقف حيث رد وكذلك اذا استنشق الحيوان من الهواء مايروح الحرارة الغريزية ثم رده بالتنفس وقف ذلك الهواء المردود حيث رد ان لم يعرض له دافع

﴿ فصل في ان الاجسام الفلكية ﴾
ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة

واعلم يا أخي بأنه انما قيل انها ليست بحارة ولا باردة ولا رطبة من أجل ان الحرارة انما تعرض للاجسام السيالة المتحللة عند الحركة لان اجزاءها تفارق مجاوراتها بعضها بعضاً وتتبدل بالغليان الذي هو الحرارة ولما كانت الاجسام الفلكية متماسكة الاجزاء من شدة اليبس لم تفارق مجاورة اجزائها بعضها بعضا فلا يعرض لها الغليان الذي هو الحرارة وأما البرودة فانها تعرض للاجسام عند سكونها والاجسام الفلكية دائمة الحركات والدوران فلا تسكن فتبرد ، وأما الرطوبة فانها تعرض للاجسام اذا تحرك بعض اجزاءها وسكن البعض وليس للاجسام الفلكية سكون

واعلم انه انما صارت الاجسام الفلكية شديدة التماسك من شدة اليبس وشدة اليبس من شدة الحركة والدوران لان الحركة تولد الحرارة والحرارة تولد اليبوسة واليبوسة اذا تناهت انطفئت الحرارة

واعلم يا أخي ان الاجسام الفلكية محفوظة نظامها وباقية أشخاصها مادامت ثابتة على دورانها فاذا وقفت عن دورانها وسكنت حركاتها ولد السكون البرودة وولدت الرطوبة التفشي والتبدد والتفشي والتبدد يفسدان النظام ومن فساد النظام يكون البوار والبطلان

﴿ فصل في معنى القيامة ﴾

انما يدوم دوران الفلك مادامت النفس الكلية مربوطة معه فاذا فارقته قامت القيامة الكبرى لان معنى القيامة مشتق من القيام فاذا فارقت النفس قامت قيامتها قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله « من مات فقد قامت قيامته » وانما أراد قيام النفس لا الجسد لان الجسد لايقوم عند الموت بل يقع وقوعاً لايقوم بعده الى أن ترد النفس اليه ثانية . فانتبه يا أخي من نوم الغفلة

ورقدة الجهالة وتزود للرحلة واستعد للقيامة قبل أن تقوم قيامتك بأن يؤخذ منك هذا الهيكل المبنى مملوءاً من آثار الحكمة قهراً وأنت كاره فتبقى نفسك بلا سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق ولا لمس فارغة خاوية تهوي في هاوية البرزخ الى يوم القيامة الى يوم يبعثون فبادر وشمر واجتهد بأن تكتسب بتوسط هذا الهيكل الجسماني هيكلا روحانياً وبتوسط هذه الحواس الجسدانية حواساً عقلية ليكون بعدحين فترجع نفسك من عالم الاجسام الى عالم الارواح بربح لا بخسران

واعلم بأن النفس اذا فارقت هذا الهيكل فلا يبقى معها ولا يصحبها من آثار هذا الجسد الا ما استفادت من المعارف الربانية والاخلاق الجميلة الملكية والآراء الصحيحة المنجية والاعمال الصالحة الزكية المرضية المربحة وذلك أن تبقي هذه الاشياء فى النفس مصورة فى ذاتها اذا كانت معتادة لها صورة روحانية نيرة بهية كلما لاحظت النفس ذاتها ورأت تلك الصورة فرحت بها وامتلأت سروراً في ذاتها وفرحاً ولذة وذلك ثوابها ونعيمها بما أسلفت فى الايام الخالية واما اذا كانت اخلاقها رديئة سيئة بشعة واراؤها فاسدة واعمالها موبقة وجهالاتها متراكمة بقيت عمياء عن رؤية الحقائق وتبقى هذه الاشياء في ذاتها مصورة صورة قبيحة سمجة فكلما لاحظت ذاتها ونظرت الى جوهرها رأت مايسوؤها وتريد الفرار منه وأين المفر لها من ذاتها

فاعتبر يا أخي ماذكرت لك ولا تغتر بما أنت فيه من رغد العيش وصحة البدن وعشرة اخوان لك جسدانيين وأصدقاء جسمانيين يريدونك لمعاونتهم على اصلاح أحوال اجسامهم فان قصرت عن معاونتهم أبغضوك وان تجلدت عليهم جحدوك وان علوتهم حسدوك وان قصر حالك شمتوا بك ولا يريدونك الا لصلاح ونجاح أمورهم وحوائجهم فهلم يا أخي الى صحبة اخوان لك نفسانيين وأقران لك روحانيين يريدونك ولا يأخذون منك ويخلصونك مما وقعت فيه بأن تدخل في صحبتهم وتسمع أقاويلهم لتفهم مذاهبهم وتنظر في

كتبهم وتعرف طريقتهم وعلومهم وتعمل بسنتهم وتسير بسيرتهم لعلك تنجو بصحبتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون

	فراسخ		فراسخ
قطر الارض	٢١٦٧	سمك الشمس	٢١٦٨٠٠
دائرة على بسيط الارض	٦٨٠٠	قطر الشمس	٤٩٩٠٠٣٧
سمك كرة الهواء	٦٨٠٢٢	سمك المريخ	٦٥٩٠٥٥٢
قطر الهواء	٧٨٢١٢	قطر المريخ	٣٨٠٨٤١
سمك القمر	٣٨٠٢٧	سمك المشترى	١١٩٨٧٠٠٩
قطر القمر	١٥٤٢٥٧	قطر المشترى	٦٢١٧٥١٥٩
سمك عطارد	١٢١٥٣٥	سمك زحل	١٦٤٧٠٠٣٥
قطر عطارد	٦٠٩٣٢٧	قطر زحل	٩٥٠٧٥٢٢٩
سمك الزهرة	١٩٧٣٦٥٥	سمك فلك الكواكب الثابتة	٢٦٠٠٤٠٠
قطر الزهرة	٤٥٥٦٦٣٧	قطر فلك الكواكب الثابتة	٩٤٧٠٩٣٢٢٩

﴿ تمت رسالة السماء والعالم ويتلوها رسالة الكون والفساد ﴾



الرسالة الثالثة

من الجسمانيات الطبيعيات

في بيان الكون والفساد

﴿ وهي الرسالة السابعة عشرة من رسائل اخوان الصفا ﴾



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من ذكر الاجسام الفلكية وبينا كمية اكرها وكيفية نظامها ومقادير أبعادها واختلاف دورانها وسرعة حركاتها وماهية طبائع جواهرها في الرسالة الملقبة بالسماء والعالم نريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بالكون والفساد الاجسام الطبيعية التي دون فلك القمر وكمية عددها وكيفية نظامها واختلاف طبائعها وكيفية استحالة بعضها الى بعض بتأثيرات الاجسام الفلكية فيها وكمية الاجناس الكائنات المتولدة منها

واعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه ان الاجسام التي تحت فلك القمر سبعة أجناس أربعة منها هي الامهات الكليات وهي النار والهواء والماء والارض وثلاثة هي المولدات الجزئيات وهي الحيوان والنبات والمعادن فلنبدأ أولا بوصف الامهات الكليات فنقول :

ان الامهات كل واحدة منها مركبة من هيولى وصورة فهيولاها كلها هو الجسم وصورها هي التي بها تنفصل كل واحدة منها عن الاخرى وهي الصورة المقومة لذات كل واحدة منها ولما كانت الصورة نوعين مقومة ومتممة احتجنا أن نصفهما ليعرف الفرق بينهما فنقول ان الصورة المقومة لذات الشيء هي التي اذا فارقت هيولاها بطل وجدان ذلك الشيء . والصورة المتممة هي التي تبلغ الشيء الى أفضل حالاته التي يمكنه البلوغ اليها واذا فارقت هيولاها لم يبطل وجدان الهيولى . مثال ذلك السكون والحركة فانهما اذا فارقا الجسم لايبطل وجدان الجسم وأما الطول والعرض والعمق فاذا فارقت الهيولى يبطل وجدان الجسم .

واعلم يا أخي ان كل صورة مقومة لذات الشيء تتلوها أخرى متممة وكل صورة مقومة فاعلة لاخرى تابعة لها يتلو بعضها بعضاً كما يتلو العدد أزواجه أفراده وأفراده أزواجه بالغاً مابلغ . مثال ذلك الصورة المشاكلة في جرم النار المقومة لذاتها فهي حركة الغليان والصورة المتممة التابعة لها هي الحرارة وتتلوها اليبوسة ويتلوها تماسك الاجزاء فلولا رطوبة الهواء المحيطة بالنيران التي تمنعها أن تفرط في اليبوسة لتماسكت أجزاؤها وجفت كما تجف نار الصاعقة ولكن لو أصابها اليبس والجفاف لقل الانتفاع بها وهو الغرض الاقصى منها

واعلم يا أخي ان الهواء جوهر شريف فيه فضائل كثيرة وخواص عجيبة من ذلك انه يمنع النيران برطوبته أن تيبس وتجف كما يمنع الاصوات بسيلانه أن تثبت زماناً طويلا فيقل الانتفاع بها ويكثر الضرر منها وذلك ان الاصوات ليست تمكث فى الهواء إلا ريثما تأخذ المسامع حظها ثم تضمحل ولو ثبتت الاصوات في الهواء زماناً طويلا لامتلاء الهواء من الاصوات ولعظم الضرر منها حتى لايمكن أن يسمع مايحتاج اليه من الكلام والاقاويل وهكذا لو يبست النيران وجفت لما سرت فى الاجسام ولم تنضجها وبقيت الاشياء التي يراد نضجها نجة غليظة

فانظر يا أخي وتفكر في حكمة البارى سبحانه اذ جعل ثبات النيران بحسب مراد المستعمل لهـا فاذا استغنى عنها ردها الى العدم بأسهل السعي فلو بقيت بحالها لعظم الضرر منها وقل الانتفاع بها ومن الصور المتممة لذات النار اللطافة التي تولدها الحرارة وتتلوها سرعة النفوذ في الاجسام.ومن الصور المتممة لذات النار أيضاً النور ويتلوه الاشراق • فقد اجتمعت في جرم النار عدة صور كلها متممة لها وهي الحركة والحرارة واليبوسة واللطافة والنور وهي بكل صورة تفعل فعلا غير ماتفعل بالاخرى وذلك انها بالحركة تغلي الاجساد وبالحرارة تسخن وباليبوسة تنشف وباللطافة تنفذ في الاجسام وبالنور تضيء ماحولها وبالحرارة والحركة تحيل الاجسام الى ذاتها • وأما الصـورة المقومة لذات الارض فهي السكون الذي هو ضد الغليان والتالية المتممة لها البرودة والتالية للبرودة اليبوسة والتالية لها تماسك أجزائها ومن الصور المتممة لها أيضاً غلظة جوهرها ومن غلظة جوهرها تماسك أجزائها ومن تماسك أجزائهـا نشأت الـكائنات على ظهورها من الحيوان والنبات والمعادن

واعلم ياأخي بأن اليبوسة نوعان أحداهما تابعة للحرارة وهي فاضلة والاخرى تابعة للبرودة وهي رذلة وذلك ان اليبوسة التابعة للحرارة هضمة نضجة والتي تتبع البرودة لجة غير نضجة ومثال ذلك يبوسة الياقوت والبلور وأشباهها فانها قد نضجتها بالطبخ حرارة المعدن فهي لاتستحيل ولاتتغير وأما التي تابعـة للبرودة مثال يبوسة الثلج والجليد والملح وغيرها فانها لما كانت لجة غير نضجة صارت رذلة مستحيلة متغيرة ومن أجل هذا صارت الاجرام الفلـكية لاتقبل الـكون والفساد والتغيير والاستحالة لان تماسك أجزائها من شدة يبوستها. ويبوستها تولدت من حرارة حركتها ثم غلبت عليها اليبوسة فطفئت حرارتها كما بينا فى رسالة السماء والعالم

وأما الاجسام الارضية فلما كانت تماسك أجزائها من اليبوسة الرذلة الغير النضجة المتولدة من البرودة والمتولدة من السكون صارت تستحيل وتتغير وتفسد

فصل

واعلم يا أخي بأن الصورة المقومة لذات الماء والهواء كليهما الرطوبة المتولدة من امتزاج الاجزاء المتحركة والساكنة جميعاً وذلك ان اليبوسة لما كانت متولدة من شدة حركة أجزاء الهيولى كلها أو من شدة سكونها كلها كما بينا قبل وكانت الرطوبة ضداً لها دلت على انها متولدة من مزاج الاجزاء المتحركة والساكنة

وأما الصورة المتممة لذات الماء فهي كثيرة الاجزاء الساكنة الغليظة وقليلة الاجزاء المتحركة اللطيفة ولما كانت الصورة المتممة لذات الماء كثيرة الاجزاء الساكنة الغليظة وقليلة الاجزاء المتحركة اللطيفة صارت مشاكلة للارض في البرودة وصار مركزها مما يلي مركز الارض وأما الصورة المتممة لذات الهواء فهي كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة وقليلة الاجزاء الغليظة الساكنة ولما كانت الصورة المتممة لذات الهواء كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة صارت مشاكلة للنار في الحرارة وصار مركزها مما يلي مركز النار

واعلم يا أخي بانه لما كانت الصورة المقومة للاجسام الفلكية هي شدة اليبوسة المتولدة من شدة الحرارة المتولدة من شدة سرعة الحركة وكانت الصورة المقومة للاجسام الارضية اليبوسة المتولدة من شدة البرودة المتولدة من شدة السكون الذى هو ضد حركة الغليان صارت الاجسام الارضية مشاكلة للفلكية في اليبوسة ومضادة لها فى الحركة ولما كانت حركتها حول المركز صار سكون هذه في المركز لان المضاد يفر من ضده الى ابعد الاماكن وأبعد الاماكن من المحيط هو المركز

ولما كانت الصورة المقومة للماء والهواء هي الرطوبة المتولدة من امتزاج الاجزاء المتحركة والساكنة وكانت الرطوبة مضادة لليبوسة صار موضعها ما بين المحيط والمركز ولما كانت الصورة المتممة لذات الماء هي كثيرة الاجزاء الغليظة الساكنة فيه صار الماء مشاكلا للارض في البرودة وصار مركزه مما يلي مركزها ولما كانت الصورة المتممة لذات الهواء كثيرة الاجزاء اللطيفة المتحركة صارت مشاكلة للنار في الحرارة وصار مركزها مما يلي مركزها. فقد بان يا أخي بهذا الشرح ان الاجسام بعضها مشاكل لبعض في طبيعة ما، مضاد في طبيعة أخرى ومن أجل مضادة طباعها تباينت مراكزها ومن أجل مشاكلتها تجاورت مراكزها ولما ترتبت هذه الاجسام مراتبها صار كل واحد في مركزه الخاص به واقفاً بلا ممسك ولا عمد لا ثقيلا ولا خفيفاً ولا تخرج من مواضعها الا بعارض قاهر لها فاذا خلت رجعت الى موضعها الخاص بها فان منعها مانع وقع التنازع بينهما فان كان النزوع الى ناحية المحيط يسمى خفيفاً وان كان الى ناحية مركز العالم يسمى ثقيلا ولما ترتبت الاركان وقف كل واحد من هذه الاركان في موضعه الخاص به محيطات بعضها ببعض مستديرات الا الماء فقد منعته العناية الالهية والحكمة الربانية من الاحاطة بالارض من جميع الجهات لانه لو أحاطت كرة الماء بكرة الارض من جميع الجهات لمنع كون الحيوان والنبات على وجه الارض ولكن جعلت للمياه مستنقعات في الارض وهي البحار والآبار، وقد ذكرنا في رسالة جغرافيا صورة الارض وكمية الجبال والبحار والانهار والاقاليم والبلدان ولكن لا بد أن نذكر منها ما يحتاج الى ذكره ها هنا

فصل

اعلم يا أخي بان الارض كرة واحدة بجميع ما عليها من الجبال والبحار والانهار والعمران والخراب وهي واقفة في الهواء في مركز العالم والهواء محيط بها ملتف عليها من جميع جهاتها وان البحر الاعظم موضعه تحت مدار برج الحمل

ممتد من المشرق الى المغرب وأما سائر البحار فشعب وخلجان تأخذ من البحر الاعظم وتمتد الى ناحية الشمال وهي سبعة أبحر فمنها بحر الروم وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند وبحر ياجوج وماجوج وبحر جرجان وبين كل بحر منها وبين الآخر جزائر وبراري وعمران وجبال وآجام وانهار تبتدىء من الجبال وتنتهي الى البحار وان الجبال أصولها راسية في الارض ورؤوسها شامخة في الهواء شاهقة وبين هذه الجبال أودية غائرة وفي جوف الجبال مغارات وأهوية وان الاض باطنها كثير التخلخل وظاهرها مختلف التربة ومنها طينية وسبخة ورملة وحصى وأحجار صلبة وبقاع مختلفة وسبب اختلاف هذه كلها بحسب مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها عليها من الآفاق وممرات درجات الفلك على سمت تلك البقاع ومنها يكون الكون والفساد في هذه الاجسام التي تحت فلك القمر

واعلم يا أخي بأن هذه الاركان الاربعة يستحيل بعضها الى بعض فيصير الماء تارة هواء وتارة أرضاً وهكذا أيضاً حكم الهواء فانه يصير تارة ماء وتارة ناراً وكذلك النار وذلك أن النار اذا اطفأت وخمدت صارت هواء والهواء اذا غلظ صار ماء والماء اذا جمد صار أرضاً وعكس ذلك أن الارض اذا تحللت ولطفت صارت ماء والماء اذا ذاب صار هواء والهواء اذا حمي صار ناراً وليس للنار أن تلطف فتصير شيئاً آخر ولا للأرض ان تغلظ فتصير شيئاً آخر ولكن اذا اختلطت اجزاء هذه الاركان بعضها ببعض كان منها المتولدات الكائنات الفاسدات التي هي المعادن والنبات والحيوان وأصل هذه كلها البخارات والعصارات اذا امتزج بعضها ببعضها فالبخار ما يصعد من لطائف البحار والانهار والآجام في الهواء من اسخان الشمس والكواكب لها بمطارح شعاعاتها على سطوح البحار والانهار والآجام والعصارات مما يتحلب في باطن الارض من مياه الامطار وتخلط بالاجزاء الارضية وتغلظ فتنضجها الحرارة المستبطنة في عمق الارض

واعلم يا أخي بأن أول ما يستحيل هي الاربعة الاركان الى هذين الخليطين أعني البخار والعصارات ويكون هذان الخليطان هيولى ومادة لسائر الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر وذلك أن الشمس والكواكب اذا سخنت المياه باشراقها على سطح الارض والبحار والآجام والانهار قلت المياه ولطفت أجزاء الارض وصارت بخاراً ودخاناً والبخار والدخان يصيران سحابا والسحاب يصير أمطاراً والامطار اذا بلت التراب واختلطت الاجزاء الارضية بالاجزاء المائية تتكون منها العصارات والعصارات تكون مادة وهيولى للكائنات التي هي المعادن والنبات والحيوان وقد أفردنا لكل نوع منها رسالة مفردة وبينا فيها كيفية تكونها منها وتركيبها ونشؤها ونمائها وبلوغها الى اقصى مدى غاياتها ثم كيفية فسادها وبلاها واستحالتها وبدئها ورجوعها الى هذه الاركان الاربعة التي تتكون منها

واعلم يا أخي بان الكون والفساد هما ضدان لا يجتمعان في شيء واحد في زمان واحد لان الكون هو حصول الصورة في الهيولى والفساد هو انخلاعها منها فاذا فسد شيء منها فلا بد أن يتكون شيء آخر لأن الهيولى اذا انتزعت منها صورة البست أخرى فان كانت التي البست أشرف سمي كونا وان كانت ادون سمي فساداً مثال ذلك ان يصير التراب والماء نباتاً ويصير النبات حباً وثماراً والثمار والحب يصيران غذاء والغذاء يصير دما ولحماً وعظماً فيكون من ذلك حيوان. والفساد أن يحترق النبات فيصير رمادا ويموت الحيوان فيصير تراباً

واعلم يا أخي ان جسدك الذي تختص به نفسك أحد الكائنات الفاسدات وما هو بالنسبة الى نفسك الا كدار سكنت أو كلباس ألبس فلا تكونن كل همتك وأكثر عنايتك بتزويق هذه الدار وتطرية هذا اللباس فانك تعلم بأن كل مسكن يخرب وكل لباس لا بد ان يبلى ولكن اجعل بعض أوقاتك للنظر في أمر نفسك وطلب معرفة جوهرها ومبدأها ومعادها فانها جوهرة خالدة أبدية الوجود ولكن تنتقل لها حال بعد حال كما قيل :

اجهد على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

كما روى فى الخبر ان ابن ابي طالب صلوات الله عليه قال في خطبة له انما خلقتم للابد ولكن من دار الى دار تنقلون من الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى الدنيا ومن الدنيا الى البرزخ ومن البرزخ الى الجنة او الى النار

فصل

واعلم يا اخي بأن الجنة انما هي عالم الارواح وكله صورة روحانية لاهيولى جرمانية بل حياة محضة وراحة ولذة وسرور وغبطة لا يعرض لها الكون والفساد ولا التغيير والبلى لأنها هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا كانت الدار هي الحيوان فما ظنك يا اخى بأهل الدار كيف حالهم فانه يقصر الوصف عنهم الا بالاختصار كما ذكر الله تعالى فى كتابه على لسان نبيه محمد ﷺ فقال « فيهاما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون »

واعلم يا اخي ان النار وجهنم هى عالم الاجسام التى تحت فلك القمر الذي هو دائم في الكون والفساد والتغيير والاستحالة والبلى وان اهلها (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) فازهد يا اخي فى غرور هذه الدار كما زهد انبياء الله عز وجل واولياؤه والفلاسفة الحكماء فقد علمت انها ليست بدار المقام فاستعد للرحلة والانتقال باختيار منك لامكرها ولا مجبراً قبل فناء العمر وتقارب الاجل

واعلم انه لا يستوي لك هذا الا بعد ان تعرف فضل الآخرة على الدنيا معرفة صحيحة بلا شك ولا تقليد لان جبلة الانسان ان لا يزهد في الحاضر العاجل ولا يرغب فى الغائب الآجل الا بعد معرفة فضل الآجل الغائب على العاجل الحاضر

واجتهد يا اخي في معرفة طلب ما اشار اليه انبياء الله تعالى في الكتب المنزلة على السنتهم المأخوذة عن الملائكة معانيها في وصف نعيم الجنان وسعادة

اهلها وصفة النيران وشقاوة اهلها وما اشار اليه ايضا الفلاسفة والحكماء في رموزهم من وصف عالم الارواح ومدح اهلها وذمهم عالم الاجسام وسوء ثنائهم على اهلها ولعلك تتصور بعقلك ما تصوروا وتشاهد بصفاء جوهر نفسك ما شاهدوا بصفاء جوهر نفوسهم فتنتبه نفسك من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتعيش عيش السعداء العلماء وترتقي في المعارف وتعلو همتك نحو ملكوت السماء وتكون في الآخرة من السعداء وفقك الله ايها الاخ وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد للرشاد انه رؤوف رحيم بالعباد

واذ قد فرغنا من ذكر الاركان الاربعة التي هي دون فلك القمر وهي النار والهواء والماء والارض ووصفنا ما يخص كل واحدة من الصور المقومة المبلغة له الى افضل حالاته وبينا كيفية استحالات بعضها الى بعض واخبرنا ان اول ما يتحلل من البخارات ومن البخارات تنعقد العصارات ومن العصارات تتكون الكائنات التي هي المعادن والنباتات والحيوانات فنختم هذه الرسالة ونبدأ بعدها برسالة أخرى نذكر فيها البخارات الصاعدة في الهواء ونصف كيفية حوادث الجو منها في رسالة أخرى وهي الملقبة برسالة الآثار العلوية وحوادث الجو

تمت رسالة الكون والفساد ويتلوها رسالة الآثار العلوية



الرسالة الرابعة
من الجسمانيات الطبيعيات
في الآثار العلوية

وهي الرسالة الثامنة عشر من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذى اصطفى آلله خيرا ما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر الأركان الاربعة أردنا أن نذكر فى هذه الرسالة الملقبة بالآثار العلوية حوادث الجو وتغييرات الهواء وكيفية حدوثها بتأثيرات الاشخاص الفلكية فيها ولكن من أجل أن كثيراً من الناس العقلاء يظنون أن المطر ينزل من السماء من بحر هناك وأن البرد يقع من جبال ثم يستشهدون على صحة ظنونهم بقوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء طهوراً وقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد ولا يعرفون معاني قوله سبحانه ولا تفسير آيات كتابه جل ثناؤه احتجنا أن نذكر فيها طرفاً لتزول الشكوك والشبهة

واعلم ياأخي بأن معنى السماء فى لغة العرب هو كل ما على الرؤوس وأن المطر انما ينزل من السحاب والسحاب يسمى سماء لارتفاعها في الجو ويسمى أيضاً السحاب

جبالا لتراكمه بعضه فوق بعض كتراكم أركان الجبال وركود أطوادها بعضها فوق بعض كما يرى ذلك فى أيام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن مندوفه متراكم بعضه فوق بعض

﴿ فصل في ماهية الطبيعة ﴾

كان الذين يتكلمون فى الحوادث الكائنات التى دون فلك القمر من الحكماء والفلاسفة ينسبون هذه الآثار والافعال كلها الى الطبيعة وكما أن أقواماً من العلماء ينكرون أفعالها وينكرون الطبيعة أيضاً أصلا احتجنا أن نذكر معنى قولهم الطبيعة ونبين أن الذين أنكروا أفعالها ذهب عليهم معنى الطبيعة ولم يعرفوها فمن ذلك أنكروا أفعالها

واعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان الطبيعة انما هي قوة من قوى النفس الكلية منبثة منها في جميع الأجسام التى دون فلك القمر سارية فى جميع أجزائها كلها تسمى باللفظ الشرعي الملائكة الموكلين بحفظ العالم وتدبير الخليقة بأذن الله وتسمى باللفظ الفلسفي قوى طبيعية وهي فاعلة فى هذه الاجسام بأذن الباري جل ثناؤه والذين أنكروا فعل الطبيعة انما ذهب عليهم معنى هذه التسمية وظنوا أنها متوجهة نحو الجسم والجسم من حيث هو جسم لا فعل له البتة بالاجماع من الفريقين بدلائل قد صحت وبراهين قد قامت

واعلم ياأخي بأن الذين أنكروا فعل الطبيعة يقولون أنه لا يصح الفعل الا من حي قادر وهو قول صحيح ولكن يظنون أن الحي القادر لايكون الا بجسم اذا كان على هيئة مخصوصة بأعراض تحله بزعمهم مثل الحياة والقدرة والعلم وما شاكلها ولا يدرون أن مع هذا الجسم جوهراً آخر روحانياً غير مرئي وهي النفس وأن هذه التى وصفوها من الاعراض بأنها حالة في الجسم هي التى تظهرها فيه أعنى النفس بفعلها فى الجسم

واعلم يا أخي انما ذهب على الذين أنكروا فعل الطبيعة علم النفس وخفى عليهم معرفتها من أجل أنهم طلبوا إدراكها بالحواس فلم يجدوها فأنكروا وجودها وأما الذين أقروا بالنفس وأدركوا وجودها فانما عرفوا ذلك بالافعال الصادرة عنها في الاجسام وذلك أنهم اعتبروا أحوال الجسم فوجدوه لمجرده لافعل له البتة ولا للاعراض الحالة فيه وانما الافعال كلها للنفس وأما الجسم وأعراضه فانها للنفس بمنزلة أدوات وآلات لصانع يظهر بها ومنها أفعاله كما يرى ذلك من الصناع البشريين فانهم بأدوات جسمانية يظهرون صناعاتهم في الاشياء مثال ذلك النجار فانه يظهر أفعاله في الخشب الذي هو جسم طبيعي بآلات وأدوات جسمانية كالفأس والمنشار والمثقب وما شاكلها وكلها أجسام صناعية وأجسام الصناع هي أيضاً من الاجسام الطبيعية وهي آلات لنفوسهم وأدوات لهما يظهرون بها صناعتهم وأفعالهم كما بينا في رسالة تركيب الجسد ورسالة الصنائع العملية . وإذ قد بان ما الطبيعة وانها قوة من قوى النفس الكلية الفلكية وانه لافعل الا للنفس وانها تفعل أفعالها بقوتها في الاجسام وان الاجسام كلها آلات وأدوات ومفعولات لها كما أن الفكر والعلم آلات للنفس في ادراك المعلومات والمعقولات واخراجها من القوة الى الفعل - فنرجع الآن الى ذكر الاجسام البسيطة التي دون فلك القمر ونقول أنها الهيولى الموضوع للطبيعة وهي فاعلة فيها الاشكال والصور صانعة منها الحيوان والنبات والمعادن وأن الاشخاص الفلكية لها كالادوات للصانع وذلك أن الفلك يدوم دورانه حول الارض في كل أربعة وعشرين ساعة دورة واحدة وبحركات كواكبه ومطارح شعاعاته في سمك الهواء على سطح الارض والبحار واسخانها لها يحلل المياه فيصيرها بخاراً ويلطف أجزاء التراب فيصيرها دخاناً وتختلطان ويكون منهما المزاجات كما يكون من أصباغ المصورين

ثم ان قوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الاجسام المسماة الطبيعة تنقش وتصور وتصوغ من تلك المزاجات والاخلاط أجناس الكائنات التي هي الحيوان والنبات والمعادن باذن الله عز وجل ولما كان أول اختلاط ومزاج يحدث

في هيئة هذه الاركان هو تغييرات الهواء وحوادث الجو لسهولة انفعاله وسرعة استحالته احتجنا أن نذكر حال الهواء أولا ثم حال المياه ثم حال بقاع الارض فنقول :

إنا قد بينا في رسالة السماء والعالم أن كرة الهواء محيطة بكرة الارض من جميع جهاتها وان سمكها من ظاهر سطح الارض الى أدنى فلك القمر مثل قطر الارض ست عشرة مرة ونصفها وذلك أن قطر الارض ألفان ومائة وسبعة وستون فرسخاً فيكون سمك الهواء ٣٥٧٥٨ فرسخاً

واعلم ياأخي بأن سمك الهواء ينفصل بثلاث طبائع متباينات إحداها مما يلي سطح الارض والاخرى هي الوسط بينهما وذلك أن الهواء الذي يلي فلك القمر هو نار سموم في غاية الحرارة يسمى الاثير والذي في الوسط بارد في غاية البرودة يسمى الزمهرير والذي يلي سطح الارض معتدل المزاج في موضع دون موضع يسمى النسيم، والعلة في اختلاف هـذه الطبائع الثلاث هو أن الهواء المماس لفلك القمر لدوام دورانه معه وسرعة حركته قد حمي حمياً شديداً حتى صار ناراً سموماً ثم أنه لما كان منهبطاً الى أسفل كان أبطأ لحركته وأقل لحرارته وكلما قلت الحرارة غلبت البرودة فلا يزال كذلك الى أن يصير في غاية البرودة التي تسمى زمهريراً. والذي يلي سطح الارض معتدل المزاج في موضع دون موضع ولا يكون سمك كرة الاثير بالاضافة الى كرة الزمهرير الا شيئاً يسيراً ولولا مطارح شعاعات الشمس والقمر والكواكب على سطح الارض وانعكاسها في الهواء واسخانها له لكان المماس لظاهر سطح الارض أشد برداً مما سواه كما يعرض ذلك تحت قطب الشمال وذلك أنه يصير هناك ستة اشهر ليلا كله فيبرد الهواء برداً شديداً وتجمد المياه ويظلم الجو ويغلظ ويهلك الحيوان والنبات. وأما في مقابلة هذا الموضع مما يلي قطب الجنوب يكون في هذه الأشهر الستة نهاراً كله فيدوم إشراق الشمس على تلك البقاع ويتصل انعكاس شعاعاتها في الهواء فيحمى ويسخن اسخاناً شديداً حتى يصير ناراً سموماً محرقة للحيوان والنبات وعلة أخرى هي أن الشمس في وقت مسامتتها

لهذه البقاع تكون قريبة من الأرض لأن حضيضها في آخر القوس وأما اذا كانت في البروج الشمالية فان تحت قطب الشمال يكون أيضاً ستة أشهر نهاراً كله ولكن لاتسخن تلك البقاع كاسخانها البقاع التي تحت قطب الجنوب لأنها تكون بعيدة من الأرض مرتفعة في الفلك لأن أوجها في آخر الجوزاء

ثم اعلم ياأخي بان بين بعدها في الاوج وبين قربها في الحضيض مقدار قطر الأرض مائة مرة وهذا مقداره ٢١٦٧٥٥ فرسخاً ومن أجل هذا صار العامر من الأرض في الربع الشمالي من خط الاستواء إلى نيف وستة وستين درجة وهو بين ممر رأس الحمل على سمت الرأس إلى حيث ممر الكف الخضيب على سمت الرأس وفي هذا الربع الأقاليم السبعة كما بينا في رسالة جغرافيا ووصفنا فيها ما في كل أقليم من المدن والجبال والبحار والأنهار

واعلم ياأخي أن على سمت هذه الأقاليم يخترق من الهواء النسيم أكثر وفي هذه البلدان تعتدل الطبائع . ونريد أن نذكر سمك كرة الغيم والنسيم وأكثر ما ترتفع وذلك تارة يزيد في سمكه وارتفاعه وتارة ينقص من ذلك بحسب زوايا شعاعات الشمس والكواكب المنعكسة في طرفي النهار وأنصافه وأيام الشتاء والصيف وذلك أيضاً بحسب ارتفاعات الشمس والكواكب من الآفاق وممراتها على سمت البقاع

فصل

واعلم ياأخي بأن الزوايا التي تحدث من انعكاس شعاعات الكواكب والشمس من وجه الأرض ثلاث أنواع: حادة وقائمة ومنفرجة وهذه الزوايا كلها مسخنة للمياه والأرض والهواء محركة لها ولكن أشدها اسخاناً الزوايا الحادة ثم القائمة ثم المنفرجة ولما كانت الزوايا المنفرجة بعضها أشد انفراجاً من بعض والحادة بعضها أحد من بعض والزوايا القائمة كلها متساوية احتجنا أن نبين متى تكون الزوايا منفرجة ومتى تكون قائمة ومتى تكون حادة فنقول :

انه اذا ابتدأت الشمس من الأفق أو القمر أو أي كوكب كان وأشرقت على

سطح الارض والبحار فان زوايا شعاعاتها كلها تنعكس منفرجة في غاية الانفراج ثم لاتزال كلما ارتفعت قل انفراجها وتضايقت حتى اذا صار الارتفاع خمساً وأربعين درجة صارت زوايا انعكاس الشعاع كلها قائمة في تلك البقعة حسب . فاذا زاد الارتفاع نقصت الزوايا وضاقت وصارت حادة وكلما ارتفعت وزاد ارتفاعها زادت الزوايا حدة الى أن تسامت الكواكب البقعة فتنطبق الزوايا وتلتقي الاضلاع فاذا زالت الى ناحية المغرب انفصلت الاضلاع وانفتحت الزوايا الحادة في غاية الحدة وكلما انحطت الشمس أو أي كوكب كان ازدادت الزوايا انفراجاً الى ان يصير الارتفاع من جهة المغرب خمساً وأربعين درجة مرة ثانية وتصير الزوايا كلها قائمة مرة أخرى فاذا نقص الارتفاع عن خمس وأربعين درجة صارت الزوايا كلها منفرجة وكلما انحطت الكواكب الى المغرب انفرجت الزوايا الى وقت المغرب فتصير كلها في غاية الانفراج كما كانت غدوة . فن أجل هذا صارت أنصاف النهار أشد حرارة من طرفيه لان الزوايا بالغدوات والعشيات تكون منفرجة وفي أنصاف النهار حادة وفيما بين الوقتين قائمة ويكون الجو متوسطاً مابين الحر والبرد ولا تكون أنصاف نهار الشتاء شديدة الحر كما تكون أنصاف نهار الصيف لان ارتفاع الشمس في الشتاء لا يبلغ خمساً وأربعين درجة .

وإذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا الى ذكره فانا نقول : ان أكثر مايكون سمك كرة النسيم ستة عشر الف ذراع ارتفاعاً في الهواء وأقله مايطابق سطح الارض . ومن الدليل على ان أكثر مايكون سمك كرة النسيم هذا المقدار هو ان أعلى جبل يوجد في الارض لايجاوز ارتفاع رأسه في الهواء هذا المقدار وان أعلى هذه الجبال لايبلغ ارتفاع الغيوم رؤوسها وانما يمنعها شدة البرد المفرط هناك لان الرافع للغيوم في الهواء هي حرارة الجو من اسخان الكواكب له بمطارح شعاعاتها وانعكاس تلك الشعاعات من سطح الارض والبحار على زوايا حادة كما بينا قبل وانه أحد مايتكون الزوايا على سطح الارض فأما في الهواء

فانه كلما ارتفع فان أضلاع تلك الزوايا تنفرج وتتسع وتقبل التسخين هناك ويضعف فعلها ويضمحل تأثيرها في العلو فيغلب البرد هناك

واعلم يا أخي ان أول مايقبل الهواء من التغييرات والاستحالات هو النور والظلمة والحر والبرد ثم مايحدث فيه من اختلاف الرياح من كثرة البخارات المتصاعدة والدخانات الساطعة المطبقة وتتبعها الزوابع والهالات والضباب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والهزات ثم الامطار والطل والندى والصقيع والثلوج والبرد وقوس قزح والشهب وكواكب الاذناب ومايتبع هذه من هيجان البحار والمد والجزر في البحار والانهار

واعلم يا أخي ان هذه التغييرات التي تكون في الجو لما كان يحدث بعضها في سمك كرة النسيم وبعضها في سمك كرة الزمهرير وبعضها في سمك كرة الاثير وبعضها في السطوح المشتركة بينها نحتاج الى تفصيلها واحدة واحدة ونبدأ أولا بشرح حال السطوح وذلك ان السطوح نوعان: مشتركة ومتداخلة فالمشتركة مثل سطح الماء والهواء والسطح الذي بين الدهن والماء فانه ليس بين الجسمين إلا فاصل مشترك يفصل أحدهما عن الآخر فصلا وهمياً فقط . وأما السطح المتداخل فمثل سطح الماء الواقف في الطين والرمل فان الاجزاء الارضية متداخلة لاجزاء الماء وأجزاء الماء متداخلة لاجزاء التراب فلايكون بينهما فاصل مشترك يفصل بينهما

واعلم يا أخي ان من السطوح مايقارب طبيعة الجسمين المماسين ومنها مالايقارب مثل سطح الهواء من أسفل مما يلي الهواء فان تلك الاجزاء الطف من سائر الاجزاء التي تلي أسفل مما يلي الارض وكذلك سطح الهواء المحيط بالنيران التي عندنا فانه يكون أسخن من سائر أجزائه البعيدة عن النار وكذلك سطح النار مما يلي الهواء المحيط به أقل حرارة من سائر أجزائه الباقية ، وأما سطوح الاجسام الصلبة مثل الحديد والخشب والحجر وماشا كلها اذا تجاورت فلايعرض لها هذا الوصف .

وإذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا الى ذكره فانا نقول ان سطح كرة الاثير الذي يلي فلك القمر مشترك غير متداخل الاجزاء وكذلك سطوح أكر الافلاك والكواكب كلها وقد ظن كثير من الطبيعيين ان بين كرة الزمهرير والاثير سطح متداخل غير مشترك وليس الامر كما ظنوا بل هو كما نبين بعد . فأما بين سطح كرة النسيم وبين كرة الزمهرير فتبين انه غير مشترك بل متداخل كسطح النار والهواء والارض . وأما سطح كرة النسيم مما يلي الارض فتبين انه متداخل الاجزاء أيضاً الى عمق الارض بحسب تخلخل الاجزاء الارضية الى نهاية ما . ثم يقف ولايدخل الى أكثر من ذلك ، ومن الدليل على ذلك مايعرض لحافري المعادن الى أسفل حتى انهم ربما يحتاجون لترويح النسيم هناك بالمنافخ والانابيب ليستنشقوا النسيم ويضيء سرجهم هناك فمتى انقطع النسيم لعارض طفئت سرجهم واختنق من كان في المعادن فمات ولايمكن أن يكون في المواضع التي لايخترقها النسيم حيوانات كما بينا في رسالة الحيوان

واعلم يا أخي ان الهواء بحر واقف لطيف الاجزاء خفيف الحركة سريع السيلان سهل القبول للتغييرات والحوادث وقد بينا في رسالة الحاس والمحسوس كيفية قبوله للنور والظلمة والاصوات والروائح وكيفية قبوله البرد والحر في رسالة الكون والفساد ونريد أن نصف في هذا الفصل كيفية حدوث الرياح وكمية أنواعها وجهاتها واختلاف تصاريفها وما العلة المحركة لها في وقت دون وقت وفي بلد دون بلد ونبين أيضاً كيفية سياقة الغيوم من البحار الى البراري والقفار ورؤس الجبال وكيف تمر السحاب حتى يهطل القطر ولكن نحتاج قبل ذلك أن نذكر حالات القمر ومنازله واتصالاته بالكواكب التي هي الموجبة لاثارة البخارات والدخانات والتسخين الموجبة لكون الرياح فنقول :

ان القمر في الفلك ثمانية وعشرين منزلا كما ذكر الله تعالى والقمر « قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم »

واعلم يا أخي أن لهذه المنازل خواص يظهر تأثيرها في هذه الاركان الاربعة

وفي المكنونات منها عند نزوله يوماً بيوم وليلة بليلة والشمس والكواكب أيضاً اتصالات بالكواكب بعضها ببعض يقوى فعلها ، وتأثيرها فيها يطول شرحه وهي مذكورة في كتب النجوم ولكن نذكر منها ما لا بد من ذكره في هذا الفصل وذلك أن من تلك المنازل ما يقوى أفعاله في اثارة البخار من البحار والبطائح والآجام ، ومنها ما يقوى أفعاله في اثارة الدخانات من وجه الأرض والبراري ومنها ما يقوى فعله في تبريد الهواء وزيادة الماء ومنها مايقوى فعله في اسخان الهواء ونقصان المياه وخاصة اذا اتفق نزول القمر بمنزل واتصاله بكوكب مشاكل فعله لخاصية المنزل

واعلم أن الريح ليست شيئاً سوى تموج الهواء بحركته الى الجهات الست كما أن أمواج البحر ليست شيئاً سوى حركة الماء وتدافع أجزائه الى الجهات الاربع وذلك أن الماء والهواء بحران واقفان غير أن أجزاء الماء غليظة ثقيلة الحركة وأجزاء الهواء لطيفة خفيفة الحركة

واعلم يا أخي أن أحد أسباب حركة الهواء هو ان صعود البخار من البحار والبراري والقفار أثار من البحار بخاراً رطباً ومن البراري والقفار دخاناً يابساً أصعدتها بحرارتها في الهواء فيدفع الهواء بعضه بعضاً الى الجهات فيتسع المكان للبخارين الصاعدين فان كان الدخان اليابس أكثر كانت منه الرياح لأن تلك الاجزاء اذا صعدت الى أعلى كرة النسيم وبردت ومنعها برد الزمهرير عن الصعود الى فوق عطفت عند ذلك راجعة الى أسفل ودافعت الهواء الى الجهات الاربع فكانت منها الرياح المختلفة

واعلم ان الرياح كثيرة التصاريف في الجهات الست ولكن جملتها أربع عشرة نوعاً المعروف منها عند جمهور الناس أربع وهي الصبا والدبور والجنوب والشمال وذلك أن الهواء إذا تموج من المشرق الى المغرب يسمى ذلك التموج ريح الصبا واذا تموج من الجنوب الى الشمال يسمي التيمن واذا تموج من المغرب الى المشرق يسمى دبورا واذا تموج من الشمال الى الجنوب يسمى الجربيا . فأما

ما كان تدافعه الى ما بين هذه الجهات فيسمى النكباء وهذه ثمانية أنواع

وأما التي تهب من أسفل الى فوق فنها تكون الزوابع وهما ريحان تلتقيان وتصعدان كما يلتقي الماء في الكرادات وعند نزوله في البلاليع والثقب.

وأما التي تهب من فوق الى أسفل فنها الريح الصرصر التي أهلكت عاداً وذلك أنها نفخت عليهم غربي ديارهم من خلل الغيم من كرة الزمهرير التي فوق كرة النسيم ثمانية أيام ولياليها كما ذكر الله تعالى. واذ ذكرنا ماهية الريح وكمية أنواعها وجهات هبوبها، فانا نريد أن نذكر علة تصاريفها في الجهات وما الغرض منها وذلك أن أحد الاغراض من تصاريفها هو أن تسوق الغيم من سواحل البحار الى البلدان البعيدة والبراري المقصودة بها، وايضاً فان أحد الاغراض من الجبال الشامخة الطوال المسطوحة على بسيط الارض شرقا وغربا وجنوبا وشمالا هو أن تمنع الرياح من سوق السحاب الى غير البلدان والبراري المقصودة بها وذلك أن هذه الجبال الراسيات تقوم لمنع الرياح أن تنصرف الى كل الجهات الا الجهة المقصودة بها مقام المسنات والبزيدات للأنهار والسواقي المانعة لها أن تفيض المياه الا الى المزارع والمواضع المقصودة بها وذلك أن كثيراً من البلدان والبراري بعيدة من سواحل البحر ولو لم تكن هذه الجبال الطوال الشامخة المانعة للرياح السائقة للغيوم لما وصلت السحاب والامطار الى تلك البلدان والبراري كما ان الانهار والسواقي اذا لم تكن لها مسنات وبريدات فاضت الى الآجام والغدران والبطائح حيث يقل الانتفاع بها فلا تبلغ الى البلدان البعيدة الا بأنهار تحفر وبريدات تعمل ولهذه الجبال الشامخة غرض آخر، وذلك أن في أجوافها مغارات وأهوية واسعة فاذا هطلت في الشتاء في رؤوسها الامطار والثلوج وذابت غاضت المياه في تلك المغارات والاهوية وصارت فيها كالمخزونة وفي أسفل تلك الجبال منافذ ضيقة تخرج منها المياه المخزونة في تلك المغارات والاهوية وهي العيون وتجرى منها جداول وتجتمع بعضها الى بعض وتسيل منها أودية وأنهار تجرى بين المدن والقرى والسوادات فتسقى وهي راجعة الى

البحار والآجام والغدران في ممرها الزروع والاشجار ومواضع العشب والكلاء وما يفضل منها ينصب الى البحار والآجام والغدران وتلطفها الشمس وتصعدها بخاراً من الرأس وتكون منها الغيوم والسحاب وتسوقها الرياح الى المواضع المقصودة بها كما كان عام أول وذلك دأبها أبداً ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل ﴾

فانظر يا أخي الى هذه العناية الالهية الكلية، والسياسة الربانية الحكمية وتفكر فيها واعتبرها لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتنفتح لها عين البصيرة فتنظر بنور العقل الى هذا الصانع الحكيم المدبر لهذه الامور كما نظرت بعين الجسد الى هذه المصنوعات التي نحن في ذكرها فتكون من الشاهدين الذين مدحهم الله تعالى فقال : « الا من شهد بالحق وهم يعلمون » وقال : « واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » ثم قال : « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم » واذ قد فرغنا من ذكر الرياح فنذكر الغيوم والامطار والندى والجليد والضباب والطل والسحاب والرعود والبروق والبرد اذ كانت موادها البخارات الصاعدة كما ذكرنا قبل

واعلم يا أخي انه اذا ارتفعت البخارات في الهواء وتدافع الهواء الى الجهات ويكون تدافعه الى جهة أكثر من جهة ويكون من قدام له جبال شامخة مانعة ومن فوق له برد الزمهرير مانع ومن أسفل مادة البخارين متصلة فلا يزال البخاران يكثران ويغلظان في الهواء وتتداخل أجزاء البخارين بعضها في بعض حتى يثخن ويكون منها سحاب مؤلف متراكم وكلما ارتفع السحاب بردت أجزاء البخارين وانضمت أجزاء البخار الرطب بعضها الى بعض وصار ما كان دخانا يابسا ريحا وما كان بخاراً رطباً ماء وأنداء ثم تلتئم تلك الاجزاء المائية بعضها الى بعض

وتصير قطراً بردا وتثقل فتهوى راجعة من العلو الى السفل فتسمى حينئذ مطراً فان كان صعود ذلك البخار الرطب بالليل والهواء شديد البرد منع أن تصعد البخارات في الهواء بل جمدها أولا فأولا وقربها من وجه الارض فيصير من ذلك ندى وصقيع وطل وان ارتفعت تلك البخارات في الهواء قليلا وعرض لها البرد صارت سحابا رقيقاً وان كان البرد مفرطا جمد القطر الصغار في خلل الغيم فكان من ذلك الجليد أو الثلج، ذلك ان البرد يجمد الاجزاء المائية ويختلط بالاجزاء الهوائية فينزل بالرفق فمن أجل ذلك لا يكون لها على وجه الارض وقع شديد كما يكون للبرد والمطر فان كان الهواء دفيئاً ارتفع البخار في العلو وتراكم السحاب طبقات بعضها فوق بعض كما يرى في أيام الربيع والخريف كانها جبال من قطن مندوف متراكمة بعضها فوق بعض فاذا عرض لها برد الزمهرير من فوق غلظ البخار وصار ماء وانضمت الاجزاء بعضها الى بعض وصارت قطر وعرض لها الثقل أخذت تهوى من أعلى سمك السحاب ثم تتراكم وتلتئم تلك القطر الصغار بعضها الى بعض حتى اذا خرجت من أسفلها صارت مطراً كبيراً فان عرض لها برد مفرط في طريقها جمدت وصارت برداً قبل أن تبلغ الى الارض فما كان منها من اعلى السحاب هو الذي يصير بردا وما كان من أسفل السحاب كان مطراً مختلطاً مع البرد

ومن أحب أن يعلم صدق قولنا ويتصور كيفية وصفنا صعود البخارين وكيفية تأليف السحاب منها ونزول القطر فلينظر الى تصعيدات المياه وتقطيرها وكيف يعمل منها أصحابها مثل تصعيد ماء الورد والخل المصعد وماشا كلها ومثل البخارات الصاعدة في بيوت الحمامات وكيفية تقطير الماء من سقوفها وذلك أن سطح كرة الزمهرير الذي يلي كرة النسيم والجبال الشامخة حوالى البحار تقوم لمنع البخارين الصاعدين الذين يتكون منهما السحاب والامطار أن يتبددا ، ويتفشيا حيطان الحمامات وسقوفها لمنع البخار الصاعد فيها أن يتبدد ويتفشى

وأيضاً فانها تقوم مقام القرع والانبيق في تصعيد رطوباتها وتقطيرها وبمثل هذين يدبر اصحاب الصنعة عقاقيرهم في تصعيد رطوباتها وتقطير مياهها

وأما البروق والرعود فانهما يحدثان في وقت واحد ولكن البرق يسبق الى الابصار قبل الصوت الى المسامع لان أحدهما روحاني الصورة وهو الضوء والآخر جسماني وهو الصوت كما بيناه في رسالة الحاس والمحسوس . وأما علة حدوثهما فهي البخاران الصاعدان اذا اختلطا في الهواء والتف البخار الرطب على البخار اليابس الذي هو الدخان واحتوى برد الزمهرير على البخار الرطب وضغطهما فانحصر البخار اليابس في جوف البخار الرطب والتهب في جوفه البخار الرطب وطلب الخروج دفعة وانخرق البخار الرطب وتفرقع من حرارة الدخان اليابس كما تتفرقع الاشياء الرطبة اذا احتوت عليها النار دفعة واحدة وحدث من ذلك قرع في الهواء واندفع الى جميع الجهات كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس كيفية الصوت واتقدح من خروج ذلك البخار اليابس الدخاني ضوء يسمى البرق كما يحدث من دخان السراج المطفيء اذا أدني من سراج مشتعل ثم ينطفيء وربما يذوب ذلك البخار ويصير ريحاً ويدور في جوف السحاب ويطلب الخروج فيسمع له دوي وتقرقر كما تسمع من الجوف المنتفخ ريحاً وربما ينشق السحاب دفعة واحدة بشدة فيكون من ذلك صوت هائل يسمى صوت الصاعقة كما يحدث من الزق المنتفخ اذا وقع عليه حجر ثقيل فيشقه

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أنه لولا العناية الآلهية ورحمة الباري جل جلاله بان جعل سمك كرة النسيم عالياً ومركز السحاب مرتفعاً بعيداً عن الارض بمقدار الحاجة اليه وجعل من شأن السحاب اذا انخرق أن يطلب البخار الصعود الى فوق وجعل من شأن قرع الهواء اذا حدث أن تكون حركته الى فوق لكانت أصوات الرعد أضرت بأسماع الحيوانات الضعيفة وقتلتها كما يكون ذلك في بعض الاحايين وذلك

أن السحب اذا تراكت وتكابست يضغط بعضها بعضاً الى أسفل حتى تقرب من الارض وتحدث الرعود ويخرق السحاب من أسفل ويقرع الهواء ويندفع الى وجه الارض فيكون من ذلك صوت هائل هو الصاعقة فانها تقتل كثيراً من الحيوانات القريبة منها ومن الناس أيضاً كما فعل بقوم شعيب وصالح عليهما السلام. وكذلك حكم البروق أيضاً وذلك ان من شأن النار أن تتحرك الى فوق فاذا منعها السحاب المتراكم رجعت منحطة الى الارض فاحرقت ما أتت عليه من الحيوان والنبات ولكن قل ما تحرق الاجسام الرخوة لانها نار لطيفة تنفذ في مسامها . وأما الاجسام الصلبة فلتكابس اجزائها وتمانعها تتغلب عليها وتذوبها وتحرقها. وأما الهالة التي تكون حول الشمس والقمر فانها تدل على المطر ورطوبة الهواء وذلك انها تحدث في اعلى سطح كرة النسيم وقت ما يرتفع البخار الى هناك ويأخذ يتألف منه الغيم وعلتها ان النيرين اذا اشرقا على ذلك السطح انعكس شعاعها من هناك الى فوق وحدث من ذلك الانعكاس دائرة كما يحدث من اشراقها على سطح الماء ويشف رسم تلك الدائرة من تحت ذلك الغيم الرقيق كما يشف من وراء البلور والزجاج ويكون مركز تلك الدائرة مسامتا للبقعة التي يمر بها مسقط الحجر الخارج من مركز النيرين الى مركز الارض، فكل من كان من الناظرين ممن يمر ذلك النير على سمت رأسه سواء فانه يرى مركز تلك الدائرة من فوق رأسه ومن كان خارجا من تحته الى أحد الجهات فانه يرى مركزها في الجهة المقابلة لموضعها ويكون قطر هذه الدائرة ابدا مثل سمك كرة البخار مرتين ، قل ذلك السمك أو أكثر وتقديرها أكثر ما يكون اثنين وثلاثين الف ذراع لان سمك كرة النسيم أكثر ما يكون ستة عشر الف ذراع كما بينا قبل

وأما قوس قزح فانه يحدث في سمك كرة النسيم عند ترطيب الهواء مشبعاً ولايكون وضعه إلا منتصباً قائماً وحدبته الى فوق مما يلي سطح كرة الزمهرير وطرفاه الى أسفل مما يلي وجه الارض ولايكاد يحدث الا في طرفي النهار في الجهة المقابلة لموضع الشمس مشرقاً أو مغرباً ، ولايرى منها الا أقل من نصف محيط

الدائرة الا أن تكون الشمس في الافق سواء فانها عند ذلك ترى في نصف محيط الدائرة سواء لان الخط الخارج من مركز جرم الشمس يمر مماساً لها على وجه الارض ومركز هذه الدائرة فيرى القوس قائماً منتصباً مستوياً واذا كانت الشمس مرتفعة فانها ترى أقل من نصف محيط الدائرة وكلما كان الارتفاع أكثر كان القوس أقل وأصغر لان القوس يكون مائلا منحطاً الى الجهة المقابلة لموضع الشمس .

واعلم يا أخي ان بين وتر هذا القوس وبين قطر دائرة الهالة التي تقدم ذكرها نسبة متساوية وأما علة حدوث هذا القوس فهي أيضاً اشراق الشمس على أجزاء ذلك البخار الرطب الواقف في الهواء وانعكاس شعاعها منه الى ناحية الشمس وأما اصباغه التي ترى فهي أربعة مطابقة للكيفيات الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ولخاصية الاربعة الاركان التي هي النار والهواء والماء والارض ولفصول الزمان الاربعة وهي الصيف والخريف والشتاء والربيع ولمشابهة الاخلاط الاربعة وهي الصفراء والسوداء والدم والبلغم ولما كلة ألوان زهر النبات والشجر لان هذه القوس إذا حدثت وكانت أصباغها مشبعة تدل على ترطيب الهواء وكثرة العشب والكلاء وزكاء ثمر الشجر وحب الزرع فيكون ظهورها ورؤيتها كالبشارة قدمتها الطبيعة للحيوان والناس منذرة بريف الزمان وخصبه .

وأما مايقوله العامة وهو ان حمرتها تدل على اهراق الدماء في تلك السنة وصفرتها تدل على الامراض وزرقتها تدل على الجدب وخضرتها تدل على الخصب وعلى حسب كثرتها وقلتها تكون دلالتها فان هذا يكون دليلا عند الزاجر على أصله وفرعه وقد بينا ذلك في رسالة الزجر والفراسة .

وأما ترتيب ألوانها فان الحمرة أبداً تكون فوق الصفرة والصفرة دونها والزرقة دون الخضرة فان وجدت قوساً أخرى دونها ترتبت هذه الالوان في القوس السفلى عكس ذلك وشرح العلة في ذلك يطول لانه لايفهمه الا المرتاضون بالاشكال الهندسية والامور الطبيعية والنسب التأليفية .

وقد بينا فيما تقدم ان السحاب لا يرتفع من وجه الارض فى الجو أكثر من ستة عشر الف ذراع وان أقربه ما كان مماساً لوجه الارض ولكن ذلك فى الندرة فى وقت من الاوقات وبلد دون بلد لانه لو كان السحاب فى كل وقت وفى كل بلد ماراً مماساً لوجه الارض لاضر ذلك بالحيوان والنبات ولمنع الناس من التصرف كما يرى ذلك يوم الضباب ، وفى البلدان القريبة من سواحل البحار مثل البصرة والانطاكية وطبرستان لقربها من البحار يرى أغفل مايكون الانسان حتى اذا جاء الطل والمطر والضباب مقدار مايضيق الصدر ويأخذ النفس وتبتل الثياب والامتعة، وأيضاً لو كان السحاب كله قريباً من وجه الارض لاضر الرعد والبرق بأبصار الحيوان وأسماعها ولو كان بعيداً شديد الارتفاع فى الهواء بحيث لم يكن يرى لكانت الامطار والثلوج تجيء مفاجأة والناس والحيوان عنها غافلون غير مستعدين للتحرز منها فكان يكون فى ذلك ضرر عظيم عام

فلا تنظر يا أخي الى فعل الطبيعة وتفكر فى هذه الحكمة الالهية والعناية الربانية كيف رفعت هذه الاشياء فى الهواء بمقدار الحاجة اليها فلا بعيد مفرط ولا قريب جداً اذا كان فى كلا الامرين ضرر على الناس والحيوان والنبات

﴿ فصل ﴾

فأما علة كثرة الامطار فى الشتاء وقلتها فى الصيف فهو لأن صعود البخارين متصل أبداً فى العراق ومايليه من الاقاليم الشمالية فى الصيف أكثر منها فى الشتاء

واعلم ياأخي ان لكل كائن تحت فلك القمر اربع علل لايتكون شيء من الكائنات الا بها كلها : احداها علة هيولانية والاخرى علة صورية والاخرى علة فاعلية والاخرى علة تمامية.

فاما العلة الهيولانية للسحاب والامطار وما يتبعهما فهما البخاران الصاعدان كما وصفنا قبل ، العلة الفاعلية لها هي الشمس والكواكب بمطارح شعاعاتها كما تقدم ذكرها والعلة الصورية عقد البخارين وجمودهما والعلة الفاعلية لذلك برد

الجو والعلة التمامية تكون الامطار لكيما تبتل الارض وينبت النبات ويتغذى منه الحيوان .

ولما كانت الشمس تقضى ستة أشهر فى البروج الشمالية وتقرب من سمت رأس هذه البلاد فيسخن جو الهواء اسخاناً شديداً فتتحرك البخارات وتغشى وتدفعها الرياح الشمالية الى ناحية الجنوب وبما أن الشمس تكون بعيدة من سمت تلك البلاد يبرد الجو ويكون الشتاء هناك والامطار والغيوم وما يتبعهما من حوادث الجو.

فاذا صارت الشمس بعد ستة أشهر الى البروج الجنوبية قريبة من سمت تلك البلاد وبعدت من البلاد الشمالية صار الشتاء هاهنا والصيف هناك وذلك دأبها ودأب الشتاء والصيف والغيوم والامطار وما يتبعها من الحوادث التى تقدم ذكرها وكل هذه الحوادث تكون في سمك كرة النسيم دون كرة الزمهرير

فصل

وأما الحوادث التى فى سمك كرة الزمهرير فهي الشهب وانقضاض الكواكب التى ترى في الليالى فربما كثر ذلك وربما قل .

وأما هيولاها ومادتها فهو الدخان اليابس اللطيف الصاعد من الجبال والبرارى فاذا بلغت تلك المادة في صعودها الى الفصل المشترك بين كرة الزمهرير وبين كرة الاثير استدارت هناك وتشكلت واشتعلت فيها نار الاثير كما يشتعل نار السراج فى دخان السراج المنطفىء وكما تشتعل نار البرق في الدخان اليابس الدهنى الذى فى السحاب وكما تشتعل النار في النفط الابيض ثم تفنيه بسرعة فينطفيء ، ومما يدل على ان مادتها دخان يابس كثرة مايرى منها في سنى الجدب

وأما كيفية تشكل هذه الدخانات اذا صعدت الى هناك واشتعلت فيها النار فانها اذا اعتبرت بالفكر وجدت تارة كانها أعمدة مخروطة قائمة قاعدتها مما يلى كرة النار ومخروطها مما يلى وجه الارض ودليل ذلك انه اذا اشتعلت النار

فيها ترى عظيمة الاشتعال ثم لا تزال تصغر وتنخرط وتقل حتى تنطفيء فيتخيل للناظرين انها نار هوائية تنزل من السماء في حركتها .

واذا اعتبرنا هذا المثال يظن ان بين كرة الزمهرير وكرة الاثير سطح متداخل الاجزاء غير مشترك وتارة ترى حركتها عند انقضاضها كانها كرة صغيرة هو ذي متدحرج على سطح كرة كبيرة وذلك انا نراها احيانا عند انقضاضها واشتعالها تبتديء حركتها من المشرق فتمر على سمت رؤوسنا الى المغرب وتارة من المغرب الى المشرق وتارة تبتدىء من الجنوب وتمر على سمت رؤوسنا الى الشمال وتارة من الشمال الى الجنوب وتارة تتنكب هذه الجهات فيتخيل للناظرين كأنها كرة من قطن اشتعل فيها النار ثم رميت في الهواء وكلما أكلتها النار تناثر شررها وصغرت حتى تفنى وتنطفيء ومثالها الكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات بالليل وذلك انهم يتخذون كرة معجونة من سندروس واجزاء عقاقير ويشعلون فيها النار ويأخذونها فى أفواههم فاذا رقصوا أو تنفسوا رؤيت النار تخرج من أفواههم ومناخرهم ولايزال ذلك دأبهم حتى تفنى تلك المادة وتنطفيء تلك النار .

﴿ فصل ﴾

وقد يظن كثير من الناس أن انقضاض هذه الشهب هى كواكب تسقط ويرمي بها من السماء في الهواء الى الارض ويستدلون على صحة ظنونهم الكاذبة بقوله تعالى : ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين .

وليس فى هذه الآية دلالة على ان الكواكب هي ترمى بانفسها لانك اذا قلت اتخذت هذه القوس لارمي بها العدو والكفار فليس في قولك دلالة على انك ترمي بنفس القوس بل ترمي عنها بالنشاب فهكذا قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين أي يرمون عنها بالشهب لان هذه الشهب لاتحدث في الهواء الا باشراق هذه الكواكب وشعاعاتها في الهواء كما بينا من قبل وقد فسرنا معنى هذه الآية واخواتها في رسائل لنا

واعلم أن أهل صناعة النجوم متفقون على ان هـذه الكواكب الثابتة فى الفلك الثامن هي من وراء فلك زحل الذي هو الكرسى الواسع كما بينا فى رسالة السماء والعالم وانما ذكر الله تعالى انها زينة السماء الدنيا لان أهل الارض لا يرونها الا دون فلك القمر الذي هو سماء الدنيا .

ومما يدل على ان هذه الشهب تحدث قريبة من الارض بعيدة من فلك القمر سرعة حركتها فانها في لحظة تمر من المشرق الى المغرب أو من المغرب الى المشرق فلو كانت قريبة من فلك القمر لما رأيت حركتها بهذه السرعة .

واعلم يا أخي انها اذا حـدث فرت مقبلة على الناظرين وجازت على سمت رؤوسهم الى الجانب الآخر ذاهبة الى الافق بسيرها على الرؤية يتخيل الناظرين انها وقعت الى الارض وليس الامر كذلك لانها مادة خفيفة تطلب العلو ولا يزيدها اشتعالها الا خفة ، فاما التى تقع منها الى الارض فهي التى تحدث فى كرة النسيم فيضغطها السحاب ويردها الى اسفل كنار البرق التى يضغطها السحاب من فوق الى أسفل

وأما علة استدارة تلك المادة فهى ان الاجسام السيالة من شأنها أن تتشكل مالم يمنعها مانع اشكالا كروية كما يستدير القطر في الهواء لان الشكل الكروي أفضل الاشكال كما بينا في رسالة الهندسة .

وأما علة حركتها الى جهة دون جهة فبحسب الدافع لها من جهـة المقابل وليست هي الريح لانها أسرع حركة من الريح وقد بينا علة حركتها في رسالة الحركات .

فانظر يا أخي وتفكر في هذه الحكمة الالهية والعناية الربانية كيف جعلت ورتبت كرة الاثير دون فلك القمر ، وجعلتها ناراً بلاضياء كيما تحترق بحرارتها الدخانات الغليظة الصاعدة في الهواء وتلطف البخارات العفنة الكثيفة ليكون الجو أبداً صافياً شفافاً ولم تجعل تلك النار مضيئة لانها لو كانت مضيئة كالنيران

التي عندنا لمنعت أبصار الحيوان عن رؤية عالم الافلاك والكواكب وخاصة ألانسان لانه لما منع الكون هناك لم يمنع الرؤية والنظر اليه ، لكيما تشتاق النفوس الى الصعود نحوها هناك كما قال جل ثناؤه « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » يعني به روح المؤمنين وقال في منع روح الكافر « لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » وقد جعلت الحكمة الالهية أيضاً الزمهرير حجاباً بين كرة النسيم وبين كرة الاثير لتمنع ببردها وهج الاثير عن الحيوان والنبات أن يتلفها ولتبرد البخار وتعقده غيوماً ليكون أمطاراً تحيا بها البلاد ، وجعلت كرة النسيم معتدلة المزاج ولما كان سببها انعكاس شعاعات الكواكب كما بينا قبل وأكثرها وأوكدها هي الشمس جعلت تارة تغيب لبرد الجو وتارة تطلع لسخن الهواء ولو دامت بطلوعها لدام الاسخان ولافرط الحر وكان ذلك فساداً كلياً وكذلك لو دام مغيبها لبرد الجو وجمدت المياه والرطوبات وهلك النبات والحيوان من البرد ، وكذلك جعل لها أن تميل الى ناحية الجنوب ليكون الصيف هناك والشتاء في الشمال « ذلك تقدير العزيز العليم » . وهذه من عظيم نعم الله على خلقه وذلك معنى قوله تعالى « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء » الآية « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلاتبصرون . ومن رحمته أن جعل لكم الليل والنهار » الى قوله ولعلكم تشكرون

وعلى هذا القياس لو دام الشتاء والصيف لكان بواراً وفساداً للنظام ، وكذلك اذادام مدارها على سمت واحد . قال الله تعالى « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » تارة غاربة وتارة طالعة وتارة مائلة الى الشمال وتارة مائلة الى الجنوب وتارة مرتفعة في الاوج وتارة منحطة الى الحضيض وتارة فوق الارض وتارة تحتها وتارة موازية لابروج النارية وتارة الترابية وتارة الهوائية وتارة

للمائية وتارة للبروج المتقلبة وتارة في الثابتة وتارة في ذوات الاجساد وتارة مجتمعة وتارة متفرقة وتارة ناظرة ينظر بعضها الى بعض وتارة ساقطة وتارة منفصلة وتارة منصرفة وتارة كالواقفة وتارة راجعة وتارة مستقيمة وتارة شرقية وتارة غربية وتارة محترقة بنورها وتارة في بيوتها وتارة في غربة وتارة في الشرف وتارة في الهبوط .

هذه كلها من أوصافها وأحوالها لاغراض موصوفة وآجال معدودة لا يعلمها إلا هو « ماخلق الله ذلك إلا بالحق » ولا يحيط أهل صناعة النجوم والخلق أجمع بشيء من علمه الا بما شاء . وسع كرسيه السماوات والارض وقد ذكرنا طرفاً من هذا العلم في رسالة الادوار شبه النموذج والاشارة فانظر فيها وتفكر فيما ذكرنا لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فتحيا حياة العلماء وتعيش عيش السعداء مع الابرار في دار القرار منعمة ملذذة فرحانة مسرورة أبد الآبدين ، ولا تكن من الغافلين في أسفل السافلين في عالم الكون والفساد واستعد للرحيل قبل انقطاع المدة وتزود فان خير الزاد التقوى

فصل

وأما الكواكب ذوات الأذناب التي تظهر في بعض الاحايين قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها فانها لا تحدث الا في كرة الاثير قريباً من فلك القمر والدليل على ذلك دورانها مع فلك القمر تارة بالتقدم على توالي البروج كسير الكواكب السيارة وتارة بالتأخر كرجوعها .

وأما مادتها التي تتكون منها فهي دخان وبخار لطيفان يصعدان الى هناك فينعقدان بقوة زحل وعطارد وتكون شفافة كشفيف البلور ، اذا أشرقت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر ، فلا تزال تدور مع الفلك وتطلع وتغيب الى أن تضمحل وتتلاشى ، وكل هذه الحوادث التي ترى في ضوء الهواء اما بشارات من الله تعالى بالرخص والخصب والسلامة للناس والحيوان والصلاح ، واما انذارات

وتخويفات من الحدثان والجدب والقحط والغلاء والزلازل والوباء والموت والخسوف والحروب والفتن وذلك ليجعل العباد المكلفين يعتبرون بها ويرتدعون عن معصية الله وينقادون الى طاعة الله ويظهرون الدعاء والتضرع والتوبة والندم والتطوع بالصوم والصلاة والصدقة والقرابين في الهيا كل والمساجد والبيع والصلاة ليكون ذلك تلقيناً من الآباء للاولاد ومن العلماء للجهال وتنبيهاً للغافلين عن معرفة الله عز وجل وهداية لهم كما قال الله تعالى « ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون »

فانظر يا أخي وتفكر في ملكوت السماوات والارض وما في الآفاق والانفس من الآيات وقل « ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » واشهد معهم كما ذكر الله تعالى فقال « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط » ولا تكن من الذين يمرون عليها وهم عن آياتها معرضون غافلون ، وهم الذين قال الله فيهم « ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً » وقال تعالى « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » أعاذك الله وايانا من هذه الجهالة والعمى ووفقنا لما هو أرشد وأهدى برحمته انه قريب مجيب

تمت رسالة الآثار العلوية وهي الرسالة الرابعة في الطبيعيات والسابعة عشر من رسائل اخوان الصفا وتتلوها رسالة تكوين المعادن



الرسالة الخامسة

من الجسمانيات الطبيعيات

فى بيان تكوين المعادن

﴿ وهي الرسالة الثامنة عشرة من رسائل اخوان الصفا ﴾



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه إنا قد بينا في رسالة الآراء والمذاهب بأن العالم محدث مبدع مخترع كائن بعد ان لم يكن وان مبدعه ومخترعه ومحدثه وخالقه ومصوره هو الباري جل جلاله أبدعه كما شاء وكيف شاء بقوله تعالى « كن » فكان كما بينا في رسالة المبادىء العقلية فنريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من الحوادث والكائنات التى تتكون وتفسد تحت فلك القمر بطول الازمان والدهور والادوار . كما بينا أيضاً كيفية فناء العالم وكيفية نشء الآخرة والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران والوصول الى الجنان وكيفية مجاورة الرحمن في رسالة البعث والقيامة إذ قد تبين ببراهين منطقية ودلائل عقلية بأن عالم الافلاك وجواهر أشخاصها لا تمتزج بعضها ببعض ولا تختلط أجزاؤها ولا يتكون منها شيء غيرها بل هي باقية بما هي عليه الآن بطول الازمان والدهور وانها أيضاً لا تتغير ولا تفسد ولا تستحيل

مادامت لها هذه الحركة الدورية والاشكال الكروية إلا أن يشاء باريها ومبدعها وخالقها أن يبطلها دفعة واحدة أو على التدريج أو يوقفهـا عن الدوران وهو أهون عليه «وله المثل ألاعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم »

واعلم ان وقوف الافلاك عن الدوران هو موت العالم وبطلان حياة الكل ومفارقة النفس الكلية الفلكية عن الاجسام كلها دفعة واحدة وتلك هي القيامة الكبرى والبوار الكلي وبطلان الجملة ، لان موت كل شخص من أشخاص الحيوانات هو مفارقة نفسه جسده وهي قيامته كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله « من مات فقد قامت قيامته » وقد بينا في رسالة لنا ان العالم انسان كبير ذو جسم ونفس وحياة وعلم ، فاعرف حقيقة ماذكرناه من هناك

ثم اعلم يا أخي ان استحالة الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر هي خمسة أنواع فنها استحالة الاركان الاربعة بعضها الى بعض كما بينا طرفاً من كيفية ذلك في رسالة الكون والفساد ومنها حوادث الجو وتغييرات الهواء كما بينا طرفاً منها في رسالة الآثار العلوية ومنها استحالة الكائنات الفاسدات التي تتكون وتنعقد في باطن الارض وعمق البحار وجوف الجبال وهي الجواهر المعدنية كما سنبين طرفاً من كيفيتها في هذه الرسالة ، ومنها استحالة النبات والاشجار وهو كل جسم يتغذى وينمو كما بينا طرفاً منها في رسالة النبات ، ومنها استحالة الحيوان وهو كل جسم متحرك حساس كما بينا طرفاً منها في رسالة الحيوانات بعد ذكر النبات

واعلم ان هذه الاشياء التي ذكرنا انها تتكون وتحدث وتتغير وتفسد بطول الزمان والدهور وتناوب الليل والنهار وتعاقب الشتاء والصيف على الاركان الاربعة التي هي الارض والماء والهواء والنار انما يكون باختلاف أحوالها بحسب موجبات أحكام النجوم في القرانات والالوف والادوار ، وبحسب أشكال الفلك ومسيرات الكواكب ومطارح شعاعاتها من الاوتاد والآفاق ونريد أن نبين كيفية تكوين المعادن وأسرار اختلاف جواهرها وأنواعها وخواصها

ومنافعها ومضارها .

وإذ قد فرغنا من ذكر أدوار الافلاك وحركات الكواكب وقرانها في السنين والدهور وكم هي وكيف هي وكيف يكون ذلك فى رسالة لنا ، فاعلم ان لكل كائن وحادث تحت فلك القمر أربع علل : علة فاعلية ، وعلة هيولانية ، وعلة صورية ، وعلة تمامية . فالعلة الفاعلية للجواهر المعدنية باذن باريها جل جلاله هي الطبيعة ، وقد بينا ماهية الطبيعة وكيفية أفعالها فى رسالة لنا ، وأما العلة الهيولانية للجواهر المعدنية فهي الزئبق والكبريت كما سنبين فى هذه الرسالة ، والعلة الصورية هي دوران الافلاك وحركات الكواكب حول الاركان الاربعة التى هي النار والهواء والماء والارض ، وأما العلة التمامية فهي المنافع التى ينالها الانسان والحيوانات جميعاً من هذه الجواهر المعدنية باذن الله جل جلاله

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي ان الجواهر المعدنية مختلفة فى طباعها وطعومها وألوانها وروائحها كل ذلك بحسب اختلاف ترب بقاع معادنها ومياهها وتغييرات أهويتها وذلك ان كرة الارض بجملتها وجميع أجزائها ، عمقها وظاهرها وباطنها طبقات ساف فوق ساف متلبدة منعقدة مختلفة التركيب والخلقة . فمنها صخور وجبال صلبة وأحجار وجلامد صلدة وحصاة ملس ورمال جريشة وطين رخو وتراب لين وسباخ وشورج بعضها مختلط ببعض أو متجاورة كما وصفها الله تعالى بقوله « وفي الارض قطع متجاورات » وهي مختلفة الالوان والطعوم والروائح فمن ترابها وطينها وأحجارها حمر وبيض وسود وخضر وزرق وصفر كما ذكر الله تعالى بقوله « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » ومن ترابها وطينها ماهو عذب مذاقه ومر طعمه أو مالح أو عفص أوحامض أو حلو ومنه ماهو طيب شمه ومنتن رائحته فان الارض بجملتها كثيرة التخلخل والثقب والتجاويف والعروق والجداول والانهار داخلها وخارجها كثيرة الاهوية

والمغارات والكهوف وكل هذه مملوءة من المياه والبخارات وتكون طعوم تلك المياه وروائحها وغلظها ولطافتها وثقلها وخفتها بحسب تربة بقاعها وطين مكانها واجوافه وقرارات مستنقعاتها.

فصل

واعلم بأن الجواهر المعدنية ثلاثة أنواع فمنها ما يتكون في التراب والطين والارض السبخة ويتم نضجه في السنة أو أقل منها كالكبريت والاملاح والشبوب والزاجات وما شاكلها ومنها ما يتكون في قعر البحار وقرار المياه ولا يتم نضجه الا في سنة أو أكثر منها كالدر والمرجان فان أحدهما نباتي وهو المرجان والآخر حيواني وهو الدر ومنها ما يتكون في كهوف الجبال وجوف الاحجار وخلل الرمال ولا يتم نضجه الا في سنين كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص وما شاكلها ومنها ما لا يتم نضجه الا في عدد سنين كالياقوت والزبرجد والعقيق وما شاكلها. ونريد أن نبين ونصف طرفا من كيفية تكوين كل نوع من هذه ليكون دلالة على سائرها ولكن نحتاج قبل وصفنا هذه الاشياء أن نذكر صورة الارض وكيفية قسمة ارباعها وصفات تلك الارباع كيف تتغير احوالها وكيف تتبدل صفاتها في الدهور والازمان الطوال فنقول :

ان الارض بجميع ما عليها من البحار والجبال والبراري والانهار والعمران والخراب هي كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم باذن الله جل جلاله كما بينا في رسالة الجغرافيا فنقول إن الارض بجملتها نصفان نصف شمالي ونصف جنوبي وظاهر كل قسم منها ينقسم الى نصفين فتكون جملته اربعة ارباع كل ربع منها موصوف باربعة أنواع ، فمنها مواضع براري وقفار وفلوات وخراب. ومنها مواضع البحار والانهار والاجام والغدران ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ، ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والعمران

واعلم ياأخي أن هذه المواضع تتغير وتتبدل على طول الدهور والازمان وتصير مواضع الجبال براري وفلوات ، وتصير مواضع البراري بحاراً وغدرانا وانهاراً ويصير مواضع البحار جبالا تلالا وسباخاً وأجاماً ورمالا ، وتصير مواضع العمران خرابا ، ومواضع الخراب عمراناً ، فوجب أن نذكر طرفاً من هذه الاوصاف إذ كان هذا الفن من العلوم الغريبة البعيدة عن أفكار كثير من اهل العلم المرتاضين فضلا عن غيرهم

واعلم بان في كل ثلاثة الف سنة تنتقل الكواكب الثابتة وأوجات الكواكب السيارة وجوزهراتها في البروج ودرجاتها ، وفي كل تسعة آلاف سنة تنتقل الى ربع من ارباع الفلك ، وفي كل ست وثلاثين الف سنة تدور في البروج الاثني عشرة دورة واحدة فبهذا السبب تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض واهوية البلاد ويختلف تعاقب الليل والنهار والشتاء والصيف عليها ، اما باعتدال واستواء أو بزيادة ونقص وافراط من الحرارات والبرودات واعتدال منهما وتكون هذه اسبابا وعللا لاختلاف أحوال الارباع من الارض وتغييرات أهوية البلاد والبقاع وتبديلها بالصفات من حال الى حال.

ويعرف حقيقة ماقلنا الناظرون في علم المجسطي وعلوم الطبيعيات ، فتصير بهذه العلل والاسباب مواضع العمران خرابا ومواضع الخراب عمرانا ومواضع البراري بحاراً ومواضع البحار براري وجبالا . ويعرف حقيقة ماقلناه وصحة ماذكرناه الناظرون في علم الطبيعيات والالهيات ، الباحثون عن علل الكائنات الفاسدات التي تحت مقعد فلك القمر وكيفية تغييراتها ، ولكن نريد أن نصف طرفا من كيفية تكوين الجبال في البحار وكيف يصير الطين اللين احجاراً وكيف تتكسر الاحجار فتصير منها حصا ورملا وكيف تحملها سيول الامطار الى البحار في جريان الاودية والانهار وكيف ينعقد من ذلك الطين والرمال في قعور البحار حجارة وجبالا

واعلم يا أخي ان البحار هي كالمستنقعات على وجه الارض فان الجبال منها كالمسنات والبريدات لها لتفصل البحار بعضها من بعض ولئلا يكون وجه الارض كله مغطى بالماء وذلك انه لو تكن الجبال على وجه الارض وكان وجهها مستديراً ملساً لكانت مياه البحار تنبسط على وجهها وتغطيها من جميع جهاتها وتحيط بها كاحاطة كرة الهواء بالارض كلها وكان وجه الارض كله بحراً واحداً ولكن العناية الالهية والحكمة الربانية قد قضت أن يكون وجه الارض بعضه مكشوفا ليكون مسكنا لحيوان البر وبعضه لمنابت العشب والاشجار والزروع إذ كانت هذه غذاء الحيوانات ومادة لاجسادها «ذلك تقدير العزيز العليم»

واعلم يا أخي ان الاودية والانهار كلها تبتدىء من الجبال والتلال وتجري مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران وأن الجبال من شدة اشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الازمان والدهور ، تنشف رطوباتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتتكسر ، وخاصة عند انقضاض الصواعق وتصير أحجاراً وصخوراً أو حصى ورمالا . ثم ان الامطار والسيول تحط تلك الصخور والرمال الى بطون الاودية والانهار ويحمل ذلك شدة جريانها الى البحار والغدران والآجام . وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سافاً على ساف بطول الزمان والدهور ويتلبد بعضها فوق بعض وينعقد وينبت في قعور البحار جبالا وتلالا كما تتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمال في البراري والقفار

واعلم يا أخي انه كلما انطمت قعور البحار من هذه الجبال والتلال التي ذكرنا أنها تنبت فان الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البراري والقفار ويغطيها الماء فلايزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البراري بحاراً ومواضع البحار يبساً وقفاراً وهكذا لاتزال الجبال تتكسر وتصير أحجاراً وحصى ورمالا تحطها سيول الامطار، وتحملها الى الاودية والانهار بجريانها حتى البحار، وتنعقد هناك كما وصفنا، وتنخفض الجبال الشامخة وتنقص وتقصر حتى

تستوي مع وجه الارض، وهكذا لايزال ذلك الطين والرمال تنبسط في قعر البحار وتتلبد وتنبت عنها التلال والروابي والجبال وينصب من ذلك المكان الماء حتى تظهر تلك الجبال وتنكشف هذه التلال وتصير جزائر وبراري ويصير مايبقى من الماء في وهادها وقعورها بحيرات أو آجاماً أو غدراناً وينبت فيها القصب والوحل فلاتزال السيول تحمل الى هناك الطين والرمال والوحول حتى تجف تلك المواضع وتنبت هناك الاشجار والكرش والعشب وتصير مواضع للسباع والوحوش ثم يقصدها الناس لطلب المنافع والمرافق من الحطب والصيد وغيرها . وتصير مواضع الزروع والغروس والنبات بلداناً وقرى ومدناً يسكنها الناس

واعلم يا أخي ان هذه البحار التي ذكرنا انها كالمستنقعات على وجه الارض وبينها جبال شامخة وهي كالمسنيات لها وهي متصلة بعضها ببعض، اما بخلجان بينها على ظاهر الارض واما بمنافذ لها وعروق في باطن الارض واذفي وسط هذه البحار جزائر كثيرة صغاراً وكباراً وأنهاراً ، ومنها عامرة بالناس فيها مزارع وقرى ومدن وممالك ، ومنها براري وقفار فيها جبال وآجام تسكنها سباع ووحوش وأنعام وأنواع من الحيوانات لايعلم كثرتها الا الله . وفي وسط تلك الجزائر بحيرات صغار وكبار ، وأنهار وغدران وآجام . ومنها مامياهها عذبة ومنها مالحة شديدة الملوحة ومنها دون ذلك مختلفة أحوالها وأوصافها فلنذكر طرفاً من عللها ليعلم حقيقة ماقلنا وصحة ماوصفنا :

أما علة هيجان البحار وارتفاع مياهها وبروزها على سواحلها وشدة تلاطم أمواجها وهبوب الرياح في وقت هيجانها الى الجهات الخمس في أوقات مختلفة من الشتاء والصيف والربيع والخريف ، أوائل الشهور وأواخرها ، وساعات الليل والنهار ، فهي من أجل ان مياهها اذا حميت في قرارها وسخنت لطفت وتحللت وطلبت مكانا أوسع مما كانت فيه قبل فيتدافع فيه بعض أجزائها الى الجهات الخمس فوقاً وشرقاً وجنوباً وشمالا وغرباً للاتساع فيكون في الوقت الواحد على سواحلها رياح مختلفة في جهات مختلفة ، وأما علة هيجانها في وقت دون وقت

فهو بحسب شكل الفلك ومطارح شعاعاته على سطوح تلك البحار من الآفاق والاوتاد الاربعة واتصالات القمر بها عندحلوله في منازله الثمانية والعشرين ، كما هو مذكور في كتب أحكام النجوم . وأما علة مدود بعض البحار في وقت طلوعات القمر ومغيبه دون غيرها من البحار فهي من أجل ان تلك البحار في قرارها صخور صلبة ، فاذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته الى تلك الصخور والاحجار التي في قرارها ثم انعكست من هناك راجعة فسخنت تلك المياه وحميت ولطفت وطلبت مكاناً أوسع وارتفعت الى فوق ودفع بعضها بعضاً الى فوق وتموجت الى سواحله وفاضت على سطوحها وأرجعت مياه تلك الانهار التي كانت تنصب اليها الى خلف فلا يزال ذلك دأبها مادام القمر مرتفعاً الى وتد سمائه فاذا انتهى الى هناك وأخذ ينحط سكن عند ذلك غليان تلك المياه وبردت وانضمت تلك الاجزاء وغلظت ورجعت الى قرارها وجرت الانهار على عاداتها فلايزال ذلك دأبها الى أن يبلغ القمر الى أفق تلك البحار الغربي منها ، ثم يبتدىء المد على مثل عادته وهو في الافق الشرقي ولايزال ذلك دأبه حتى يبلغ القمر الى وتد الارض فينتهي المد من الرأس ثم اذا زال القمر من وتد الارض أخذ المد راجعاً الى أن يبلغ القمر الى أفقه الشرقي من الرأس و « ذلك تقدير العزيز العليم » فان قيل : لم لايكون المد والجزر عند طلوع الشمس واشراقها على سطوح هذه البحار . فقد بينا علة ذلك في رسالة العلل والمعلول فاطلبها من هناك ان شاء الله تعالى

وأما علة اختلاف تصاريف الرياح من الجهات الست في أوقات الليل والنهار والشتاء والصيف فقد ذكرناها في رسالة الآثار العلوية .

وأما الجبال التي ذكرناها بأنها كالسنيات للبحار والبريدات لها فهي راسية في الارض أصولها، شامخة في الجو رؤوسها ، شاهق في الهواء ارتفاعها ممتد على وجه الارض بأطوال مابين مائتي فرسخ الى الف . فمنها ماهو من المشرق الى

المغرب ، ومنها ماهو من الشمال الى الجنوب ، ومنها ماهو نكباوات بين هذه الجهات ، مذكورة في جغرافيا بعض أوصافها

واعلم ان الجبال التى ذكرناها منها ماهو صخور صلدة وحجارة صلبة وصفوان أملس فلاينبت عليه النبات الا شيء يسير ، مثل جبال تهامة . ومنها ما هي صخور رخوة وطين لين وتراب ورمل وحصاة مختلفة متلبدة ساف فوق ساف ، متماسك الاجزاء وهي مع ذلك كثيرة الكهوف والمغارات والاودية والاهوية والعيون والجداول والانهار والاشجار ، كثيرة النباتات والحشائش والاشجار مثل جبال فلسطين، وجبال لكام،وطبرستان،وغيرها وأما الكهوف والمغارات والاهوية التى في جوف الارض والجبال اذا لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه بقيت تلك المياه هناك محبوسة زماناً واذا حمى باطن الارض وجوف تلك الجبال سخنت تلك المياه ولطفت وتحللت وصارت بخارا وارتفعت وطلبت مكانا أوسع ، فان كانت الارض كثيرة التخلخل تحللت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ وان كان ظاهر الارض شديد التكاثف حصيفاً منعها من الخروج وبقيت محتبسة تتموج في تلك الاهوية لطلب الخروج وربما انشقت الارض في موضع منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة وانخسف مكانها ويسمع لها دوي وهدة وزلزلة .وان لم تجد لها مخرجاً بقيت هناك محتبسة وتدوم تلك الزلزلة الى أن يبرد جو تلك المغارات والاهوية ويغلظ ومتى تكاثفت تلك البخارات واجتمعت أجزاؤها وصارت ماء خرت راجعة الى قرار تلك الكهوف والمغارات والاهوية ومكثت زماناً ، وكلما طال وقوفها ازدادت صفاء وغلظاً حتى تصير زئبقا رجراجاً وتختلط بتربة تلك المعادن وتتحد بحرارة المعدن دائماً في انضاجها وطبخها ، فتكون منها ضروب من الجواهر المعدنية المختلفة الطبائع كما سنبين ، وأما علة اختلاف مياه العيون والينابيع التى في جوف الارض وكهوف الجبال من العذوبة والملوحة والحموضة والعفوصة الكبريتية منها والنفطية والدهنية وعلة حرارتها في الشتاء وبردها في الصيف ، وما كان على حالة واحدة في جميع الاوقات، فهي

بحسب اختلاف ترب بقاعها وتغييرات أهوية مكانها والعوارض التي تعرض لها ونحتاج الى أن نذكر طرفا من عللها ليكون قياساً على البقية الباقية فنقول . أما علة حرارة مياه أكثر العيون في الشتاء وبردها في الصيف فهي من أجل كون الحرارة والبرودة ضدان لا يجتمعان في مكان واحد ، فاذا جاء الشتاء وبرد الجو ، فرت الحرارة فاستجنت باطن الارض فسخنت تلك المياه التي في باطنها وعمقها ، فاذا جاء الصيف وحمى الجو فرت البرودة واستجنت في باطن الارض وبردت تلك المياه التي في باطنها وعمقها . وأما علة حرارة بعض العيون في الشتاء والصيف على حالة واحدة فهي ان في باطن الارض وكهوف الجبال مواضع ، تربتها كبريتية فتصير تلك الرطوبات التي تنصب هناك دهنية ، وتكون الحرارة فيها راسية دائمة بينها أو فوقها مياه في جداول وعروق نافذة فتسخن تلك المياه بمرورها هناك وجوازها عليها ، ثم تخرج وتجرى على وجه الارض وهي حارة حامية ، فاذا أصابها نسيم الهواء وبرد الجو بردت ، وربما جمدت ، اذا كانت غليظة وانعقدت وصارت زئبقاً، أو رصاصاً أو قيراً أو نفطاً أو ملحاً أو كبريتا ، أو بورقاً ، أو شيئا ، أو ما شاكل ذلك بحسب اختلاف ترب البقاع وتغييرات الاهوية . وأما علة ملوحة مياه عامة البحار فهي بعناية من الباري جل ثناؤه وحكمة المية لما فيه من الصلاح الكلي والنفع العام، وذلك أن البخارات المتصاعدة منها في الجو اذا اختلطت اجزاؤها مع الهواء وتموجت الى الجهات دبغتها وملحتها ومنعتها من العفن والتغيير والفساد ، فلولا ذلك لهلكت الحيوان المستنشقة للهواء دفعة واحدة وهكذا أيضا تمتنع ملوحة مياه البحار من أن تأسن أو تتغير فيكون ذلك هلاك حيوان البحر جملة واحدة. ولهذه العلة أيضا شدة أمواج البحار في أكثر الاوقات يختلط اعلاها باسفلها وأسفلها باعلاها لئلا تغلظ بطول الوقوف غلظا شديداً أو تجمد فتكون ارضا كلها. ولهذه العلة أيضا اشراق الشمس والكواكب عليها وتسخينها لها ومنعها من أن تغلظ وتجمد ، وكذلك تفعل بالهواء والجو أيضاً ، وذلك انه لولا مطارح شعاعات الكواكب بالليل لجمد الهواء في المواضع التي

لايطلع عليها الشمس والقمر زماناً كالتي تحت قطب الشمال والجنوب جميعاً ـ وأما عفوصة مياه بعض العيون فلأنها تجرى اليها من مواضع تربها زاجيـة وهكذا حكم ما كان طعمه كبريتياً أو نفطياً

واعلم ان في بعض المواضع يرى من بعيد على رؤوس الجبال وبطون الاودية نيران وضياء بالليل والنهار ودخان معتكر ساطع في الهواء ومرتفع في الجو ، وعلته ان فى جوف الجبال كهوفاً ومغارات وأهوية حارة ملتهبة تجري اليها مياه كبريتية أو نفطية دهنية فتكون مادة لها دائمة وهي مثل التي بجزيرة صقلية وبجبل مزمهر من خوزستان ، وفى بعض المواضع جبال تهب عليها رياح لينـة دائماً ، وجبال تهب عليها رياح باردة في أوقات مختلفة ، وهي الجبال التي تكون عليها الثلوج عند ذوبانها وذلك انه يتحلل من تلك الرطوبات أجزاء لطيفـة تصير بخاراً وترتفع في الهواء فيدفعها الى الجهات الخمس أو الى جهة دون جهة مثل مايهب من جبل الثلج الذي بدمشق والذي ببلاد داور من جبال غور وجبل دوماند وماشا كلها من الجبال

فأما الجبال التي تهب منها رياح لينة فى دائم الاوقات ، فمثل التي ببـلاد باميان ، وذلك ان هذا الجبل تخرج من اسفله عيون كثيرة وحوله مروج كثيرة وتجري الى تلك المروج أنهار وجداول من غير أن ترى عليه ثلوج وأمطار بل تهب منها أبداً أرياح لينة فهذا دليل على ان فى جوف هذا الجبل مغارات وكهوف وأهوية باردة مفرطة البرد ، تجمد الهواء فيصير ماء، ثم ينصب الى أسفله وينزل من مسام ضيقة تجري منها تلك العيون والجداول الى تلك المروج والبراري والقرى وبها ينتفع الناس وسائر الحيوان من الوحوش والسباع والانعام والطير الذي هناك إذ كان هذا الجبل بعيداً من البحار ولعل الغيوم قل ماتصل الى هناك لطول المسـافة واذا تأملت الذي ذكرناه تبينت عناية الباري جل جلاله بتقدير خلقه وحسن سياسته لهم وشفقته عليهم وكثرة ١٠ أزاح من العال في مرافقهم وجر المنافع اليهم من كل الوجوه الممكنة من الهيولى المتأتي فيها أفعاله

فصل

واعلم ان الاودية والانهار أكثرها تبتدىء من الجبال والتلال وتمر في جريانها نحو البحار والآجام والغدران والبطائح والبحيرات فنها ماهو أنهار طوال جريانها من المشرق الى المغرب كنهر مأوند من سجستان فانه يبتدىء من جبال باميان وجبال غور ويمر نحو المغرب الى تربة كرمان ثم الى بحر هرمز . ومنها مايمر فى جريانه نحو المشرق كالارس والكرس وهما نهران ببلاداذربيجان ابتداؤهما من جبال الروم ويمران متوجهين نحوالمشرق الى بحر طبرستان فينصبان فيه . ومنها ماجريانه من الجنوب الى الشمال نحو نيل مصر فانه يبتدىء من جبال القمر من وراء خط الاستواء ويمر فى جريانه متوجهاً نحو الشمال الى أن ينصب فى بحر الروم . ومنها مايكون جريانه من الشمال الى الجنوب مثل دجلة فانها تبتدىء من جبال نصيبين وتمر فى جريانها الى الجنوب ثم تنصب الى بحر فارس بعبادان . ومنها مايكون جريانه متوجهاً فى احدى نكباوات مثل جيحون خراسان والفرات وذلك ان جيحون يبتدىء من جبال صنمانيان ويمر متنكباً للغرب والشمال وينصب الى بحر جرجان بشمال بلاد خوارزم ، والفرات يبتدىء من جبال الروم ويمر متنكباً للمشرق والجنوب وينصب الى بحر فارس من عبادان . وعلى هذا المثال سائر الأنهار فى الجريان

وأما علة مدود أكثر الانهار التى جريانها من الشمال الى الجنوب فى أيام الربيع فهي من أجل ان الثلوج اذا كثرت فى الشتاء على رؤوس الجبال الشمالية ثم حمي الجو بقرب الشمس من سمتها ، ذابت تلك الثلوج وسالت منها الاودية والانهار .

وأما علة مد نيل مصر في أيام الصيف فهو من أجل ان هذا النهر يجري من الجنوب الى الشمال ومبدأ جريانه من وراء خط الاستواء حيث يكون الشتاء عندنا يكون صيفاً هناك وفي الصيف عندنا يكون الشتاء هناك فتكون فى ذلك

الوقت كثرة الامطار هناك . ولهذه الأنهار عطفات وعراقيل يطول شرحها وشرح علتها وهي تسقي في جريانها السوادات والمزارع والمدن والقرى ومايفضل من مياهها ينصب الى البحار والآجام والبطائح والبحيرات ويمتزج بمياهها عذبة كانت أو مالحة . فاذا أشرقت عليها الشمس والكواكب سخنتها وحميت ولطفت وتحللت وصارت بخارا فارتفعت في الهواء وتموجت الى الجهات ويكون منها الرياح والغيوم والضباب والطل والندى والصقيع والانداء والثلوج والبرد على رؤوس الجبال والبراري والعمران والخراب

وأما الامطار التي تكون على رؤس الجبال فانها تغيض في شقوق تلك الجبال وخللها وتنصب الى مغارات وكهوف وأهوية هناك وتمتلىء وتكون كالمخزونة ويكون في أسفل تلك الجبال منافذ ضيقة تمر منها تلك المياه وتجرى وتجتمع وتصير أودية وأنهاراً وتذوب تلك الثلوج على رؤس تلك الجبال وتجري الى تلك الاودية وتمر في جريانها راجعة نحو البحار ثم تكون منها البخارات والرياح والغيوم والامطار كما كان في العام الاول و « ذلك تقدير العزيز العليم »

﴿ فصل ﴾

واذ قد فرغنا من ذكر صورة الأرض ووصف البحار والبراري والجبال واختلاف ترب البلاد ومياهها فنريد أن نذكر هاهنا طرفاً من أسرار المعادن فنقول أنه ليس من جبل من الجبال ولا بحر ولا تربة ولا جزيرة ولا نهر ولا بقعة ولا بلد من بقاع الأرض ولا صغيرة ولا كبيرة لاظاهرها ولا باطنها الا ولها خاصية ليست لأخرى أو عدة خواص، فمن خاصية بلد بلد أو بقعة بقعة أنه تتكون هناك ضروب من الجواهر المعدنية أو عدة ضروب أو ينبت نوع من النبات أو يتولد جنس من الحيوان لايتكون في بلد آخر ولا ينبت في بقعة أخرى ولا يتولد الا هناك، مثال ذلك أنه لاتتولد الفيلة الا في جزائر البحار الجنوبية

تحت مدار برج الحمل وكذلك الزرافة لاتولد الا فى بلدان الحبشة والسمور والسنجاب وغزال المسك لايتولد الا في البراري الشرقية الشمالية ، وأما الصقور والبزاة والنسور وما شاكلها من أنواع الطيور فانها لاتفرخ الا في رؤوس الجبال الشاهقة ، والقطا والنعام لايفرخ الا في البراري والفلوات ، والبطوط والطيطوى وأمثالها لاتفرخ الا على الشطوط وسواحل البحار والبطايح والآجام ، والعصافير والفواخت والقمارى وأمثالها من الطيور لاتفرخ الا بين الاشجار والدغال والقرى والبساتين ، وعلى هذا المثال حكم النبات فان النخل والموز لاينبتان الا في البلاد الحارة والاراضى اللينة ، والجوز واللوز والفستق والبندق وأمثالها لاتنبت الا فى البلاد الباردة والحابة والدلب وأم غيلان في البرارى والقفار ، والقصب والصفصاف على شطوط الأنهار ، وعلى هـذا حكم سائر النبات ، وهكذا أيضاً حكم الجواهر المعدنية لكل نوع منها بقعة مخصوصة وتربة معروفة لاتتكون الا هناك كالذهب فانه لاتتكون الا فى البرارى الرملية والجبال والاحجار الرخوة ، والفضة والنحاس والحديد وأمثالها لا يتكون الا في جوف الجبال والاحجار المختلطة بالتربة اللينة والكبريت لايتكون الا فى الاراضى الندية والترب اللينة والرطوبات الدهنية والقلقطار والاكلاح لاينعقد الا فى الارض السبخة والبقاع المشروجة ، والجص والاسفيذاج لايتكونان الا في الارض الرملية المختلطة ترابها بالحصى ، والزاجات والشبوب لاتتكون الا فى الترب العفصة القشفة . وعلى هذا القياس حكم سائر أنواع الجواهر المعدنية

﴿ فصل ﴾

واعلم أن الجواهر المعدنية كثيرة الانواع لايحصى عددها الا الله تعالى ولكن منها مايعرفه الناس ومنها مالايعرفونه ، وقد ذكر بعض الحكماء ممن كانت له عناية بالنظر في هذا العلم والبحث عن هـذه الاشياء وانه قـد عرف وعد منها نحو تسعمائة نوع كلها مختلفة الطباع والشكل واللون والطعم والرائحة والثقل والخفة

والمضرة والنفع ونريد أن نذكر منها طرفاً ليكون دلالة على الباقية وقياساً عليها فنقول أن من الجواهر المعدنية ماهو حجري صلب لكن يذوب بالنار ويجمد اذا برد مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد والاسرب والرصاص والزجاج وما شا كلها ومنها ماهي صلبة حجرية لاتذوب الا بالنار الشديدة ولا تنكسر الا بالماس كالياقوت والعقيق ، ومنها ترابي رخو لا يذوب ولكن ينفرك كالاملاح والزاجات والطلق . ومنها مائية رطبة تفر من النار كالزئبق ، ومنها هوائي دهني تأ كله النار كالكباريت والزرانيخ ، ومنها نباتي كالمرجان الابيض والاحمر ، ومنها حيواني كالدر ، ومنها طل منعقد كالعنبر والبازهرات ، وذلك أن العنبر انما هو طل يقع على سطح ماء البحر فينعقد في مواضع مخصوصة في زمان معلوم ، وكذلك البازهرات أيضاً فانه طل يقع على بعض الاحجار ثم يرسخ فى خللها وينعقد هناك فى بقاع مخصوصة في زمان معلوم كما أن الزنجبيل انما هو طل يقع على نوع من الشوك بخراسان وهكذا اللك انما هو طل يقع على نبت مخصوص في زمان معلوم وينعقد عليه وكذلك الدر فانه طل يرسخ فى أصداف نوع من الحيوان البحرى ثم يغلظ ويجمد وينعقد فيه وكذلك المومياً طل يرشح في خلل صخور ثم يغلظ هناك ثم يصير ماء ثم يبرز من مسام ضيقة ويجمد وينعقد، والطل هو رطوبة هوائية تجمد من برد الليل وتقع على النبات والحجر والشجر والصخور ، وعلى هذا القياس حكم جميع الجواهر المعدنية فان مادتهـا انما هي رطوبات ومياه وأندية وبخارات تنعقد بطول الوقوف ومر الزمان في البقاع المخصوصة لها ، فقد تبين بما ذكرنا أن الجواهر المعدنية مركبة كلها مع اختلاف أنواعها وطبائعها وألوانها وطعومها وروائحها وثقلها وخفتها وصلابتها ورخاوتها ولينها وخشونتها وخواصها ومنافعها ومضارها مركبة كلها ومؤلفة من اجزاء ترابية صلبة ثقيلة مظلمة مشفة . ومن اجزاء مائية رطبة سيالة صافية بين الثقل والخفة ، ومن أجزاء هوائية خفيفة لينة دهنية صافية نيرة ، ومن حرارة قوية أو ضعيفة منضجة أو مقصرة . ومن تأليف على نسبة فاضلة أو دون ذلك

من النسب التأليفية وهي اثنتى عشرة مرتبة مضروبة في اربع طبائع وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة جملتها ثماني واربعين مرتبة . هـذا هو الطول مضروبا في نفسه يكون الفين وثلثمائة واربعة هذا هو العرض مضروبا في جذره ١١١٠٧٣ هذا هو المكعب أحاد ونحتاج ان نشرح هذا الباب لانه أصل فى معرفة كيفية تكوين المعادن

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أن تلك الرطوبات المختنقة في باطن الارض والبخارات المحتبسة هناك اذا احتوت عليها حرارة المعدن تحلت ولطفت وخفت وتصاعدت علوا الى سقوف تلك الاهوية والمغارات ومكثت هناك زمانا .

واذا برد باطن الارض في الصيف جمدت وغلظت وتقاطرت راجعة الى اسفل تلك الاهوية والمغارات واختلطت بتربة تلك البقاع وطينها ومكثت هناك زمانا وحرارة المعدن دائماً في نضجها وطبخها وهي تصفو بطول وقوفها وتزداد ثقلا وغلظاً ، وتصير تلك الرطوبات بما يخالطها من الاجزاء الترابية وما يأخـذ من ثقلها وغلظها وانضاج الحرارة وطبخها اياه زئبقاً رجراجا ، وتصير تلك الاجزاء الهوائية الدهنية وما يتعلق بها من الاجزاء الترابية بطبخ الحرارة لها بطول الزمان كبريتا محترقا .

فاذا اختلطت اجزاء الكبريت والزئبق مرة ثانية تمازجت واختلطت واتحدت والحرارة دائمة في نضجها وطبخها فتنعقد عند ذلك ضروب الجواهر المعدنية المختلفة وذلك انه اذا كان الزئبق صافياً والكبريت نقياً واختلطت اجزاؤهما وكانت مقاديرهما على النسبة الافضل واتحدت وامتصت الكبريتية رطوبة الزئبق ونشفت نداوته وكانت حرارة المعدن على الاعتدال فى طبخها ونضجها ولم يعرض لها عارض من البرد واليبس قبل انضاجها انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز ، وان عرض لها البرد قبل النضج انعقدت وصارت فضة بيضاء وان عرض

لها اليبس من فرط الحرارة وزيادة الاجزاء الارضية انعقدت فصارت نحاساً أحمر يابسا . وان عرض لها البرد قبل ان تتحد أجزاء الكبريت والزئبق قبل النضج انعقد منها رصاص قلعي وان عرض لها البرد قبل النضج وكانت الاجزاء الترابية أكثر صارت حديداً أسود وان كان الزئبق أكثر والكبريت أقل والحرارة ضعيفة انعقد منها الاسرب ، وان افرطت الحرارة فاحرقته صار كحلا وعلى هذا القياس تختلف الجواهر المعدنية باسباب عارضة خارجة عن الاعتدال وعن النسبة الافضل من زيادة الكبريت والزئبق ونقصانهما وافراط الحرارة أو نقصانها أو برد المعدن قبل نضجها أو خروجها عن الاعتدال ، فعلى هذا القياس حكم الجواهر المعدنية الترابية .

وأما الجواهر الحجرية مثل البلور والياقوت والزبرجد والعقيق وماشا كلها من التي لاتذوب بالنار فانها تنعقد من مياه الامطار والانداء التي ترشح في تلك المغارات والكهوف والاودية التي من الجبال الصلدة والاحجار الصلبة ولا يخالطها شيء من الاجزاء الترابية والطين بل بطول الزمان كلما طال وقوفها هناك ازدادت المياه بقاء وثقلا وغلظا وحرارة المعدن دائما في نضجها وطبخها حتى تنعقد وتصير حجارة صلبة صافية وتكون ألوانها وصفاؤها وزانتها بحسب أنوار تلك الكواكب المتولية لذلك الجنس من الجواهر ومطارح شعاعاتها على تلك البقاع المختصة كما سنبين في رسالة النبات . وذلك ان لون الياقوت الاصفر والذهب الابريز ولون الزعفران وما شاكلها من النبات منسوبة الى نور الشمس وبريق شعاعاتها ، وكذلك بياض الفضة والملح والبلور والقطن والثلوج وماشاكلها من الوان النبات منسوب الى نور القمر وبريق شعاعه وعلى هذا القياس سائر الالوان كل نوع منسوبة الى كوكب من الكواكب السيارة والثابتة مذكور ذلك في كتب احكام النجوم كما قيل ان السواد لزحل والحمرة للمريخ والخضرة للمشترى والزرقة للزهرة والصفرة للشمس والبياض للقمر والمتلون الالوان لعطارد.

وأما حكم الجواهر الترابية فى كيفية تكوينها فهي ان تلك المياه اذا اختلطت بتربة البقاع وعملت فيها حرارة المعدن تحل أكثر تلك الرطوبات وتصير بخاراً يرتفع في الهواء كما ذكرنا قبل وما بقى منه يكون محبوسا ملازماً للاجزاء الارضية متحداً بها عملت فيها الحرارة ونضجتها وطبختها حتى تغلظ وتنعقد فان تكن تربة تلك البقاع مشورجة سبخة تكونت منها ضروب الاملاح والبوارق والشبوب، وان تكن تربة البقاع عفصة انعقدت منها ضروب الزاجات الخضر والصفر والقلقطار وهو جنس من الزاج وما شاكلها . وان تكن تربة البقاع حصاة وترابا ورمالا مختلطة انعقد منها الجص والاسفيذاج وما شاكلها وان تكن تربة البقاع تربة لينة وطيناً حراً انعقدت منها الكماة ونبتت منها ضروب العشب والحشائش والكلاء والاشجار والزروع

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي ان النار هي كالقاضى بين الجواهر المعدنية المتحكم فيها كلها والمفرق بينها وبين ما كان من غير جنسها فأشرفها هي التى لا تقدر النار على أن تفرق بين أجزائها مثل الذهب والياقوت ، وذلك لشدة اتحاد أجزائها بعضها ببعض فانه ليس بين خلل أجزائها رطوبة ، وأما احتراق بعض الجواهر المعدنية وأكل النار لها وسرعة اشتعالها فيها كالكبريت والزرنيخ والقير والنفط وما شاكلها من المعدنيات فهي من الاجزاء الهوائية الدهنية المتعلقة بالاجزاء الترابية غير متحدة بها ، والاجزاء المائية قليلة معها وهي غير نضجة أيضاً ولا متحدة بها فاذا أصابتها حرارة النار ذابت بسرعة وتحللت وصارت دخاناً وبخاراً وفارقت الاجزاء الترابية وارتفعت فى الهواء واختلطت به وتفرقت بين أجزاء الهواء. وأما اذا قيل ما العلة فى أن الذهب يذوب ولا يحترق ؟ والياقوت لا يذوب ولا يحترق فنقول ان علة ذوبان الذهب هي من الرطوبة الدهنية المتحدة بالاجزاء الترابية فاذا أصابتها حرارة النار ذابت ولانت الاجزاء الارضية التى معها وأما لم يحترق فمن

أجل الاجزاء المائية المتحدة بالاجزاء الترابية والهوائية فانها تقابل النار وتدفع عن جسدها الترابي وهج النار ببردها ورطوبتها فاذا خرجت من النار جمدت تلك الاجزاء الهوائية الدهنية وغلظت الاجزاء المائيـة وانعقدت وصارت الاجزاء الارضية كما كانت وعلى هذا القياس سائر الاجسام الترابية . وأما الياقوت فلانه أجزاء مائية غلظت وصفت بطول الوقوف بين الصخور وانضجت بدوام طبخ حرارة المعدن لها واتحدت أجزاؤها ويبست فصارت لا تذوب بالنار لانه ليس فيها رطوبة دهنية . وأما علة صفائه فمن أجل انه ليس فيه أجزاء ترابية مظلمة بل كلها أجزاء مائية قد غلظت وصفت ونضجت وجمدت ويبست فلا تقـدر النار على تفريق أجزائها لشدة اتحادها ويبسها.وأما سرعة ذوبان بعض الاجسام واحتراقها مثل الرصاص والاسرب فهو من أجل أن الاجزاء المائية والهوائيـة غير متحدة بالاجزاء الترابية وأما سوادها فمن أجل أنها غير نضجة وثقلها من أجل كثرة الاجزاء الارضية فيها والله أعلم

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي ان لهذه الجواهر خواص كثيرة وطباعها مختلفة: فمنها متضادة متنافرة ، ومنها متشاكلة متألفة ، ولها تأثيرات بعضها في بعض أما جذبا أو امساكا أو دفعاً أو نفوراً ولها أيضاً شـعور خفي وحس لطيف كما للنبات والحيوان ، اما شوقاً ومحبة واما بغضا وعداوة لا يعلم كنه عللها الا الله تعالى ، والدليل على صحة ما قلنا وحقيـقة ما وصفنا قول الحكماء في كتاب الاحجار ونعتهم لها أن طبيعة تألف طبيعة وطبيعة تناسب طبيعة أخرى ، وطبيعة تلصق بطبيعة ، وطبيعة تأنس بطبيعة وطبيعة تقهر طبيعة ، وطبيعة تقوى على طبيعة وطبيعة تضعف عن طبيعة وطبيعة تلهب طبيعة وطبيعة تحب طبيعة وطبيعة تطيب مع طبيعة وطبيعة تفسد مع طبيعة وطبيعة تبيض طبيعة وطبيعة تحمر طبيعة وطبيعة تهرب من طبيعة وطبيعة تبغض طبيعة وطبيعة تمازج طبيعة

فأما الطبيعة التي تألف طبيعة أخرى فمثل الالماس والذهب فانه اذا قرب من الذهب التصق به وأمسكه ويقال ان الالماس لا يوجد الا في معدن الذهب وفي واد من ناحية المشرق ومثل طبيعة حجر المغناطيس في جذب الحديد فان هذين الحجرين يا بسين صلبين بين طبيعتهما الفة واشتياق فانه اذا قرب الحديد من هذا الحجر حتى يشم را ئحته ذهب اليه والتصق به وجذبه الحجر الى نفسه ومسكه كما يفعل العاشق بالمعشوق، وهكذا يفعل الحجر الجاذب للحم والحجر الجاذب للشعر والحجر الجاذب للظفر والحجر الجاذب للتبن . وعلى هذا القياس مامن حجر من الاحجار المعدنية الا وبين طبيعته وبين طبيعة شيء آخر الفة واشتياق عرف الناس ذلك أم لم يعرفوه

واعلم أن مثل مقابلة افعال هذه الاحجار بعضها في بعض يكون مثل تأثيرات الدواء في العضو العليل وذلك ان من خاصية كل عضو عليل اشتياقا الى طبيعة الدواء المضاد لطبيعة العلة التي به فاذا حصل الدواء بالقرب من العضو العليل أحس به وجذبته القوة الجاذبة الى ذلك العضو وأمسكته الماسكة واستعان بالقوة المدبرة بطبيعة الدواء على دفع طبيعة العلة المؤلمة وقويت عليها وغلبتها ودفعتها عن العضو العليل كما يستعين ويدفع المحارب والمخاصم بقوة من يعينه على خصمه وعدوه في دفعه عن نفسه ، وهذه من اتقان حكمة الله جل جلاله ، وعجيب صنعه ولطيف تدبيره بخلقه من الحيوان وحسن سياسته له إذ جعل لكل داء وعارض دواء شافياً ثم الهمه اياه كما ذكر الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لما قال له فرعون ولأخيه هرون من ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى يعني خلقه وصوره وعرفه منافعه ومضاره وقواه وأعانه وحفظه ورعاه ودبره وساسه كما شاء وكيف شاء فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأما الطبيعية التي تقهر طبيعة أخرى فمثل طبيعة السنباذج التي تأكل الاحجار عند الحك أكلا وتلينها وتجعلها ملساً ، ومثل طبيعة الاسرب الوسخ الذي يفتت الماس القاهر لسائر الاحجار الصلبة وذلك ان الماس لا يقهره

شيء من الاحجار وهو قاهر لها كلها ، لو انه ترك على السندان وطرق بالمطرقة لدخل في احدهما ولم ينكسر ، وان جعل بين صفحتين من اسرب وضغط عليها تفتت.

ومثل طبيعة الزئبق، التيار الرطب القليل الصبر على حرارة النار اذا طليت به الاحجار المعدنية الصلبة مثل الذهب والنحاس والفضة أوهنها وأرخاها حتى يمكن أن يكسر بأسهل سعي ويفتت قطعاً قطعاً ومثل الكبريت المنتن الرائحة المسود للاحجار النيرة البراقة المذهب لالونها وأصباغها يمكن النار منها حتى تحترق في أسرع مدة ، والعلة في ذلك ان في الكبريت رطوبة دهنية لزجة جامدة فاذا أصابته حرارة النار ذاب والتصق باجساد الاحجار ومازجها ، فاذا تمكنت النار فيه احترق وأحرق معه تلك الاجساد ياقوتاً كانت أم ذهباً أم غيرهما

وأما الطبيعة التي تزين طبيعة أخرى وتنورها فمثل النوشادر الذي يغوص في قعر الاحجار ويغسلها من الوسخ .

وأما الطبيعة التي تعين طبيعة أخرى فمثل البوارق الذي يعين النار على سرعة سبك هذه الاحجار المعدنية ، الترابية ، ومثل الزاجات والشبوب التي تجلوها وتنورها وتصبغها ومثل المنيسا والقلى المعيناك على سبك الرمل وتصفيته حتى يكون زجاجا شفافا وعلى هذا القياس والمثال حكم سائر الاحجار المعدنية في تأثيرات بعضها في بعض فاما تأثيراتها في أجسام الحيوان فقد ذكر ذلك في كتب الادوية والطب والعقاقير

﴿ فصل ﴾

واعلم أن لهذه الجواهر المعدنية خواص غريبة وخلقها وتكوينها عجيبة جداً فاذا فكر العاقل في لطيف صنع الباري جل جلاله واتقان حكمته فيها يبقى متعجباً باهتاً ويزداد بربه معرفة ويقيناً وخاصة اذا فكر في خلقة الدرة وتكوينها وذلك ان هذه الجوهرة انما هي ماء ورطوبة هوائية عذبة ودهنية جامدة منعقدة بين صدفين كأنهما خزفتان منطبقتان ظاهرهما خشن وسخ وباطنهما أملس نقي

أبيض، في جوفها حيوان كأنه قطعة لحم خلقته خلقة الرحم مسكنه في قعر البحر المالح وهو قد ضم ذينك الصدفين على نفسه من جانبيه كما يضم الطائر جناحيه عند السكون عن الطيران مخافة أن يدخل فيه ماء البحر المالح حتى اذا أحس بسكون البحر عن الاضطراب في أمواجه ارتقى من قعره الى أعلى سطحه بالليل في وقت من الزمان معلوم مخصوص عنده وفتح تلك الصدفتين كما تفتح فراخ الطير أفواهها عند زق الطائر لها، وكما يفتح فم الرحم عند الجماع فيرشح في جوفه من ندى الهواء ورطوبة الجو وتجتمع فيه قطرات من الماء العذب من ذلك والصقيع الذي يقع بالليل على النبت والحشيش فاذا اكتفى ضم تينك الصدفتين على نفسه ضما شديداً مخافة أن يرشح فيه ماء البحر المالح فتفسد تلك الرطوبة العذبة بما يخالطها من ملوحته وينزل برفق الى قرار البحر فيسكن هناك زماناً فاذا طال الزمان على تلك الرطوبة العذبة غلظت وثقلت وصارت في قوام الزئبق وتدحرجت في جوفه بحركته فيصير حبات مستديرات كما يصير الزئبق اذا تبدد وتدحرج ثم على ممر الزمان تجمد وتنعقد وتصير دراً صغاراً وكباراً ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي اذا تأملت المحسوسات وتصفحت الموجودات وبحثت عن الكائنات التي دون فلك القمر وجدت أصغرها جسداً وأضعفها خلقة أشرفها جوهراً وأجلها قدراً وأعمها نفعا

وانظر الى هذه الثلاثة التي هي الدرة والديباج والعسل وتأملها تجدها عند الناس أجل الأشياء قدراً وأنعمها لبسا وأطيبها ذوقا أعني هذه الثلاثة فاذا تأملت ما ذكر من خلقة هذا الحيوان تبينت أنه أحقر حيوانات البحر وأضعفها وكما ترى النحل أضعف الطيور بنية وأصغرها جثة وهكذا دود القز تراه أصغر الحيوان جثة

فصل

واعلم ان الله جل ثناؤه خلق هذه الاشياء المعدنية منافع للحيوان وخاصة للناس وجعلهم محتاجين اليها متصرفين فيها متنعمين بها الى حين لكيما يتفكر العقلاء في كونها وخلقها وصنعها فتكون قياسالهم فيعلمون ان العالم أيضاً محدث مصنوع كائن بعد ان لم يكن وان كان كبير الجثة عظيم الخلقة طويل العمر كبير البقاء لا يدري العلماء الحكماء على التحقيق انه متى كان ولا متى يفسد ويعلمون أنه له خالقا خلقه وأوجده وصوره وركب أفلاكه وأدارها وأجرى كواكبه وسيرها ومد شعاعها نحو المركز ومزج الاركان وزوج الطبائع وأولد منها الكائنات الفاسدات التى هي الحيوان والنبات والمعادن وسخرها للانسان وملكه عليها يتصرف فيها كيف يشاء ويحكم عليها بما يريد بالانتفاع منها أو دفع المضار بها وانما احتاج العلماء والعقلاء الى الاستدلال بالشاهد على الغائب وقياس الجزء على الكل على أن العالم محدث عند حيرة عقولهم فاذا فكروا في حدثه وكونه بعد ان لم يكن وبحثوا عن تلك العلة الداعية للصانع الى الفعل ان لم يكن فعل وهي العلة التى تسمى العلة التمامية التى من أجلها يفعل الفاعل فعله

ولما فكر كثير من العقلاء في هذه العلة وبحثوا عنها لم يعرفوها . وهكذا أيضاً لما فكروا في أمر الفاعل متى فعل ، وفي أي زمان عمل ، وفي أى مكان لم يعرفوها ولم يتصوروا ذلك ، وأيضاً لما فكروا وطلبوا أنه من أى شيء عمله وكيف صوره وأين كانت رجل البركار لما شكل اكر الافلاك ودور الكواكب وما شاكل هذه المباحث والتفكر في أشياء ليس في طاقة الانسان معرفتها ولا فى قوة نفسه تصورها فعند ذلك دعاهم جهلهم وحيرتهم وشكوكهم الى القول بقدم العالم وأزليته بغير علم ولا بيان الا أوهام كاذبة وتخييلات باطلة وتمويهات مموهة وقد علم الله تعالى قبل أن خلقهم أنه تعرض لهم هذه الشكوك والحيرة

فأزاح علهم بأن اراهم أشياء لا يشكون فيها ولا في كونها ولا في حقيقتها لتكون مثالا لهم وقياساً على ما لا يشهدونه ويتصورونه فى حدوث العالم وصفته وهي هذه الكائنات الفاسدات من النبات والمعادن والحيوان وجعل أيضاً مركوزاً في جبلة العقول أن الصنعة المتقنة لا تكون الا من صانع قدير وجعل أيضاً أثر الصنعة باقياً في المصنوع يشاهدونها ليلهم ونهارهم من دوران هذه الافلاك حول المركز وسير الكواكب فيها وتعاقب الليل والنهار والشتاء والصيف على الاركان الاربعة والتغييرات والاستحالة وتكوين الكائنات الفاسدات، كل هذه دلالة للعقول وشواهد للنفوس على حدوث العالم وتكوينه بعد ان لم يكن اذ لم يوجد في جميع هذه الكائنات الجزئية شيء خال من علة فاعلية وعلة هيولانية وعلة صورية وعلة تمامية ونحن قد بينا فى رسالة المبادىء العقلية ما هذه العلل في حدوث العالم وكونه فاعرفها من هناك

واذ قد ذكرنا طرفاً من كيفية تكوين المعادن فنذكر الآن طرفاً من أنواع جوهرها وخواص أنواعها وما ذكره الحكماء فنبدأ بذكر أشرفها الذى هو الذهب والياقوت ثم سائر ما يتلوهما نوعاً فنوعاً، فأما الذهب فهو جوهر معتدل الطبائع صحيح المزاج نفسه متحدة بروحه وروحه متحدة بجسده ونعني بالنفس الاجزاء الهوائية وبالروح الاجزاء المائية وبالجسد الاجزاء الترابية . ولكن لشدة اتحاد أجزائه وممازجتها لا يحترق بالنار لان النار لا تقدر على تفريق أجزائه وهو لا يبلى في التراب ولا يصدى على طول الزمان ولا تغييره الآفات العارضة وهو جسم لين المغمز أصفر اللون حلو الطعم طيب الرائحة ثقيل رزين صفرة لونه نارية وصفاؤه وبريقه من هوائيته ولينه من دهنيته ورطوبته وثقله ورزانته من ترابيته . لان كبريته كان نقيا وزيبقه كان صافيا ومزاجه كان معتدلا وحرارة المعدن طبخته على طول الزمان برفق واعتدال ، فاذا أصابته حرارة النار ذابت رطوبته ودارت حول جسده ورطوبته تقابل حرارة النار وتدفع عن جسده احراقها واذا خرجت من النار جمدت تلك الرطوبة واذا طرق امتد تحت المطارق حاراً

أو بارداً واتسع في الجهات ورق وامتد ويفتل منه كالخيوط ويقبل جميع الاشكال من الاواني والحلي وهو يخالط الفضة والنحاس في السبك وينفصل عنهما اذا طرح عليه المرقيشا الذهبي لانه جنس من الكبريت يحرق غيره ولا يحترق واذا سحق منه وادخل في أدوية العين نفع واذا كوى به موضع لم ينفط وكان أسرع الى البريء وينفع من المرة السوداء وداء الحية وداء الثعلب وأمراض القلب وهي قسمة الشمس من بين الكواكب فمن أجل هذه الخصال والفضائل تجمعه الملوك وتدخره في الخزائن ومن أجل ذلك يقل وجوده في أيدي الناس ويعز وتكثر أثمانه لا لقلة وجوده ولكن كل من ظفر بشيء كثير منه دفنه في الارض أو صانه وخباه فلا يرى منه ظاهر الا القليل

وأما اليواقيت فأحجار صلبة حارة يابسة شديدة اليبس رزينة صافية شفافة مختلفة الالوان بين أحمر واصفر وأخضر وأزرق وأصلها كلها ماء عذب وقف في معادنها بين الاحجار الصلدة والصخور والصفوان زماناً طويلا فلظ وصفا وثقل وانضجته حرارة المعدن لطول وقوفه فاتحدت أجزاؤه وصارت صلبة لا تذوب في النار البتة لقلة دهنيته ولا تفرغ لغلظ رطوبته بل يزداد حسن لونه ، وخاصة الاحمر منه لا تعمل فيه المبارد لشدة صلابته ويبسه الا الماس والسباذج بالحك في الماء ومعدنه في البلاد الجنوبية تحت خط الاستواء وهو قليل الوجود عزيز كثير الثمن لقلة وجوده

ومن منافعه أن من تختم بشيء منه وكان في بلدة قد أصاب أهلها الوباء والطاعون سلم منها باذن الله تعالى ونبل في أعين الناس وسهل عليه قضاء حوائجه وأمور معائشه .

وأما الزمرد والزبرجد فهما حجران يابسان باردان جنسهما واحد موجودان في معادن الذهب وخيرهما وأجودهما أشدهما خضرة وصفاء وشفافا ومن أكثر النظر الى الزبرجد ذهب عن بصره الكلال ومن تقلد منه او تختم به سلم من الصرع، والدهنج عدو الزبرجد ويشبهه في النظر واذا وضع معه في موضع

واحد كسره وكدر لونه وذهب بنضارته

وأما الدر فقد تقدم ذكره وهيئة تكوينه . وأما خاصيته فانه ينفع في خفقان القلب من الخوف والجزع الذي يكون من مرة السوداء لأنه يطري دم القلب ويدخل في أدوية العين ويشد أعصاب العين وان حك وطلي به بياض البرص اذهبه وان سقى ذلك الماء من كان به صرع أسكنه

وأما الفضة فانها أقرب الجواهر الذائبة الى الذهب وهي باردة لينة معتدلة حتى تكاد تكون ذهباً لولا انه غلب عليها البرد في معدنها قبل النضج وهي في قسمة القمر فاذا طرح عليها المس أو الرصاص عند السبك امتزجت بهما واذا خلصت منها تخلصت ويسودها الكبريت ويكسرها الزئبق ويحسن لونها البورق ويعين على سبكها ويدفع عنها احراق النار واذا سحقت وادخلت في الادوية المشروبة نفعت من الرطوبات اللزجة وهي تحترق بالنار اذا الحت عليها وتبلى في التراب بطول الزمان

وأما النحاس فهو جرم حار يابس مفرط فيه وهو قريب من الفضة ليس بينهما تباين الا في الحمرة واليبس وذلك أن الفضة بيضاء لينة والنحاس أحمر يابس كثير الوسخ لحمرته من شدة حرارة كبريته ويبسه ووسخه لغلظه فمن قدر على تبييضه وتليينه أو تصغير الفضة وتليينها فقد ظفر بحاجته والنحاس اذا أدنى من الحموضات أخرج زنجارا والزنجار سم وان طلي النحاس بالزئبق أرخاه وكسره وان سبك النحاس وطرح عليه زجاج شامي وطرح بحرارته في الماء خرج لونه مثل لون الذهب واذا أدني من النار اسود لأن النار هي كالقاضي بين الجواهر المعدنية يفصل بينها بالحق ، ومن أدمن الاكل والشرب في أواني النحاس أفسد مزاجه وعرضت له أعراض كثيرة شديدة فاذا أدنيت أواني النحاس من السمك شم لها رائحة منتنة وان كبت آنية النحاس على سمك مشوي أو مطبوخ بحرارتها صار سما قاتلا

وأما الطاليقوني فهو جنس من النحاس طرحت عليه أدوية حتى صار صلباً فان اتخذ منه سكين أو سلاح وجرح به حيوان أضر به مضرة مفرطة وان اتخذ منه شص لصيد السمك وتعلق به لم يمكنه الخلاص وان صغر الشص وعظم الحوت، ومن أصابته وجع اللقوة فدخل بيتا لا يرى فيه الضوء ونظر الى مرآة طاليقون برأ من اللقوة باذن الله تعالى وان احمي الطاليقون وغمس في الماء لم يقرب ذلك الماء ذباب وان عمل منه منقاش ونتف به الشعر من الجسد ودهن الموضع لم ينبت الشعر بعد ذلك وان شرب الشراب من اناء طاليقوني لم يسكر

وأما القلعي فهو قريب من الفضة في لونه ولكن يباينها بثلاث صفات الرائحة والرخاوة والصرير وهذه الآفات دخلت عليه وهو في معدنه كما تدخل الآفات على الجنين وهو في بطن أمه فرخاوته لكثرة هوائيته وصريره لغلظ كبريته وقلة مزاجه بزئبقه وهو ساف فوق ساف فلذلك يصر وتنورا تحته لقلة نضجه وان مزج بقضيب الريحانة المسمى آس والمرقيشا والملح والزرانخ على ما ينبغي برىء من هذه الآفات . واذا حرق القلعي وجعل في المراهم برىء الجرح والقروح التي تكون في عيون الناس

وأما الاسرب فهو جنس من الرصاص ولكنه كثير الكبريت غير نضج ومنافعه معروفة بين الناس

وأما الحديد فهو أجناس ، فنه لين رخو ومنه ما اذا أسقي الماء ازداد صلابة وحدة ولا يستغني عنه الصانع ، ومنافعه بينة ظاهرة لا يستغنى الناس عنه كما لا يستغنى عن الماء والنار والملح ، ومنه ما اذا طرحت عليه أدوية ازداد قوة وصلابة ، ومن الجواهر المعمولة أيضا الشبه ، وهو نحاس طرحت عليه أدوية فزداد صفرة ولينا

وأما الاسفندري فهو نحاس مزج بالقلعي . والمفرغ نحاس واسرب ، والمرداسج من الاسرب اذا احرق الزنجار مع النحاس، والاسفيذاج من الاسرب

والحموضة، والاسرنج منه ومن الكبريت والزنجفر من الزئبق والكبريت والمرتك من الاسرب. وأما منافعها أعني هذه الاحجار ومضارها فهي معروفة بين الناس وقد ذكرت في كتب الطب بشرحها ومن الجواهر المعدنية الزئبق والكبريت

فأما الكبريت فهو حجر دهني لزج يلصق بالاحجار المعدنية عند ذوبانها ويحترق بالنار ويحرق الاحجار معه لانه دهن كله

وأما الزئبق فهو جسم رطب سيال يطير اذا أصابته حرارة النار لا صبر له على حر النار وهو يخالط الاجسام المعدنية بالتدبير ويرخيها ويكسرها ويوهنها، فاذا أصابت تلك الاجسام حرارة النار طار الزئبق ورجع الى حالته الاولى صلباً كما كانت ومثله مع هذه الاحجار كمثل الماء مع الطين اليابس اذا غلبه الماء استرخى وتفتت فاذا أصابته حرارة النار أو حرارة الشمس جف وعاد كما كان أولا

واعلم أن الكبريت والزئبق أصلان للجواهر المعدنية الذائبة كما أن التراب والماء أصلان للأجسام الصناعية كاللبن والاجر والكيزان والغضاير والقدور وكلما يعمل من الطين وقد تقدم ذكر كيفية تكوين الجواهر المعدنية الذائبة وعلل اختلاف طبائعها وصفاتها في فصل قبل هذا، ومن الجواهر المعدنية أيضاً أنواع الأملاح والشبوب والبوارق والزاجات فمنها عذب كملح الطعام والملح الاندراني ومنها مر كملح الصاغة ومنها حاد كالنوشادر ومنها قابض كالشبوب والزاجات ومنها دواء كالنفطي والهندي ومنها بوارق الخبز ومنها شوارج تصلح للدباغة ومنها ملح القلي والنورة والرماد والبول يستعمله أصحاب الكيميا وكل هذه رطوبات ومياه تختلط بتراب بقاع الارض تحرقها حرارة الشمس أو النار أو حرارة المعدن فتنعقد وتصير أملاحاً وشبوباً وبوارق وفنون الزاجات، ومن الجواهر المعدنية أنواع الزرانيخ والمرقشيثا والمغنيسا والشادنج والكحل والتوتيا، ومنها الزجاج والبلور والمينا والطلق والشبح والعقيق والفيروزج

والسنباذج والجزع واللازورد والعنبر والدهنج ومنها القير والنفط والجص والاسفيذاج وما شا كلها

واعلم يا أخي أن لكل نوع من الجواهر خواص ومنافع ومضار تركنا ذكرها مخافة التطويل إذ قد ذكرها الحكماء في كتبهم وهي موجودة في أيدي الناس ولكن نذكر من خواص بعضها طرفاً ليكون دليلا على الباقي الذي لم نذكره منها ، فأما الدهنج فهو حجر يتكون من معدن النحاس وطبيعته باردة لينة لأنه دخان مرتفع من الكبريت المتولد من معدن النحاس وهو أخضر مثل الزنجار فاذا صار في موضع من جبال المعدن تكاثف وتلبدت أجزاؤه بعضها على بعض وتجسد وتحجر فهو مختلف الألوان أخضر كدر حسن اللون وفيه خاصية مع من سقي من سحالته تقطع (١) أمعاه وأمرضه وألهب معدته وان شرب وهو صحيح أضر وهو يصفو مع الهواء ويتكدر معه ويذهب تكسير الذهب وتشقيقه عند الطرق ومع التناكر يكون أقوى فعلا وان ذوب ذلك وجعل مع الذباب على لسع الدنابير سكنها وان سحق وأذيب بالخل وطلي على القوباء أذهبها وينفع في السعفة التي في الرأس ، ومن الجواهر المعدنية البازهر (٢) وهو جوهر لين أملس مختلف الألوان وأصله كان رطوبة هوائية دهنية جمدت في معدنه بطول الزمان، وهو حجر شريف تظهر منه أفعال كريمة وذلك أنه ينفع من السموم القاتلة حارة كانت أو باردة، حيوانية كانت أو نباتية أو معدنية تلك السموم ، ونحتاج أن نزيد في شرح هذا الباب إذ كانت عقول الناس قد تحيرت في كيفية أفعال السمومات والترياقات والبازهرات (٣) في الاجسام الطبيعية لانها اجسام

(١) وفي نسخة تقطعت امعاؤه

(٢) وفي نسخة الفاذزهر قال صاحب الشفاء في الطب باززهر الموجود في أيدي الناس نوعان معدني ينفع من لدغ العقرب فقط مقتصر الحيوان والحيواني يكون في قلب الايل كما ذكره البيطار ، وقيل في عينه . نافع السموم جميعاً وليس في الاحجار مايقوم مقامه واقتصار صاحب اخوان الصفا على نفع دفع السم بالمعدني يخالف تجربة رجال الطب قاطبة اه

(٣) الفاذزهرات (نسخة)

جامدات وقد قام البرهان على أن الجسم لا فعل له من حيث هو جسم ولا العرض له فعل أيضاً لأنه أعجز من الجسم بكثير فيجب أن نذكر أولا كيفية الأفعال التي تظهر من هذه الأجسام بعضها من بعض ثم نبين من الفاعل بالحقيقة لها وفيها ومنها وبها . أما السموم فنوعان حارة وباردة فالباردة منها تجمد الدم والرطوبات الروحانية اللطيفة التي في أعضاء الحيوان التي بها صحة المزاج وقوام الحياة . والحارة منها تذوب الدم وتلك الرطوبات وتطيرها فتفنى ويذوب بدن الحيوان مع ذوبانها فيهلك. فأما دبيب السموم الحارة في أبدان الحيوانات فمثل دبيب لون الزعفران اذا وقع في الماء صبغه في لحظة ، وأما الباردة منها فهي مثل فعل الانفحة اذا وقعت في اللبن الحليب جمدته في أقرب مدة، وأما دبيب البازهرات والترياقات المضادة أفعالها لافعال تلك السموم فهو مثل فعل الحموضات اذا وقعت على صبغ الزعفران غسلته من ساعتها ومنعته أن يذوب اذا بودر بها .وأما ما الفاعل المحرك لهذه الاجسام فهو قوة روحانية من قوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الاجسام من لدن فلك القمر الى منتهى مركز الارض وهي المسماة الطبيعة، فهذه الاجسام الجزئيات من الحيوان والنبات والمعادن هي للطبيعة كالآلات والادوات للصانع الفاعل يفعل بها وفيها ومنها أفعالا مختلفة وأعمالا متقنة بعضها ببعض كالنجار الذي يفعل النشر بالمنشار ويعمل النحت بالفأس والنقب بالمثقب والكشاء بالارتدج ويبرد بالمبرد ، والفاعل واحد والافعال مختلفة بحسب الآلات والأدوات والاغراض المقصودة وهذه القوة الفاعلة المتقدم ذكرها هي التي يسميها الاطباء والفلاسفة الطبيعة ويسميها الناموس ملائكة والطبيب هو خادم الطبيعة يناولها ماتحتاج اليه في وقت الحاجة كما يناول التلميذ الاستاذ أدواته وقت حاجته ويخدمه بها

فصل

واعلم يا أخي ان هذه النفوس الجزئية المتجسدة الخادمة للنفس الكلية اذا أحسنت في خدمتها للنفس الكلية وطلبت الاجر والجزاء من الله فلها منزلة جليلة

عند الله وكرامة ومكافأة بعد مفارقتها هيا كلها سواء كانت خدمتها في اصلاح أمر الدين أو الدنيا فانه لايذهب لها عند الله شيء اذا كانت محتسبة لوجه الله تعالى وطالبة لما عنده من الوجه المقصود منه اليه فلايفوتها نصيبها من الدنيا كما ذكر برزويه الطبيب في كتاب كليلة ودمنة ان الزراع لم يزرع طلباً للعشب بل للحب ولا بد للعشب أن ينبت ان شاء الزراع أو لم يشأ كذلك طالب الاجر والجزاء من الله تعالى لايفوته نصيبه من الدنيا وماقسم له ماأراده أو لم يرد كره أو رضي زهد أو رغب طلب أو لم يطلب وتصديق هذا الرأي قول الله تعالى : « ماخلقت الجن والانس إلا ليعبـدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذوالقوة المتين »

واعلم يا أخي ان عبادة الله ليست كلها صلاةوصوماً بل عمارة الدين والدنيا جيماً لانه يريد أن يكونا عامرين فمن يسعى في صلاح أحدهما او كلاهما فأجره على الله لانه مالـكهما جيماً والناس كلهم عبيده وأحب عباده اليه من سعى في صلاح عباده وعمارة طالبه جيماً، وأبغض عباده من سعى في فسادهما جيماً أو في فساد أحدهما كما ذكر الله جل جلاله « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أوينفوامنالارض » الآية وقال تعالى « وأن ليسللانسان إلاماسعى »

ومن الجواهر المعدنية الماس وطبيعته البرودة واليبوسة في الدرجة الرابعة وقل ماتجتمع هاتان الطبيعتان في شيء من الاحجار المعدنية فبهـذه الخاصية صار لايحتك بجسم من الاحجار المعدنية إلا أثر فيه أو كسره أو هشمه إلا جنساً من الاسرب فانه يؤثر فيه ويكسره ويفتته مع رخاوته ولينه ونتن رائحته

واعلم ان مثل تأثير هذا الحجر الضعيف المهـين في هذا الجوهر الشريف القوي كمثل تأثير البقة الضعيفة الصغيرة المهينة في الفيل العظيم الجثـة الشديد القوة الذي يقهر الحيوانات بعظيم جثته وشدة قوته وهذايغلبهويؤذيه ويضربه بصغر جثته وخفة حركتهفان في ذلك عبرة لأولي الابصار ودلالةلأولي الالباب

على ان المسلط الصغير على الكبير هو خالقهما ومصورهما سبحانه .

وأما السباذج فهو قريب من هاتين الطبيعتين من الماس ولكن تأثيره دون تأثيره .

وأما حجر المغناطيس فهو أيضاً عبرة لأولي الابصار والتفكر في الامور الطبيعية وخواص أفعال بعضها في بعض، وذلك ان بين هذا الحجر والحديد مناسبة ومشاكلة في الطبيعة كالمناسبة والمشاكلة التي بين العاشق والمعشوق ، وذلك ان الحديد مع شدة يبسه وصلابة جسمه وقهره للاجسام المعدنية والنباتية والحيوانية يتحرك نحو هذا الحجر ويلتصق به ويلتزمه كالتزام العاشق المحب المعشوق المحبوب المشتاق . فاذا فكر العاقل اللبيب في فعل هذين الحجرين وغيرهما من الاحجار المعدنية والاجسام النباتية علم وتبين له بأن الفاعل المحرك لها هو غيرها ، لان الجسم لافعل له من حيث هو جسم ببراهين قد قامت ودلائل قد وضحت ، وان هذه الاجسام كلها مع اختلافها واختلاف طبائعها وفنون أشكالها وخواص طبائعها هي كالادوات والآلات للفاعل الصانع المحرك ، وهو النفس الكلية الفلكية التي هذه التأثيرات كلها من أفعالها وهي المسماة طبيعة تظهر وتعمل باذن باريها جل ثناؤه . وقد تبين بدلائل عقلية ان الباري جل ثناؤه لايباشر الاجسام بذاته ولايتولى من الافعال بنفسه الا الاختراع والابداع حسب : وأما التأليف والتركيب والصنائع والافعال والحركات التي تكون بالآلات والادوات في الاماكن والازمان انما بأمر ملائكته الموكلين وعباده المؤيدين بأن يفعلوا مايؤمرون مثل أمر الملوك والرؤساء لعبيدهم وخدمهم وجنودهم

فصل

وقد تبين مما ذكرنا ان الجواهر المعدنية مع كثرة أنواعها واختلاف طبائعها وفنون خواصها أصلها كلها وهيولاها هي الاركان الاربعة التي تسمى الامهات وهي النار والهواء والماء والارض وتبين أيضاً ان الفاعل فيها والمؤلف لاجزائها

والمركب لها هي الطبيعة بإذن الله تعالى وتبين بأن الغرض من هذه الجواهر المعدنية هو منافع الناس والحيوان واصلاح أمر الحياة الدنيا ومعيشة الحيوان الى وقت معلوم

واعلم يا أخي بأن الجواهر المعدنية مع اختلاف طبائعها وأنواع أشكالها وفنون جواهرها وخواصها كالادوات للطبيعة الفاعلة والآلات لها تعمل بها وفيها ومنها في الاماكن المتباينة والازمان المختلفة هذه الافعال والصنائع والاعمال من التركيب والتأليف والجمع والتفريق لاجزاء هذه الاركان الاربعة من الكون والفساد والنشؤ والبلى حسب دوران الافلاك وحركات الكواكب وطوالع البروج على آفاق البلد من البر والبحر والسهل والجبل والعمران والخراب كل ذلك بإذن الله تعالى الذي خلقها ووكلها بالاركان وأيدها بالقوة الالهية على هذه الافعال والصنائع من تكوين المعادن والنبات والحيوان

واعلم أن الطبيعة انما هي ملك من ملائكة الله المؤيدين وعباده الطائعين يفعلون ما يؤمرون، لا يعصون الله ما أمرهم وهم من خشيته مشفقون

واعلم أن الله تعالى غير محتاج في أفعاله الى الادوات والآلات والأماكن والازمان والهيولى والحركات بل فعله الخاص به هو الابداع والاختراع اذ الاختراع هو الاخراج من العدم الى الوجود بحسب ما بينا في رسالة المبادىء العقلية والافعال الروحانية

واعلم أن طائفة من المجادلة أنكرت أفعال الطبيعة لما جهلت ماهية الطبيعة نفسها ولم تدر انها ملك من ملائكة الله تعالى الموكلين بتدبير عالمه واصلاح خلائقه فنسبت كل أفعال الطبيعة الى الباري جل ثناؤه حسنة كانت أو سيئة خيراً كانت أو شراً وفيهم من نسب ما كان حسنا الى الباريء وما كان قبيحا نسبه الى غيره ثم اختلفوا في الغير من هو فنهم من نسب تلك الافعال الى الطبيعة والى التولد ومنهم من نسبها الى النجوم ومنهم من نسبها الى البخت والاتفاق ومنهم من نسبها الى جريان العادة ومنهم من نسبها الى الشياطين ولا يدري ما الشياطين وكل

هذه الاقاويل قالوها لجهلهم ماهية الطبيعة وقلة معرفتهم بافعالها وافعال ملائكة الله الموكلين بحفظ عالمه وادارة أفلاكه وتسيير كواكبه وتوليد حيواناته وتربية نبات أرضه وتكوين معادنها

واعلم يا أخي أن الباري جل ثناؤه لا يباشر الاجسام بنفسه ولا يتولى الافعال بذاته بل يأمر ملائكته الموكلين وعباده المؤيدين فيفعلون ما يؤمرون كما يأمر الملوك الذين هم خلفاء الله في أرضه عبيدهم وخدمهم ورعيتهم لايتولون الافعال بانفسهم شرفاً واجلالا كذلك يأمر سبحانه أو يريد أو يشاء أو يقول كن فيكون ما أراد بأمره وارادته ومشيئته واختراعه وابداعه وانشائه وايجاده واحداثه الهيولى الاولى والخلق الاول كما ذكر بقوله تعالى « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وقوله تعالى «وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر »وقوله تعالى « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة »

واعلم يا أخي أن هذه الصنائع والافعال التي تجري على أيدي عباده اذا نسبت الى الباري جل جلاله فان نسبتها على مثل نسبة أفعال الملوك اذا قيل بنى فلان الملك مدينة كذا وحفر نهر كذا وعمر بلد كذا كما يقال بنى الاسكندر الرومي سد يأجوج ومأجوج وبنى سليمان بن داود عليه السلام مسجد ايليا وبنى ابراهيم[1] الخليل عليه السلام البيت الحرام وبنى المنصور مدينة السلام اذ كان ذلك بامرهم وارادتهم ومشيئتهم والقائهم وعنايتهم لا أنهم تولوا الافعال بانفسهم أو باشروا الاعمال باجسامهم وكذلك حكم اضافة أعمال ملائكة الله وأنبيائه وعباده طبيعية كانت أو اختيارية فنسبتها الى الله تعالى على هذا المثال تكون كما ذكر الله تعالى لنبيه عليه السلام « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » وقوله تعالى « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » وقوله تعالى « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » وقوله تعالى « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »

(١) هذا ليس في محله لان الخليل بنى البيت الحرام بيده كما ورد في الاخبار الصحيحة اه

وما شاكل هذه الاضافات من الافعال والاعمال والصنائع والتأليف والتركيب والجمع والتفريق والكون والفساد والنشوء والبلاء اذا نسب الى الله تعالى فعلى هذا السبيل تكون تلك النسبة لأن الله تعالى خلق الفاعلين والصناع والعمال وأفعال البشر كانت أو الجن والشياطين والملائكة أو الطبيعة فحكمها كلها بالاضافة الى الله حكم واحد لانهم جميعاً عبيده وجنوده وخدمه خلقهم وربام وأنشأم وقوامم وعلمهم وهدام وأمرم ونهام فطيع وعاص وخير وشرير وفاضل وناقص ومعذب ومنعم ومحسن ومسيء ومبتلى ومعافى خلقهم الله أطواراً لسعة علمه وتفاذ مشيئته واجراء احكامه وعز سلطانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

﴿ فصل ﴾

ان طائفة من المجادلة لما لم يعرفوا ما الطبيعة نسبت أفعالها كلها الى البارىء جل جلاله ووقعت بذلك فى شبهة عظيمة وحيرة وشكوك وذلك لما تبين لهم بان الفعل لا يكون الا من فاعل وشاهدوا افعالا لم يروا فاعليها نسبوها الى البارىء جل ثناؤه ونظروا فيها وبحثوا عنها فوجدوا بعضها شروراً وفساداً مثل موت الأطفال ومصائب الاخيار وتسليط الاشرار وتلف الحيوانات وما يلحقها من الامراض والاوجاع والجهل والبلوى كرهوا ان ينسبوا ذلك الى الباري عز وجل فنسبوها الى التولد بزعمهم ومنهم من نسبها الى البخت والاتفاق ومنهم من نسبها الى النجوم ومنهم من نسبها الى الباري تعالى وقال بالمكافأة والمجازاة ومنهم من قال بالعرض وسابق النظر ومنهم من قال بالأصلح واللطف، وأقاويل أخرى يطول شرحها من التعديل والتجويز فطولوا الخطب فيها وقد بينا طرفاً من أقاويلهم في رسالة الآراء والمذاهب والديانات فاعرفه من هناك ان شاء الله تعالى. ونحن قد بينا أن هذه كلها افعال الانفس الجزئية التى هي كلها قوى النفس الكلية الفلكية كما أنشأها باريها عز وجل كما ذكر بقوله تعالى: «ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» فما كان من هذه الافعال خيراً نسب الى النفس الجزئية الخيرية

وما كان منها شراً نسب الى الانفس الشريرة وعليها تقع المجازاة والمكافأة عن الثواب والعقاب .

واعلم يا أخي ان نفسك هي احدى النفوس الجزئية وهي قوة من قوى النفس الكلية والفلكية لا هي بعينها ولا منفصلة منها كما أن جسدك جزء من أجزاء جسم العالم لا هو كله ولا منفصل منه فانظر الآن كيف أعمالك وأفعالك وأخلاقك وآراؤك ومعارفك فبحسب ذلك يكون جزاؤك ومكافأتك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انما هي أعمالكم ترد اليكم وقال الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الآية » وفقك الله أيها الاخ للرشاد وهداك للسداد انه رؤوف بالعباد وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم صلى على محمد وآله أجمعين

تمت رسالة تكوين المعادن ويتلوها رسالة ماهية الطبيعة



الرسالة السادسة

من الجسمانيات الطبيعيات

فى ماهية الطبيعة

وهي الرسالة العشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر الصنائع البشرية في الرسالة الملقبة بالصنائع العملية نريد أن نذكر فيهذه الرسالة الصنائع الطبيعية وكيفية أفعالها في الاركان الاربعة وكيفية مواليدها التى هي الحيوان والنبات والمعادن والغرض منها تنبيه لنا عن أفعال النفس وماهيـة جوهرها والبيان عن اخبار الملائكة ويسميها الفلاسفة روحانيات الكواكب فنقول أولا ما الطبيعة

واعلم يا أخي ان الطبيعة انما هي قوة النفس الكلية الفلكية وهي سارية في جميع الاجسام التى دون فلك القمر من لدن كرة الاثير الى منتهى مركز الاثير

واعلم ان الاجسام التى دون فلك القمر نوعان بسيطة ومركبة ، فالبسيطة

أربعة أنواع وهي النار والهواء والماء والارض . والمركبة ثلاثة أنواع وهى المعادن والنبات والحيوانات وهذه القوة أعنى الطبيعة سارية فيها كلها ومحركة ومسكنة ومديرة لها ومتممة ومبلغة لكل واحدة منها الى أقصى مدى غاياتها بحسب ما يليق بواحدة واحدة ، منها كما شاء باريها وكما بينا في الرسائل الخمس وهي رسالة الكون والفساد ورسالة الآثار العلوية ورسالة المعادن ورسالة النبات ورسالة الحيوان

واعلم ان النفس الكلية هي روح العالم كما بينا فى الرسالة التى ذكرنا فيها ان العالم انسان كبير والطبيعة هي فعلها والاركان هى النار والهواء والماء ، والارض هى الهيولى الموضوعة لها والافلاك والكواكب كالادوات لها والمعادن والنبات والحيوانات كلها مصنوعاتها

واعلم يا أخي ان الصناع البشريين يعملون أعمالهم بأبدانهم وأيديهم وارجلهم وهى كلها مصنوعات الطبيعة كالخشب والحديد والقطن والحب وماشا كلها كما بينا في رسالة الصنائع العملية ويظهرون صنائعهم بأدوات اتخذوها من مصنوعات الطبيعة ايضاً كالفأس والمنشار والابرة والقلم وما شاكلها فهيولاهم وادواتهم خارجة من ذواتهم . واما الطبيعة فهيولاها من ذاتها التى هي الاركان الاربعة وهي لها بمنزلة الاربعة الاخلاط فى بدن انسان واحد وهي سارية فيها كلها وصانعة منها وفيها مصنوعاتها، ومصنوعاتها ايضاً ليست بخارجة من ذاتها وهي كلها كالاعضاء في جسد حيوان واحد وهى ثلاثة اجناس ، معادن ونبات وحيوان وكل جنس منها تحته انواع وكل نوع تحته انواع الى ان تنتهى انواع تحتها اشخاص . فأما الانواع والاجناس فهي محفوظة معلومة صورها في الهيولى ، واما الاشخاص فهى غير معلومة ولا محفوظة فيها ، والعلة في حفظ صور الاجناس والانواع في الهيولى هى ثبات عللها الفلكية ، واما تغيير الاشخاص وسيلانها فمن اجل تغييرات نظامها وذلك ان العلة الفاعلة لهذه المصنوعات هي النفس الكلية الفلكية باذن باريها وكانت الاركان هيولى لها والطبيعة فعلها والفلك

والكواكب كالادوات لها وكان الموضوع فى أحكام النجوم ثلاثة انواع وهي الافلاك والكواكب والبروج وكانت تأثيراتها في هذه الاركان بحسب المناسبات الثلاث كما بينا في رسالة الموسيقى ، وهي مناسبة اعظام اجرامها ومناسبة ابعاد مراكزها ومناسبة حركات بعضها من بعض ، ولما كانت المناسبات التى بين فلك الكواكب الثابتة وبين هذه الاركان الاربعة محفوظة ابعادها واعظامها وحركاتها صارت الاجناس الثلاث محفوظة صورها فى الهيولى ، ولما كانت أيضاً المناسبات التى بين مراكز الافلاك الحاملة وبين هذه الاركان محفوظة ابعادها وحركاتها واعظامها صارت صور انواع هذه الاجناس ايضا محفوظة فى الهيولى ، ولما كانت المناسبات من اجرام الكواكب السيارة وأفلاك تداويرها وبين هذه الاركان غير محفوظة صارت من أجل ذلك أشخاص هذه الانواع وصورها غير محفوظة في الهيولى

واعلم يا أخي ان العالم جملته احدى عشر كرة كما بينا في رسالة السماء والعالم وان الشمس مركز جرمها في أوسط الاكر وذلك ان خمس اكر فوقها وخمس اكر دونها فالتى فوقها كرة المريخ وكرة المشترى وكرة زحل وكرة الكواكب الثابتة وكرة المحيط ، والتى دونها كرة الزهرة وكرة عطارد وكرة القمر وكرة النار والهواء وكرة الماء والارض ، وان حكم الكرتين اللتين فوق كرة زحل غير حكم الاكر الباقية كما أن حكم الكرتين اللتين دون فلك القمر غير حكم الآخرين ، وذلك أن كرة الاشخاص بين الكرتين في الطرفين وهي كرة الكواكب الثابتة وكرة الهواء لكن تلك الكرة ثابتة صورها وهيولاها جميعاً وهذه الكرة ثابتة بصورها ، وهيولاها سيالة ، فقد جعلت الحكمة الالهية والعناية الربانية للكواكب السيارة واسطة بين الطرفين اللذين هما المركز والمحيط لكيما اذا صعدت الكواكب في أوجاتها قربت من تلك الاشخاص الفاضلة واستمدت منها الفيض واذا انحطت فى الحضيض أوصلت تلك الفيوضات الى

هذه الاركان فتكونت منها هذه الكائنات المتولدات التى هي المعادن والحيوان والنبات

واعلم يا أخي أنه اذا سرت تلك الفيوضات من هناك نحو مركز العالم نزلت البركات من السماء الى الارض وهى الارزاق والرحمة والوحى والتأييد والنصر ، فأول ما تسري تلك القوى في الاركان فتكون منها المزاجات الكائنات في باطن الارض لتكوين المعادن المختلفة الجواهر الكثيرة المنافع وعلى ظاهر وجهها يكون النبات الكثير الفوائد وفى الهواء الحيوانات الكثيرة الصور العجيبة الاعراض باختلاف أنواعها وفنون أشخاصها حتى اذا بلغ كل شيء منها إلى أقصى مدى غاياتها في أدوار الالوف عطفت تلك القوة راجعة نحو المحيط كما بدء أول مرة فيكون منها البعث والنشور والمعراج والقيامة كما ذكر الله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة

واعلم أن تأثيرات الكواكب في هذه الاركان ومولداتها تكون بحسب مناسباتها ومناسباتها تكون بحسب اعظام اجرامها وأبعاد مراكزها وحركات أجرامها كما أن تأثيرات نغم الموسيقى تؤثر في النفوس بحسب مناسباتها وبحسب دقة أوتارها وغلظها وخرقها واسترخائها وثقل تحريكها وخفتها كما بينا في رسالة الموسيقى

واعلم يا أخي ان المناسبات التى هي بين الاركان ومولداتها وبين الكواكب السيارة ومراكز أفلاكها مختلفة تارة تكون على نسبة الافضل وتارة تكون على نسبة الادون وتارة بين ذلك ، فاذا اتفق ان تكون الكواكب عند استئناف الادوار على نسبة الافضل تكون الكائنات على أفضل حالها فى تلك الادوار ويكون البشر أكثرهم اخياراً وفضلا مثل الملائكة الذين كانوا قبل آدم أبي البشر ، واذا كانت على نسبة الادون كانت بالضد من ذلك ويكون البشر أكثرهم شراراً مثل الذين يكونون في أواخر الزمان عند خراب العالم واذا كانت

متوسطة فبحسب ذلك تكون الكائنات ، وأفضل حالات الكواكب أن تكون فى صعودها أو اشرافها أو في اوجاتها وأدونها أن تكون فى مقابلة هذه المواضع أو وسطا بين ذلك .

واعلم يا أخي ان كل كائن تحت فلك القمر وكل حادث في هذا العالم له وقت معلوم يحدث فيه لا يكون قبل ولا بعد وله سبب موجب لكونه لا يكون الا به وله بقعة مخصوصة لا يوجد الا هناك لا يعلم تفصيلها الا الله عز وجل ، ولكن نذكر منها طرفا مجملا ليكون على صحة ما قلنا ويتصور المتفكرون حقيقة ما وصفنا ، وذلك ان الله جل ثناؤه جعل الفلك محيطاً بالارض من جميع الجهات كما بينا في رسالة جغرافيا ، ولما كان الفلك مقسوماً اربعة أقسام وكل ربع منه مسامتا لربع من الارض وكل كوكب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض فانه يكون موازياً الدائرة على بسيط الارض وتكون مطارح شعاعاته على بسيط الارض ويكون لتلك الشعاعات زوايا ثلاث قائمة وحادة ومنفرجة ولكل زاوية منها تأثيرات مختلفات كما بينا في رسالة الآثار العلوية

واعلم يا أخي بان الباري جل ثناؤه جعل حركات تلك الاشخاص في دورانها سبباً موجباً لكون الحوادث في هذا العالم .

وعلة فاعلة للكائنات تحت فلك القمر وجعل الاوقات المعلومة بحسب اجتماعاتها ومناظراتها واتصالاتها فى درجات البروج وجعل البقاع المسامتة لها ولمطارح شعاعاتها مختصة لكونها وحدوثها وذلك ان الاقاليم السبعة التى فى الارض كالافلاك السبعة والبلدان في الاقاليم كالبروج في الافلاك والمدن والقرى في البلدان كالوجوه والحدود في البروج والاسواق والمحال فى المدن والقرى كالدرجات والدقائق في الحدود والدور والمنازل والبيوت والدكاكين كالثوانى والثوالث في الدقائق ، واجتماعات الكواكب في درجات البروج

بسبب اجتماعات الحيوانات والجواهر المعدنية والنبات في البلدان والمدن والقرى

فحدود زحل في البروج سبب وعلة لحدوث الأنهار والجبال والبراري والاجام والغدران والشوارع والطرقات وما شاكلها من حدود البقاع

وحدود المشتري في البروج سبب لحدوث المساجد والهياكل والبيع ومواضع الصلوات وبقاع القرابين، واجتماعات الكواكب في حدوده علة لاجتماعات الناس في الجمعات والاعياد وتعلم احكام النواميس وقراءة الكتب النبوية والتفقه في الدين والحكومة عند القضاة والحكام وماشاكل ذلك

وحدود المريخ في البروج سبب وعلة لحدوث مواقد النيران ومذابح الحيوان ومعسكر الجيوش وأماكن السباع ومواضع الحروب والخصومات وماشاكل ذلك واجتماعات الكواكب واتصالاتها في حدود المريخ علة لاجتماعات الناس والنبات والجواهر المعدنية فى هذه المواضع والاماكن

وحدود الزهرة في البروج سبب لحدوث البساتين ومواضع النزه ومجالس اللهو والاكل والشرب والفرح والسرور واللذة والمناظر الحسان، واجتماعات الكواكب ومطارح شعاعاتها في حدودها علة لاجتماعات الناس والنبات والحيوان في هذه المواضع.

وحدود عطارد فى البروج سبب لحدوث الاسواق ومواضع الصناع ومجالس الكلام والعلوم ودواوين الكتاب وجموع القصاص ومناظرات العلماء، ودرجات اشرافها سبب لمنازل الملوك وسادات الناس، ودرجات هبوطها سبب لمواضع المحق والسقوط والحبوس وما شاكل ذلك .

﴿ فصل ﴾

فى كيفية وصول تأثير الاشخاص الفلكية الثابتة الوجود الدائمة الدوران الى هذه الاشخاص السفلية الكائنة عن حركاتها الفلكية القليلة الثبات الدائمة السيلان

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه انه قد قامت البراهين الهندسية

على أن الارض هي مركز العالم وان الهواء والافلاك محيطة محدقة بها من جميع جهاتها.

واعلم أن مثال الارض في وسط العالم كمثل بيت الله الحرام في وسط الحرم، وان مثل الفلك المحيط وسائر مراكز الافلاك في دورانها حول الاركان الاربعة كمثل الطايفين حول البيت .

وان مثل الكواكب الثابتة مع مطارح شعاعاتها من المحيط نحو مركز الارض كمثل المصلين المتوجهين من آفاق البلاد شطر البيت .

وان مثل الكواكب السيارة في مسيرها ذاهبة وجائية تارة من أوجاتها نحو المركز وتارة ذاهبة من حضيضها نحو المحيط كمثل الحجاج تارة ذاهبين من بلدانهم نحو البيت وتارة منصرفين عن البيت الحرام راجعين الى بلدانهم فاذا مروا متوجهين نحو البيت حمل كل واحد مما في بلده من الامتعة والنفقة والتحف والهدى والقلائد آمين نحو البيت الحرام فيجتمع هناك في الموسم مما في كل بلد طوائفه وخواص امتعته وتجتمع الامم من كل مذهب يتبايعون ويتشارون. فاذا قضوا مناسكهم انصرف كل اهل بلد بطوائف ما في سائر البلدان ومغفرة من الله ورضوان .

فهكذا يا أخي حكم سريان قوى تلك الاشخاص العالية من محيط الفلك نحو مركز العالم وذلك انها اذا اجتمعت مطارح شعاعاتها على بسيط الارض وتخللت أجزاء الاركان وامتزج بعضها ببعض وسرت تلك القوى فيها يتكون من امتزاجها ضروب المتولدات الكائنات من الحيوان والمعادن والنبات المختلفة الاجناس المفننة الانواع المتغايرة الاشخاص لايعلم كثرة عددها واختلاف احوالها الا الله سبحانه .

ثم ان تلك القوى اذا بلغت أقصى مدى غاياتها وتمام نهاياتها المقصودة منها عطفت عند ذلك راجعة نحو المحيط فيكون سبباً لبعث النفوس ونشر الارواح

اما بربح وغبطة واما بخسران وندامة كمثل الراجعين من تجار الحاج اما بربح وغفران أو بندامة وخسران.

فانظر ياأخي وتفكر كيف يكون انصرافك من عالم الكون والفساد الى عالم الافلاك التي جاءت من نفسك واعتبر نسبة الى الحجاج اذا قضوا مناسكهم كيف ينصرفون مشتاقين الى بيوتهم وأوطانهم.

واعلم ياأخي أن جميع مناسك الحج وفرائضه أمثال ضربها الله عز وجل للنفوس الانسانية الواردة عن عالم الافلاك وسعة السموات الى عالم الكون والفساد لكيما يتفكر العاقل ويعتبر وينبه نفسه من سنة الغفلة ورقدة الجهالة وتذكر مبدأها ومعادها وتشتاق فترجع كما جاءت وتجيب الداعي اذا ناداها « ياأيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » : فتقول لبيك اللهم لبيك .

واعتبر ياأخي كيفية انصراف الحج الى بلدانهم فانك ترى لاهل كل بلد قافلة وطريقاً يمرون فيها متعاونين ذاهبين وراجعين فهكذا وردت النفوس الى هذا العالم في كل أمة بدلالة كوكب وبرج في قرار ولا تنصرف من الدنيا الا بدين ومذهب ويكون زاد كل نفس ما كسبت من خير وشر فلا تظن ياأخي انك تقدر على ان ترجع بنفسك وحدها

واعلم أن الطريق بعيدة والشياطين بالمرصاد قعود كقطاع الطريق فاعتبر فكما انك لا تقدر على أن تعيش وحدك الا عيشاً نكداً ولا تجد عيشاً هنياً الا بمعاونة أهل مدينة وملازمة شريعة فهكذا ينبغي لك أن تعتبر لتعلم بانك محتاج الى اخوان اصدقاء متعاونين لتنجو بشفاعتهم من جهنم وتصعد الى ملكوت السماء بمعاونتهم وتدخل الجنة بلا حساب .

واعلم ياأخي علماً يقينا انه لو كان يمكن أن تنجو نفس وحدها بمجردها لما أمر الله تعالى بالتعاون حيث قال : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا

على الاثم والعدوان » وقال : « واصبروا وصابروا » وكذلك قال : « ويوم نبعث من كل أمة فوجاً » وقال تعالى :«وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً»

وانظر ياأخي بنور عقلك وتفكر بفهمك وقف في مقامك وتوجه نحو البيت لعلك تعرف بوقوفك على جبل عرفات ماعرف أهل المعارف الذين أشار اليهم بقوله جل ثناؤه : « ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم » يعني بعلاماتهم فيزدلف بك معهم الى المزدلفة وتبلغ نحو المنى المتمنى وهم يطمعون إذ تدخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاأنتم تحزنون

واعلم ياأخي أن من حج البيت بقلب ساه ونفس لاهية بلاعلم ولا بصيرة ورأي تلك المناسك وسننها ولم يعقل معانيها ولا دري ما الغرض منها ولاعرف شيئاً من أغراضها المقصودة بها رجع من هناك بقلب غافل ونفس شاكة وفكر متحير لانه متى رآها ولم يدر معانيها ولاعرف أغراضها تخيل له عندذلك انها كلعب الصبيان من رمي الحصا والسعي بين الصفا والمروة والاحرام والتلبية والطواف والعمرة وماشا كلها من السنن والفرائض وعلى هذا القياس لكل أمة من أمم الناس في بيوت عباداتهم من سنن مفترضات دياناتهم وقرابين هيا كل صلواتهم أمثلة وأشائر ومرامي ومرموزات لواضعها والى هذا المعنى أشار ابراهيم خليل الرحمن .

وأعلم بان غرض الانبياء عليهم السلام وواضعي النواميس الالهية أجمع غرض واحد وقصد واحد وان اختلفت شرائعهم وسنن مفترضاتهم وازمان عباداتهم وأما كن بيوتاتهم وقرابينهم وصلواتهم كما ان غرض الاطباء كلهم غرض واحد ومقصد واحد في حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة وان اختلفت علاجاتهم في شرباتهم وأدويتهم بحسب اختلاف الامراض العارضة للابدان في الاوقات المختلفة والعادات المتغايرة والاسباب المفننة من الاهوية والبلدان .

وذلك ان غرض الاطباء كلهم هو اكتساب الصحة للمريض وحفظها على

الاصحاء ودفع الامراض وازالتها عن المرضى فهكذا غرض الانبياء عليهم السلام وغرض جميع واضعي النواميس الالهية من الفلاسفة والحكماء ، وذلك انهم أطباء النفوس وغرضهم هو نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى واخراجها من هاوية عالم الكون والفساد وايصالها الى الجنة عالم الافلاك وسعة السموات بتذكيرها ماقد نسيت من مبدئها ومعادها كما قال الله تعالى عز وجل « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » وقال « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » وقال : « لعلكم تذكرون » فتؤبون وترجعون كما قال :«ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية »

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي بان سنن الديانات النبوية وموضوعات النواميس الفلسفية ومفروضات الشرائع كلها ومناسك بيوتات العبادات وقرابين الهياكل والصلوات كلها اشارات ومرامي الى ما أشار اليه ابراهيم خليل الرحمن في بنائه البيت الحرام ووضعه الحجر والمقام وتعليمه المناسك ذريته ودعائه الناس فيهم بالحج الى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم ، وذلك أن الانسان العاقل اللبيب الفهيم الذكى اذا حج ولبى وطاف وصلى ورأى البيت وشاهد كيفية الحج ومايفعل الحاج والمحرمون من عجائب سنن المناسك ومفروضاتها من الاحرام والتلبية والطواف والسعي ووقوف الحج بعرفات والمبيت بالمزدلفة والتضحية بمنى والحلق والرمي وماشاكلها من فرائض الحج وسنن المناسك وتفكر فيها بقلب مستيقظ واعتبرها بعين بصيرة ونفس زكية فطن لما أراده ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام فيما سن واحدة واحدة وما الغرض الاقصى منها كلها وعرف وفهم واهتدى قلبه واهتدت نفسه وانتبهت وأبصرت فتراجعت وشاهدت ورأت ما أشار الله تعالى اليه بقوله «وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن في الارض »

واعلم يا أخي أن الملائكة الحافين بالعرش هم حملة العرش وهي الكواكب الثابتة الحافة بالفلك التاسع من داخله كما يحف الحاج بالبيت في طوافهم من خارجه فهم يسبحون بحمد ربهم كما قال : « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » ويؤمنون به ويقرون بأن من وراء مراتبهم ومقاماتهم أموراً أخرى هي أشرف وأعلا يقصر علمهم عنها ويقف فهمهم دونها كما يقر الحاج من المؤمنين بأن من وراء السموات البيت المعمور وحوله جموع الملائكة طائفين يحجون اليه في كل يوم ألوف ألوف لا يعودون اليه أبداً ويقولون أن هذا البيت الحرام في الارض بحذاء ذلك البيت المعمور الذي في السماء وان هذه السنن والمناسك مثله واشارات الى تلك السنن والمناسك التي تنسكها الملائكة حول البيت المعمور

فصل

واذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا اليه فنقول ان قوماً من العلماء تكلموا في أحكام النجوم فأثبتوا دلائلها على الكائنات وأنكروا أفعالها من عالم الكون والفساد وقوم أثبتوا دلائلها وأفعالها جميعاً وقوم آخرون أنكروها جميعاً فأما الذين أثبتوا دلائلها فعند الاعتبار عرفوها ولكن لم ينظروا الى حقائق الاشياء كيف هي فلم يعرفوها

وأما الذين أنكروا دلائلها وأفعالها فلتركهم النظر في هذا العلم. وأما الذين أثبتوا دلائلها وأفعالها فانما عرفوا ذلك بعد النظر والبحث الشديد والاعتبار والتصفح لأمور الموجودات شيئاً بعد شيء حتى أتوا على أواخرها ، ثم نظروا الى أوائلها فرأوا أنها كلها مربوطة رباطاً واحداً عن علة واحدة ومبدع واحد مثل العدد ولما كنا قد قلنا فيها قبل أن هذه الاشياء كلها مفعولات الطبيعة وان الاشخاص الفلكية كالأدوات لها وقوى تلك الأشخاص كالمعاونين للطبيعة احتجنا أن نبين حقيقتها فنقول : انا قد بينا معنى قول الحكماء أن العالم انسان كبير له جسم

نفس وبينا تركيب جسمه في رسالة السماء والعالم فنريد أن نبين كيف كان سريان قوى نفسه في الاجسام التى تحت فلك القمر

واعلم يا أخي بأن جسم العالم بأسره بمنزلة جسم انسان واحد وان جميع أفلاكه وطبقات سمواته وكواكب أفلاكه وأركان طبائعه ومولداتها من جملة جسمه بمنزلة أعضاء بدن انسان واحد ومفاصل جسده ، فان نفسه تدير أفلاكه وتحرك كواكبها باذن الباري جل وعز كما تحرك نفس انسان واحد أعضاء جسده ومفاصل بدنه ، وان للنفس بحركات كواكبه فيما دون فلك القمر من الاركان ومولداتها أفعالا فيها وبها ومنها لا يحصى عددها الا الله سبحانه كما أن لنفس الانسان الواحد في جميع بدنه ومفاصل جسده أفعالا كثيرة كما بينا في رسالة تركيب الجسد وذلك أن جسم العالم مركب من إحدى عشر كرة كما بينا في رسالة تركيب الجسد وان العالم مقسوم بنصفين كما أن جسد الانسان شقان وان في الفلك اثنى عشر برجاً لمسير كواكبه ، منها ستة شمالية وستة جنوبية كما أن في الجسد اثنى عشر ثقباً ستة منها في الجانب الايمن وستة منها فى الجانب الايسر لجاري حواسه وسريان قوى نفسه وان في الفلك سبعة كواكب مدبرة بها قوام أمره وهي سبب الكائنات باذن البارى عز وجل كما أن في الجسد سبع قوى فعالة بها قوام أمر الجسد وصلاح حاله وهى القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغاذية والقوة النامية والقوة المصورة ، ولكل قوة من هذه عضو مخصوص من الجسد منه تسرى القوة الى جميع أعضاء الجسد وبه تظهر أفعالها فى البدن وهي المعدة والكبد والقلب والدماغ والرئة والطحال والمرارة فكما أن من هذه الاعضاء تبث النفس هذه القوى في البدن وتنشر أفعالها في الجسد فهكذا حكم أفعال هذه الكواكب السبعة في الفلك فان النفس الكلية تنبث قوتها في جميع العالم وبها تظهر أفعالها في الكائنات التى تحت فلك القمر وكما أن من افراط أفعال هذه القوى ونقصانها يعرض في البدن الاضطراب والتألم كما يعرف الاطباء ، فهكذا من افراط تأثيرات هذه الكواكب ونقصان

أفعال قوتهـا تكون المناحس والفساد فى عالم الكون كما يخبربهـا أصحاب أحكام النجوم وكما أن شرح علم الطب طويل والصناعة عجيبة والعمر قصير كما قال بقراط حكيم اليونانيـين فهكـذا شرح أحكام النجوم طويل كما قال حكيم الفرس بزرجمهر كارهست مردينست ولكن نذكر منهـا طرفاً فنقول : —

انه ينبث من جرم الشمس قوة روحانية في جميع العالم فتسري في أفلاكه وأركان طبائعه ومولداتها فى جميع الاجساد الكلية والجزئية وبها يكون صلاح العالم وتمام وجوده وكمال بقائه كما تنبعث من القلب الحرارة الغريزية فى جميع الجسد التى بها تكون حياة البدن وصلاح الجسد ويسمى الفلاسفة هذه القوة وما انبث منها فى العالم روحانيات الشمس ، وذلك بحسب اختصاصها بجسم جسم كاختصاص الحرارة الغريزية بعضو عضو من الجسد وشرح كيفيتها يطول . وقد ذكرنا فى رسالة أفعال الروحانيات طرفاً منه ، وفى رسالة المعادن والنبات والحيوان ويسمي الناموس هذه القوة ملكا ذا جنود وأعوان واسرافيل منهم صاحب الصور ، وهكذا ينبث من جرم زحل قوة روحانية تسرى في جميع العالم من الافلاك والاركان والمولدات وبها تكون تماسك الصور في الهيولى وانبثائها كما تنبث من جرم الطحال قوة الخلط السوداوى فى جميع الجسد ومفاصله وبها يكون تماسك الاجزاء فى البدن من العظام والعصب والجلد وجمود الرطوبات التى لو لم تكن لسال هيولى الجسد كما يسيل الماء والهواء ويسمى الفلاسفة هذه القوة روحانيات زحل ، والناموس يسميها ملكا ذا جنود وأعوان وملك الموت منهم ومنكر ونكير أيضاً ، وهكذا ينبث من جرم المريخ قوة روحانية تسرى فى جميع العالم من الافلاك والاركان والمولدات وبها يكون النزوع والنهوض نحو المطالب والنشاط نحو الاعمال والصنائع والترقى في المعالى وطلب الغايات للبلوغ الى التمام والوصول الى الكمال فى الموجودات كلها وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما ينبث منها فى العالم روحانيات المريخ ، ويسميها الناموس ملكا ذا جنود

وأعوان وجبرائيل ومنهم مالك الغضبان وخزنة جهنم أجمعون وسريانها في العالم وانبثاث قواها كما ينبث من جرم المرارة والقوة الصفراوية المميزة للاخلاط الموصلة بها الى مواضعها المقصودة من أطراف البدن ونهايات الجسد المثيرة للغضب والحقد والحمية وما يشاكلها . وهكذا ينبث من جرم المشترى قوة روحانية تسرى في جميع العالم بها يكون اعتدال الطبائع المتضادات وتأليف القوى المتنافرات وسبب المتولدات الكائنات وحفظ النظام على الموجودات كما ينبث من الكبد رطوبة الدم التي بها يعتدل أخلاط الجسد ويستوي مزاج الطبائع وينمو الجسد وتنشىء الابدان وتطيب الحياة ويلذ بالعيش وتأنس الارواح وتألف النفوس وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما ينبث من أفعالها روحانيات المشترى ،ويسميها الناموس ملكا ذا جنود واعوان ورضوان خازن الجنان منهم .

وهكذا ينبث من جرم الزهرة قوة روحانية فتسري في جميع العالم وأجزائه وبها تكون زينة العالم وحسن نظامه وبهاء أنواره ورونق الموجودات وزخرف الكائنات والتشوق اليها والعشق لها والمحبات والمودات أجمع. كما ينبث من جرم المعدة شهوة الملاذ الى جميع مجاري الحواس التى بها تستلذ المشتهيات وتستطاب النعم وتستحسن الزينة ومن أجلها يراد البقاء في الدنيا ولا يتمنى الوصول الى الاخرة ، ويسمى الفلاسفة هذه القوة وما يتفرع منها روحانيات الزهرة ، ويسميها الناموس ملكا ذا جنود وأعوان منها الحور العين وخزان الجنان

وهكذا ينبث من جرم عطارد قوة روحانية تسرى في جميع جسم العالم وأجزائه بها تكون المعارف والاحساس في العالم والخواطر والالهام والوحي والنبوة والعلوم أجمع كما تنبث من الدماغ القوة الوهمية وما يتبعها من الذهن والتخيل والذكر والروية والتمييز والفراسة والخواطر والالهام والشعور والاحساس والمعارف والعلوم أجمع وتسمى الفلاسفة هذه القوة وما يتبعها روحانيات عطارد ،

ويسميها الناموس ملكا ذا جنود وأعوان والولدان والذين هم خدام أهل الجنان والكرام البررة والكرام الكاتبون منهم

وهكذا ينبث من جرم القمر قوة روحانية تسري فى جميع جسم العالم وأجزائه وتكون النفس للموجودات فى العالمين جميعاً تارة من عالم الأفلاك الى عالم الكون والفساد من أول الشهر وتارة من عالم الكون والفساد نحو عالم الافلاك من آخر الشهر ، وهي القوة المتوسطة بين عالم الافلاك معدن البقاء والدوام وبين عالم الاركان معدن الكون والفساد كما ينبث من جرم الرئة القوة التى يكون فيها التنفس تارة باستنشاق الهواء من خارج لحفظ الحرارة الغريزية على الجسد، وتارة يكون التنفس بارساله الى خارج لترويحه ويسمى الفلاسفة هذه القوة وما ينبث عنها من الافعال روحانيات القمر ، ويسميها الناموس ملكا ذا جنود وأعوان فبهذه القوة تنزل الملائكة بالوحي والبركات من السماء وبها يصعد بأعمال بنى آدم الى السماء وبها تعرج الارواح والمعقبات منهم

وهكذا ينبث من كل كوكب من الثوابت قوة روحانية تسري في جميع جسم العالم من أعلى الفلك الثامن الذي هو الكرسى الواسع الى منتهى مركز الارض كما ينبث من نور الشمس في الهواء والاجسام الشفافة وبهذه القوة تحفظ صور أجناس الموجودات فى الهيولى وبها صلاح العالم وقوام وجوده باذن البارى عز وجل، ومنها ثبات سكان السموات والاراضين واليها أشار بقوله تعالى « ومايعلم جنود ربك الا هو » وقال حكاية عنهم « وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » وحملة العرش منهم

وأما الملائكة الذين سجدوا لآدم أبى البشر فهم الذين فى الارض خلفاء لهؤلاء الذين هم في الافلاك وهي نفوس سائر الحيوانات الساجدة لآدم وذريته بالطاعة المسخرة لهم الى يوم القيامة

واعلم بأن خراب العالم انما يكون سببه فساد الكون وهذا يكون بغلبة أحد الاركان اما بطوفان من الماء مثل ما كان في زمان نوح النبي عليه السلام واما بطوفان من النار مثل ما وعد فى القرآن يكون في آخر الزمان بقوله « يوم تأتي السماء بدخان مبين » وسبب ذلك أن تستولى القرانات على البروج المائية والكواكب المائية فيكون طوفان الماء ، والبروج النارية والكواكب النارية فيكون طوفان النار ، فاذا بلغ قلب الاسد الى حد المريخ فى بروج الاسد بعد سنين فيكون طالع القران وطالع أشهر البروج النارية ويستولى المريخ عليها فيشبه أن يكون طوفان من النار فى ذلك الزمان ، وكيفية ذلك أن يحمى الهواء فيصير ناراً سموماً فيحترق الانسان والحيوان ويبقى العالم أعني وجه الارض خرابا بلا حيوان ، ثم ان الله سبحانه ينشأ النشأة الآخرة كما وعد فى القرآن بقوله : ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون » يعني النشأة الآخرة وقال تعالى : « وننشئكم فيما لا تعلمون » فعند ذلك يحصل أهل الجنة فيها منعمون وأهل النار فيها مخلدون وقد بينا في رسالة البعث كيف يكون ذلك فانتبه يا أخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة واستعد واعمل للمعاد والنشأة الآخرة لعلك تبعث يوم القيامة من السعداء وتصعد الى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة الذين هم الملأ الأعلى ولا تكونن مع الذين يريدون الخلد في الدنيا عالم الكون والفساد لابثين فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برد عالم الارواح ولا شراب نسيم الجنان كلما نضجت جلودهم بالبلى بدلوا بالكون جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب أعاذك الله أيها الاخ من عذاب النار وبلغك وايانا وجميع اخواننا دار القرار مع الابرار انه على ما يشاء قدير

تمت الرسالة والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على محمد رسوله وآله الائمة الطاهرين وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تمت رسالة ماهية الطبيعة وتتلوها رسالة أجناس النبات

الرسالة السابعة

من الجسمانيات الطبيعيات

في أجناس النبات

وهي الرسالة الحادية والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر الجواهر المعدنية وبينا طرفاً من كيفية تكوينها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص منافعها ومضارها في رسالة لنا وبينا فيها ان آخر مرتبة الجواهر المعدنية متصلة بأول مرتبة الجواهر النباتية فنريد أن نتبعها برسالة النبات ونبين فيها أيضاً طرفاً من كيفية سريان القوى الثابتة فيها . والغرض منها تعديل أجناس النبات وكيفية تكوينها ونشوءها وأسباب اختلاف أنواعها من الأشكال والألوان والطعوم والروائح وأوراقها وأزهارها وحبوبها وبذورها وثمرها وعروقها وقضبانها وأصولها من المنافع فان أول مرتبة النبات متصلة بأول مرتبة الحيوانية وآخر مرتبة الحيوانية متصلة بأول مرتبة الانسانية وآخر مرتبة الانسانية متصلة بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان السموات وقاطنو الافلاك الذين خلقهم الله تبارك وتعالى لعمارة عالمه مطيعين في طاعته لايعصون الله ماأمرهم

ويفعلون مايؤمرون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وهم من خشيته مشفقون . فنقول :

اعلم يا أخي بأنك مندوب للقاء ربك ومبعوث من هذه الدنيا الى هذه المرتبة ومقصود بك اليها منذ يوم خلقت تنتقل من حال أدون الى حال هي أتم وأكمل وأشرف الى أن تلقى ربك وتشاهده فيوفي لك ماوعدك فمن تلك الحالات ماقد جاوزت وشاهدت ومنها مالم تبلغها بعد وانك قد أتى عليك حين من الدهر لم تك شيئاً مذكوراً ، ثم خلقت نطفة من ماء مهين ، ثم نقلت الى الرحم في قرار مكين ، ومكثت هناك تسعة أشهر لتتميم البنية وتكميل الصورة ثم نقلت الى هذا الجو الفسيح و مكثت أربع سنين لا كمال التربية واشتداد القوة وشاهدت بالحواس محسوساتها وحصل لك الفهم والذهن والتمييز والتفكر والروية والمعرفة الغريزية ، ثم أسلمت الى المكتب وعلمت مالم تكن تعلم من القراءة والكتابة والآداب والرياضات وحساب الدواوين والكيل والموازين ، ثم نقلت الى مجالس أهل العلم والفضل في المساجد والصلوات والمشاهد والاعياد والى الاسواق والصنائع والاسفار لتشاهد هذا العالم بمافيه من الجبال والبراري والبحار والمدن والقرى والأنهار وعاينت فيه أصناف الخلائق من الحيوان والنبات والمعادن وعرفت تصاريف أحوالها في الحر والبرد والليل والشتاء والصيف والنور والظلام وتصاريف الرياح والغيوم والامطار وعاينت دوران الافلاك وطوالع البروج ومسيرات الكواكب وحوادث الايام ونوائب الحدثان كل ذلك كيما تنتبه نفسك من نوم الغفلة وتستيقظ من رقدة الجهالة وتتفكر فيما شاهدت وتعتبر مارأيت من أحوال هذه الدنيا

ولتعلم علماً يقيناً انك منتقل من هاهنا الى حالة أخرى بعد الموت وتنشأ نشأة أخرى فكن مستعداً للرحلة وتزود للسفر قبل فناء العمر وتقارب الأجل وهو أن تتخلق بأخلاق الملائكة وتتزين بشمائلها وتترك أخلاق اخوان الشياطين

وجنود ابليس أجمعين . وقد بينا كيفية ذلك في رسائلنا الاحدى والخمسين رسالة فاعرف من هناك ان شاء الله

واعلم أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن المصنوع المحكم يدل على الصانع الحكيم وان كان الصانع الحكيم محتجباً عن ادراك الابصار وكل عاقل إذا تأمل أحوال النبات من فنون أشكال أصولها وامتداد عروقها في الارض وتفرع أغصانها في الهواء وتقطيع أوراقها في فنون الأشكال وألوان أزهارها من الاصباغ واختلاف صور حبوبها وأشكال أثمارها من الصغر والكبر واختلاف ألوانها وطعومها وروائحها يتبين له ويعلم علماً ضرورياً بأن لها صانعاً حكيما لأن عقله يشهد له بأن الأركان الأربعة المتضادة القوى المتنافرة الطباع لا تجمع ولا تأتلف ولا تصير على هذه الأوصاف التي تقدم ذكرها إلا بقصد صانع حكيم لا يشك فيه ، لكن اذا لم يتفكر في كيفية صنعته لم فعل هكذا ولم يفعل كذا وكذا لا يفهم ولا يدري ولا يتصور له ذلك فمن أجل هذا احتجنا الى أن نذكر من هذا الفن طرفاً ليزداد علماً كل من يسمعه ويتفكر فيه

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن النبات مصنوعات ظاهر جلية لا تخفى ولكن صانعها وعلتها باطنة خفية محتجبة عن ادراك الابصار لها وهي التي يسميها الفلاسفة القوى الطبيعية ويسميها الناموس الملائكة وجنود الله الموكلين بتربية النبات وتوليد الحيوانات وتكوين المعادن ونحن نسميها النفوس الجزئية ، والعبارات مختلفة والمعنى واحد وانما نسبت الفلاسفة والحكماء هذه المصنوعات الى القوى الطبيعية وصاحب الشرع الى الملائكة ولم ينسبها الى الله تعالى لانه يجل الباري جل ثناؤه عن مباشرة الاجسام الطبيعية والحركات الجرمانية والاعمال الجسدانية كما يجل الملوك والسادة والرؤساء عن مباشرة الافعال بانفسها

وان كانت تنسب اليها على سبيل الامر بها والارادة لها كما يقال بنى الاسكندر السد ، وبنى سليمان مسجد ايليا ، وبنى المنصور مدينة السلام، إذ كان

بناؤها بامرهم لايتولون الافعال بانفسهم فعلى هذا المثال تنسب افعال عباد الله الى الله جل ثناؤه كما ذكر هو بقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله « ومارميت إذ رميت ولكن الله رمي » وقال « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » وقال « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم » وآيات كثيرة في هذا المعنى في القرآن المبين

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن العاقل اللبيب اذا تأمل احوال النبات وتفكر فيها واعتبرها فلايجد شيئاً منها يخرج عن صورة جنسه أويتجاوز عن اشكال نوعه وذلك انه مارؤيت قط ورقة زيتون خرجت من شجرة جوز ولا حبة شعيرة خرجت من سنبلة حنطة

وعلى هذا المثال والقياس سائر أنواع الحبوب والثمار والبقول والحشائش تراها كل واحدة منها حافظة صورة أبناء جنسها وشكل نوعها كأنها صبت في قوالب مختلفة الاشكال محفوظة الانواع

وهكذا حكم كل الحيوانات التامة الخلقة الكاملة الصورة محفوظة صور اجناسها واشكال أنواعها في اشخاصها وذلك انه مارؤى قط خرج مهر من رحم ناقة ولا جدي خرج من رحم بقرة ولا كركى خرج من بيض نعامة ولا فروج خرج من بيض حمامة

واذا فكر العاقل اللبيب في هذه الاشياء وطلب العلة فيها وبحث عنها فربما يتخيل له أو يتوهم بانه ليس في قدرة الصانع غير ذلك أو يظن ان الهيولى لاتقبل الا تلك الصورة أو يقول أن الحكمة لاتقتضى غير ذلك فان توهم وظن انه ليس في قدرة الصانع غير ذلك فان عقله ينكر ذلك عليه لان من يقدر على اختراع مصنوع فهو على تغيير بنيته أقدر وان ظن أو توهم بان الهيولي لاتقبل غير ذلك من الصور فكيف وهي موضوعة لقبول جميع الصور فقد أخطأ وان قال ان الحكمة لاتقتضى غير ذلك فما وجه المنع فى الحكمة أن يخرج عجل من رحم ناقة أو جمل من رحم بقرة أو جدي من رحم عنز أو فروج من بيضة حمامة بين لنا ذلك .

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان لكل نوع من النبات أصلا فما اصله لكيموس (١) ما ولكيموسه مزاج ما، لا يتكون من ذلك المزاج الا ذلك الكيموس ولا يتكون من ذلك الكيموس الا ذلك النوع من النبات وان كان يسقي بماء واحد وينبت في تربة واحدة ويلحقها نسيم هواء واحد وتنضجها حرارة شمس واحدة فالهيولى الاولى موضوعة لقبول جميع الصور ولكن الهيولات الثواني كل واحدة منها لا تقبل الصور الا باعيان مخصوصة

والمثال في ذلك ان التراب والماء موضوعة لشجرة الحنطة ولشجرة القطن ولكن من القطن لا يجيء الا الغزل ومن الغزل الثوب ومن الثوب القميص وغيره ومن الحنطة لا يجيء الا الدقيق ومن الدقيق العجين والعجين الخبز

فعلى هذا المثال والقياس تختلف احوال النبات وذلك ان رطوبة الماء ولطائف أجزاء التراب اذا حصلت في عروق النبات تغيرت وصارت كيموساً على مزاج ما لا يجيء من ذلك الكيموس والمزاج غير ذلك النوع من النبات وكذلك حكم أوراقه ونوره وثمره وحبه

فصل

ثم لما كان النبات مختلف الطباع من الطعوم والالوان والروائح لانها غذاء للحيوان وكانت الحيوانات مختلفة الطباع جعل كل نوع من النبات غذاء لنوع من الحيوان ودواء لداء يعرض لها مذكور ذلك في كتب الطب والبيطرة بشرحها

واعلم يا أخي ايدك الله وايانا بروح منه بان لكل نوع من النبات اربع علل علة هيولانية وعلة فاعلية وعلة تمامية وعلة صورية.

فاما العلة الهيولانية فهي الاركان الاربعة، النار والهواء والماء والارض

وأما العلة الفاعلية فهي قوى النفس الكلية.

وأما العلة التمامية فانها من أجل الحيوان غذاء لها ومنافع.

(١) الكيموس معناه الخلط وهي لفظة سريانية

واما العلة الصورية فهي أسباب فلكية شرحها يطول وكل ذلك باذن الباري جل ثناؤه ونريد أن نفصل كل علة منها ونشرحها ليكون في ذلك عبرة لأولي الابصار ومعرفة لأولي الالباب .

وذلك ان اجزاء الاركان اذا اجتمعت واختلطت وامتزجت واتحدت صارت هيولى ليتكون النبات والمسبب في اجتماعها واختلاطها هو دوران الافلاك حول الاركان ومسيرات الكواكب في البروج ومطارح شعاعاتها في جو الهواء نحو مركز الارض كل ذلك باذن الله تعالى ولطيف حكمته فهو الذي خلق الافلاك وادارها وقسم البروج وأطلعها وصور الكواكب وسيرها وأرسل النفوس وكلها فتبارك الله احسن الخالقين واحكم الحاكمين

وأما كيفية ذلك فنحن نذكرها ونبينها لقوم يعقلون بعون الله وحسن توفيقه ان شاء الله

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ان الشمس اذا طلعت على آفاق البلاد وأشرقت على جو الهواء وأضاءت على وجه الأرض حميت مياه البحار والانهار ولطفت أجزاؤها وصارت بخاراً لطيفاً خفيفاً وارتفعت في الهواء في جو السماء حتى اذا بلغت الى سطح الزمهرير وجاوزت كرة النسيم بردت هناك واجتمعت ووقفت وغلظت وتراكمت وصارت غيوماً وسحاباً وضباباً وطلاً وصقيعاً وتراكمت وساقتها الرياح الى رؤوس الجبال ووجوه البراري والقفار والقرى والسوادات والمزارع وهطلت هناك الامطار وابتل وجه الارض وشرب التراب رطوبة الماء واختلطت أجزاؤه واتحدت فاذا طلعت الشمس على وجه الارض وسخنتها حيث تلك الاجزاء المائية جفت وأخذت ترتقي من قعر الأرض الى وجهها ورفعت معها تلك الاجزاء الارضية المتحدة بها الى ظاهر سطح الأرض ثم ان قوى النفس البسيطة التي هي دون فلك القمر السارية في الاركان تصور من تلك المادة أنواع النبات بفنون أشكالها وألوان اصباغها كما يعمل الصناع البشريون في

أسواق المدن فنون المصنوعات من الهيوليات الموضوعات في صناعتهم المعروفة كما بينا في رسائلنا

واعلم يا أخي بان قوى النفس الكلية الفلكية البسيطة التى ذكرنا انها تعمل اجناس النبات وانواعها هي التى ذكرت في كتب الانبياء عليهم السلام انها ملائكة الله وجنوده الموكلون بها وذكر انه قد ورد في الاخبار المتواترة بان مع كل ورقة وثمرة وحبة تخرجها الارض من النبات ملكا موكلا يربيها وينشؤها ويحفظها من الآفات العارضة لها الى ان تتم وتكمل وتبلغ الى أقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها كل ذلك باذن الله خالقها وبارئها وكذلك حكم الحيوانات اجمع كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » ونحن نسمي ما كان منها موكلا بالنبات النفس النباتية واعلم يا أخي ان الله جل ثناؤه قد أيد النفس النباتية بسبع قوى فعالة وهي القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغاذية والقوة المصورة والقوة النامية

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان كل قوة من هذه تفعل شيئاً خلاف ما تفعل القوة الاخرى فى أجسام الحيوان والنبات فاما أول فعلها فى تكون النبات فهو جذبها عصارات الاركان الاربعة ومصها لطيفها وما فيها من الاجزاء المشاكلة لنوع نوع من أصول النبات ثم امساكها لها بالقوة الماسكة ثم نضجها لها بالهاضمة ثم دفعها الى أطرافها بالدافعة ثم تغذيتها لها بالغاذية ثم النمو والزيادة في أقطارها بالنامية ثم التصوير لها بانواع الاشكال والاصباغ بالمصورة وذلك ان القوة الجاذبة اذا مصت نداوة الماء بعروق النبات كما يمتص الحجام الدم بالمحجمة او كما تمص النار الدهن بالفتيلة وجذبتها انجذبت معها الاجزاء الترابية اللطيفة لشدة انجذابها فاذا حصلت تلك المادة فى عروق النبات نضجتها الهاضمة وصارت كيموساً على مزاج ما شاكلها من الجرم والعروق وتناولتها القوة الغاذية والصقت بكل شكل ما يلائمه من تلك المادة وزادت في أقطارها طولا وعرضا

وعمقاً وما فضل من تلك المادة ولطف ورق دفعته الى فوق فى أصول النبات وقضبانها وأغصانها وجذبته الجاذبة الى هناك وأمسكته الماسكة لئلا يسيل راجعاً الى أسفل ثم أن القوة الهاضمة تنضجها مرة ثانية وتغير مزاجها وكيفيتها وتصيرها مشاكلة لجرم الاصول والفروع والاغصان ومادة لها وزادت فى أقطارها طولا وعرضا وعمقاً وما فضل منها ولطف ورق دفعته الى فوق الى اعالى الفروع والقضبان والاغصان وجذبته الجاذبة الى هناك وأمسكته الماسكة ثم ان القوة الهاضمة طبختها مرة ثالثة وانضجتها وصيرتها على مزاج آخر مشاكلا لجرم الورق والنور والزهر واكمام الحب والثمر مادة لها وتزيدت في أقطارها طولا وعرضاً وعمقاً وما لطف منها ورق صيرته مادة للحب والثمر وأمسكته هناك بالماسكة ثم ان القوة الهاضمة تطبخها مرة رابعة وتنضجها وتلطفها وتميزها وتصير الغليظ منها والكثيف منها مادة لجرم القشور والنوى وتزيد فيها طولا وعرضاً وعمقاً وتصير اللطيف الصافي منها مادة للف الحب والثمر وهو الدقيق والدهن والشيرج والدبس ، واللون والطعم والرائحة مختلفة طباعها ومنافعها ومضارها وأمزجتها في درجاتها. ولما هي مذكورة في كتب الطب وكتب الاغذية والحشائش بشرحها تركنا ذكرها مخافة التطويل فهذه الافعال التي ذكرناها كلها أفعال النفس النباتية الخادمة للنفس الحيوانية المتوسطة بينها وبين الاركان الاربعة تتناول بعروقها عصاراتها نيا فجاً ثم تصفيها وتطبخها وتناولها الحيوان غذاء لطيفاً صافياً لذيذاً هنيئاً مريئاً كل ذلك لطف من الله جل ثناؤه بخلقه وشفقته عليهم ورحمة لهم ورفق بهم فله الحمد والثناء والشكر والدعاء ومنه الفضل والنعماء والآلاء والاحسان في الآخرة

واعلم يا أخي أن النباتات هي كل جسم يخرج من الارض ويتغذى وينمو فمنها ما هي أشجار تغرس قضبانها أو عروقها ومنها ما هي زروع تبذر حبوبها أو بذورها أو قضبانها . ومنها ما هي أجزاء تتكون من أجزاء الاركان اذا

اختلطت وامتزجت كالكلأ والحشائش فهذه الثلاثة الاجناس يتنوع كل واحد منها أنواعاً كثيرة من جهات عدة وصفات مختلفة نحتاج ان نذكر منها طرفاً ونشرحها ليكون قياساً على باقيها ودليلا من القليل على الكثير ونبدأ أولا بذكر الاشجار فنقول :

أن الشجر هو كل نبت يقوم على ساقه منتصباً أصله مرتفعاً فى الهواء ويدور عليه الحول لا يجف . وأما النجم فهو كل نبت لا يقوم أصله على ساقه مرتفعاً فى الهواء بل يمتد على وجه الارض أو يتعلق بالشجر ويرتقي معه في الهواء كيما يحصل عند ثقل ثماره بتلابيبه كشجرة الكرم والقرع والقثاء والبطيخ وما شاكلها

وأعلم بأن من الشجر ما هو تام كامل . ومنها ما هو ناقص غير كامل فالتام الكامل من الاشجار ما كان له هذه التسعة الاجزاء ، وهي الاصل ، والعروق ، والقضبان ، والفروع ، والورق ، والنور ، والثمر ، واللحا ، والصمغ ، والناقص منها ما ينقص واحدة من هذه الاوصاف وأكثر كشجرة الالب ، وأم غيلان ، والخلاف ، والطرفا ، وما شاكلها مما لا ثمرة لها أو ما لا ورقة لها أو ما لا نور لها أو ما لا صمغ لها

واعلم بأن من الاشجار التامة ما هي أتم وأكمل من بعض وتتفاضل في ذلك جهات عدة فمنها ما هو من جهة أصولها وذلك أن منها ما يقوم على أصول ويرتفع فى الهواء ويتفرع فى الجهات كشجرة التين ، والتوت ، واللوز ، والجوز ، وغيرها . ومنها ما يرتفع فى الهواء منتصباً مفرداً مثل شجر النخل ، والسرو ، والقنا ، والصفصاف ، والساج ، وغيرها . وهكذا حكم عروقها فى الارض فان منها ما تنزل عروقه في الارض كالأوتاد منتصبة . ومنها ما يذهب في الجهات على الاستقامة . ومنها ما ينعطف ويتعوج ويلتف . ومنها ما يجاور بعضه بعضا فى منابته ويزدحم . ومنها ما ينفرد ولا ينبت تحتها معها غيرها . ومن النبات والشجر ما ورقه وثمرته متناسبات في الكبر ، واللون ، والشكل ، واللمس ، كالاترج

والنارنج ، والليمون ، والكمثرى ، والتفاح ، وما شاكلها ، ومن النبات والشجر ما ثمرته وحبه غير مناسب لورقه في الكبر مثل شجر الرمان ، والتين ، والعنب ، والجوز ، والنخل وغيرها مما شاكلها وذلك أن شجرة الاترج مدحرج الشكل ثمرها أخضر اللون لين اللمس مناسب لورقه والنارنج مستدير الشكل مناسب لورقة شجره والكمثرى مخروط الشكل وكذلك ورقة شجرته والتفاح مستدير الشكل وكذلك ورقة شجرته

وأما ثمرة الرمان فغير مناسبة في الكبر لورقة شجرتها وكذلك التين والعنب وغيرهما وعلى هذا القياس حكم حبوب النبات وبذورها منهاما هو مناسب ومنها ما هو غير مناسب كل ذلك لعلل وأسباب ومآرب

﴿ فصل في بيان أجناس النبات من جهة الاماكن ﴾

واعلم يا أخي بأن من النبات ما ينبت في البراري والقفار ومنه ما ينبت على رؤوس الجبال ، ومنه على شطوط الانهار وسواحل البحار ، ومنه ما ينبت في الآجام والغياض ، ومنه ما يزرعه الناس ويغرسونه في القرى والسوادات والبساتين والافرجة

واعلم يا أخي بأن أكثر النبات ينبت على وجه الارض الا القليل منه فانه ينبت تحت الماء كقصب السكر والارز والنيلوفر وأنواع من العكش

ومن النبات ما ينبت على وجه الماء كالطحلب ومنه ماينسج على الشجر والنبات كالكشوثا واللبلاب ، ومنه ما ينبت على وجه الصخور كخضراء الدمن

ومن النبات ما لا ينبت الا في البلدان الدفيئة ومنه ما لا ينبت إلا في البلدان الباردة . ومنه ما لا ينبت الا في التربة الطيبة . ومنه ما لا ينبت الا في الرمال وبين الحصى والحجارة والصخور والارض اليابسة . ومنه ما لا ينبت الا في الاراضي السبخة المشورجة

﴿ فصل فى اختلاف النبات من جهة الازمان ﴾

اعلم بأن أكثر العشب والكلأ والحشائش ينبت في أيام الربيع لاعتدال الزمان وطيب الهواء وكثرة الامطار المتقدمة في الشتاء. وأما الذي ينبت منها في الفصول الثلاثة فهي قليلة . فنها مايزرعها الناس ويتعهدونها بالسقي كالحنطة والشعير والباقلا والعدس وغيرها مما يزرع في الخريف ويحصد في الربيع . ومنها ما يزرع فى الشتاء ويدرك في الربيع كالقثاء والخيار والباذنجان . ومنها ما يزرع في الخريف ويستحكم فى الشتاء كالجزر والشلغم والكرنب والقرنبيط . ومنها ما يزرع فى الصيف ويحصد فى الخريف كالسمسم والذرة والارز وغيرها ومنها ما يزرع فى الربيع ويستحكم فى الخريف كالقطن والقنب وغيرها

واعلم يا أخي أن الباري الحكيم جل ثناؤه جعل أوراق النبات زينة لها ودثاراً لثمارها ووقاية لحبوبها ونورها وزهرها من الحر والبرد المفرطين ومن الرياح العواصف والغبار وشدة وهج الشمس وجعلها أيضا ظلالا للحيوانات وكنالها وستراً ووطاء وغذاء ومادة لأجسادها وأدوية ومنافع كثيرة وهكذا حكم ثمارها وحبوبها وبذورها ولحائها وعروقها وأصولها ولبسها وقضبانها وفروعها كل واحدة من هذه الانواع ذات منافع كثيرة لايعلمها إلا الله وذكر منها طرف فى كتب الطب وكتاب الحشائش وما لم يعلم ولم يذكر أكثر مما علم وذكر

واعلم يا أخي بأن من أوراق الشجر والنبات ما هو مستطيل الشكل ومنه ما هو مخروط الرأس مدور الأسفل ومنه مستدير الشكل ومنه سقطي الشكل صليبي ومنه ليلساني الشكل وسابوري الشكل ومنه زيتوني الشكل ومنه جابوتي الشكل ومنه ذو الاصابع مقسوم بنصفين ومنه مثلثات ومنه مزدوجات متقابلات ومنه مفردات متجانبات ومنه واسع عريض طويل ومنه ضيق العرض قليل الطول ثخين لين ومنه غليظ خشن ومنه دقيق أملس شفاف أملس ومنه طيب الرائحة ومنه منتن الرائحة ومنه مر الطعم ومنه حلو الطعم وغيرها من الطعوم

وأكثر ألوان ورق النبات أخضر ولكن منها مشبع اللون ومنها أغبر اللون ومنها صافي اللون ومنها كمد اللون ومنها لون ظاهرها خلاف باطنها وهكذا حكم ثمارها وحبوبها وبذورها وأنوارها وأزهارها كل ذلك لعلل وأسباب وما رب ذلك تقدير العزيز العليم . وذلك أن من الثمار ما له قشرة رقيقة نسجها حريري شفاف ومنها ما قشرته غليظة نسجها ليفي موزى أو غضروفي صلب أو خزفي يابس أو شبكي مربع واسع أو نسيجي كروشي ثخين ومن الثمار ما في جوف قشرته شحمة ثخينة أو جامدة أو رطبة سيالة عذبة أو حلوة أو عفصة أو مرة أو مالحة أو تفهة أو حامضة أو دهنية دسمة . ومن الثمار ما في جوف شحمه نواة مستديرة الشكل مستطيلة أو مخروطة أو مصمتة أو مجوفة أو في داخلها لبة دسمة أو مرة أو حلوة أو طعم آخر من الطعوم التسعة ومن الثمار ما في جوف شحمه حب صغار أو كبار صلب أو رخو عليها رطوبة لزجة أو تكون قشفة صلبة مختلفة الاشكال أو مجوفة في داخلها لب أو تكون فارغة .

واعلم يا أخي بأن بين أوراق الشجر والنبات وبين ثمارها وحبوبها ونورها وأزهارها مناسبات ومشاكلات في الصغر والكبر أو متباينات متفاوتات من جهات عدة . فمنها من جهة الصورة والشكل ومنها من جهة اللون والطعم والرائحة ومنها من جهة اللين والخشونة والصلابة والرخاوة ومنها من جهة الكبر والصغر والسعة والضيق والثخن والرقة والشفافة والكدر والازدواج والانفراد وغير ذلك مما يطول شرحه كل ذلك لعلل واسباب وما رب لا يعلم كنهها الا الله تعالى الذي خلقها وأبدعها كما علمها .

ولكن نذكر من ذلك طرفا ونخبر بعللها الهيولانية واسبابها الصورية وأغراضها التامية ليكون دليلا على الباقية وتنبيهاً لنفوس الغافلين عن التفكر في غرائب مصنوعات الباري الحكيم جل ثناؤه ويكون عبرة لأولي الابصار الذين يتفكرون في خلق السموات والارض والآيات التي في الانفس والافاق وليكون أيضاً ارشاداً لقلوب المتحيرين الذين يظنون انها ليست بصنع صانع

حكيم ولاقصد قاصد بل اتفاق وينسبونها الى الطبيعة ولا يدرون ماالطبيعة والى النجوم والافلاك ولايدرون كيف ذلك ولم ذلك ولماذا وجد

واعلم يا أخي بان من الثمار ماهو طويل الشكل مدحرج الحلقة مختلف الالوان على نواه قشرة رقيقة حريرية لينة المس صلبة النسج وعلى هذه النواة شحمة ثخينة عليها قشرة صلبة ملساء وعلى ظهر النواة نقرة وفى الجانب المقابل خضرة مستطيلة فيها حشو ليفي وعلى رأس الثمرة من خارج قمة عليها شظيات متفرقة متشبثة بالثمرة ومادة هذه الثمرة من قبل النضج عفصة وبعد النضج حلوة لزجة وهو التمر .

ومن الثمار ماشكله مستدير وخلقته كبيرة عليه قشرة كثيفة ليفية ثخينة مجوفة من داخل واسعة فيها خزائن مقومة وفيها دماص مقسمة عليها حبوب مرصعة اشكالها مخروطة في جوف تلك الحبوب نواة خزفية رخوة في داخلها لبة دسمة وفي أسفل رأس الثمرة من خارج فتحة مستديرة فيها غشاوة ليفية وعليها شظيات نابتة وحولها شرفات قائمة مخروطة وهو ثمر الرمان.

ومن الثمار ماشكله مستدير املس وشحمته ثخينة في جوفه نواة مستديرة حسن اللون حسن الملمس في داخل النواة لبة دسمة وهو النبق

ومن الثمر ماشكله مستدير سفطي عليه قشرة ليفية ثخينة من داخلها قشرة أخرى خزفية صلبة مجوفة فيها خزائن مقسومة فيها لبة دسمة عليها قشرة رقيقة وبينها حجب منخرقة أقسامها مهندمة واذا فصلت هذه الثمرة انفصلت بنصفين كالسفطين وهي ثمرة الجوز.

ومن الثمار ماشكله مخروط سفطي وعليه قشرة ليفية فيداخلها قشرة خزفية صلبة فيها ثقب نافذ فيها فتايل ليفية وفى داخل هذه القشرة لبة دسمة عليها قشرة رقيقة صلبة وهى ثمرة اللوز

ومن الثمار ليس له نوى وعليه قشرة لحمية وشكله مخروط صنوبري وفى أسفله ثقبة مستديرة فيها شظيات زبيرية وفى جوف هذه الثمرة حبوب صغار

رخوة وطعم مادته قبل النضج لين أبيض غليظ حاد محرق وبعد النضج طعمه حلو وهو ثمرة التين.

ومن الثمار ما اشكاله مختلفة مستدير ومستطيل ومدحرج ومخروط ومختلف الالوان أسود وأبيض واحمر وأصفر واغبر عليه قشور رقيقة صلبة ملسة ملصقة بشحمتها وفي جوف شحمتها حبوب مختلفة الاشكال زيتونية فقاعية مضاعفة ومفردة ومزدوجة وثلثة اربعة خزفية وعظامية ومنها صلبة ومنها رخوة في جوف تلك الحبوب لبة دسمة ومادة شحمتها قبل النضج حامضة وقبل ذلك عفصة وبعد النضج حلوة وهي ثمرة الاعناب.

ومن الثمار ماأشكاله مخروطة أو صدفية عليها قشور رقيقة ملتصقة بشحمتها وهي غليظة ثخينة في داخلها نواة خزفية اشكالها صدفية داخلها ملساء فيها لبة دسمة والوان هذه الثمار مختلفة وطعمها عذب وحلو ومر وحامض وقبل النضج كلها عفصة وهي الاجاص والمشمش والخوخ وأمثالها.

ومن الثمار مااشكاله كرية أو مستطيلة أو مدحرجة وعليها قشور لحية غليظة طعم شحمتها حامض وفي داخلها حب صغار على دعاص مرصعة شبه التلال ما بين خللها لحمة طعمها حامض والوان قشرها أحمر وأخضر وأصفر ومادتها قبل النضج عفصة مثل الاترج والنارنج والليمون وما شاكلها

ومن الثمار ماهي ذات خبة صغيرة وفي داخلها نواة خزفية وفي جوفها لبة دسمة مثل الحبة الخضراء والفستق والسماق وحب الصنوبر

ومن الثمار مالاينضج مثل البلوط والعفص وثمر السرو والاهليلج

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه بان البارى جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع الكائنات جعل أصلها كلها من هيولى واحدة وخالف بينها بالصور المختلفة وجعلها أجناساً وأنواعا مختلفة متفننة متباينة وقوى مابين اطرافها وربط أوائلها وأواخرها بما قبلها رباطاً واحداً على ترتيب ونظام لما فيه

من اتقان الحكمة واحكام الصنعة لتكون الموجودات كلها عالما واحداً منتظما نظاما واحداً وترتيباً واحدا لتدل على صانع احد .

فمن أجل تلك الموجودات المختلفة الاجناس المتباينة الانواع المربوطة أوائلها باواخرها وأواخرها بما قبلها في الترتيب وانتظام المولدات ، الكائنات التي دون فلك القمر وهي أربعة اجناس: المعادن والنبات والحيوان والانسان وذلك ان كل جنس منها تحته انواع كثيرة فمنها ماهو فى أدون المراتب ومنها ماهو في اشرفها واعلاها.

ومنها ماهو بين الطرفين فادون اطراف المعادن مما يلي التراب الجص والزاج وانواع الشبوب. والطرف الاشرف الياقوت والذهب الاحمر والباقي بين هذين الطرفين من الشرف والدناءة كما بينا في رسالة المعادن .

وهكذا أيضاً حكم النبات فانه انواع كثيرة متباينة متفاوتة ولكن منه ماهو في ادون الرتبة مما يلي رتبة المعادن وهى خضراء الدمن

ومنها ماهو فى اشرف الرتبة مما يلي رتبة الحيوان وهي شجرة النخل وبيان ذلك أن أول المرتبة النباتية وادونها مما يلي التراب هي خضراء الدمن وليس بشيء سوى غبار يتلبد على الارض والصخور والاحجار ثم تصيبه الامطار وانداء الليل فيصبح بالغد كأنه نبت زرع وحشائش فاذا أصابه حر شمس نصف النهار جف ثم يصبح من غد مثل ذلك من أول الليل وطيب النسيم ولا تنبت الكمأة ولا خضراء الدمن الا في ايام الربيع في البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما لان هذا معدن نباتي وذلك نبات معدني .

وأما النخل فهو آخر المرتبة النباتية مما يلي الحيوانية وذلك ان النخل نبات حيواني لان بعض احواله مباين لاحوال النبات وان كان جسمه نباتاً ، بيان ذلك ان القوة الفاعلة منفصلة من القوة المنفعلة والدليل على ذلك ان اشخاص الفحولة منه مباينة لاشخاص الاناث ولاشخاص فحولته لقاح في أناثها كما يكون ذلك للحيوان .

فأما سائر النبات فان القوة الفاعلة فيها ليست بمنفصلة عن القوة المنفعلة بالشخص بالفعل حسب مابينا في رسالة لنا وأيضاً فان النخل اذا قطعت رؤوسها جفت وبطل نموها ونشؤها وماتت .

كل ذلك موجود في الحيوان فبهذا الاعتبار تبين ان النخل نباتي بالجسم حيواني بالنفس إذ كانت افعاله افعال النفس الحيوانية وشكل جسمه شكل النبات .

وفي النبات نوع آخر فعله أيضاً فعل النفس الحيوانية لكن جسمه جسم النبات وهو الكشوث وذلك ان هذا النوع من النبات ليس له أصل ثابت في الارض كما يكون لسائر النباتات ولا له أوراق كاوراقها بل انها تلتف على الاشجار والزروع والشوك فتمتص من رطوبتها وتتغذى بها كما يتغذى الدود الذي يدب على ورق الاشجار وقضبان النبات ويقرضها فيأكلها ويتغذى بها وهذا النوع من النبات وان كان جسمه يشبه النبات فان فعل نفسه فعل الحيوان فقد بان بما وصفنا أن آخر الرتبة النباتية متصل باول المرتبة الحيوانية وأما سائر المراتب النباتية فهي بين هذين .

واعلم ياأخي بأن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الانسان كما ان أول المرتبة النباتية متصل بآخر المرتبة المعدنية وأول المرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء كما بينا قبل . فأدون الحيوان وأنقصه هو الذي ليس له إلا حاسة واحدة فقط وهو الحلزون وهي دودة في جوف أنبوبة تنبت تلك الأنبوبة على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوبة وتبسط يمنة ويسرة تطلب مادة يتغذى بها جسمها فاذا أحست برطوبة ولين انبسطت اليه وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف تلك الأنبوبة حذراً من مؤذ لجسمها ومفسد لهيكلها وليس لها سمع ولا بصر ولاشم ولاذوق إلا الحس واللمس فقط وهكذا أكثر الديدان التي تتكون في الطين وفي قعر البحار

وأعماق الانهار ليس لها سمع ولا بصر ولاذوق ولاشم لأن الحكمة الالهية من مقتضاها أن لاتعطي الحيوان عضواً لايحتاج اليه في جذب المنفعة ودفع المضرة لأنها لو أعطته مالايحتاج اليه لكان وبالا عليه في حفظه وبقائه

فهذا النوع حيوان نباتي لان جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات ويقوم على ساقه قائماً ، وهو من أجل أن يتحرك جسمه حركة اختيارية حيوان ومن أجل انه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أنقص الحيوان رتبة في الحيوانية وتلك الحاسة أيضاً فقد يشارك بها النبات ، وذلك ان النبات له حس اللمس فقط . والدليل على ذلك ارساله بعروقه نحو المواضع الندية وامتناعه من ارسالها نحو الصخور واليبس أيضاً فانه متى اتفق منبته في مضيق مال وعدل عنه طالباً للفسحة والسعة فان كان فوقه سقف يمنعه من الذهاب علواً وكان له ثقب من جانب مال الى نحو تلك الناحية حتى اذا طال طلع من هناك

فهذه الأفعال تدل على أن له حساً وتمييزاً بمقدار الحاجة . وأما حس الألم فليس للنبات وذلك انه لم يلق بالحكمة الالهية أن تجعل للنبات ألماً ولم تجعل له حيلة الدفع كما جعلت للحيوان وذلك ان الحيوان لما جعلت له أن يحس بالألم جعلت له أيضاً حيلة الدفع إما بالفرار والذهاب والهرب وإما بالتحرز وإما بالممانعة فقد بان بما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي النبات فنريد أن نبين كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسان فنقول :

ان رتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسانية ليست من وجه واحد ولكن من عدة وجوه . وذلك ان رتبة الانسانية لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للمناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان ولكن عدة أنواع فمنها ماقارب رتبة الانسانية بصورة جسده مثل القرد ومنها ماقاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس في كثير من أخلاقه ومنها كالطائر الانساني أيضاً ومثل الفيل في ذكائه وكالببغاء والهزار ونحوهما من الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات ومنها

النحل اللطيف الصنائع الى ماشا كل هذه الأجناس وذلك انه مامن حيوان يستعمله الناس ويأنس بهم الا ولنفسه قرب من نفس الانسانية

أما القرد فلقرب شكل جسمه من شكل جسد الانسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الانسانية وذلك مشاهد منه متعارف بين الناس

وأما الفرس الكريم فانه قد بلغ من كرم أخلاقه أنه صار مركباً للملوك وذلك انه ربما بلغ من أدبه انه لايبول ولايروث مادام بحضرة الملك أو حاملا له وله أيضاً مع ذلك ذكاء واقدام في الهيجاء وصبرعلى الطعن والجراح كما يكون الرجال الشجعان كما وصف الشاعر فقال :

واذا شكا مهري الي جراحه عنداختلاف الطعن قلت له اقدما
لما رآني لست أقبـل عذره عض الشكيم على اللجام وحمحما

وأما الفيل فانه يفهم الخطاب بذكائه ويمتثل الامر والنهي كما يمتثل الرجل العاقل المأمور المنهى .

فهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوان مما يلي رتبة الانسان لما يظهر فيها من الفضائل الانسانية . وأما باقي أنواع الحيوانات فهي فيما بين هاتين المرتبتين فسبحان الخالق البارىء القادر القاهر الحكيم العالم الذي خلق الخلائق بقدرته وفضل البعض على البعض برحمته وخلق النبات مع اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها ومنافعها مصلحة ومنفعة لخلقه وخلق الحيوانات الخسيسة والشريفة لنظام العالم ومعايش الخلائق بوجدانهم تعالى الله علواً كبيراً

واذ قد فرغنا من ذكر مراتب الحيوانية مما يلى مراتب الانسانية فينبغي أن نذكر أولا المرتبة الانسانية ممايلي الحيوانية

فصل

اعلم يا أخي بأن أول مرتبة الانسانية التى تلى مرتبة الحيوانية هي مرتبة الذين لايعلمون من الامور الا المحسوسات ولا يعرفون من العلوم الا الجسمانيات

ولايطلبون الا اصلاح الاجساد ولايرغبون الا في رتب الدنيا ولايتمنون الا الخلود فيها مع علمهم بأنه لاسبيل لهم الى ذلك ولا يشتهون من اللذات الا الاكل والشرب مثل البهائم ولا يتنافسون الا في الجماع والنكاح كالخنازير والحمير ولا يحرصون الا على جمع الذخائر من متاع الحياة الدنيا ويجمعون مالايحتاجون اليه كالنمل ويحبون مالاينتفعون به كالعقعق ولايعرفون من الزينة الا أصباغ اللباس كالطواويس ويتهارشون على حطام الدنيا كالكلاب على الجيف فهؤلاء وان كانت صورهم الجسدانية صورة الانسان فان أفعال نفوسهم أفعال النفوس الحيوانية والنباتية فأعيذك أيها الاخ البار الرحيم أن تكون منهم أو مثلهم وايانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

وأما رتبة الانسانية التي تلي رتبة الملائكة فهو أن يجتهد الانسان ويترك كل عمل وخلق مذموم قد اعتاده من الصبا ويكتسب أضداده من الاخلاق الجميلة الجيدة ويعمل عملا صالحا ويتعلم علوما حقيقية ويعتقد آراء صحيحة حتى يكون انسان خير فاضلا وتصير نفسه ملكا بالقوة فاذا فارقت جسدها عند الموت صارت ملكا بالفعل وعرج بها الى ملكوت السماء ودخلت في زمرة الملائكة ولقيت ربها بالتحية والسلام كما ذكر الله جل ثناؤه « تحيتهم يوم يلقونه سلام » وقال تعالى « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقال تعالى « لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون » وقال « ادخلوا الجنة التي كنتم توعدون » وآيات كثيرة من القرآن في هذا المعنى

واذ قد ذكرنا طرفاً من كيفية أصول الأشجار وثمارها وأوراقها ذكرا مجملا فنريد أن نذكر أيضاً طرفاً من علل فنون تركيبها والأسباب التي من أجلها وجب أن تكون كذلك ليتبين ما الغرض منها والعناية الربانية بها والحكمة الالهية فيها لتكون دليلا وقياساً على غيرها مما لايعلم أحد كنه غايتها الا الله الذي خلقها وصورها وأنشأها وأتمها لبلوغ غاياتها وتمام نهاياتها

فمن ذلك شجرة النخيل فانها كثيرة العروق دقيقتها بطيئة النشؤ طويلة العمر منتصبة الارتفاع مستديرة الاصل، مسدسة مخارج السعف مستطيلة الاوراق مزدوجة مقابل رخو الجرم متخلخلة تركيب الجسم محشو خللها بزبير رخو ماتف حوله على أصول سعفه ليفات منسوجة موازية طبقات ثلاث

وأما علة كثرة عدد عروق هذه الشجرة فهي لكيما تجذب بها القوة الطبيعية الجاذبة المواد الكثيرة وذلك لشدة حاجة هذا الجنس من النبات الى المواد الكثيرة لكبر جثتها وعظم جرمها وطول قامتها وكثرة عدد سعفاتها وأوراقها لكيما تستعمل في جرم أصولها طولا وعرضاً وعمقاً وبعضها في جرم سعفها مثل ذلك وبعضها في جرم أوراقها مثل ذلك وبعضها في ليفها وبعضها في جرم أكمام طلعها وبعضها في جرم قضبان قنواتها وبعضها في جرم نواة ثمرها ودبسها وشيرجها

وأما العلة في جعل تركيب جسم أصلها رطباً رخوا متخلخلا فلكيما يسهل على القوى الطبيعية جذب تلك المواد من أسفلها الى أعاليها ورؤوس أجذاعها وفروع سعفها وأوراقها فلو كان جرم أصلها صلباً متكاثفاً مكتنزاً كسائر الاشجار الطوال كالساج والدلب والسرو لعسر على القوى الطبيعية جذب تلك المواد الى هناك ولكثرة عدد عروق شجر النخل ولطافته علة أخرى وذلك أن أصل جرمه لما كان مركباً من قضبان كأنها خيوطات مجموعة متداخلة جعل لكل خيط منها عروق ممتدة في الارض تمتص بها المواد الى ذلك الخيط مفرداً ليسهل على الطبيعة تقسيم تلك المواد على تلك القضبان من أول الامر ولما كان تركيب جرم شجر النخل على ما ذكرنا من الرخاوة والتخلخل لفت عليها الطبيعة سعفات من الليف على أصول مخارج سعفاتها من أجذاعها كأنها مآزر مشدودة على وسط حمال متشمر كل ذلك لكيما تمسك أصول تلك السعفات على جذوعها ولا تنفصل عنها عند هز الرياح العاصفة لها ولا تتصدع تلك الاجذاع من ثقل أعاليها على أسافلها عند ميلانها يمنة ويسرة عند تحريك الرياح لها

وأما السبب الذي من أجله جعل على الطلع الغلاف فلكيما يحفظه ويصونه من الآفات العارضة من البرد والحر المفرطين والمطر الشديد والرياح والعواصف والغبار وما شاكل هذه الاشياء المضرة بها لأنها تخرج رطبة ندية رخصة رخوة فاذا استحكمت واشتدت انشقت تلك الاكمام والغلف عنها وظهرت لنسيم الهواء وحرارة الجو لتربو وتسمن وتنضجها حرارة الشمس وتصير بسراً ورطباً جنياً هضيماً ثم تجف وتصير تمراً ودبساً جامداً

وأما النساجة الحريرية التي على نواه فجعلت حاجزة بين جرم النواة ودبس الثمرة لئلا يمتص عفوصة جرم النواة وغلظ جوهرها دبس التمر وشيرجها لأن من طبع جواهر الاجسام الارضية أن تشرب نداوة الرطوبات الرقيقة الدهنية وتمتصها فلو لم تجعل تلك الغشاوة الرقيقة الحريرية النسج هناك لاختلط دبس الثمرة مع جرم نواتها وقل الانتفاع بها

وأما الحفرة المستطيلة في جرم نواة الثمرة والفتيلة التي فيها فانما جعلت تلك لكيما تجري فيها تلك المواد من أولها الى آخرها وتجمد أولا فأولا

وأما النقرة التي على ظهر النواة فانما جعلت تلك باباً ومخرجاً عند الغرس ومن هناك يخرج العرق النازل في الارض ليجذب المواد ويمتص النداوة والرطوبة من المغرس ومن هناك تخرج الطاقة المورقة التي تبدو أولا وتظهر من الارض عند الغرس ثم تصير أصلا وجذعاً على مرور الايام وطول الزمان

وأما الاقماع التي على رؤوس الثمرات فجعلت تلك مصفاة للمواد التي تجذبها القوى الطبيعية الى هناك وتميز الغليظ من اللطيف وترسل اللطيف الرقيق الى ظاهر جرم الثمرة وتجمده عليها دبساً وشيرجا وترسل الغليظ الفحل الى جرم النواة وتجمده عليها

وأما ثمار الجوز واللوز والفستق وأشباهها فتفعل بها الطبيعة مثل هذا التمييز سواء ولكنها ترسل الغليظ الفحل الى ظاهرها واللطيف الرقيق الى باطنها بالعكس مما تفعل في ثمرة التمرة

وأما ثمرة التين والجميز فلم يميز لطيفها من غليظها لان موادها وكيموسها معتدلان وليس بين الاجزاء الارضية والاجزاء المائية كثير تفاوت فلم تحتج الطبيعة أن تميزهما وتفصلهما مثل ما فعلت في ثمرة التمرة والجوز وما شاكلها من سائر الثمار بل قد ميزت الطبيعة تلك المادة بأجزاء أخرى فجعلت في داخل الثمرة حبوباً صغاراً وعلى خارجها قشرة رقيقة ظاهرة صاينة لرطوبتها من الغبار والقذى

وأما كيفية تركيب عروق شجرة التين وجرم أصولها وقضبانها وورقها وثمرها فهي على غير تركيب شجرة النخلة وذلك أن عروق التين غلاظ ذاهبات تحت الارض في الجهات مستقيما ومعوجاً في عمقها وفيها تجويفات مثل ما فى جوف القصب لكنها أضيق قليلا وهكذا تركيب أصول شجر التين وقضبانها وفروعها فيها تجويفات لطيفة ولها عقد مثل عقد القصب وفى تلك التجويفات زبيرية محشوة خللها

وأما سبب تلك التجويفات التي في عروقها وأصولها وقضبانها فهو لكيما يسهل على القوي الطبيعية الجاذبة جذب تلك المواد من عمق الارض والتي هي الاجزاء الارضية ورطوبات مائية الى أصول أشجارها ورفعها من أسافلها الى أعالي رؤوسها وأطراف فروعها وجعلت تلك العقد في مواضع تلك التجويفات وحشيت زبيراً لكيما يسهل على القوة الماسكة امساك تلك المواد هناك لئلا ترجع الى أسفل بثقلها وتبقى هناك تهضمها القوة الهاضمة وتستعملها القوة الغاذية وتزيد في أجرامها وأطرافها طولا وعرضاً وعمقاً القوة النامية

وأما شجرة العنب فقد ركب جرم أصولها وجسم قضبانها تركيباً غير تركيب شجرة النخل والتين ، أما عروقها فتذهب تحت الارض ممتدة فى الجهات دقاقاً وغلاظاً وفيها تجويفات مثل ما في عروق شجرة التين ولكن جرم أصولها يمتد طويلا على وجه الارض ولا يكاد يقوم على ساقه مرتفعاً في الهواء كثيراً

كغيره من الاشجار وعلى ظاهر قضبانه عقد وأنابيب ظاهرة مجوفات محشوة زيرا مثل قضبان شجر التين للغرض الذي ذكرنا وعليها أليفة منسوجة رخوة سلسة وعند عقد قضبانها تخرج شيطات لينة منبثة تلتف على الاشجار وتتعلق بها وترتقي عليها لتحل عليها ثقل ثمرتها لان أصولها دقيقة لا تطيق حملها ويخرج من ثمرتها حبات مجتمعة متجاورة متعلقة لتغطيها ورقة واحدة على عناقيدها غير محتاجة الى غلاف أو أكمام تصونها من الآفات مثل ما تحتاج ثمرة النخل لان مثل مادتها غليظة صلبة عفصة لا تعرض لها الآفات كما تعرض لثمرة النخل لانها تخرج رخوة رخصة ندية ترفة تسرع اليها الآفات

وأما تركيب ثمرة العنب وحباتها فاذا نضجت تبين عليها هناك قشرة رقيقة حريرية النسج جعلت تلك لتحفظ رطوباتها هناك ودبسها وشيرجها من الآفات العارضة لها من الرياح والغبار ، وحرارة الشمس أن تنشف تلك الرطوبات أو تحللها كما تفعل بالمياه المستنقعات وجعل في وسط لحمها عجمات صلبة خزفية مجوفة في داخلها لب دسم هو بذر العنب وبزوره وانما لم يحتج الى أن يكون بين تلك العجمات وبين دبس العنب غشاوة رقيقة مثل ما بين نواة التمرة ودبسها كما ذكرنا قبل لان تلك العجمات وان كانت جواهرها أرضية عفصية فهي صغيرة وهي أيضاً رخوة ليست صلابتها كصلابة نواة التمرة وغلظ جوهرها وعلة أخرى أنها مجوفة في داخلها لب دسم فلم تجف الطبيعة حتى تنشف تلك العجمات بشيرج العنب ولم تجعل بينهما حاجزاً كما جعلت في خلقة التمرة وعلة أخرى أيضاً أن دبس العنبة وشيرجها كثير بالاضافة الى جرم تلك العجمات وليس حكم جرم نواة التمرة ودبسها مثل ذلك بل جرم نواتها بالاضافة الى دبسها وشيرجها كثير فان قال قائل أو ظن متوهم أن الاشجار تغرس ولا تحتاج الى بذر يزرع وبزر يحفظ الى وقت الحاجة فما الحكمة فما كون عجمات العنب وحبات ثمرة التين وغيرها في جوفها فليعلم هذا القائل بان الحكمة الالهية والعناية الربانية لم يذهب عليها هذا المقدار

من العلم ولكن خفيت عليك تلك العلة وذلك السبب فاعترضتك الشكوك والحيرة والظنون والتخيل الفاسد والوهم الكاذب وقد ذكرنا علتها وسببها وجواب سؤالك في موضع آخر تجده ان شاء الله تعالى

تمت الرسالة السابعة من الطبيعيات في ماهية النبات وهي الرسالة العشرون من رسائل اخوان الصفا وتتلوها الرسالة الثامنة في بيان تكوين الحيوانات



الرسالة الثامنة

من الجسمانيات الطبيعيات

في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها

وهي الرسالة الثانية والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أنه لما فرغنا من ذكر النباتات وبينا طرفاً من كيفية تكوينها ونشؤها ونموها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص طباعها ومنافعها ومضارها في رسالة لنا وبينا فيها أيضاً بأن أول مرتبة النبات متصلة بآخر مرتبة الجواهر المعدنية وان آخرها متصل بأول مرتبة الحيوان فنريد أن نذكر في هذه الرسالة أيضاً طرفاً من كيفية تكوين الحيوانات وبدء كونها ونشؤها ونمائها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص طباعها واختلاف أخلاقها ونبين أيضاً بأن آخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الانسان وآخر مرتبة الانسان متصل بأول مرتبة الملائكة الذين هم سكان الهواء والأفلاك وأطباق السموات ليكون في ذلك بيان ودليل لمن كان له قلب صاف ونفس زكية وعقل راجح على كيفية ترتيب الموجودات ونظام الكائنات عن علة واحدة ومبدأ واحد وانها كترتيب العدد عن الواحد الذي قبل الاثنين . ونبين أيضا

بأن نسبة صورة الانسانية الى صور سائر الحيوانات كنسبة الرأس من الجسد وتفسه كالسائس وأقسها كالمسوس

وقد بينا في رسالة الاخلاق بأن صورة الانسانية هي خليفة الله في ارضه وبينا فيها أيضا كيف ينبغي أن تكون سيرة كل انسان حتى يستأهل أن يكون من أولياء الله ويستحق الكرامة منه وبينا أيضا في أكثر رسائلنا فضيلة الانسان وخصاله المحمودة وأخلاقه المرضية ومعالمه الحقيقية وصنائعه الحكمية وتدابيره المرضية وسياسته الربانية ، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفا من فضائل الحيوانات وخصالها المحمودة وطبائعها المرضية وشمائلها السليمة ونبين أيضا طرفا من طغيان الانسان وبغيه وتعديه على ماسواه مما سخر له من الانعام والحيوانات أجمع وكفرانه النعم وغفلته عما يجب عليه من أداء الشكر وان الانسان اذا كان فاضلا خيراً فهو ملك كريم خير البرية وان كان شريراً فهو شيطان رجيم شر البرية وجعلنا بيان ذلك على ألسنة الحيوانات ليكون أبلغ في المواعظ وأبين في الخطاب وأعجب في الحكايات وأظرف في المسامع وأطرف في المنافع وأغوص في الافكار وأحسن في الاعتبار

فصل

وأعلم أيها الاخ أيدك الله وايانا بروح منه بأن الجواهر المعدنية هي في أدون مراتب المولدات من الكائنات وهي كل جسم متكون منعقد من أجزاء الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وان النبات يشارك الجواهر في كونها من الاركان ويزيد عليها وينفصل منها بأن كل جسم يتغذى من الاركان وينمو ويزيد في أقطارها الثلاثة طولا وعرضاً وعمقا وان الحيوان أيضا يشارك النبات في الغذاء والنمو ويزيد عليه وينفصل عنه بأنه جسم متحرك حساس . والانسان يشارك النبات والحيوان في أوصافها ويزيد عليها وينفصل عنها بأنه ناطق مميز جامع لهذه الاوصاف كلها

فصل

ثم اعلم يا أخي بأن النبات متقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمان لانه مادة لها كلها وهيولى لصورها وغذاء لأجسادها وهو كالوالدة للحيوان أعني النبات وذلك انه يمتص رطوبات الماء ولطائف أجزاء الارض بعروقه الى أصوله ثم يحيلها الى ذاته ويجعل من فضائل تلك المواد ورقاً وثماراً وحبوباً نضيجاً ويتناول الحيوان غذاء صافياً هنيئاً مريئاً كما تفعل الوالدة بالولد فانها تأكل الطعام نضيجاً ونيئاً وتناول ولدها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين فلو لم يكن النبات يفعل ذلك من الاركان لكان يحتاج الحيوان الى أن يتغذى من الطين صرفاً ومن التراب سفاً ويكون منغصاً في غذائه وملاذه . فانظر ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه الى معرفة حكمة الباري جل ثناؤه كيف جعل النبات واسطة بين الحيوان وبين الاركان حتى يتناول بعروقه لطائف الاركان وعصاراتها ويهضمها وينضجها ويصفيها ويناول الحيوان من لطائف لبابها وحبوبها وقشورها وورقها وثمارها وصموغها ونورها وأزهارها لطفاً من الله تعالى بخلقه وعناية منه ببريته فتبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين

فصل

ثم اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الحيوان ماهو تام الخلقة كامل الصورة كالتي تنزو وتحبل وتلد وترضع ومنها ماهو ناقص الخلقة كالذى تتكون من العفونات ومنها ماهو كالحشرات والهوام بين ذلك كالتي تتفذو تبيض وتحضن وتربي

ثم اعلم بأن الحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخلقة بالزمان في بدء الخلق وذلك انها تتكون في زمان قصير والتي هي تامة الخلقة تتكون في زمان طويل لأسباب وعلل يطول شرحها وقد ذكرنا طرفاً منها في رسالة مسقط النطفة ورسالة الافعال الروحانية ونقول أيضاً ان حيوان الماء

وجوده قبل وجود حيوان البر بزمان لان الماء قبل التراب والبحر قبل البر في بدء الخلق

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن الحيوانات التامة الخلقة كلها كان بدء كونها من الطين أولا من ذكر وانثى توالدت وتناسلت وانتشرت في الارض سهلا وجبلا وبراً وبحراً من تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار متساويين والزمان أبداً معتدلا هناك بين الحر والبرد والمواد المتهيئة لقبول الصورة موجودة دائما وهناك أيضاً تكون أبونا آدم ابو البشر وزوجته ثم توالد وتناسلت أولادهما وامتلأت الارض منهم سهلاوجبلا وبراً أو بحراً الى يومنا هذا

ثم اعلم يا أخي بأن الحيوانات كلها متقدمة الوجود على الانسان بالزمان لانها له ولاجله وكل شيء هو من أجل شيء آخر فهو متقدم الوجود عليه، هذه الحكمة في أولية العقل لا تحتاج الى دليل من المقدمات ونتائجها لانه لو لم يتقدم وجود هذه الحيوانات على وجود الانسان لما كان للانسان عيش هنيء ولا مروة كاملة ولا نعمة سائغة بل كان يعيش عيشاً نكداً فقيراً بائساً بسوء الحال كما سنبين بعد هذا في فصل آخر عند فراغ زعيم أهل المدن من خطابهم وكيفية أحوالهم كيف تكون عند فقدان الحيوانات

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن صور النبات منكوسة الانتصاب الى أسفل لان رؤوسها نحو مركز الارض ومؤخرها نحو محيط الافلاك والانسان بالعكس من ذلك لان رأسه مما يلي الفلك ورجليه مما يلي مركز الارض في أي موضع وقف على بسيطها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالا من الجوانب كلها ومن هذا الجانب ومن ذلك الجانب والحيوانات متوسطة بين ذلك لا منكوسة

كالنبات ولا منتصبة كالانسان بل رؤوسها الى الآفاق ومؤخرها الى ما يقابله من الافق الآخر كيف ما دارت وتصرفت في جميع أحوالها وهذا الوضع والترتيب الذي ذكرنا من أمر النبات والحيوانات والانسان أمر الهي بواجب الحكمة الالهية والعناية الربانية ليكون في ذلك دلالة وبيان لاولى الابصار والناظرين في أسرار الخلقة والباحثين عن حقائق الاشياء والمعتبرين بما في الارض من الآيات والعلامات والدلالات بأن قوى النفس الكلية المنبثة في العالم من أعلى فلك المحيط الى منتهى مركز الارض بعضها منتصب نحو المركز وبعضها منصرف الى المركز المحيط وبعضها منبث متوجه نحو الآفاق على المركز في كل فج منها جنود الله متصرفين لحفظ العالم وتدبير الخلائق والسياسة الكلية ومآرب أخرى لا يعرف كنه معرفتها أحد الا الله عز وجل

وقد بينا في رسالة لنا بأن قوى النفس الكلية أول ما تبتديء تسري في قعر الاجسام من اعلا سطح فلك المحيط الى نحو مركز الارض فاذا سرت في الافلاك والكواكب والاركان والمولدات وبلغت الى مركز الارض من أقصى مدى غايتها ومنتهى نهاياتها عطفت عند ذلك راجعة نحو المحيط وهو المعراج والبعث والقيامة الكبرى

فانظر الآن ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه كيف يكون انصراف نفسك من هذا العالم الى هناك فانها هي احدى تلك القوة المنبثة من النفس الكلية السارية في العالم وقد بلغت الى المركز وانصرفت ونجت من الكون في المعادن أو في النبات أو في الحيوان وقد جاوزت الصراط المنكوس والصراط المقوس وهي الآن على صراط مستقيم آخر درجات جهنم وهي الصورة الانسانية فان جاوزت وسلمت من هذه دخلت الجنة من أحد أبوابها وهي الصورة الملكية التي تكسبها بأعمالك الصالحة وأخلاقك الجميلة وآرائك الصحيحة ومعارفك الحقيقية وبحسن اختيارك فاجتهد يا اخي قبل الفوت وفناء العمر وتقارب

الاجل واركب مع اخوانك في سفينة النجاة يرحمك الله برحمته ولا تكن مع المغرقين واخوان الشياطين

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن الحيوان هو جسم متحرك حساس يتغذى وينمو ويحس ويتحرك حركة مكان وان من الحيوان ما هو في أشرف المراتب مما يلي رتبة الانسانية وهو ما كانت له الحواس الخمس والتمييز الدقيق وقبول التعليم . ومنه ما هو في أدون رتبة مما يلي النبات وهو كل حيوان ليس له الا حاسة اللمس حسب . كالاصداف وما كان كاجناس الديدان كلها تتكون في الطين أو في الماء أو في الخل أو في الثلج أو في لب الثمر أو في الحب أو لب النبات والشجر أو في أجواف الحيوانات الكبار الجثة وما اشبهها

وهذا النوع من الحيوانات أجسامه لحمية وبدنه متخلخل وجلده رقيق وهو يمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبة ويحس اللمس وليس له حاسة أخرى لا الذوق ولا الشم ولا السمع ولا البصر غير اللمس وحسب . وهو سريع التكون وسريع الهلاك والفساد والبلى ومنها ما هو أتم بنية وأكمل صورة وهو كل دودة تتكون وتدب على ورق الشجر والنبات ونورها وزهرها ولها ذوق ولمس . ومنها ما هو أتم وأكمل وهو كل حيوان له لمس وذوق وشم وليس له سمع ولا بصر وهي الحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواضع المظلمة . ومنها ما هو أتم وأكمل وهو كل حيوان من الهوام والحشرات التي تدب في المواضع المظلمة له لمس وذوق وسمع وشم وليس له بصر مثل الخلدة فباللمس قوام جثته وبالذوق يميز الغذاء من غيره وبالشم يعرف مواضع الغذاء والقوت وبالسمع يعرف وطأ المؤذيات له فيحترز قبل الورود والهجوم عليه ولم يجعل له البصر لانه يعيش في المواضع المظلمة ولا يحتاج الى البصر ولو كان له بصر لكان ذلك وبالا عليه من حفظه فقى اغماض العين من القذي ضرورة لان الحكمة

الالهية لم تعط الحيوان عضوا ولا حاسة لا يحتاج اليها ولا ينتفع بها ومنه ماهو أتم بنية وأكمل صورة وهو ماله خمس حواس كاملة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر ثم يتفاضل في الجودة والدون

فصل

ومن الحيوانات مايتدحرج كدودة الثلج ومنها مايزحف كدودة الصدف ومنها ماينساب كالحية ومنها مايدب كالعقارب ومنها مايعدو كالفأر ومنها مايطير كالذباب والبق . ومما يدب ويمشي ماله رجلان ومنها ماله أربع أرجل ومنها ماله ستة أرجل ومنها ماله أكثر كالدخال ومما يطير من الحشرات ماله جناحان ومنها ماله اربعة اجنحة ومنها ماله ستة أرجل وأربعة أجنحة ومشفر ومخالب وقرون كالجراد ومنها ماله خرطوم كالبق والذباب ومنها ماله مشفر وحمة كالزنابير . ومن الهوام والحشرات ماله فكر وروية وتمييز وتدبير وسياسة مثل النمل والنحل يجتمع جماعة منهم ويتعاونون على أمر المعيشة واتخاذ المنازل والبيوت والقرى وجمع الذخائر والقوت للشتاء ويعيش حولا وربما زاد وما كان غير هذين من الهوام والحشرات مثل البق والبراغيث والذباب والجراد وماشاكلها فانهـا لا تعيش حولا كاملا لانه يهلكها الحر والبرد المفرطان ثم يتكون في العام القابل مثلها

فصل

ومن الحيوان ماهو أتم بنية مما ذكرنا وأكمل صورة منها وهو كل حيوان بدنه مؤلف من أعضاء مختلفة الاشكال وكل عضو مركب من عدة قطعات من العظام وكل قطعة منها مفننة الهيئات من الطول والقصر والدقة والغلظ والاستقامة والاعوجاج ومؤلفة كلها بمفاصل مهندمة التركيب مشدودة الاعصاب والرباطات محشوة الخلل باللحم منسوجة بالعروق محصنة بالجلدة مغطاة بالشعر والوبر والصوف والريش أو الصدف أو الفلوس وفي باطن أجسادها أعضاء رئيسية كالدماغ والرئة والقلب والكبد والطحال والكليتين والمثانة والأمعاء والمصارين

والاوراد والمعدة والكرش والحوصلة والقانصة وماشا كلها

وفي ظاهر البدن ارجل وأيد واجنحة وذنب ومخالب ومناقير وحافر وظلف وخف وما شاكلها كل ذلك لمآرب وخصال عدة ومنافع جمة لايعلمها الا الذي خلقها وصورها وأنشأها وأتمها وأكملها وبلغها الى اقصى غاياتها وتمام نهاياتها .

وهذه كلها أوصاف الانعام البهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح وبعض حيوان الماء وبعض الهوام كالحيات والانعام وهو كل ماله ظلف مشقوق

والبهائم ما كان لها حافر والسباع ما كان لها أنياب ومخالب الوحوش ما كان مركباً بين ذلك

والطيور ما كان لهــا اجنحة وريش ومنقار . والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مقوس ومخالب معقفة معقربة .

وحيوان الماء مايقيم فيه ويعيش والحشرات مايطير وليس لها ريش والهوام مايدب على رجلين أو أربعة أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبيه

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منــه بان الحيوانات الــكبيرة الجثة العظيمة البنية التي لها عظام كبار وجلود ثخان وأعصاب غلاظ وعروق واسعة وأعضاء كبيرة مثل الفيل والجمل والجاموس وغيرها تحتاج أن تمكث فى الرحم زماناً طويلا الى ان تلد لعلتين اثنتين احداهما كيما تجتمع فى الرحم تلك المواد التي تحتاج اليها الطبيعة في تتميم البنية وتكميل الصورة.

والعلة الاخرى كيما تدور الشمس في الفلك وتقطع البروج المثلثات المشاكلات الطباع وتحط من هناك قوى روحانيات الــكواكب الى عالم الــكون والفساد التي تحتاج اليها في تتميم قوى النفس النامية النباتية وقوى النفس الحيوانية الحاسة ليقبل من كل جنس من الــكائنات المولدات ماله أن يقبــل من تلك القوى

كما بينا طرفاً من ذلك في رسالة مسقط النطفة

ثم اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الحيوانات التامة الخلقة الكبيرة الجثة العظيمة الصورة كلها كونت في بدء الخلق ذكراً وأنثى من الطين تحت خط الاستواء حيث يكون الليل والنهار هناك متساويين والحر والبرد معتدلين والمواضع الكنينة من تصاريف الرياح موجودة هناك والمواد كثيرة متهيئة لقبول الصورة.

ولما لم يكن في الارض مواضع موجودة بهذه الاوصاف جعلت ارحام أناث هذه الحيوانات على هذه الاوصاف من اعتدال الطباع لكيما اذا انتشرت في الارض تناسلت وتوالدت حيث كانوا وأكثر الناس يتعجبون من كون الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من كونها في الرحم من ماء مهين وهي أعجب في الخلقة واعظم في القدرة لان من الناس من يقدر أن يصور حيوانا من الطين أو من الخشب أو من الحديد أو من النحاس كما هي موجودة مشاهدة في أيدي الناس من خلقة الاصنام .

ولا يمكن لاحد أن يصور حيوانا من الماء لان الماء جسم سيال لا تتماسك فيه الصورة فتكون هذه الحيوانات في الارحام أو في البيض من ماء مهين أعجب في الخلقة وأعظم في القدرة من كونها من الطين .

وأيضاً ان أكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل أكثر من خلقة البقة وهي أعجب خلقة وأظرف صورة لان الفيل من كبر جثته له اربعة ارجل وخرطوم ونابان خارجيان والبقة مع صغر جثتها لها ستة أرجل وخرطوم وأربعة أجنحة وذنب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وامعاء وأعضاء أخرى لا يدركها البصر وهي مع صغر جثتها مسلطة على الفيل بالأذية ولا يقدر عليها ولا يمتنع بالتحرز منها وأيضاً فان الصانع البشري يقدر على أن يصور فيلا من الخشب أو من الحديد أو من غيرها بكماله ولا يقدر احد من الصناع أن يصور بقة لا من الخشب ولا من الحديد بكمالها .

وايضاً فان كون الانسان من النطفة بديئا ثم في الرحم جنيناً ثم في المهد رضيعاً ثم في المكتب صبياً ثم في تصاريف أمور الدنيا رجلا حكيما أعجب أحوالا وأعظم اقتداراً من كونه يبعث من تراب قبره يوم القيامة وخروج الناس كأنهم جراد منتشر .

وهكذا أيضاً مشاهدة خروج عشرين فرخة من تحت حضن دجاجة واحدة أو ثلاثة دراجات من تحت حضن دراجة واحدة ينفض عنها قشور بيضها في ساعة واحدة وعدو كل واحدة في طلب الحب وفرارها وهربها من الطالب لها حتى ربما لايقدر عليها أعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة فما الذي منع المنكرين من الاقرار بذلك وهم يشاهدون مثل هذه التي أعجب هي منها وأعظم في القدرة لولا جريان العادة بها

﴿ فصل ﴾

اعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه بان مشاهدة جريان الامور دائما اذا صارت عادة قل تعجب الناس منها والفكر فيها والاعتبار لها ويعرض لهم من ذلك سهو وغفلة ونوم النفس وموت الجهالة .

فاحذر من هذا الباب ياأخي ولاتكن من الغافلين وكن من الذين ذكرهم الله في كتابه ومدحهم بقوله : « الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » وذم الذين بخلافهم بقوله « وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

﴿ فصل ﴾

واعلم ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه بان أبدان الحيوانات التامة الخلقة والناقصة الخلقة جميعاً مؤلفة ومركبة من اعضاء مختلفة الاشكال والمفاصل مفننة الهيآت كالرأس واليد والرجل والظهر والبطن والقلب والكبد والرئة وغيرها

كل ذلك لاسباب وعلل وأغراض لايعلم كنهمعرفتهاالاالله الذى خلقها وصورها كما شاء وكيف شاء

ولكن نذكر منها طرفاً ليتبين صحة ماقلنا وحقيقةماوصفناوذلك أنهمامن عضو في أبدان الحيوانات صغيراً كان أو كبيراً الا وهو خادم لعضوآخر ومعين له اما في بقائه وتتميمه أو في افعاله ومنافعه مثال ذلك الدماغ فى بدن الانسان فانه ملك الجسد ومنشيء الحواس ومعدن الفكر وبيت الروية وخزانة الحفظ ومسكن النفس ومجلس محل العقل.

وان القلب خادم للدماغ ومعينه فى أفعاله وان كان هو أمير الجسد ومدبر البدن ومنشأ العروق الضوارب وينبوع الحرارة الغريزية وخادم القلبومعينه فى افعاله ثلاثة أعضاء أخرىوهى الكبد والعروق الضوارب والرئة

وهكذا حكم الكبد بيت الشراب يخدمه ويعينه فى افعاله خمسة أعضاء أخرى وهي المعدة والاوراد والطحال والمرارة والكليتان.

وهكذا أيضاً حكم الرئة بيت الريح يخدمها ويعينها فى افعالها أربعة أعضاء أخرى وهى الصدر والحجابوالحلقوم والمنخران وذلك ان من المنخرين يدخل الهواء المستنشق الى الحلقوم ويعتدل فيه مزاجه ويصل الى الرئة ويتصفى فيها ثم يدخل الى القلب ويروح الحرارة الغريزية هناك وينفذ من القلب الى العروق الضوارب ويبلغ الى سائر اطراف البدن الذي يسمى النبض ويخرج من القلب الهواء المحترق الى الرئة ومن الرئة الى الحلقوم ومن الحلقوم الى المنخرين أو الى الفم والصدر يخدم الرئة فى فتحه لها عنداستنشاق الهواءوضمهاياهاعندخروج النفس والحجب تحفظ الرئة من الآفات العارضة لها عند الصدمات والدفعات واضطراب أحوال البدن

وهكذا حكم الكبد تخدمه المعدة بانضاج الكيموس قبل وصوله اليه وتخدمه الاوراد بمصها وايصالها اليه بحال يجذب عكر الكيموس من الاخلاط الغليظة المحترقة منها الى نفسها وتخدمه المرارة بجذب المرة الصفراء الى نفسها

وتصفية الدم منها وتخدمه الكليتان بجذب الرطوبة الرقيقة اللينة منها الى نفسها وهو الذي يكون منه البول وتخدمه العروق المجوفة بجذب الدم اليها وايصاله الى سائر أطراف الجسد الذي هو مادة لجميع أجزاء البدن

وهكذا يخدم المريء والأسنان والفم المعدة وذلك ان الفم هو باب الجسد الذي يدخل منه الطعام والشراب الى عمق الجسد والاسنان تخدمها بالطحن اوالدق والمريء يزدرد ويبلع ويوصلها الى المعدة والامعاء تجذب الثفل وتخرجه من الجسد .

وعلى هذا المثال والقياس مامن عضو في بدن الحيوان الا وهو يخدم البدن في أفعاله ويخدمه عضو آخر ويعينه في أفعاله والغرض الاقصى منها كلها هو بقاء الشخص وتتميمه وتبليغه الى أكمل حالاته امابذاته أو ببقاء نسله أطول مايمكن في جنس جنس ونوع نوع وشخص شخص

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الحيوانات ماهو أخرس لامنطق له ولاصوت كالسرطان والسلاحف والسمك ، وبالجملة أكثر حيوان الماء الا القليل منها مثل الضفدع والراديا ومنها ماله صوت وهو كل حيوان يستنشق الهواء ويسمع له دوي وزمر كالبق والذباب والزنابير والصراصير والجراد وماشا كلها ويكون ذلك من تحريك أجنحتها

واعلم بأن أصوات الحيوانات المتنفسة متفننة كثيرة الاختلاف من الطول والقصر والغلظ والعظم والصغر والجهير والخفيف وفنون الطنين والزمير والالحان والنغم كل ذلك بحسب طول أعناقها وقصرها وسعة مناخيرها وحلاقيمها وضيقها وصفاء طبائعها وغلظها وشدة قوة استنشاقها الهواء وارسالها وتعديل أنفاسها بعد ترويح الحرارة الغريزية التي في قلوبها أو في عمق أجسادها

والعلة في ان حيوانات الماء أكثرها لاأصوات لها لانها لارئات لها ولا

تستنشق الهواء ولم يجعل لها ذلك لانها لاتحتاج اليها وذلك ان الحكمة الالهية والعناية الربانية جعلت لكل حيوان من الاعضاء والمفاصل والعروق والاعصاب والغشاوات والاوعية بحسب حاجته اليه فى جر المنفعة أو دفع المضرة في بقاء شخصها وتتميمه وتكميله وبلوغه الى أقصى مدى غاياته ولسبب بقاء نسلها من آلات السفاد والقاح وتربية الاولاد وكل حيوان هو أتم بنية وأكمل صورة فهو أكثر حاجة الى أعضاء كثيرة وآلات مختلفة وأدوات معينة في بقاء شخصه ونتاج نسله . وكل حيوان أنقص بنية وأدون صورة فهو أقل حاجة الى اعضاء مختلفة وادوات مفننة في بقاء شخصه ودوام نسله

بيان ذلك ان الحيوانات ثلاثة أنواع : فمنها ماهو أتم وأكمل وهو كل حيوان ينزو ويحبل ويرضع ويربى الاولاد . ومنها مادون ذلك وهو كل حيوان يسفد ويبيض ويفرخ . ومنها دون ذلك وهو كل حيوان لايسفد ولايبيض ولايلد بل يتكون في العفونات ولايعيش سنة كاملة لان الحر والبرد المفرطين يهلكانها لان أجسادها متخلخلة مفتحة المسام وليس لها جلد ثخين ولاصوف ولاشعر ولاوبر ولاصدف ولاعظام ولاعصب ولافلوس فهي لاتحتاج الى الرئة ولاالطحال ولا المرارة ولاالكلى ولاالمثانة ولااستنشاق الهواء لترويح الحرارة الغريزية إذ كان نسيم الهواء يتصل الى عمق أبدانها لصغر جثتها وفتح مسامها ويحفظ الحرارة الغريزية التى فى مزاج أبدانها وتركيب طبائعها

وأما الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية التى عليها جلود ثخان ولحوم كثيرة وغشاوات وعروق وأعصاب وعظام مصمتة ومجوفة وأضلاع ومصارين وأمعاء وكروش ومعدة وقلب ورئة وطحال وكليتان ومثانة وقحف الرأس والشعر والوبر والصوف والريش والصدف وماشاكلها مما يمنع وصول نسيم الهواء الى عمق أبدانها وترويح الحرارة الغريزية فيها فقد جعل لبعضها رئة وحلقوم ومجار النفس لكيما يصل نسيم الهواء الى عمق أبدانها ومحابس قعر أجسادها ويروح

الحرارة الغريزية فيها ويحفظ الحياة عليها الى وقت معلوم . فهذا الذي ذكرناه هو حكم الحيوانات التامة الخلقة الكاملة الصورة التي تستنشق الهواء وتتنفس منه وتعيش فيه

وأما أجناس الحيوانات التي تعيش في المياه ولاتخرج منها فانها لا تحتاج الى استنشاق الهواء ولاالتنفس منه لان الباريء الحكيم جل ثناؤه لماخلقها في الماء وجعل حياتهامنه وفيه جعلهاعلى طبيعة واحدة وهي طبيعة الماء وركب أبدانها تركيباً يصل برد الماء ورطوبته الى قعر أبدانها وعمق أجسادها وتروح الحرارة الغريزية التي في طباع تركيبها وتنوب عن استنشاقها الهواء وتنفسها منه وجعل لكل نوع منها أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لجثته وجعل على أبدانها من أنواع الصدف وفنون الفلوس وماشاكلها لباساً لها ودثاراً من الحر والبرد وغطاء ووطاء ووقاية لها من الآفات العارضة وجعل لبعضها أجنحة وأذناباً تسبح بها في الماء مثل الطيور في الهواء وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل مأكولها أكثر عدداً من نسل آكلها كل ذلك غرضاً لبقاء اشخاصها ودوام نسلها زمانا طويلا أطول مايمكن في حياتها وطباعها

وأما اجناس الطيور التي هي سكان الهواء وقاطنوه فان الباري الحكيم جل ثناؤه جعل ابدانها مختصرة من اعضاء كثيرة مما في ابدان الحيوان البري الذي يحبل ويلد ويرضع ليخفف عليها النهوض في الهواء والطيران فيه وذلك ان الباري لم يجعل للطير اسناناً ولا أذنا بينة ولا معدة ولا كرشاً ولا مثانة ولا خرزات الظهر ولا جلدا ثخيناً ولا على أبدانها شعراً ولا صوفا ولا وبرا بل جعل بدل ذلك ريشاً لباساً لها ودثارا من الحر والبرد وغطاء ووطاء ووقاية من الآفات العارضة ويعينها على النهوض والطيران وبدل الاسنان منقارا وبدل المعدة حوصلة وبدل الكرش قانصة

وعلى هذا القياس بدل كل عضو عدم منه عضوا آخر مشاكلا لابدانها

ومناسباً لاجسادها بحسب مآربها ومنافعها ودفع المضار عنها كل ذلك أسباب وعلل لبقاء اشخاصها ودوام نسلها مدة ماأطول مايمكن فى طبائعها وجبلتها

وأما أجناس الحيوانات البرية الآكلة منها العشب فان البارى الحكيم جعل لها أفواها واسعة تتمكن من القبض على الحشيش والكلأ فى الرعى وجعل لها اسنانا حداداً تقطع بها واضراساً صلابا تطحن بها الصلب من العشب والحب والورق والقشر والنوى وجعل لها مريا واسعاً زلقاً تزدرد به ماتمضغه وكروشاً واسعة محلة تملأها وتحمل فيها زادها فاذا اكتفت رجعت الى أماكنها ومرابطها وبركت واستراحت

ومنها ماتجتر وتسترجع مابلعته وتطحنه ثانية وتبلع وتزدرد الى مواضع آخر من كروشها خلقتها غير خالقة الاولى متهيئة لطبخ الحرارة الغريزية لها والتمكن من نضجها لكيما تستمرء بها الطبيعية وتميز ثقلها من لطيفها وتدفع الثقل الى الامعاء والمصارين ويخرج من الثقب والمواضع المعدة لذلك وترد اللطيف الصافى الى الكبد لتطبخها ثانية وتصفيها وتفيض اخلاطها على الاوعية المعدة لقبولها مثل الطحال والمرارة والقلب والكليتين والعروق المجوفة التى هى كالانهار والجداول فى ابدانها ليجري ذلك الدم الصافي فيها الى سائر اطراف اجسادها وتخلف بدلا عما تحلل من ابدانها إذ كانت اجساد الحيوانات كلها فى الذوبان والسيلان من اسباب داخلة ومن اسباب خارجة .

وما يفضل من تلك المواد فى ابدان الذكر فقد جعل البارى الحكيم لها أعضاء وأوعية ومجاري يحصل فيها وهي النطفة تجري منها الى ارحام الاناث عند السفاد والنزو والجماع .

وجعل في ابدان الاناث أعضاء وأوعية ومجار يحصل فيها وينضاف اليها مايدخل في ابدان الاناث من الرطوبات المشاكلات لها على مر الايام والشهور وتجتمع وتكثر ويخلق البارى الحكيم منها صورة مثل أحد الزوجين كما شاء

وكيف شاء كما بينا طرفا من ذلك في رسالة مسقط النطفة وكل هذه الاسباب والعلل عناية من الباري الحكيم جل ثناؤه لبقاء اشخاصها ودوام نسلها زماناً طويلا أطول مايمكن ويتهيأ في ذلك النوع من الحيوان تبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين وارحم الراحمين

﴿ فصل ﴾

وأما السباع الأكلة اللحمان فان خلقتها وطباعها وتركيب بعض أعضائها الظاهرة والباطنة وأمزجتها وشهواتها مخالفة لما عليه الحيوانات الأكلة العشب وذلك ان الباري لما خلقها وجعل غذاءها من أكل اللحمان ومادة أبدانها من جثة الحيوانات جعل لها انيابا صلابا ومخالب مقوسة قوية وزندات متينة ووثبات خفيفة وقفزات بعيدة شديدة تستعين بها على قبض الحيوانات وضبطها وخرق جلودها وشق أجوافها وكسر عظامها ونهش لحومها من غير رحمة لها ولا شفقة عليها

وقد تحير أكثر العقلاء وتاه أكثر العلماء والفلاسفة الحكماء من المحققين بفكرتهم في هذا وبحثهم عن عللها وما وجه الحكمة والصواب في هذا وقد بينا نحن ما الحكمة وما الصواب في ذلك في رسالة العلل والمعلولات وسنذكر طرفاً منه في هذه الرسالة في فصل آخر ان شاء تعالى .

﴿ فصل ﴾

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بان الباري الحكيم لما خلق أجناس الحيوانات المختلفة الصور والطباع والمتصرفات قسمها اربعة اقسام :

فمنها سكان الهواء وهي أنواع الطيور أكثرها والحشرات جميعها.

ومنها سكان الماء وهو كل حيوان يسبح في الماء كالسمك والسرطان والضفادع والصدف ونحو ذلك .

ومنها سكان البر وهي البهائم والانعام والسباع ومنها سكان التراب وهي

الهوام . وجعل في كل قسم منها بعضا آكلا وبعضا مأكولا

وذلك ان من الطير ماياكل الحب والثمر ومنها ماياكل اللحم وهي الجوارح وكل ماله مخلب ومنقار مقوس لايقدر أن يلتقط الحب أو يأكل الثمر

وهكذا حكم حيوان الماء بعضه آكل وبعضه مأكول وهكذا حكم حيوان التراب من الهوام كالحيات والضب والقطايا واشباهها

فصل

واعلم ياأخي أيدك الله وايانا بروح منه ان الباري الحكيم لما خلق الحيوانات التامة البنية قسم بنية أجسادها نصفين اثنين يمنة ويسرة ليكون مطابقاً لأول العدد وللامور المثنوية العنصرية التي ذكرناها في رسالة المباديء وجعلها ثلاث طبقات وسطاء وطرفين ليكون مطابقاً لاول عدد فرد وللأمور ذوات الاوساط والطرفين وجعل مزاج أبدانها من أربعة أخلاط مطابقاً لاول عدد مجذور ومطابقاً أيضاً لاربع طبائع بعددالاركان الاربعة وجعل لها خمس حواس دراكة لصور المحسوسات ومطابقا لاول عدد دائر ولعدد الطبائع الاربع والخامسة الطبيعة الفلكية وجعل فيها قوة تتحرك بها الى ست جهات مطابقا لاول عدد تام ولعدد سطوح المكعب وجعل في أبدانها سبع قوى فعالة مطابقاً لاول عدد كامل ولعدد الكواكب السيارة وجعل في أبدانها ثمان مزاجات : أربعة مفردة واربعة مزدوجة مطابقا لاول عدد مكعب ولعدد مناسبات الموسيقى وجعل تركيب أبدانها وتأليف أجسادها من تسع طبقات مطابقا لاول عدد فرد مجذور ولعدد طبقات الافلاك المحيطات وجعل في أبدانها اثنى عشر ثقباً أبوابا لحواسها ومآربها مطابقاً لاول عدد زائد ولعدد بروج الفلك وأسس بناء أجسادها على أعمدة ظهورها ثمانية وعشرين خرزة مطابقاً لعدد تام ولمنازل القمر وجعل في أبدانها ثلاثمائة وستين عرقا لجريان الدم الى سائر أطراف أبدانها مطابقا لعدد درج بروج الفلك ولعدد أيام السنة وعلى هذا

القياس والمثال اذا عدوا عتبر وجد عدد كل عضو مطابقا لعدد جنس من الموجودات فقد تبين بما ذكرنا معنى قول الحكماء الفيثاغوريين أن الموجودات بحسب طبيعة العدد وذلك تقدير العزيز العليم

فصل

في ذكر تصانيف أحوال الطيور وأوقات الطيور وأوقات هيجانها وسفادها وكيفية اتخاذها اعشاشها واصلاح أوكارها وكمية بيضها ومدة حضانتها وكيفية تربيتها لاولادها فنقول

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن من الطيور ما يتزاوج ويتعاشق ويهيج ويسفد في سائر فصول السنة ويعاون الذكر منها الانثى في تحضين البيض وفي تربية الاولاد كالحمام ومنها ما لا يعاون لا فى الحضانة ولا في تربية الاولاد كالديك ومنها ما لا يهيج في السنة الامرتين عند الفصلين المعتدلين الربيع والخريف وفى الصيف وأكثر الطيور لا تهيج ولا تسفد الا في آخر الشتاء عند استقبال الربيع وتبيض فيه وتحضن وتربى أولادها لعلمها بطيب الزمان واعتدال الهواء وكثرة الريف والقوت الموجود في أكثر الاماكن

ومن الطيور ما تتخذ عشاشها بين أغصان الشجر وأوراقها . ومنها ماتتخذه فى الاراضين الدغلة بين الحشيش والشوك كالقبج والدراج والطيهوج . ومنها فى ثقب الحيطان أو فى أصول الاشجار . ومنها تحت السقوف . ومنها على رؤوس الحيطان والخرابات . ومنها على رؤوس الجبال والتلال . ومنها على شطوط الانهار وسواحل البحار ، ومنها ما تتخذ في البراري والقفار وبين الاحجار . ومن طيور الماء ما يأخذ بيضها باحدى رجليه على صدره ويسبح بالاخرى الى أن تحضن وتخرج فراخها

ومن الطيور ما يبيض ويحضن بيضتين . ومنها أربع ، ومنها ست ، ومنها ثمان ومنها عشرة واثنتي عشرة وعشرين وثلاثين

ومن الطيور ما يربي فراخه بما في حوصلته من الحب المنقوع ومنها ماتلقم أفراخها بمنقارها من الصيد والحب والثمر ، ومنها ما تفقص من بيضها بعضا وتحسيه أفراخها كالنعامة ومنها ما يبحث في الارض ويلقي الى افراخه الحب والدبيب كالدراج والدجاج

ومن الطيور ما هو سريع الطيران دائما طول النهار كالخطاف . ومنها ماهو ثقيل الطيران قليلا كالسمان ومنها بعيد الورد كالقطا ، ومنها بعيد الاسفار كالغراب . ومنها ما لا يفارق الموطن كالعصافير . ومنها ما تطير في أسفارها قطاراً كقطار الجمال كالكركي ومنها ما يطير مصطفا متحاذيا كصف المصلين . ومنها ما يطير جماعات مختلطات ملتئمة . ومنها ما يطير مستقبلا الريح . ومنها ما يطير مستدبرا لها . ومنها ما يطير موربا على الجانب ، ومنها ما يطير متوجها قاصداً ومنها مايطير مرتفعا ومنخفضا ويمنة ويسرة ، ومنها مايطير مستقيما قاصداً ومنها ما اذا نهض للطيران عدا على وجه الارض خطوات ثم استعلى في الجو . ومنها ما ينهض منتصبا دفعة واحدة . ومنها ما يرتقي في جو الهواء مختلفا مستديراً كالصاعد الى المنابر . ومنها ما اذا استقل استقل متعرجا منعطفا كالصاعد للعقبة . ومنها ما اذا استقل في جو الهواء أمسك عن تحريك جناحيه . ومنها ما يمسكها تارة ويحركها تارة أخرى . ومنها ما اذا أراد النزول الى الارض نكس رأسه وزج نفسه منقضا ومصوبا كالمطر يوم الريح . ومنها ما ينزل برفق ملويا كما ينزل من المنارة . ومنها ما ينزل معطفاً يمنة ويسرة كما تنزل الدواب من العقبة ، ومنها ما ينزل مدليا رجليه ضاما جناحيه أو مدليا مرسلا وكل واحد من الطيور متناسب الجناحين من الطول والعرض والوزن والعدد وفي كل جناح أربعة عشر طاقة ريش صلبة قصباتها مجوفة خفاف مصطفة من جانب ومتوازية من جانب وتمامها طاقات أخر أقصر منها موفور الدثار من الجانبين يسد خللها طاقات وعلى أبدان الطائر طاقات من الريش أقصر من ذلك وهو لباس لها وفي خللها طاقات

أخرى صغار لينة الزبير بينة الريف هي دثار لها ووطأ وغطأ من الحر والبرد وزينة لها

وأيضاً أكثر الطير ذنبه مناسب لجناحيه وعدده اثنى عشرةطاقية أو أنقص

ومن الطير ماذنبه أوفر من جناحيه كالطاووس . ومنها ما جناحاه وافران طويلان وذنبه قصير كالكراكى

ومن الطير ما ينتقض عن فرخه البيض وهو موفر عليه ريشه كالدراج والدجاج . ومنها ما يكون معرى من الريش ثم يخرج ريشه فى ايام التربية كفراخ الحمام

ومن الطير ما على ريشه دهنا فلا يبتل كطير الماء . ومنها ما يرمى بريشه في كل سنة ويخرج له غيره ومنه ما بين أصابع رجليه غشاوات

ومن طير الماء ماينهض من الماء فى طيرانه . ومنها ما يخرج من الماء الى الارض ثم يطير

ومن الطير ما هو طويل الرجلين والجناحين والعنق والمنقار . ومنها قصير الرقبة طويل المنقار وأكثر الطيور فى طيرانه يجمع رجليه الى صدره . ومنها ما يمدها الي خلفه مع ذنبه كالكراكى واللقالق

ومن الطير ما يكون طويل العنق يطوي عنقه فى طيرانه ومنها ما هو يمده الى قدامه كالك الحزين

ومن الجوارح من الطير ما يقبض على الطيور في جو الهواء ويأخذها في طيرانها . ومنها ماأذا لحقها في طيرانها دخل من تحتها مستلقياً على ظهره وقبض عليها فقتلها . ومنها ما ينحط عليها ويخطفها من وجه الارض . ومنها ما يقع على رؤوس الغزلان وحمير الوحش وينشب مخالبه فيها ويرفرف بجناحيه على أعينها ويقتلها. والحمام الهادي يعرف سمت البلد المقصود بالنظر في جو الهواء الى جريان الانهار وميل الاودية ثم ينحو السوادات ويتيامن عن الجبال ويتياسر عنها وعن مهب الرياح في تصاريفها

وهكذا تعرف الطيور التي تشتّى في البلاد الدفيئة وتصيف في البلدان الباردة مواقعها وأكثر الطيور لها جودة البصر والشم والذوق والسمع وأما اللمس فدون ذلك من أجل الريش الذي على جلودها والجوارح من الطيور كلها وافية الجناحين عريضة الاذناب شديدة الطيران قصيرة الرجلين والرقبة طويلة الافخاذ قوية المخاليب معقربة المناقير لا تقدر على التقاط الحبوب بل تأكل اللحمان وتصطاد غيرها .

ومن الطيور ما يلقط الحب ويأكل الثمر أو يصطاد الحشرات والهوام ويأكل النبت والحشيش

ومن الطيور ما يطير بالليل والنهار ويسافر ويتعيش

ومن الطيور ما يطير بالليل دون النهار . وأما أكثرها فبالنهار دون الليل

ومن الطيور ما يأوى بالليل إلى رؤوس الاشجار وبين أغصانها وأوراقها ومنها ما يأوى الى رؤوس الجبال والتلال والحيطان والقلاع . ومنها ما يأوى الى الآجام والدغل . ومنها ما يأوى الى الثقب والاعشاش والاحجرة وتحت السقوف ومنها ما يأوى الى الجزائر بين الانهار والمياه . ومنها ما يبيت في الصحاري وعلى الشطوط ويتحارس بالنوب وعلى السواحل . ومنها ما يبيت في الجو

ومن الطيور ما ينتبه بالأسحار ويترنم ويسبح . ومنها ما يبكر في طلب القوت . ومنها ما يبدر ويصبح ويضحي ثم يمر وينصرف في طلب القوت « تغدو خماصاً وتروح بطاناً »

ومن الطيور ما يفرح وينشر بالغدوات . ومنها بالعشيات . ومنها في انصاف النهار . ومنها في يوم الغيم ، ومنها في يوم الصحو . ومنها في يوم المطر . ومنها في شدة الحر . ومنها في شدة البرد . ومنها في يوم الريح

فصل

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه ان من الطيور ما اذا نهض واستقل

في جو الهواء في طيرانه يكون كشكل المثلث يبسط بجناحين وافيين منشورين وذنب مثل ذلك مناسب لهما مثل الزرازير والخطاطيف ومنها مايكون كشكل المربع بجناحين وافيين منشورين وعنق طويل ممتد من قدام ورجلين طويلين ممتدتين من خلف وذنب قصير مثل الكراكي واللقالق ومن الحشرات مايكون في طيرانه كشكل المسدس له أربعة أجنحة من الجانبين ورأس قدام وذنب خلف كالجراد والبق والزنابير

واعلم يا أخي بأنك اذا تأملت واعتبرت أبدان الطيور والحشرات وجدتها كلها متزنة الجانبين طولا وعرضاً خفة وثقلا يمنة ويسرة وخلفاً وقداماً ومن أجل هذا اذا نتف من احدى جناحيه طاقات ريش اضطرب في طيرانه كرجل أعرج في مشيته اذا كانت احدى رجليه أطول والأخرى أقصر ومن أجل ذلك أيضاً متى نتف من ذنبه طاقات ريش اضطرب في طيرانه مكبوباً على رأسه كمثال زورق أو سمارية في الماء في ثقل صدرها وخفة كوثلها ومن أجل هذا صار بعض الطيور اذا مد رقبته الى قدام مد رجليه الى خلف ليتوازن ثقل رجليه بثقل رقبته كالكراكي ومن الطير مايطوي رقبته الى صدره ويجمع رجليه تحت بطنه في طيرانه كذلك الحزين وعلى هذا المثال حكم سائر الطيور والحشرات في طيرانها

﴿ فصل في بيان بدء الخلق ﴾

يقال انه لما توالدت أولاد بني آدم وكثرت وانتشرت في الارض براً وبحراً وسهلا وجبلا متصرفين فيها في مآربهم آمنين بعد ماكانوا قلقين خائفين مستوحشين من كثرة السباع والوحوش في الارض وكانوا يأوون في رؤوس الجبال والتلال متحصنين فيها وفي المغارات والكهوف ويأكلون من ثمر الاشجار وبقول الارض وحب النبات وكانوا يستترون بأوراق الشجر من الحر والبرد ويشتون في البلدان الدفيئة ويصيفون في البلدان الباردة ثم بنوا في سهول الارض الحصون والقرى والمدن وسكنوها

ثم سخروا من الانعام البقر والغنم والجمال ومن البهائم الخيل والبغال والحمير وقيدوها وألجموها وصرفوها فى مآربهم من الركوب والحمل والحرس والدراس وأتعبوها فى استخدامها وكلفوها أكثر من طاقتها ومنعوها من التصرف فى مآربها بعد ما كانت مخلات فى البرارى والآجام والغياض تذهب وتجيء حيث أرادت فى طلب مراعيها ومشاربها ومصالحها ونفرت منهم بقيتها من حمر الوحوش والغزلان والسباع والوحوش والطيور بعد ما كانت مستأنسة متوالفة مطمئنة فى أوطانها وأماكنها وهربت من ديار بنى آدم الى البراري البعيدة والآجام والدحال ورؤوس الجبال وشمر بنو آدم فى طلبها بأنواع من الحيل والقنص والشباك والفخاخ واعتقد بنو آدم فيها انها عبيد لهم ، هربت وخلعت الطاعة وعصت ثم مضت السنون والايام على ذلك الى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله ودعا الانس والجن الى الله ودين الاسلام فأجابته طائفة من الجن وحسن اسلامها ومضت على ذلك مدة من الزمان

ثم انه ولى على بنى الجان ملك منها يقال له بيراست الحكيم لقبه شاه مردان . وكانت دار مملكته مردان فى جزيرة يقال لها صاغون فى وسط البحر الاخضر مما يلي خط الاستواء وهي طيبة الهواء والتربة فيها أنهار عذبة وعيون جارية وهي كثيرة الريف والمرافق وفنون الاشجار وألوان الثمار والرياض والانهار والرياحين والانوار ثم انه طرحت الرياح العاصفة فى وقت من الزمان مركباً من سفن البحر الى ساحل تلك الجزيرة وكان فيها قوم من التجار والصناع وأهل العلم وسائر أغنياء الناس فخرجوا الى تلك الجزيرة وطافوا فيها فوجدوها كثيرة الاشجار والفواكه والثمار والمياه العذبة والهواء الطيب والتربة الحسنة والبقول والرياحين وأنواع الزرع والحبوب مما تنبته أمطار السماء ورأوا فيها أصناف الحيوانات من البهائم والانعام والطيور والسباع والوحوش والهوام والحشرات أجمع وهي كلها متألفة بعضها فى بعض مستأنسة غير متنافرة

ثم ان اولئك القوم استطابوا ذلك المقام واستوطنوا وبنوا هنالك البنيان وسكنوا ثم انهم أخذوا يتعرضون لتلك البهائم والانعام التي هناك يسخرونها ليركبوها ويحملوا عليها أثقالهم على المنوال الذي كانوا يفعلون في بلدانهم فنفرت منهم تلك البهائم والانعام التي كانت هناك وهربت وشردوا في طلبها بأنواع من الحيل في أخذها واعتقدوا فيها انها عبيد لهم هربت وخلعت الطاعة وعصت فلما علمت تلك البهائم والانعام هذا الاعتقاد منهم فيها جمعت زعماءها وخطباءها وذهبت الى بيراست الحكيم ملك الجن وشكت اليه مالقيت من جور بني آدم وتعديهم عليها واعتقادهم فيها فبعث ملك الجن رسولا الى اولئك القوم ودعاهم الى حضرته فذهب طائفة من أهل ذلك المركب الى هناك وكانوا نحواً من سبعين رجلا من بلدان شتى فلما بلغه قدومهم أمر لهم بطرح الانزال والاكرام ثم أوصلهم الى مجلسه بعد ثلاثة أيام

وكان بيراست الحكيم عادلا كريماً منصفاً سمحاً يقري الاضياف ويؤوي الغرباء ويرحم المبتلى ويمنع الظلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يبتغي بذلك غير وجه الله تعالى ومرضاته فلما وصلوا اليه ورأوه على سرير ملكه حيوه بالتحية والسلام فقال لهم الملك على لسان الترجمان : ما الذي جاء بكم الى بلادنا وما دعاكم الى جزيرتنا من غير مراسلة قبل ذلك

قال قائل من الانس دعانا ما سمعنا من فضائل الملك وما بلغنا من مناقبه الحسان ومكارم أخلاقه الجسام وعدله وانصافه في الاحكام فجئناه ليسمع كلامنا ويتبين حجتنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين وخولنا المنكرين ولايتنا والله يوفق الملك للصواب ويسدده للرشاد وهو أحكم الحاكمين

فقال الملك قولوا ماتريدون وبينوا ماتقولون . قال زعيم الانس نعم أيها الملك نقول ان هذه البهائم والانعام والسباع والوحوش أجمع عبيد لنا ونحن أربابها وهي خول لنا ونحن مواليها فمنها هارب آبق عاص ومنها مطيع كاره منكر للعبودية

قال الملك للانسي ماالدليل والحجة على مازعمت وادعيت . قال الانسي نعم أيها الملك لنا دلائل شرعية سمعية على ماقلنا وحجج عقلية على ماادعينا . فقال الملك هات أوردها فقام الخطيب من الانس من أولاد العباس ورقى المنبر وخطب الخطبة وقال :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وصاحب الشفاعة يوم الدين وصلوات الله على ملائكته المقربين وعلى عباده الصالحين من أهل السموات والارضين من المؤمنين والمسلمين وجعلنا واياكم منهم برحمته وهوارحم الراحمين.

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسباً وصهرا وخلق منه زوجة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وأكرم ذريتهما وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات . قال الله عز وجل : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » وقال تعالى : «وعليها وعلى الفلك تحملون » وقال : « وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم » وقال : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » وقال : « لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه » وآيات كثيرة في القرآن والتوراة والانجيل تدل على انها خلقت لنا ومن أجلنا وهي عبيد لنا ونحن اربابها واستغفر الله لي ولكم .

فقال الملك قد سمعتم يامعشر البهائم والانعام ما قال الانسي من آيات القرآن فاستدل بها على دعواه فأي شيء لكم وعندكم فيما قال فقام عند ذلك زعيمها وهو البغل فقال :

الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد القديم السرمد الذي كان قبل الاكوان بلا زمان ولا مكان ثم قال كن فكان نورا ساطعاً أظهره من مكنون غيبه ثم خلق من النور بحرا من النار اجاجاً وبحرا من الماء رجراجاً ذا امواج ثم خلق من

الماء والنار افلاكا ذوات ابراج وشهابا وهاجاً ، والسماء بناها والارض دحاها والجبال ارساها وجعل اطباق السموات مسكن العليين وفسحة الافلاك مسكن الملائكة المقربين، والارض وضعها للانام وهو النبات والحيوان ثم خلق الجان من نار السموم وخلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين في قرار مكين وجعل ذريته في الارض يخلفون ليعمروها ولا يخربوها ويحفظون الحيوانات وينتفعون بها ولا يظلمونها ولا يجورون عليها استغفر الله لي ولكم

ثم قال ليس في شيء مما قرأ هذا الانسي من آيات القرآن أيها الملك دلالة على مازعم انهم ارباب ونحن عبيد لهم انما هي آيات تذكار بانعام الله عليهم واحسانه فقال لهم سخرها لكم كما قال سخر الشمس والقمر والسحاب والرياح أفترى أيها الملك بانها عبيد لهم ومماليك وانهم اربابها

واعلم أيها الملك بأن الله خالق كل ما في السموات والارض وجعلها مسخرة بعضها لبعض اما لجر منفعتها اليها أو دفع مضرتها فسخر الله الحيوان للانسان بما هو لايصال المنفعة اليها ودفع المضرة عنها كما سنبين بعد هذا الفصل لا كما ظنوا وتوهموا وماقالوه من الزور والبهتان بانهم ارباب لنا ونحن عبيد لهم

﴿ فصل ﴾

ثم قال زعيم البهائم أيها الملك كنا نحن وآباءنا سكان الارض قبل خلق آدم أبي البشر قاطنين فى ارجاءها ، ظاعنين في فجاجها تذهب وتجيء كل طائفة منا في بلاد الله في طلب معائشها وتتصرف في صلاح أمورها كل واحد مقبل على شأنه في مكان موافق لمآربه من برية أو أجمة أو جبل أو ساحل أو تلال أو غياض أو رمال كل جنس منا مؤالف لابناء جنسه مشتغلين باتخاذ نتاجنا وتربية الاولاد في طيب من العيش بما قدر الله لنا من المآكل والمشارب والتمتع آمنين فى أوطاننا معافين في ابداننا نسبح الله ونقدسه ونوحده ليلا ونهاراً ولا نعصيه ولا نشرك به شيئاً ومضت على ذلك الدهور والازمان .

ثم ان الله جل ثناؤه خلق آدم أبا البشر وجعله خليفة في الارض وتوالد أولاده وكثرت ذريته وانتشرت في الارض براً وبحرا وسهلا وجبلا وضيقوا علينا الاماكن والاوطان وأخذ منا من أخذ أسيرا من الغنم والبقر والخيل والبغال والحمير وسخروها واستخدموها واتعبوها بالكد والعناء في الاعمال الشاقة من الحمل والركوب في السفر والحضر والشد في الفدن والدواليب والطواحين بالقهر والغلبة والضرب والهوان والوان من العذاب طول أعمارنا فهرب منا من هرب في البراري والقفار ورؤس الجبال وشمر بنو آدم في طلبنا بانواع من الحيل فمن وقع منا في ايديهم شدوه بالغل والقيد والقنص والذبح والسلخ وشق الاجواف وقطع المفاصل ونتف الريش وجز الشعر والوبر ثم نار الطبخ والوقد والتشوية والوان من العذاب مالايبلغ الوصف كنهها .

ومع هذه الاحوال كلها لايرضى منا هؤلاء الادميون حتى ادعوا علينا أن هذا حق واجب لهم علينا وانهم ارباب لنا ونحن عبيد لهم فمن هرب منا فهو آبق عاص تارك الطاعة كل هذا بلا حجة لهم علينا ولا بيان ولا برهان الا القهر والغلبة .

فلما سمع الملك هذا الكلام وفهم هذا الخطاب أمر مناديافنادى في مملكته ودعا الجنود والاعوان من قبائل الجن من بنى ساسان وبنى خاقان وأولاد شيصبان والقضاة العدول والفقهاء من آل ادريس وبنى بلقيس وقعد لفصل القضاء بين زعماء الحيوانات والجدليين من الانس . ثم قال لزعماء الانس ما تقولون فيما تحكى هذه البهائم والانعام من الجور وما يشكون من الظلم والتعدي منكم فقال زعيم الانس :

نقول أن هؤلاء عبيد لنا ونحن مواليها ولنا أن نتحكم عليها تحكم الأرباب ونتصرف فيها تصرف الملاك كيف شاء . فمن أطاعنا طاعته لله ومن عصانا وهرب فمعصيته لله . فقال الملك للانسى ان الدعاوي لا تصح عند الحكام الا بالبينات

ولا تقبل الا بالحجة الواضحة فيما قلت وادعيت ، فقال الانسي ان لنا حججاً عقلية ودلائل فلسفية تدل على صحة ما قلنا . قال الملك ما هي بينها لنعلمها . قال نعم حسن صورتنا وتقويم بنية هيكلنا وانتصاب قامتنا وجودة حواسنا ودقة تمييزنا وذكاء نفوسنا ورجحان عقولنا كل هذا يدل على انا أرباب وهم عبيد لنا . فقال الملك لزعيم البهائم ما تقولون فيما قال الانسي . قال ليس شيء مما قاله بدليل على ما ادعى هذا الانسي . قال الملك أليس انتصاب القيام واستواء الجلوس من شيم الملوك وانحناء الاصلاب والانكباب على الوجوه من صفات العبيد . قال الزعيم وفقك الله أيها الملك للصواب وصرف عنك سوء الامور استمع لما أقول

اعلم بأن الله جل ثناؤه ماخلقهم على تلك الصورة ولا سواهم على هذه البنية لتكون دلالة على انهم أرباب ولا خلقنا على هذه الصورة وسوانا على هذه البنية لتكون دلالة على اننا عبيد ولكن لعلمه واقتضاء حكمته بأن تلك البنية هي أصلح لهم وهذه أصلح لنا

﴿ فصل في بيان علة اختلاف صور الحيوانات ﴾

بيان ذلك ان الله عز وجل لما خلق آدم وأولاده عراة بلا ريش على أبدانهم ولا وبر ولا صوف على جلودهم يقيهم من الحر والبرد وجعل أرزاقهم من ثمر الاشجار ودثارهم من أوراقها وكانت الاشجار منتصبة في جو الهواء جعل أيضاً قامتهم منتصبة ليسهل عليهم تناول الثمر والورق منها وهكذا لما جعل ارزاقنا من حشيش الارض جعل بنية أبداننا منحنية ليسهل علينا تناول العشب من الارض فلهذه العلة جعل صورهم منتصبة وصورنا منحنية لا كما توهموا . فقال الملك ما تقولون في قول الله عز وجل « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » . قال الزعيم أن للكتب النبوية تأويلات وتفسيرات غير ما يدل عليه ظاهر ألفاظها يعرفها العلماء الراسخون في العلم فليسأل الملك أهل الذكر . قال الملك لحكيم الجن ما

معنى قوله « في أحسن تقويم » . قال في اليوم الذى خلق فيه آدم كانت الكواكب فى اشرافها وأوتاد البروج قائمة والزمان معتدلا كثير المواد . وكانت متهيئة لقبول الصور فجاءت بنيته في أحسن صورة وأكمل هيئة . قال الملك وكفى بهذه الفضيلة كرامة وافتخاراً . قال الحكيم ان لها معنى غير ما ذكر وتبين ذلك بقوله : « فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » يعني لم يجعلك طويلا دقيقا ولا قصيرا لزيقا بل ما بين ذلك . فقال زعيم البهائم ونحن كذلك فعل بنا أيضاً لم يجعلنا طوالا ولا دقاقاً ولا قصاراً ولا صغاراً بل بين ذلك فنحن وهم في هذه الصورة والفضيلة والكرامة بالسوية . فقال الانسى لزعيم البهائم من أين لكم اعتدال القامة واستواء البنية وتناسب الصورة وقد نرى الجمل عظيم الجثة طويل الرقبة صغير الاذنين قصير الذنب ونرى الفيل عظيم الخلقة طويل النابين واسع الاذنين صغير العينين ونرى البقر والجاموس طويل الذنب غليظ القرون ليس له أنياب من فوق ونرى الكبش عظيم القرنين كبير الالية ليس له لحية والتيس طويل اللحية ليس له الية مكشوف العورة ونرى الارنب صغير الجثة كبير الاذنين وعلى هذا المثال والقياس نجد الحيوانات والسباع والوحوش والطيور والهوام مضطربات البنية غير متناسبة الاعضاء

فقال زعيم البهائم هيهات ذهب عليك ايها الانسى احسنها وخفي عليك أحكمها . أما علمت انك لما عبت المصنوع فقد عبت الصانع او لا ترى وتعلم بأن هذه كلها مصنوعات الباري الحكيم خلقها بحكمته لعلل وأسباب وأغراض لجر المنفعة اليها ودفع المضرة عنها ولا يعلم ذلك الا هو والراسخون في العلم ، قال الانسى فخبرنا أيها الزعيم اذا كنت حكيم البهائم وخطيبها ما العلة في طول رقبة الجمل . قال ليكون مناسباً لطول قوائمه لينال الحشيش من الارض ويستعين به على النهوض بحمله وليبلغ مشفره الى سائر أطراف بدنه فيحكها

وأما خرطوم الفيل فعوض عن طول الرقبة وكبر أذنيه ليذب البق والذباب

عن ما في عينيه وفه اذ كان فه مفتوحاً أبداً لا يمكنه ضم شفتيه لخروج أنيابه منه وأنيابه سلاح له يمتنع بها السباع عن نفسه

واما كبر اذن الارنب فهو من اجل أن تكون دثاراً لها ووطاء وغطاء في الشتاء والصيف ، لانه رقيق الجلد ترف البدن وعلى هذا القياس نجد كل حيوان جعل الله عز وجل له من الاعضاء والمفاصل والادوات بحسب حاجته اليه لجر المنفعة أو دفع المضرة والى هذا المعنى أشار موسى عليه السلام بقوله « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

وأما الذي ذكرت أيها الانسي من حسن الصورة وافتخرت به علينا فليس فيه شيء من الدلالة على مازعمت بأنكم أرباب ونحن عبيد فاذا كان حسن الصورة شيء مرغوب فيه عند أبناء الجنس من الذكور والاناث ليدعوهم ذلك الى الجماع والسفاد والنتاج والتناسل لبقاء النسل فانا لانرغب في محاسن اناثنا ولا اناثنا في محاسن ذكراننا كما لايرغب السود في محاسن البيض ولا البيض في محاسن السود وكما لايرغب اللواط في محاسن الجواري ولا الزناة في محاسن الغلمان فلا فخر لكم علينا بمحاسن الصور أيها الانسي

﴿ فصل في بيان جودة الحواس في الحيوانات ﴾

وأما الذي ذكرته من جودة حواسكم ودقة تمييزكم وافتخرتم به علينا فليس ذلك لكم خاصة دون غيركم من الحيوانات لان فيها ماهو أجود حاسة منكم وأدق تمييز فمن ذلك الجمل فانه مع طول قوائمه ورقبتــه وارتفاع رأسه من الارض في الهواء يبصر ويرى موضع قدميه في الطرقات الوعرة والمسالك الصعبة في ظلم الليل مالايرى ولايبصر أحدكم الا بسراج أو مشعل أو شموع وترى الفرس الجواد يسمع وطء الماشي من البعد في ظلمة الليل حتى انه ربما نبه صاحبه من نومه بركضة رجليه حذراً عليه من عدو أو سبع وهكذا نجد كثيراً من الحمير والبقر اذا سلك بها صاحبها طريقاً لم يسلكها قبل خلاها ثم رجعت الى

مكانها ومعقلها وموضعها المألوف فلاتتيه وقد يوجد من الانس من قد يسلك طريقاً دفعات ثم انه يضل فيه ويتيه ونجد من الغنم والشاء مايلد منها في ليلة واحدة عدداً كثيراً وتسرح من الغد الى الرعي وتروح بالعشي وتخلى من الوثاق مائة من البهائم وأكثر فيذهب كل واحد الى أمه لايشكل عليها أمهاتها ولا تشتبه وكذلك أولادها على أمهاتها والانسي ربما يمر به الشهر والشهران أو أكثر وهو لايعرف والدته من أخته ولا والده من أخيه فأين وجود الحاسة ودقة التمييز الذي ذكرته وافتخرت به علينا أيها الانسي

وأما الذي ذكرته من رجحان العقول فلسنا نرى له أثر أو علامة لانه لو كان لكم عقول راجحة لما افتخرتم علينا بشيء ليس هو من افعالكم ولا اكتساب منكم بل هي مواهب من الله جل ذكره لتعرفوا مواقع النعم وتشكروا له ولا تعصوه وإنما العقلاء يفتخرون باشياء هي افعالهم من الصنائع المحكمة والآراء الصحيحة والعلوم الحقيقية والمذاهب المرضية والسنن العادلة والطرق المستقيمة ولسنا نراكم تفتخرون بشيء منها غير دعوى بلا حجة وخصومة بلا بينة

﴿ فصل في بيان شكاية الحيوان من جور الانس ﴾

قال الملك للانس قد سمعت الجواب فهل عندك شيء غير ما ذكرت قال نعم أيها الملك هنالك مسائل أخر ومناقب غير ماذكرت تدل على أنا أرباب وهم عبيد لنا فمن ذلك بيعنا وشراؤنا لها واطعامنا وسقيانا لها اذا مرضت ونكسوها ونكفيها من الحر والبرد وندفع عنها السباع اذ تفترسها ونداويها اذا مرضت وننفق عليها اذا اعتلت ونعلمها اذا جهلت ونخليها اذا اعيت ونعرض عنها اذا جنت كل ذلك اشفاقا عليها ورحمة لها وتحننا عليها وكل هذا من افعال الارباب بعبيدها والموالي بخولها

قال الملك للزعيم قد سمعت ماذكر فاي شيء عندك أجب قال زعيم البهائم أما قوله انا نبيعها ونشتريها فهكذا يفعل أبناء فارس بابناء الروم وأبناء الروم بابناء فارس اذا ظفر بعضهم ببعض افترى أيهم العبيد وأيهم الموالي والارباب وكذلك

يفعل أبناء الهند بأبناء السند وأبناء السند بأبناء الهند فأيهم الموالي وأيهم العبيد وهكذا يفعل أبناء الحبشة بأبناء النوبة وأبناء النوبة بأبناء الحبشة وكذلك يفعل أبناء الاعراب والاكراد والاتراك بعضهم ببعض فأيهم ليت شعري العبيد وأيهم الموالي بالحقيقة وهل هي أيها الملك العادل الا دول ونوب تدور بين الناس بموجبات أحكام النجوم والقرانات كما ذكر الله تعالى ذلك « وتلك الايام نداولها بين الناس وما يعقلها إلا العالمون » وأما الذي ذكرنا انا نطعمها ونسقيها ونكسوها وما ذكره من سائر ما يفعلون بنا فليس ذلك لشفقة علينا منهم ولا رحمة لنا ولا تحننا علينا ولا رأفة بنا بل مخافة أن تهلك فيخسرون أثماننا وتفوتهم المنافع منا من شرب ألباننا ودثارهم من أصوافنا وأوبارنا وأشعارنا وركوبهم ظهورنا وحملهم اثقالهم علينا لا شفقة ولا رحمة كما ذكر. ثم تكلم الحمار فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن اسارى في أيدي بني آدم موقرة ظهورنا بأثقالهم من الحجارة والاجر والتراب والخشب والحديد وغيرها ونحن نمشي تحتها ونجهد بكد وعناء شديد وبأيديهم العصا والمقارع يضربون وجوهنا وادبارنا بحنق وعنف وضجر وصخب لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك فأين الرحمة وأين الشفقة والرأفة منهم علينا كما زعم هذا الانسي ثم تكلم الثور فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن اسارى في أيدي بني آدم مقرنين في فدانهم مشدودين في دواليبهم وارحيتهم مغطاة وجوهنا مشدودة أعيننا وهم يضربوننا مع ذلك لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا فأين الرحمة والشفقة والرأفة منهم علينا كما زعم هذا الانسي

ثم تكلم الكبش فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن اسارى في أيدي بني آدم يأخذون صغار أولادنا من الجدي والحملان فيفرقون بينها وبين أمهاتها ليستأثروا بألباننا لاولادهم ويجعلوا أولادنا مشدودة أرجلها وأيديها محمولة الى المذابح والمسالخ جائعة عطشانة تصيح فلا ترحم وتصرخ وتستغيث فلا تغاث ثم نراها مذبوحة مسلوخة مشقوقة أجوافها مفرقة أعضاؤها ورؤسها وكروشها ومصارينها وأكبادها في دكاكين القصابين مقطعة بالسواطير مطبوخة في

القدور مشوية في التنور ونحن سكوت لا نبكي ولا نشكوا وان شكونا أو بكينا لم نرحم فأية رحمة وأية رأفة لهم علينا كما زعم هذا الانسي

ثم تكلم الجمل فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدي بني آدم مخزومة أنوفنا، بأيدي جماليهم خطامنا، يجروننا على كره منا محملة ظهورنا بأثقالهم نقاد ونساق في ظلم الليل في القفار والفلوات والمسالك الوعرة والحيوانات قائمة في أوطانها ونحن نمشي بأثقالهم نصدم الصخور والحجارة والدكادك بأخفافنا متقرحة جنوبنا وظهورنا من احتكاك أقتابنا ونحن جياع عطاش لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك فأين الرحمة والرأفة علينا كما زعم هذا الانسي

ثم تكلم الفيل فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن أسارى في أيدي بني آدم والقيود في أرجلنا والقلوس في رقابنا وكلاليب الحديد في أيديهم يضربون بها في أدمغتنا يضربوننا يمنة ويسرة على كره منا مع كبر جثتنا وعظم خلقتنا وطول أنيابنا وشدة قوانا لا نقدر على دفع ما نكره لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك فأين الرحمة وأين الرأفة لهم علينا كما زعم هذا الانسي

ثم تكلم الفرس فقال أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدي بني آدم واللجم في أفواهنا والسروج على ظهورنا والبطر نجات والحزم مشدودة على أوساطنا والفرسان المدرعة على ظهورنا ترج وتهجم بنا في الغبار عواريا جياعاً وعطاشا والسيوف في وجوهنا والسهام في نحورنا والرماح في صدورنا نخوض المياه ونسبح الدماء لرحمتنا ورثيت لنا وبكيت علينا أيها الملك

ثم تكلم البغل فقال لو رأيتنا أيها الملك ونحن أسارى في أيدي بني آدم والشكال في أرجلنا واللجم في أفواهنا والحكات في أحناكنا والاقفال على فروجنا ممنوعين عن شهوات نتاجنا والاكف على ظهورنا وسفهاء الانس من الساسة والركابة فوق ذلك وبأيديهم العصي والمقارع يضربون وجوهنا وأدبارنا ويشتموننا بأقبح ما يقدرون عليه من الشتم والفحشاء بحنق وغيظ وسفاهة حتى انه ربما بلغ به السفه منهم أن يشتموا أنفسهم واخواتهم وامهاتهم وبناتهم

ويقولون اير الحمار في است من باعه واشتراه أو ملكه يعني به صاحبه كل ذلك راجع اليهم وهم به أولى

فاذا فكرت أيها الملك فيما هم فيه من هذه الاوصاف من السفاهة والجهالة والفحشاء والقبيح من الكلام رأيت منهم عجباً من قلة التحصيل لما هم فيه من الاحوال المذمومة والصفات القبيحة والاخلاق الرديئة والاعمال السيئة والجهالة المتراكمة والآراء الفاسدة والمذاهب المختلفة ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون ولا يتعظون بمواعظ أنبيائهم ولا يأتمرون بوصية ربهم حيث يقول : « وليعفوا أو ليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » . وقوله تعالى « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله » وقوله تعالى « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » وقوله تعالى : « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » وقوله تعالى : « لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولون سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا منقلبون »

فلما فرغ البغل من كلامه التفت الجمل الى الخنزير فقال له قم وتكلم واذكر ما تلقون معشر الخنازير من جور بنى آدم واشك الى الملك الرحيم فلعله يرق لنا ويرحمنا ويفك أسرنا من أيدي بنى آدم فانكم من الانعام

فقال حكيم من حكماء الجن لا لعمري ليس الخنزير من الانعام بل من السباع ألا ترى ان له أنياباً ويأكل الجيف

وقال قائل آخر من الجن بل هو من الانعام ألاترى ان له ظلفاً ويأكل العشب والعلف وقال الآخر لا بل هو مركب من السباع والانعام والبهائم مثل الفيل والزرافة مركبة من الحمار والجمل

ثم قال الخنزير للجمل والله ما أدري ما أقول وعمن أشكو من كثرة اختلاف القائلين في أمرنا

أما حكماء الجن فقد سمعت ما قالوا . وأما الانس فهم أكثر اختلافاً في أمرنا وأبعد رأياً ومذهباً وذلك ان المسلمين يقولون انا ممسوخون ملعونون ويستقبحون صورتنا ويستثقلون أرواحنا ويستقذرون لحومنا ويتشاءمون من ذكرنا وأما أبناء الروم فيتنافسون في أكل لحومنا في قرابينهم ويتبركون بها الى الله

أما اليهود فيغضبوننا ويشتموننا ويلعنوننا من غير ذنب منا اليهم ولا جناية عليهم لكن لعداوة بينهم وبين النصارى وأبناء الروم وأبناء الارمن فحكمنا عندهم كحكم البقر والغنم عند غيرهم يتبركون بنا من خصب أبداننا وسمن لحومنا وكثرة نتاجنا وغزارة البانتا

وأما الاطباء من اليونانيين فيتداوون بشحومنا ويتواصفونها في ادويتهم وعلاجاتهم .

واما ساسة الدواب فيخالطوننا بدوابهم وعلفها لان حالها يصلح عندهم بمخالطتنا وشمها روائحنا

واما الاساكفة والجرازون فيتنافسون في شعر اعرافنا ويتبادرون في نتف اسلتنا في شدة حاجتنا اليها فقد تحيرنا لا ندري لمن نشكر وممن نشكو وممن نتظلم

فلما فرغ الخنزير من كلامه التفت الحمار الى الارنب وكان واقفاً بين قوائم الجمل فقال له قم فتكلم واذكر ما تلقون معشر الارانب من جور بني آدم واشك الى الملك الرحيم لعله يرحمنا وينظر في امرنا ويفك اسرنا من ايدي بني آدم

فقال الارنب اما نحن فقد هربنا من بني آدم وتركنا دخول ديارهم واوينا الى الدحال والغياض وسلمنا من شرورهم ولكنا بلينا بالكلاب والخيل والجوارح ومعاونتهم لبني آدم علينا وحملهم الينا وطلبهم لنا ولاخواتنا من الغزلان وحمر الوحوش وبقرها وابلها والوعول الساكنة في الجبال اعتصاماً بها

ثم قال الارنب اما الكلاب والجوارح وتعاونهم لبنى آدم فهم معذورون في معاونة الانس علينا لما لها من النصيب في اكل لحومنا لانها ليست من ابناء جنسنا بل من السباع.

اما الخيل فلانها منا معاشر البهائم وليس لها نصيب في اكل لحومنا فما لها ومعاونة الانس علينا لولا الجهالة وقلة المعرفة وقلة التحصيل للأمور والحقائق

﴿ فصل ﴾

(في بيان تفضيل الخيل على سائر البهائم وغيرها)

قال الانسي للارنب أقصر فقد أكثرت اللوم والذم للخيل ولو علمت أنها خير حيوان سخرته الانس لما تكلمت بهذا الكلام . قال الملك للانسي وما تلك الخيرية التي قلتها اذكرها قال خصال محمودة ، وأخلاق مرضية ، وسيرة عجيبة، من ذلك حسن صورتها وتناسب أعضاء أبدانها ، وبنية هيكلها وصفاء لونها ، وحسن شعرها ، وسرعة عدوها ، وطاعتها لفارسها ، كيف شاء وكيف أراد صرفها انقادت له يمنة ويسرة وقداماً وخلفاً في الطلب والهرب وذكاء نفسها وجودة حواسها ، وحسن آدابها ربما لا تبول ولا تروث مادام راكبها عليها ولا تحرك ذنبها اذا ابتل شعر ذنبها لئلا يصيب صاحبها ولها قوة الفيل وتحمل راكبها بخوذته وجوشنه وسلاحه مع ما لها من السرج واللجام والتجافيف وآلة الحديد نحو الف رطل عند سرعة العدو ولها صبر الحمار عند اختلاف الطعن في صدرها ونحرها في الهيجاء وسرعة عدوها في الغارات والطلب كحملات السرحان وتمشي كمشي السنور في التبختر وهرولة كذئب يتنقل وعطفات أيضاً كمطفات جلمود الصخر اذا حطه السيل ومبادرة العدو في الرهان كمن يطلب الحلبة ، قال الارنب نعم ولكن لها مع هذه الخصال المحمودة والاخلاق الجميلة عيب كبير يغطي هذه الخصال كلها

فقال الملك ما هو بين لي . قال الجهالة وقلة معرفة بالحقيقة وذلك أنه يعدو

تحت عدو صاحبه الذي لم يره قط في الحرب مثل ما يعدو تحت صاحبه الذي ولد في داره وتربى في منزله في الطلب ويحمل عدو صاحبه اليه في طلبه كما يحمل صاحبه في طلب عدوه ، وما مثله في هذه الخصال الا كمثل السيف الذى لا روح فيه ولا حس ولا شعور ولا معرفة فانه يقطع عنق صيقله كما يقطع عنق من أراد كسره وتعويجه وعيبه انه لا يعرف الفرق بينهما

ثم قال الارنب ومثل هذه الخصال موجودة في بنى آدم وذلك أن أحدهم ربما يعادي والديه وصاحبه واخوانه وأقربائه ويكيدهم ويسيء اليهم مثل ما يفعله بالعدو البعيد الذي لم ير منه براً ولا احساناً قط . وذلك ان هؤلاء الانس يشربون البان هذه الانعام كما يشربون البان أمهاتهم ويركبون ظهور هذه البهائم كما يركبون أكتاف آبائهم صغاراً وينتفعون بأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين . ثم آخر الامر يذبحونها ويسلخونها أو يشقون أجوافها ويقطعون مفاصلها ويذيقونها نار الطبخ والشى ولا يرحمونها ولا يذكرون احسانها اليهم وما نالوا من فضلها وبركتها

فلما فرغ الارنب من لومه الانس والخيل وما ذكر من عيوبهم . قال الحمار لا تكثر من اللوم فانه ما من أحد من الخلق أعطى فضائل ومواهب جمة الا وقد حرم ما هو أكثر منها وما من أحد حرم مواهب الا وقد أعطي شيئاً لم يعطه غيره لان مواهب الله كثيرة لا يستوفيها كلها شخص واحد ولا نوع ولا جنس واحد بل فرقت على الخلق طراً فمكثر ومقل وما من شخص آثار الربوبية فيه أظهر الا ورق العبودية عليه أبين مثل ذلك نيرا الفلك وهما الشمس والقمر فانهما لما أعطيا من مواهب الله حظا جزيلا من النور والعظمة والظهور والجلالة حتى أنه ربما توهم قوم أنهما ربان الهان لبيان آثار الربوبية فيهما حرما بدل ذلك التحرز من الكسوف ليكون دليلا لاولى الالباب على انهما لو كانا الهين لما انكسفا وهكذا حكم سائر الكواكب الفلكية لما أعطيت الانوار الساطعة والافلاك الدائرة والاعمار الطويلة حرمت التحرز من الاحتراق والرجوع

والهبوط لتكون آثار العبودية عليها ظاهرة . وهكذا حكم سائر الخلق من الجن والانس والملائكة فما منها أحد أعطي فضائل جمة ومواهب جزيلة الا وقد حرم ما هو أكبر واجل وانما الكمال لله الواحد القهار العزيز الغفار الشديد العقاب ومن أجل ما ذكرنا قيل

ولست بمستبق أخاً لا تلومه على شعث أي الرجال المهذب

فلما فرغ الحمار من كلامه تكلم الثور وقال . لكن ينبغي لمن وفر حظه من مواهب الله تعالى أن يؤدي شكرها وهو أن يتصدق من فضل ما أعطى على من قد حرم ولم يرزق منها شيئاً

أما ترى الشمس لما وفر حظها جزيلا من النور كيف تفيض من نورها على الخلق ولا تمن عليهم . وكذلك القمر والكواكب كل واحد على قدره وكان سبيل هؤلاء الانس لما أعطوا من مواهب الله تعالى ما قد حرم غيرهم من الحيوان أن يتصدقوا عليها ولا يمنون

ولما فرغ الثور من كلامه ضجت البهائم والانعام وقالت جميعاً . ارحمنا أيها الملك العادل الكريم وخذ بأيدينا وخلصنا من جور هؤلاء الانس الآدميين الظلمة فالتفت الملك عند ذلك الى جماعة ممن حضر من حكماء الجن وعلمائهم فقال ألا تسمعون شكاية هذه البهائم والانعام وما يصفون من جور بني آدم عليها وظلمهم لها وتعديهم عليها وقلة رحمتهم بها

قالوا قد سمعنا كل ما قالوا وهو حق وصدق ومشاهد منهم ليلا ونهاراً لا يخفي على العقلاء ذلك . ومن أجل ذلك هربت بنو الجان من بين أيديهم وظهرانيهم الى البراري والقفار والمفاوز والتلوات ورؤوس الجبال والتلال وبطون الاودية وسواحل البحار لما رأوا من قبيح أفعالهم وسوء أعمالهم ورداءة اخلاقهم وتركت ان تأوى ديار بنى آدم ومع هذه الخصال كلها لا يتخلصون من سوء ظنهم ورداءة اخلاقهم واعتقادهم فى الجن وذلك انهم يقولون ويعتقدون ان للجن في الانس نزغات وخبطات وفزعات في صبيانهم ونسائهم

وجهالهم حتى انهم يتعوذون من شر الجن بالتعاويذ والرقى والاحراز والتمائم وما شاكلها ولم يروا قط جنياً قتل انسيا او جرحه او اخذ ثيابه او سرق متاعه او نقب داره او فتق جيبه او بتر كمه او فش قفل دكانه او قطع على مسافر او خرج على السلطان او اثار غارة او اخذ اسيراً وكل هذه الخصال توجد فيهم ومنهم بعضا لبعض ليلا ونهاراً ثم لايتوبون ولا هم يذكرون

فلما فرغ القائل من كلامه نادى مناد الا ايها الملأ امسيتم فانصرفوا الى مساكنكم مكرمين لتعودوا غداً آمنين

فصل

(في بيان منفعة المشاورة لذوى الرأى)

ثم ان الملك لما قام من المجلس خلا بوزيره بيراز وكان رجلا عاقلا رزينا فيلسوفاً حكيما فقال له الملك قد شاهدت المجلس وسمعت ما جرى من هؤلاء الطوائف الوافدين من الكلام والاقاويل وعامت فيما جاؤا له فماذا تشير ان نفعل بهم وما الرأي الصواب الذى عندك

قال الوزير ايد الله الملك وسدده وهداه الرشاد ، الرأى الصواب ، عندي ان يأمر الملك قضاة الجن وفقهائها وحكائها واهل الرأي ان يجتمعوا عنده ويستشيرهم في هذا الامر فان هذه قصة عظيمة وخطب جليل وخصومة طويلة والامر فيها مشكل جداً والرأي مشترك والمشاورة تزيد ذوى الرأى الرصين بصيرة وتفيد المتحير رشداً والحازم اللبيب معرفة ويقيناً

فقال الملك نعم ما رأيت وصواب ما قلت ثم أمر الملك بعد ذلك باحضار قضاة الجن من آل جرجيس والفقهاء من بنى ناهيد وأهل الرأي من بنى بيران الحكيم والحكماء من آل لقمان وأهل التجارب من بنى هامان والحكام والفلاسفة من بنى كيوان وأهل الصرامة والعزمة من آل بهرام فلما اجتمعوا عنده خلا بهم ثم قال لهم

قد علمتم ورود هذه الطوائف الى بلادنا ونزولهم بساحتنا ورأيتم حضورهم مجلسنا وسمعتم أقاويلهم ومناظراتهم وشكاية هذه البهائم الاسيرة من جور بني آدم وقد استجاروا بنا واستذموا بذمامنا وتحرموا بطعامنا فماذا ترون وما الذي تشيرون أن نفعل بهم قال رأس الفقهاء من أهل ناهيد بسط الله يد الملك بالقدرة ووفقه للصواب أما الرأى عنـدي أن يأمر الملك هذه البهائم أن يكتبوا قصتهم ويذكروا فيها ما يلقون من جور بنى آدم ويأخذون فيها فتاوى الفقهاء فان في هـذا خلاصا لهم ونجاة من الظلم فان القاضي سيحكم لهم أما بالبيع أو بالعتق أو بالتخفيف والاحسان اليهم فان لم يفعل بنو آدم ماحكم به وهربت هذه البهائم منهم فلا وزر عليها فقال الملك للجماعة ماذا ترون فيما قال واشار فقالوا صوابا ورشادا ثم أشار غير صاحب العزيمة من آل بهرام فانه قال أرأيتم ان استباعت هذه البهائم واجابتها بنو آدم الى ذلك من ذا الذى يزن اثمانها قال الفقيه الملك قال من أين قال من بيت مال المسلمين من الجن قال صاحب الرأي ليس في بيت المال مايفى بأثمان هذه البهائم وخصلة أخرى ان كثيراً من بنى آدم لايرغبون في بيعها لشدة حاجتهم اليها واستغنائهم عن أثمانها مثل الملوك والاشراف والاغنياء وهـذا أمر لايتم فلا تتعبوا افكاركم في هذا فقال الملك فما الرأي الصواب عندك قل لنا قال الصواب عندي أن يأمر الملك هذه البهائم والانعام الاسيرة في أيدى بنى آدم ان تجمع رأيها وتهرب كلها في ليلة واحدة وتبعد من ديار بنى آدم كما فعلت حمر الوحش والغزلان والوحوش والسباع وغيرها فان بنى آدم اذا أصبحوا لم يجدوا ما يركبون ولاما تحمل اثقالهم امتنعوا عن طلبها لبعد المسافة ومشقة الطريق فيكون هذا نجاة لها وخلاصا من جور بني آدم فعزم الملك على هذا الرأي ثم قال لمن كان حاضرا ماذا ترون فيما قال واشار قال رئيس الحكماء من آل لقمان هـذا عندى أمر لايتم فلا تتعبوا أنفسكم فهو بعيد المرام لان أكثر هـذه البهائم لاتكون بالليل الا مقيدة أو مغللة والابواب عليها مغلقة فكيف يتسنى لها الهرب في ليلة واحدة قال صاحب العزيمة يبعث الملك تلك الليلة قبائل الجن يفتحون لهـا

الابواب ويحلون عقلها واوثاقها ويخيلون حراسها الى أن تبعد البهائم واعلم أيها الملك بان لك في هذا أجرا عظيما وقد محضت لك النصيحة لما ادركني من الرحمة لها وان الله تعالى لما علم من الملك حسن النية وصحة العزيمة فانه يعينه ويؤيده وينصره اذا شكر نعمته بمعاونة المظلومين وتخليص المكروبين فان في بعض كتب الانبياء عليهم السلام مكتوبا يقول الله عزوجل أيها الملك اني لم أسلطك لتجمع المال وتتمتع وتشتغل بالشهوات واللذات ولكن لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من كافر فعزم الملك الى ما أشار به صاحب الرأي ثم قال لمن حوله من الحضور ماذا ترون فيما قال قالوا محض النصيحة وبذل المجهود فصدقوا رأيه جميعاً غير حكيم من آل كيوان فانه قال بصرك الله أيها الملك خفيات الامور وكشف عن بصرك مشكلات الاسباب والدهور أن في هذه الاسباب والعمل خطبا جليلا لا تؤمن غائلة عاقبته ولا يستدرك اصلاح ما فات منه ولا مافرط فقال الملك عرفنا ياحكيم ما الرأى وما الذى يخاف ويحذر بين لنا لنكون على علم وبصيرة قال نعم أرأيت أيها الملك ان تم ما أشير به عليك من وجه نجاة هذه البهائم من أيدى بنى آدم وهربها من أيديهم أليس بنو آدم من الغد يصبحون وقد رأوا حادثا عظيما من فرار هذه البهائم وهربها من ديارهم فيعلمون يقينا بان ذلك ليس من فعل البهائم ولا من تدبير الانس بل لا يشكون بان ذلك من فعل الجن وحيلتهم قل الملك لاشك فيه قال أليس بعد ذلك كلما فكر بنو آدم فيما فاتهم من المنافع والمرافق بهربها منهم امتلأت حزنا وغيظا وغما وأسفا على ما فاتها وحقدت على بنى الجان عداوة وبغضا واضمرت لهم حيلا ومكائد ويطلبونهم كل مطلب ويرصدونهم كل مرصد ويقع بنو الجان عند ذلك في شغل وعداوة وجل كانوا في غنا عنه وقد قالت الحكماء أن اللبيب العاقل هو الذى يصلح بين الاعداء ولا يجلب الى نفسه عداوة ويجر المنافع الى غيره ولا يضر نفسه قالت الجماعة صدق الحكيم الفيلسوف الفاضل ثم قال القائل من الحكماء ما الذى يخاف

ويحذر من عداوة الانس لبني الجان أيها الحكيم أن ينالوهم من المكاره وقد علمت بان الجان أرواح خفيفة نارية تتحرك علوا طبعا وبنو آدم أجساد ارضية ثقيلة تتحرك بالطبيعة سفلا ونحن نراهم ولا يرونا ونسير فيهم ولا يحسون بنا ونحن نحيطهم وهم لايعسوننا فأى شيء يخاف منهم علينا أيها الحكيم فقال له الحكيم هيهات ذهب عنك عظامها وخفي عليك أجسامها أما علمت ان بني آدم وان كانت لهم أجساد أرضية ثقيلة فان لهم أرواحا فلكية ونفوسا ناطقة ملكية بها يفضلون عليكم ويمتازون عنكم واعلموا ان لكم فيما مضى من أخبار القرون الاولى معتبرا ومختبرا وفيما جرى بين بني آدم وبين بني الجان في الدهور السالفة دليلا واضحا فقال الملك اخبرنا أيها الحكيم كيف كان وحدثنا بما جرى من الخطوب وكيف تم ذلك

﴿ فصل في بيان العداوة بين بني الجان وبين بني آدم وكيف كانت ﴾

قال الحكيم نعم ان بين بني آدم وبني الجان عداوة طبيعية وعصبية جاهلية وطباعا متنافرة يطول شرحها قال الملك اذكر منها طرفا وابتدأ من أوله قال الحكيم فاعلم ان بني الجان كانت في قديم الايام والازمان قبل آدم أبي البشر عليه السلام سكان الارض وقاطنيها وكانوا قد طبقوا الارض براً وبحراً سهلا وجبلا فطالت أعمارهم وكثرت النعمة لديهم وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فطغت وبغت وتركت وصية أنبيائها واكثرت في الارض الفساد فضجت الارض ومن عليها من جورهم فلما انقضى الدور واستؤنف القرآن أرسل الله تعالى جندا من الملائكة نزلت من السماء فسكنت الارض وطردت بني الجان الى اطراف الارض منهزمة وأخذت سبيا كثيرا منها وكان فيمن أخذ أسيراً عزازيل ابليس اللعين فرعون آدم وهو إذ ذاك صبي لم يدرك

فلما نشأ مع الملائكة تعلم من علمها وتشبه بها في ظاهر الامر واخذ من رسومه وجوهره غير رسومها وجوهرها ولما طالت الايام صار رئيسا

فيها آمراً ناهياً متبوعاً حينا ودهراً من الزمان والدهر فلما انقضى الدور واستؤنف القرآن اوحى الله الى اولئك الملائكة الذين كانوا في الارض فقال لهم اني جاعل في الارض خليفة من غيركم وارفعكم الى السماء فكرهت الملائكة الذين كانوا في الارض مفارقة الوطن المألوف وقالت في مراجعة الجواب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما كانت بنو الجان ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون لاني آليت على نفسي ان لاأترك على وجه الارض احداً من الملائكة ولا من الانس ولا من سائر الحيوان ولهذا اليمين سر قد بيناه في موضع آخر فلما خلق الله تعالى آدم وسواه ونفخ فيه من روحه وخلق زوجته حواء امر الملائكة الذين كانوا في الارض بالطاعة فانقادت لهما جميعاً ما عدا عزازيل فانه انف وتكبر واخذته الحمية حمية الجاهلية والحسد لما راى ان رياسته قد زالت ويحتاج ان يكون تابعا بعد ما كان متبوعا ومرؤوسا بعد ما كان رئيسا فأمر اولئك الملائكة ان يصعدوا بآدم عليه السلام فادخلوه الجنة وهي بستان من الشرق على رأس جبل الياقوت الذي لايقدر احد من البشر ان يصعد هنالك وهي طيبة التربة معتدلة الهواء شتاءً وصيفا ليلا ونهاراً كثيرة الانهار مخضرة الاشجار مفننة الثمار والفواكه والرياض والرياحين والانهار والازهار كثيرة الحيوانات غير المؤذية والطيور الطيبة الاصوات اللذيذة الالحان والنغمات وكان على راس آدم وحواء شعر طويل مدلى كأحسن مايكون على الجواري والابكار يبلغ قدميهما ويستر عورتيهما وكان دثاراً لهما وستراً لهما وزينة وجمالا وكانا يمشيان على حافات تلك الانهار ويشمان من الرياحين والازهار ويأكلان من ثمار تلك الاشجار ويشربان من مياه تلك الانهار بلا تعب من الابدان ولا عناء من النفوس ولا مشقة من كد الحرث والنسل والزرع والسقي والحصاد والدراس والطحن والخبز والغزل والنسج والخياطة والغسل وما اليوم أولاده وابناؤه مبتلون من شقاوة اسباب المعاش في هذه الدنيا وكان حكمهما في تلك الجنة حكم الحيوانات التي هناك مستودعين مستريحين متلذذين وكأن الله تعالى الهم

ادم اسماء تلك الاشجار والثمار والرياحين واسماء تلك الحيوانات التي هناك

فلما نطق أدم سأل الملائكة عنها فلم يكن عندها جواب فغدا عند ذلك ادم معلماً يعرفها اسماءها ومنافعها ومضارها فانقادت الملائكة لامره ونهيه لما تبين لها فضله عليها.

ولما علم عزازيل ذلك ازداد بغضا وحسدا واحتال لهما بالمكر والخديعة والحيل والدغل والغش ثم اتاهما بصورة الناصح فقال لهما لقد فضلكما ربكما بما انعم به عليكما من الفصاحة والبيان ولو ا كلتما من هذه الشجرة لازددتما علما وبقيتما ههنا خالدين امنين لا تموتان فاغترا بقوله لما حلف لهما انى لكما لمن الناصحين وحملهما الحرص فتسابقا وتناولا ما كانا منهيين عنه

فلما ا كلا منها تناثرت شعورهما وانكشفت عوراتهما وبقيا عريانين واصابهما حر الشمس فاسودت ابدانهما وتغيرت الوان وجوههما ورأت الحيوان حالهما فانكرتهما ونفرت منهما واستوحشت من سوء حالهما وامر الله تعالى الملائكة أن اخرجوهما من هناك فرموهما الي اسفل الجبل فوقعا في برية قفراء لانبت فيها ولا ثمر وبقيا هناك زماناً طويلا يبكيان وينوحان حزناً وأسفاً على مافاتهما نادمين على ما كان منهما

ثم ان رحمة الله تعالى تداركتهما فتاب الله تعالى عليهما وارسل ملكا يعلمهما الحرث والزرع والدراس والحصاد والطحن والخبز والغزل والطبخ والخياطة واتخاذ اللباس

ثم لما توالدا وتناسلا وكثرت ذريتهما خالطهم أولاد بنى الجان وعلموهم الصنائع والحرث والغرس والبنيان والمنافع والمضار وصادقوهم وتوددوا اليهم وعاشروهم مدة من الزمان بالحسنى ولكن كلما ذكر بنو آدم ماجرى على ابيهم من كيد عزازيل وعداوته لهم امتلأت قلوب بني ادم غيظاً وحقداً على بنى الجان فلما قتل قابيل هابيل اعتقدت أولاد هابيل بأن ذلك من تعليم بنى الجان فازدادوا غيظاً

وعداوة وطلبوهم كل مطلب واحتالوا عليهم بكل حيلة من العزائم والرقي والمنادل والدخن ودخان النفط والكبريت والحبس في القوارير والعذاب بالوان الدخان والبخارات المؤذية لاولاد بني الجان المنفرة لهم المشتة لاغراضهم فكان ذلك دأبهم الى أن بعث الله ادريس النبي عليه السلام وهو هرمس بلغة الحكماء فاصلح بين بني الجان وبين أولاد ادم عليه السلام بالدين والشريعة والاسلام والملة وتراجعت بنو الجان الى ديار بني ادم وخالطوهم وعاشوا فيهامعهم بخير الى أيام الطوفان وبعد ذلك الى أيام ابراهيم عليه السلام فلما طرح في النار اعتقد بنو ادم بأن تعليم المنجنيق كان من بني الجان لنمرود الجبار فلما طرح أخوة يوسف عليه السلام أخاهم في الجب نسب ذلك الى نزغات الشيطان من أولاد الجن

فلما بعث الله موسى عليه السلام اصلح بين بني الجان وبين بني اسرائيل بالدين والشريعة ودخل كثير من الجن في دين موسى عليه السلام

فلما كان ايام سليمان بن داود عليهما السلام شيد الله ملكه وسخر له الجن والشياطين وغلب سليمان عليه السلام على ملوك الارض افتخرت الجن على الانس بان ذلك كان من معاونة الجن لسليمان وقالت لولا معاونة الجن لسليمان كان حكمه حكم أحد ملوك بني ادم وكانت الجن توهم الانس انها تعلم الغيب

فلما كان موت سليمان عليه السلام والجن في العذاب المهين لم تشعر بموته فتبين انها لوكانت تعلم الغيب مالبثوا في العذاب المهين

وأيضاً لما جاء الهدهد بخبر بلقيس وقال سليمان عليه السلام ما قال للملأ من الجن والانس أيكم يأتيني بعرشها افتخرت الجن قال عفريت من الجن وهو اصطر بن مايان من آل كيوان انا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي مجلس الحكمة قال سليمان أريد أسرع من هذا قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وهو اصف بن برخيا

فلما راه مستقراً عنده خر سليمان عليه السلام ساجداً لله تعالى وتبين فضل الانس على الجن وانقضى المجلس وانصرفت الجن من المجلس من هناك خجلين

منكسين رؤسهم وغوغاء الانس يتغطغطون في أثرهم ويستقفون أثرهم شامتين بهم

فلما جرى ماذكرته هربت طائفة من الجن من سليمان وخرج عليهم خارج منهم فوجه سليمان عليه السلام في طلبهم من جنوده وعلمهم كيف يأخذونهم بالرقى والعزائم والكلمات والآيات المنزلات وكيف يحبسونهم بالمنادل وعمل في ذلك كتاباً وجد في خزانته بعد موته وشغل سليمان عليه السلام طغاة الجن بالاعمال الشاقة الى ان مات.

ثم لما بعث المسيح عليه السلام دعي الخلق من الجن والانس الى الله تعالى عز وجل ورغبهم في لقائه وبين لهم طريق الهدى وعلمهم كيف الصعود الى ملكوت السموات فدخل في دينه طوائف من الجن وترهبت وارتقت الى هناك واستمعت من الملأ الاعلى الاخبار والقت الى الكهنة.

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله منعت من استراق السمع وقالت لاندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً ودخلت قبائل من الجن في دينه وحسن اسلامها وانصلح الامر بين بني الجان وبين المسلمين من أولاد آدم عليه السلام الى يومنا هذا.

ثم قال الحكيم يامعشر الجن لاتتعرضوا لهم ولاتفسدوا الحال بينكم وبينهم ولاتحركوا الاحقاد الساكنة ولا تثيروا الاضغان الكامنة والبغضاء والعداوة القديمة المركوزة في الطباع والجبلة فانها كالنار الكامنة في الاحجار تظهر عند احتكاكها فتشتعل بالكباريت فتحترق المنازل والاسواق ونعوذ بالله من ظفر الاشرار ودولة الفجار والعار والبوار فلما سمع الملك والجماعة هذه القصة العجيبة اطرقت مفكرة فيما سمعت.

ثم قال الملك للحكيم فما الرأي الصواب عندك في أمر هذه الطوائف الواردة المستجيرة بنا وعلى أي حال نصرفهم من بلادنا راضين بالحكم الصواب.

قال الحكيم الرأي الصواب لايسنح الا بعد التثبت والتأني بالفكر والروية والاعتبار بالامور الماضية والرأي عندي أن يجلس الملك غداً في مجلس النظر

ويحضر الخصوم ويسمع عنهم مايقولون من الحجة والبيان ليتبين له على من يتوجه الحكم ثم يدبر الرأي بعد ذلك

قال صاحب العزيمة أرأيتم ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الانس في الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الانس عليها بذرابة السنتها وجودة عبارتها وفصاحتها أترى أن تبقى هذه البهائم أسيرة في أيديهم يسومونها سوء العذاب دائما قال لا ولكن تصير هذه البهائم في الاسر والعبودية الى ان ينقضي دور القرآن ويستؤنف نشوء آخر ويأتي الله لها بالفرج والخلاص كما نجي آل اسرائيل من عذاب فرعون وكما نجي آل داود من عذاب بخت نصر وكما نجي آل حمير من عذاب آل تبع وكما نجي ال ساسان من عذاب اليونان وكما نجي ال عمران من عذاب ازدشير

فان أيام هذه الدنيا دول بين أهلها تدور باذن الله تعالى وسابق علمه ونفاذ مشيئته بموجبات احكام القرانات والادوار في كل الف سنة مرة أو فى كل اثنى عشرة الف سنة مرة أو في كل ستة وثلاثين الف سنة مرة أو في كل ثلاثمائة الف وستين الف سنة مرة أو في كل يوم مقداره خمسين الف سنة مرة فاعلم جميع ذلك.

فصل

فى بيان كيفية استخراج العامة اسرار الملوك

فنقول اعلم ان الملك لما خلا بوزيره ذلك اليوم اجتمعت جماعة الانس في مجلسهم وكانوا سبعين رجلا من بلدان شتى فأخذوا يرجمون الظنون فقال قائل منهم قد رأيتم وسمعتم ماجرى اليوم بيننا وبين هؤلاء عبيدنا من الكلام الطويل ولم تنفصل الحكومة فترى أي شيء رأى الملك في أمرنا فقالوا لا ندري ولكن نظن انه قد لحق الملك من ذلك ضجر وشغل قلب وانه لا يجلس غداً للحكومة بيننا وبينهم . قال الاخر لكن أظن انه يخلو غدا مع وزيره ويشاوره فى أمرنا

قال الاخر بل يجمع غدا الفقهاء والحكماء ويشاورهم في امرنا قال الاخر ترى ماالذي يشيرون به فى أمرنا فأظن أن الملك حسن الرأي فينا ولكن أخاف أن الوزير ربما يميل علينا ويحيف في امرنا قال الاخر أمر الوزير سهل نحمل اليه شيئاً من الهدايا يلين جانبه ويحسن رأيه وقال الاخر ولكن أخاف من شيء أخر قالوا وماهو قال فتاوى الحكماء والفقهاء وحكم الحاكم قال هؤلاء أمرهم أيضاً سهل نحمل اليهم شيئاً من التحف والرشوة فيحسن رأيهم فينا ويطلبون لناحيلافقهية ولا يبالون بتغيير الاحكام ولكن بليتنا والذى نخاف منه صاحب العزيمة فانه صاحب الرأى والصواب والصرامة صلب الوجه وقح لا يبالى بأحد فان استشاره اخاف أن يشير عليه بالمعاونة لعبيدنا علينا ويعلمه كيف ينتزعها من أيدينا

وقال اخر القول كما ذكرت ولكن ان استشار الملك الفلاسفة والحكماء يخالفونه في الرأي فان الحكماء اذا اجتمعت ونظرت في الامور سنح لكل واحدمنهم وجه من الرأى غير الذي يسنح للاخر فيختلفون فى ما يشيرون به ولا يكادون يجتمعون على رأى واحد

وقال آخر أرأيتم ان استشار الملك القضاة والفقهاء ماذا يشيرون به علينا فى أمرنا ، قال الاخر لاتخلو فتاوى الفقهاء وحكم القضاة من إحدى ثلاثة وجوه إما عتقها وتخليتها من أيدينا أو بيعها وأخذ اثمانها أو التخفيف عنها والاحسان اليها ليس في حكم الشريعة واحكام الدين غير هذا

وقال آخر أرأيتم إن استشار الملك الوزير فى أمرنا ماذا يشير عليه

ليت شعري قال قائل منهم أظنه سيقول أن هذه الطوائف قد نزلوا بساحتنا واستذموا بذمامنا واستجاروا بنا وهم مظلومون ونصرة المظلوم واجبة على الملوك المقسطين لانهم خلفاء الله في أرضه ملكهم على عباده و بلاده ليحكموا بينهم بالعدل والانصاف ويعينوا الضعفاء ويرحموا أهل البلاء ويقمعوا أهل الظلم ويجبروا الخلق على احكام الشريعة ويحكموا بينهم بالحق شكراً لنعم الله عليهم وخوفاً من مسائلتهم غداً

وقال آخر أرأيتم لو أمر الملك القاضي أن يحكم بيننا فيحكم بأحد الاحكام الثلاثة ماذا تقولون وماذا تفعلون قالوا ليس لنا أن نخرج من حكم الملك ولا من حكم القاضي لان القضاة خلفاء الانبياء والملك حارس الدين.

وقال آخر أرأيتم أن حكم القاضي بعتقها وتخلية سبيلها ماذا تصنعون . قال أحدهم نقول مماليكنا وعبيدنا وورثناهم عن آبائنا وأجدادنا ونحن بالخيار ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل

قالوا وإن قال القاضي هاتوا الصكوك والوثائق والعهود والشهود بأن هؤلاء عبيدكم ورثتموهم عن آبائكم قالوا نجيء بالشهود من جيراننا وعدول بلادنا قال ان قال القاضي إني لا أقبل شهادة الانس بعضهم لبعض على هذه البهائم انها عبيد لهم لانهم كلهم خصماء لها وشهادة الخصم لا تقبل في احكام الدين أو يقول القاضي أين الوثائق والصكوك والعهود هاتوها واحضروها ان كنتم صادقين . ما ذا تقول وتفعل عند ذلك فلم يكن عند الجماعة جواب في ذلك غير العباسي فانه قد قال نقول لقد كانت لنا عهود ووثائق وصكوك ولكنها غرقت في ايام الطوفان ، قالوا فان قال القاضي احلفوا بايمان مغلظة انها عبيد لكم قال نقول لا يتوجه اليمين الا على المنكرين والبينة على المدعين ونحن مدعون فلا يتوجه علينا اليمين ، قال فان استحلف القاضي هذه البهائم فحلفت بانها ليست بعبيد لكم ماذا تفعلون قال قائل منهم نقول انها قد حنثت فيما حلفت ولنا حجج عقلية وبراهين ضرورية تدل على انها عبيد لنا .

قال أرأيتم أن حكم القاضي ببيعها وأخذ أثمانها فماذا تقولون وماذا تفعلون قال أهل المدن نبيعها ونأخذ أثمانها ونتنعم بها ، فقال أهل الوبر من الاعراب والاكراد والاتراك والبوادي هلكنا والله ان فعلنا ذلك الله الله في أمرنا ولا تحدثوا أنفسكم بهذا فقال لهم اهل المدن لم ذاك قالوا لانا اذا فعلنا ذلك بقينا بلا لبن نشرب ولا لحم نأكل ولا ثياب من صوف ولا دثار من وبر ولا أثاث من

شعر ولا نعال ولا خف ولا نطع ولا قربة ولا غطاء ولا لبود ولا وطاء فنبقى عراة حفاة أشقياء بسوء الحال ويكون الموت خير لنا من الحياة ، ويصيب أهل المدن مثل ما أصابنا فلا تمتقوها ولا تبيعوها ولا تحدثوا أنفسكم بهذا الحديث بل الاحسان اليها والتخفيف عنها والرفق بها والتحنن عليها والرحمة لها فانها لحم ودم مثلكم تحس وتتألم ولم يكن لكم سابقة عند الله جازاكم بها حين سخرها لكم ولا كان لها جناية عند الله عاقبها بها ولا ذنب ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا مبدل لقضائه ولا منازع له في ملكه ولا خلاف لمعلومه أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم انه الغفور الرحيم

فصل

ولما قام الملك من مجلسه وانصرفت طوائف الحضور اجتمعت البهائم فخلصت نجياً فقال قائل منهم قد سمعتم ماجرى بيننا وبين خصمائنا من الكلام والمناظرة ولم تنفصل الحكومة على شيء فما الرأي عندكم قال قائل منهم نعود في غد ونشكوا ونبكي ونتظلم فلعل الملك يرحمنا ويفك أسرنا فانه قد أدركته الرحمة علينا اليوم ولكن ليس من الرأي الصواب للملوك والحكام أن يحكموا بين الخصوم إلا بعد أن يتوجه الحكم على أحد الخصمين بالحجة الواضحة والبينة العادلة والحجة لا تصح إلا بالفصاحة والبيان وذرابة اللسان وهذا حاكم الحكام محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يقول : انكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجة من بعض فأحكم له فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً فاني انما أقطع له قطعة من النار

واعلموا ان الانس أفصح منا لساناً وأجود بياناً وانا نخاف عليكم أن يحكم لهم علينا غداً عند الحجاج والمناظرة فما الرأي الصواب عندكم قولوا فان كل واحد من الجماعة اذا فكر سنح لكل واحد وجه من الرأي صواباً كان أو خطأ .

قال قائل منهم الرأي الصواب عندي أن نرسل رسلا الى سائر أجناس

الحيوانات فنعرفهم بالخبر ونسألهم أن يبعثوا الينا زعماءهم وخطباءهم ليعاونونا فيما نحن فيه فان لكل جنس منها فضيلة ليست للاخرى بضروب من التمييز والرأي الصواب والفصاحة والبيان والنظر والحجج واذا كثر الانصار يرجى الفلاح والنجاح والنصر من الله ينصر من يشاء والعاقبة للمتقين

فقالت الجماعة حينئذ : صواباً مارأيت ونعم ما أشرت فأرسلوا ستة نفر الى ستة أجناس من الحيوان وسايعها كانوا هم حضوراً من البهائم والانعام . منها رسولا الى الحشرات ورسولا الى الطيور ورسولا الى السباع ورسولا الى الجوارح ورسولا الى الهوام ورسولا الى حيوان الماء

﴿ فصل في بيان تبليغ الرسالة ﴾

ثم بعد ذلك رتبوا الرسل وبعثوا الى كل واحد منهم فلما وصل الرسول الى أبي الحرث الاسد ملك السباع وعرفه الخبر وقال له ان زعماء البهائم والانعام مجتمعون مع زعماء الانس عند ملك الجن للمناظرة وقد بعثوا الى سائر أجناس الحيوانات يستمدون منها وبعثوني اليك لترسل معي زعيما من جنودك من السباع ليناظر ولينوب عن الجماعة من أبناء جنسه اذا دارت النوبة في الخطاب اليه . فقال الملك للرسول وماذا يزعم الانس ومايدعون على البهائم والانعام . قال الرسول يزعمون انها عبيد لهم وخول وانهم أرباب لها ولسائر أجناس الحيوانات التي على وجه الارض .

قال الاسد : وبماذا يفتخر الانس عليها ويستحقون الربوبية ؟ أبالقوة والشجاعة والجسارة أم بالحملات والوثبات أم بالقبض والامساك بالمخالب أو بالقتال والوقوف في الحرب أم بالهيبة والغلبة فان كانوا يفتخرون بواحدة من هذه الخصال جمعت جنودي ثم ذهبنا حتى نحمل عليهم حملة واحدة ونفرق جمعهم ونشتت شملهم قال الرسول لعمري ان من الانس من يفتخر بمثل هذه الخصال التي ذكرها الملك ولهم مع ذلك أعمال وصنائع وحيل ومرافق ومكائد لاتخاذ

السلاح من السيوف والرماح الردينيات والحراب والسكاكين والنشاب والقسي والجنن والاحتراز من مخالب السباع وأنيابها باتخاذ لباس اللبود والجواشن والقرغندات والدروع والخوذ والزرد مما لا تنفذ فيها أنياب السباع ولا تصل اليها مخالبها ولهم مع ذلك حيل أخرى في أخذ السباع والوحوش من الخنادق المحفورة والزبيات المستورة والصناديق المعمولة والفخاخ المنصوبة والوهق والستائر وآلات أخر لا تعرفها السباع فتحذرها ولا تهتدي كيف الخلاص منها اذا وقعت هي فيها ولكن ليس الحكومة ولا المناظرة بحضرة ملك الجن بخصلة من هذه وانما الحجاج والمناظرة بفصاحة الالسنة وجودة البيان ورجحان العقول ودقة التمييز .

فلما سمع الاسد قول الرسول وما أخبره به فكر ساعة ثم أمر مناديا ينادي فاجتمعت عنده جنوده من أصناف السباع والوحوش من النمور والفهود والدببة وبنات آوى والذئاب والثعالب وسنانير البر والضباع وأصناف القرود وبنات عرس وبالجملة كل ذي مخلب وناب يأكل اللحمان

فلما اجتمعت عند الملك عرفها الملك الخبر وما قال الرسول ثم قال أيكم يذهب الى هناك فينوب عن الجماعة فنضمن له ما يريد ويتمنى علينا من الكرامة والقربى إذ هو نجح في المناظرة والحجة في الحجاج فسكتت السباع ساعة متفكرة هل أحد يصلح لهذا الشأن أم لا ثم قال النمر للأسد أنت ملكنا ومولانا ونحن عبيدك ورعيتك وجنودك وسبيل الملك أن يدبر الرأي ويشاور أهل البصيرة بالامور ثم يأمر وينهي ويدبر الامور كما يجب وسبيل الرعية أن يسمعوا ويطيعوا لان الملك من الرعية بمنزلة الرأس من الجسد والرعية والجنود بمنزلة الاعضاء من البدن فمتى قام كل واحد منها بما يجب من الشرائط انتظمت الامور واستقامت وكان فى ذلك صلاح الجميع وفلاح الكل

فقال الأسد للنمر وما تلك الخصال والشرائط التى قلت انها واجبة على الملك والرعية بينها لنا . قال نعم أما الملك فينبغي أن يكون رجلا عاقلا أديبا لبيبا

سخيا شجاعا عادلا رحيما عالي الهمة كثير التحنن شديد العزيمة صارما في الامور متأنيا ذا رأي وبصيرة ومع هذه الخصال ينبغي أن يكون مشفقا على رعيته متحننا على جنوده وأعوانه رحيما بها كالأب المشفق على اولاده الصغار شديد العناية بصلاح امورهم

وأما الذي يجب على الرعية والجنود والاعوان فالسمع والطاعة للملك والمحبة له والنصيحة لاعوانه وان يعرفه كل واحد منهم ماعنده من المعرفة وما يحسن من الصناعة وما يصلح له من الأعمال ويعرف الملك أخلاقه وسجاياه ليكون الملك على علم منه وينزل كل واحد منهم منزلته ويستخدمه فيما يحسن ويستعين به فيما يصلح له .

قال الاسد : لقد قلت صواباً ونطقت حقاً فبوركت من رحيم ناصح للملك ولاخوانه ولابناء جنسه فما الذي عندك من المعاونة في هذه الامور التي قد دعينا اليها واستعين بنا فيها

قال النمر للاسد سعد نجمك وظفرت يداك أيها الملك ان كان الأمر يمشي هناك بالقوة والجلد والغلبة والقهر والحمل والحقد والحنق والحمية فانا لها .

قال الملك لا يمشي الامر هناك بشيء مما ذكرت .

قال الفهد ان كان الامر يمشي هناك بشيء من الوثبات والقفزات والقبض والبسط فأنا لها ، قال الملك لا

قال الذئب ان كان الامر يمشي هناك بالغارات والخصومات والمكابرات فأنا لها ، قال الملك لا

قال الثعلب ان كان الامر يمشي هناك بالختل والحيلة والعطفات والروغات وكثرة الالتفات والمكر فانا لها ، قال الملك لا

قال ابن عرس ان كان الامر يمشي باللصوصية والتجسس والاختفاء والسرقة فأنا لها ، قال الملك لا

قال القرد ان كان الامر يمشي هناك بالخيلاء والمجانة واللعب واللهو والرقص وضرب الطبل والدف فأنا لها ، قال الملك لا

قال السنور ان كان الامر يمشي هناك بالتواضع والسؤال والكدية والمؤانسة والتخرخر فأنا لها ، قال الملك لا

قال الكلب ان كان الامر يمشي هناك بالبصبصة وتحريك الذنب واتباع الاثر والحراسة والنباح فأنا لها . قال الملك لا

قال الضبع ان كان الامر يمشي هناك بنبش القبور وجر الجيف وحرب الكلاب والكراع ونقل الروح فأنا لها ، قال الملك لا

قال الجرز ان كان الامر يمشي هناك بالاضرار والافساد والقرض والقطع والسرقة والاخراب فأنا لها قال الملك لا يمشي الامر هناك بشيء من هذه الخصال التي ذكرتموها

ثم أقبل الاسد على النمر وقال : ان هذه الخصال والطباع والاخلاق والسجايا التي ذكرت هذه الطوائف من أنفسها لا تصلح الا لجنود الملوك من بني آدم وسلاطينهم وأمرائهم وقادة الجيوش وولاة الحروب وهم اليها أحوج وأليق بهم لان أنفسهم سبعية وان كانت أجسادهم بشرية وصورهم آدمية

أما مجالس العلماء والفقهاء والحكماء وأهل العقل والرأي والعلم والتمييز فان أخلاقهم وسجاياهم أشبه بأخلاق الملائكة الذين هم سكان السموات وجنود رب العالمين فمن ترى يصلح أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة

قال النمر صدقت أيها الملك فيما قلت ولكن أرى العلماء والفقهاء من بني آدم قد تركوا هذه الطريقة التي قلت أيها أخلاق الملائكة وأخذوا في ضروب من أخلاق الشياطين من المكابرة والمغالبة والتعصب والعداوة والبغضاء فيما يتناظرون ويتجادلون من الصياح والسفاهة . وهكذا من نجدهم في مجالس القضاة والحكام يفعلون ما ذكرت وتركوا استعمال الادب والعقل والنصيحة والعدل . قال صدقت ، ولكن رسول الملك يجب أن يكون رجلا عاقلا حكيما خبيراً فاضلا

منصفاً كريماً لا يميل ولا يجنف في الاحكام فمن ترى ان نبعثه الى هناك رسولا وزعيما يفي بخصال الرسالة وليس في جماعة الحاضرين من يفي بها هاهنا

﴿ فصل في بيان صفة الرسول كيف ينبغي أن يكون ﴾

قال النمر للاسد ماتلك الخصال التي ذكرت أيها الملك أنها يجب أن تكون في الرسول ، بينها لنا قال الملك نعم أولها يحتاج ان يكون رجلا عاقلا حسن الاخلاق بليغ الكلام فصيح اللسان جيد البيان حافظا لما يسمع محترزاً فيما يجيب ويقول مؤدياً للامانة حسن العهد مراعياً للحقوق كتوماً للسر قليل الفضول في الكلام لا يقول من رأيه شيئاً غير ماقيل له الا مايرى فيه صلاح المرسل ولا يكون شرها ولا يكون حريصاً اذا رأى كرامة عند المرسل اليه مال الى جهته وخان مرسله واستوطن البلد لطيب عيشه هناك أو كرامة يجدها أو شهوة ينالها هناك بل يكون ناصحاً لمرسله ولاخوانه وأهل بلده وأبناء جنسه ويبلغ الرسالة ويرجع بسرعة الى مرسله فيعرفه جميع ماجرى من أوله الى آخره ولا يخاف في شيء منه في تبليغ رسالته مخافة من مكروه يناله فانه ليس على الرسول الا البلاغ

ثم قال الاسد للنمر فمن ترى يصلح لهذا الامر من هذه الطوائف . قال النمر لا يصلح لهذا الشأن الا الحكيم العادل والعالم الخبير كليلة أخو دمنة . قال الاسد لابن آوى ما تقول فيما قال فيك قال أحسن الله جزاءه وأطاب عنصره قال ما يشبهه من الفضل والكرم . قال الملك لابن آوى فهل تنشط وتمضي الى هناك وتنوب عن الجماعة ولك الكرامة علينا اذا رجعت وأفلحت . قال سمعا وطاعة لامر الملك ولكن لاأدري كيف اعمل وكيف أصنع مع كثرة أعدائي هناك من أبناء جنسنا

قال الملك من هم قال الكلاب ايها الملك قال مالها قال لانها قد استأمنت الى بني آدم وصارت معينة لهم علينا معشر السباع

قال الملك ما الذي دعاها الى ذلك وحملها عليه حتى فارقت أبنـاء جنسها وصارت مع من لا يشاكلها معينة لهم على أبناء جنسها ، فلم يكن عند أحد من ذلك علم غير الذئب فانه قال أنا أدري كيف كان السبب وما الذي دعاها الى ذلك

قال الملك قل لنا و بينه لنعلم كما تعلم ، قال نعم ايها الملك انما دعى الكلاب الى مجاورة بنى آدم ومداخلتهم مشاكلة الطباع ومجانسة الاخلاق وما وجدت عندهم من المرغوبات واللذات من المأكولات والمشروبات وما في طباعها من الحرص والشره واللؤم والبخل وما في جبلتها من الاخلاق المذمومة الموجودة في بنى آدم مما السباع عنه بمعزل ، وذلك ان الكلاب تأكل اللحمانميتاًوحياً ومذبوحاً قديداً ومطبوخاً ومشوياً ومالحاً وطرياً وجيداً ورديئاً وثماراً وبقولاً وخبزاً ولبناً وحليباً وحامضاً وجبناً وسمناً ودسماً ودبساً وشيرجاً وناطفاً وعسلاً وسويقاً وكوامخاً وما شاكلها من اصناف مأكولات بنى آدم التى اكثر السباع لا يأكلها ولا يعرفها ومع هذه الخصال كلها فان بها من الشره واللؤم والبخل ما لا يمكنها ان تترك احـداً من السباع ان يدخل قرية او مدينة مخافة ان ينازعها في شيء مما هي فيه حتى انه ربما يدخل احد من بنات آوى او بنات ابي الحصين قرية بالليل ليسرق منها دجاجة أو ديكاً أو سنوراً أو يجر جيفة مطروحة أو كسرة مرمية أو ثمرة متغيرة فترى الكلاب كيف تحمل عليه وتطرده وتخرجه من القرية ومع هذا كله أيضاً نرى بهامن الذل والمسكنة والفقر والهوان والطمع ما اذا رأى في يد أحد من بنى آدم من الرجال والنساء والصبيان رغيفاً أوكسرة أو تمرة أو لقمة كيف يطمع فيها وكيف يتبعه ويبصبص بذنبـه ويحرك برأسه ويحد النظر الى حدقته حتى يستحي أحدهم فيرمي بها اليه . ثم تراه بعـد كيف يعدو اليها بسرعة وكيف يأخذها بعجلة مخافة أن يسبقه اليها غيره وكل هـذه الاخلاق المذمومة موجودة في الانس والكلاب فمجانسة الاخلاق ومشاكلة الطباع دعت الكلاب الى أن فارقت ابناء جنسها من السباع واستأنست من الانس وصارت معينتهم على أبناء جنسها من السباع

قال الملك ومن غيرهم من المستأمنة الى الانس من السباع . قال الذئب السنانير أيضاً . قال الملك ولم استأنست السنانير أيضاً . قال العلة واحدة وهي مشاكلة الطباع لأن السنانير بها أيضاً من الحرص والشر والرغبة في ألوان المأكولات والمشروبات مثل ما بالكلاب

قال الملك كيف حالها عندهم . قال هي أحسن حالا من الكلاب قليلا ، وذلك أن السنانير تدخل بيوتهم وتنام في مجالسهم وتحت فرشهم وتحضر موائدهم فيطعمونها مما يأكلون ويشربون وهي أيضاً تسرق منهم أحياناً اذا وجدت فرصة من المأكولات

وأما الكلاب فلا يتركونها تدخل بيوتهم ومجالسهم وبين الكلاب وبين السنانير بهذا السبب حسد وعداوة شديدة حتى ان الكلاب اذا رأت سنوراً خرجت من بيوتهم حملت عليها حملة تريد أن تأخذها وتأكلها وتمزقها والسنانير اذا رأت الكلاب تنفخ في وجوهها وتفشت شعورها وأذنابها وتطاولت وتعظمت كل ذلك عناداً لها وعداوة ومناصبة وحسداً وبغضاً وتنافسا في المراتب عند بني آدم

قال الاسد للذئب من رأيت ايضا من المستأنسة غير هذين من جنس السباع . قال الفأر والجرزان يدخلون منازلهم وبيوتهم ودكاكينهم وخاناتهم غير مستأنسين بل على وحشة ونفور

قال فماذا يحملها على ذلك . قال الرغبة في المأكولات والمشروبات من الالوان قال من يداخلهم أيضا من أجناس السباع ، قال ابن عرس على سبيل اللصوصية والخلسة والتجسس ، قال ومن غيرها من يداخلهم قال لا غير سوى الاسارى من الفهود والقرود على كره منها

ثم قال الملك للذئب متى استأنست الكلاب والسنانير الى الانس . قال منذ الزمان الذي استظهرت فيه بنو قابيل على بني هابيل ، قال كيف كان ذلك حدثنا ذلك

قال لما قتل قابيل اخاه هابيل طالب بنو هابيل من بني قابيل بثأر ابيهم فاقتتلوا و تحاربوا واستظهرت بنو قابيل على بني هابيل فهزموهم ونهبوا اموالهم وساقوا مواشيهم من الاغنام والبقر والخيل والبغال والجمال وغنموا واستغنوا فأصلحوا الدعوات والولائم وذبحوا حيوانات كثيرة ورموا برؤوسها واكارعها و كروشها حول ديارهم وقراهم فلما رأتها الكلاب والسنانير رغبت جميعا في كثرة الريف والخصب ورغد العيش فداخلتهم وفارقت ابناء جنسها وصارت معهم معينة الى يومنا هذا

فلما سمع الملك الاسد ما ذكره الذئب من هذه القصة . قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون واستكثر من هذه الكلمات وتكرارها فقال له الذئب ما الذي اصابك ايها الملك الفاضل وما هذا التأسف على مفارقة الكلاب والسنانير لابناء جنسها . قال الاسد ليس تأسفي على شيء فاتني منهم ولكن لما قالت الحكماء بأنه ليس شيء على الملوك اضر ولا افسد لامرهم وامر رعيتهم من المستأمن من جندهم واعوانهم الى عدوهم لانه يعرف اسرارهم واخلاقهم وسريرتهم وعيوبهم واوقات غفلتهم والنصحاء من جنودهم والخونة من رعيتهم فيدله على طرقات خفية ومكائد دقيقة وكل هذه مضارة للملوك وجنودها لا بارك الله في الكلاب والسنانير

قال الذئب قد فعل الله بها مادعوته عليها ايها الملك واستجاب دعاك ورفع البركة من نسلها وجعلها في الغنم . قال كيف ذلك . قال لان الكلبة الواحدة تجتمع عليها فحول لتحبلها وتلقى هي من الشدة عند العلق والخلاص جهداً وعناء ثم انها تلد ثمانية او اكثر ولا يرى منها في البر قطيع ولا في المدينة كما في الاغنام من القطعان يذبح منها في كل يوم في المدن والقرى من العدد ما لا يحصى كثرة ، وهي مع ذلك تنتج كل سنة واحداً او اثنين، والعلة في ذلك ان الآفات تسرع الى اولاد الكلاب والسنانير قبل الفطام لكثرة اختلاف مأكولاتها فيعرض لها من الامراض المختلفة مما لا يعرض للسباع منها

شيء وكذلك ان سوء اخلاقها وتأذي الناس منها ينقص من عمرها ومن اولادها .
ثم قال الاسد لكليلة سر بالسلامة والبركة على بركة الله وعونه الى حضرة الملك وبلغ ما ارسلت به

فصل

ولما وصل الرسول الى ملك الطيور وهو الشاه مرغ امر مناديا ينادي فنادى فاجتمعت عنده اصناف الطيور من البر والبحر والسهل والجبل عدد كثير لا يحصى عددها الا الله فاخبرهم ما اخبر به الرسول من اجتماع الحيوانات عند ملك الجن للمناظرة مع الانس فيما ادعوه عليها من الرق والعبودية
ثم قال الشاه مرغ للطاووس وزيره من هاهنا من فصحاء الطيور ومتكلميها يصلح أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة في المناظرة مع الانس
قال الطاووس هاهنا جماعة تصلح لذلك . قال بينهم لي لاعرفهم . قال هاهنا الهدهد الجاسوس ، والديك المؤذن والحمام الهادي ، والدراج المنادي ، والدرج المغني والقنبر الخطيب . والبلبل الحاكي والخطاف البناء . والغراب الكاهن والكركي الحارس . والقطاء الكدري . والطيطوي الميمون . والعصفور الشبق . والشقراق الاخضر . والفاختة النائح . والورشان الدجلي . والقمري المكي . والصقر الجبلي . والزرزور الفارسي . والسمان البري . واللقلق القلقي . والعقعق البستاني . والبط الكسكوكي . ومالك الحزين . وأبو تيمار أخوه . والكركي البطائحي . والهزار دستان اللغوي الكثير الالحان . والغواص البحري . والنعامة البدوي

قال الشاه مرغ للطاووس أرنيهم واحداً واحداً لانظر اليهم وأبصر شمائلهم ومن يصلح لذلك الامر قال نعم

أما الهدهد الجاسوس صاحب النبي سليمان عليه السلام فهو ذلك الشخص الواقف اللابس مرقعة ملونة المنتن الرائحة قد وضع على رأسه البرنس ينقر كأنه

يسجد ويركع وهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والقائل لسليمان في خطابه معه « أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون »

وأما الديك المؤذن فهو ذلك الشخص الواقف فوق الحائط صاحب اللحية الحمراء والتاج ذي الشرفات ، الاحمر العينين المنتشر الحاجبين الصفافين المنتصب الذنب كأنه أعلام وهو الغيور السخي الشديد المراعاة لامر حرمه وحلائله العارف بأوقات الصلاة المذكر بالأسحار المنبه للجيران الحسن الموعظة وهو القائل في اذانه في وقت السحر اذكروا الله ماأطول ماأنتم نائمون والموت والبلى لاتذكرون ومن النار لاتخافون والى الجنة لا تشتاقون ونعم الله لاتشكرون ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فاذكروا هازم اللذات وتزودوا فان خير الزاد التقوى

وأما الدراج المنادي فهو ذلك الشخص الواقف على التل الابيض الخدين الأبلق الجناحين المحدودب الظهر من طول السجود والركوع وهو كثير الاولاد مبارك النتاج المذكر المبشر في ندائه وهو القائل لنفسه في أيام الربيع بالشكر تدوم النعم وبالكفر تحل النقم واشكروا نعم الله يزدكم ثم يقول أيضاً في أيام الربيع شعراً :

سبحان ربي وحده عز وجل حمداً على نعمائه فقد شمل
جاء الربيع والشتا قد ارتحل ووازن الليل النهار فاعتدل
ودارت الايام حولاً قد كمل من عمل الخير ففي الخير حصل

ثم يقول اللهم اكفني شر بنات آوى والجوارح والصيادين من بني آدم ووصف طباعهم من جهة التغذية والمنفعة وشهوات مرضاهم

وأما الحمام الهادي فهو ذلك الحلق في الهواء الحامل كتاباً ما الى بلد

بعيد في رسالة وهو القائل في طيرانه وذهابه شعراً

يا وحشتنا من فرقة الاخوان   يا طول أشواقي الى الخلان
يارب أرشدنا إلى الاوطان

وأما الدراج المغني فهو ذلك الماشي بالتبختر في وسط البستان بين الاشجار والريحان المطرب بأصواته الحسان ذوات النغم والألحان وهو القائل في مراثيه ومواعظه شعراً

يامفنياً للعمر في البنيـان   وغارس الاشجار في البستان
وباني القصور في الميـدان   وقاعداً في الصدر في الايوان
وغافلا عن نوب الزمان   احذر ولاتغتر بالرحمن
واذكر غدا الترحال للجبان   مجاور الحيات والديدان
من بعد عيش طيب المكان

وأما القنبر الخطيب فهو ذلك الشخص صاحب الذنب المرتفع في الهواء على رأس الزرع والحصاد في أنصاف النهار كالخطيب على المنبر الملحن بأنواع الاصوات المطربة وفنون النغمات اللذيذة وهو القائل في خطبته وتذكاره شعراً

أين أولو الالباب والافكار   أين ذوو الارباح والتجار
من حبة الزراع في العقـار   سبعون ضعفاً كيل بالمقدار
مواهباً من واحد غفار   فاعتبروها يا أولي الابصـار

وآتوا حقه يوم حصاده ولاتغدوا تخافتون على حرد قادرين ألا يدخلنهـا اليوم عليكم مسكين .من يزرع اليوم خيراً يحصده غداً غبطة ومن يغرس معروفاً يجني غداً ربحاً . الدنيا كالمزرعة والعاملون من أبناء الآخرة كالحراث وأعمالهم كالزرع والشجر والموت كالحصاد والقبر كالبيـدر ويوم البعث كأيام الدراس . وأهل الجنة كالحب والثمار ، واهل النار كالتبن والحطب ويومئذ يميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم وينجي الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولاهم يحزنون

واما البلبل الحاكي فهو ذلك القاعد على غصن تلك الشجرة وهو الصغير الجثة السريع الحركة الابيض الخدين الكثير الالتفات يمنة ويسرة الفصيح اللسان الجيد البيان كثير الالحان يجاور بني آدم في بساتينهم ويخالطهم في مساكنهم ويكثر مجاوبتهم في كلامهم ويحاكيهم في نغماتهم ويعظهم في تذكاره لهم فهو القائل لهم عند لهوهم وغفلاتهم : سبحان الله كم تلعبون ، سبحان الله كم تحكون ، سبحان الله الا تسبحون ، سبحان الله أليس للموت تولدون، أليس للبلاء تربون أليس للخراب تبنون أليس للفناء تجمعون كم تلعبون وكم تولهون أليس غدا تموتون وفي التراب تدفنون « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » يا ابن آدم « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول » ثم يقول : اللهم اكفني ولع الصبيان وشر سنانير الجيران ياحنان يا منان ياديان يا غفران

وأما الغراب الكاهن منبيء الانباء فهو ذلك الشخص اللابس السواد المتوقي المحذر المبكر بالاسحار للطواف في الديار المتتبع للآثار الشديد الطيران الكثير الاسفار الذاهب في الاقطار المخبر بالكائنات المحذر أوقات النقلات وهو القائل في نعيقه وانذاره ألوحا ألوحا النجا النجا احذر البلى يامن طغى وبغى أين المفر والخلاص من القضاء الا بالصلاة والدعاء لعل رب السماء يكفيكم كيف يشاء

وأما الخطاف البناء فهو ذلك السائح في الهواء الخفيف الطيران ، القصير الرجلين الواقي الجناحين ، المجاور لبني آدم في دورهم ، المربي لأولاده في منازلهم ، وهو كثير التسبيح في الأسحار ، كثير الدعاء والاستغفار ، بالعشي والابكار الذاهب البعيد في الاسفار المصيف في الصرد والمشتي في الحرور ، وهو القائل في تسبيحه ، وتذكاره ودعائه ، سبحان خالق البحار والقفار ، سبحان مرسي الجبال ، ومجري الانهار ، سبحان مولج الليل والنهار ، سبحان مقدر الآجال

والارزاق بمقدار ، سبحان من هو الصاحب في الاسفار ، سبحان من هو الخليفة في الاهل والديار ، ثم يقول ذهبنا في البلاد ورأينا العباد ورجعنا الى موضع التلاد ونتجنا بعد النفاد فلله الحمد انه الكريم الجواد

وأما الكركي الحارس فهو ذلك الشخص القائم في الصحراء ، الطويل الرقبة والرجلين ، القصير الذنب الوافر الجناحين ، وهو الذاهب في طيرانه ، له صفير الحارس في الليل نوبتين ، وهو القائل في تسبيحه ، سبحان مسخر النيرين ، سبحان مارج البحرين ، سبحان رب المشرقين ورب المغربين ، سبحان الله خالق الثقلين ، سبحان هادي النجدين ، سبحان الخالق من كل شيء زوجين اثنين . والقطا الكدري فهو ساكن البراري والقفار ، وهو بعيد الورد الى الأنهار ، ويسافر بالليل والنهار الكثير التسبيح والتذكار ، القائل في غدوه ورواحه وورودهوصدوره سبحان خالق السماوات المسموكات ، سبحان خالق الاراضين المدحوات ، سبحان خالق الافلاك الدايرات ، سبحان خالق البروج الطالعات ، سبحان خالق الكواكب السيارات ، سبحان مرسل الرياح الذاريات ، سبحان منشيء السحب الممطرات ، سبحان رب الرعود المسبحات ، سبحان رب البروق اللامعات ، سبحان رب البحار الزاخرات ، سبحان مرسي الجبال الشامخات ، سبحان مدبر الليل والنهار والأوقات ، سبحان منشيء الحيوانات والنبات ، سبحان خالق الانوار والظلمات ، سبحان خالق الخلق في البحار والفلوات ، سبحان محيي العظام الرفات الدارسات البااليات بعد الممات ، سبحان من تكل الالسن عن مدحه ووصفه بحقائق الصفات

وأما الطيطوي الميمون المبارك فهو ذلك القائم على المياه الابيض الخدين الطويل الرجلين الزكي الخفيف الروح وهو المحذر الطيور في الليل في اوقات الغفلات المبشر بالرخص والبركات وهو القائل في تسبيحه

يا فالق الاصباح والانوار ومرسل الرياح في الاقطار

ومنشيء السحاب ذي الامطار وجرى السيول والانهار
ومنبت العشب مع الاشجار ومخرج الحبوب والثمار
فاستبشروا يامعشر الاطيار بسعة الرزق من الغفار

وأما الهزار داستان المنوى الكثير الالحان فهو ذلك القاعد على غصن الشجرة الصغير الجثة الخفيف الحركة الطيب النغمة وهو القائل في غنائه والحانه شعراً:

الحمد لله ذي القدر والاحسان الواحد الفرد ذي الغفران
يامنعما في السر والاعلان كم نعمة بمنة الرحمن
تفيض كالبحار في الجريان ياطيب عيش كان في الازمان
بين رياض الروح والريحان وسط البساتين على الاغصان
مثمرة الأشجار بالألوان لو أنني ساعدني اخواني
ذاكرتهم بكثرة الالحان

ثم قال الشاه مرغ للطاووس من ترى يصلح من هؤلاء أن نبعثه الى هناك ليتناظر مع الانس وينوب عن الجماعة .

قال الطاووس كلهم عبيدك يصلح لذلك لانهم كلهم فصحاء خطباء شعراء عقلاء فضلاء غير ان الهزار داستان أفصحهم لسانا وأجودهم بياناً وأطيبهم نغمة والحاناً .

قال الشاه مرغ سر وتوكل على الله عز وجل فبعثه ، ولما وصل الرسول الى ملك الحشرات وهو النحل وعرفه الخبر أمر مناديه فنادى فاجتمعت عنده الحشرات من الزنانير واليعاسيب والذباب والبق والجراجيس والجعلان والزراريح والجراد .

وبالجملة هي كل حيوان صغير الجثة يطير بالاجنحة ليس له ريش ولا عظم ولا دفء ولا وبر ولا شعر ولا يعيش سنة كاملة غير النحل لانه يهلكها الحر المفرط والبرد المفرط شتاء وصيفاً ثم انه عرفها الخبر.

وقال أيكم يذهب الى هناك وينوب عن الجماعة فى مناظرة الانس .

قال الجماعة بماذا يفتخر الانسان علينا قال الرسول بكبر الجثة وعظم الخلقة وشدة القوة والقهر والغلبة

قال زعيم الزنانير نحن نمر الى هناك ونتوب عن الجماعة ، قال زعيم الذباب لابل نمر الى هناك ، قال زعيم الجراجيس لابل نمر الى هناك .

ثم قال زعيم البق نحن نمر الى هناك ، قال زعيم الجراد نحن نمر الى هناك ، قال لهم الملك مالى أرى كل الطوائف قد تبادرت الى البراز من غير فكر ولا روية في هذا الامر قالت الجماعة الثقة بنصر الله تعالى واليقين بالظفر بقوة الله وحوله .ولما تقدم من التجربة فيامضى من الدهور والامم الخالية والملوك الجبابرة قال كيف كان ذلك اخبروني .

قالت البق أيها الملك أصغرنا جثة وأضعفنا بنية قتل النمرود لعنة الله عليه أكبر ملوك بنى آدم واطغاهم وأعظمهم سلطانا وأشدهم صولة وتكبرا قال صدقت:

قال الزنبور اليس اذا لبس أحد من بنى آدم سلاحه الشاك وأخذ بيده سيفه ورمحه وسكينه ونشابه فيقدم واحد منا فيلسعه بحمة مثل رأس ابرة فتشغله عن كل ماأراد وعزم عليه ويتورم جلده وتوهن أعضاؤه وتتربد أعصابه حتى لايقدر على سيفه أو سكينه أو لجام فرسه قال صدقت :

قال الذباب اليس أعظمهم سلطاناً وأشدهم هيبة اذا قعد الملك على سريره وقام الحجاب دونه شفقة عليه أن يناله أذى أو مكروه فيجيء أحدنا من مطبخه أو خلائه ملوث الرجلين والجناحين فيقعد على السرير وعلى ثيابه وعلى وجهه ولحيته ويعذبه ولا يقدر على الاحتراز منا قال صدقت :

قال الجرجيس اليس اذا قعد أحدهم في مجلسه ودسته وسريره وكلله المنصوبة يدخل أحدنا بين ثيابه فيقرضه ويزعجه من سكونه واذا أراد أن يبطش بنا صفع نفسه بيده ولطم خده بكفه ودق رأسه فنفلت منه .

قال صدقت : ولكن ليس في حضرة ملك الجن يمشى الامر بشيء مما ذكرتم انما يمشى الامر هناك بالعدل والنصفة والأدب ودقة النظر وجودة التمييز

والاحتجاج بالفصاحة والبيان بالمناظرة فهل عندكم شيء منها .

فاطرقت الجماعة ثم قال الملك أنا أسير بنفسي وأنا أنصحكم ، فقالت الجماعة فيما قال الملك ، لا ، قال الحكيم من النحل أنا أقوم بهذا الامر بعون الله ومشيئته .

قال الملك والجماعة خار الله لك فيما عزمت عليه ونصرك وأظفرك على خصمائك ومن يريد غلبك وعداوتك ثم ودعهم وتزود ورحل حتى قدم على ملك الجن وحضر المجلس مع من حضر من غيره من سائر أصناف الحيوان

﴿ فصل ﴾

ولما وصل الرسول وهو البغل الى ملك الجوارح وهو العنقاء وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت عنده أصناف الجوارح من النسور والعقبان والصقور والبزاة والشواهين والحداء والرخم والبوم والببغاء وكل طير ذي مخلب مقوس المنقار يأكل اللحم .

ثم عرفها الخبر وماجاء به الرسول من اجتماع الحيوانات بحضرة ملك الجن للمناظرة مع الانس . قال الملك لوزيره كركدن أترى من يصلح من هذه الجوارح أن نبعثه الى هناك لينوب عن الجماعة من أبناء جنسه بالمناظرة مع الانس قال الوزير ليس فيها أحد يصلح لهذا الامر غير البوم قال لم ذلك قال هذه الجوارح كلها تنفر من الانس وتفزع منهم ولا تفهم كلامهم ولا تحسن مخاطبتهم ولا تجاورهم

وأما البوم فهو قريب المجاورة لهم في ديارهم العافية ومنازلهم الدراسة وقصورهم الخربة وينظر الى آثارهم القديمة ويعتبر بالقرون الماضية وفيه مع ذلك من الورع والزهد والخشوع والتقنع والتقشف ماليس لغيره يصوم النهار ويحيي الليل وربما يعظ بني آدم يذكرهم وينوح على ملوكهم الماضية والأمم السالفة ويقول هذه الابيات :

أين الملوك الماضية   تركوا المنازل خالية

جمعوا الكنوز بجدهم تركوا الكنوز كما هيه
فانظر اليهم هل ترى في دارهم من باقيه
الا قبوراً دراسا فيها عظام باليه

﴿ ويقولون أيضاً شعر ﴾

ألا يادار ويحك خبرينا لماذا صار أهلك يهجرونا
فانطقت ولو نطقت لقالت لانك قد بليت وما بلينا

وربما قال :

سألت الدار تخبرني عن الاحباب مافعلوا
فقالت لي أقام القوم أياما وقد رحلوا
فقلت أين أطلبهم وأى منازل نزلوا
فقالت في القبور وقد لقوا والله ما عملوا

وربما قال أيضاً :

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مورداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الاكابر والاصاغر
لايرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت اني لامحالة حيث صار القوم صائر

وقال أيضاً :

نام الخلي فما أحس رقادي واليوم محتضر لدى وسادي
من غير ماسقم ولكن شفني هم أراه فقد أصاب فؤادي
أين الملوك الاولون عهدتهم بين العذيب وبين ارض مراد
ارض تخيرها لطيب مقيلها كعب ابن مامة وابن أم زواد
ارض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذا الشرفات من شداد

ولقد غنوا فيها بأطيب عيشة ... في ظل ملك ثابت الاوتاد
فاذا النعيم وكل ماياهي به ... يوما يصير الى بلى ونفاد
جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنهم كانوا على الميعاد

ثم يقرأ :

كم تركوا فيها من جنات وعيون،وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء الآية .

قال له العنقاء ماتقول فيما ذكر الكركدن قال البوم صدق فيما قال : ولكن لايمكن المصير الى هناك .

قال العنقاء لم ذاك قال لان بنى آدم يبغضونى ويتطيرون برؤيتي ويشتموني من غير ذنب اليهم ولا أذية تنالهم منى فكيف اذا رأوني وقداظهرت لهم الخلاف ونازعتهم في الكلام والمناظرة وهى ضرب من الخصومة تنتج العداوة والعداوة تدعو الى المحاربة والمحاربة تخرب الديار وتهلك أهلها.

قال العنقاء البوم فمن ترى يصلح لهذا الامر ، قال البوم ان ملوك بنى آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين وغيرها ويكرمونها ويحملونها على ايديهم ويمسحونها باكمامهم فلو بعث الملك بواحدة منها اليهم لكان رأيا صوابا

قال العنقاء للجماعة قد سمعتم ماقال البوم وأى شيء عندكم قال البازي صدق البوم فيما قال : لكن ليست كرامتنا على بنى آدم لقرابة بيننا وبينهم ولا علم ولا أدب يجدونه عندنا ولكن لانهم يشاركوننا في معائشنا ويأخذون من مكاسبنا كل ذلك حرصاً منهم على ذلك وشرها واتباعا للشهوات واللعب والبطر والفضول لايشتغلون بما هو واجب عليهم من اصلاح امر معادهم ولما هو لازم لهم من طاعة ربهم وماهم مسئولون عنه يوم المعاد

فقال العنقاء للبازي فمن ترى يصلح لهذا الامر قال البازي أظن أن الببغاء يصلح لهذا الامر لان بنى آدم يحبونها ، ملوكهم ونساؤهم وخاصتهم وعامتهم

وشيوخهم وصبيانهم وعلماؤهم وجهلاؤهم ويكلمهم ويسمعون منه مايقولون ويحاكيهم في كلامهم واقاويلهم .

فقال العنقاء للبيضاء ماتقول فيما قال البازي ، قال صدق فيما قال وأخبر ، واني ذاهب الى هناك وأنوب عن الجماعة بحول الله وقوته وعونه ولكني محتاج الى المعاونة من الملك ومن الجماعة قال له العنقاء ماذا تريد قال الدعاء لله والسؤال منه بالنصر والتأييد ، فدعا له الملك بالنصر وأمنت الجماعة

ثم قال البوم أيها الملك ان الدعاء اذا لم يكن مستجاباً فعناء ونصب وتعب بلافائدة لان الدعاء لقاح والاجابة نتيجة فاذا لم يكن الدعاء مع الشرائط لم ينتج ، قال الملك فما شرائط الدعاء المستجاب ، قال النية الصادقة ، واخلاص القلوب كالمضطر ، وأن يتقدمه الصوم ، والصلاة ، والتوبات والصدقة ، والبر والمعروف قالت الجماعة صدقت وبررت فيما قلت أيها الزاهد الحكيم العالم العابد

قال العنقاء للجماعة من الجوارح الحضور : أما ترون معشر الطيور ماوقعنا فيه من جور بني آدم وتعذيبهم الحيوانات حتى بلغ الامر الينا مع بعدديارنا منهم ومجانبتنا اياهم وتركنا مداخلتهم ، فأنا مع عظم جثتي وخلقي وشدةقوتي وسرعة طيراني تركت ديارهم وهربت منهم الى الجزائر والبحار والجبال ، وهكذا أخي الكركدن لزم البراري والقفار وبعد من ديارهم طلباً للسلامة من شرهم ثم لم نتخلص من شرهم حتى أحوجونا الى المناظرةوالمحاججةوالمحاكمة ولو أراد أحد منا أن يختطف كل يوم منهم عدداً كثيراً لكنا قادرين عليهم ولكن من شيم الاحرار أن يجاوروا الاشرار ويعاملوهم ويكافئوهم على سوء أفعالهم ولايفعلوا مثل فعلهم بل يتركونهم ويبعدون عنهم ويكلونهم الى ربهم ويشتغلون بمصالحهم وبما يجر المنفعة وراحة القلب في المعاد

ثم قال العنقاء وكم من مركب في البحر طرحته الرياح عندي فهديتهم الطريق وكم غريق كسر به المركب فأنجيته الى السواحل والجزائر كل ذلك طلباً لمرضاة

ربي وشكراً للنعمة التي أعطاني من عظم الخلقة وكبر الجثة فشكراً له على إحسانه إلي وهو حسبنا ومعيننا ونعم المولى ونعم النصير

﴿ فصل ﴾

ثم لما وصل الرسول الى ملك حيوان البحر وهو التنين وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت اليه أصناف الحيوانات البحرية من التنانين والكواسج والتماسيح والدلافين والحيتان والسموك والسرطانات والكرازنك والسلاحف والضفادع وذوات الاصداف والفلوس وهي نحو سبعمائة صورة مختلفة الالوان والاشكال فعرفها الخبر وماقاله الرسول ثم قال التنين للرسول بماذا يفتخر بنو آدم على غيرهم أبكبر الجثة أم بالشدة والقوة أو بالقهر والغلبة : ان كان افتخارهم بواحدة منها ذهبت الى هناك ونفخت نفخة واحدة أحرقتهم من أولهم الى آخرهم ثم جذبتهم برجوع نفسي فبلعتهم

قال الرسول لايفتخرون بشيء من ذلك ولكن برجحان العقل وفنون العلم وغرائب الأدب ولطائف الحيل ودقة الصنائع والفكر والتمييز والروية وذكاء النفس

قال التنين صف لي شيئاً منها لاعلمه . قال نعم أيها الملك ألست تعلم ان بني آدم ينزلون بحيلهم وعلومهم وحكمهم الى قرر البحار الزاخرة المظلمة الكثيرة الأمواج ليستخرجوا من هناك الجواهر من الدرر والمرجان وهكذا يعملون الحيلة ويصعدون الى رؤوس الجبال الشامخة فينزلون منها النسور والعقبان وهكذا بالحيلة يعملون العجلة من الخشب ويشدونها في صدور الثيران وأكتافها ثم يحملون عليها الاحمال الثقال وينقلونها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق ويقطعون البراري والقفار والمفاوز

وهكذا بالعلم والحيلة يبنون السفن والمراكب ويحملون فيها الامتعة ويقطعون بها سعة البحار البعيدة الاقطار .

وهكذا بالعلم والحيلة يدخلون في كهوف الجبال ومغارات التلال وعمق الارض فيخرجون منها الجواهر المعدنية والذهب والفضة والحديد والنحاس وغير ذلك .

وهكذا بالعلم والحيلة اذا نصب أحدهم على ساحل بحر أو على شط جزيرة أو على شرعة نهر طلسما أو صنما أو لعبة لم تقدر عشرة آلاف منكم يامعشر التنانين والكواسج والتماسيح أن تجتاز هناك أو تقرب من ذلك المكان ، ولكن ليس أيها الملك بحضرة ملك الجن الا العدل والانصاف في الحكومة والحجة البينة لا بالقهر والغلبة والمكر والحيلة

ولما سمع التنين مقالة الرسول قال لمن حوله من جنوده ألا تسمعون ، ماذا ترون وأي شيء تقولون ، أيكم يذهب الى هناك فيناظر الانس وينوب عن الجماعة من اخوانه وأبناء جنسه .

قال له الدلفين منجي الغرقى : الحوت أولى حيوان البحر بهذا الامر هو لأنه أعظمها خلقة وأكبرها جسما وأحسنها صورة وأنظفها بشرة وأنقاها بياضاً وأملسها بدناً وأسرعها حركة وأشدها سباحة وأكثرها عدداً وتناجاً ومن كان من ابناء جنسها من السموك حتى انه قد امتلأت منها البحار والانهار والبطائح والعيون والجداول والسواقي صغاراً وكباراً وللحوت ايضاً يد بيضاء عند بني آدم حيث اجار نبياً لهم وآواه في بطنه ورده الى مأمنه ، والانس ايضاً يرون ويعتقدون ان مستقر الارض على ظهر الحوت

قال التنين للحوت ماذا ترى فيما قال الدلفين . قال صدق في كل ماقال ولكن لاادري كيف اذهب الى هناك وكيف اخاطبهم وليس لي رجلان امشي بهما ولا لسان ناطق ولاصبر لي عن الماء ساعة واحدة ولكن ارى ان السلحفاء يصلح لهذا الامر لانه يصبر عن الماء ويرعي في البر ويعيش كما يعيش في البحر ويتنفس في الهواء كما يتنفس في الماء وهو مع هذا قوي البدن صلب الظهر جيد العضو حليم وقور صبور على الأذى محتمل الاثقال .

قال التنين للسلحفاة فاترى فيما قال . قال صدق الحوت ولكني لا اصلح لهذا الامر لاني ثقيل المشي والطريق بعيد وقليل الكلام أخرس ولكن السرطان يصلح لهذا الامر والشان لأنه كثير الأرجل جيد المشي سريع العدو حاد المخالب شديد العض ذو فكين وأظافر حداد كثير الأسنان صلب الظهر مقاتل متدرع

قال التنين للسرطان ماذا ترى فيما ذكر السلحفاء

قال صدق ولكن لا ادري كيف أذهب الى هناك مع عجيب خلقتي وتموج صورتي أخاف أن أكون شهرة هناك . قال التنين كيف ذاك

قال لانهم يرونى حيواناً بلا رأس عيناه على كتفيه فمه في صدره وفكاه مشقوقتان من جانبين وله ثمانية أرجل مقوسة معوجة ويمشي على جانبه وظهره كأنه من رصاص . قال التنين صدقت فمن ترى يصلح لهذا الامر أن يتوجه الى هناك . قال السرطان أظن ان التمساح يصلح لهذا الامر لانه طويل الخلقة شديد الارجل جيد المشي سريع العدو واسع الفم طويل اللسان كثير الاسنان قوي البدن مهيب النظر شديد الرصد لمطلبه غواص في الماء وفي الطلب

قال التنين للتمساح ماذا تقول فيما ذكر السرطان . قال صدق ولكني لاأصلح لهذا الامر لاني غضوب ضجور وثاب مختلس فرار غدار وان الامر ليس هناك بالقهر والغلبة ولكن بالحلم والوقار والعدل والتمييز والفصاحة والبيان والعدل والانصاف في الخطاب

قال التمساح ولست أتعاطى شيئاً من هذه الخصال ولكني أرى الضفدع يصلح لهذا الامر لأنه حليم وقور صبور ورع كثير التسبيح والتهليل بالليل والنهار وفي الاسحار كثير الصلاة والدعاء بالعشي والابكار وهو يداخل بني آدم في منازلهم وله عند بني اسرائيل يد بيضاء مرتين احداهما يوم طرح النمرود ابراهيم خليل الرحمن في النار فانه كان ينقل الماء بفيه فيصبه في النار على ابراهيم لتطفى ، ومرة أخرى فانه كان أيام موسى بن عمران معاوناً له على فرعون وهو مع ذلك فصيح اللسان جيد البيان كثير الكلام والتسبيح والتهليل والتكبير

وهو من الحيوان الذى يعيش في الماء ويأوي البر والبحر ويحسن المشى والسباحة جميعاً وله رأس مدور مقنع وعينان براقتان وذراعان وكفان مبسوطان ويمشى متخطياً ومتقفزاً سريعاً ويقعد مربعاً ويدخل منازل بنى آدم ولايخافهم ولايخافون منه

قال التنين لضفدع ماذا ترى فيما ذكر التمساح قال صدق انا أمر الى هناك وأنوب عن الجماعة من اخواننا وحيوان الماء أجمع ولكنى أريد أن تدعو الله بالنصر والتأييد والدعاء بدعاء مستجاب قال التنين كيف يكون الدعاء المستجاب قال كما ذكر البوم للعنقاء في الفصل الذي قبل هذا الفصل قالوا نعم صدق فدعو الله جميعاً بالنصر والتأييد له وودعوه وسار عنهم وقدم على ملك الجن

﴿ فصل في بيان شفقة الثعبان على الهوام ورحمته لهم ﴾

ولما وصل الرسول الى ملك الهوام وهو الثعبان وعرفه الخبر نادى مناديه فاجتمعت اليه أصناف الحيوانات من الهوام مثل الافاعي والحيات والعقارب والجرارات والدخالات والصنب وسام ابرص والحرابي والعظايا والخنافس وبنات وروان والعناكب والنحل والجنادب والبراغيث والقمل والسوالك والفار والصراصر وأصناف الديدان مما يتكون في العفونات أو يدب على رؤس الاشجار أو يتكون في لب الحبوب وقلوب الشجر وجوف الحيوانات الكبار والارضة والحيوان الذى يتولد في الخل أو في الثلج أو في ثمرة الشجرة والسوس وما يتولد في السرقين أو في الطين وما يدب في المغارات والظلمات والاهوية ، فاجتمعت كلها عنده ملكها لايحصيها عدد ولا يعلمها الا الله الذي خلقها كلها وصورها ورزقها ويعلم مستقرها ومستودعها

فلما نظر الملك اليها وهي من عجائب الصور وأصناف الاشكال بقي متعجباً منها ساعة طويلة ثم فتشها فاذاهي اكثر الحيوانات عدداً وأصغرها جثة وأضعفها بنية وأقلها حيلة وحواساً وشعوراً وبقي متفكراً في أمرها . ثم قال الثعبان لوزيره الافعى من ترى يصلح من هذه الطوائف أن نبعثه هناك للمناظرة فان اكثرها

صم بكم عمي بلا يدين ولا رجلين ولا جناحين ولا منقار ولا مخاب ولا ريش على أبدانها ولا شعر ولا وبر ولا صوف ولا فلوس وان اكثرها عراة حفاة حسرى ضعفاء فقراء مساكين بلا حيلة ولا حول ولا قوة وأدركته رحمة عليها وتحنن وشفقة ورأفة ورق قلبه عليها ودمعت عيناه من الحزن ، ثم نظر الى السماء ثم دعا وقال في دعائه ياخالق الخلق وياباسط الرزق ويامدبر الامور ويا أرحم الراحمين ويامن هو بالمنظر الاعلى ويامن هو يسمع ويرى ويامن يعلم السر وأخفى أنت خالقها ورازقها وأنت مصورها ومدبرها ومبدؤها ومعيدها ومحييها ومميتها كن لها ولنا ولياً وحافظاً وناصراً ومعيناً وهاديا ومرشدا ياأرحم الراحمين ويارب العرش العظيم فنطقت كلها بلسان فصيح وقالت آمين آمين رب العالمين .

فصل في بيان خطبة الصرصر وحكمته

فلما رأى الصرصر ما أصاب الثعبان من التحنن والرأفة والرحمة على رعيته وجنوده وأعوانه وأبناء جنسه ارتقى الى حائط بالقرب منه وحرك أوتاره وزمر بزماره وترنم بأصوات وألحان ونغمة لذيذة بالتحميد لله والتوحيد له . فقال الحمد لله نحمده ونستعينه ونشكره على نعمائه السابغة وآلائه الدائمة فسبحان الله الحنان المنان الديان . سبحان الواحد الاحد سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح الحي القيوم ذو الجلال والاكرام والاسماء العظام والآيات والبرهان قبل الاماكن والازمان والجواهر ذوات الكيان لا هواء فوقه ولا ماء تحته ، محتجباً بنوره متوحداً بوحدانيته وأسرار غيبه حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية . فسبحان الظاهر بالنسبة الى ذاته لكل شيء والخفي بالنسبة الى ذاته عن كل شيء ثم قضى ودبر وقدر كما شاء قدر وأراد ثم أبدع نوراً بسيطاً لامن هيولى متهيئة ولا من صورة متوهمة ، بل بقوله كن فكان فهو العقل الفعال ذو العلم والاسرار خلق الخلائق لا لوحشة كانت في وحدته ولا لاستعانة بها على

امر من أموره ولكن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا مرد لقضائه وهو السريع الحساب

ثم قال أيها الملك المشفق الرحيم الرؤوف المتحنن على هذه الطوائف لا يغمك ما ترى من ضعف أبدان هذه الطوائف وصغر جثتها وعمرها وفقرها وقلة حيلتها فان لله الذي هو خالقها ورازقها هو أرحم الراحمين بها وعليها من الوالدة المشفقة على أطفالها ومن الاب الرحيم على أولاده وذلك ان الخالق جل ثناؤه لما خلق الحيوانات المختلفة الصورة مفننة الاشكال ورتبها مراتبها على منازل شتى ما بين كبير الجثة عظيم الخلقة قوي البنية شديد القوة وما بين صغير الجثة ضعيف البنية قليل الحيلة ساوى بينهما في المواهب الجزيلة من الآلات والادوات التي تتناول بها المنافع وتدفع بها المضرات فصارت متكافئة في العطية

مثال ذلك انه لما أعطى الفيل الجثة العظيمة والبنية القوية والقوة الشديدة ليدفع المكاره عن نفسه بأنيابه الطوال الصلاب ويتناول المنافع بخرطومه الطويل أعطى أيضاً البقة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية عوضاً من ذلك الجناحين اللطيفين وسرعة الطيران فتنجو من المكاره وتتناول الغذاء بخرطومها فصار الصغير والكبير فى هذه المواهب التى تجر بها المنفعة وتضر بها المضرة متساوية فهكذا نمر الخالق البارى والمصور لهذه الطوائف الضعفاء الفقراء اللواتي تراها عراة حفاة حسرى • وذلك ان الباري جل ثناؤه لما خلقها على هذه الاحوال التى تراها كفاها أمر مصالحها من جر المنفعة أو دفع المضرة عنها

فانظر أيها الملك وتأمل واعتبر أحوالها فانك ترى ما كان أصغر منها جثة وأضعف بنية وأقل حيلة كان أروح بدنا وأربط جأشا وأسكن روعاً فى دفع المكاره عن غيرها وكان أطيب نفساً وأقل اضطرابا في طلب المعاش وجر المنافع وأخف مؤنة مما هو أعظم جثة وأقوى بنية وأكثر حيلة

بيان ذلك انك ترى اذا تأملت وجدت الكبار منها القوية البنية الشديدة

القوة تدفع عن نفسها المكاره بالقهر والغلبة والقوة والجلد كالسباع والفيلة والجواميس وأمثالها وسائر الحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة الخلقة الشديدة القوة ، فمنها ما تدفع عن نفسها المكاره والضرر بالفرار والهرب وسرعة العدو كالغزلان والارانب وغيرها من حمر الوحش ، ومنها بالطيران والتخلف بالجو كالطيور ومنها بالغوص في الماء والسباحة فيه ، ومنها ما تدفع المكاره والمضار بالتحصن والاختفاء في الاحجرة والثقب كالفارة والنمل كما قال تعالى : « ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » وقيل لما سمع سليمان عليه السلام ذلك أمر باحضار النملة فلما دخلت قالت : سلام عليك يانبي الله اني وقعت فيما احترزت منه فتعجب سليمان من قولها

فلما وضعها على كفه سأل النملة لماذا قلت ليحطمنكم سليمان وجنوده ألست تدرين انى لا أظلم أحداً ولا أرضى أن نظلم جنودي فلو سمعت من هذا شيئاً فاخبريني ولماذا قلت انى وقعت فيما احترزت منه ألست تعلمين اني لست بجائر ولا ظالم على خلق الله تعالى فلم قلت هذا . قالت النملة معاذ الله انى أريد بتلك الاشارات حسبما فهمت لكني أريد بذلك ان الله أعطاك ملكا لا يكون لأحد من بعدك من الزينة والعدل والانصاف وناديت من أجل أنهم لا يخرجون من البيوت ولا يشتغلون بالنظارة ليفوت عنهم ذكر الله تعالى أردت بذلك الاشارة الى هذا المعنى . ومنها ما قد ألبسه الله من الجلود الثخينة الجزلة كالسلحفاء والسرطان والحلزون وذوات الاصداف من حيوان البحر . ومنها ماتدفع المكاره والضرر عن نفسها بادخال رؤوسها تحت أبدانها كالقنفد

أما فنون تصاريفها في طلب المعائش والمنافع فمنها مايصل اليه ويهتدي اليه بجودة النظر وشدة الطيران كالنسور والعقبان

ومنها بجودة الشم كالنمل والجعلان والخنافس وغيرها

ومنها مايهتدى ويصل اليه بجودة الذوق كالسمك وغيرها من حيوان الماء

ومنها بجودة الاستماع والاوصاف كالنسر ولما منع الباري الحكيم هذه

الطوائف والحيوانات الصغار الجثة الضعاف القوى والبنيـة القليلة الحيلة هذه الآلات والادوات والحواس وجودتها لطف بها وكفاها مؤونة الطلب وأسباب الهرب ، وذلك انه جعلها في مواضع كنينة وأماكن حريزة ، اما في الثقاب، واما في حب النبات ، واما في أجواف الحيوانات الكبار ، أو في الطين أو في السرقين وجعل غذاءها مختصا بها ، وموادها حواليها ، وجعل في أبدانهـا قوى جاذبة تمتص بها الرطوبات المغذية لابدانها المقوية لاجسادها ولم يحوجها الى الطلب ولا الى الهرب .

فن أجل هذا لم يخلق لها رجلين تمشي ولا يدين تتنـاول ولا فماً يفتح ولا أسناناً تمضغ ولا حلقوماً يبلع ولا مريا يزدرد ولا حوصلة تقع فيها ولا قانصة ولا معدة ولا كرشاً ينطبخ الكيموس فيها ولا أمعاء ولا مصارين للثقل ولا كبداً تصفي الدم ولا طحالا تجذب فضلات الكيموس الغليظة ولا مرارة تجذب اللطيفة ولا كليتان ولا مثانة تجذب البول ولا أوراداً يجرى الدم فيهـا للنبض ولا أعصابا من الدماغ للحس ولا تعرض لها الامراض المزمنة والعلل المؤلمة ولا تحتاج الى دواء ولا علاج ولاعناء من الآفات التي تعرض للحيوانات الكبيرة الجثة العظيمة البنية الشديدة القوة فسبحـان الله الخالق الحكيم الذى كفاها هذه المطالب وهذه المؤونة وأراحها من التعب والنصب فله الحمد والمنة والشكر والثناء على جزيل مواهبه وعظيم نعمائه وحسن آلائه .

فلما فرغ الصرصر من هذه الخطبة ، قال له الثعبـان ملك الهوام بارك الله فيك من خطيب ماأفصحك ومن مذكر ماأعلمك ومن واعظ ماأبلغك والحمد لله الذى جعل في أجناس هذه الطائفـة مثل هذا الحكيم الفاضل المتكلم الفصيح ، ثم قال له الثعبان امض الى هناك فتنوب عن الجماعة في المناظرة مع الانس قال نعم سمعاً وطاعة للملك ونصيحة للاخوان ، قالت الحية عند ذلك لاتذكر عندهم انك رسول الثعبان والحيات ، قال الصرصر ولم ذلك قالت لان بين بنى آدم وبين

الحيات عداوة قديمة وحقد كامن لايقدر قدره حتى أن كثيراً من الانس يعترضون على ربهم فيقولون لم خلقها فانه ليس في خلقها منفعة ولا فائدة ولا حكمة بل ضرر كله قال الصرصر ولم يقولون ذلك قالت من أجل السم الذي بين فكيها فانه ليس فيه منفعة الا هلاك الحيوانات وموتها كل ذلك جهل منهم بمعرفة حقائق الاشياء ومنافعها ومضارها ثم قالت لاجرم فان الله جل ثناؤه ابلاهم بها وعاقبهم على ذلك حتى أحوج ملوكهم الى اقتناء سمومها تحت فصوص الخواتم لوقت الحاجة اليها فلو انهم فكروا واعتبروا أحوال الحيوانات وتصاريف أمورها لتبين لهم ذلك وعرفوا عظيم منفعة السموم في فكوك الافاعي لم خلقها الباري تعالى وما الفائدة فيها ، ولو عرفوها لما قالوا ذلك ولا اعترضوا على ربهم في أحكام مصنوعاته لان الباري تعالى لو خلق سبب هلاك الحيوانات في بصاقنا لجعل لحومنا سبباً لدفع تلك السموم وذلك أن الاطباء الاقدمين قد وجدوا في لحومنا قوة تقاوم سمومنا فادخلوا لحومنا في الترياق لتقاوم السم ولكن اكثر الناس لايشكرون

قال الصرصر أفدنا أيها الحكيم فائدة أخرى وعرفنا لنكون على علم منها قالت الحية نعم أيها الخطيب الفاضل

اعلم بان الباري الحكيم لما خلق هذه الحيوانات التي ذكرتها في خطبتك وقلت أنه أعطى كل جنس منها أدوات وآلات لتجر المنفعة أو لتدفع المضرة فاعطى بعضها معدة حارة أو كرشاً أو قانصة فينضج الكيموس فيها بعد المضغ الشديد ويصير غذاء لها ، ولم يعط الحياة معدة حارة ولا قانصة ولا كرشاً ولا أضراساً تمضغ اللحوم فانه جعل في فكيها عوضاً منها سماً حاراً منضجاً لما تأكل من الحيوان وذلك أنها اذا قبضت على جثة الحيوانات وحصلت بين فكيها قلبت من ذلك السم عليها لمضغها من ساعتها وتبلعها وتزدردها وتستمرؤها فلولم يكن هذا السم لما استمرأت الاكل ولا حصل لها غذاء ولماتت جوعا وضراً وهلكت عن آخرها وما بقي أحد منها في ديار

قال الصرصر لعمري قد تبين لى منفعة السم فما منفعة الحيات للحيوان وما الحكة والفائدة في خلقتها وكونها فى الارض بين الهوام

قالت كنفعة السباع و كونها بين الوحوش والانعام والبهائم وكنفعة كون التنين في البحر والكواسج والتماسيح و كنفعة النسور والعقبان والجوارح في الطيور

قال الصرصر زيدينى بياناً قالت نعم ان الله جل ثناؤه أبدع الخلق واخترعه بقدرته ودبر الامور بمشيئته فجعل قوام الخلائق بعضها ببعض وجعل لها عللا واسباباً لما رأى فيهامن اتقان الحكة وصلاح الكل ونفع العموم ولكن ربما يعرض من جهة العلل والاسباب آفات وفساد لبعض لا بقصد من الخالق تعمداً ولكن بعلمه السابق بما يكون قبل ان يكون ولم يمنع علمه بما يكون منها من الفساد والآفات أن يخلقها اذ كان النفع فيه أعم والصلاح اكثر من الفساد

بيان ذلك أن الله عز وجل لما خلق الشمس والقمر وسائر الكواكب جعل الشمس سراجاً للعالم وحياة وسبباً للكائنات بحرارتها وجعلها من العالم محل القلب من البدن تنبث منه الحرارة الغريزية الى سائر أطراف البدن التى هي سبب الحياة وصلاح الجملة

وهكذا حكم الشمس حياة وصلاح للكل والنفع للعموم . ولكن ربما يعرض منها تلف وفساد لبعض الحيوانات والنبات فيكون ذلك مغفوراً في جنب نفع العموم وصلاح الكل

وهكذا حكم زحل والمريخ وسائر كواكب الفلك . خلقهما لصلاح العالم ونفع العموم ، وان كان يعرض لها في بعض الاحيان المناحس من افراط حر أو برد

وهكذا حكم الامطار يرسلها الله لحياة البلاد ، وصلاح العباد من الحيوان والنبات والمعادن ، وان كان ربما يكون منها فساد وهلاك لبعض الحيوانات والنبات

وهكذا حكم الحيات والسباع والتنين والتماسيح والهوام والحشرات والجراد كل ذلك خلقه الله من المواد الفاسدات والعفونات الكائنة ليصفو الجو والهواء ولئلا يعرض لها الفساد من البخارات المتصاعدة فيتعفن الهواء ويكون من ذلك أسباب الوباء وهلاك الحيوانات كلها دفعة واحدة

يدل ذلك أن الديدان والذباب والبق والخنافس لا تكون في دكان البزاز والحداد والنجار بل في دكان القصاب أو السمان أو اللبان أو الدباس أو في السماد والسرقين فاذا خلقها الله تعالى من تلك العفونات امتصت ما فيها وتغذت بها وصفا الهوى منها وسلم من الوباء ، ثم تكون تلك الحيوانات الصغار مأكولة وأغذية لما هو اكبر منها وذلك من حكمة الخالق جل جلاله انه لا يصنع شيئاً بلا نفع ولا فائدة ، فمن لا يعرف هذه النعم فربما يعترض على ربه فيقول : لم خلقها وما النفع فيها كل ذلك جهلا منه واعتراضاً على ربه في أحكام صنعته وتدبيره في ربوبيته وقد سمعنا بأن جهلة الانس يزعمون بأن عناية البارئ لم تتجاوز فلك القمر فلو انهم فكروا واعتبروا أحوال الموجودات لعلموا وتبين لهم أن العناية شاملة لصغير الخلقة وكبيرها بالسوية

ولما قالوا الزور والبهتان في حق الله تعالى ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فبهذا انقضى الكلام من الرسل

فصل

ولما كان الغد وردت زعماء الحيوانات من الآفاق وقعد الملك لفصل القضاء ونادى المنادي ألا من له مظلمة . ألا من له حكومة فليحضر فان الحاجات تقضى لان الملك قد جلس لفصل القضاء وحضرت قضاة الجن وفقهاؤها وعدولها وحكامها وحكماؤها وحضرت الطوائف الواردة من الآفاق من الجن والانس والحيوانات فاصطفت يمنة ويسرة أمام الملك ودعت له بالتحية والسلام

ثم نظر الملك يمنة ويسرة فرأى من أجناس الحيوانات، واختلاف الصور ، وفنون الاشكال والالوان والاصوات والنغمات وبقي متعجبا منه ساعة .

ثم قال سبحان الذي خلق الاشياء برحمته وأوجد الحيوانات بقدرته وجعل بعضها شريفاً وبعضها خسيساً وبعضها كبير الجثة وبعضها صغير الجثة ، وبعضها ذو نطق وبعضها أخرس وجعل مقر بعضها في الهواء ومقر بعضها في الماء وبعضها في البراري والقفار والجبال والكهوف والمغارات ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ما أعظم شأنك

ثم التفت الملك الى حكيم من فلاسفة الجن فقال له ألا ترى هذه الخلائق العجيبة الشان من خلق الرحمن

قال نعم أيها الملك أراها بعين رأسي وأشاهد صانعها بعين قلبي والملك متعجب منها وأنا متعجب من حكمة الصانع الحكيم الذي خلقها وأنشأها وبرأها ويربيها ويرزقها ويحفظها ويعلم مستقرها ومستودعها كل ذلك في كتاب مبين عنده ولا لغلط ولا لنسيان بل لتحقيق وبيان لانه لما احتجب عن رؤية الابصار بحجب الانوار وجل وعلا عن تصور الاوهام والافكار أظهر مصنوعاته الى مشاهدة الابصار وأخرج ما في مكنون غيبه الى الكشف والاظهار والبيان ليدركه العيان ويستغني عن الدليل والبرهان

ثم اعلم أيها الملك العادل ان هذه الصور والاشكال والهيا كل والصفات التي تراها في عالم الاجسام وجواهر الاجرام هي مثالات وأشباه وأصباغ لتلك الصور التي في عالم الارواح غير أن تلك نورانية شفافة وهذه ظلمانية كاسفة ومناسبة هذه الى تلك كنسبة التصاوير والنقوش التي على وجوه الالواح وسطوح الحيطان الى هذه الصور والاشكال التي عليها هذه الحيوانات من اللحم والدم والعظام والجلود لان تلك الصور التي في عالم الارواح محركات وهذه متحركات والتي دون هذه ساكنات صامتات ومحسوسات فانيات باليات فاسدات وتلك ناطقات معقولات روحانيات غير مرئيات باقيات

ثم قام حكيم الجن فخطب وحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله خالق المخلوقات وباريء المبروآت ومبدع المبدعات ومخترع المصنوعات ومقلب الازمان والدهور والاوقات ومنشيء الاماكن والجهات مدير الافلاك وموكل الاملاك ورافع السبع السموات وباسط الاراضين المدحوات من تحت طباق السموات ومصور الخلائق ذوي الاوصاف المختلفات والالوان واللغات هو المنعم بأنواع العطايا وفنون الروايات خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا وهو بالنظر الأعلى وهو القريب البعيد بعيد من ادراك الحواس المدركات قريب في الخلوات من ذوي المناجاة فسبحان الذي جعل الطيبين للطيبات وجعل الخبيثين للخبيثات وسبحان الذي خلق المؤمنين والمؤمنات وأوجد المسلمات وأظهر العابدين والعابدات والهم القانعين والقانعات وأعان الصائعين والصائعات وهدى التائبين والتائبات وانطق الذاكرين والذاكرات لا تدركه الابصار ولا تمثله الاخبار كلت ألسن الواصفين له بكنه الصفات وتحيرت عقول ذوي الالباب بالفكرة في جلال عظمته وعز سلطانه ووضوح آياته وبرهانه فلا القوة العقلية تدركه ولا القوة النطقية تصفه وهو الله الواحد القهار العزيز الغفار الذي خلق الجان قبل آدم من نار السموم أرواحاً خفية وأشباحاً لطيفة صوراً عجيبة وحركات سريعة تسبح في الجو كيف تشاء بلا كدر ولا عناء وذلك من فضل الله علينا وهو الذي خلق أصناف الخلائق من الجن والانس والملائكة والحيوانات البرية والبحرية أصنافاً مختلفة الاشكال والصور ورتبها أصنافاً كما شاء

فمنها ما هي مراتبها في أعلى عليين وهم الملائكة المقربون وعباده المصطفون خلقهم من نور عرشه فهم حملته

ومنها ما هي في أسفل السافلين وهم مردة الشياطين واخوانهم من الكافرين والمنافقين والحاسدين والمنكرين لمصنوعاته من الجن والانس اجمعين

ومنها ما بين ذلك وهم عباده الصالحون من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فالحمد لله الذي أكرمنا بالايمان وهدانا الى الاسلام وجعلنا خلفاء في الارض كما قال تعالى « لننظر كيف تعملون » والحمد لله الذي خص ملكنا بالعلم والحلم والاحسان والعدل والانصاف وذلك من فضل الله علينا فاسمعوا وأطيعوا ان كنتم تعقلون أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فلما فرغ الحكيم من كلامه نظر الملك الى جماعة من الانس وهم وقوف نحو سبعين رجلا مختلفي الهيئات واللباس واللغات والاشكال والالوان فقال

سبحان الذي خلق الانسان من ماء مهين . سبحان الذي خلق الانسان من نطفة في قرار مكين . سبحان الذي خلق الانسان من صلصال كالفخار . سبحان الذي جعل النطفة علقة ثم جعل العلقة مضغة ثم جعل المضغة عظاماً ثم كسا العظام لحماً وجلداً ثم نفخ فيه من روحه فتبارك الله أحسن الخالقين . سبحان الذي قدر وهدى ،وأمات وأحيا . سبحان الذي جعل الانسان أكرم الحيوانات وأفضل الموجودات . سبحان الذي خلق الانسان في احسن تقويم. سبحان الله رب العرش العظيم

ثم نظر الملك فرأى فيهم رجلا معتدل القامة مستوى البنية حسن الصورة مليح البزة لطيف الجملة صافي البنية حلو المنظر خفيف الروح فقال للوزير من هو ذاك ومن أين هو . فقال رجل من بلاد ايرانشهي يعني به العراق قال الملك قل له يتكلم فأشار اليه الوزير قال سمعاً وطاعة

فصل

فقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولاعدوان الا على الظالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين ، والحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الحنان المنان ذي الجلال والاكرام ذي الفضل والانعام الذي كان قبل الاماكن والازمان والجواهر والاكوان ذوات الكيان ثم بدأ واخترع وأخرج من مكنون غيبه

نوراً ساطعاً ومن النور ناراً أجاجاً وبحراً من الماء زجراجاً وجمع بين الماء والنار وكان دخاناً موردا وزبداً ملبداً فخلق من الزبد السموات المسموكات ومن الزبد الارضين المدحوات وثقلها بالجبال الراسيات وحفر البحار الزاخرات فأرسل الرياح الذاريات بتصاريفها في الجهات وأثار من البحار البخارات المتصاعدات ومن الارضين الدخانات المتكرات والف منها الغيوم والسحائب المنشئات وساقها بالرياح الى البراري والقفار والفلوات وأنزل منها القطر والبركات وأنبت العشب والنبات متاعاً لنا ولانعامنا

والحمد لله الذي خلق من الماء بشراً وخلق منها زوجها ليسكن اليها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء وبارك في ذريتهما وسخر لهما في البر والبحر متاعاً الى حين ثم انهم بعد ذلك لميتون ثم انهم يوم القيامة يبعثون

والحمد لله الذي خصنا بأوسط البلاد مسكناً وأطيبها هواء ونسيما وتربة وأكثرها أنهاراً وأشجاراً وثماراً وفضلنا على كثير من عباده تفضيلا فله الحمد والمن والثناء إذ خصنا بذكاء النفس وصفاء الاذهان ورجحان العقول فنحن بهدايته استنبطنا العلوم الغامضة وبرحمته استخرجنا الصنائع البديعة وعمرنا البلاد وحفرنا الانهار وغرسنا الاشجار وبنينا البنيان ودبرنا الملك والسياسة وأوتينا النبوة والرسالة

فمنا نوح النبي عليه السلام ، وادريس الرفيع ، وابراهيم خليل الرحمن ، وموسى الكليم ، وعيسى المسيح ومحمد المصطفى عليهم صلوات الله وتحياته ومنا كانت الملوك الفاضلة مثل أفريدون النبطي وسليمان بن داود الاسرائيلي ومنوجهر الحريري ودارا التميمي وتبع الحميري وازدشير بن بابكان الفارسي وبهرام وأنوشروان وبزرجمهر بن بختكان وملوك الطوائف من آل ساسان وبني ساسان الذين شقوا الانهار وأمروا بغرس الاشجار وبنيان المدن والقرى ودبروا الملك والسياسة والجنود والرعية فنحن لب الناس والناس لب الحيوان والحيوان

لب النبات والنبات لب المعادن والمعادن لب الاركان فنحن لب أولى الالباب فلله الحمد والمنة وله الشكر والثناء واليه المصير بعد الهرم وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم .

ثم قال الملك لمن كان حاضراً من حكماء الجن ماتقولون فيما قال الانسى من الاقاويل فى ماذكر من فضائلهم وافتخر بهقالوا صدق فيماقال وتكلم غير واحد من حكماء الجن كان يقال له صاحب العزيمة والصرامة فانه ما كان يحابي أحداً واذا تكلم واحد وكان على خطئه وزلته رده عن غيه وضلالته

فقال يامعشر الحكماء اعلموا أن هذا الانسى قد ترك شيئاً لم يذكره في خطبته وهو ملاك الامر وعمدته فقال الملك وما هو قال لم يقل ومن عندنا خرج الطوفان فغرق ماعلى وجه الارض من النبات والحيوان وفي بلادنا اختلفت الالسن وتبلبلت العقول وتحيرت الالباب

ومنا كان نمرود الجبار ونحن طرحنا ابراهيم في النار ومنا كان بخت نصر خرب ايليا وحرق التوراة وقاتل أولاد سليمان عليه السلام وآل اسرائيل وهو الذي طرد آل عدنان من شط الفرات الى بلاد الحجاز المتمرد الجبار الفتاك السفاك للدماء

فقال الملك كيف يقول هذا ويذكره وكله عليه لاله فقال صاحب العزيمة ليس من الانصاف في الحكومة والعدل في القضية ان يذكر أحد فضائله ويفتخر بها ولا يذكر مساويه ويتوب ويعتذر منها

ثم ان الملك نظر الى الجماعة فرأى رجلا أسمر نحيف الجسم طويل اللحية موفور الشعر متوشحاً بازار أحمر على وسطه فقال من هو فقال رجل من بلاد الهند من جزيرة سرنديب قال الملك للوزير مرده فأمر له أن يتكلم

﴿ فصل ﴾

قال الهندي الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد القديم السرمد الذي كان قبل الدهور والازمان والجواهر والاكوان ثم أنشأ بحراً من النور عجاجاً فركب

فيه الافلاك وأدارها وصور الكواكب فسيرها وقسم البروج فأطلعها وبسط الارض فأسكنها وخط الاقاليم وحفر البحار وأجرى الانهار وأرسى الجبال وفسح الفلوات وأخرج النبات وكون الحيوان وخصنا بأوسط البلاد مكاناً وأعدلها زماناً حيث يكون الليل والنهار متساويين والشتاء والصيف معتدلين والحر والبرد غير مفرطين وجعل تربة بلادنا أكثر معادناً واشجارها طيباً ونباتها أدوية وحيوانها فيلة ودوحها ساجا وقصبها قنا وعكرشها خيزراناً وحصاها ياقوتاً وزبرجداً وجعل مبدأ كون آدم عليه السلام هناك.

وهكذا حكم سائر الحيوانات بدأ كونها تحت خط الاستواء

ثم ان الله تبارك وتعالى خصنا فبعث في بلادنا الانبياء وجعل أكثر أهلها الحكماء.

فنهم البدو والبرهمين وبوداسف وبلوهر وخصنا بالطف العلوم سحراً وعزا ئماً وكهانة وجعل أهل بلادنا أسرع الناس حركة وأخفهم وثباً وأجسرهم على اسباب المنايا اقداما وبالموت تهاوناً .

أقول قولي هذا واستغفر الله تعالى لي ولكم .

قال صاحب العزعة لو أتممت الخطبة وقلت ثم بلينا بحرق الاجساد وعبادة البدور والاصنام والقرود وكثرة أولاد الزنا واسوداد الوجوه وأكل التبول والفلافل

ثم نظر الملك فرأى رجلا آخر فتأمل فاذا هو طويل مرتد برداء اصفر بيده مدرجة ينظر فيها ويزمزم ويترجح قداما وخلفاً .

فقال الملك للوزير من هو ذاك فقال رجل من اهل الشام عبراني من آل اسرائيل فقال الملك : فر له أن يتكلم فامر الوزير للعبراني قال سمعاً وطاعة

﴿ فصل ﴾

قال العبراني الحمد لله الواحد القديم الباري الحكيم القهار الحي القيوم الذي كان فيما مضى من الدهر والازمان ولم يكن سواه

ثم بدأ الخلق نوراً ساطعاً ومن النور ناراً وقاداً وبحراً من الماء رجراجاً وجمع بينهما وخلق منهما دخاناً وزبداً فقال للدخان كن سماءها هنا وقال للزبد كن ارضها هاهنا فخلق السموات فسوى خلقها في يومين وبسط الارض في يومين وخلق بين اطباقها اصناف الخلائق من الملائكة والجن والانس والطير والسباع والوحوش والبهائم والانعام وغير ذلك في يومين ثم استوى على العرش في اليوم السابع واصطفى من خلقه آدم أبا البشر ومن أولاده وذريته نوحا ومن ذريته ابراهيم خليل الرحمن ومن ذريته اسرائيل ومن ذريته موسى بن عمران عليهم السلام وكلمه وناجاه واعطاه آية اليد والعصا والتوراة وكتب الانبياء عليهم السلام

وفلق البحر واغرق فرعون عدوه وأنزل على بني اسرائيل المن والسلوى وجعلهم ملوكا وأعطاهم مالم يعط أحداً من العالمين فله الحمد والثناء والشكر والنعماء أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

فقال صاحب العزيمة نسيت ولم تقل وجعل منا القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل وضربت علينا الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب على غضب ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم جزاء بما كانوا يعملون .

ثم نظر الملك فرأى رجلا طويلا عليه ثياب من الصوف وعلى وسطه منطقة من السيور وبيده بيرم عود يطرحه ويبخر فيه النار رافعاً صوته يقرأ كلماته ويلحنها فقال الملك للوزير من هو ذلك قال رجل سرياني من آل المسيح عليه السلام قال الملك للوزير مر له ان يتكلم فأمره الوزير قال سمعاً وطاعة :

﴿ فصل ﴾

قال السرياني الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد وكان في بدئه بلا كفؤ ولا احد ولا عدد ولا مدد .

ثم فلق الاصباح ونور الانوار وأظهر الارواح وخلق صور الاشباح وبرأ

الاجسام وركب الاجرام ودور الافلاك ووكل الاملاك وسوى خلق السموات والاراضين المدحوات وارسى الجبال الراسيات وجعل البحار الزاخرات والبراري والفلوات مسكناً للحيوان والنبات

الحمد لله الذي اتخذ من العذراء البتول جسد الناسوت وقرن به جوهر اللاهوت وايده بروح القدس واظهر على يده العجائب واحيا به آل اسرائيل من موت الخطية وجعلنا من اشياعه وانصاره وجعل منا القسيسين والرهبان فنحن لا نستكبر في الارض وجعل في قلوبنا رأفة ورحمة ورهبانية فله الحمد والشكر والثناء ولنا فضائل تركنا ذكرها واستغفر الله لي ولكم انه الغفور الرحيم.

قال صاحب العزيمة قل أيضاً فما رعيناها حق رعايتها وكفرنا وقلنا ثالث ثلاثة وعبدنا الصلبان وأكلنا لحم الخنزير في القربان وقلنا على الله الزور والبهتان.

ثم نظر الملك الى رجل واقف فتأمله فاذا هو اسمر شديد السمرة نحيف الجسم وعليه ثوبان ازار ورداء شبه المحرم راكعاً ساجداً يتلو القرآن ويناجي الرحمن فقال من هو ذاك قال الوزير رجل من تهامة قرشي قال الملك فمر له ان يتكلم فأمر له الوزير قال سمعاً وطاعة

فصل

قال القرشي الحمد لله الواحد الصمد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هو الأول والآخر والظاهر والباطن الأول بلا ابتداء والاخر بلا انتهاء الظاهر على كل شيء قدرة وسلطاناً والباطن في كل شيء علماً ومشيئة ونفاذاً وارادة وهو العظيم الشأن الواضح البرهان الذي كان قبل الاماكن والازمان والجواهر ذوات الكيان.

ثم قال له كن فيكون فسوى وقدر فهدى وهو بالمنظر الاعلى الذي رفع السماء بغير عمد وبناها ورفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم، ولانعامكم وما كان معه من إله إذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا مبيناً

هو الذي ارسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه وعترته وعلى ملائكته المقربين وانبيائه المرسلين وعلى عباده الصالحين من اهل السموات واهل الارضين والمسلمين وجعلنا واياكم منهم برحمته انه ارحم الراحمين .

والحمد لله الذي خصنا بخير الاديان وجعلنا من أمة صاحب القرآن واكرمنا بتلاوة القرآن وصوم شهر رمضان والطواف حول بيته الحرام والركن والمقام وأكرمنا بليلة القدر والعرفات والزكاة والطهارات والصلوات والجماعات والاعياد والمنابر والخطب وفقه الدين وعلم سنن النبيين وسيرة الربانيين .

وعرفنا اخبار واحوال الأولين والآخرين وحساب يوم الدين ووعدنا ثواب النبيين والشهداء والصالحين في دار النعيم أبد الابدين ودهر الداهرين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وامام المرسلين ولنا فضائل أخرى يطول شرحها تركنا ذكرها مخافة التطويل واستغفر الله لي ولكم

قال صاحب المزعة قل ايضاً ثم انا تركنا ورجعنا مرتدين بعد وفاة نبينا شاكين منافقين وقتلنا الأئمة الخيرين الفاضلين طلباً للدنيا بالدين

ثم نظر الملك فرأى رجلا على رأسه مشدة قائما في الملعب بين يديه آلات الرصد فقال للوزير من هو ذلك قال رجل من أهل الروم من بلاد يونان فقال الملك مره فأمر له ان يتكلم قال سمعاً وطاعة .

﴿ فصل ﴾

قال اليوناني الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي كان قبل الهيولى ذات الصورة ، والابعاد كالواحد قبل الاعداد ، والازواج والافراد والمتعالى عن الانداد والاضداد

والحمد لله الذي تفضل وتكرم وأفاض من جوده العقل الفعال ذا العلوم والاسرار ، وهو نور الانور ، وعنصر الارواح

والحمد لله الذي انتج من نوره العقل والبحث من جوهر النفس الكلية الفلكية ذات الحركات وعين الحياة والبركات

والحمد لله الذي أظهر من قوة النفس عنصر الاكوان ذوات الهيولى والكيان

والحمد لله خالق الاجسام ذوات المقادير والابعاد والاماكن والازمان

والحمد لله مركب الافلاك والكواكب السيارات الموكل بدورانها النفوس والارواح والملائكة ذات الصور والاشباح ذوي النطق والفكر والحركات الدورية وجعلها مصابيح الدجى ومشرق الانوار في الآفاق والاقطار

والحمد لله مركب الاركان ذوات الكيان وجعلها مسكناً للنبات والحيوان والانس والجان وأخرج النبات وجعل ذلك مادة للابدان وغذاء الحيوان وهو المخرج من قعار البحار وصم الجبال ، الجواهر المعدنية الكثيفة ذوات المنافع

والحمد لله الذي فضلنا على كثير من عبادة تفضيلا اذ خص بلادنا بكثرة البقول والنعم وجعلنا ملوكا بالخصال الفاضلة والسير العادلة ورجحان العقول ودقة التمييز وجودة الفهم وكثرة العلوم والصنائع العجيبة والطب والهندسة والنجوم وعلم تركيب الافلاك ومعرفة منافع الحيوان والنبات والمعادن والحركات وآلات الرصد والطلسمات وعلم الرياضات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات فله الحمد والثناء والشكر على جزيل العطاء . ولنا فضائل أخر يطول شرحها واستغفر الله لى ولكم

فقال صاحب العزيمة من أين لكم هذه العلوم والحكمة التي ذكرتها وافتخرت بها لو لا انكم أخذتم بعضها من آل اسرائيل أيام بطليموس وبعضها من علماء أهل مصر أيام مسيطوس فنقلتموها الى بلادكم ونسبتموها الى أنفسكم

فقال الملك لليوناني ماذا تقول فيما ذكر قال صدق الحكيم فيما قال فاذا أخذناها منهم فان علومنا وعلوم سائر الامم بعضها من بعض ولو لم يكن كذلك من أين للفرس علم النجوم وتركيب الافلاك وآلات الرصد لولا انهم أخذوها من أهل الهند . ومن أين كان لبني اسرائيل علم الحيل والسحر والعزائم ونصب الطلسمات واستخراج المقادير لولا ان سليمان عليه السلام أخذها من خزائن ملوك سائر الامم حينما غلب عليهم ونقلها الى لغة العبرانيين والى بلاد الشام وكانت مملكته في بلاد فلسطين وبعضها ورثها بنو اسرائيل من كتب أنبيائهم التي القتها اليهم الملائكة بالوحي والانباء من الملأ الأعلى الذين هم سكان السماوات وملوك الافلاك وجنود رب العالمين

قال الملك للحكيم ما تقول فيما ذكر . قال صدق انما تكثر العلوم في أمة دون أمة وفي وقت دون وقت من الزمان فاذا صار الملك والنبوة فيها فتقلب سائر الامم وتأخذ فضلها وفضائلها وعلومها وكتبها فتنقلها الى بلادهم وينسبونها الى انفسهم

ثم نظر الملك الى رجل عظيم الجثة قوي البنية حسن البزة ناظراً نحو السماء يدير بصره مع الشمس كيفما دارت . فقال من هو ذاك ؟ . قال الوزير رجل من أهل خراسان من بلاد مرو والشاها . فقال الملك قل له ليتكلم فأمر له الوزير فقال سمعا وطاعة

فصل

قال الخراساني الحمد لله الواحد الاحد الكبير المتعال العزيز الجبار القوي القهار العظيم الغفار ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير الذي تقصر عن كيفية

صفاته ألسن الناطقين ولا تبلغ كنه أوصافه أفهام المتفكرين تحيرت في عظيم جلالته عقول ذوي الالباب والابصار من المستبصرين علا فدنا وظهر فتجلى وهو بالمنظر الاعلى « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » احتجب بالانوار قبل خلق الليل والنهار وركب الافلاك الدائرات ورفع سموك السماوات ذوات الاقطار المتباعدات فلله الحمد خالق الخلائق أجناساً من الملائكة والجن والانس من الشياطين ومن الخليقة أصنافاً ذوي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وذوات رجلين واربع وما ينساب على بطنه وما يغوص في الماء ويسبح فيه ، ثم جعلها أنواعاً وأشخاصاً ومن بنى آدم شعوباً وقبائل مختلفة ألوانها وألسنتها ودثارها وأماكنها وأزمانها ثم قسم عليهم أنعامه وأفضاله ومواهبه واحسانه

والحمد لله على ما أعطى ووهب من آلائه وعلى ما وعد من أنعامه

والحمد لله خصنا وتفضل علينا اذ جعل بلادنا أكثر البلدان مدناً وأسواقاً ومنازل وقلاعاً وحصوناً وأنهاراً وأشجاراً وجبالا ومعادن وحيواناً ونباتاً ورجالا ونساء ، فنساؤنا في قوة الرجال ، ورجالنا في قوة الجمال ، وجمالنا في قوة عظم الجبال

والحمد لله على ما خصنا ومدحنا على ألسن النبيين بالبأس الشديد ، والقوة المتين ، ومحبة الدين ، واتباع المرسلين . فقال عز وجل « ونحن اولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ما ذا تأمرين » وقال عز وجل للمخلفين من الاعراب « ستدعون الى قوم أولو بأس شديد » وقال « سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كان الايمان معلقاً بالثريا لتناوله رجل من أبناء فارس) وقال صلى الله عليه وسلم (طوبى لاخواني من رجال فارس يجيئون في آخر الزمان يجدونه سواداً على بياض ويؤمنون به ويصدقوني)

والحمد لله على ما خصنا باليقين والايمان والعمل للآخرة والتزود للمعاد وان منا من يقرأ الانجيل ولا يدري منه شيئاً ويؤمن بالمسيح ويصدقه ومنا من يقرأ القرآن ويلحنه ولا يعرف معناه ويؤمن بمحمد ويصدقه وينصره ونحن لبسنا السواد وطلبنا بثأر الحسين وطردنا البغاة من بني مروان طغوا وعصوا وتعدوا حدود الله والدين ونحن نرجو أن يظهر من بلادنا الامام المهدي عليه السلام المنتظر من آل محمد صلى الله عليه وسلم فان عندنا له خبراً وأثراً والحمد لله على ما أعطى ووهب وانعم وأكرم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

فلما فرغ الفارسي من كلامه نظر الملك الى من حوله من الحكماء . وقال ماذا ترون فيما ذكر قال رئيس الفلاسفة صدق فيما ذكر لولا أن فيهم جفاء الطبع وفحش اللسان ونكاح الغلمان وتزويج الامهات وعبادة النيران ويسجدون للشمس من دون الرحمن

فصل

في بيان صفات الاسد وأخلاقه ومناقبه من الخصال المحمودة والمذمومة من بين السباع والوحوش

ولما كان في اليوم الثالث حضر زعماء الطوائف على الرسم فوقفت في مواضعها كالأمس في المجلس . ونظر الملك يمنة ويسرة فرأى ابن آوى واقفاً الى جنب الحمار وهو ينظر شذراً ويلتفت يمنة ويسرة شبه المريب الخائف الوجل من الكلاب

فقال الملك على لسان الترجمان من أنت ؟ . قال أنا زعيم السباع . قال ومن أرسلك ، قال ملكنا ، قال من هو ، قال الاسد ابو الحارث

قال الملك أين يأوى من البلاد . قال في الآجام والغياض والدحال ، قال ومن رعيته ، قال حيوان البر من الوحوش والانعام والبهائم

قال ومن جنوده وأعوانه ، قال النمورة والفهود والذئاب وبني آوى والثعالب وسنانير البر وكل ذي مخلب وناب من السباع ، قال صف لى صورته وأخلاقه وسيرته في رعيته وجنوده

قال نعم أيها الملك هو أكبر السباع جثة وأعظمها خلقة وأقواها وأشدها قوة وبطشا وأعظمها هيبة وجلالا عريض الصدر دقيق الخصر لطيف المؤخر كبير الرأس مدور الوجه وضاح الجبين واسع الشدقين منفرج المنخرين متين الوتدين حاد صلب الانياب والمخالب براق العينين جهير الصوت شديد الزئير عبل الساقين شجاع القلب هائل المنظر لا يهاب أحداً ولا يرهب لشدة بطشه الجواميس ولا الفيلة ولا التماسيح ولا الرجال ذوو البأس الشديد ولا الفرسان ذوو السلاح الشاك المدرعة وهو شديد العزيمة ، حازم الرأى اذا هم بأمر قام اليه بنفسه لا يستعين بأحد من جنوده وأعوانه ، سخى النفس اذا اصطاد فريسة أكل منها وتصدق بباقيها علي جنوده وخدمه عفيف النفس عن الامور الدنية لا يتعرض للنساء ولا للصبيان ولا للنيام كريم الطبع اذا رأى ضوءاً بعيداً ذهب نحوه في ظلم الليل ووقف بالبعد منه وسكنت ثورة غضبه ولانت صولته ، واذا سمع نغمة طيبة قرب منها وسكن اليها لا يفزع من شيء ولا يتأذى الا من النمل الصغير فانها مسلطة عليه وعلى أشباله كما سلط البق على الفيلة والجواميس وتسلط الذباب على الملوك الجبابرة من بني آدم قال كيف سيرته فى رعيته ، قال أحسنها واعدلها وأنا أذكر بعد هذه

فصل

في بيان صفة العنقاء وصفة الجزيرة التى تأوى اليها وما فيها من النبات والحيوان .

ثم نظر الملك الى الطوائف الحضور هناك فرأى الببغاء قاعدة على غصن شجرة بالقرب وهي تنظر وتتأمل كل من يتكلم من الجماعة الحضور وينطق بحكاية في كلامه وأقاويله

فقال له الملك : من أنت ؟ : قال أنا زعيم الجوارح من الطير • قال من ارسلك قال ملكنا ، قال من هو ؟ قال عنقاء مغرب ، قال أين يأوى من البلاد ، قال الى أطواد الجبال الشامخة في جزيرة البحر الاخضر التى قل ما يبلغ اليها مراكب البحر ولا أحد من البشر

قال صف لنا تلك الجزيرة • قال نعم ، طيبة التربة معتدلة الهواء تحت خط الاستواء عذبة المياه من العيون والانهار كثيرة الاشجار من دوح الساج العالية في جو الهواء قصب آجامها القنا وعكرشها الخيزران وحيوانها الفيل والجواميس والخنازير واصناف اخر ، لايعلمها الا الله . قال صف لنا صورة العنقاء واخلاقها وسيرتها قال نعم هي اكبر الطير جثة واعظمها خلقة واشدها طيرانا كبيرة الراس عظيمة المنقار كانه معول من الحديد عظيمة الجناحين اذا نشرتهما كأنهما شراعان من شراعات مراكب البحر وذنب مناسب لها كأنه قازة نمرود الجبار واذا انقضت من الجو في طيرانها تهتز الجبال من شدة تموج الهواء من خفقان جناحيها وهي تخطف الجواميس والفيلة من وجه الارض في طيرانها كما يخطف الحداة الفارة في طيرانه من وجه الارض في طيرانها قال ما سيرتها قال احسن واعدلها وأنا اذكر بعد هذا

﴿ فصل ﴾

في بيان صفة الثعابين والتنين وعجيب خلقهما وهائل منظرهما

ثم ان الملك سمع نغمة وطنيناً من شق حائط كان بالقرب من هناك هي تترنم وتتذمر ولا تهدأ ساعة ولا تسكن فتأمله فاذا هو صرصر واقف يحرك جناحيه له حركة خفيفة سريعة يسمع لها نغمة وطنين كما يسمع لوتر الزير.

فقال له الملك من أين أنت قال أنا زعيم الهوام والحشرات قال من ارسلك قال ملكنا قال من قال الثعبان.

قال أين يأوي من البلاد قال الجبال الشامخة المرتفعة الى كرة النسيم عند كرة الزمهرير حتى لا يرتفع الى هناك سحاب ولا غيوم ولا يقع امطار ولا ينبت نبات ولا يعيش حيوان من شدة برد الزمهرير .

قال فمن جنوده واعوانه قال الحيات والجرادات والحشرات أجمع قال فاين تأوي جنوده قال في الاض بكل مكان فهم أمة وخلائق لايحصى عددها الا الله الذي خلقها وصورها و برأها ويعلم مستقرها ومستودعها .

قال الملك ولما ارتقم الثعبان الى هناك مع جنوده وأبناء جنسه قال ليستريح ببرد الزمهرير من شدة وهج حرارة السم الذي بين فكيه وتلهبها في جسمه

قال صف لنا صورته واخلاقه وسيرته قال صورته كصورة التنين واخلاقه كاخلاقه قال فمن لنا بوصف التنين قال زعيم حيوان الماء قال من هو قال ذلك الراكب الخشبة .

فنظر الملك فاذا الضفدع راكب خشبة على ساحل البحر بالقرب من هناك وهو ينق باصوات تسبيحات لله وتكبيرات وتحميداً وتهليلا لا يعلمها الا الله والملائكة الكرام البررة .

قال الملك من أنت قال أنا زعيم حيوان الماء قال ومن ارسلك قال ملكنا قال ومن هو قال التنين قال أين يأوي من البلاد قال في قعر البحار حيث الامواج المتلاطمة ومنشؤ السحاب والغيوم المؤلفة قال من جنوده وأعوانه

قال التماسيح والدلافين والسرطانات واصناف من الحيوانات البحرية التى لايحصى عددها الا الله الواحد القهار .

قال صف لنا صورة التنين وأخلاقه وسيرته قال نعم أيها الملك هو حيوان عظيم الخلقة عجيب الصورة طويل القامة عريض الجثة هائل المنظر مهول المخبر تخافه وتهابه حيوانات البحر أجمع لشدة قوته وعظم صولته اذا تحرك تحرك موج البحر من سرعة سباحته، كبير الرأس براق العينين واسع الفم كثير الاسنان، يبلع من حيوانات البحر عددا كثيرا لايحصى واذا امتلأ جوفه منها واتخم تقوس والتوى واعتمد على رأسه وذنبه ورفع وسطه خارجا من الماء مرتفعاً في الهواء مثل قوس قزح يشرق في عين الشمس ويستروح بحرها ليستمريء ما في جوفه

وربما عرض له وهو على هذه الحالة غشية وينشأ سحابة من تحته ترفعه فترمي به الى البر فيموت وتأكل من جثته السباع اياما وترمي به الى أمة يأجوج ومأجوج الساكنين من وراء السد وهما امتان صورتهما أدمية ونفوسهما سبعية لا يعرفان التدبير ولا السياسة ولا البيع ولا الشراء ولا الحرفة ولا الحرث ولا الزرع بل الصيد من السباع والوحوش والسمك والنهب والغارات بعضها على بعض ويأكل بعضها بعضاً .

واعلم أيها الملك بأن كل حيوانات البحر تفزع من التنين وتهابه وهو لا يفزع من شيء الا من دابة صغيرة تشبه الكرور والجرجيس فتلسعه وهو لا يقدر عليها بطشا ولا منها احترازا فاذا لسعته دب سمها في جسمه فمات واجتمعت عليه الحيوانات البحرية تأكله فيكون لها عيشاً رغدا أياما من جثته فهي تأكلها مدة من الزمان كما تأكل السباع كبارها صغارها مدة من الزمان وهكذا حكم الجوارح من الطير ،

وذلك ان العصافير والقنابر والخطاطيف وغيرها تأكل الجراد والنمل والذباب والبق وما شاكلها ، ثم ان البواشق والشواهين وما شاكلها تصطاد العصافير والقنابر وتأكلها ، ثم ان البزاة والصقور والنسور والعقبان تصطادها وتأكلها ثم انها اذا ماتت أكلها صغارها من النمل والذباب والديدان.

وهكذا سيرة بني آدم فانهم يأكلون لحوم الجدي والحملان والغنم والبقر والطير وغيرها ثم اذا ماتوا أكلتهم في قبورهم الديدان والنمل والذباب

وهكذا يأكل صغار الحيوانات كبارها وتارة تأكل كبارها صغارها ومن أجل هذا قال الحكماء المنطقيون من الانس :

ان من فساد شيء آخر يكون صلاح شيء آخر قال الله سبحانه « وتلك الايام نداولها بين الناس ومايعقلها الا العالمون »

وقد سمعنا أيها الملك ان هؤلاء الانس يزعمون انهم اربابنا وان سائر الحيوانات عبيد لهم فهلا يفقهون فيما وصفت من تصاريف احوال سائر الحيوانات هل بينها فرق فيما ذكرت فانهم تارة آكلون وتارة هم مأكولون فبماذا يفتخر

بنو آدم على الحيوانات وعاقبة أمرهم مثل عاقبة أمرها وتدقيل الاعمال بخواتيمها وكلهم من التراب خلقوا واليه مصيرهم

ثم قال الضفدع اعلم أيها الملك الحكيم بانه لما سمع التنين قول الانس وادعاءهم على الحيوانات انها عبيدهم وانهم ارباب لها تعجب من قولهم الزور والبهتان. وقال ماأجهل هؤلاء الانس وأشد طغيانهم واعجابهم بانفسهم ومكابرتهم لاحكام العقول كيف يجوزون أن تكون السباع والوحوش والجوارح والثعابين والتنانين والتماسيح والكواسيج عبيداً لهم وخلقت من أجلهم أفلا يتفكرون ويعتبرون بانه لو خرجت عليهم السباع من الاجام وانقضت عليهم الجوارح من الجو ونزلت عليهم الثعابين من رؤوس الجبال وخرجت اليهم التماسيح والتنانين من البحر فحملت على الانس حملة واحدة هل يبقى منهم أحد وانها لو خالطتهم في ديارهم ومنازلهم هل كان يطيب لها عيش أو حياة معهم أفلا يتفكرون في نعم الله تعالى عليهم حين صرفها وابعدها من ديارهم لدفع ضررها عنهم وانما غرهم كون هذه الحيوانات السليمة الاسيرة في ايديهم التي لا شوكة لها ولا صولة ولا حيلة وهم يسومونها سوء العذاب ليلا ونهاراً فاخرجهم ذلك الى هذا القول من غير حق ولا برهان.

فصل

ثم ان الملك نظر الى جماعة الانس وهم وقوف نحو اثنين وسبعين رجلا مختلفي الالوان والصفات والزي واللباس فقال لهم قد سمعتم ماقال فاعتبروا وتفكروا فيه ثم قال لهم من ملككم قالوا لنا عدة ملوك قال فأين ديارهم قالوا في بلدان شتى كل واحد في مدينة له جنوده ورعيته قال الملك لأي علة وأي سبب صارت هذه الطوائف من الحيوانات لكل جنس منها ملك واحد مع كثرتها وللانس ملوك عدة مع قلتهم .

قال زعيم الانس العراقي نعم أيها الملك أنا اخبرك ما العلة وما السبب في كثرة

ملوك الانس وقلة ملوك سائر الحيوانات مع كثرتها قال الملك وما هي:

قال لكثرة مآرب الانس وفنون تصاريف أمورهم واختلاف احوالها فاحتاجوا الى كثرة الملوك وليس حكم سائر الحيوانات كذلك .

وخصلة أخرى ان ملوكهم انما هم بالاسم من جهة كبر الجثة وعظيم الخلقة وشدة القوة حسب .

وان حكم ملوك الانس ربما يكون بخلافه وذلك انه ربما يكون الملك أصغرهم جثة والطفهم بنية وأضعفهم قوة وانما المراد من الملوك حسن السياسة والعدل في الحكومة ومراعاة أمر الرعية وتفقد أحوال الجنود والاعوان وترتيبهم مراتبهم والاستعانة بهم في الامور المشاكلة لهم .

وذلك ان رعية ملوك الانس وجنودها واعوانها أصناف وصفات شتى فمنهم حملة السلاح الذين بهم يبطش الملك باعدائه ومن خالف أمره من الثوار والخوارج واللصوص وقطاع الطرق والغوغاء والعيارين ومن يريد الفتن ويثيرها ويريد الفساد في البلاد .

ومنهم الوزراء والكتاب والعمال وأصحاب الدواوين وجباة الخراج وبهم يجمع الملك الأموال والذخائر وارزاق الجند وما يحتاج اليه من الأمتعة والثياب والأثاث.

ومنهم البناؤن والدهانون والمزارعون وارباب الحرث والنسل وبهم عمارة البلاد وقوام أمر المعاش للكل .

ومنهم القضاة والعلماء والفقهاء الذين هم قوام الدين وحكام الشريعة التي لا بد للملك من دين وحكم وشريعة يحفظ بها الرعية والامة ويسوسهم ويدبر أمورهم على أحكمه وأحسنه .

ومنهم التجار والصناع واصحاب الحرف والمتعاونون في المعاملات والتجارات والصناع في المدن والقرى الذين لا يتم أمر المعاش وطيب الحياة الا بهم ومعاونة بعضهم بعضاً .

ومنهم الخدم والغلمان والجواري والحجاب والوكلاء أصحاب الخزاين والفيوج والرسل وأصحاب الاخبار والندماء المختصون ومن شا كلهم ممن لا بد للملوك منهم في تمام السيرة.

وكل هؤلاء الطوائف الذين ذكرتهم لا بد للملك من النظر في أمورهم وتفقد احوالهم والحكومة بينهم.

فمن أجل هذه الخصال احتاجت الانس الى كثرة الملوك في كل بلد أو في كل مدينة ملك واحد يدبر أمر أهلها كلها كما ذكرت ولم يمكن أن يقوم بها كلها واحد لان أقاليم الارض سبعة اقاليم وفي كل اقليم عدة بلدان وفي كل بلدة عدة مدن وفي كل مدينة عدة خلائق لا يحصى عددها الا الله وهم مختلفو الألسن والاخلاق والاراء والمذاهب والاعمال والاحوال والمآرب.

ولهذه الخصال واجب في الحكمة الالهية والعناية الربانية أن تكون ملوك الانس كثيرة وكل ملوك بني آدم خلفاء الله في أرضه ملكهم بلاده وولاهم عباده ليسوسوهم ويدبروا أمورهم ويحفظوا نظامهم ويتفقدوا أحوالهم ويقمعوا الظلم وينصروا المظلوم ويقضوا بالحق وبه يعدلون ويأمرون باوامره وينهون عن نواهيه ويتشبهون به في تدبيرهم وسياستهم إذ كان الله تعالى هو سائس الكل ومدبر الخلائق من أعلى عليين الى أسفل سافلين وحافظهم وخالقهم ورازقهم ومبدأهم ومعيدهم كما شاءوا كيف شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

فصل

في بيان فضيلة النحل وعجائب أموره وتصاريف أحواله وماخص به من الكرامات والمواهب دون غيره من الحشرات

فلما فرغ زعيم الانس من كلامه نظر الملك الى اصناف الحيوانات فسمع دويا وطنيناً فاذا هو باليعسوب أمير النحل وزعيمها واقف في الهواء يحرك

جناحيه حركة خفيفة يسمع لها دوي وطنين مثل نغمة الزير من أوتار العود وهو يسبح الله ويقدسه ويهلله .

فقال له الملك من أنت . قال أنا زعيم الحشرات وأميرها قال كيف جئت بنفسك ولم ترسل رسولا من رعيتك وجنودك كما أرسلت سائر طوائف الحيوانات . قال اشفاقاً عليهم ورحمة لهم وتحنناً عليهم أن ينال أحداً منهم سوء أو مكروه أو أذية . قال له الملك وكيف خصصت بهذه الخصال دون غيرك من ملوك سائر الحيوانات . قال انما اختصني ربي من جزيل مواهبه ولطيف انعامه وعظيم إحسانه بما لاأحصيه

قال الملك اذكر منها طرفاً لاسمعه وبينه لافهمه .

قال نعم أيها الملك مما خصني الله به وأنعم به علي وعلى آبائي وأجدادي ان أتانا الملك والنبوة التي لم تكن من بعدنا لحيوانات أخر وجعلها وراثة من آبائنا وأجدادنا وذخيرة لاولادنا وذرياتنا يتوارثونها خلفاً عن سلف الى يوم القيامة وهما نعمتان عظيمتان جزيلتان مغبون فيهما أكثر الخلائق من الجن والانس وسائر الحيوانات ومما خصنا ربنا وأنعم به علينا أن ألهمنا وعلمنا دقة الصنائع الهندسية ومعرفة الاشكال الفلكية من اتخاذ المنازل وبناء البيوت وجمع الذخائر فيها ومما خصنا به أيضاً وأنعم به علينا سبيل الرشاد ومما خصنا أيضاً وأنعم به علينا أن حلل لناالاكل من كل الثمرات ومن جميع أزهار النبات

ومما خصنا وأنعم به علينا أن جعل الله في مكاسبنا وذخائرنا ومايخرج من بطوننا شراباً حلواً لذيذاً فيه شفاء للناس وتصديق ماقال الله تعالى « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس»

ومما خصنا به ربنا أيضاً وأنعم به علينا أن جعل خلقة صورتنا وهيا كلنا وجميل أخلاقنا وحسن أفعالنا وأعمالنا وتصاريف أمورنا وحسن سياستنا وتدبير

رعيتنا عبرة لأولى الالباب وآية لأولى الابصار وذلك ان الله تعالى بحكمته جعل خلقتنا خلقة لطيفة وبنيتنا بنيــة ظريفة وصــورتنا صورة عجيبة وذلك انه تعالى جعل بنية جسدنا ثلاث مفاصل مخروزة فوسط جسدنا مربع مكعب ومؤخر جسدنا معوج مدبج مخروط ورأسنا مدور مبسوط وركب في وسط أبداننا أربعة أرجل ويدين متناسبات المقادير كأضلاع الشكل المسدس في الدائرة لنستعين بها على القيام والقعود والوقوع والنهوض وتقدر على أساس بناء منازلنا . وبيوتنا مسدسات مكتنفات ففي بنيان بيوتنا وأشكال منازلنا إلهامات ربانية ومعقولات روحانية إذ عجز الرياضيون عن موضوعات أشكالنا وتسديسات منازلنا .

والغرض من المتساوية الاضلاع والزوايا المكشوفات كيلا يدخلها الهواء فيضر بأولادنا ويفسد شرابنا الذي هو قوتنا وذخائرنا

وبهذه الاربعة الأرجل واليدين نجمع من ورق الاشجار وزهر الأثمار الرطوبات الدهنية التى نبنى بها منازلنا وبيوتنا ، وجعل الله على كتفي أربعة أجنحة حريرية النسج آلة لى في الطيران في جو الهواء مستقلا بها وجعل مؤخر بدننا مخروط الشكل مجوفاً مدرجاً مملوءاً بالهواء ليكون موازناً في ثقل رأسنا في الطيران ، وجعل لى حمة حادة كأنها شوكة وجعلها سلاحاً لى أخوف به أعدائي وأزجر به من يتعرض ليؤذيني وجعل رقبتي خفيفة ليسهل بها علي تحريك رأسي يمنة ويسرة وجعل رأسي مدوراً عريضاً وجعل في جنبي عينين براقتين كأنهما مرآتان مجلوتان وجعلها آلة لنا لادراك المرئيات المبصرات من الالوان والاشكال والأنوار والظلمات وأثبت على رأسنا شبه قرنين لطيفين لينين وجعلهما آلة لنا لاحساس الملموسات واللين من الخشونات والصلابة والرخاوة وفتح لنا منخرين وجعلهما لاحساس المشمومات الطيبة والروائح الجيدة وجعل لنا فا مفتوحاً فيه قوة ذائقة تتعرف بها قوة الطعام والطيبات من المأكولات والمشروبات وخلق لنا مشفرين حادين نجمع بهما من ثمرة الاشجار رطوبات لطيفة

وعجز الطبيعيون والاطباء من اليونانيين من معرفتنا على طبائع النبات

والاطلاع على خصائص منافعها وخلق في جوفنا قوة جاذبة وماسكة وهاضمة وطابخة منضجة تصير تلك الرطوبات عسلا حلواً لذيذاً شراباً صافياً غذاء لنا ولأولادنا وذخائر الشتاء كما جعل في ضروع الانعام قوة هاضمة تصير الدم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين وجعل فضالتنا وفضالة أولادنا سبباً وشفاء لأخص خلق الله تعالى إذ في تشكيلنا وتخطيطنا المسدسات وترتيب الزوايا المتساويات جعل شفاء للارواح الانسانية وفي فضالتنا وبصاقنا ولعابنا جعل شفاء للجسد الانساني وجعل فضالة فضالتنا وهو الشمع سبباً للضياء في ظلم الليالي عوضاً عن الضياء النوراني الحاصل من الشمس

فمن أجل هذه النعم والمواهب التي خصنا الله تعالى بها صرنا مجتهدين في كثرة الذكر لها وأداء شكرها بالتسبيح لربنا والتهليل والتكبير والتمجيد والتحميد آناء الليل وأطراف النهار والشفقة على رعيتنا وتفقد أحوال جندنا وأعواننا وتربية أولادنا لأنا لهم كالرأس من الجسد وهم لنا كالأعضاء من البدن لاقوام لاحدهما الا بالآخر ولاصلاح لهما الا بصلاح الآخر . فلهذا جعلت نفسي فداء لهم في أشياء كثيرة من الامور الخطيرة اشفاقاً عليهم ، ومن هذا السبب الذي ذكرت اخترت مجيئي بنفسي رسولا ونائباً وزعيما من رعيتنا وجنودنا

فلما فرغ النحل من كلامه قال الملك بارك الله فيك من خطيب ما أفصحك وحكيم ماأعلمك ومن رئيس ماأحسن سياستك ومن ملك ماأفضل رعايتك ومن عبد ماأعرفك بانعام ربك ومواهب مولاك .

ثم قال الملك أين تأوون من البلاد قال في رؤوس الجبال والتلال وبين الاشجار والدحال ومنا من يجاور بني آدم في منازلهم وديارهم .

قال الملك كيف عشرتهم وكيف تسلمون منهم .

قال أما من بعد منا من ديارهم فيسلم على الامر الاكثر ولكن ربما يجيئون الينا في طلبنا ويتعرضون لنا بالاذية فاذا ظفروا بنا خربوا منازلنا وأحفوا بيوتنا

ولم يبالوا بأن يقتلوا أولادنا ويأخذوا ما كنتنا وذخائرنا ويتقاسموها ويستأثروا بها دوننا

قال الملك وكيف صبركم عليهم وعلى ذلك منهم ، قال صبر المضطر تارة كرها وتارة رضا وتسليما ان غضبنا وهربنا وتباعدنا من ديارهم جاءوا خلفنا يطلبوننا ويترضوننا بالهدايا من العطر وانواع الحيل من أصوات الدفوف والطبول والمزامير والهدايا المزدوجة المزخرفة من الدبس والتمر وعملهم مثل عمل الطرارين الذين يمشون في المحال ويعطون الزبيب والجوز الى الصبيان ويأخذون منهم أثوابهم ودراهمهم ويسخرون على الصبيان

فهؤلاء أيضاً يعملون مثل السخرية بحيث انهم يبعثون الينا الهدايا من التمر والدبس إذ كلاهما يضر بابدانهم ويأخذون منا عسلا صافياً لذيذاً جعله الله تعالى سبباً لشفاء أبدانهم وزوال أمراضهم فنحن من حسن أخلاقنا لا نضايقهم فنصالحهم اذ الصلح خير لنا ولهم لان العداوة والخصومة تؤدي الى هلاك الحيوان وتؤدي الى خراب البلاد فنحن نراجعهم ونصالحهم لما في طبائعنا من الخيرة ولما في صدورنا من السلامة وقلة الحقد والحسد وحسن المراجعة وقلبنا صار موضع الهام الله تعالى لايجوز أن يكون موضع الحقد والحسد إذ هما ضدان لايجتمعان وذلك ان الله تعالى جعلنا من المقربين والصالحين والقى الوحي علينا لايليق بنا أن نكون فاسقين طاغين

ومع هذا كله لا يرضون منا هؤلاء الانس حتى يدعون علينا باننا عبيدلهم وهم موال وارباب لنا بغير حجة ولا بيان ولا برهان غير الزور والبهتان إذ نحن غير محتاجين اليهم حسب مايكون العبيد محتاجين الى الموالى في تصاريف أمورهم بل هم محتاجون الينا مثل مايحتاج الخدم الى السيد والله المستعان أقول قولي هذا واستغفر الله لى ولكم انه هو الغفور الرحيم .

﴿ فصل ﴾

في بيان حسن طاعة الجن لرؤسائها وملوكها

ثم قال اليعسوب لملك الجن كيف حسن طاعة الجن لرؤسائها وملوكها قال أحسن طاعة وأطوع انقياد لامرها ونهيها قال يتفضل الملك ويذكر منها شيئاً قال نعم :

فاعلم أن الجن اخيار واشرار ومسلمون وكفار وابرار وفجار كما يكون في الناس من بني آدم فاما حسن طاعة الاخيار منها لرؤسائها وملوكها ففوق الوصف مما لايعرفه البشر من بني آدم لان طاعتها لملوكها كطاعة الكواكب في الفلك للنير الاعظم الذي هو الشمس .

وذلك ان الشمس في الفلك كالملك وسائر الكواكب لها كالجنود والاعوان والرعية ونسبة المريخ من الشمس كنسبة صاحب الجيش من الملك والمشترى كالقاضي وزحل كالخازن وعطارد كالوزير والزهرة كالحرم والقمر كولى العهد وسائر الكواكب كالجنود والاعوان والرعية وذلك انها كلها مربوطة بفلك الشمس تسير بسيرها في استقامتها ورجوعها ووقوفها واتصالاتها وانصرافاتها كل ذلك بحسبان لاتتجاوز رسومها ولاتتعدى حدودها وجريان عاداتها في طلوعها وغروبها وتشريقها وتغريبها وجميع احوالها ومتصرفاتها لايرى منها معصية ولاخلافه .

قال النحل لملك الجن من أين للكواكب حسن هذه الطاعة والانقياد والنظام والترتيب لملكها قال من الملائكة الذين هم جنود رب العالمين .

قال كيف حسن طاعة الملائكة لرب العالمين : قال كطاعة الحواس الخمس للنفس الناطقة .

قال زدني بياناً : قال نعم ألا ترى أيها الحكيم ان الحواس الخمسة في ادراكها محسوساتها وايرادها اخبار مدركاتها الى النفس الناطقة لاتحتاج الى امر ولا نهي

ولاوعد ولاوعيد بل كلما همت النفس الناطقة بأمر محسوس امتثلت الحاسة لما همت به النفس وادركتها وأوردتها اليها بلازمان ولاتأخير ولا ابطاء

وهكذا طاعة الملائكة لرب العالمين الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايأمرون الذي هو رئيس الرؤساء وملك الملوك ورب الارباب ومدبر الكل وخالق الجميع واحكم الحاكمين لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العالمين .

وأما الاشرار والكفار والفساق من الجن فانها أحسن طاعه لرؤسائها واطوع انقياداً لملوكها من اشرار الانس وفجارهم وفساقهم

والدليل على ذلك حسن طاعة مردة الجن لسليمان عليه السلام لما سخرت له فيما كان يكلفها من الاعمال الشاقة والصنائع المتعبة فيعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات.

ومن الدليل أيضاً على حسن طاعة الجن لرؤسائها ما قد عرفه بعض الانس الذين يسافرون في المفاوز والفلوات ان أحدهم اذا نزل بواد يخاف فيه من لمم الجن ويسمع دويهم وزجلاتهم فيستعيذ برؤسائها وملوكها ويقرأ آية من القرآن والانجيل والتوراة ويستجير بها عنهم وعن تعرضهم وأذيتهم فانهم لايتعرضون له مادام في مكانه

ومن حسن طاعة الجن لرؤسائها انه اذا تعرض أحد من المردة وشياطين الجن لاحد من بنى آدم بتخيل أو فزعة أو تخبط أو لمم فيستعين المعزم برئيس قبيلة أو ملك أو جنوده فانهم يعزمون عليها ويحشرون اليها ويمتثلون مايأمرهم وينهاهم في صاحبهم

ومن الدليل أيضاً على حسن طاعة الجن وسهولة الانقياد وسرعة اجابتها للداعي لها اجابة نفر من الجن لمحمد عليه السلام في ساعة اجتازوا به ووجدوه يقرأ القرآن ووقفوا عليه فاستمعوه واستجابوه وولوا الى قومهم منذرين كما هو مذكور في القرآن من نعتهم في نحو عشرين آية فهذه الآيات والدلالات

والعلامات دالات على حسن الطاعة للجن وسهولتها وسرعة انقيادها واجابتها لمن يدعوها أو يستعين بها خيراً كان أو شرا

فاما طباع الانس وجبلتهم فبالضد مما ذكرت وذلك ان طاعتهم لرؤسائهم وملوكهم أكثرها خداع ومكر ونفاق وغرور وطلب للعوض والارزاق والمكافآت والخلع والمأرب والكرامات فان لم يروا مايطلبون أظهروا العصبة والخلاف وخلعوا الطاعة والخروج من الجماعة والعداوة والحرب والقتال والفساد في الارض .

فهكذا حكمهم مع انبيائهم ورسل ربهم تارة ينكرون دعوتهم بالجحود ودفع العيان وحجة الضرورات ويطلبون منهم المعجزات بالعناد وتارة الاجابة بالنفاق والشك والارتياب والمكر والدغل والغش والخيانة في السر والجهر كل ذلك لغلظ طباعهم ورداءة جبلتهم وسوء عاداتهم وسيئات أعمالهم وتراكم جهالاتهم وعمى قلوبهم ثم لايرضون حتى يزعمون انهم ارباب وغيرهم عبيد لهم بلا حجة ولا برهان .

فلما رأت جماعة الانس طول مخاطبة ملك الجن لليعسوب زعيم الحشرات تعجبت وأنكرت وقالت :

لقد خص الملك زعيم الحشرات اليعسوب بكرامة ومنزلة لم يخص بها أحد من زعماء الطوائف الحضور في هذا المجلس

فقال لهم حكيم من حكماء الجن لاتنكروا ذلك ولا تتعجبوا منه فان اليعسوب وان كان صغير الجثة لطيف المنظر ضعيف البنية فانه عظيم الخبر جيد الجوهر ذكي النفس كثير النفع مبارك الناصية حكيم الصنعة وهو رئيس من رؤساء الحشرات وخطيبها وملكها ونبيها والملوك يخاطبون من كان من أبناء جنسهم في الملك والرياسة وان كان مخالفاً لهم في الصورة وكانوا متباينين في الملك ولا تظنوا بان الملك العادل الحكيم يميل في الحكومة الى واحدة من الطوائف

دون غيرها لهوى غالب أو طبع مشاكل أو ميل لسبب من الاسباب وعلة من العلل •

فلما فرغ حكيم الجن من كلامه نظر الملك الى الجماعة الحضور فقال. سمعتم يامعشر الانس أمر شكاية هذه البهائم من جوركم وظلمكم ونحن قد سمعنا ادعاءكم عليها الرق والعبودية وهي تأبى ذلك وتجحدوطالبتكم بالدليل والحجة على دعواكم فأوردتم ماذكرتم وسمعنا ماجابوكم فهل عندكم شيء آخر غير ماذكرتم بالأمس فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ليكون لكم حجة عليها

فصل

فلما سمع الانس جميع ماقال ملك الجن في حقهم قام زعيم من رؤساء الروم فقال الحمد لله الحنان المنان ذي الجود والاحسان والعفو والغفران الذي خلق الانسان والهمه العلوم والبيان وبين له الدليل والبرهان واعطاه العز والسلطان وعرفه تصاريف الدهور وتقلب الازمان وسخر له النبات والحيوان وعرفه منافع المعادن والاركان .

نعم أيها الملك لنا خصال محمودة ومناقب جمة تدل على ماقلناوذكرنا

قال الملك وماهي ، قال الرومي كثرة علومنا وفنون معارفنا ودقة تمييزنا وجودة فكرنا ورويتنا وسياستنا وتدبيرنا وعجيب متصرفاتنا وصلاح معائشنا ومعاونتنا فى الصنائع والتجارات والحرف في أمور دنيانا وآخرتنا كل ذلك دليل على ماقلنا إنا ارباب لهم وهم عبيد لنا .

قال الملك للجماعة الحضور من الحيوانات ماتقولون فيما ذكروا واستدلوا على ماادعوا عليكم من الربوبية والتملك

فأطرقت الجماعة ساعة متفكرة فيما ذكر الانسى من فضائل بنى آدم وماأعطاهم الله من جزيل المواهب التى خصوا بها من بين سائر الحيوان

ثم تكلم النحل وقام خطيباً مذكراً مسبحاً وقال :

الحمد لله الواحد فاطر السموات وخالق المخلوقات ومدبر الاوقات ومنزل القطرات والبركات ومنبت العشب في الفلوات ومخرج الزهر من النبات وقاسم الارزاق والاقوات نسبحه في صباحنا بالغدوات ونحمده في رواحنا بالعشيات بما علمنا من الصلوات والتحيات كما قال الله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم »

أما بعد أيها الملك العادل يزعم هذا الانسي بأن لهم علوماً ومعارف وفكراً وروية وتدبيراً وسياسة تدل على أنهم أرباب لنا ونحن عبيدهم فلو أنهم فكروا في أمرنا واعتدوا أيضاً أحوالنا لبان لهم من أمرنا وعرفوا من تصاريف أحوالنا وتعاوننا في إصلاح شأننا أن لنا أيضاً علماً وفهماً ومعرفة وتمييزاً وفكراً وروية وسياسة وتدبيراً أدق وألطف وأحكم وأتقن مما لهم

فمن ذلك اجتماع جماعة النحل في قراها وتمليكها عليها رئيساً واحداً واتخاذ ذلك الرئيس أعواناً وجنوداً ورعية وكيفية مراعاتها وسياساتها وكيفية اتخاذها المنازل والبيوت المسدسات المتجاورات المكتنفات من غير بركار ومعرفة هندسة كأنها أنابيب مجوفة مسدسة ثم كيفية ترتيبها البوابين والحجاب والحراس والمحتسبين وكيف تذهب الى المرعى أيام الربيع وليالي القمر في الصيف وكيف تجمع الشمع بأرجلها من ورق الأشجار والعسل بمشافيرها من زهر النبات . ثم كيف تخزنها في بعض البيوت وكيف تشد رأسها كأنها رؤوس الاباريق مشدودة بالقراطيس وكيف تبيض في بعض البيوت وتحضن وتفرخ ، وكيف تأوى في بعض البيوت وتنام فيها أيام الشتاء والصيف والبرد والرياح والأمطار ، وكيف يقتاتون من ذلك العسل المخزون هي وأولادها يوماً بيوم لا إسرافاً ولا تقتيراً الى أن تنقضي أيام الشتاء وتجيء أيام الربيع وينبت العشب ويطيب الزمان ويخرج النبات والزهر والنور وكيف ترعى كما كانت عام الاول وذلك دأبها من غير تعليم من الاستاذين ولا تأديب من المعلمين ولا تلقين من الآباء والأمهات بل تعليما من الله تعالى ووحياً إلهاماً وانعاماً وتكرماً وتفضلا علينا وأنتم يامعشر

الانس تدعون علينا بالرقة وأنتم موالينا فلم ترغبوا في فضائلنا وتفرحوا عند وجداننا وتستشفوا عند تناولنا فمن كان ملكا كيف يحرص ويرغب في فضالة الخدم والخول. ونحن مستغنون عنكم فليس لكم سبيل الى هذه الدعوات اذا الدعوى زور وبهتان

وأيضاً أيها الملك لو علم الانسى من حال النمل وكيف تتخذ القرية تحت الأرض منازل وبيوتاً وأزقة ودهاليز وغرفاً وطبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوباً وذخائر وقوتاً للشتاء وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضاً مصوناً كي لا تجري اليها المياه وبعضها مرتفعاً. تخبىء الحب والقوت في بيوت منعطفات الى فوق حذراً عليها من المطر، واذا ابتل منها شيء كيف تنشره أيام الصحو وكيف تقطع حب الحنطة نصفين وكيف تنشر الشعير والباقلا والعدس لعلمها بأنه لا ينبت مع التقشير وتراها كيف تعمل أيام الصيف ليلا ونهاراً باتخاذ البيوت وجمع الذخائر وكيف تتصرف في الطلب يوماً يمنة ويوما يسرة في القرية كأنها قوافل ذاهبين وجائين وانيا اذا ذهبت واحدة منها فوجدت شيئا لا تقدر على حمله أخذت منه قدراً ما، وذهبت راجعة مخبرة للباقين وكلما استقبلتها واحدة شامتها بما في فيها لتدلها على ذلك الشيء

ثم ترى كيف كل واحدة منها على هذا الطريق الذي جاءته من هناك. ثم كيف تجتمع على ذلك الشيء جماعة منها وكيف يحملونه ويحترزونه بجهد وعناء في المعاونة

واذا علمت أن واحدة منها توانت في العمل أو تكاسلت في التعاون اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها فلو تفكر الانسى في أمرها واعتبر أحوالها لعلم أن لها علما وفهماً وتمييزاً ومعرفة ودراية وتدبيراً وسياسة مثل مالهم ولما افتخر علينا بما ذكر

وأيضا أيها الملك لو تفكر الانسى في أمر الجراد انها اذا سمنت أيام الربيع من الرعى كيف تطلب أرضا طيبة التربة رخوة الحفرة وكيف تنزل هنالك

وتحفرت بأرجلها ومخاليبها وتدخل أذنابها في تلك الحفرة وتطرح بيضها فيها وتدفنه ثم طارت وتعيش أياما ثم تأكلها الطيور وتموت من بقي ويهلك من حر وبرد وتطير

ثم اذا دارت عليها الحول وجاءت أيام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء فكيف ينشر من ذلك البيض المدفون مثل الدبيب الصغار على وجه الارض وأكلت من ورق الشجر وسمنت وباضت مثل عام أول وهذا دأبها وذلك تقدير العزيز العليم

فليعلم هذا الانسى ان لنا علما ومعرفة

وهكذا أيضا أيها الملك دود القز التى تكون على رؤوس الاشجار والجبال فانها اذا شبعت من الرعى في أيام الربيع وسمنت أخذت تنسج على نفسها من لعابها في رؤوس الجبال شبه العش والسكن ثم تنام أياما معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضها في داخل ذلك السكن الذى نسجته على أنفسها ثم ثقبتها وخرجت منها وسدت ذلك الثقب وخرجت لها أجنحة وطارت فيأكلها الطير أو ماتت من الحر والبرد والريح والمطر وبقى ذلك البيض في تلك الجوزات محروزاً أيام الصيف والخريف والشتاء من الحر والبرد والرياح والامطار الى أن يحول الحول وتجيء أيام الربيع ويحضن ذلك البيض في الجوزات ويخرج من ذلك الثقب مثل الدبيب الصغار وتدب على ورق الشجر أياما معلومة فاذا شبعت وسمنت أخذت ونسجت على نفسها من لعابها مثل العام الاول وذلك دأبها أبداً وذلك تقدير العزيز العليم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى الى أمور مصالحها ومنافعها

وكذلك أيضا أيها الملك حال الزنانير الصفر والحمر والسود فانها تبنى أيضا منازل في السقوف والحيطان ومن بين أغصان الاشجار مثل ما يفعل النحل وتبيض وتفرخ ولكنها لا تجمع القوت للشتاء ولا تدخر للغد شيئا ولكن تتقوت يوما بيوم ما طاب لها الوقت فاذا أحست بتغيير الزمان ومجيء الشتاء ذهبت الى الاغوار والمواضع الكنينة الدفئة

ومنها ما يدخل في ثقب الحيطان والمواضع الكنينة الحصينة وينام فيها أياما طول الشتاء واذا جاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيما سلم من تلك الجثة روح الحياة فعاشت وبنت البيوت وباضت وحضنت أولادها مثل العام الاول فهذا دأبها تقدير العزيز العليم

وكل هذه الانواع من الحشرات والهوام تبيض وتحضن وتربي أولادها بعلم ومعرفة ودراية وشفقة ورحمة ورأفة وتحنن ولطف ورفق ولا تطلب من أولادها البر والمكافأة والجزاء

فأما أكثر الانس فيريدون من أولادهم براً وصلة وجزاء ومكافأة ويمنون عليها في تربيتهم اياهم . وأين هذا من المروءة والفضل والكرم والجود والسخاء الذي هو من شيم الاحرار الكرام من أرباب الفضل ، وبماذا يفتخر الانس علينا اذ الذ مأكولاتهم فضالتنا وأحسن ملبوساتهم فضالة دود القز فهم في مأكولاتهم وملبوساتهم تحت مننا ولنا أبداً النعمة عليهم . فكيف يدعون أنهم أرباب لنا ونحن عبيد لهم

ثم قال النحل أما البراغيث والبق والديدان وما شاكلها من أبناء جنسها فانها لا تبيض ولا تحضن ولا تلد ولا ترضع ولا تربي أولادها ولا تبني البيوت ولا تدخر العشب ولا تتخذ الكن بل تقطع ايام حياتها مرفهة ومستريحة مما يقاسي غيرها من برد الشتاء والرياح والامطار وحوادث الزمان

واذا تغير عليها الزمان واضطرب الكيان وتغالبت طبائع الاركان أسلمت نفسها للنوائب والحدثان وانقادت للهات لعلمها يقينا بالمعاد وتعلم ان الله تعالى منشئها ومعيدها في العام القابل للكون كما انشأها أول مرة ولا تقول ولا تنكر كما أنكر الانس وقالت « انا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة »

فلو اعتبر هذا الانسي أيها الملك فيما ذكرت من هذه الاشياء من تصاريف أمور هذه الحشرات والهوام لعلم وتبين له بأن لها علماً وفهماً ومعرفة وتمييزاً

ودراية وفكراً وروية وسياسة وتدبيراً كل ذلك عناية من الباري تعالى ولما افتخر علينا فيما ذكر انهم أرباب ونحن عبيد لهم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم انه هو الغفور الرحيم

فلما فرغ النحل من كلامه قال له الملك بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك ومن خطيب ما أفصحك ومن مبين ما أبلغك

فصل

ثم قال الملك : يامعشر الانس قد علمتم وسمعتم ماقال وفهمتم ما أجاب فهل عندكم شيء آخر

فقام انسي آخر أعرابي وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على اننا أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذكر منها شيئاً . قال نعم وماهي

قال طيب حياتنا ولذيذ عيشنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملاذ مما لايحصى عددها الا الله تعالى وماهؤلاء معنا شركة فيها بل هي بمعزل عنها وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها ولنا لباب الحبوب ولها تبنها وورقها ولنا شيرجها ودبسها ولها كنسها وخشبها ولنا بعد ذلك ألوان الخبز والرغفان والاقراص والجرادق من السميد والملون والكعك وغيرها ولنا ألوان الطبيخ من السكباج والاسفيداج والفطائر والهرائس والجواديت وألوان الكواميخ وغيرها من الرواصين وألوان الأشربة وألوان الشوى والحلوى والخبيص والقطائف واللوزينج

ولنا ألوان الاشربة من الخمر والنبيذ الخالص الجيد والقارص والسكنجبين والجلاب والفقاع ، والوان الألبان من الحليب والرائب والماست والدوغ والسمن والزبد والكشك والمصل وما يعمل منها من ألوان الطبيخ والملاذ والطيبات والمشتهيات ولايحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك عنهم بمعزل وخشونة طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل

على قلة لذتهم منها وهذه الخصال للعبيد وتلك حال أرباب النعم الاحرار الكرام وكل هذا دليل على اننا أرباب لهم وهم عبيد وخول لنا . أقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم

فصل

فنطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزار داستان وكان قاعداً على غصن شجرة يترنم فقام وقال :

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد القديم الأبد الدائم السرمد بلا شريك ولا ولد بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلة الموجودات ومسبب الكائنات من الجمادات والنباتات وبارىء المبروآت مركب السموات ومولد المولدات كيف شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم ان هذا الانسى افتخر بطيب مأكولاتهم ولذيذ مشروباتهم ولا يدري ان ذلك كله عقوبات لهم وأسباب الشقاوة وعذاب أليم إذ فى حرامها عذاب وفي حلالها حساب وهم فيما بينهما من الخوف والرجاء .

قال الملك وكيف ذلك بين لنا

قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكد أبدانهم وتعب نفوسهم وجهد أرواحهم وعرق جبينهم وما يلقون فى ذلك من الشقاوة والهوان مما لا يعد ولا يحصى من كد الحرث والزرع واثارة الارض وحفر الانهار وسد الشق وعمل البريدات ونصب الدواليب وجذب الغروب والسقي والحفظ والنظافة والحصاد والحمل والجمع والدراس والتذرية والكيل والقسمة والوزن والطحن والعجن والخبز وبناء التنور ونصب القدور وجمع الحطب والشوك والسرقين ووقود النيران ومقاسات الدخان وبناء الديكدان ومماكسة القصاب ومحاسبة البقال والجهد والعناء فى اكتساب الاموال والدراهم وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة للأبدان والاعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات والتجارات والذهاب والمجيء

فى الاسفار البعيدة في طلب الامتعة والحوائج والجمع والادخار والاحتكار والانفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح

فان كان جمعها من حلال وأنفقها فى وجه الله فلابد من الحساب وان كان من غير حل وانفاقه فى غير وجه الله فويل والحساب والعذاب إذ لابد من القوت والثياب مثل مالابد من الموت والحساب

ونحن بمعزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وغذاءنا هو مما يخرج لنا من الارض من أمطار سمائها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة والحشائف والعشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة فى غلفها وسنبلها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطعوم والروائح الزكية والاوراق الخضرة النضرة والازهار والرياحين في الرياض وتخرجها لنا الارض حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولاتعب أبداننا ولاعناء من نفوسنا ولا نصب من أرواحنا ولانحتاج الى كد حراث ولاعناء ولاسقي متعب لأرواحنا ولا نحتاج الى بذر ولاحصاد ولادراس ولاطحن ولاخبز ولاطبخ ولاشواء وهذه كلها علامات الكرام الاحرار

وأيضاً اذا أكلنا قوتنا يوماً بيوم تركنامايفضل عنا بمكانه لانحتاج الى حفظه ولا نحتاج الى خازن ولاناطور ولاحارس ولااحتكار الى وقت آخر بلاخوف لص ولاقاطع طريق ننام في أماكنناوأوطاننا وأوكارنا بلاباب ولاغلق ولاحصن آمنين مطمئنين مودعين مستريحين وهذه علامات الاحرار وأنتم عنها بمعزل

وأيضاً فان لكم بكل لذة ذكرتم من فنون مأكولاتكم وألوان مشروباتكم فنوناً من العقوبات وألواناً من العذاب مما نحن بمعزل عنه من الامراض المختلفة والاعلال المزمنة والاسقام المهلكة والحميات المحرقة من الغب والربع والثانية والثالثة والرابعة والتخم والجشأ الحامض والهيضة والقولنج والنقرس والبرسام والسرسام والطاعون واليرقان والدبيلان والسل والجذام وذات الجنب والبرص

والسكتة والصداع والسكرة والرمل وعسر البول والجرب والجدري والثواليل والدماميل والخنازير والحصبة والجراحات وأصناف الاورام مما تحتاجون فيها الى أنواع عذاب المعالجات من الكي والبتر والحقنة والسعوطات والحجامة والفصد وشرب الادوية المسهلة الكريهة الرائحة ومقاساة الحمية وترك الشهوات المركوزة في الجبلة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمات للانفس والارواح والاجساد

كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته . فان أول الناس آدم « وعصى آدم ربه فغوى » « ان الانسان كان ظلوماً جهولا » ونحن بمعزل عن هذه كلها فمن أين زعمتم انكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء وأنتم مادمتم في الحياة صحيحي البدن ففي تعب وكد لتحصيل الالتماسات والمشتهيات ومادمتم مرضى ففي عقوبة وحسرة وبعد الموت في العقاب والعذاب والخطاب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجملة فمن الموالى ومن العبيد منا ومنكم

قال الانسى قد يصيبكم يامعشر الحيوان من الامراض مثل مايصيبنا ليس يخصنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من يخالطكم منا من الحمام والديك والدجاج والبهائم والانعام أو من هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه في أمر مصالحه فأما من كان منا مخلى برأيه وتدبيره لمصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقل ماتعرض له الامراض والاوجاع وذلك انها لا تأكل ولا تشرب الا وقت الحاجة بقدر ماينبغي من أجل ماينبغي من لون واحد قدر مايسكن ألم الجوع ثم تستريح وتنام وتروض وتمتنع من الافراط في الحركة والسكون في الشمس الحارة أو في الظلال الباردة أو السكون في البلدان الغير الموافقة لطباعها أو أكل المأكولات غير الملائمة لمزاجها

فاما الذى يخالطونكم من الكلاب والسنانير ومن هو أسير في ايديكم من البهائم والانعام ممنوع من التصرف برايه في مصالحه في أوقات ماتدعوها طباعها المركوزة

في جبلتها ، وتطعم وتسقى في غير وقتـه أو غير ماتشتهي او من شدة الجوع والعطش تأكل اكثر من مقـدار الحاجة ولا تترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب ابدانها فتعرض لها بعض الامراض من نحو مايعرض لـكم وهكذا حكم أمراض أطفالـكم وأوجاعهم وذلك أن الحوامل من نسائكم وجواريكم المرضعات يأكلن ويشربن بشرههن وحرصهن اكثر ماينبغي من الوان الطعـام والشراب التي ذكرت وانتخرت بها فتتولد في أبدانهن من ذلك أخلاط غليظة متضادة الطباع فيؤثر ذلك في أبدان الاجنة التي في بطونهن وفي أبدان اطفالهن من ذلك اللبن الردىء ويصير سبباً للامراض والعلل والاوجاع من الفالج واللقوة والزمانة واضطراب البنية وتشويه الخلق وسماجة الصورة

وما ذكرت من اختلاف الاوجاع والامراض مما انتم مرتهنون بها معرضون لها وما يعقبها من موت الفجأة وشدة النزع وما يعرض لـكم من ذلك من الغم والحزن والنوح والبـكاء والصراخ والمصائب وكل ذلك عقوبة لـكم وعذاب لانفسكم من سوء أعمالـكم ورداءة اختياراتـكم ونحن بمعزل من هذه كلها

وشيء آخر ذهب عليكم أيها الانسي التائه النظر فيه قال ماهو قال ان اطيب ماتأكلون والذ ماتشربون وانفع ماتتداوون به هو العسل وهو لعـاب النحل وليس منكم بل من الحشرات فبأي شيء تفتخرون به علينـا وقد كان آباؤنا مشاركين فيه لآبائكم بالسوية أيضاً أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالمشرق على رأس ذلك الجبل فكانوا يأكلون من تلك الثمار والحب بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استئثار ولا جنى ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا وصية ربهما واغترا بقول عدوهما وعصيا ربهما وأخرجا من هنالك عريانين مطرودين ورميا من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقعا في برية قفر لاماء فيها ولاشجر ولا كن فبقيا فيها جائعين عريانين يبكيان على مافاتهما من النعم التي كانا فيها هناك

ثم ان رحمة الله تداركتهما فتاب عليهما وأرسل اليهما من هناك ملكا يعلمهما الحرث والزرع والحصاد والدراس والطحن والخبز واتخاذ اللباس من حشيش الارض والقطن والكتان والقصب بعناء وتعب وجهد وشقاء لا يحصي عددها الا الله مما قد ذكرنا طرفاً منها من قبل .

فلما توالدت وكثرت أولادهما وانتشروا في الارض براً وبحراً وسهلا وجبلا وضيقوا على سكان الارض من اصناف هذه الحيوانات أماكنها وغلبوها على أوطانها وأخذوا منها ما أخذوا وأسروا منها ما أسروا وهرب منها ما هرب وطلبوها أشد الطلب وبغيتم عليها وطغيتم حتى بلغ الامر الى هذه الغاية التي انتم عليها الآن من الافتخار والمناظرة والمنازعة والمخاصمة .

وأما الذي ذكرت بأن لكم مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور وما ليس لنا من الاعراس والولائم والرقص والحكايات المضحكات والتحيات والتهنئات والمدح والثناء والحلي والتيجان والاسورة والخلاخل وما شاكلها مما نحن بمعزل عنه فان لكم أيضاً بكل خصلة منها ضروبا من العقوبات وفنوناً من المصائب وعذابا اليما مما نحن بمعزل عنه

فمن ذلك ان لكم بازاء الاعراس المأتم وبدل التهنئة التعزية وبدل الالحان والغناء النوح والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرح والسرور الغم والحزن وبدل المجالس والايوانات العالية المضيقة من القبور المظلمة والتوابيت الضيقة المظلمة وبدل الحصون الواسعة الحبوس والمطامير الضيقة المظلمة وبدل الرقص الدستبندان والسياط والعذاب والضرب والعقاب وبدل الحلي والتيجان والخلاخيل والاسورة القيود والاغلال والسوامير والمقاطر والنكال وما شاكل المدح والثناء الهجو والشتم وسوء الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة بؤس وبدل كل فرح غم وهم وحزن ومصيبة مما نحن بمعزل عنه وهذه كلها من علامات الأشقياء وان لنا بدلا من مجالسكم وصحوناتكم وأيواناتكم ومنادمتكم هذا الفضاء الفسيح وهذا الجو الواسع والرياض والخضرة على شطوط الانهار

وسواحل البحار والطيران على رؤوس البساتين والاشجار والتحليق على رؤوس الجبال نسرح ونروح حيث نشأ من بلاد الله الواسعة ونأكل من رزق الله الحلال من غير تعب وكد ألوان الحبوب والثمار نجدها من غير أذية أحد ونشرب من مياه الغدران والأنهار بلا مانع ولا دافع ولا نحتاج الى حبل ولا الى دلو ولا الى كوز ولا قربة مما أنتم مبتلون به من حملها واصلاحها وبيعها وشرائها أو جمع أثمانها بكد ونصب وتعب ومشقة من الابدان وعناء النفوس وهموم القلوب وهموم الارواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فمن أين ثبت انكم أرباب ونحن عبيد لكم

ثم قال الملك لزعيم الانس قد سمعتم الجواب فهل عندكم شيء آخر من البيان قال نعم لنا فضائل ومناقب تدل على أن هؤلاء عبيد لنا ونحن أرباب قال الملك ما هو فهات البيان والبرهان

﴿ فصل ﴾

فقام رجل من أهل العراق عبراني وقال : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » وهو الذي أكرمنا بالوحي والنبوات والكتب المنزلات والآيات المحكمات وما فيها من ألوان الحلال والحرام والحدود والاحكام والاوامر والنواهي والترغيب والترهيب من الوعد والوعيد والمدح والثناء والتذكار والاخبار والامثال والاعتبار وقصص الاولين والآخرين وصفات يوم الدين وما وعدنا من الجنان والنعيم وما أكرمنا به أيضاً من الغسل والطهارة والصوم والصدقة والزكاة والاعياد والجمعات والذهاب الى بيت العبادات والمساجد والبيع والصلوات

ولنا المنابر والخطب والاذان والمواقيت والافاضات والاحرام والتلبيات والمناسك وما شاكلها

وكل هذه الخصال كرامات لنا وأنتم بمعزل عنها وكل ذلك دليل على اننا

أرباب وأنتم لنا عبيد

قال زعيم الطيور لو تذكرت أيها الانسي ونظرت واعتبرت لعلمت وتبين لك ان هذه كلها عليكم لا لكم

قال الملك كيف ذلك بينه لنا قال لأنها كلها عذاب وعقوبات وغفران للذنوب ومحو للسيئات ونهي عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله تعالى بقوله « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقال « ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » وقال النبي عليه السلام صوموا تصحوا ونحن براء من الذنوب والسيئات والفحشاء والمنكر فلم نحتج الى شيء مما ذكرت وافتخرت

واعلم أيها الانسي ان الله تعالى لم يبعث رسله ولا أنبيائه الا الى الامم الكافرة الجاهلة وعامة المشركين معه غيره والمنكرين ربوبيته والجاحدين وحدانيته والمدعين معه إلهاً آخر اذ قولكم ان الله ثالث ثلاثة وقولكم عزير ابن الله وقولكم مسيح ابن الله ، وقولكم ان الله تعالى على صورة شاب أمرد له جعد قطط

فمن هذه الخرافات والمجازات التي تجيء منكم وانتم المغيرون أحكامه والعاصون أوامره ، والهاربون من طاعته ، والجاهلون احسانه . والغافلون عن ذكره ، والناسون عهده وميثاقه ، الضالون المضلون الغاوون العادلون عن الصراط المستقيم

فلهذا بعث الانبياء والرسل اليكم ليعرفوكم طريق الهدى وسبيل الرشاد اما طوعاً أو جبراً أو جهراً بل قتلا وصلباً ونحن براء من هؤلاء لاننا عارفون بربنا مسلمون مؤمنون به موحدون به غير شاكين ولا ممترين ولا ضالين

ثم اعلم أيها الانسي ان الأنبياء عليهم السلام هم أطباء النفوس ومنجموها ولا يحتاج الى الطبيب الا المرضى وصاحب العلة المزمنة ولا يحتاج الى المنجم الا المنحوسون الاشقياء والضالون عن نجم الهدى كما قال عليه السلام ان مثل أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

ثم اعلم أيها الانسي ان الغسل والطهارة انما فرضت عليكم من أجل ما يعرض لكم عند النكاح من الجماع وشدة الشبق وشهوة الزنا واللواط والجلق والبغا والسحق ومن نتن الصبيان والبخر ورائحة العرق لاستكثارها واستعمالها ليلا ونهاراً وغدواً ورواحاً ضحوة وبكرة ونحن بمعزل عنها لا نهيج ولا نسفد الا في السنة مرة لا لشهوة غالبة ولا لذة داعية ولكن لبقاء النسل

وأما الصوم والصلاة فانما هي فرضت عليكم ليكفر عنكم سيئاتكم من الغيبة والنميمة والقبيح من الكلام واللعب واللهو والهذيان فالانبياء عليهم السلام يعالجونكم بهذه المداواة اذ انتم مرضى من المعاصي ونفوسكم قد امتلأت من مأكولات الذنب ومشروبات النميمة والغيبة وهي تناول لحوم الاخوان فأمر الشريعة بالحمية عن المأكولات الرديئة المضرة والحمية هو الصوم لأن الحمية رأس الدواء والبطن رأس الداء

ثم لما نظر الأنبياء في أحوالكم وعصيانكم في الليل والنهار وتناول طعام الذنوب والشكوك ومشروبات الظنون الكاذبة بالله فأمروكم بالحركات المختلفة الاشكال لتستمري عنكم تلك المتناولات والحركات المختلفة الاشكال هي الصلاة الخمس لأن الطبيب يأمر بحركات وخطوات من الاعلى الى الاسفل ومن الاسفل الى الاعلى وعلى وجه الارض بعد ثقل الطعام على المعدة وتناول الاشياء الثقيلة فى الليالى ونحن براء من جميع ذلك وبمعزل عنه فلم يجب الصوم ولا الصلاة ولا فنون العبادات علينا

وأما الصدقات والزكوات انما فرضت عليكم من أجل انكم تجمعون من فضول الاموال من الحلال والحرام والغصب والسرقة واللصوصية من البخس في الكيل والموازين وكثرة الجمع والذخائر والامساك عن النفقة في الواجبات فضلا عن المسنونات والبخل والشح والاحتكار ومنع الحقوق وتجمعون ما لا تأكلون وتكنزون ما لا تحتاجون اليه ، الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » فلو أنكم كنتم تنفقون ما فضل عنكم على فقرائكم وضعفائكم لما وجبت عليكم الزكوات والصدقات ونحن بمعزل عنها اذ كنا مشفقين على أبناء جنسنا ولا نبخل بشيء مما وجدنا من الارزاق ولا يدخر من الذخائر مما فضل علينا بل نطير جائعين متكلين على الله تعالى ونرجع بحمدالله مشبعين

وأما الذي ذكرت بأن لكم في الكتب آيات محكمات بينات للحلال والحرام والحدود والاحكام فكل ذلك تعليم لكم وتأديب لجهلكم وعماكم وقلة معرفتكم بالمنافع والمضار وان الانسان كان ظلوماً جهولا ، تحتاجون الى المعلمين والاستاذين والمذكرين والواعظين لكثرة غفلاتكم وسهوكم ونسيانكم

وانما مبين لكم الحلال والحرام لان الحرام مثل طعام حار جداً يتضرر بتناوله من غلبت عليه الحرارة وهو شاب ابن ثلاثين سنة ويسكن فى البلدان الحارة جداً في أكثر الاوقات أن يوقعه في هاوية البلى أو فى البلى أو فى جهنم الدق والذبول ويصير مثل ماسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم

والحلال مثل طعام خفيف الجرم كثير الفائدة صالح الكيموس كثير الغذاء ينتفع بتناوله من كان مزاجه معتدلا وهو صحيح البنية ويسكن في البلدان الشريفة عند خط الاستواء الصراط المستقيم ففي أكثر الامران من هذا شأنه ودأبه يبقى مدة مديدة فى جنة الصحة ودار السلام من اعتدال البنيان ودار النعيم وقلة الامراض فانتبه أيها الانسى من نوم الغفلة ورقدة الجهالة

واعلم ان هذه الاحكامات والموضوعات قيود وأغلال وسلاسل عليكم إذ الحكمة الالهية اقتضت هذه الأسرار الواجبة وجعل الموضوعات الشرعية والحكمية أستاذاً ومؤدباً لكم ونحن بمعزل عن جميع ذلك إذ قد ألهمنا الله تعالى الى جميع مانحتاج اليه من أول الامر إلهاماً ووحياً بلاواسطة من الرسل ولا نداء من وراء حجاب كما اوحى الى النحل بقوله تعالى « واوحى ربك الى النحل ان

اتخذي من الجبال بيوتا » وكما قال تعالى « كل قد علم صلاته وتسبيحه » وعلم سليمان منطق الطير

فافهم ايها الغافل الانسي وقال « فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه » قال « ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين » من عمى قلبه لانادما على ذنبه وخطيئته .

وأما الذي ذكرت بان لكم أعياداً وجمعات وذهابا الى بيوت العبادات وليس لنا شيء من ذلك .

فاعلم انكم لو كنتم مهذبي الاخلاق معاوني الاخوان عندالمضائق والشدائد وكنتم كنفس واحدة في مصالح أموركم لما وجب عليكم الاعياد واجتماع الجمعات لان صاحب النواميس اقتضت هذا لتجتمع الناس بعد غيبتهم بعضهم الى بعض حتى يحصل من اجتماعهم الصداقة اذا الصداقة اس الاخوة والاخوة اس المحبة والمحبة اس اصلاح الامور واصلاح الامور صلاح البلاد وصلاح البلاد بقاء العالم وبقاء النسل .

فلهذا أمرت الشريعة أن يجتمع الخلائق في السنةمرتين الى موضع مخصوص وفي كل اسبوع مرة الى مواضع مخصوصة وفي كل يوم خمس مرات في مساجد المحال والسوق ليحصل الغرض المطلوب

فلهذه الاسرار قال سيد المرسلين لاصلاة لجار المسجد الا في المسجدوليس لنا شيء من ذلك لاننا لانحتاج الى ذلك لان الاماكن كلها لنا مساجدوالجهات كلها قبلة أينما توجهنا فثم وجه الله والايام كلها لنا جمعات وعيد والحركات كلها صلواة وتسبيح فلم نحتج الى شيء مما ذكرت إذ الصلاة عبارة عن طهارة القلوب من خبث الحقد ونجاسة الشك والتقرب الى الله تعالى بخالص النية وصحة الاعتقاد والتوجه الى قبلة الامر بالمعروف والقيام بمصالح المؤمنين والقعود عن العداوة والبغضاء والركوع والسجود بالتواضع والحلم والتشهد مع الاخوان الابرار

والتسليم من الجهل

فاذا حصلت هذه الافعال المخصوصة تسمى صلاة ونحن مشتغلون بهذه أينما تولوا فثم وجه الله ونكون مجتمعين في جميع أوقاتنا ولا نشتغل بأذية أبناء جنسنا ونكون قائمين بمصالح الاخوان وقاعدين عن الشر والمفسدة وراكعين بالخضوع مع الانسان وساجدين بالتواضع لهم عند لقط الحبوب فهذه خصائلنا

فلهذا ماوقت علينا الجمعات والاعياد والايام كلها لنا أعياد وجمعات والحركات كلها لنا صلاة وتسبيح فلم نحتج إذ لسنا محتاجين الى شيء مما ذكرتم وافتخرتم بذلك علينا .

فلما فرغ زعيم الطيور من كلامه نظر الملك الى جماعة الانس الحاضرين قال قد سمعتم ماقال الطير وفهمتم ماذكر فهل عندكم شيء اخر فاذكروه وبينوه ان كنتم صادقين .

﴿ فصل ﴾

وقام عند ذلك العراقى وقال الحمد لله خالق الخلق وباسط الرزق وسابغ النعم الذي أكرمنا وأنعم علينا في البر والبحر وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا نعم أيها الملك لنا خصال أخر ومناقب ومواهب وكرامات تدل على اننا أرباب لهم وهم عبيد لنا فمن ذلك حسن لباسنا ولين ثيابنا وستر عوراتنا ووطأ فرشنا ونعومة دثارنا ودفء غطائنا ومحاسن زينتنا من الحرير والديباج والخز والقز والقطن والكتان والسمور والسجاب وألوان الفراء والاكسية من البسط والانطاع والمخاد والفرش والبرود والبربوني وماشا كلها مما لا يعد كثرته وكل هذه المواهب دليل على ماقلنا بأننا أرباب لهم وهم عبيد لنا وخشونة لباسها وغلظ جلودها وسماجة دثارها وكشف عوراتها دليل على انها عبيد لنا ونحن أربابها وملاكها ولنا ان نحتكم فيها بحكم الارباب ونتصرف فيها تصرف الملاك

فلما فرغ الانسى العراقي من كلامه نظر الملك الى طوائف الحيوان الحضور

وقال ماذا تقولون فيما اذكره واقتخر به عليكم ان كان لكم جواب فهاتوا به قالوا لنا جواب أجود واحكم من ذلك

فصل

وقام بعد ذلك زعيم السباع وهو كليلة اخو دمنة فقال:

الحمد لله القوي العلام خالق الجبال والآكام ومنشىء النبات والاشجار في الغياض والآجام وجاعلها اقواتاً للوحوش والانعام وهو العلي الأعلى خالق السباع ذوات البأس والشجاعه والاقدام ذوات الزنود المتينة والمخالب الحداد والانياب الصلاب والافواه الواسعة والقفزات السريعة والوثبات البعيدة المنتشرات في الليالي المظلمات للمطالب والاقوات وهو الذي جعل اقواتها من جيف الانام ولحوم الانعام متاعاً الى حين ثم قضى على جميعها الموت والفناء والمصير الى البلى فله الحمد على ماوهب واعطى وعلى ماحكم به الصبر والرضى

ثم التفت زعيم السباع الى الكافة هناك من حكماء الجن وزعماء الحيوانات فقال:

هل رأيتم يا معشر الحكماء أو سمعتم معشر الخطباء أكثر سهواً وغفلة من هذا الانسي. قال الجماعة وكيف ذلك. قال لأنه ذكر من فضائلهم كيت وكيت من حسن اللباس ولين الثياب والدثار

ثم قال أيها الانسي خبرني هل كان لكم هذا الذي ذكرتموه وافتخرتم به الا بعد ما أخذتم عن غيركم من سائر الحيوانات واسترتموها من سواكم من السباع وغلبتموها عليها. قال الانسي ومتى كان ذلك. قال أليس ألين ماتلبسون وأحسن ما تزينون به من اللباس والحرير والديباج الابريسم. قال بلى قال أليس ذلك من ألعاب أضعف الحيوان الذي هي ليس من بني آدم. بل هي من جنس الهوام وقد نسجتها على أنفسها ليكون كنها لها وليبضها ولتنام فيها وتكون لها غطاء ووطاء وحرزاً من الآفات والحر والبرد والرياح والامطار وحوادث الايام ونوائب الزمان فجئتم أنتم وأخذتموها قهراً وغلبتموها عليها جبراً وجوراً فماقبكم

الله بها وابتلاكم بشلها وفتلها وغزلها ونسجها وخياطتها وقصارتها وقطعها وتطريزها وما شاكل ذلك من العناء والتعب والشقاء الذي أنتم مبتلون به ومعاقبون من اصلاحها وبيعها وشرائها وحفظها بشغل القلوب وتعب الابدان وشقاء النفوس لاراحة لكم ولا قرار ولا سكون ولا هدوء في دائم الاوقات

وهكذا حكمكم في أخذكم أصواف الانعام وجلود البهائم وأوبار السباع وشعورها وريش الطيور كل ذلك أخذتموه قهراً ونزعتموه غصباً وغلبتموها عليها ظلماً وجوراً ونسبتموها الى أنفسكم بغير حق ثم جئتم تفتخرون به علينا ولا تستحون ولا تذكرون ولا تعتبرون ولو كان في ذلك فخراً وتباهياً لكنا بذلك الفخر اولى منكم اذ قد أنبت الله تعالى ذلك على ظهورنا وأنشأها من جلودنا وجعلها لباساً لنا ودثاراً وغطاء ووطاء وستراً وزينة لنا كل ذلك تفضلا منه علينا ورفقا بنا ورحمة علينا وشفقة وتحننا على أولادنا وصغار نتاجنا وذلك أنه إذا ولد واحد منا فعليه جلده اصلح له وعلى جلده الشعر والصوف والوبر والريش والفلوس كل ذلك لباس ودثار وستر على حسب كبر جثته وعظم خلقته ولا نحتاج في اتخاذها الى عمل ولا نحتاج الى حلج أو غزل أو فتل أو نسج أو قطع أو خياطة مثل ما أنتم به مبتلون ومعاقبون عليه لا راحة لكم الى الموت كل ذلك عقوبة لكم لذنب أبيكم لما عصى وترك وصية ربه فغوى

قال ملك الجن لزعيم السباع كيف كان مبتداء آدم في خلقه وأول ابتدائه اخبرنا عنه

قال نعم أيها الملك ان الله تعالى لما خلق آدم وزوجته عليهما السلام أزاح عللهما فيما يحتاجان اليه في قيام وجودهما وبقاء أشخاصهما من المواد والغذاء والدثار واللباس مثل ما فعل بسائر الحيوان التي كانت في تلك الجنة التي على رأس جبل الياقوت الذي بالمشرق تحت خط الاستواء وذلك أنه لما خلق آدم وحواء عليهما السلام عريانين أنبت على رأس كل واحد منهما شعراً طويلا مدلى على جسد كل واحد منهما في جميع الجوانب سبطاً جعداً وأسود ليناً أحسن ما يكون على رأس

الجواري الابكار وأنشأهما شابين أمردين ترفين في أحسن صورة من صور تلك الحيوانات التي هناك

وكان ذلك الشعر لباساً لهما وستراً لعورتيهما ودثارا لهما ووطاء وغطاء ومانعاً عنهما البرد والحر فكأنا يعشيان في ذلك البستان ويجتنيان من ألوان تلك الثمار فيأكلان منها ويتقوتان بها ويتنزهان في تلك الارض والرياض والروح والريحان والزهر والنور مستريحين ملتذذين منعمين فرحين غير خائفين بلا تعب من البدن ولا عناء من النفس وكانا منهيين عن تجاوز طورهما وتناول ما ليس لهما قبل وقتها فتركا وصية ربهما واغترا بقول عدوهما فتناولا ما كانا منهيين عنه فسقطت مرتبتهما وتناثرت شعورهما وانكشفت عوراتهما وأخرجا من هناك عريانين مطرودين مهانين معاقبين فيما يتكلفان من اصلاح المعاش وما يحتاجان اليه من قوام الحياة الدنيا كما زعم زعيم الطيور في الفصل الاول وكما ذكر حكيم الجن في فصله مثل ذلك

فلما بلغ زعيم السباع الى هذا الموضع من الكلام قال له زعيم الانس أما أنتم يامعشر السباع فسبيلكم أن تسكتوا وتستحوا ولا تتكلموا

قال له كليلة ولم ذلك . قال لأنه ليس من الطوائف الحضور هاهنا جنس أشر منكم معشر السباع ولا أقسى قلوباً ولا أقل نفعاً ولا أكثر ضرراً ولا أشد حرصاً على أكل الجيف وطلب المعاش

قال كيف ذلك ؟ . قال لانكم تفترسون معشر السباع هذه البهائم والانعام بمخالب حداد فتخرقون جلودها وتكسرون عظامها وتشربون دماءها وتنهشون لحومها بلا رحمة عليها ولا فكرة فيها ولا رفق بها

قال زعيم السباع منكم تعلمنا وبكم اقتدينا فيما تعملون في هذه البهائم . قال الانسي كيف كان ذلك ؟

قال لأنه قبل خلق أبيكم آدم وأولاده ما كانت السباع تعمل من ذلك شيئاً ولا تصطاد الاحياء منها لان جيفها كانت كثيرة وما يموت منها كل يوم بآجالها

كفاية لها تتقوت به وما تحتاج الى صيد الاحياء منها وحمل المخاطرة على أنفسها فى الطلب والانتهاك والمحاربة والتعرض لاسباب المنايا وذلك ان الاسود والنمور والفهود والذئاب وغيرها من أصناف السباع الآكلة اللحوم لا تتعرض للفيلة والجواميس والخنازير ما دامت تجد من جيفها ما يقوتها ويكفيها الا عند الاضطرار وشدة الحاجة لان لها أيضاً اشفاقاً على أنفسها كما يكون لغيرها من سائر الحيوانات

فلما جئتم أنتم يامعشر الانس وانتزعتم منها قطعان الغنم والبقر والجمال والخيل والبغال والحمير وأحرزتموها ولم تتركوا منها في البرارى والقفار والآجام واحداً منها عدمت السباع جيفها فاضطرت الى صيد الاحياء منها وحل لها ذلك كما حلت لكم الميتة والدم ولحم الخنزير عند الاضطرار

وأما الذي ذكرته من قلة رحمتنا عليها وقساوة قلوبنا فلسنا نرى ما تشكوا منا هذه البهائم كما تشكوا منكم ومن جوركم ومن ظلمكم وتعديكم عليها . وان الذي ذكرت بانا نقبض عليها بمخالب حداد وأنياب صلاب ونخرق جلودها ونشق أجوافها ونكسر عظامها ونشرب دماءها ونأكل لحومها فكذا أنتم تفعلون بها وتذبحونها بسكاكين حداد وتسلخون جلودها وتشقون أجوافها وتكسرون عظامها بالسواطير والكيان ونار الطبخ وحر الشوى زيادة على ما نفعل نحن بها

وأما الذي ذكرت من ضررنا على الحيوانات فالقول كما قلت ولكن لو فكرت واعتبرت لعلمت وتبين لك بأن كل ذلك صغير حقير في جنب ما تفعلون أنتم بها من الضرر والجور والظلم كما ذكر زعيم البهائم في الفصل الاول

وأما ضرر بعضكم لبعض وضرب بعضكم لبعض بالسيوف والسياط والسكاكين والطعن بالرماح والزوبينات والضرب بالدبابيس والكال وقطع الايدي والارجل والحبس فى المطامير والسرقة واللصوصية والغش والخيانة في المعاملة والغمز والسعاية والمكر والحيل في أسباب العداوة وما شاكل هذه الخصال مما لا تفعله

السباع من ذلك بالحيوانات ولا بعضها ببعض ولا تعرفه فيزيد على ذلك كله، واما ماذكرت من قلة منافعها لغيرها فلو فكرت واعتبرت لعلمت وتبين لك بان النفع منا لكم بين ظاهر مما تنتفعون به من جلودنا وشعورنا ووبرنا وأصوافنا ومما تنتفعون به من صيد الجوارح منا وقد سخرتموها ولكن اخبرنا أيها الانسي أي منفعة منكم لغيركم من الحيوانات فاما الضرر فهو ظاهر بين اذ قد شاركتمونا في ذبح هذه الحيوانات واكل لحمانها والانتفاع بجلودها وشعورها وبخلتم علينا بالانتفاع بجيفكم وقد دفنتموها تحت التراب حتى لا تنتفع بكم أحياء ولا أمواتا وأما الذي ذكرت من غارات السباع على الحيوانات وقبضها عليها وقتلها فان ذلك كله انما فعلته السباع بعد ما رأت ان بني آدم يفعلون بعضهم ببعض منذ عهد قابيل وهابيل والى يومنا هذا نرى كل يوم من القتلى والجرحى والصرعى في الحروب والقتال مثل ما شوهد في ايام رستم واسفنديار وايام جمشيد وتبع وأيام الضحاك وأفريدون وايام سيواس ومنوجهر وايام دارا والاسكندر وايام بخت نصر وآل داود وآل بهرام وآل عدنان وأيام قسطنطين وأهل بلاد اليونان وايام عثمان ويزدجر وايام بني العباس وبني مروان وهلم جرا الى يومنا هذا نرى في كل سنة وشهر ويوم وقعة من بني آدم بعضهم على بعض ومع بعض وما يحدث فيها من أسباب الشرور والبلايا والقتل والجراح والمثلة والنهب والسبي ما لا يقدر ولا يعد، ثم الآن جئتم تفتخرون علينا وتعيرون السباع انها شر خلقة في الارض اما تستحون من هذا القول الزور والبهتان علينا ومتى رأى الانس ان السباع قد فعلت بعضها ببعض مثل ما تفعلون انتم بعضكم ببعض في كل يوم ثم قال زعيم السباع لزعيم الانس لو تفكرتم يامعشر الانس في أحوال السباع واعتبرتم تصاريف امورها لعلمتم وتبين لكم انها خير منكم وأفضل قال زعيم الانس كيف ذلك دلنا عليه قال نعم أليس خياركم الزهاد والعباد والرهبان والاحبار والسياح قال نعم قال أليس اذا تناهى واحد منكم في الخيرية والصلاح خرج من بين أظهركم وهرب منكم وذهب يأوي الى رؤوس الجبال والتلال وبطون الاودية والسواحل

والآجام مأوى السباع ويخالطها في اماكنها في الكهوف والمغارات ويعاشرها في أوطانها ويجاورها في اكنافها ولا تتعرض له السباع قال بلى كما قلت كذا تقول قال فلو لم تكن السباع أخياراً لما جاورها أخيار كم وعاشرها الصالحون منكم لان الاخيار لايعاشرون الاشرار بل يفرون منهم وينفرون عنهم فهذا دليل على أن السباع صالحة لا كما زعمتم انها شر خلق الله فهذا القول الذي ذكرتم زوراً وبهتاناً عليها ودليل آخر ان السباع صالحة لا كما زعمتهوان من سنة ملوككم الجبابرة اذا شكوا في الصالحين منكم والاخيار من أبناء جنسكم يطرحونهم بين السباع فان لم تأكله علموا بانه من الاخيار لانه لايعرف الاخيار الا الاخيار كما قال الشاعر

يعرفه الباحث عن جنسه وسائر الناس له منكر

﴿ واعلم ﴾ ايها الانسى ان في السباع أخياراً وأشراراً وان الاشرار منها لاتأكل الاشرار كما يأكل الاشرار الاشرارمن الانس كما ذكر الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

فلما فرغ زعيم السباع من كلامه قال حكيم من الجن صدق هذا القائل ان الاخيار يهربون من الاشرار ويأنسون بالاخيار وان كانوا من غير جنسهم وان الاشرار أيضاً يبغضون الاخيار ويهربون منهم ويلجأون الى أبناء جنسهم من الاشرار فلو لم يكن بنو آدم اكثرهم أشراراً لما هرب أخيارهم من بين ظهرانيهم الى رؤس الجبال والآجام ومأوى السباع وهي من غير جنسهم ولا تشبههم في الصورة ولا في الخلقة الا في أخلاق النفوس من الخيرية والصلاح والسلامة قالت الجماعة كلها صدق الحكيم فيما قال وذكر وأخبر فخجلت جماعة الانس عند ذلك ونكست رؤوسها حياء وخجلا مما سمعت من التوبيخ والتعريض وانقضى المجلس ونادى مناد انصرفوا مكرمين لتعودوا غداً آمنين مطمئنين

﴿ فصل ﴾

ولما كان من الغد جلس الملك مجلسه وحضرت الطوائف كلها على الرسم واصطفت فنظر الملك الى جماعة الانس وقال قد سمعتم ماجرى أمس وما ذكرتم وسمعتم الجواب عما قلتم فهل عندكم شيء آخر غير ماذكرتم بالامس فقام عند ذلك الزعيم الفارسي وقال نعم أيها الملك العادل ان لنا مناقب أخر وفضائل جمة وخصالا عدة تدل على صحة مانقول وندعي قال الملك هات واذكر منها شيئاً قال نعم ثم قال الحمد لله الذي اختلفت الحكماء في اسمائه واتفقت في وجوده وقدمه الذي أوجد الخلائق بقدرته وخص من بينهم آدم وأولاده برحمته وشرفهم تشريفاً بخلعة الايمان ولباس الكرامة من بين سائر الحيوانات والهمهم طريق الهدى كما قال تعالى «ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » والصلاة على خير خلقه وصفوة أنبيائه محمد وآله

اما بعد فاعلم أيها الملك ان منا الملوك والامراء والخلفاء والسلاطين وان منا الرؤساء والوزراء والكتاب والعمال وأصحاب الدواوين والحجاب والقواد والنقباء والخواص وخدم الملوك وأعوانهم من الجنود ومنا أيضاً التجار والصناع وأصحاب الزروع والنسل ومنا أيضاً الدهاقين والاشراف والاغنياء وارباب النعم وأصحاب المروءات ومنا أيضاً الادباء وأهل العلم والورع وأهل الفضل ومنا أيضاً الخطباء والشعراء والفصحاء والمتكلمون والنحويون وأصحاب الاخبار ورواة الحديث والقراء والعلماء والفقهاء والقضاة والحكام والعدول والمزكون والمذكرون والحكماء والمهندسون والمنجمون والطبيعيون والاطباء والعرافون والمعزمون والكهنة والمعبرون والكيميائيون وأصحاب الطلسمات وأصحاب الارصاد وأصناف أخر يطول شرحها وكل هذه الطوائف والطبقات لهم أخلاق مختلفة وطبائع وشمائل ومناقب وخصال حسنة ومذاهب جيدة وعلوم وصنائع حسان مختلفة ممتحنة وكل هذه لنا وغيرنا من الحيوان بمعزل عنها فهذا دليل

بأننا أرباب لها وهي عبيد لنا وفي الجملة قوام العالم بنا وبوجودنا اذ هذه الجملة التي ذكرت من الصنائع واختلاف الاشخاص صار سبباً لقوام العالم وبقائه من غير شك

﴿ فصل ﴾

فلما فرغ زعيم الانس من كلامه نطق الببغاء وقال الحمد لله خالق السماوات المسموكات والاراضين المدحوات والجبال الراسيات والبحار الزاخرات والبراري والقفار والرياح الذاريات والسحب المنشئات والقطر الهاطلات والشجر والنبات والطير الصافات كل قد علم صلواته وتسبيحه

ثم قال اعلموا رحمكم الله ان هذا الانسي قد ذكر أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم فلو انه تفكر أيها الملك فعادل واعتبر كثرة أجناس الطيور وأنواعها لعلم وتبين له من كثرتها ما يصغر ويقل عنده أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم في جنب ذلك كما قد تقدم ذكره في فصل من هذا الكتاب كما قال شاه مرغ للطاووس من خطباء الطيور وفصحائها

ولكن خذ الآن أيها الانسي ازاء كل ما ذكرت وافتخرت به بقولك قولا آخر معكوساً وبدل كل حسن نسبت أصنافاً أخر قبيحة ونحن بمعزل منها وذلك أن عندكم الفراعنة والمماردة والجبابرة والفسقة والمشركين والمنافقين والملحدين والمارقين والناكثين والخوارج وقطاع الطريق واللصوص والعيارين والطرارين ومنكم أيضاً الدجالون والباغون والطاغون والمرتابون

ومنكم أيضاً القوادون والمخانيث والمؤاجرون واللواطة والسحاقات والبغايا ومنكم أيضاً الغمازون والكذابون والنباشون . ومنكم أيضاً السفهاء والجهال والأغبياء والناقصون وما شاكل هذه الاوصاف والاصناف والطبقات المذمومة أخلاق أهلها الردية طباعهم القبيحة سيرتهم وأفعالهم السيئة سيرهم وأعمالهم المذمومة الجائرة ونحن بمعزل عنها كلها ونشاركهم في اكثر الخصال المحمودة

والسير العادلة ، وذلك أن أول كل شيء مما ذكرت وافتخرت به أن منكم الملوك والرؤساء ولهم أعوان وجنود ورعية

أما علمت بأن لجماعة النحل ولجماعة النمل ولجماعة الطيور ولجماعة السباع رؤساء وأعواناً وجنوداً ورعية وان رؤساءها وملوكها أحسن سياسة وأشد رعاية من ملوك بني آدم بها وأشد تحنناً عليها ورأفة بها وشفقة عليها

بيان ذلك أن أكثر ملوك الانس ورؤساءها لا ينظرون في أمر الرعية وجنودهم وأعوانهم الا لجر منفعة منها أو دفع مضرة عنها أو الى نفس من يهواه لشهواته كائناً من كان قريباً أو بعيداً ولا يفكر بعد ذلك في واحد ولا يهمه أمره كائناً من كان من قريب أو بعيد

وليس هذا من فعل الملوك والفضلاء ولا عمل الرؤساء ذوي السياسة الرحماء بل من سياسة الملك وشرائطه وخصال الرياسة أن يكون الملك والرئيس رحيماً رؤوفاً برعيته مشفقاً متحنناً على جنوده وأعوانه اقتداء بسنة الله تعالى الجواد الكريم الرءوف الرحيم لخلقه وعباده كائناً من كان الذي هو رئيس الرؤساء وملك الملوك . وملوك أجناس الحيوانات ورؤساؤهم هم بسنة الله تعالى أحسن اقتداء من ملوك الانس ورؤسائهم

وذلك أن ملك النحل ينظر في أمر رعيته ويتفقد أحوالهم وأحوال جنوده وأعوانه لا لهوى في نفسه وشهواتها وجر المنفعة اليها ودفع المضرة عنها أو الى نفس من يهواه لشهواته بل يفعل ذلك رأفة ورحمة لرعيته وشفقة وتحننا لهم ، وعلى جنوده وأعوانه

وهكذا يفعل ملك النمل وملك الكركي في حراسته وطيرانه وملك القطا في وروده وصدوره

وهكذا حكم سائر الحيوانات التي لها رؤساؤها ومديروها لا يطلبون من رعاياهم عوضاً ولا جزاء فيما يسوسونهم كما لا يطلبون من أولادهم براً ولا صلة ولا مكافأة لهم كما يطلب بنو آدم من أولادهم البر والمكافأة في تربيتهم لهم ، بل

تجد كل جنس من الحيوانات التي تنزو وتقد وتحمل وترضع وتربي أولادها والتي تسفد وتبيض وتحضن وتزق الفراخ والاولاد وتربي أولادها لا تطلب من أولادها براً ولا صلة ولا مكافأة . ولكنها تربي أولادها تحننا عليها وشفقة ورحمة بها ورأفة لها كل ذلك اتنداء بسنة الله تعالى اذ خلق عبيده وأنشأهم ورباهم وأنعم عليهم وأحسن اليهم وأعطاهم من غير سؤال منهم ولا يطلب منهم جزاء ولا شكوراً ولو لم يكن من لؤم طباع الانس وسوء أخلاقهم وسيرتهم الجائرة وعاداتهم الرديئة وأعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ومذاهبهم الضالة وكفرهم بالنعم لما أمرهم الله تعالى بقوله « ان اشكر لى ولوالديك الى المصير » كما لم يأمر أولادنا اذ لايكون منهم العقوق والكفران وانما توجه الامر والنهي والوعد والوعيد اليكم يامعشر الانس دوننا لانكم عبيدسوء يقع منكم الخلاف والمكر والعصيان فأنتم بالعبودية أولى منا ونحن بالحرية أولى منكم فمن أين زعمتم انكم أرباب لنا ونحن عبيد لكم لولا الوقاحة والمكابرة وقول الزور والبهتان

ثم لما فرغ الببغاء من كلامه قالت الجماعة صدق هذا القائل في جميع ما ذكر وأخبر به فخجلت جماعة الانس عند ذلك ونكسوا رؤوسهم من الحياء والخجل لما توجه عليهم من الحكم ولم يمكن الانس أن ينطقوا بعد ذلك

ولما بلغ الببغاء من كلامه الى هذا الموضع قال الملك لرئيس الحكماء من الجن من هؤلاء الملوك الذين ذكرهم هذا القائل وأثنى عليهم ووصف شدة رحمتهم واشفاقهم على رعيتهم وتحننهم ورأفتهم لجنودهم وأعوانهم وحسن سيرتهم . أنا أظن أن في ذلك رمزاً من الرموز وسراً من الاسرار عرفني ما حقيقة هذه الاقاويل واشارة هذه المرامي . قال سمعاً وطاعة

فصل

قال حكيم الجن اعلم أيها الملك ان اسم الملوك مشتق من اسم الملك واسم الملك من أسماء الملائكة وذلك أنه ما من جنس من هذه الحيوانات ولا نوع منها ولا شخص ولا كبير ولا صغير الا وقد وكل الله تعالى به ملائكة تربيه وتحفظه وتراعيه في جميع تصرفاته وهي أشد رحمة ورأفة وتحننا وشفقة من الوالدات لأولادها الصغار ونتاجها الضعيفة

قال الملك الحكيم ومن أين للملائكة هذه الرحمة والرأفة والتحنن والشفقة التي ذكرت

قال من رحمة الله تعالى ورأفته بخلقه وشفقته وتحننه على بريته وكل رحمة ورأفة من الملائكة ومن الوالدات والآباء والامهات ورحمة الخلق بعضهم على بعض فهي جزء من ألف ألف جزء من رحمة الله تعالى ورأفته بخلقه وشفقته وتحننه على عباده

ومن الدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ماوصفنا ان ربهم لما أبداهم وأبدعهم وخلقهم وسواهم وتممهم ورباهم وكل بحفظهم الملائكة الذين هم صفوته من خلقه وجعلهم رحماء كرماء بررة وخلق لهم المنافع والمرافق في طريق الهيا كل العجيبة والصور والاشكال الظريفة والحواس الدراكة اللطيفة والهمم دفع المضار وجر المنافع وسخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الاله الخلق والامر ويدبرهم في الشتاء والصيف في البر والبحر والسهل والجبل وخلق الاقوات من الشجر والنبات متاعاً لهم الى حين وأسبغ عليهم نعمته ظاهرة وباطنة ولو عددت لما أحصيت وكل هذه دلالة وبراهين على شدة رحمة الله ورأفته وتحننه وشفقته على خلقه

قال الملك فمن رئيس الملائكة المقربين الموكلين ببني آدم وحفظهم ومراعاة أمرهم قال الحكيم هي النفس الناطقة الانسانية الكلية التي هي خليفة الله في

أرضه وهي التي قرنت بجسد آدم لما خلق من التراب وسجدت له الملائكة كلهم أجمعون وهي النفوس الحيوانية المنقادة لطاعة النفس الناطقة الباقية الى يومنا هذا في ذرية آدم كما ان صورة الجسد الجسمانية باقية في ذريته الى يومنا هذا وبها ينشأون وبها ينمون وبها يفوزون وبها يجازون وبها يؤاخذون واليها يرجعون وبها يعرفون يوم القيامة وبها يبعثون وبها يدخلون الجنة وبها يصعدون الى عالم الافلاك أعني صعود النفس الناطقة التي هي خليفة الله في أرضه وأبى ابليس عن سجدة لآدم وهي القوة الغضبية والشهوانية والنفس الامارة بالسوء

ليعلم الملك جميع ذلك لأن أكثر كلام الله تعالى وكلام أنبيائه وأقاويل الحكماء رموز لسر من الاسرار مخفياً عن الاشرار ومايعلمها الا الله تعالى والراسخون في العلم . وذلك ان القلوب والخواطر ما كانت تحمل فهم معاني ذلك ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « كلموا الناس على قدر عقولهم » وافشاء سر الربوبية كفر

وأما الخواص من الحكماء الذين هم الراسخون في العلم فهم لايحتاجون الى زيادة بيان إذ هم مطلعون على حقائق جميع الاسرار والمرموزات . من ذلك قول الله تعالى « علمناه منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين » وقوله « ن والقلم ومايسطرون » وقوله « والطور وكتاب مسطور » وقوله « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله » وقوله « في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى اني أنا الله رب العالمين » وقوله « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » وقوله « اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت » وقوله « وجنة عرضها السموات والارض » وقوله « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وقوله « من يحيي العظام وهي رميم » وقوله « وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى » وقوله « من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا

فاسألوهم » وقوله « يا أبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئاً » وقوله « يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » وقوله (كهيعص) وقوله (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وقوله (عسق) وقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقول النبي عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقوله صوموا تصحوا وسافروا تغنموا وقوله عليه السلام شاوروهن وخالفوهن وقوله عليه السلام الجنة تحت أقدام الامهات ونظائر ذلك من الآيات والاخبار تحت ذلك سر من الاسرار التي لايجوز أن تكشف على العوام والجهال سيما في آخر الزمان فلهذا الغرض ألبسوا حقائق الاشياء بلباس غير مايليق بذلك حسب فهم عامة البشر لكن الخواص والحكماء يعلمون الغرض والحقيقة في ذلك ويخفون عن الاشرار والاجلاف

فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ثم قال الملك بارك الله فيك من حكيم ما أعلمك ومن عالم ما أفهمك وجزاك الله خيراً زدني بياناً آخر فقال نعم

ثم قال الملك للحكيم لم لاتدرك الابصار الملائكة والنفوس قال لانها جواهر شفافة نورانية ليس لها لون ولاجسم ولاتدركها الحواس الجسمانيـة مثل الشم واللمس والذوق وقل تراها الابصار القوية اللطيفة مثل أبصار الانبياء والرسل واسماعهم فانهم بصفاء نفوسهم وانتباههم من نوم الغفلة واستيقاظهم من رقدة الجهالة وخروجهم من ظلمات الخطايا قد انتعشت نفوسهم فصارت مشاكلة النفوس الملائكة تراها وتسمع كلامها وتأخذ منها الوحي والانباء وتؤدي الى أبناء جنسهم من البشر بلغات مختلفة لمشاكلتهم اياهم باجسادهم قال الملك جزاك الله خيراً تمم كلامك بايبقاء

فصل

ثم قال الببغاء أيها الانسي أما الذي ذكرت بان منكم صناعا وأصحاب حرف فليس ذلك بفضيلة لكم دون غيركم ولكن قد شاركم فيها بعض أصناف الطيور والهوام وغير ذلك من الحيوانات

وبيان ذلك ان النحل هي من الحشرات وهي في اتخاذها البيوت وبناء منازل الاولاد أحذق وأعلم وأحكم من صناعكم وأجود وأحسن من بناء المهندسين والبنائين منكم وذلك انها تبني منازلها طبقات مستديرات كالتراس بعضها فوق بعض من غير خشب ولا لبن ولا آجر ولا جص كأنها غرف من فوقها غرف وتجعل تقدير بيوتها مسدسات متساويات الاضلاع والزوايا لما فيها من اتقان الصنعة واحكام البنية ولا تحتاج في عمل ذلك الى قراءة كتب الهندسة ولا الى آلة البركار والمسطرة كما تحتاجون الى بركار تديرون بها والى مسطرة تخطون بها والى شاقول تدلون بها والى كونيا تقدرون بها كما يحتاج البناء اليها من بني آدم

ثم انها تذهب في الرعي وتجمع الشمع من ورق الاشجار والنبات بارجلها والعسل من زهر النبات ونور الاشجار ووردها تجمعه بمشافيرها ولا تحتاج في ذلك الى زنبيل ولا الى سلة ولا ملقطة ولا مكتل تجمعه فيها أو آلة أو أدوات تغرفه بها كما يحتاج البناؤون منكم الى آلات وأدوات مثل الفأس والمسحات والراقود والمسائح وما شا كلها.

وهكذا أيضاً العنكبوت وهي من الهوام في نسج شبكتها أولا وتقريرها هندامها هي أعلم وأحذق من الحاكة والنساجين منكم وذلك انها تمد عند نسجها شبكتها أولا خطاً من حائط الى حائط أو من شجرة الى شجرة أو من غصن الى غصن أو من جانب نهر الى جانب آخر من غير أن تمشي على الماء أو تطير في الهواء ثم تمشي على ذلك الذي تمده أولا وتمد من شبكتها أولا خطوطاً مستقيمة كأنها أطناب الخيم المضروبة ثم تنسج لحمتها على الاستدارة وتترك وسطها دائرة

مفتوحة حتّى تتمكن فيها لصيد الذباب وكل ذلك تفعل من غير مغزل لها ولا مفتل ولا كاركاة ولامشط ولا أدوات مثل ما يفعل الحائك والنساج منكم فيما يحتاجون اليه من الآلات والادوات المعروفة المشهورة في صناعتهم .

وهكذا أيضاً دودة القز وهي من الهوام وهي احذق في صنعتها وأحكم من صناعكم فمن ذلك انها اذا شبعت من الرعي طلبت مواضعها بين الاشجار والشوك ومدت من لعابها خيوطاً دقاقاً ملساً لزجة متينة ونسجت هناك على أنفسها كنا كشبه كيس ليكون لها حرزاً من الحر والبرد والرياح والامطار ونامت الى وقت معلوم .

كل ذلك تفعله من غير تعليم من الاستاذين ولا تعليم من الاباء والامهات بل الهاما من الله تعالى وتعليما منه وكل ذلك يفعل من غير حاجة الى مغزل ومفتل أو مخيط أو مقص كما يحتاج الخياطون والرفاؤون والنساجون

وهكذا الخطاف وهو من الطير يبنى لنفسه منزلا ولاولاده مهداً معلقا في الهواء تحت السقوف من الطين من غير حاجة الى سلم يرتقي عليه أو رافود يحمل الطين عليه أو عمود يسند بيته اليه ولا يحتاج الى آلة من الآلات أو الادوات

واذا عميت أولادها تحمل من الطين حشيشة تسمى الماميران تحك بها عين الاولاد فيضيء بصرها كل ذلك تعليم من الله تعالى لا من البشر وأنتم محتاجون الى الاستاذين والمعلمين في أدنى صنعة وأخس عمل وأنتم من تلقاء أنفسكم لا تقدرون على عمل من غير تعلم مدة من الزمان

وهكذا أيضاً الارضة وهي من الهوام تبنى على انفسها بيوتاً من الطين الصرف شبه الازج والازقة من غير أن تجمع التراب أو تبل الطين أو تستقي الماء فقولوا أيها الحكماء من أين لها ذلك الطين ومن أين تجمعه وكيف تحمله ان كنتم تعلمون

وعلى هذا المثال حكم أجناس الطيور والحيوانات في اتخاذها المنازل والاوكار والاعشاش وتربية أولادها تجدها أحذق وأعلم وأحكم من عمل الانس فمن ذلك تربية النعامة وهي مركبة من طائر وبهيمة لفراريخها وذلك انها اذا جمعت لها بيضاً

عشرين أو ثلاثين أو اربعين قسمتها ثلاثة أقسام منها ما تدفنه في التراب وثلثاً تتركه في الشمس وثلثاً تحضنه فاذا خرجت فراريخها كسرت ما كان في الشمس وسقتها ما كان فيها من تلك الرطوبات التي فيها مما ذوبتها الشمس ورققتها فاذا اشتدت فراريخها وقويت أخرجت المدفون منها وفتحت لها ثقباً كي يجتمع فيه الذباب والبق والهوام والنمل والحشرات ثم تطعمها فراريخها حتى اذا قويت عدت ولعبت ورعت .

فقل أيها الانسي أي نسائكم تحسن مثل هذا في تربية أولادها ان لم تكن القابلة تشيلها وتقمطها وداية تعلمها كيف تقطع سرة ولدها وتقمطه وتدهنه وتكحله وتسقيه وتنومه ولاتعلم شيئاً ولاتعرفه

وكذلك أيضاً حكم أولادكم في الجهالة وقلة المؤونة يوم يولدون لايعلمون من مصالح أمورهم ولايعقلون شيئاً من جر منفعة ولادفع مضرة الابعد اربع سنين أو سبعة أو عشرة يحتاجون أن يعلموا كل يوم علماً جديداً وأدباً مستأنفاً الى آخر العمر يوم الممات

ونجد أولادنا اذا خرج أحدهم من الرحم أو من البيض يكون معلماً أو ملهماً كل مايحتاج اليه من أمر مصالحه ومضاره ومنافعه لايحتاج الى تعليم الاباء والأمهات

فمن ذلك فراريخ الدجاج والدراج والقباج والطيهوج وماشا كلها فانك تجدها تتقشر عنها البيضة وتخرج وتعدو من ساعتها أو تلتقط الحب وتهرب من المطالب لها حتى ربما لاتلحق

كل ذلك من غير تعليم من الاباء والامهات بل وحياً والهاماً من الله تعالى كل ذلك رحمة منه لخلقه وشفقة ورأفة وتحنناً

وذلك ان هذا الجنس من الطيور لما لم يكن الذكر يعاون الانثى فى الحضانة وتربية الاولاد كما يعاون باقي الطيور كالحمام والعصافير وغيرهما أكثر الله عدد

فراريخها وأخرجها مكتفية مستغنية من تربية الاباء والامهات من شرب اللبن أو زق الحبوب والغذاء مما يحتاج اليه غير هذا الجنس من الحيوان والطيور وكل ذلك عناية من الله تعالى وتقدس وحسن نظر منه لهذه الحيوانات التى تقدم ذكرها.

فقل لنا أيها الانسى أيهما أكرم عند الله الذي عنايته به أكثر ورعايته به أتم فسبحان الله الخالق الرؤف الرحيم بخلقه الودود الشفيق الرفيق بعباده ونحمده ونسبحه في غدونا ورواحنا ونقدسه في ليلنا ونهارنا فله الحمد والمن والشكر والفضل والثناء والآلاء والنعماء وهو ارحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأحسن الخالقين .

وأما الذي ذكرت بأن منكم الشعراء والخطباء والمتكلمين والمذكرين وما شاكلهم فلو انكم فهمتم منطق الطير وتسبيح الحشرات والهوام وتهليلات البهائم وتذكار الصرصر ودعاء الضفدع ومواعظ البلابل وخطب القنابر وتسبيح وتكبير الكراكى وأذان الديك ومايقول الحمام في لحنه وقراءة القمارى ونعيب الغراب الكاهن من الزجر وماتصف الخطاطيف من الامور وما يخبر الهدهد وما يقول النمل وما يزعم النحل ووعيد الذباب وتحذير البق وغيرها من الحيوانات ذوى الاصوات والطنين والزمير لعلمتم معشر الانس ونبين لكم أن في هذه الطوائف خطباء وفصحاء ومتكلمين وواعظين ومذكرين ومسبحين مثل مافي بنى آدم فلماذا افتخرتم علينا بخطبائكم وشعرائكم ومن شاكلهم

وكفى دلالة وبرهانا على ماقلت وذكرت قوله تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم فنسبكم الى الجهل وقلة العلم والفهم بقوله لاتفقهون ونسبنا الى العلم والفهم والمعرفة بقوله تعالى كل قدعلم صلاته وتسبيحه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون قالها على سبيل التعجب لانه يعلم كل عاقل ان الجهل لايستوى مع العلم لاعند الله ولا عند الناس فبأي شىء

تفتخرون علينا يامعشر الانس وتدعون انكم ارباب ونحن عبيد لكم مع هذه الخصال التي فيكم كما بينا قبل غير قول الزور والبهتان

فاما الذي ذكرت من أمر المنجمين والراقين منكم فاعلموا ان لهم تمويهات وتوهيمات وتلبيسات وزرقا رقيقاً ينفق على الجهلاء من العوام والخواص والنساء والصبيان والحمقى ويخفى عليكم ايضاً وعلى كثير من العقلاء والادباء وذلك أن احدهم يخبر بالكائنات قبل كونها ويرجم بالغيب ويرجف به من غير معرفة صحيحة ودلائل عقلية واضحة وبراهين مثبتة فيقول بعد كذا وكذا شهراً وكذا وكذا سنة في بلد كذا وكذا يكون كيت وكيت وهو جاهل لايدرى أى شيء يكون فى بلده وقومه وجيرانه وأي شيء يكون ويحدث عليه فى نفسه أو في ماله او فى أولاده أو غلمانه او من يهمه امرهم وانما يرجم بالغيب فى مكان بعيد أو في زمان طويل لئلا يقع عليه الاعتبار ويتبين صدقه وكذبه وتمويهه ومخرقته

ثم اعلم ايها الانسى انه لايغتر بقول المنجم الا الطغاة والبغاة من الملوك والجبابرة منكم والفراعنة والمماردة والمغرور بعاجل شهواتها المنكرون أمر الآخرة ودار المعاد الجاهلون بالعلم السابق والقدر المحتوم مثل نمرود الجبار وفرعون ذي الاوتاد وثمود وعاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد من قتل الاطفال . يقول المنجمون الذين لايعرفون خالق النجوم ومدبرها بل يظنون ويتوهمون ان أمور الدنيا تدبرها الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر ولا يعرفون المدبر الذي فوق الكل الذي هو رب الارباب ومسبب الاسباب ومالك يوم الدين وقد أراهم الله قدرته مرة بعد اخرى ونفاذ أوامره ومشيئته فى دفعات وذلك ان نمرود الجبار أخبره المنجمون بمولود في مملكته في سنة من السنين بدلائل القرانات وانه يتربى ويكون له شأن عظيم ويخالف دين عبدة الاصنام.

فقال لهم في أى بيت يكون وفي أي موضع يتربى وفي أي يوم يولد فلم يدروا ولكن أشار وزراؤه وجلساؤه بأن يقتل كل مولود يولد في تلك السنة

ليكون هو في جملة من قد قتل وظنوا أن ذلك يمكن وذلك لجهلهم بالعلم السابق والقضاء الحتم والمقدور الواقع الذي لا بد أن يكون ، ففعل ما أشاروا به عليه فيما وقع . وخلص الله تعالى ابراهيم خليله من كيدهم ونجاه من حيلتهم وما دبروه من مكرهم

وهكذا فعل فرعون بأولاد بني اسرائيل لما اخبره المنجم بمولد موسى عليه السلام فنجى الله كليمه من كيدهم ومكرهم لما أراد من بلوغ أمره ورأى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون وعلى هذا المثال والقياس تجري أحكام النجوم . لم ينفعهم ذلك من قضاء الله وقدره

ثم أنتم يامعشر الانس لا تزدادون الا غروراً بقول المنجمين وطغياناً ولا تعتبرون ولا تتفكرون ولا تتنبهون من جهالاتكم

ثم جئتم الآن تفتخرون علينا بأن منكم منجمين وأطباء ومهندسين وحكماء متفلسفين . فلما بلغ البيغاء الى هذا الموضع من كلامه قال الملك أحسن الله جزاك نعم ما قلت وبينت

فصل

ثم قال الملك لزعيم الجوارح أخبرنا ما الفائدة والعائدة في معرفة الكائنات قبل كونها بالدلائل وما يخبر عنه أهلها بفنون الاستدلالات الزجرية والكهانية والنجومية والفال والقرعة وضرب الحصى والنظر في الكف وما شاكل هذه الاستدلالات اذا كان لا يمكن دفعها ولا المنع لها ولا التحرز منها مما يخاف ويحذر من المناحس وحوادث الايام ونوائب الحدثان في السنين والازمان .

قال الزعيم نعم يمكن دفع ذلك والتحرز منه أيها الملك . ولكن لا على الوجه الذي يطلب ويلتمس أهل صناعة النجوم وغيرهم من الناس . قال كيف ذلك وعلى أي وجه ينبغي ان يلتمس ويدفع ويحترز منه

قال الزعيم بالاستغاثة برب النجوم وخالقها ومدبرها . قال كيف تكون

الاستغاثة به . قال باستعمال سنن النواميس الالهية وأحكام الشرائع النبوية من الدعاء والبكاء والتضرع والصوم والصلاة والصدقات والقرابين في بيوت الصلوات والعبادات وصدق النيات واخلاص القلوب والسؤال لله تبارك وتعالى بدفعها وبصرفها عنهم كيف شاء أو يجعل لهم في ذلك خيرة وصلاحاً لان الدلائل النجومية والزجرية انما تخبر عن الكائنات قبل كونها مما سيفعله رب النجوم وخالقها ومدبرها ومصورها والاستغاثة برب النجوم والقوة التي فوق الفلك وفوق النجوم أولى وأحرى وأوجب من الاستغاثة بالاختيارات النجومية الجزوية على دفع موجبات الاحكام الكائنات مما أوجبها بأحكام القرانات والادوار وطوالع السنين والشهور وغير ذلك في المواليد

قال الملك فاذا استعملت سنن النواميس على شرائط ما ذكرت ودعوا الله يرفع عن أهلها ما هو في المعلوم انه لا بد كائن . قال لا بد من كون ما هو في المعلوم . ولكن ربما يدفع الله عن أهلها شر ما هو كائن ويجعل لهم فيها خيرة وصلاحا ويجعلهم في حيز السلامة

قال الملك كيف يكون ذلك بين لي قال أيها الملك أليس النمرود الجبار لما اخبره منجموه بالقران يدل على أنه سيولد في الارض مولود يخالف دينه دين عبدة الاصنام وكانوا يعنون به ابراهيم خليل الرحمن

قال نعم . قال أليس نمرود خاف على دينه ومملكته ورعيته وجنوده فساداً ومناحس

قال نعم قال أليس لو انه سأل رب النجوم وخالقها أن يجعل له ولرعيته ولجنوده فيه خيرة وصلاحاً كان الله تعالى يوفقه للدخول في دين ابراهيم هو وجنوده ورعيته . وكان في ذلك خيرة لهم وصلاح قال نعم . قال وهكذا أيضا فرعون لما اخبره منجموه بمولد موسى عليه السلام لو انه سأل ربه أن يجعله مباركا عليه وقرة عين له وكان يدخل في دينه أليس كان صلاحاً له ولقومه وجنوده كما فعل

بامرأته وأحب الناس اليه وأخصهم به وهو الرجل الذي ذكره الله تعالى في القرآن ومدحه وأثنى عليه

فقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب أوليس قوم يونس عليه السلام لما خافوا ما أظلهم من العذاب دعوا ربهم الذي هو رب النجوم وخالقها ومدبرها فكشف عنهم العذاب فاذا قد تبينت فائدة علم النجوم والاخبار بالكائنات قبل كونها وكيفية التحرز منها أو دفعها أو الخيرة والصلاح فيها ومن أجل هذا أوصى موسى عليه السلام بني اسرائيل فقال لهم متى خفتم من حوادث الايام ونوائب الحدثان من الغلاء والقحط والفتن والجدب أو غلبة الاعداء ودولة الاشرار ومصائب الاخيار فارجعوا عند ذلك بالتضرع والدعاء واقامة سنة التوراة من الصلاة والزكاة والصدقات والقرابين والندم والتوبة والبكاء والتضرع الى الله تعالى فانه اذا علم صدق قلوبكم ونياتكم صرف عنكم ما تحذرون وكشف عنكم ما تخافون وما أنتم عليه وبه مبتلون

وعلى هذا المثال جرت سنة الانبياء والرسل عليهم السلام من لدن آدم أبو البشر الى محمد عليهما الصلاة والسلام والتحية والرضوان

فعلى مثل هذا ينبغي أن تستعمل أحكام النجوم والاخبار بالكائنات قبل وجودها وما يدل عليها من حوادث الايام ونوائب الزمان لا على ما يستعمله المنجمون ومن يغتر بقولهم بأن يختاروا طالعا جزويا ويتحرزوا اليها من موجبات أحكام الكل بالجزء وكيف لا يجوز ان يستعمل بقوة رب الفلك على الفلك كما فعل قوم يونس عليه السلام والمؤمنون من قوم صالح وقوم شعيب

وعلى هذا المثال ينبغي ان تكون مداواة المرضى والاعلال بالرجوع الى الله تعالى أولا بالدعاء والسؤال له والرجاء منه ان يفعل بهم مثل ما ذكرت في أحكام النجوم من الكشف والدفع والصلاح في ذلك كما بين الله تعالى عن ابراهيم حيث

يقول « الذي خلقني هو يهدين والذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين »
ولا ينبغي ان يكون الرجوع الى أحكام الاطباء الناقصة في الصناعة الجاهلة
بأحكام الطبيعيات الغافلة عن معرفة رب الطبيعة ولطفه في صنعته

وذلك انك ترى أكثر الناس يفزعون عند ابتداء مرضهم الى الطبيب فاذا
طال بهم العلاج والمداواة ولم ينفعهم ذلك وايسوا منهم ومن مداواتهم رجعوا
عند ذلك الى الله تعالى ودعوا دعوة المضطرين وربما يكتبون الرقاع ويلصقونها
في حيطان المساجد والبيع واساطينها ويدعون على انفسهم وينادون بالشهرة
والنكال وقولهم رحم الله من دعا للمبتلي كما يفعل بالمشهورين هذا جزاء من
سرق أو قطع أو عمل ما يشبهه . ولو انهم رجعوا الى الله تعالى في أول الأمر
ودعوه في السر والاعلان لكان خيراً لهم وأصلح من الشهرة والنكال

فعلى مثل هذا يجب أن تستعمل أحكام النجوم في دفع مضار النكبات والتحرز
من موجبات أحكامها وما يدل عليها من الحوادث لا على مثل ما يستعمله المنجمون
من الاختبارات بطوالع جزئيات ليتحرزوا بها من موجبات أحكامها الكائنات
التي توجبها طوالع السنين والشهور والاجتماعات والاستقبالات والاختيارات
للأوقات الجيدة لاستجابة الدعاء وطلب الغفران والمسألة الى الله تعالى بالكشف
لما يخافون ويحذرون بأن يصرف عنهم كيف شاء بما شاء كما ذكروا أن ملكا
أخبره منجموه بحادث كائن في وقت من الزمان يخاف منه هلاكا على بعض أهل
المدينة فقال لهم من أي وجه يكون وبأي سبب فلم يدروا تفصيلا ولكن قالوا
من سلطان لا يطاق فقال لهم متى يكون ذلك فقالوا في هذه السنة في شهر كذا
فشاور الملك أهل الرأي كيف التحرز منه فأشار عليه أهل الدين والورع والمتألهون
بان يخرج واهل المدينة كلهم الى خارج المدينة فيدعون الله أن يصرفه
عنهم ما اخبرهم به المنجمون مما يخافون ويحذرون فقبل الملك مشورتهم وخرج
في ذلك الشهر الذي يخافون كون الحوادث فيه وخرج معه اكثر اهل المدينة

فدعوا الله ان يصرف عنهم ما يخافون وباتوا تلك الليلة على حالهم وبقي قوم في المدينة لم يكترثوا لما اخبرهم به المنجمون وما خافوا وما حذروا منه فجاء بالليل مطر عظيم وسيل العرم وكان بناء المدينة في مصب الوادي فهلك من كان في المدينة بائتاً ونجا من كان قد خرج وكان بائتاً في الصحراء فمثل هذا يندفع من قوم ويصيب قوماً واما الذي لايندفع ومالابد منه ولكن يجعل الله لاهل الدعاء والصدقة والصلاة والصيام في ذلك خيرية وصلاحا كما فعل بقوم نوح فمن آمن منهم نجا وجعل لهم خيرية في ذلك كما ذكر الله تعالى بقوله فأنجيناه ومن معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمين . واما متفلسفوكم الطبيعيون والمنطقيون والجدليون فانهم عليكم لالكم قال الانسي وكيف ذلك قال لانهم هم الذين يضلون بني آدم عن المنهاج المستقيم وصواب الطريق والدين وأحكام الشرائع بكثرة اختلافهم وفنون آرائهم ومذاهبهم ومقالاتهم وذلك ان منهم من يقول بقدم العالم ومنهم من يقول بقدم الهيولى ومنهم من يقول بقدم الصورة ومنهم من يقول بعلتين اثنين ومنهم من يقول بثلاثة ومنهم من يقول باربعة ومنهم من قال بخمسة ومنهم من قال بستة ومنهم من قال بسبعة ومنهم من قال بالصانع والمصنوع معاً ومنهم من قال بلا نهاية ومنهم من قال بالتناهي ومنهم من قال بالمعاد ومنهم من قال بالانكار ومنهم من اقر بالرسل والوحي ومنهم من انكر ومنهم من شك وارتاب وتحير ومنهم من قال بالعقل والبرهان ومنهم من قال بالتقليد من الاقاويل المختلفة والاراء المتناقضة التي بنو آدم بها مبتلون وفيها متحيرون متبلبلون شاكون وفيها مختلفون ونحن كلنا مذهبنا واحد وطريقتنا واحدة وربنا واحد ولا نشرك به شيئاً نسبحه في غدوتنا ونقدسه في رواحنا لانريد لاحد منا سوءاً ولا نضمر له شراً ولا نفتخر على أحد من خلق الله تعالى راضون بما قسمه الله تعالى انا خاضعون تحت أحكامه لانقول لم وكيف ولماذا فعل ودبر كما يقول المعترضون على ربهم في أحكامه وتدبيره وصنعه

فأما الذي ذكرت من أمر المهندسين والمساح منكم وافتخرت به فلعمري ان لهم التعاطي في البراهين التى تدق عن الفهم وتبعد عن التصور لما يدعون فيها ولكن أكثرهم لا يعقلون لتركهم تعلم العلوم الواجب تعلمها ولا يسعهم الجهل بها. يربون على مايدعون من الفضولات التى لايحتاج اليها وذلك ان أحدهم يتعاطى مساحة الآجام والأوتاد ومعرفة ارتفاع رؤوس الجبال وعمق قعر البحر وتكسير البراري والقفار وتركيب الافلاك ومراكز الاثقال وماشا كل ذلك وهو مع ذلك كله جاهل بكيفية تركيب جسده ومساحة جثته ومعرفة طول مصارينه وأمعائه وسعة تجويف صدره وقلبه ورئته ودماغه وكيفية خلقة معدته وأشكال عظامه وتركيب هندام مفاصل بدنه وماشا كل هذه الاشكال التى معرفته بها أسهل وفهمه لها أقرب وعلمها بها أوجب والتفكر فيها أنفع والاعتبار بها أهدى وأرشد الى معرفة ربه وخالقه ومصوره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه

ومع جهله بهذه الاشياء أيضاً ربما يكون تاركا للعلم بكتاب الله وفهم أحكام شريعته ودينه ومفروضات سنن مذهبه ولا يسعه تركها ولا الجهل بها

وأما افتخاركم باطبائكم والمداوين لكم فلعمرى انكم محتاجون اليهم مادامت لكم البطون الرحبة والشهوات المؤذية والنفوس الشرهة والمأكولات المختلفة ومايتولد منها من الامراض المزمنة والاسقام المؤلمة والاوجاع المهلكة تلجئكم الى باب الاطباء ولنعم ماقيل فى الشعر

ان الطبيب بطبه ودوائه   لايستطيع دفاع مكروه أتى

فزادكم الله أطباء لأنه لايرى على باب دكان الطبيب الا كل عليل مريض سقيم كما لايرى على باب دكان المنجم الا كل منحوس أو منكوب أو خائف لايزيده المنجم الا نحساً على نحس يأخذ قطعة ولايقدر على تعجيل سعادة ولا تأخير منحسة الا زخرف القول غروراً تخميناً وحزراً بلايقين ولا برهان

وهكذا حكم المتطببين منكم يزيدون العليل سقما والمريض عذاباً بالحمية من

تناول اشياء ربما يكون شفاء العليل فى تناولها وهو ينهاه ويمنعه منها لجهله ولو تركه مع حكم الطبيعة لعله كان أسرع لبرئه وأنجح لشفائه فافتخارك أيها الانسى بأطبائكم ومنجميكم هو عليكم لا لكم

فأما نحن فغير محتاجين الي الاطباء والمنجمين لا نالا نأكل الاقوت يوم و بلغة يوم من لون واحد وطعام واحد فلا تعرض لنا الامراض المختلفة والاعلال المتفننة ولا نحتاج الى الاطباء ولاالى الشراب والدرياقات وفنون المداوات مما تحتاجون أنتم اليه فهذه الاحوال كلها التى هي بالاحرار والاخيار أشبه والكرام أولى وتلك بالعبيد والاشقياء أولى وبهم اليق فن أين زعمتم أنكم أرباب لنا ونحن لكم عبيد بلا حجة ولا برهان الاقول الزور والبهتان

وأما تجاركم ورؤساؤكم ودهاقينكم الذين ذكرتم وافتخرتم بهم فلا فخر لكم ولا لهم إذ كانوا هم أسوأ حالا من العبيد الاشقياء والفقراء الضعفاء وذلك انك تراهم طول نهارهم مشغولى القلب متعوبي الابدان مغمومي النفوس معذبى الارواح فيما يبنون مالا يسكنون ويغرسون مالايجنون ويجمعون مالا يأكلون ويعمرون الدور ويخربون القبور أكياس فى أمور الدنيا بله في أمور الآخرة يجمع أحدهم الدينار والمتاع ويبخل أن ينفق على نفسه ويتركه لزوج امرأته اولزوج ابنته أو لزوجة ابنه ولوارثه كادون لغيرهم مصلحون أمورهم واهم لا راحة لهم الى الممات .

وأما تجاركم فيجمعون من حرام وحلال ويبنون الدكاكين والخانات ويملؤنها من الامتعة ويحتكرونها ويضنون بها على أنفسهم وجيرانهم واحبابهم ويمنعونه الفقراء والمساكين حقوقهم ولا ينفقون حتى تذهب جملة واحدة إما في حرق أو غرق أو سرقة أو مصادرة سلطان جائر أو قطع طريق وما شا كل ذلك ويبقى هو بحزنه ومصيبته معاقباً بما كسبت يداه فلا زكاة أخرج ولا صدقة أعطى ولا يتيما بر ولا معروفا لضعيف أسدى ولا صلة لذي رحم ولا احسانا الى صديق ولا تزود للمعاد ولا قدم للآخرة

والذين ذكرتهم من أرباب النعم وأهل المروءات فلو كانت لهم مروءة كما ذكرت لكان لا يهنيهم العيش اذا رأوا فقراءهم وجيرانهم واليتامى من أولاد اخوانهم والضعاف من أبناء جنسهم جياعا عراة مرضى زمنى مفاليج مطروحين على الطريق يطلبون منهم كسرة ويسألونهم خرقة وهم لا يلتفتون اليهم ولا يرحمونهم ولا يفكرون فيهم فأي مروءة لهم وأي فتوة فيهم وكيف تهنيهم لذاتهم الا أنهم كالانعام بل هم أضل سبيلا

وأما الذين ذكرتهم من الكتاب والعمال وأصحاب الدواوين وافتخرت بهم فهكذا يليق بكم الافتخار بالاشرار الذين يهتدون الى أسباب الشرور ما لا يهتدي غيرهم ويصلون الى ما لا يصل اليه سواهم لدقة افهامهم وجودة تمييزهم ولطف مكايدهم وطول ألسنتهم ونفاذ خطابهم في كتبهم يكتب أحدهم الى أخيه وصديقه زخرفاً من القول غروراً بألفاظ مسجعة وكلام حلو وخطاب فصيح يغريه وهو من ورائه في قطع دابره والحيلة في ازالة نعمته والوصول الى أسباب نكايته وتدوين الاعمال في مصادراته وتأويلات الاخذ لماله

وأما قراؤكم وعبادكم الذين تظنون أنهم أخياركم وترجون استجابة دعائهم وشفاعتهم لكم عند ربهم فهم الذين غروكم باظهارهم الورع والخشوع والتقشف والنسك من حذف الاسبلة وتقصير الاكمام وتشمير الازار والسراويل ولبس الخشن من الصوف والشعر والمرقعات وطول الصمت وكثرة التنسك وترك التفقه في الدين وتعلم احكام الشرائع وسنن الدين وترك تهذيب النفس واصلاح الخلق واشتغلوا بكثرة السجود والركوع بلا علم حتى ظهر أثر السجود على جباههم والثفنات على ركبهم وتركوا الاكل والشرب حتى جفت ادمغتهم ونحلت شفاههم وانحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم وانحنت ظهورهم وقلوبهم مملوءة بغضاً وحقداً وجفاء لمن ليس مثلهم وتوسوسهم مملوءة وساوس وخصومة مع ربهم بضمائرهم لم خلق ابليس والشياطين والكفار والفراعنة والفساق والفجار والاشرار ولم رباهم ورزقهم ويمكنهم ويمهلهم ولا يهلكهم

ولماذا فعل هـذا وما شاكل هذه المحاولات والخرافات والوساوس التى قلوبهم مملوءة منها ونفوسهم شاكة متحيرة فهم عند الله اشرار وان كانوا عندكم أخيار فهؤلاء وان كانوا بالصورة الظاهرة انسان ففي الصورة المعنوية ليسوا كذلك فأي افتخار لكم بهم وانما هم عار لكم

وأما فقهاؤكم وعلماؤكم فهم الذين يتفقهون فى الدين طلباً للدنيا وابتغاء للرياسة والولاية والقضـاء والفتاوى بارائهم وقياساتهم فيحللون تارة ويحرمون تارة بتأويلاتهم ويتبعون ماتشابه ويتركون حقيقة ماأنزل الله من الآيات المحكمات فنبذوه وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ويتبعون ماتتلو الشياطين على قلوبهم من الخيالات .

كل هذا طلباً للدنيا وتكسبا للرياسة من غير ورع ولاتقوى من الله تعالى فأولئك هم وقود النار في الآخرة أو يتوبون الى الله وتستغفرونه فأي فخر لكم

وأما قضاتكم وعدولكم والمزكون لكم فأدهى وأظلم وأبطر وهم أشر سيرة من الفراعنة والجبابرة وذلك انك تجد الواحد منهم قبل الولاية قاعدا بالغدواة في مسجده حافظا لصلاته مقبلا على شأنه يمشى بين جيرانه على الارض هونا حتى اذا ولي الحكم والقضا تراه راكبا بغلة فارهة وحماراً مصريا بسرج ومركب وغاشية يحملها السودان وخفاقين تنجر في الارض قد ضمن القضاء من السلطان الجائر بشيء يؤديه اليه من اموال اليتامى ومال الوقوف وصالح عدو له بشيء من السحت والبراطيل فقبل منهم الرشوة ويرخص لهم فى الجنايات وشهادات الزور وترك اداء الامانات والودائع فاولئك هم الذين وبخوا في التوراة والانجيل والفرقان ابالله تفترون وعليه تجرؤن

وأما خلفاؤكم الذين تزعمون انهم ورثة الانبياء عليهم السلام فكفى في وصفهم ماقال الله تعالى وقال رسول الله (ص) مامن نبوة الاونسختها الجبروتية ويسمون باسم الخلافة ويسيرون بسيرة الجبابرة وينهون عن منكرات الامور ويرتكبون

هم منها كل محظور ويقتلون اولياء الله وأولاد الانبياء عليهم السلام ويسبونهم ويغصبونهم على حقوقهم ويشربون الخمر ويبادرون الى الفجور واتخذوا عباد الله خولا وايامهم دولا وأموالهم مغنما فبدلوا نعمة الله كفراً واستطالوا على الناس افتخاراً ونسوا امر المعاد وباعوا الدين بالدنيا والآخرة بالاولى فويل لهم مما كسبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون . وذلك انه اذا ولي أحد منهم ابتدأاولا بالقبض على من تقدمت له حرمة لآبائه وأسلافه وازال نعمته وربما قتل اعمامه واخوانه وأبناء عمه وأقرباءه وربما كحلهم أو حبسهم وتفاهم أو تبرأ منهم كل ذلك يفعلون بسوء ظنهم وقلة يقينهم مخافة أن يفوتهم المقدور او رجاء أن ينالوا ماليس في المقدر كل ذلك حرصا على طلب الدنيا وشدة الرغبة فيها وشحا عليها وقلة الرغبة في الآخرة وقلة اليقين بجزاء الاعمال في المعاد وليست هذه الخصال من شيم الاحرار ولا فعل الكرام فافتخارك ايها الانسي على الحيوان بذكر ملوككم وامرائكم وسلاطينكم عليكم لا لكم وادعاؤكم علينا العبودية ولا نفسكم الربوبية صار باطلا وزوراً وبهتاناً . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم انه هو الغفور الرحيم .

فصل

فلما فرغ الببغاء من كلامه قال الملك لمن حوله من حكماء الجن والانس أخبروني من الذي يحمل الى الارضة ذلك الطين الذي تبني به على نفسها تلك الازاج والعقود شبه الرواق والدهاليز وهي دابة ليس لها رجلان تعدو بهما ولا جناحان تطير بهما

فقال الحكيم الخبير من العبرانيين نعم أيها الملك سمعنا ان الجن تحمل اليها ذلك الطين مكافأة لها على ماأسدت اليها من الاحسان في اليوم الذي أكلت منسأة سليمان بن داود عليه السلام فخر وعلمت الجن بموته فهربت ونجت من العذاب الأليم .

فقال الملك لمن حوله من علماء الجن ماذا تقولون فيما ذكر الانس.

فقالوا لسنا نعرف هذا الفعل من الجن لأنه لو كانت الجن تحمل اليها التراب والطين والماء فهي بعد إذاً فى العذاب المهين . لان سليمان لم يكن يسومها شيئاً غير حمل الماء والتراب فى اتخاذ البنيان

فقال الحكيم اليوناني عندنا أيها الملك من ذلك علم هو غير ماذكر هذا العبراني . فقال الملك أخبرني ماهو . قال نعم اعلم أيها الملك ان هذه الدابة دابة ظريفة الخلقة عجيبة الطبيعة . من ذلك ان طبيعتها باردة جداً وبدنها متخلخل منتفخ المسام يتداخلها الهواء ويتجمد من شدة برد طبيعتها ويصير ماء ويرشح على ظاهر بدنها ويقع عليها غبار الهواء دائماً فيبتل ويجتمع شبه الوسخ فهي تجمع ذلك من بدنها وتبنى على نفسها تلك الازاج كناً لها من الآفات ولها مشفران حادان شبه المشراطين تقرض بهما الحب والخشب والتمر والنبات وتنقب الآجر والحجارة

فقال الملك للصرصر هذه الدابة من الهوام وأنت زعيمها فماذا ترى فيما قال اليوناني . فقال الصرصر صدق فيما قال ولكن لم يتمم ولم يفرغ من الوصف . فقال الملك تممه أنت فقال نعم :

ان الخالق تعالى لما قدر أجناس الخلائق وقسم بينها المواهب والعطايا عدل في ذلك بينها بحكمته ليتكافؤوا ويتساووا عدلاً منه وإلهاماً وإنصافاً بها سبحانه وبحمده فمن الخلق ماقد وهب له جثة عظيمة وبنية قوية ونفساً ذليلة مهينة مثل الجمل والفيل ومنها ماقد وهب له نفساً قوية عزيزة عليمة حكيمة وبنية صغيرة ليتكافأ في المواهب والعطايا عدلاً من الخالق الوهاب وحكمة

فقال الملك للصرصر زدني فى البيان . قال نعم ألاترى أيها الملك الى الفيل مع كبر جثته وعظيم خلقته كيف هو ذليل النفس منقاد للصبي الراكب على كتفه يصرفه كيف شاء . ألم تر الى الجمل مع عظم جثته وطول رقبته كيف ينقاد لمن جذب خطامه ولو كانت فأرة أو خنفساء . ألم تر الى الجرادة في الحشرات الصغار

التي هي أصغر منها اذا ضربت الفيل بحمتها كيف تقتله وتهلكه وكذلك الارضة وان كانت لها جثة صغيرة وبنية ضعيفة فان لها نفساً قوية . وهكذا حكم سائر الحيوانات الصغار الجثة مثل دودة القز ودودة الدرة وزنابير النحل فان لها أنفسا علامة حكيمة وان كانت أجسادها صغاراً وبنيتها ضعيفة

قال الملك ماوجه الحكمة في ذلك . قال لان الخالق تعالى علم بأن البنية القوية والجثة العظيمة لاتصلح إلا للكد والعمل الشاق وحمل الاثقال ولو قرن بها أنفسا كبارا لما انقادت للكد والعمل الشاق ولأ بت وأنفت ولجت وشمست وامتنعت فسبحان الخالق العالم بمصالح خلقه . وأما الجثث الصغار والانفس الكبار العلامة فانها لاتصلح إلا للحذق في الصنائع مثل أنفس النحل ودودة القز ودودة الدرة وأمثالها .

قال الملك زدني في البيان . قال نعم ان الحذق في الصناعة هو أن لايدري كيف عملها الصانع ومن أى شيء عملها وبأي شيء يعمل مثل صناعة النحل لانه لايدري كيف تبنى منازلها وبيوتها مسدسات من غير بركار ولامسطرة ولاأدوات أخر ولايدرى من أين تجمع العسل والشمع وكيف تحمله وكيف تميزه فلو كانت لها جثة كبيرة لبان ذلك وشوهد ورأى وأدرك وهكذا حكم دودة القز لوكانت لها جثة عظيمة لرأي كيف تمد ذلك الخيط الدقيق وتغزله وتفتله . وهكذا بناء الارضة لو كانت لها جثة عظيمة لرأى كيف تبل ذلك الطين وكيف تبنى . وأخبرك أيها الملك ان الخالق تعالى قد أرى الدلالة على قدرته للحكماء من بنى آدم المنكرة ايجاد العالم لامن هيولى موجودة من صناعة النحل باتخاذها البيوت من الشمع وجمعها العسل من غير هيولى موجودة

قال الملك زعمت الانس بأنها تجمع من زهر النبات وورق الشجر . قال فلم لايجمعون هم منها شيئاً مع زعمهم بأن لهم العلم والقدرة والحكمة والفلسفة وان كانت تجمع ذلك من وجه الارض أو من الماء أو من وجه الهواء فلم لايرون منها شيئاً ولايدرون كيف تجمع ذلك وتحمله وتميزه وتبنى وتخزن . وهكذا أرى

الخالق قدرته لجبابرتهم الذين طغوا وبغوا لما كثرت نعم الله تعالى لديهم مثل نمرود الجبار قتله أصغر جثة من الحشرات وهكذا فرعون لما طغى وبغى على موسى أرسل عليه جنود الجراد وأصغر من الجراد القمل وقهره فلم يعتبر ولم ينزجر وهكذا لما جمع الله لسليمان عليه السلام الملك والنبوة وشيد ملكه وسخر له الجن والانس وقهر ملوك الارض وغلبهم شكت الجن والانس في أمره وظنت ان ذلك بحيلة منه وقوة وحول له مع انه قد نفى هو ذلك عن نفسه بقوله « هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر » فلم ينفعهم قوله ولم يزل الشك من قلوبهم في أمره حتى بعث الله هذه الارضة فأكلت منسأته وخر على وجهه في محرابه فلم يجسر على ذلك أحد من الجن والانس هيبة منه واجلالا وبين الله قدرته ليكون عظة لملوكهم الجبابرة الذين يفتخرون بكبر أجسادهم وعظم جثتهم وشدة صولتهم ومع هذه كلها لا يتعظون ولا ينتبهون ولا يزجرون بل يلحون ويتمردون ويفتخرون علينا بملوكهم الذين هم صرعى بأيدي صغارنا والضعفاء من أبناء جنسنا

واما دودة الدرة فهي اصغر حيوان البحر بنية وأضعفها قوة والطفها جثة واكبرها نفساً واكثرها علماً ومعرفة وذلك انها تكون في قعر البحر مقبلة على شأنها في طلب قوتها حتى اذا حان وقت من الزمان صعدت من قعر البحار الى سطح الماء في يوم المطر فتفتح أذنين لها شبه شفتين فيقطر فيهما من ماء المطر حبات فاذا علمت بذلك ضمت تلك الشفتين ضما شديداً اشفاقاً أن يرشح فيها من ماء البحر المالح ثم تنزل برفق الى قعر البحار كما كانت بدءاً وتمكث هناك منضمة على الصدفتين الى ان ينضج ذلك الماء فينعقد منه الدر فاي علماء الانس يعمل مثل هذا خبروني ان كنتم صادقين

وقد جعل الله تعالى في جبلة نفوس الانس محبة لبس الحرير والديباج والابريسم وما يتخذ منها من اللباس الحسن الذي هو كله من لعاب هذه الدودة الصغيرة الجثة الضعيفة البنية الشريفة النفس وجعل في ذوقهم الذ ماياً كلون العسل الذي

هو يصاق أضعف الحيوانات الصغيرة الجثة الضعيفة البنية الشريفه النفس الحاذقة في الصنعة وأحسن مايوقدون في مجالسهم الشمع الذي هو فضلة من فضالة النحل وجعل ايضاً أفخر مايتزينون به الدر الذي يخرج من جوف هذه الدودة الصغيرة الجثة الشريفة النفس ليكون دلالة على حكمة الصانع الخالق الحكيم ليزدادوا به معرفة ولنعمائه شكراً وفي مصنوعاته فكرة واعتباراً . ثم هم مع هذه كلها معرضون غافلون ساهون لاهون طاغون باغون وفي طغيانهم يترددون لانعامه كافرون ولا لآلائه جاحدون ولصنعته منكرون وعلى ضعفاء الخلق مفتخرون متعدون جائرون ظالمون

فلما فرغ الصرصر وهو زعيم الهوام من كلامه قال الملك بارك الله فيك من حكيم ماأبلغك ومن متقن ماأحكمك ومن خطيب ما أفصحك ومن موحد ما اعرفك بربك ومن ذاكر شاكر لانعامه ما أفضلك

﴿ فصل ﴾

ثم قال الملك للانسي قد سمعتم ماقال وفهمتم ما اجاب فهل عندكم شيء آخر قالوا نعم خصال ومناقب تدل على انهم عبيدنا ونحن أرباب قال وما هي اذكرها قال وحدانية صورتنا وكثرة صورها واختلاف أشكالها فان الرياسة والربوبية بالوحدة أشبه والعبودية بالكثرة اشبه فقال الملك للجماعة ماذا ترون فيما قال وذكر فاطرقت الجماعة ساعة مفكرة فيما قال

ثم تكلم زعيم الطيور وهو الهزار داستان قال صدق ايها الملك فيما قال ولكن نحن وان كانت صورنا مختلفة كثيرة فنفوسنا واحدة وهؤلاء الانس وان كانت صورتهم واحدة فان نفوسهم كثيرة مختلفة قال الملك وما الدليل على ان نفوسهم كثيرة مختلفة قال كثرة آرائهم واختلاف مذاهبهم وفنون دياناتهم وذلك انك تجد فيهم اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين ومن عبدة الاصنام والنيران والشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها وتجد أيضاً أهل الدين

الواحد مختلفي المذاهب والآراء مثل سامري وغياني وجالوتي ونسطوري ويعقوبي وملكاني وشنوي ومانوي وخرمي ومزدكي وبصاني وبهرمي وشمسي وخارجي ورافضي وناصبي وقدري وجهمي ومعتزلي وسني وجبري وماشا كل هذه المذاهب التي يكفر أهلها بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً ونحن من هذه كلها برآء مذهبنا واحد واعتقادنا واحد وكلنا موحدون مؤمنون مسلمون غير مشركين ولامنافقين ولافاسقين ولامرتابين ولاشاكين ولامتحيرين ولا ضالين ولامضلين نعرف ربنا وخالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا فنسبحه ونهلله ونقدسه ونكبرة بكرة وعشياً ولكن هؤلاء الاناس لايفقهون تسبيحهم

فقال الانسي الفارسي نحن أيضاً كذلك ان ربنا واحد وإلهنا وخالقنا ورازقنا واحد ومحيينا ومميتنا واحد لاشريك له فقال الملك فلم تختلفون في الآراء والمذاهب والديانات والرب واحد قال لان الديانات والآراء والمذاهب انما هي طرق ومسالك ومحاريب ووسائل والمقصود واحد من أي الجهات توجهنا فثم وجه الله قال فلم يقتل بعضكم بعضاً إذ كانت الديانات كلها قصدها واحد وهو التوجه الى الله.

فقال المستبصر الفارسي نعم أيها الملك ليس ذلك من جهة الدين لان الدين لااكراه فيه ولكن من جهة سنة الدين الذي هو الملك. قال وكيف ذلك بينه لي. قال ان الدين والملك اخوان توأمان لايفترقان ولاقوام لأحدهما الا بأخيه غير ان الدين هو الأخ المقدم والملك هو الأخ المؤخر المعقب له فلابد للملك من دين يدين به الناس ولابد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سنته طوعاً أو كرهاً. فلهذه العلة يقتل أهل الديانات بعضهم بعضاً طالباً للملك والرياسة كل واحد يريد انقياد الناس أجمع لسنة دينه وأحكام شريعته وأنا أخبر الملك وفقه الله لفهم الحقائق وأذكره بشيء يقين لاشك فيه

قال الملك وما هو؟. قال ان قتل الانفس سنة في جميع الديانات والملل والدول كلها غير أن قتل النفس في سنة الدين وهو أن يقتل طالب الدين نفسه

وفي سنة الملك أن يقتل طالب الملك غيره

فقال الملك أما قتل الملوك غيرها في طلب الملك فبين ظاهر . وأما قتل طالب الدين نفسه في سائر الديانات فكيف هو ؟

قال نعم ألا ترى أيها الملك أن ذلك سنة دين الاسلام كيف هو بين ظاهر وذلك قول الله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون »

ثم قال « فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به » . وقال « يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » . وقال « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً » وقال في سنة التوراة « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم » وقال المسيح عليه السلام في الانجيل من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله

فقال استعدوا للقتل والصلب ان كنتم تريدون أن تنصروني وتكونوا معي في ملكوت السماوات عند أبي وأبيكم والا فلستم في شيء مني فقبلوا وقتلوا ولم يرتدوا عن دين المسيح

وهكذا يفعل البراهمة من أهل الهند يقتلون أنفسهم ويحرقون أجسادهم طلباً للدين ويرون ويعتقدون بأن أقرب قربان الى الله تعالى أن يقتل التائب جسده ويحرق بدنه ليكفر عن ذنوبه يقيناً منه بالمعاد

وهكذا يفعل المانية والمثنوية تمنع أنفسها من الشهوات وتحمل عليها كد العبادات حتى تقتلها وتخلصها من دار البلاء والهوان

وعلى هذا القياس يوجد حكم سنن أهل الديانات في جعل قتل النفوس من فنون العبادات وأحكام الشرائع كلها وضعت لطلب النفوس وطلب النجاة من نار جهنم والفوز بالوصول الى نعيم الآخرة دار المعاد والقرار وأخبر الملك وأذكره أن في أهل الديانات والمذاهب اخياراً وأشراراً ولكن أشر الاشرار من لا يؤمن بيوم الحساب ولا يرجو ثواب الاحسان ولا يخاف مكافأة

السيئات ولا يقر بوحدانية الصانع البارى الحكيم الخالق الرازق المحيى المميت المعيد الذى يرجع اليه المرجع واليه المصير

فصل

ثم قال الزعيم الهندى نحن بنو آدم أكثر من الحيوانات عدداً وأمماً وأجناساً وأنواعا وأشخاصا وأعرف بفنون تصاريف أحوال الزمان وما آربه وعجائبه

قال الملك وما يدريك ؟ قال لأن الربع المسكون من الارض يحوي على نحو سبعة عشر ألف مدينة مختلفة الامم الكثيرة العدد التى لا تعد ولا تحصى فمن تلك الامم التى لا تعد ولا تحصى أهل الهند وأهل الصين وأهل السند وأهل الزنج وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل الحبشة وأهل نجد وأهل بلاد النوبة وأهل مصر واهل بلاد الصعيد وبلاد الاسكندرية وأهل برقة وأهل قيروان ، وأهل البربر وأهل البوادي وأهل طنجه واهل بلاد الخالدات واهل بلاد مردمانه ، واهل كيوان واهل بلاد كله واهل بلاد الاندلس وبلاد الرومية وبلاد قسطنطينية وبلاد دجلة وبلاد مقدونية وبلاد برجان وبلاد الصقالبة وبلاد الرومية وبلاد املاج وبلاد الابواب وبلاد اذربيجان وبلاد ارمينية وبلاد اهل الاسلام وبلاد اهل الشام وبلاد اهل يونان وبلاد الديارات وبلاد العراق وبلاد خراسان وبلاد خوزستان وبلاد الجبال وبلاد جيلان وديلمان وطبرستان وبلاد جرجان وبلاد نيسابور واهل كرمان وبلاد فارس وبلاد مكران وبلاد كابلستان ومولتان وبلاد سجستان وبلاد ما وراء النهر وبلاد غور واستادان وباميان وصخارستان وكيلان وبلاد خوارزم وبلاد يأجوج ومأجوج وفرغانه وبلاد صمانيات وبلاد كيماك وبلاد خاقان وسيستان وبلاد جوجير وبلاد تبت واهل بلاد جاج وماجين واهل بلاد الجزائر والسوادات والجبال والفلوات والسواحل هذه سوى القرى والاعراب والأكراد واهل البراري والبوادي والجزائر والغياض والآجام . واهل هذه البلاد كلها امم من الانس من بنى آدم مختلفة ألوانهم وألسنتهم وأخلاقهم

وطباعهم وآرائهم ومذاهبهم وصنائعهم وسيرتهم في دياناتهم لا يحصى عددها الا الله تعالى الذي خلقهم وأنبأهم ورزقهم ويعلم سرهم ونجواهم ويعلم مستقرهم ومستودعهم كل كتاب في مبين فكثرة عددهم واختلاف أحوالهم وفنون تصاريف أمورهم وعجائب ما ربهم يدل على أنهم أفضل من غيرهم وأكرم من سواهم من أجناس الخلائق التي في الارض من الحيوانات جميعاً وأنهم أرباب والحيوانات عبيد لهم وخول ومماليك ولنا فضائل جمة أخر ومناقب شتى يطول شرحها أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فصل

فلما فرغ الانسي من كلامه نطق عند ذلك الضفدع وقال : الحمد لله الكبير المتعال العلي الجبار العزيز الغفار الرحيم القهار خالق الأنهار الجارية والبحار الزاخرة المرة المالحة البعيدة القرار الواسعة الاقطار ذوات الامواج والهيجان معدن الدر والمرجان وهو الذي خلق في أعماق قرارها الظلمة وأمواجها المتلاطمة أصناف الخلائق ذوات الفنون والطوائف فمنها ذوات الجثة العظام والهيا كل الجسام قد ألبس بعضها الجلود الثخان والفلوس المنضدة الصلاب والاصداف المجمدة ومنها كثيرة الارجل الدبابة

ومنها ذوات الاجنحة الطيارة ، ومنها ذوات البطون الخميصة المناسبة ، ومنها ذوات الرؤوس الكبار والأفواه المفتحة والعيون البراقة والاشداق الواسعة والاسنان القاطعة والمخالب الحداد والاجواف الرحبة والجلود المرصعة والأذناب الطويلة والحركات الخفيفة والسباحة السريعة

ومنها صغار الجثة ملس القدود بلا آلة ولا أدوات . ومنها قليلة الحركات والحس . كل ذلك لأسباب وعلل لا يعلم ولا يعرف كنه معرفتها الا الله الذي خلقها وصورها وينشئها ويرزقها ويتممها ويكملها ويبلغها الى أقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين لا لمخافة غلط ولا

احتراز من النسيان لكن لوضوح وبيان

ثم قال الضفدع ذكر هذا الانسي أيها الملك العادل أصناف بني آدم وعدد طبقاتهم ومراتبهم وافتخر بها على الحيوانات فلو أنه رأى أجناس الحيوانات من حيوان الماء وشاهد صور أنواعها وعجائب أشكال أشخاصها وطوائف فنون هيا كلها لماين عجائب ولصغر في عينه ما ذكر من كثرة أصناف بني آدم والامم الكثيرة التي ذكر أنها في المدن والقرى والبراري والبلدان وذلك ان في الربع المسكون نحو من أربعة عشر بحراً كباراً منها بحر الروم وبحر جرجان وبحر جيلان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر هندوبحر سند وبحر الصين وبحر يأجوج ومأجوج وبحر الاخضر وبحر الغربي وبحر الشمال ، وبحر الجنوب ، وبحر الشرقي وبحر الحبشة . وفي هذا الربع المسكون نحو من خمسمائة بحر صغار ونحو من مائتي نهر طوال مثل جيحون ودجلة وفرات ونيل مصر ونهر الكروالرس باذربيجان وهار مندوسدسكتان وماشا كل هذه الانهار طول كل واحد من مائة فرسخ الى ألف فرسخ

وأما الآجام والبطائح والغدران والانهار الصغار والسواقي ما لا يعد ولا يحصى . وفي كل هذه من اجناس السموك والسراطانات والكرازنك والسلاحف والكواسج والتماسيح والدلافين وأنواع أخر لا تعد ولا تحصى ولا يعلمها الا الله وقد قيل أنها تسع مائة صورة جنسية سواء أنواعها وأشخاصها وان في البر نحو خمسمائة صورة جنسية ونوعية من أجناس الوحوش والسباع والبهائم والانعام والحشرات والهوام والطيور والجوارح وغيرها من الطيور الانسية . وكل هذه الخلائق عبيد الله تعالى مماليك له خلقهم بقدرته وصورهم برحمته وأنشأهم ورباهم ورزقهم وحفظهم ورعاهم لا تخفى عليه خافية من أمرهم يعلم مستقرهم ومستودعهم ثم قال الضفدع فلو تأملت واعتبرت فيما كان ذلك أيها الانسي لعلمت وتبين لك بأن افتخارك بكثرة بني آدم وعدد أصنافهم وطبقاتهم لا يدل على أنهم أرباب وغيرهم عبيد لهم بتة

فلما فرغ الضفدع من كلامه قال حكيم من الجن ذهب عليكم يامعشر الانس .

من بنى آدم ويا معشر الحيوانات الأرضية وذوي الأجسام الثقيلة والجثة العظيمة الغليظة والأجرام ذوي الابعاد الثلاثة من ساكني البحر والبر والجو وخفت عنكم معرفة كثرة الخلائق الروحانية والصور النورانية والأرواح الخفية والاشباح اللطيفة والنفوس البسيطة والصور المفارقة التي مسكنها في فسحة أطباق السموات وسريانها في فضاء سعة عالم الافلاك من أصناف الملائكة الروحانيين الكروبيين وحملة العرش أجمعين وما في سعة كرة الاثير من الارواح النارية وما في سعة كثرة الزمهرير من قبائل الجن واخوان الشياطين وجنود ابليس أجمعين فلو انكم يامعشر الانس ويامعشر الحيوانات عرفتم كثرة أجناس هذه الخلائق التي ليست بأجسام ذوات أركان ولا أجرام ذوات أبعاد وعلمتم كثرة أنواعها وكثرة صورها وعدد أشخاصها وأشخاص أشكالها لصغرت في أعينكم كثرة أجناس الحيوانات اجمع من الجسمانية والأنواع الجرمانية والاشخاص الجزوية . وذلك لأن مساحة كرة الزمهرير تزيد على مساحة سعة البر والبحر أكثر من عشرة أضعاف .

وهكذا سعة كرة الاثير تزيد على سعة كرة الزمهرير أكثر من عشرة أضعاف

وهكذا سعة كرة فلك القمر تزيد على سعة كرة الجحيم أضعافا

وهكذا نسبة فلك عطارد الى فلك القمر . وعلى هذا المثال حكم سائر الأفلاك السبعة المحيطات بعضها ببعض الى أعلى فلك المحيط وكلها ممتلىء فضاؤها وفسحات سعتها من الخلائق الروحانية حتى انه ليس فيها موضع شبر الا وهناك جنس من الخلائق كما أخبر النبي عليه السلام فانه سئل عن قول الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عليه السلام ما في السماوت السبع موضع شبر الا وهناك ملك مقرب قائم أو راكع أو ساجد لله تعالى

ثم قال الحكيم لو تفكرتم واعتبرتم يا معشر الحيوان والانس فيما ذكرته لعلمتم أنكم أقل الخلائق عدداً وأدونهم مرتبة ومنزلة

فالافتخار بالكثرة ايها الانسي لايدل على انكم ارباب وغيركم عبيد لكم

بل كلنا عبيد الله وجنوده ورعيته مسخر بعضنا لبعض كما اقتضت حكمته واوجبت ربوبيته فلله الحمد على ذلك وعلى سابغ نعمته حمداً كثيراً

فلما فرغ حكيم الجن من كلامه . قال الملك سمعنا يامعشر الانس ما ذكرتم وما افتخرتم به ، وقد سمعتم منا الجواب فهل عندكم بيان آخر غير ما ذكرتموه فأوردوه وبينوه لنسمع ان كنتم صادقين

﴿ فصل ﴾

فقام عند ذلك الخطيب الحجازي المكي المدني وقال نعم أيها الملك لنا فضائل اخرى ومناقب حسان تدل على اننا ارباب وهذه الحيوانات عبيد لنا ونحن ملاكها ومواليها.

قال الملك ماهي قال مواعيد ربنا لنا بالبعث والنشور والخروج من القبور وحساب يوم الدين والجواز على الصراط ودخول الجنان من بين سائر الحيوانات وهي جنة الفردوس وجنة النعيم وجنة عدن وجنة الخلد وجنة المأوى ودار السلام ودار المقام ودار المتقين وشجرة طوبى وعين السلسبيل وانهار من خمرة لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وانهار من لبن وماء غير اسن وبالدرجات في القصور وتزويج الحور ومجاورة الرحمن ذي الجلال والاكرام والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن في نحو من سبعمائة آية .

كل ذلك بمعزل عن هذه الحيوانات فهذا دليل على انا ارباب وهي عبيد لنا ولنا مناقب اخر غير ماذكرنا أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

فقام عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزار داستان فقال نعم لعمري ان الامر كما قلت أيها الانسي ولكن اذكر أيضاً ماوعدتم به معشر الانس من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير وأحوال يوم القيامة وشدة الحساب والوعيد بدخول النيران وعذاب جهنم والجحيم والسعير ولظى وسقر والحطمة والهاوية وسرابيل من قطران وشرب الصديد وأكل شجرة الزقوم ومجاورة مالك الغضبان وجوار

الشياطين مع جنود ابليس اجمعين .

وماهو مذكور في القرآن بجنب كل آية من الوعد آية من الوعيد كل ذلك لكم دوننا ونحن بمعزل عن جميع ذلك وكما لم نوعد بالثواب لم نوعد بالعقاب وقد رضينا بحكم ربنا لا لنا ولا علينا كما رفع عنا حسن الوعد صرف عنا خوف الوعيد فتكافأت الادلة بيننا وبينكم وتساوت الاقدار فما لكم والافتخار .

قال الحجازي وكيف تساوت الاقدار بيننا وبينكم فانا على أي حالة كانت باقون أبد الابدين ودهر الداهرين ان كنا مطيعين فمع الانبياء والاولياء والائمة والأوصياء والحكماء والاخيار والفضلاء والابدال والزهاد والصالحين والعباد العارفين المستبصرين وأولى الالباب وأولى الابصار وأولى النهى والمصطفين الاخيار والذين هم بملائكة الله الكرام يتشبهون والى الخيرات يتسابقون والى لقاء ربهم يشتاقون وفي جميع اوقاتهم عليه مقبلون ومنه يسمعون واليه ينظرون وفي عظمته وجلاله يتفكرون وفي جميع الامور عليه يتوكلون واياه يسألون ومنه يطلبون واياه يرجون ومن خشيته مشفقون.

ولو كنا مردودين اذن نتخلص بشفاعة نبينا محمد عليه السلام ونكون باقين في الجنة مع الحور والغلمان والروح والريحان ولقاء الرحمن ونداء الذين أحسنوا الحسنى وزيادة في حقنا قال تعالى « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »

وأنتم يامعشر الحيوانات بمعزل عن جميع ذلك لانكم بعد المفارقة تفسدون وتبلون وتفنون ولا تبقون فهذا دليل على اننا ارباب وأنتم عبيد وخول لنا

فقالت حينئذ زعماء الحيوانات وحكماء الجن باجمعهم الآن جئتم بالحق ونطقتم بالصواب وقلتم الصدق لان بامثال ماذكرتم يفتخر به المفتخرون ومثل اعمالهم فليعمل العاملون

وفي مثل سيرهم وأخلاقهم وآدابهم وآرائهم وعلومهم فليرغب الراغبون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

ولكن خبرونا يامعشر الانس عن أوصافهم وبينوا لنا سيرهم وعرفونا طريق معارفهم ومحاسن اخلاقهم وصالح أعمالهم ان كنتم صادقين ثم اذكروها ان كنتم بها عارفين

فسكتت الجماعة حينئذ يتفكرون فلم يكن عند أحد منهم جواب فقال واحد منهم ان الجنة أعدت للمتقين .

فقام عند ذلك العالم الخبير الفاضل الذكي المستبصر الفارسي النسبة العربي الدين الحنفي المذهب العراقي الاداب العبراني المخبر المسيحي المنهج الشامي النسك اليوناني العلوم الهندي البصيرة الصوفي السير الملكي الاخلاق الرباني الرأي الالهي المعارف الصمداني فقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وصلوات الله على خاتم الانبياء وخلاصة الاصفياء محمد وآله اجمعين .

ثم قال أيها الملك العادل وأنتم معشر الجماعة الحضور اعلموا أن لهؤلاء الذين هم أولياء الله وصفوته من خلقه وخيرته من عباده وبريته أوصافا حميدة وأعمالا زكية وعلوما مفننة وصفاتاً جميلة وأعمالا زكية ومعارف ربانية واخلاقاً ملكية وسيرة عادلة قدسية واحوالا عجيبة قد كلت الالسن عن ذكرها وقصرت أوصاف الواصفين عن كنه صفاتها ولو أكثر الذاكرون في وصفهم لهم واطال الواعظون الخطب في مجالس الذكر عن بيان طريقتها ومحاسن اخلاقها طول الازمان والدهور ولم يبلغوا كنه معرفتها فكيف يأمر الملك العادل في حق هؤلاء الغرباء وما جوابهم.

فامر الملك أن تكون الحيوانات باجمعهم تحت أوامرهم ونواهيهم ويكونون مأمورين للانس حتى يستأنف الدور

ثم بعد ذلك حكم حكما آخر ثم بعد ذلك قام واحد من خدماء الملك ونادى مناد الا قد سمعتم معشر الحيوانات بيان هؤلاء الانس وقبلتم مقالاتهم ورضيتم

بذلك فانصرفوا آمنين في حفظ الله وأمانه

***

ثم اعلم أيها الاخ انا قد بينا في هذه الرسالة ماهو الغرض المطلوب ولا تظن بنا ظن السوء ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ومخارفة الاخوان إذ عادتنا جارية على أن نكسوا الحقائق الفاظاً وعبارات واشارات كيلا يخرج بنا عما نحن فيه وفقكم الله لقرائتها واستماعها وفهم معانيها وفتح قلوبكم وشرح صدوركم ونور بصائركم بمعرفة اسرارها ويسر لكم العمل بها كما فعل بأوليائه وأصفيائه وأهل طاعته انه على مايشاء قدير وبمنه وجوده ولطفه وكرمه وفضله ورحمته تمت رسالة الحيوانات بعون خالق المخلوقات وبمحمد وآله الائمة الهداة عليهم من الله أفضل السلام والصلاة ويتلوها رسالة تركيب الجسد .



الرسالة التاسعة

من الجسمانيات الطبيعيات

في تركيب الجسد

﴿ وهي الرسالة الثالثة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾



الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

اعلم أيها الاخ أيدك الله وإيانا بروح منه إنا قد فرغنا من ذكر رسالة الحيوانات وبيان عجائب هيا كلها وغرائب أحوالها والغرض منها هو البيان عن أجناس الحيوانات وكمية أنواعها واختلاف صورها وطبائعها وكان لنا أيضاً غرض آخر من ذلك انا أردنا أن نبين حقائقها بتلك الاشارات والعبارات فلا يخفى على الحكماء غرضنا في ذلك حسب مابينا في الفصل المعين عند ذكرنا الملك والملائكة وحان لنا أن نذكر في هذه الرسالة تركيب جسد الانسان اذ آخر مرتبة الحيوانية متصل بأول مرتبة الانسانية وغرضنا من هذه الرسالة أن نبين كون الانسان هو عالم صغير فنقول :

اعلم وفقك الله ان الانسان اذا ادعى معرفة الاشياء وهو لا يعرف نفسه فمثله كمثل من يطعم الناس وهو جائع وكمثل من يداوي غيره وهو مريض سقيم عليل أو كمن يكسو الناس وهو عريان وعورته للناس بادية ما ان يواريها أو كمثل

من يهدي الناس الى الطريق وهو ضال لا يعرف طريق بيته وقد علمتم ان في هذه الاشياء ينبغي للانسان أن يبتدىء أولا بنفسه ثم بغيره

واعلموا ان اسم الانسان انما هو واقع على هذا الجسد الذي هو كالبيت المبنى وعلى هذه النفس التى تسكن هذا الجسد وهما جميعاً جزآن له وهو جملتهما والمجموع منهما ولكن أحد الجزئين الذي هو النفس أشرف وهو كاللب او الجزء الآخر الذى هو الجسد كالقشر والانسان هو الذي جملتهما والمجموع منهما ولكن أحد الجزئين الذي هو النفس كالشجرة والآخر كالثمر ومن وجه آخر أحدهما كالراكب وهي النفس والآخر كالمركوب وهو الجسد والانسان هو جملتهما كالفارس . فمن أجل هذا يحتاج كل انسان أن يعرف نفسه بالحقيقة ويحتاج فى معرفة ذلك الى أن ينظر فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها النظر في حالات الجسد ماهو وكيف هو من تركيب أجزائه وتأليف أعضائه وماالصفات المخصوصة به خلواً من النفس

والجهة الثانية النظر في أمر النفس مجردة من الجسد وقواها وماهي وكيف هي وماالصفات المخصوصة بها

والجهة الثالثة النظر في مجموعهما ومايظهر من جملتهما من الاخلاق والافعال والحركات والصنائع والاعمال والاصوات وماشاكل ذلك. ونبتدىء أولاً بذكر حالات الجسد وصفاته بكلام مختصر كيما يكون دليلا على أمر النفس وحالاتها لان حالات الجسد ظاهرة مكشوفة متخيلة مدركة بالحواس وأما أمر النفس وحالاتها فغائب عن ادراك الحواس وباطن في عمق الجسد مستور خفي وانما يدرك بالعقل

فاعلموا أيها الاخوان ان الشاهد من حالات الجسد يدل على الغائب من حالات النفس والظاهر يدل على الباطن والمكشوف على المستور والجلى على الخفي والمحسوس على المعقول وقد قلنا فى الرسالة الاولى ان الجسد مؤلف من

اللحم والدم والعظام والعروق والعصب والجلد وماشا كلها وهذه كلها أجسام أرضية ميتة مظلمة ثقيلة متجزئة متغيرة فاسدة وأما النفس فان جواهرها سماوية روحانية ناطقة نورانية غير ثقيلة ولامتجزئة وغيرفاسدة بل متحركة باقية علامة دراكة لصور الاشياء وحقائقها

فصل

(في كيفية تركيب الجسد وكيفية أخلاط البدن ومزاج الطبائع)

فنقول : اعلم وفقك الله ان الباري تعالى لما خلق الجسد وسواه ونفخ فيه من روحه وأحياه ثم أسكن فيه النفس وأولاه وكان مثل أساس بنية الجسد وتركيب أجزائه وتأليف أعضائه كمثل أساس بناء مدينة بنيت من أشياء مختلفة كالحجارة والطين والآجر والنورة والرمال والخشب والاجذاع والحديد وماشا كلها فأحكم بنيتها وشيد بنيانها وحصن سورها وخططت شوارعها وقسمت محالها وزينت مجالسها ورتبت منازلها وملئت خزائنها وأسكنت دورها وسلكت طرقاتها وأجريت أنهارها وفتحت أسواقها واستعمل صناعها وأقعد فيها تجارها ودبرها ملكها وخدمة أهلها

وذلك ان الله تعالى لما أراد تركيب الجسد ابتداء أولا فاخترع أربع طبائع منفردات متعاديات القوى بسلطانها بعضها على بعض ، ثم الف بين كل اثنين منها وأربعة أركان مزدوجات مؤتلفات الطبائع متناسبات القوى من أركانها ثم أسس بنية هذا الجسد من هذه الاربعة الاركان التي هي أساس لبنيانها ثم ابتدأ بنيانها من أربعة أخلاط متعاديات طباعها متناسبات قواها التي هي مجموعات من أصل أركانها .

ثم جمع هذه الاربعة الاخلاط فخلق منها تسعة جواهر مختلفة أشكالها هي ملاك بنيانها ثم الفها وركب بعضها فوق بعض عشر طبقات متصلات بهندامها ثم أسندها وأقامها بمائتين وثمانية وأربعين عموداً مستويات القد أقرانا ، ثم سمرها

ومد حبالها وشد أوصالها بسبعمائة وخمسين رباطا ممدودات محتويات ملتفات عليها كالحبال وفصلها حذراً من نقضها وتقصانها ، ثم قدر بيوتها وقسم خزائنها وأودع احدى عشر خزانة معمورة مملوءة من الجواهر مختلفة انواعها وألوانها وخط شوارعها وأنفذ طرقاتها وفتح ابوابها وجعل لها ثلثمائة وستين مسلكا لسكانها واستخرج منها عيوناً وشق فيها أنهاراً هي ثلثمائة وتسعين جدولا مختلفات في الجهات لجريانها وفتح على سورها اثنى عشر روزناً مزدوجات المسالك لجريانها

واحكم بناء هذه المدينة على أيدي سبعة صناع متعاونين هم خدامها ووكل بحفظها خمس حراس حراساً على حفظ اركانها

ثم رفع هذه المدينة في الهواء على رأس عامودين وحركها على ست جهات بجناحين ، ثم اسكن فيها ثلاث قبائل من الانس والجن والملائكة وجعلهم سكانها ثم رأس عليهم ملكا واحداً وعلمه اسماء من فيها وأمره بحفظها وأوصاه بسياستهم فقال « انبئهم باسمائهم » وامرهم بطاعته له « فقال تعالى اسجدوا لآدم فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى واستكبر

فأما تفصيل تلك الطبائع المفردات الأربع . الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . والاركان الاربعة المزدوجات الطباع المتناسبات القوى هي النار والهواء والماء والارض . والاخلاط الاربعة المتعاديات الطباع هي الصفراء والدم والبلغم والسوداء . والجواهر التسعة هي العظام والمخ والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر

والطبقات العشرة هي الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقو والوركان والفخذان والساقان والقدمان .

وأما الاعمدة فهي العظام والرباطات هي الاعصاب

وأما الخزائن الاحدى عشرة فهي الدماغ والنخاع والرئة والقلب والكبد والطحال والمرارة والمعدة والامعاء والكليتان والانثيان والشوارع والطرقات هي العروق الضوارب والانهار هي الاوردة

وأما الابواب الاثنى عشر فهي العينان والاذنان والمنخران والسبيلان والثديان والفم والسرة .

وأما الصناع السبعة فهي القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمصورة .

وأما الحواس الخمس فهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس

وأما العمودان فهما الرجلان ، وأما الجناحان فهما اليدان

وأما الجهات الست فهي قدام وخلف ويمنة ويسرة وفوق وتحت .

وأما القبائل الثلاث فهي النفس الثلاث وقواهن وأفعالهن فالنفس الشهوانية واخلاقها وأفعالها فهي كالجن والنفوس الحيوانية وأخلاقها وحواسها كالانس والنفس الناطقة وتمييزها ومعارفها هي كالملائكة والرئيس الواحد هو العقل

فصل

فى ان الجسد كالدار وان النفس كالساكن في الدار

اعلم ان النظر في ماهية النفس مجردة من الجسد والتصور بذاتها خلو منه عسر جدا على المرتاضين بالرياضات الحكمية فكيف على غيرهم ولكنه اذا نظر الى ما يظهر من افعالها من الجسد واعتبر تصرف احوالها مع الجسد يسهل عليه ذلك ويقرب من فهم المتعلمين والتصور في افكار المتفكرين وجودها وتبين شرف جوهرها . ونريد ان نبين من ذلك طرفا ونضرب امثالا كيما يكون اوضح للبيان واقرب من فهم المبتدئين وأبلغ للتصور في افكار المفكرين

فنقول اعلم ان هذا الجسد لهذه النفس هو بمنزلة دار لساكنها بنيت واحكم بناؤها وقسمت بيوتها وملئت خزائنها وسقفت سطوحها وفتحت ابوابها وعلقت ستورها واعد فيها كلما يحتاج اليه صاحب المنزل في منزله من الفرش والاواني والاثاث والمتاع على أتم ما يكون وأ كمله وأتقنه فرجلاه وقيام الجسد عليهما كأساس الدار ورأسه في أعلا بدنه كالغرفة في أعلا الدار وظهره من خلفه كظهر الدار

ووجهه أمامه كصدر الدار ورقبته وطولها كرواق الدار وفتح حلقومه وجريان الصوت فيه كدهليز الدار وصدره في وسط بدنه كصحن الدار والأوعية التى في صدره كالبيوت والخزائن في الدار ورئته وبردها كالبيت الصيفي والخيشوم وجريان النفس في الحلقوم كالباداهنج وقلبه مع الحرارة الغريزية كالبيت الشتوي ومعدته ونضج الغذاء فيها كالمطبخ وكبده وحصول الدم فيه كبيت الشراب ومجاري عروقه وجريان الدم والنبض الى سائر أطراف البدن كمسالك الدار وطحاله وحصول عكر على الدم فيه كخزانة الاثاث ومرارته وحدة الصفراء فيها كبيت السلاح وجوفه والحجب التى فيه كبيت الحرم وأمعاؤه وثقل الطعام فيها كبيت الخلاء ومثانته وحصول البول فيها كبيت البول وسبيلاه فى أسفل البدن كمجاري الدار وعظامه وقوام الجسد عليها كالحيطان فى الدار والعصب الممدودة على المفاصل كالاجذاع والعوارض على الحيطان . ولحمه فى خلل العظام والعصب كالملاط وأضلاعه كالأساطين فى الدار والتجويفات التى فى جوف العظام كالصناديق والأدراج والمخ فيها كالجواهر والمتاع فى الأدراج والثقب التى في رؤوسها كرواشن فى غرف الدار وتنفسه كالدخان ووسط دماغه كالايوان وحدقتاه كبيت العرض والغشاوات التى بينهما كالستور وفمه كباب الدار وأنفه كطابق باب الدار وشفتاه كمصراعي الباب وأسنانه كالدرابزين ولسانه كالحاجب وعقله فى وسط دماغه كالملك القاعد فى وسط العرصة وصدر الدار والمجلس وحواسه الباطنة كالندماء وحواسه الظاهرة كالجند والجواسيس وعيناه كالديدبان وأذناه كأصحاب الاخبار ويداه كالخدام وأصابعه كالصناع وبالجملة ما من عضو في الجسد الا وله مثال من فعل رب المنزل

ثم أن هذا الجسد لهذه النفس من جهة أخرى بمنزلة دكان الصانع وأن جميع أعضاء الجسد للنفس بمنزلة اداة الصانع في دكانه وان النفس بكل عضو من أعضاء الجسد تظهر ضروباً من الأفعال وفنوناً من الأعمال كما أن الصانع بكل اداة يعمل ضروباً من الأعمال وفنوناً من الحركات كالنجار فانه ينحت بالفأس وينشر

بالمنشار ويثقب بالمثقب ويبرد بالمبرد وينقر بالمنقار

وهكذا الحداد فانه ينفخ بالمنفاخ ويأخذ بالكليتبر ويطرق بالمطرقة

وعلى هذا القياس سائر الصناع كل واحد منهم يعمل بأدوات مختلفة أعمالا مختلفة وحركات متباينة

فهكذا حال النفس تبصر بالعينين وتسمع بالاذنين وتشم بالمنخرين وتذوق باللسان وتتكلم بالشفتين واللسان وتمس باليدين وتعمل الصنائع بالاصابع وتمشي بالرجلين وتبرك على الركبتين وتقعد على الاليتين وتنام على الجنبين وتستند بالظهر وتحمل الأثقال على الكتفين وتتفكر بوسط الدماغ الأشياء وتتخيل بمقدم الدماغ المحسوسات وتحفظ بمؤخر الدماغ المعلومات وتصوت بالحلقوم وتستنشق الهواء بالخياشيم وتقطع الطعام بالأسنان وتزدرد بالمرى وما شاكل ذلك

وبالجملة ما من عضو في الجسد الا وللنفس فيه ضرب من الأفعال وفنون من الأعمال

ثم اعلم ان هذا الجسد لهذه النفس الساكنة فيه يشبه مدينة عامرة بأهلها مأنوسة بسكانها وحالات الجسد تشبه حالات المدينة وتصرف النفس يشبه تصرفات أهل المدينة فيها

وذلك أن لهذا الجسد أعضاء ومفاصل تشبه المحال في المدينة . وفي تلك الأعضاء والمفاصل أوعية ومجار تشبه المنازل في المحال . وفي تلك الأوعية والمجاري حجب وأغشية تشبه البيوت في منازل الأسواق في المحال والدكاكين في الاسواق

بيان ذلك أن الاعضاء والمفاصل تشبه المحال في المدينة فالرأس وماحوى والصدر وما وعى والبطن وما ملي والرجلان والبدن

وأما الاوعية والمجاري التى تشبه المنازل في المحال فالدماغ والقلب والرئة والطحال والمرارة والمعدة والمصارين والامعاء والكليتان والعروق . وأما الحجب

والاغشية التى تشبه البيوت في المنازل والدكاكين في الاسواق فالتجويفات التى فى الدماغ والرئة والتى في القلب والتى فى العظام وغير ذلك

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ان فى هذه النفس الساكنة في هذا الجسد قوى طبيعية وأخلاقا غريزية منبثة فى أعضاء هذا الجسد تشبه قبائل أهل تلك المدينة وشعوبها النازلين في المحال بتلك المدينة وان لتلك القوى وتلك الاخلاق أفعالا وحركات منبثة في أوعية هذا الجسد ومجاري مفاصله تشبه أفعال أهل تلك المدينة في منازلهم وحركاتهم فى طرقاتها وأعمالهم في أسواقهم

فأما القوى الطبيعية والاخلاق الغريزية التى تشبه القبائل والشعوب فهي ثلاثة أجناس

فمنها قوى النفس النباتية ونزعاتها وشهواتها فضائلها ورذائلها ومسكنها الكبد وأفعالها تجري مجرى الاوراد الى سائر أطراف الجسد

ومنها قوى النفس الحيوانية وحركاتها وأخلاقها وحواسها وفضائلها ورذائلها ومسكنها القلب وأفعالها تجرى مجرى العروق الضوارب الى سائر أطراف الجسد

ومنها قوى النفس الناطقة وتمييزاتها ومعارفها وفضائلها ورذائلها ومسكنها الدماغ وأفعالها تجرى مجرى الاعصاب الى سائر أطراف الجسد

ثم اعلم ان هذه النفوس الثلاث ليست متفرقات متباينات بعضها من بعض ولكنها كلها كالفروع من أصل واحد متصلات بذات واحدة كاتصال ثلاثة أغصان من شجرة واحدة تتفرع من كل غصن عدة قضبان ومن كل قضيب عدة أوراق وثمار أو كعين واحدة ينشق منها ثلاثة أنهار كل نهر ينقسم عدة أعمدة كل عمود عدة جداول أو كقبيلة واحدة يتشعب منها ثلاثة شعوب من كل شعب يتفرع عدة بطون من كل بطن عدة أفخاذ وعشائر أو كرجل يعمل ثلاثة صنائع تسمى بثلاثة أسماء فيقال حداد نجار بناء اذا كان يحسن الثلاثة أو كرجل يقرأ

ويكتب ويعلم فيقال قاريء كاتب معلم لان هذه الاسماء تقع على الفاعل بحسب ما يظهر منه من الافعال والحركات والصنائع والاعمال

فهكذا أمر النفس فانها واحدة بالذات وانما تقع عليها هذه الاسماء بحسب ما يظهر منها من الافعال وذلك اذا فعلت فى الجسم الغذاء والنمو فتسمى النفس النامية ، واذا فعلت في الجسم الحس والحركة والنقلة فتسمى النفس الحيوانية ، وإذا فعلت الفكر والتمييز فتسمى النفس الناطقة

ثم اعلم ان لكل عضو من اعضاء الجسد قوة من قوى النفس مختصة بها وهي تدبر ذلك العضو وتفعل به افعالا خلاف ما تفعل قوة اخرى من عضو آخر وان تلك القوة تسمى نفساً لذلك العضو المختصة به

مثال ذلك القوة الباصرة فانها تسمى نفس العين والقوة السامعة تسمى نفس الاذن . والقوة الذائقة تسمى نفس اللسان . والقوة الشامة تسمى نفس الانف وعلى هذا القياس سائر الاعضاء للقوى التى تدبرها وتفعل بها

ثم اعلم ان هذه النفوس الثلاث الاجناس وقواها كالانواع وافعال تلك القوى الاشخاص

فأما القوى التى هي كالانواع فهي خمسة وعشرون نوعاً اربعة منها مفردات كالرؤساء وسبعة منها متعاونات كالصناع والاعوان وخمسة كالجلابين وثلاثة مناولات كالخدم وثلاثة هن كالارباب وثلاثة هن كالامراء

واما افعالها اعنى افعال هذه القوى التى هى كالاشخاص فكثيرة لا يحصى عددها الا الله . ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دليلا على الباقي وذلك ان افعال هذه القوى بعضها يشبه افعال الاشراف والرؤساء في المدينة وبعضها يشبه افعال التجار والباعة وجلابى الامتعة الى المدينة وبعضها يشبه افعال العيارين والمفسدين فى المدينة . وبعضها يشبه افعال السلطان والجند المقاتلين فى المدينة وبعضها يشبه افعال القضاة والعدول والمصلحين فى المدينة وبعضها يشبه

أفعال الصبيان والعبيد والنساء والحمقاء وبعضها يشبه أفعال الشياطين والفتيان والجهال وبعضها يشبه أفعال العلماء والفقهاء وأهل الدين

وأما تفصيل ذلك فنقول أن القوى الاربعة المفردات التي هي كالرؤساء فهي قوى النفس النباتية وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وعليها تدور حالات الجسد من الصلاح والفساد . وذلك أن أفعال هذه القوى في أعضاء الجسد اذا هي اعتدلت وتساوت استقام امر البدن على الصحة والسلامة تشبه أفعال الامراء والاشراف والرؤساء الذين هم ملاك المدينة وأربابها وبهم قوام أمر المدينة وصلاحها واستدامة أحوالها وأفعال هذه القوى عند ورود الطعام والشراب الى الجسد وتناول كل واحدة من هذه القوى وما شا كلها من الغذاء على ما ينبغي تشبه أفعال أهل تلك المدينة في أخذهم وعطائهم وبيعهم وشرائهم وانصافهم في معاملاتهم فيما بينهم . وأفعالها اذا كانت على غير ما ينبغي تشبه أفعال أهل تلك المدينة اذا تنازعوا فيما بينهم وتخاصموا في مطالباتهم وتظالموا في معاملاتهم وافعال هذه القوى المميزة التي تقسم بين كل عضو ما يشاكله من الغذاء لتسوي القوى وتعتدل الاخلاط في بنية الجسد تشبه أفعال القضاة والعدول والمصلحين في المدينة بين الناس

وأما أفعال هذه القوى اذا هجن وتعادين وأدخلن السقم والمرض على الجسد فتشبه أفعال العيارين وأصحاب العصبية اذا هاجوا وأثاروا الفتن وتقاتلوا وأحرقوا الاسواق وخربوا المنازل ونهبوا الأموال وأفسدوا في المدينة

وأما أفعال هذه القوى عند ورود الدواء والاشربة واخراج فضول الاخلاط من الجسد فتشبه أفعال السلطان والجند اذا قاتلوا العيارين وسكنوا الفتنة وأخذوا الدعار وقطعوا أيديهم وأخرجوهم من المدينة

وأما أفعال هذه القوى عند خروج فضول الاخلاط من الجسد وذهاب الامراض واصلاح حال الجسد بعد السقم فيشبه أفعال رؤساء أهل تلك المدينة

اذا تصالحوا فيما بينهم وتهادنوا وأصلحوا ما أفسد العيارون من حالات المدينة وعمروا ماخربوا منها

وأما القوى التي هي كالارباب فهي القوة الشهوانية والقوة الغضبية والقوة الناطقة فأفعال القوة الشهوانية في أعضاء الجسد اذا لم ترأسها وتلزمها القوة الغضبية تشبه أفعال النساء والصبيان والحمقى اذا لم يرأسهن أزواجهن ولم يؤدبهم آباؤهم ومواليهم

وأما القوة الغضبية اذا لم ترأسها وتلزمها القوة الناطقة فتشبه أفعال الشياطين والشبان والجهال والسفهاء اذا لم يرأسهم عقلاؤهم ويلزمهم مشايخهم ولم يأمر وينهي عليهم مشايخهم

وأما أفعال القوة الناطقة اذا لم يرأسها ويلزمها العقل فتشبه أفعال العلماء والقراء اذا تنازعوا في أحكام الدين واختلفوا فيها وصاروا ذو مذاهب كثيرة ومقالات اذا لم يرأسهم ويلزمهم امام عادل من خلفاء الانبياء عليهم السلام

وأما القوى الخمس التي هي كالحشار والجلابين فهي الحواس الخمس فمنها القوة السامعة الداركة للاصوات ومجراها الاذنان ، ومنها القوة الباصرة المدركة للانوار والالوان والاشكال ومجراها الحدقتان ، ومنها القوة الذائقة ومجراها اللسان ، ومنها القوة الشامة المدركة للروائح ومجراها في المنخرين ، ومنها القوة اللامسة المدركة للخشونة واللين والصلابة والرخاوة والبرودة والرطوبة واليبوسة ومجراها في الاعصاب وفي جميع الجسد وأفعال هذه القوى في ادراكها صور المحسوسات من خارج الجسد وحملها الى القوة المتخيلة التي في مقدم الدماغ تشبه أفعال الحشار والجلابين الذين يحملون الامتعة من النواحي والحوائج ويجلبونها الى المدينة ويعرضونها على التجار

وأما القوى الثلاث المتناولات التي هي كالتجار والباعة فهي القوة المتخيلة ومسكنها مقدم الدماغ والقوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ والقوة الحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ

فأما أفعال القوة المتخيلة وتناولها رسوم المحسوسات من الحواس ودفعها الى القوة المفكرة فتشبه أفعال السماسرة والباعة الذين يكونون في عرصات المدينة والاسواق

وأما أفعال القوة المفكرة وتناولها رسوم المحسوسات وتمييزها وتفصيل بعضها من بعض ودفعها الى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ فتشبه أفعال التجار والذين يشترون الامتعة ويحملونها الى البيوت والدكاكين والخانات

وأما أفعال القوة الحافظة وتناولها رسوم الاشياء من القوة المفكرة وحفظها وامساكها الى وقت التذكار فتشبه أفعال الخزان والوكلاء والمحتكرين ومن شاكلهم

وأما القوى الثلاث اللواتي كالامراء فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية والقوة الناطقة وقد بيناها

وأما القوى السبع المتعاونة وهى التى أفعالها في أعضاء الجسد فتشبه أفعال الصناع في أسواق المدينة وهى القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوة الهاضمة والقوة الدافعة والقوة الغاذية والقوة المصورة والقوة النامية وذلك ان هذه القوى بعضها يخدم بعضاً كما يخدم التلامذة الاستاذين والأجراء المستأجرين وبعضها يعاون بعضاً كما يعاون الصناع بعضهم بعضاً في الاسواق كتعاون الحدادين للنجارين والنجارين للبنائين وكتعاون الحلاج للنداف والنداف للغزالين والغزالين للنساج والنساج للخياطة وماشاكل ذلك

فان كل واحد من هؤلاء يهيء صناعة صاحبه ويعطيها له فكذا أفعال هذه فى أعضاء هذا الجسد وتعاون بعضها بعضاً فيما يفعلون

وذلك ان القوة الجاذبة من شأنها جذب الطعام والشراب الى المعدة وجذب الكيموس من المعدة الى الكبد وجذب الدم من الكبد الى العروق ومن العروق الى سائر اطراف الجسد

ومن شأن القوة الماسكة امساك ما يرد على العضو من الاخلاط

ومن شأن القوة الهاضمة أن تنضج ذلك الخلط تهيئه للقوة الغاذية

ومن شأن القوة الدافعة أن تدفع من العضو مالا يصلح له من الاخلاط الى عضو آخر

ومن شأن القوة النامية الغاذية أن تلصق بكل عضو مايشاكله من مادة الغذاء

ومن شأن القوة النامية أن تناول المادة وتزيد في أقطار ذلك العضو

ومن شأن القوة المصورة أن تأخذ من كل عضو ماينفصل من تلك المادة وتصور مثل ذلك وهذه القوة مختصة بالرحم

وهذه القوى السبعة أفعالها كثيرة في اعضاء الجسد في كل عضو ضروب من الصنائع بخلاف ماقي أي عضو آخر وتشبه أفعال الصناع في اسواق المدينة ونذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقي

من ذلك ان افعالها في المعدة من جذب الطعام والشراب اليها وامساكها وهضمها ونضجها بالحرارة الغريزية تشبه افعال الخبازين والطباخين وماشاكلهم في اسواق المدينة وأفعالها بعد نضج الكيموس في المعدة وتصفيتها واستخراج لطيفها من الطعم واللون والرائحة الحلاوة والدسومة وتمييزها ودفعها الى الكبد ودفع عكرها الى الامعاء تشبه افعال العطارين الذين يستخرجون الشيرج من ثمر الاشجار والادهان من حبوب النبات والزبدة والسمن من لبن الحيوان في أسواق المدينة وافعالها في الكبد وطبخها صفو الكيموس مرة ثانية ونضجها حتى يكون دما قرمزيا ثم تصفيته بعد ذلك وتمييزه ودفعها عكر الدم الى الطحال والمحترق اللطيف الى المرارة والرقيق المائي الى المثانة والمعتدل الصافي الى القلب تشبه افعال الحلاقين والدباسين والذين يعملون الجلاب والسكنجبين وما شاكل ذلك في اسواق المدينة

وافعالها في القلب في تلطيف الدم مرة ثالثة وتصفيتها واجرائها في العروق تشبه أفعال الذين يعملون الماورد ويصعدون الخل ويقطرون الرطوبات اللطيفة وما شاكلها في أسواق المدينة

وأفعالها في الدماغ وتلطيفها الدم الذي يصعد اليها حتى يصير رطوبة لطيفة

روحانية كالذي يجرى في عصارى الاذنين والعينين والمنخرين واللسان والبخارات الذى يكون منها التحليل

وانفعالات الحواس تشبه أفعال الذين يعملون الادهان اللطيفة كدهن البنفسج ودهن النيلوفر والزيتون وما شاكلها في أسواق المدينة

وأفعالها في دفع ثقل الكيموس من المعدة الى الامعاء والمصارين واخراجها من الجسد تشبه افعال الكناسين والزبالين والسمادين وافعالها فى اجرائها الدم في الاوراد الى سائر الاطراف الجسد تشبه افعال الذين يحفرون الانهار والآبار والاقنية لتجري فيها المياه خلل المنازل في المدينة

وافعالها في تعقيد الدم وتجفيف المادة حتى تصير لحماً وشحماً وعظماً وما شاكله تشبه أفعال الذين يعقدون المائعات من الناطفين والحلوانيين والعجانين وما شاكلهم

وأفعالها فى تجفيف المادة وتصلبها حتى تصير عظاماً تشبه أفعال الذين يطبخون الآجر والخزف والزجاج وما شاكلها

وافعالها فى تسوية عظام الساقين والفخذين والزراعين وما شابه ذلك تشبه أفعال النجارين الذين ينجرون الاساطين وقوائم الاسرة وما شاكل ذلك

وافعالها في تركيب مفاصل الركبتين والفخذين والذراعين والاصابع يشبه تركيب نومادجات المفاتيح والصناديق وما شاكله

وأفعالها في تركيب خرزات الظهر والرقبة والاضلاع تشبه افعال الذين يبنون السماريات والسفن وما شاكل ذلك وافعال ذلك في تركيب عظام القحف وهندامها تشبه افعال الصفارين والذين يعملون القماقم والاباريق فى تركيبها وأفعالها فى خلقة الاسنان وتركيبها وترصيعها تشبه أفعال النحاتين الذين يعملون خرزة الدواليب والارحية وندانجاتها

وأفعالها فى خلقة الاعصاب وتمديدها وفتلها ولفها على الاعضاء تشبه أفعال الغزالين والحبالين والمفتلين ومن شاكلهم

وافعالها فى خلقة الجلود والغشاوات تشبه أفعال الحاكة والنساجين ومن شاكلهم

وافعالها فى التام الجراحات والقروح تشبه افعال الرفائين والجرازين والخياطين.

وافعالها فى نبت الشعر على الجلد تشبه افعال الزراعين والغراسين ومن شاكلهم

وافعالها فى خلقة الاظفار تشبه أفعال الذين يعملون المساحيء والمجاوف والرفائش وما شاكل ذلك

وأفعالها في خلقة الكروش والامعاء والمصارين تشبه أفعال الذين يعملون الطنافس والمسوح والغليظ من الثياب وأفعالها في خلقة الحجب والامعاء تشبه أفعال الذين ينسجون ثياب القطن والكتان وماشاكل ذلك

وأفعالها في خلقة الغشاوات التي في العينين تشبه أفعال الذين ينسجون الحرير والرقيق من الثياب

وأفعالها في تبيض العظام وتحمير اللحم وتصمير الشحم وتسويد الشعر تشبه أفعال الصباغين والمزوقين والدهانين

وأفعالها في الرحم وتصوير الجنين وخلقة الفراخ في البيض تشبه أفعال المصورين والنقاشين وأصحاب اللعب وماشاكل ذلك

فان قال قائل من الاطباء والطبيعيين ان هذه كلها أفعال الطبيعة فليعلم ان القدماء قد قالت ان الطبيعة فعل النفس وان قال قائل من الشرعيين ان هذه كلها للخالق البارىء يفعل مايشاء ويصور كما يريد فليعلم أيضاً ان النفس من فعل الباري تبارك وتعالى وانما ذكرنا هذه الافعال ونسبناها الى النفس لأن البارىء تعالى لايباشر الافعال بذاته بل يصدر منه على سبيل الامر ولكيما ينتبه الانسان من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ويفكر في نفسه ويشاهد هذه العجائب في الاسرار ويعلم بأن الصانع عليم حكيم وان المصنوع مبدع لهذا الحكيم لان بالمصنوع المحكم المتقن تتبين للصانع الحكيم حكمته ويستدل عليها كما قال الله تعالى « وفي أنفسكم أفلاتبصرون »

وان من الموجودات كلها موضوع الله لان حكمته تعالى وصنعه تبين بالمصنوعات المحكمة والموجودات المرتبة « وفي أنفسكم » آيات الله وأسراره ومصنوعاته وعجائبه « أفلا تبصرون » أيها الغافلون وأفلا تنظرون أيها الجاهلون

وبالجملة ان هذا الجسد مع النفس وانبثاث قواها في جميع أعضائه الباطنة والظاهرة واظهار أفعالها وفنون حركاتها في مجاري مفاصله وحواسها في مجاري ثقب رأسه في حال اليقظة تشبه مدينة عامرة مأنوسة لساكنها قد فتحت أبوابها وسلكت طرقاتها وقعد تجارها واشتغل صناعها وسعى متعيشوها وتحركت حيوانها وسمع منها دوي حيواناتها

وان حال هذا الجسد في وقت النوم وهدوء الحواس وسكون الحركات تشبه حال تلك المدينة بالليل اذا أغلقت أسواقها وتعطل صناعها وخلت طرقاتها ونام أهلها وسكنت حركاتهم وهدأت أصواتهم

وأيضاً حال الجسد عند مفارقة النفس له تشبه حال تلك المدينة اذا رحل عنها أهلها وخلت من ساكنيها وباد جيرانها وبقيت خراباً وصارت مأوى للسباع والبوم ثم تساقطت حيطانها وخرت سقوفها وصارت تلالا ورواب لا تبين فيها الا الحجارة والآجر والطين والتراب ، كذلك حال الجسد عند الموت الذي هو فراق النفس اياه وهو فراق لا يكون الوصل بعده ولنعم ما قيل : ما من صباح يصبح العباد فيه الا وملك ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب ، ثم ان الجسد يتغير وينتفخ ويصير مأوى الديدان والذباب والنمل ثم يبلى ويصير تراباً لا يتبين الا العظام والعصب تلوح كما تلوح الحجارة في تلك المدينة وآجرها « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » « واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون »

وفقك الله وإيانا وجميع اخواننا للسداد وهداك وايانا سبيل الرشاد انه رؤوف رحيم بالعباد

﴿ تمت رسالة تركيب الجسد ويتلوها رسالة الحاس والمحسوس ﴾

الرسالة العاشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في الحاس والمحسوس

في تهذيب النفس واصلاح الاخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون

فصل

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من تركيب جسد الانسان وبيان ان الانسان عالم صغير وأن بنية هيكله تشبه مدينة فاضلة وان نفسه تشبه ملكا في تلك المدينة فنريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً من المعلومات فنقول :

ان علم الانسان بالمعلومات يكون من ثلاثة طرق : أحدها طريق الحواس الخمس الذي هو أول الطرق ويكون جمهور علم الانسان ويكون معرفته بها من أول الصبا ويشترك الناس كلهم فيها وتشاركهم الحيوانات

والثاني طريق العقل الذي ينفصل به الانسان دون سائر الحيوانات ومعرفته به تكون بعد الصبا عند البلوغ

والثالث طريق البرهان الذي ينفرد به قوم من العلماء دون غيرهم من الناس وتكون معرفتهم بها بعد النظر في الرياضيات الهندسية والمنطقية

وقد بينا لم صارت طرق العلوم ثلاثة في آخر هذه الرسالة ونريد أن نذكر الآن طرق الحواس الخمس ونصف كيفية ادراك القوى الحساسة لمحسوساتها ولكن قبل ذلك ينبغي أن نذكر الامور المحسوسة التي هي كلها أعراض جسمانية وبها يكون الجسم محسوساً ونضبط أيضاً كيفياتها لانها أبين وأوضح وأقرب من فهم المبتدئين المتعلمين ثم نذكر بعد ذلك النفس وقواها الحساسة التي هي كلها أمور روحانية لطيفة غامضة بعيدة عن فهم المبتدئين بالنظر في العلوم والمعارف الحقيقية فنقول

اعلم وفقك الله انه لما كانت الامور المحسوسة كلها أعراض جسمانية داخلة عليه بعد كونه جسما احتجنا أن نذكر الجسم المطلق ونصفه بما هو جسم حسب ثم نذكر بعد ذلك الاعراض الداخلة التي هي كلها صفات زائدة على كونه جسما فنقول ان الجسم جوهر مركب من الهيولى والصورة حسب . والدليل على ذلك قول العلماء في حد الجسم هو الشيء الطويل العريض العميق والشيء هو الجوهر وهو الهيولى والطول والعرض والعمق هي الصورة ، والجسم بهذه الصفات يكون جسما لا بأنه جوهر لان النفس والعقل أيضاً هما جوهران لا يوصفان بالطول والعرض والعمق فهذا أحد الفروق بين الجواهر الجسمانية والجواهر الروحانية

ثم اعلم أن كل صفة يوصف بها الجسم بعد الطول والعرض والعمق هي صفات زائدة داخلة عليه بعد كونه جسما وتسمى الصورة المتممة

مثال ذلك قول الحكماء ان الجسم لا ينفك عن الحركة والسكون والاجتماع والافتراق وان يكون مظلماً أو مضيئاً وان يكون مشفاً أو غير مشف وان يكون حاراً أو بارداً أو ان يكون رطباً أو يابساً وان يكون خفيفاً أو ثقيلا وان يكون صلباً أو رخواً وان يكون خشناً أو ليناً وان يكون ذا طعم ولون ورائحة وما شاكلها من الصفات التي كلها اعراض داخلة في الجسم زائدة بعد كونه جسما متممة له فنحتاج أن نذكر ونصف هذه الاعراض والصفات واحدة واحدة

فنقول أن هذه الاعراض والصفات كلها صورة متممـة للجسم مبلغة الى افضل غاياته وان بعضها بالجسم أولى من بعض وذلك ان السكون أولى بالجسم من الحركة والاجتماع أولى به من الافتراق والظلمة أولى من النور والمكان أولى من الزمان

بيان ذلك ان الجسم بالسكون أولى من الحركة هو ان الجسم ذو جهات ستة ولا يمكنه أن يتحرك الى جميع الجهات دفعة واحـدة وليست حركته الى جهة أولى من جهة فاذا السكون أولى به من الحركة

فاما كون بعض الاجسام متحرك دائماً مثـل الافلاك والنار فهو أمر آخر على كونه جسما

وقد بينا في رسالة الهيولى ان الحركة هي صورة روحانية داخلة على الجسم متممة له وأما السكون فهو عدم تلك الصورة .

واما الاجتماع والافتراق الذي يقال ان الجسم لاينفك من احدهما فليس ذلك من حيث هو جسم ولـكن من حيث تشخص بعض الاجسام

وذلك ان جسم العالم باسره لا يفترق بعضه عن بعض ولا يجتمع مع غيره لانه ليس الا عالم واحد وانما الاجتماع والافتراق لاشخاص الحيوانات والنبات والمعادن ولبعض اجزاء الامهات التي تحت فلك القمر.

فاما مايقال في الكواكب انها تجتمع أو تفترق فليس لذلك حقيقة لان كل كوكب هو ملازم لفلكه أو درجته الذي هو فيها، وان معنى اجتماعها هو أن يصير بعضها موازيا لبعض على خط واحد وهو الخط الذي يخرج من أبصارنا الى الفلك المحيط

وأما مايقال ان الجسم لاينفـك من المكان فليس ذلك الا من أجل ان الكواكب والافلاك لما كان بعضها محيطاً ببعض قيل للمحيط انه مكان المحاط به.

وقد بينا اختلاف العلماء في ماهية الزمان والمكان في رسالة الهيولى

وأما ماقيل من ان الجسم لاينفك من الزمان فليس ذلك من حد الجسم ولكن

من أجل الحركة وذلك أن الزمان ليس شيء سوى حركة الفلك بالتكرار في دورانه كما بينا في رسالة الهيولى

فاما ما قيل ان الجسم لاينفك من ان يكون مظلماً أو نيراً فليس هذه قسمة صحيحة ولكن يقال ان بعض الاجسام مظلم وبعضها نير وبعضها لا مضيء ولامظلم ولكن مشف وذلك ان المظلم من الاجسام مايكون له والنير الذي لاظل له والمشف هو الذي يقبل الضوء تارة والظلمة تارة

ثم اعلم انه ليس في العالم من الاجسام ماله ظل غير الارض والقمر حسب ولكن وجه القمر صقيل يرد النور ويقبله ، ووجه الارض غير صقيل يعرف حقيقة ماقلنا أهل الصناعة الناظرون في علم المجسطي

وأما الاجسام النيرة فليس في العالم الا جنسان : الكواكب والنار التي عندنا

وأما النار التي تحت فلك القمر التي تسمى الاثير فليست بنيرة لانها لوكانت نيرة لمنعت عنا ضوء الكواكب كما يمنع ضوء أحد سراجين عن أبصارنا ضوء الاخر اذا كانا على خط واحد وأحدهما خلف الآخر.

وأما الاجسام المشفة فهي الافلاك والنار والهواء والماء وبعض الاجسام الارضية مثل البلور والياقوت والزجاج وما شاكل ذلك .

والجسم المشف الذي ليس له لون طبيعي ، واللون الطبيعي هو ما كان ملازماً للجسم كسواد العين وبياض الثلج وصفرة الزعفران وحمرة العصفر وخضرة النبات.

وأما اللون العرضي فهو كالزرقة التي ترى في الجو وفي عمق الماء القعير وقد جعل الله عز اسمه زرقة الجو وخضرة النبات صلاحا لابصار الحيوان لان هذين اللونين مقويان للابصار وكل الحيوان محتاج فى دائم الاوقات بالنظر الى الجو في مسالكه والى النبات فى طلب معائشه

وأما الحرارة في بعض الاجسام فهي من أجل غليان أجزاء الهيولى وفورانها بالحركة الخفيفة

وأما البرودة فى بعضها فهى من أجل سكون تلك الاجزاء أوجمود ذلك الغليان

وأما الرطوبة في بعض الاجسام فهي من أجل اختلاط الاجزاء المتحركة مع الاجزاء الساكنة .

وأما اليبوسة في بعضها فهي من أجل حركة تلك الاجزاء كلها أو سكونها كلها ، ومن أجل هذا صارت النار حارة يابسة من أجل ان أجزاء الهيولى فيها كلها متحركة ، وصارت الارض باردة يابسة من أجل ان أجزاء الهيولى كلها ساكنة ، وصار الماء والهواء رطبين لان أجزاء الهيولى فيهما بعضها متحرك و بعضها سا كن ، ولكن الاجزاء السا كنة في الماء أ كثر والاجزاء المتحركة في الهواء أ كثر فصار الهواء من أجل هذا حاراً رطباً وصار الماء بارداً رطباً

وأما الثقل والخفة في بعض الأجسام فهو من أجل ان الاجسام الكليات كل واحد له موضع مخصوص ويكون واقفاً فيه لايخرج إلا بقسر قاسر واذا خلى رجع الى مكانه الخاص به ، فان منعه مانع وقع التنازع بينهما ، فان كان النزوع نحو مركز العالم يسمى ثقلا ، وان كان نحو المحيط يسمى خفيفاً . وقد بينا في رسالة السماء والعالم كيفية ذلك

وأما الصلابة في بعض الاجسام ، فمن أجل غلبة البرد واليبس عليه وقد بينا ماهية البرد واليبس في رسالة الكون والفساد

وأما الرخاوة في بعضها فمن أجل غلبة الاجزاء المائية على الاجزاء الارضية

وأما الخشونة في بعض الأجسام فمن أجل أن وضع الاجزاء الذي في ظاهر سطحه متفاوت بعضها مرتفع و بعضها منخفض كالمبرد وما شابهه

وأما كون بعضها أملس فمن أجل وضع تلك الاجزاء في سطح واحد كوجه المرآة وما شاكله . واذ قد فرغنا من ذكر الاجسام وأعراضها المحسوسة الحالة فيها بقول وجيز فلنذكر الآن آلات الحواس الخمس ومواضع مجارى القوى الحساسة فيها الروحانية

﴿ فصل ﴾

فنقول أولا ما الحواس الخمس ، وما القوى الحساسة ، وما الحس ، وما الاحساس ، وما المحسوسات ؟ جواب ذلك

فاعلم أن الحواس هي آلات جسدانية وهي خمس : العين ، والاذن ، واللسان والانف ، واليد . وذلك ان كل واحد منها عضو من الجسد

وأما القوى الحساسة فهي قوى روحانية نفسانية يختص كل منها بعضو من أعضاء الجسد كما بينا بعد هذا الفصل

وأما المحسوسات فالأشياء المدركة بالحواس والمدركة بالحواس هي أعراض حالة في الاجسام الطبيعية مؤثرة في الحواس مغيرة لكيفية مزاجها

والحس هو تغيير مزاج الحواس عن مباشرة المحسوس لها والاحساس هو شعور القوى الحساسية لتغييرات كيفية امزجة الحواس

بيان ذلك أن القوة الباصرة مجراها في العينين وهي مستبطنة الحدقتين في الرطوبة الجلدية ، والقوة السامعة مجراها في الاذنين وهي مستبطنة الصماخين مما يلي البطن المؤخر من الدماغ والقوة الشامة مجراها في المنخرين وهي مستبطنة الخياشيم مما يلي البطن المقدم من الدماغ والقوة الذائقة مجراها الفم وهي مستبطنة في رطوبة اللسان والقوة اللامسة مجراها في عامة سطح بدن الحيوان الرقيق الجلد ولكنها في الانسان أظهر وخاصة في الأنملة كما قيل الانامل حاكمة البدن وهي مستبطنة في الجلدين الذين أحدهما ظاهر البدن والآخر مما يلي

واعلم أن المحسوسات كلها خمسة أجناس منها المدركات بطريق اللمس ، وهي عشرة أنواع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة واللين والصلابة والرخاوة والخفة والثقل

والجنس الثاني المدركات بطريق الذوق التي هي الطعوم وهي تسعة أنواع الحلاوة ، والمرارة ، والملوحة ، والدسومة ، والحموضة ، والحرافة ، والعفوصة ، والعذوبة والقبوضة ،

والجنس الثالث هي الروائح المدركة بطريق الشم . وهي نوعان الطيب والنتن

والجنس الرابع هى الاصوات المدركة بطريق السمع وهي نوعان حيوانية وغير حيوانية . وهذه نوعان طبيعية وآلية . والحيوانية نوعان : منطقية وغير منطقية . والمنطقية نوعان . دالة وغير دالة

والجنس الخامس هى المبصرات المدركات بطريق البصر وهي عشرة أنواع: الانوار ، والظلم ، والالوان والسطوح والاجسام ، نفسها ، وأشكالها ، وأوضاعها وابعادها ، وحركاتها

واذ قد فرغنا من تعديد أجناس المحسوسات بقول وجيز فلنذكر الآن كيفية ادراك القوى الحساسة لمحسوساتها واحداً واحداً ونبتدىء أولا بقوة اللامسة ووصفها لان ادراكها للمحسوسات كان ادراكا جسمانيا ثم نختم بوصف القوة الباصرة لان ادراكها لمحسوساتها كان ادراكا روحانياً

﴿ فصل ﴾

في كيفية ادراك القوة اللامسة للحرارة والبرودة

اولا هو ان مزاج بدن الحيوان فى دائم الاوقات يكون على قدر ما من الحرارات والبرودات فاذا لاقاه جسم آخر فلا يخلو أن يكون ذلك الجسم أشد حرارة من البدن وأشد برودة منه أو مساوياً له فى ذلك فان كان اشد حرارة منه زاد سخونة ما عند ملاقاته إياه وإن كان ابرد منه زاد برودة ما فتحس القوة اللامسة بذلك التغيير والاستحالة فتؤدي خبرها إلى القوة المتخيلة التى مسكنها مقدم الدماغ . وان كان ذلك مساوياً لمزاج البدن في الحرارة والبرودة جميعاً فلا يغير منه شيئاً ولا يؤثر فيه ولا تحس القوى بشيء ولكن لا يخلو ذلك الجسم من ان يكون اخشن من البدن أو ألين منه فتحس القوة بذلك التغيير والاستحالة وان كان مساوياً أيضاً فى هاتين الصفتين فلا يؤثر فيه شيئاً ولا يقع الحس فيه ولكن لا يخلو ذلك الجسم من أن يكون أشد صلابة

من البدن وأشد رخاوة منه فيؤثر فيه فتحس القوة بذلك التغيير وقل مايوجد جسمان يكونان متساويين فى هذه الصفات الستة من الحرارة والبرودة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة

وأما كيفية ادراك هذه القوة والصلابة والرخاوة فهو أن بدن الحيوان متى صدمه جسم آخر فلا يخلو من أن يغمر أحدهما فى الآخر فان وقع التغمير فى ذلك الجسم مثل ما يغمر الاصبع في العجين فتحس القوة بذلك اللين فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة فان وقع التغمير فى البدن مثل ما يغمر الاصبع على الحديد فتحس القوة بالصلابة فتؤدي خبرها الى القوة المتخيلة

وأما كيفية ادراك هذه القوة الخشنة والملاسة فهو كما قلنا ان الاجزاء التى في ظاهر سطوح الاجسام اذا كان وضعها متفاوتاً بعضهامرتفع و بعضها منخفض يكون ذلك جسما خشناً اذا كان صلبا .

واذا كان وضعها كلها في سطح واحد فاذا تلاقيا جسمان أملسان أنطبق السطحان المتماسان أحدهما على الآخر بلا خلل بينهما واذا كانا غير أملسين أو أحدهمافلا ينطبقان لانه يبقى بينهما خال .

وأما بدن الحيوان فاذا لاقاه جسم صلب ردت الاجزاء الناتئة منه بعض أجزاء البدن الى داخله فيصير سطح البدن خشنا فتحس القوة بذلك التغيير فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة واذا لاقاه جسم أملس رد ما كان من أجزاء البدن ثانيا الى داخله فيصير سطح البدن أملس فتحس القوة بذلك التغيير

فهذا الباب يختلف بحسب اختلاف مزاج أعضاء البدن وذلك ان الانسان اذا وضع يده على ثوب فوجده لينا ثم مسحه على خده وجده خشنا لان خد الانسان أبداً ألين لمسا من يده في أكثر الاوقات

وكذلك لو مسح يده على مسح فوجده خشنا ثم مسحه برجله لوجده لينا لان الرجل أخشن من اليد .

وكذلك اذا دخل الانسان الحمام وهو مقرور وجد البيت الاول حاراًواذا

خرج من البيت الحار وجده بارداً لان المزاج قد تغير به أفلا ترى أن وجدان القوة اللامسة محسوساتها بحسب اختلاف مزاج البدن من الحر والبرد والخشونة واللين والصلابة والرخاوة وبحسب اختلاف احوال المحسوس لان القوة مختلفة في ذاتها وجوهرها .

وأما كيفية ادراك هذه القوة : الرطوبة واليبوسة فهو ان البدن اذا لاقاه جسم يابس تنشف رطوبة البدن ونداوته فتحس القوة بذلك التغير واذا لاقاه جسم رطب زاده رطوبة ونداوة .

وأما كيفية ادراك هذه القوة للثقل والخفة فهو عند الدفع والجذب والحمل تحس بها وقد يختلف الثقيل والخفيف بحسب قوة البدن فان من الحيوان مايحمل مثل وزن بدنه اضعافا كالنمل.

ومن الحيوان مالا يقدر ان يحمل غير وزن بدنه . وقد بينا في الرسالة التي ذكرنا فيها خواص الحيوانات الغرض والعلة في ذلك .

فصل

وأما كيفية ادراك الذائقة لمحسوساتها التي هي الطعوم حسب ، وهي تسعة أنواع أولها الحلاوة الملائمة لمزاج اللسان ، والثاني المرارة المنافرة لمزاج اللسان والثالث الملوحة والرابع الدسومة ، والخامس الحموضة ، والسادس الحرافة ، والسابع العفوصة ، والثامن العذوبة ،والتاسع القبوضة

فاذا كما هو أن تتصل رطوبة هذه الطعوم برطوبة اللسان فتمتزجان فيعتبر مزاج اللسان بحسب ذلك الطعم ان كان حلواً فحلواً وان كان مراً فمراً وان كان حامضاً فحامضاً وغيرها من الطعوم فيحس بذلك وليس الحس شيء أكثر من أن يصير مزاج الحاس مثل المحسوس بالكيفية حسب ،والاحساس ليس شيء أكثر من شعور النفس بتغيير تلك الامزجة

وأما كيفية ادراك القوة الشامة لمحسوساتها التي هي الروائح وهي نوعان

طيب ، ومنتن ، فهو ان الاجسام ذوات الروائح يتحلل منها في دائم الاوقات بخارات لطيفة تمتزج مع الهواء مزاجا روحانيا ويصير الهواء مثلها في الكيفية ان كان طيبا فطيبا وان منتنا فمنتنا .

فالحيوان الذى له رئة يستنشق الهواء دائما لترويح الحرارة الغريزيةالتى فى القلب فيدخل ذلك الهواء في منخريه ويبلغ الى خياشيمه فيصير ذلك الهواء الذي هناك أيضا مثلها في الكيفية فتحس القوة الشامة بذلك التغير فتؤدي خبرها الى القوة المتخيلة فان كانت الرائحة طيبة استلذتها الطبيعةوان كانت منتنة كرهتها ونفرت منها.

وقد تختلف فى مشام الحيوانات الروائح فى اللذة والكراهية اختلاف التضادد

وذلك ان من الحيوانات مايستلذ رائحة السماد والجيف مثل الخنازير وبنات وردان والذباب وما شاكلها ومنها ما يكره الرائحة الطيبة .

وذلك ان الخنفساء اذا دفنت في الورد غشى عليها حتى لاتتحرك فاذا أراد المريد أن تعيش ردت الى السماد فعاشت وتحركت

ومن الناس أيضا من بهذا الوصف مثل السمادين والكناسين فانه يحكى ان كناسا جاز فى سوق العطارين فغشي عليه حتى ظنوا انه قدمات فمر عليه طبيب فرآه وعرف حاله وسبب غشيته فأمر باتيان رجيع يابس فأمر بدقه وسعط فعطس من ساعته وأفاق .

ومن المرضى من هو أيضاً بهذا الوصف مثل مايغلب الصفراء عليه فانه يتأذى برائحة المسك ويستلذ رائحة الطين وهذا الاختلاف يكون بحسب مزاج الابدان وبحسب الخلط الغالب عليه

وهذه الثلاث القوى التى تقدم وصفها تدرك محسوساتها ادراكا جسمانياً بالمماسة

وأما القوة السامعة والقوة الباصرة فانهما يدركان محسوساتهما ادراكا روحانياً قطعاً .

﴿ فصل ﴾

في ادراك القوة السامعة

أما ادراك القوة السامعة لمحسوساتها التي هي الاصوات فاعلم ان الاصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية وهي نوعان طبيعية وآلية فالطبيعية الحجر والحديد والخشب والرعد والريح وسائر الاجسام التي لاروح فيها من الجامدات ، والآلية كصوت الطبل والبوق والزمر والاوتار وما اشاكلها وهو هواء يتقلب بين جسمين متصادمين بعنف فيصك الهواء الراكد في آلة السمع وتحته أنواع كثيرة

والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات الغير الناطقة، والمنطقية هي أصوات الناس وهي نوعان دالة وغير دالة فغير الدالة كالضحك والبكاء وبالجملة كل صوت لاهجاء له والدالة هي كالكلام والاقاويل التي لها هجاء وهي تقطيع الصياح بانضمام أجزاء الفم فتحدث منه حروف كما تضم الشفتين بنوع ما فتحدث الباء وتضم بنوع آخر فتحدث الميم وكل هذه الاصوات انما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجسام وذلك ان الهواء لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الاجسام كلها فاذا صادم جسم جسما انسل ذلك الهواء من بينهما بحمية وتدافع وتموج الى جميع الجهات فحدث من حركته شكل كروي واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها أو الماء الساكن اذا القى فيه حجر فيتزاحم الماء حتى يبلغ الى أطراف الغدير وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه الى أن يسكن ويضمحل فمن كان حاضراً من الناس وسائر الحيوانات التي لها أذن بالقرب من ذلك المكان تموج ذلك الهواء الذي هناك فحست عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة والتغيير

واعلم ان كل صوت له نغمة وصيغة وهيئة روحانية خلاف صوت الآخر وان الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل الصوت بهيئة وصيغة

ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض فتفسد هيأتها الى أن يبلغها أقصى مدى غاياتها عند القوة السامعة لتؤديها الى القوة المتخيلة ذلك تقدير العزيز العليم الذي جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاما تشكرون

﴿ فصل ﴾

في ادراك القوة الباصرة

أما كيفية ادراك القوة الباصرة لمحسوساتها التى هي عشرة أنواع : أولها الانوار والظلمة والالوان والسطوح والاجسام أنفسها وأشكالها وأبعادها وحركاتها وسكونها وأوضاعها ، فالمدرك من هذه الانواع بالحقيقة والذات النور والظلمة حسب ، الا ان الظلمة شيء يرى ولا يرى بها شيء آخر والنور هو الذي يرى ويرى به شيء آخر

أولها الالوان ولما كانت الالوان لاتوجد الا في سطوح الاجسام صارت السطوح مرئية بها ولما كانت السطوح أيضاً لاتوجد الا فى الاجسام صارت مرئية بتوسط سطوحها ، ولما كانت الاجسام أيضاً لاتخلو من الاشكال والاوضاع والابعاد والحركات صارت هذه كلها مرئية بالعرض لا بالذات

ثم اعلم ان النور والظلمة لونان روحانيان وان السواد والبياض لونان جسمانيان وان النور مشاكل للبياض وان الظلمة مشاكلة للسواد وذلك ان البياض يلوح على سائر الالوان كما ان في النور ترى سائر المرئيات وعلى السواد لاتتبين الالوان وفي الظلمة لايرى شيء

ثم اعلم ان النور والظلمة يسريان في الاجسام المشفة كسريان الروح فى الجسد وينسلان منها بلا زمان ولكن الضوء اذا سرى في الاجسام المشفة حمل معه ألوان الاجسام وأوصافها التى تقدم ذكرها حملا روحانياً وحفظها بهيأتها حتى لايختلط بعضها ببعض فيفسد هيأتها كما حمل الهواء الاصوات بهيأتها كما وصفنا

قبل حتى يبلغها الى أقصى مدى غاياتها عند القوة الباصرة المستنبطة في الرطوبة الجليدية التى فى الحدقتين

ثم اعلم ان الحدقتين هما من أحد الاجسام المشفة وهما مرآتا الجسد وذلك انهما رطوبتان مغطاتان بغشائين شفافين وهما غشاء القرنية ويعرف هذا الاصل من كان خبيراً بصناعة الطب فاذا سرى الضوء في الاجسام المشفة وحمل معه ألوان الاجسام الحاضرة واتصل بحدقتى الحيوان الحاضرة هناك وسرى فيهما كسريانه في سائر الاجسام المشفة انطبعت الجليدية بتلك الالوان كما ينطبع الهواء بالضياء فعند ذلك تحس القوة الباصرة بذلك التغيير فتؤدي خبره الى القوة المتخيلة كما تؤدي سائر القوى الحساسة أخبار محسوساتها . ومن يتعجب من وصفنا كيفية حمل الالوان أشكال الاجسام حملا روحانياً وكيفية حمل الهواء الاصوات أيضاً مثل ذلك فلاينبغي أن ينكرها من أجل انه لايتصورها فان حمل القوى الحساسة صور المحسوسات أعجب وأشد روحانية وقد بينا ذلك فى رسالة العقل والمعقول وكيفيتها .

وقد ظن كثير من أهل العلم ان ادراك البصر المبصرات انما يكون بشعاعين يخرجان من العينين وينفذان فى الهواء وفى الاجسام المشفة ويدركان هذه المبصرات وهذا ظن من لارياضة له بالامور الروحانية ولابالامور الطبيعية ولو ارتاض فيها لبان له صحة ماقلنا ووصفنا

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم أن هذه القوة الحساسة ليست هي من أجزاء النفس كما أن الحواس كل واحد منها عضو من الجسد وجزء منه ولكن كل واحد منها هي النفس بعينها وانما وقعت عليها هذه الاسماء المختلفة من أجل اختلاف أفعالها وذلك أنها اذا فعلت الابصار سميت الباصرة واذا فعلت الاسماع سميت السامعة واذا فعلت الذوق سميت الذائقة

وهكذا اذا فعلت فى الجسم النمو سميت النامية . واذا فعلت في الجسم الحس والحركة سميت حيوانية . واذا فعلت الفكر والتمييز سميت ناطقة

وعلى هذا القياس سائر الاسماء التى يقع عليها بحسب اختلاف افعالها واختلاف افعالها بحسب اختلاف أعضاء الجسد كما أن اختلاف أفعال الصناع يكون بحسب اختلاف أدواتهم فان النجار ينحت بالفأس وينشر بالمنشار . وكذلك الحداد يطرق بالمطرقة ويبرد بالمبرد . وعلى هذا المثال سائر الصناع تختلف افعالهم فى صنائعهم بحسب اختلاف أدواتهم

فهكذا تختلف أفعال النفس في الجسد بحسب اختلاف أعضائه لأن أعضاء الجسد للنفس بمنزلة أدوات الصانع .

﴿ فصل ﴾

فى كيفية وصول آثار المحسوسات الى القوة المتخيلة التى مجراها مقدم الدماغ حسب ما تبين هاهنا

فنقول أنه ينتشر من مقدم الدماغ عصبات لطيفة لينة تتصل بأصول الحواس وتتفرق هناك وتنسج فى أجزاء جرم الدماغ كنسج العنكبوت . فاذا باشرت كيفية المحسوسات من أجزاء الحواس وتغير مزاج الحواس عندها وغيرتها عن كيفياتها وصل ذلك التغيير فى تلك الاعصاب التى فى مقدم الدماغ والتى منشؤها من هناك كلها فتجتمع آثار المحسوسات كلها عند القوة المتخيلة كما تجتمع رسائل أصحاب الاخبار عند صاحب الخريطة فيوصل تلك الرسائل كلها الى حضرة الملك ثم ان الملك يقرؤها ويفهم معانيها ثم يسلمها الى خازنه ليحفظها فيحفظها الى وقت الحاجة اليها

فهكذا حكم القوة المتخيلة اذا اجتمعت عندها آثار هذه المحسوسات التى أدت اليها القوة الحساسة دفعتها الى القوة المفكرة التى مسكنها وسط الدماغ لتنظر فيها وترى في معانيها وتعرف حقائقها ومضارها ومنافعها ثم تؤديها الى القوة الحافظة لتحفظها الى وقت التذكار

فصل

في بيان المحسوسات بعضها بالذات وبعضها بالعرض

فنقول : اعلم ان الانسان اذا رأى ثمرة من بعيد يعلم من وقته انها حلوة أو مرة أو طيبة الرائحة أو منتنة أو انها خشنة أو لينة أو صلبة رخوة أو حارة أو باردة أو رطبة أو يابسة وليس علمه بهذه الصفات كلها بطريق البصر ولكن بالقوة المفكرة وبرؤيتها وتجاربها وما جرت لها به العادة .

وكذلك اذا أخطأ في حكم شيء من هذه فليس الخطأ من قبل الباصرة ولكن من قبل المفكرة اذا حكمت من غير روية ولا اعتبار .

مثال ذلك اذا رآى انسان السراب فظن انه الماء فليست الباصرة هي المخطئة ولكن المفكرة حكمت بان ذلك المتلون يناله اللمس والذوق وهو جسم سيال رطب فلما جاءه لم يجده بهذا الوصف فبان خطؤها فسبيل المفكرة اذا أدت اليها المتخيلة أثر حاسة واحدة الا تحكم أو تستخبر حاسة أخرى فان شهدت لها حكمت عند ذلك بانها كيت وكيت .

مثال ذلك اذا رأت الباصرة تفاحة معمولة من الكافور مصبوغة كلون التفاح فاوردت خبرها الى المتخيلة فاوردتها هي الى المفكرة فليس سبيلها أن تحكم أن طعمها ورائحتها وملمسها مثل التفاحة التي هي الثمرة أو تستخبر قوة الذائقة والشامة واللامسة .

فاذا اخبرت كل واحدة منها بما لها أن تخبر به حكمت عند ذلك المفكرة بانها كيت وكيت حتى يكون حكمها صوابا لا خطأ فيه .

ثم اعلم أن من أجل هذه العلة منعت القوة الناطقة بان تعبر على السنة الاطفال حكم شيء من معاني المحسوسات لان المفكرة بعد لم تحكم معانيها ولم يميزها تمييزاً صحيحاً ، فاذا مضت سنون التربية ودفع القمر التدبير الى عطارد صاحب المنطق والتمييز أطلق لسان المولود بالعبارة والبيان عن معاني المحسوسات التي أدت الحاسة الى المفكرة

﴿ فصل ﴾

فى ماهية اللذة والألم والتعب والراحة وكيفية ادراك الحواس

فنقول : اعلم ان الحيوانات فى دائم الاوقات لا تخلو من اللذة والألم والتعب والراحة لأن ابدان الحيوانات مركبة من مزاج الامهات الاربعة وهى الاخلاط الاربعة وهي متضادات الطباع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهى كلها في التغير والاستحالة بين الزيادة والنقصان وهما يخرجان المزاج تارة من الاعتدال الى الزيادة فى أحد الاخلاط والطباع أوالى النقصان فى واحد منها واللذة هى رجوع المزاج الى الاعتدال بعد ما كانت خارجة عنه

فمن أجل هذا لا يحس الحيوان باللذة الا بعد ما يتقدمها ألم .

واعلم ان كل محسوس يخرج المزاج من الاعتدال فان الحاسة تكرهه وتتألم منه وكل محسوس يرد المزاج الى الاعتدال فأن الحاسة تحبه وتلتذ به

ثم اعلم ان الراحة هى الثبات على الصحة والاعتدال وان التعب هو التردد بين الالم واللذة .

ثم اعلم أن من نظر في هذه الرسالة وتفكر فيما وصفنا من كيفية أحوال هذه الحواس والمحسوسات تبين له بان المحسوسات كلها أعراض جسمانية وهي صور في الهيولى وان ادراك النفس لها بقواها الخمس الحساسة بطريق الحواس

وان الحواس هي آلات جسدانية وان الحس انما هو تغيير مزاج تلك الحواس عن مباشرة المحسوسات لها وان الاحساس انما هو شعور القوى الحساسة بتغييرات تلك الامزجة

﴿ فصل ﴾

في ذكر القوى الخمس الروحانية

فنقول اعلم وفقك الله ان للنفس الانسانية خمس قوى أخر روحانية سيرتها غير سيرة الخمس الحساسة الجسمانية وهي القوة المتخيلة والمفكرة والحافظة

والناطقة والصانعة وذلك بادراكها رسوم المعلومات ادراكا روحانيا من غير هيولاها .

فأما الحساسة فلا تدرك محسوساتها الا فى الهيولى كما بينا قبل

وأيضاً فان هذه القوى الروحانية تتناول رسوم المعلومات بعضها من بعض على غير سيرة الحساسة ، وذلك ان القوى الحساسة كل واحدة منها مختصة بادراك جنس من المحسوسات كما بينا وذلك ان الباصرة لاتدرك الاصوات ولا الطعوم ولا الروائح ولا الملموسات الا الالوان

وكذلك السامعة لاتدرك الالوان ولا الطعوم ولا الروائح ولا الملموسات ولا الاصوات ، وهكذا الشامة والذائقة واللامسة كل واحدة لا تشارك غيرها فى محسوساتها.

وأماالقوى الحس الروحانية فانها كالمتعاونات في ادراكها رسوم المعلومات وذلك ان القوة المتخيلة اذا تناولت رسوم المحسوسات كلها وقبلتها في ذاتها كما يقبل الشمع نقش الفص فان من شأنها أن تناولها كلها الى القوة المفكرة من ساعتها ، فاذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم مصورة صورة روحانية في ذاتها كما يبقى نقش الفص فى الشمع المختوم مصوراً بصور روحانية مجردة عن هيولاها فيكون عند ذلك لها كالهيولى وهى فيها كالصورة

ثم ان من شأن القوة المفكرة أن تنظر الى ذاتها وتراها معاينة وتتروى فيها وتميزها وتبحث عن خواصها ومنافعها ومضارها ثم تؤديها الى القوة الحافظة لتحفظها الى وقت التذكار

ثم ان من شأن القوة الناطقة التى مجراها على اللسان اذا أرادت الاخبار عنها والانباء عن معانيها والجواب للسائلين عن معلوماتها القت لها الفاظاً من حروف المعجم وجعلتها كالسمات لتلك المعاني التى في ذاتها وعبرت عنها للقوة السامعة من الحاضرين

ولما كانت الاصوات لا تمكث في الهواء الا ريثما تأخذ المسامع حظها ثم تضمحل احتالت الحكمة الالهية بان قيدت معاني تلك الالفاظ بصناعة الكتابة ثم ان من شأن القوة الصانعة أن تصوغ لها من الخطوط الاشكال بالاقلام وتودعها وجوه الالواح وبطون الطوامير ليبقى العلم مفيداً فائدة من الماضين للغابرين وأثراً من الاولين للآخرين وخطابا من الحاضرين للغائبين وهذه من جسيم نعم الله عز وجل على الانسان كما ذكر جل ثناؤه فقال:

« اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »

فصل

في العلة التى من أجلها صار علم الانسان بالمعلومات من ثلاثة طرق

فنقول انه لما كان الانسان من جملة مجموعة بدن جسماني ونفس روحانية صار بنفسه الروحانية يدرك العلم كما انه بجسده الجسماني يعمل الصانع .

ولما كانت النفس في الرتبة الوسطى من الموجودات كما بينا في رسالة المبادى وذلك ان من الاشياء ماهو أعلى وأشرف من جوهر النفس كالباري تعالى والعقل والصور المجردة من الهيولي الذين هم ملائكة الله المقربين

ومنها ماهو أدون من جوهر النفس كالهيولى والطبيعة والاجسام أجمع فصارت معرفة النفس بالاشياء التى دونها في الشرف بطريق الحواس التى هي المباشرة والمماسة والمخالطة والاحاطة .

وأما ما كان أشرف منها وأعلى فصارت معرفتها لها بطريق البرهان الذي يضطر العقول الى الاقرار به من غير احاطة ولا مباشرة وصارت معرفتها بذاتها وجوهرها بطريق العقل لان نسبة العقل الى النفس كنسبة الضوء من البصر وكنسبة المرآة الى الناظر فيها فكما ان البصر لايرى شيئاً من الاشياء الا بالضوء كالانسان لا يرى وجهه الا بالمرآة والنظر فيها ، كذلك النفس لاتنظر ذاتها الا بنور العقل ولا تعرف حقائق الموجودات الا بالنظر الى العقل.

وانما يتسنى للنفس النظر الى العقل بعين البصيرة اذا هي انفتحت وانما تنفتح لها عين البصيرة اذا هي انتبهت من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ونظرت بعين الرأس الى هذه المحسوسات وفكرت في معانيها واعتبرت احوالها حتى تعرفها حق معرفتها .

فمن أجل هذا قدمنا رسالة الحاس والمحسوس على رسالة العقل والمعقول فاعتبر يا أخي هذه الامور التي وصفنا وتفكر في معانيها وحقائقها تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتنفتح عين البصيرة فتعاين في ذاتها صور الاشياء وتبين في جوهرها معاني الموجودات لانها معادن العلوم كلها ومأوى الحكمة كما قال الحكيم الفاضل ان العلوم كلها في النفس بالقوة فاذا فكرت في ذاتها وعرفتها صارت العلوم كلها فيها بالفعل .

تمت رسالة الحاس والمحسوس ويتلوها رسالة مسقط النطفة والحمد لله على جزيل عطائه وصلواته على خير انبيائه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين والعترة الطاهرة من أبنائه وسلم تسليما .



الرسالة الحادية عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في مسقط النطفة

﴿ وهي الرسالة الخامسة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾



الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . آلله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الحكمة الالهية دبرت والعناية الربانيـة قدرت مكث كل واحد وكل حادث في الكون زماناً معلوماً وهو مقدار ماتفيض الاشكال الفلكية قواها كل واحدة بحسب قبول أشخاص ذلك النوع من الكائنات التي تحت فلك القمر لايعلم تفصيلها الا الله عز وجل ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلا على الباقي

من ذلك مكث الانسان في الرحم من يوم مسقط النطفة الى يوم خروج الجنين يوم الولادة ثمانية أشهر ٢٤٠ يوماً الذي هو المكث الطبيعي وأما الذي يزيد على هذا المقدار وينقص عنه فلعلل وأسباب يطول شرحها ونريد أن نذكر تأثيرات الكواكب السبعة في النطفة وفي الجنين واحداً واحداً وشهراً شهراً ليكون قياساً على سائر المواليد من الحيوانات والحوادث والكائنات وقبل

ذلك نحتاج أن نذكر أحوال الكواكب السبعة ذكراً مجملا إذ كانت هي العلل الموجبة لاختلاف أحوال الكائنات

واعلم يا أخي بأن كل كوكب فله في فلكه ، أعني فلك تدويره ، أربعة أحوال ومن الشمس أربعة أحوال ولفلك تدويره في فلك الحامل أربعة أحوال وفي فلك البروج أربعة أحوال فتلك ستة عشر حالا جنسية فاذا ضربت في مثلها كانت مائتين وستة وخمسين حالا نوعية فاذا ضربت ذلك في ثلاثمائة وستين درجة كانت اثنين وتسعين الفاً ومائة وستين حالا شخصية

فأما تفصيل أحوال الكواكب في أفلاك تداويرها فهي أن تكون صاعدة الى ذراوتها أو هابطة من هناك أو راجعة أو مستقيمة واما أحوالها من الشمس فهي أن تكون مقارنة لها أو مقابلة لها أو مشرقة منها أو مغربة

وأما أحوال أفلاك التداوير في الافلاك الحاملة فهي أن تكون مراكزها في الأوج أو في الحضيض أو صاعدة من الحضيض الى الاوج أو هابطة من الاوج الى الحضيض

وأما فلك البروج فهي أن تكون ذاهبة من الهبوط الى الشرف أو من الشرف الى الهبوط أو تكون في البروج الشمالية أو الجنوبية أو في المعوجة أو في المستقيمة أو يكون عرضها وميلها في الجنوب أو في الشمال أو يكون عرضها في الجنوب وميلها في الشمال أو عكس ذلك وكل هذه الاحوال تختلف تأثيراتها في الكائنات بحسب الازمان والاماكن والاجناس والانواع اختلافاً كثيراً لا يحصى عدده الا الله عز وجل ولكن نذكر طرفاً منه

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن جميع الكائنات التي تحت فلك القمر ثلاثة أجناس وهي الحيوانات والنبات والمعادن وهي الاصول المحفوظة في الهيولى صورتها

وأما الانواع فهي أقسامها المتفرعة منها وأما الاشخاص فهي أعيانها التي هي دائمة في الكون والفساد والسيلان وأما هيولاها فهي الاركان الاربعة التي

هي النار والهواء والماء والارض . وأما الصانع الفاعل لها فهي النفس الكلية الفلكية السارية في محيط الافلاك باذن خالقها وبارئها ومصورها . وأما الكواكب فهي كالادوات للصانع ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ فصل ﴾

في كيفية اعتبار أفعال الطبيعة في الاركان الاربعة وتأثيرات النفوس وفي المولدات الكائنات تحت فلك القمر

اعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأنك اذا دخلت أسواق المدن ونظرت بعيني رأسك الى الصناع البشريين ورأيتهم كيف يعملون صنائعهم في الهيولى الموضوعة لهم كما بينا في رسالة الصنائع العملية فينبغي أن تنظر عند ذلك الى القوى الطبيعية التي هي نفوس جزئية منبثة من النفس الكلية الفلكية السارية في الاركان التي هي لها كالهيولى الموضوعة والى أشخاص الحيوان والنبات والمعادن التي هي مصنوعاتها والى الكواكب التي هي كالادوات لها فلعلك تبصر بنور عقلك وترى بصفاء جوهر نفسك القوى الروحانية السارية في هذه الاجسام وتعاين كيفية افعالها فيها وبها ومنها فتعرف عند ذلك نفسك لانها واحدة منها

واعلم بأن مثل الاركان الاربعة التي هي الامهات في جوف الفلك كاللبن في الوعاء وحركات الكواكب من محيط الافلاك كالمخض به والكائنات عنها كالزبدة المجتمعة من لطائفها

ثم اعلم انه اذا تمخضت الاركان من تحريك الاشخاص الفلكية لها واجتمع من لطائف زبدتها شيء وشخص وامتاز عن البسائط ربطت به في الوقت والساعة قوة من قوى النفس الكلية الفلكية في أي مكان كان ذلك الشيء من البر والبحر والهواء والنار في اي وقت كان من الزمان وتشخص تلك القوة وتمتاز عن سائر القوي لتعلقها بتلك الزبدة واختصاصها بتلك الجملة فعند ذلك تسمى تلك القوة نفساً جزئية وعند ذلك تقع الاشارة الى تلك الجملة لانها حادث كائن حيواناً كان او نباتا او معدنا

واعلم يا أخي أنه لا بد من أن يكون ذلك الوقت وتلك الساعة درجة طالعة من أفق المشرق من الفلك على أفق تلك البقعة التي حدثت تلك الزبدة هناك ويكون شكل الفلك ومواضع الكواكب على هيئة ما يصور من أصحاب الاحكام في زائجات المواليد والتحاويل والمسائل فعند ذلك يضاف الى تلك القوة قوى روحيات سائر الكواكب وتجذب معها تلك الزبدة المواد المشاكلة لها ويكون قبولها بحسب ما في طباع اشخاص أنواع ذلك الجنس من الافعال والاخلاق والخواص حيوانا كان أو نباتاً أو معدناً

أمثال ذلك انه اذا جرت نطفة الانسان التي هي زبدة دم الرجال واجتمعت في الاحليل عند حركة الجماع بعد ما كانت منبثة في أجزاء الدم متفرقة في خلل البدن وخرجت من الاحليل وانصبت في الرحم واستقرت هناك ربطت بها في الوقت والساعة قوى من قوى النفس النباتية السارية في جميع الاجسام النامية التي هي أيضاً قوة من قوى النفس الطبيعية السارية في جميع الاركان الاربعة والتي هي أيضاً قوة منبثة من النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الأجسام الموجودة في العالم كما بينا في رسالة معنى قول الحكماء ان الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي أن للنفس النباتية سبع قوى فعالة وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة وان أول فعلها عند استقرار النطفة في الرحم هو جذبها دم الطمث الى الرحم وامساكها لها هناك وهضمها

ثم اعلم يا أخي بانه اذا جذبت هذه القوة الدم الى هناك أخفته حول النطفة وأدارته عليها كما يدور بياض البيض حول محها فيكون عند ذلك حول النطفة كالمحة ودم الطمث حولها كالبياض ثم ان حرارة النطفة تسخن رطوبة الدم فتنضجها فتسخن وتنعقد تلك الرطوبة فتصير علقة كما ينعقد اللبن الحليب من

الأنفحة وتستولى عند ذلك على تلك الجملة قوى روحانيات زحل وتبقى في تدبيرآتها بمشاركة قوى روحانيات سائر الكواكب شهراً واحداً ثلاثين يوماً سبع مائة وعشرين ساعة كما ذكر ذلك في كتب أحكام النجوم بشرح طويل ونريد أن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دستوراً لما أن نتكلم فيما بعد

واعلم يا أخي بأن ابتداء تدبير النطفة انما صار لزحل من أجل انه أعلى الكواكب السيارة فلكا مما يلي فلك الكواكب الذي هو مكان الجواهر الشريفة ومنصب القوى الروحانية ومعدن النفس القدسية ومستقر الارواح الخيرة ومبدأ القوى العقلية والملائكة العلامة المفكرة والاجرام النيرة الشفافة ومن هناك تنزل الملائكة بالوحي والتأييد والانباء والخير والبركات والى هناك يصعد بالاعمال الصالحة واليه يعرج بارواح المؤمنين وأنفس الاخيار من عباده الصالحين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا كما بينا في رسالة البعث والقيامة

فانتبه يا أخي من نوم الغفلة ورقدة الجهالة واستعد للرحلة من هذه الدار وتزود فان خير الزاد التقوى فلعل نفسك توفق الى الصعود الى هناك فتجازى باحسن الجزاء لان من هناك ورودها الى هذا العالم والى هناك يكون مرجعها ومستقرها كما بينا في رسالة الادوار والاكوان

ثم اعلم يا أخي بأنه ما دام التدبير لزحل الى تمام شهر ثلاثين يوماً فان تلك العلقة تكون باقية بحالها غير مختلطة ولا ممتزجة بل جامدة متمسكة جارية اليها المواد لغلبة برد زحل وسكونه وثقل طبيعته الى أن يدخل الشهر الثاني ويصير التدبير للمشترى الذي فلكه يتلو فلك زحل وتستولى عليها قوى روحانيته فيولد عند ذلك في تلك العلقة حرارة وتسخن ويعتدل مزاجها ويختلط الماءآن ويمتزج الخلطان ويعرض لتلك الجملة حركة مثل الاختلاج والارتعاش والهضم والنضج فلا تزال هذا حالها ما دامت في تدبير المشترى الى تمام شهرين ثم يدخل الشهر الثالث ويصير التدبير للمريخ الذي يلي المشتري في الفلك وتستولى على تلك العلقة

قوى روحانيته ويشتد اختلاجها وارتعاشها ويتولد فيها فضل حرارة وسخونة وتصير تلك العلقة مضغة حمراء فلا تزال تتقلب حالا بعد حال من النضج والاستحكام بمشاركة قوى روحانيات سائر الكواكب للمريخ الى تمام ثلاثة أشهر ثم يدخل الشهر الرابع ويصير التدبير للشمس رئيسة الكواكب وملكة الفلك وقلب العالم باذن الباري جل ثناؤه

﴿ فصل ﴾

في كيفية حال الجنين في الشهر الرابع

واعلم يا أخي بأنه اذا دخل الشهر الرابع من مسقط النطفة وصار التدبير للشمس واستولت على المضغة قوى روحانياتها نفخت فيها روح الحياة وسرت فيها النفس الحيوانية وذلك لأن الشمس هي رئيسة الكواكب في الفلك ونفسها هي روح العالم بأسره وهي المستولية على الكائنات التي دون فلك القمر وخاصة على مواليد الحيوانات ذوي الرحم وأشد اختصاصاً بمواليد الانس وذلك ان جرمها فى العالم بمنزلة جرم القلب في البدن وسائر أجرام الكواكب والافلاك بمنزلة أعضاء البدن ومفاصل الجسد وسريان قوى روحانياتها فى العالم كسريان الحرارة الغريزة المنبثة من القلب السارية فى أعضاء البدن

وأما سائر قوى روحانيات الكواكب فهي لها كالجنود والأعوان والخدم كل ذلك باذن الباري جل ثناؤه وذلك تقدير العزيز العليم فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم اعلم يا أخي أنها بمسيرها في حدود الكواكب في البروج وشدة اشراق نورها وسريان قوى روحانياتها تحط من الفلك الى عالم الكون والفساد الذي تحت فلك القمر من قوى روحانيات الكواكب والافلاك والبروج في كل يوم ساعة في درجة ودقيقة ألواناً من التدبير والتأثير غير ما في يوم آخر وساعة أخرى لا يبلغ فهم البشر كنه معرفته ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون قياساً على

ما قلناه ودليلا على ما أوضحناه ووصفناه وذلك انه اذا سقطت نطفة في الرحم فلا بد أن تكون الشمس في درجة من برج من الابراج فاذا بلغت بمسيرها أربعة أشهر من مسقط النطفة الى آخر البرج الرابع وقد قطعت من الفلك ثلث الدور وهو من المسافة بمقدار ما بين شرفها الى بيتها تكون قد استوفت طبائع البروج النارية والترابية والهوائية والمائية

وعند ذلك تكون قد اختلطت الطبائع من الاركان الاربعة في تركيب بنية الجنين واعتدل المزاج وانتقشت الصورة وأنشأت الخلقة وظهرت أشكال العظام وركبت المفاصل وتهندم التركيب والتفت الاعصاب على المفاصل وامتدت العروق في خلل اللحم وظهرت البنية مخلقة غير مخلقة

فصل

في كيفية الجنين في الشهر الخامس

اعلم يا أخي بأنه اذا دخل الشهر الخامس وسارت الشمس الى البرج الخامس المسمى بيت الولد الموافق طبيعته للبرج الذي كان فيه يوم مسقط النطفة وصار التدبير للزهرة الساعد الاصغر وصاحبة النقش والتصاوير واستولى على المخلقة قوى روحانياتها استتمت الخلقة واستكملت البنية وظهرت صورة الاعضاء واستبان رسم العينين وانشق المنخران وانفتح الفم وثقب الاذنين ومجرى السبيلين وتميزت المفاصل ولكن الجنين يكون مجموعاً منظما منقبضا كأنه مصرور في صرة ركبتاه مجموعتان الى صدره ومرفقاه منضمان الى حقويه وهو منكس رأسه على دفته وعلى ركبتيه وكفاه على خديه وهو شبه نائم محزون

فلو رأيته يا أخي لرحمته لضيق مكانه وضعف أحواله ولكنه لا يحس بما هو فيه رفقا من الله تعالى بخلقه ولطفا بهم وتكون سرته متصلة بسرة أمه تمتص الغذاء منها الى يوم الولادة ويكون وجهه ان كان ذكراً مما يلي ظهر أمه وان كان أنثى فعكس ذلك

فانظر يا أخي في هذا الفصل وتفكر فيما ذكرنا فلعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فترى بعين قلبك هذا الصانع الحكيم كما رأيت بعيني رأسك مصنوعاته ولا تتبع سبيل الذين لا يعلمون

واعلم يا أخي بأن كثيراً من الحيوانات تتوالد فى هذه المدة المذكورة مثل الغنم والظبا وبعض السباع وكل حيوان لا يحتمل الحمل والكد

ومنها ما يتأخر ولادتها الى تمام ستة أشهر وتسعة أو عشرة او اثنى عشر لاغراض أخرى قد بيناها فى رسالة الحيوان ونحن نذكر فى فصل آخر من هذه الرسالة ما الغرض فى تأخير ولادة الانسان الى تمام ثمانية أشهر ومكث الجنين فى الرحم الى الشهر التاسع

﴿ فصل ﴾
فى كيفية حال الجنين فى الشهر السادس

ثم اعلم أنه عند دخول الشهر السادس يصير التدبير لعطارد وتستولى عليه قوى روحانياته فيتحرك عند ذلك الجنين فى الرحم ويركض برجليه ويمد يديه ويبسط جوارحه ويضطرب ويحس بمكانه ويفتح فاه ويحرك شفتيه ويتنفس من منخريه ويدير لسانه فى فيه فيكون تارة متحركا وتارة يسكن وتارة ينام وتارة يستيقظ فلا يزال ذلك دأبه الى أن يتم الشهر السادس ويدخل الشهر السابع ويصير التدبير للقمر وتستولى عليه قوى روحانياته فيربو لحم الجنين حينئذ وتسمن جثته وتنتصب قامته وتشتد أعضاؤه وتصلب مفاصله وتقوى حركته ويحس بضيق مكانه ويطلب التنقل والخروج فان قدر له ذلك بما يوجب أحكام النجوم بأسباب يطول شرحها وخروجها على المجرى الطبيعي وكان الجنين كاملا عاش وتربى وعمر وان بقى هناك الى ان يدخل الشهر الثامن وتدخل الشمس بيت الموت ويرجع التدبير الى زحل من الرأس فتستولى عليه قوى روحانياته عرض للجنين ثقل وسكون وغلب عليه البرد والنوم وقلة الحركة فان ولد في هذا

الشهر كان بطيء النشوء ثقيل الحركة قليل العمر وربما كان ميتاً واذا دخل الشهر التاسع وانتقلت الشمس الى البرج التاسع بيت النقلة والاسفار ورجع التدبير الى المشترى السعد الاكبر واستولت عليه قوى روحانياته واعتدل المزاج وقويت روح الحياة ظهرت أفعال النفس الحيوانية في الجسد لأن الشمس تكون قد استوفت طبائع البروج المثلثات النارية والمائية والهوائية والترابية مرتين في الثمانية الاشهر .

وقد سارت الشمس في فلك البروج مائتين وأربعين درجة وهذه المسافة مقدار ما بين بيتها الى شرفها التاسع من بيتها المتفقين في طبيعة واحدة وتكون أيضاً فى هذه المدة قد قبلت طبيعة الجنين قوى روحانيات الكواكب المنحطة من الفلك مرتين بمسير الشمس في البروج المثلثات مرة الى البرج الخامس ومرة الى البرج التاسع كما تقدم ذكرها ويبقى مرة أخرى كما تبين بعد هذا الفصل ويكون الذي يبقى للشمس الى أن تعود الى الدرجة التى كانت فيها وقت مسقط النطفة أربعة أبراج ومائة وعشرين درجة الى تمام الدور

فاذا خرج الجنين بعد ثمانية أشهر استأنف العمر فى الدنيا لكل درجة سنة الذي هو العمر الطبيعي وهو المقدار الذي بقي للشمس الى أن تعود الى الدرجة التى كانت فيها يوم مسقط النطفة ليستوفى الانسان طبائع البروج مرة ثالثة حتى يتم ويكمل

وأما الذي يزيد وينقص عن هذا المقدار فلاسباب وعلل يطول شرحها وهي مذكورة فى كتاب أحكام النجوم ومكث الاجنة وأعمار المواليد وقد ذكرنا طرفا من ذلك فى رسالة العلل والمعلولات ولكن نذكر من ذلك طرفاً ليكون دليلا على ما وصفنا

واعلم يا أخي بان الكائنات التى تحت فلك القمر تبتديء من أنقص الحالات وأدونها مترقية الى أتمها وأفضلها ويكون ذلك فى مر الزمان والاوقات لان طبيعتها

لا تقبل فيض أشخاص فلكية دفعة واحدة ولكن شيئاً بعد شيء على التدريج كما يقبل المتعلم الذكي من الاستاذ الحاذق

واعلم بأن فيضات الكواكب من محيط الافلاك متصلة نحو مركز الارض في دائم الاوقات ولكنها مفننة الالوان متغايرة الاشكال وذلك بحسب مواضعها من أفلاكها وموازاتها من فلك البروج وحدودها كما نبين بعد هذا الفصل

واعلم يا أخي بأن الحكمة الالهية والعناية الربانية قد جعلت لكل كائن من الموجودات تحت فلك القمر مقداراً من الوجود والبقاء معلوماً مقدراً أو يكون ذلك بمقدار دور شخص من الاشخاص الفلكية كما بينا طرفا منه في رسالة ماهية الطبيعة ولكن نذكر من ذلك أيضا هاهنا مثالا واحداً من الاشخاص الانسانية وذلك ان نطفة الانسان اذا سقطت في الرحم فان مكثها الطبيعي الى أن تقبل صورة الانسانية أربعة أشهر بمقدار ما تسير الشمس أربعة أبراج مائة وعشرين درجة وتستوفي بمسيرها طبائع البروج المثلثات مرة واحدة فعند ذلك يبقى الجنين الى يوم الولادة اربعة أشهر أخر وهو مقدار ما تسير الشمس أربعة أبراج مائة وعشرين درجة وتستوفي بمسيرها طبائع البروج المثلثات مرة أخرى وبذلك يبقى لها أن تعود الى الدرجة التي كانت فيها يوم مسقط النطفة مائة وعشرين درجة فيستوفي المولود العمر الطبيعي في الدنيا مائة وعشرون سنة لكل درجة بقيت للشمس سنة

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن أفعال الكواكب وتأثيرات قوى روحانياتها في الاربعة الاشهر الاول تكون مصروفة الى تأسيس بنية الجسد وتكوين أعضائه المختلفة وسريان قوى النفس النباتية وذلك ان لكل عضو من الجسد مثل القلب والكبد والدماغ والمعدة والرئة والطحال والامعاء والعروق والاعصاب والعظام والعضلات والمخ والجلد وما شاكلها خلقة خلاف ما لعضو آخر ولكل خلقة تركيب ولتركيبه أخلاط ولتلك الاخلاط أمزجة

ولتلك الامزجة طبائع مختلفة فى الكمية وفى الكيفية من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة خلاف ما للآخر كما ذكر ذلك في كتاب التشريح بتطويل وكما ذكرنا ذلك في كتاب طبائع الاغذية ودرجات قواها وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى رسالة النبات والنفس النباتية في كل عضو فعل طبيعي خلاف ما في عضو آخر كما بينا فى رسالة نشوء الانفس الجزئية

فصل

اعلم يا أخي ان بنية الجسد وتركيب أعضائه يتم في هذه الاربعة الاشهر لان الشمس التى هي روح العالم في هذه المدة بمسيرها في أربعة أبراج المثلثات تكون قد حطت طبائع تلك الابراج من محيط الافلاك الى عالم الكون والفساد الذي دون فلك القمر وتكون قد سرت قوي روحانيات الكواكب التى فوق الارض في بنية الجسد وركزت في مراكزها كما بينا في رسالة أفعال الروحانيات وعلة أخرى أيضاً ان في هذه الاربعة الاشهر تكون قد اجتمعت من مادة بنية الجسد ما تحتاج اليه الطبيعة الفاعلة وذلك يوم مسقط النطفة اذ تكون تلك المادة هناك مجتمعة لان الطبيعة كانت تدفعها الى خارج البدن في أيام الحيض فاذا استقرت النطفة في الرحم جذبت عند ذلك تلك المادة الى نفسها كما تجذب نار السراج الدهن بالفتيلة الى نفسها وكما يجذب حجر المغناطيس الحديد الى نفسه فاذا حصل ذلك الدم حف حول النطفة كما يحف بياض البيضة حول محها ثم ان حرارة النطفة تسخن ذلك الدم وتجمده كما تفعل الانفحة باللبن الحليب وهو أول فعل يكون من قوى روحانيات زحل في النطفة لان من خاصة أفعاله امساك الصورة في الهيولى والسكون والثبات

وأما تأثيرات الكواكب من البروج في الاربعة الاشهر الثانية فتكون مصروفة الى تتميم بنية الجسد واحكام خلقة الاعضاء لكيما تسري فيها قوى النفس الحيوانية ويمكنها اظهار أفعالها

وذلك ان الشمس فى هذه المدة بمسيرها فى الابراج المثلثات الأخر تحط تلك القوى مرة اخرى فاذا تمت البنية واستحكمت الخلقة سرت فيها قوى النفس الحيوانية ونقلت تلك الجملة من الرحم الى فسحة هذا العالم واستوفت به تدبيراً آخر أربع سنين لكيما تكمل البنية وتستحكم الصورة ويمكن أن تسري فيها القوى الناطقة وتظهر أفعالها فيها وذلك ان تلك القوات الروحانية تصرف تأثيراتها وأفعالها الى تربية المولود وأحكام ادراك الحواس محسوساتها ثم ترد النفس الناطقة وينطلق لسان المولود بالعبارة عن معاني تلك المحسوسات وتمييزها

فصل

واعلم يا أخي انه لايمكن أن تفعل هذه الكواكب هذه الافعال والتأثيرات فى شهرين ولاثلاثة الى ماهى عليه الآن كما بينا ونضرب لذلك مثلا محسوسا من مصنوعات البشر كيما يتصور مصنوعات الطبيعة

ذلك ان البناء اذا أراد بناء دارفانه يصرف أولا همته وأفعاله مدة ما فى تأسيس البناء ورفع الحيطان وإقامة الاعمدة وعقد الابراج وتسقيف البيوت ليتبين أولا رسم الدار ويتمم البيوت والممرات والمجالس وهذه مدة تكوين الدار وايجادها ثم يصرف عنايته وتدبيره بعد ذلك في تتميمها من تعليق الابواب والشبابيك ونصب البازير وتزيين السطوح وتجصيص الحيطان وتزويق السقوف والنقوش وماشا كلها من التتميم ثم يبقى بعد ذلك كمال الدار وهو أن تفرش وتعلق الستور وتملأ الخزائن من الاموال والاثاث ويسكنها رب الدار ويتمتع الى حين

فهكذا يجري يا أخي أمر تركيب جسد الانسان واقتران النفس معه من يوم مسقط النطفة وتعلق النفس بها الى يوم يموت الجسد وهو أن تفارق النفس الجسد ويدفن في التراب وهذه المدة هى بمقدار دور واحد من أدوار تلك الاشخاص الفلكية كما بينا في رسالة الادوار والاكوان

فلا ينبغي لك يا أخي أن تتوهم أو تظن ان هذه الكواكب والافلاك والبروج التي ذكرنا أفعالها وتأثيراتها في تركيب الجسد الانساني هي آلات وأدوات للباري جل ثناؤه يخلق بها الانسان بل انما هي آلات وأدوات للنفس الكلية الفلكية وهذه النفس هي عبد مطيع للباري تعالى فقد أيدها بالعقل الكلي الذي هو ملك من ملائكته المقربين « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن في الارض » كما ذكر في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله ، وستعلم يا أخي حقيقة هذه الأسرار والمرامي اذا انتبهت لنفسك من نوم الغفلة واستيقظت من رقدة الجهالة وارتفعت في المعارف الربانية وارتضت في العلوم الالهية اذا بعثت يوم القيامة وشاهدت ملكوت رب العالمين ووقفت على جبل الاعراف مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً

وإذ قد فرغنا من ذكر تأثير الكواكب في النطفة مجملا فنريد أن نذكر طرفاً من تأثيراتها في كل شهر وتردادها في أفعالها اذا كان بعضها في بيوت بعض وحدودها

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه بأن للاشخاص الفلكية الموجودات التي تحت فلك القمر من الحيوان والنبات والمعادن وفي كل جنس منها تأثيرات مختلفة بحسب قبول كل نوع منها ولكل نوع من تلك الاجناس تأثيرات مفننة بحسب أماكنها المختلفة ولها في كل شخص من أشخاص تلك الانواع تأثيرات متباينة بحسب قبولها في أزمان مختلفة في طول أعمارها لا يشبه بعضها بعضاً ولا يبلغ فهم البشر كنه معرفتها ولا يعلمها الا الله تعالى ولكن نذكر منها مثالا واحداً ليكون قياساً على الباقية ونجعل المثال من شخص انسان واحد ونذكر فنون تأثيراتها فيه من يوم تسقط النطفة الى يوم الولادة مدة تسعة أشهر ذكراً مجملا إذ كان شرحها يطول ثم نذكر فصلا آخر في فنون تأثيراتها فيه من يوم

الولادة الى يوم يموت وهو آخر العمر الطبيعي سنة سنة بقول وجيز ليكون قياساً على سائر المواليد من الكائنات تحت فلك القمر فنقول :

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن تأثيرات الكواكب تختلف في الكائنات من جهات شتى تارة منها من جهة اختلاف أحوالها فى أفلاكها من الصعود الى أوجاتها أو من جهة النزول من هناك الى الحضيض وتارة من جهة العرض والميل في الجنوب والشمال وتارة من جهة نسبتها الى الشمس من التشريق والتغريب والرجوع والاستقامة والوقوف وتارة من جهة كونها في موازنة بعضها ببعض وتارة من جهة اختلاف مسامتها لبقاع الارض وانحرافاتها منها في الاوتاد ومايليها أو مايزول عنها وتارة من جهة اختلاف الشتاء والصيف والربيع والخريف والليل والنهار وساعاتهما وأوائل الشهور وأواخرها وماشا كل ذلك يعرف اختلاف هذه الاحوال أهل المجسطي

وأما اختلاف تأثيراتها فى هذه الاحوال فيعرفها أصحاب الاحكام الذين يتكلمون على أحكام المواليد .

وأما معرفة كيفية وصول قوى الاشخاص الفلكية الى هذه الاشخاص السفلية فيعلمها الربانيون الناظرون في علم النفس وقد بينا طرفاً منها فى رسالة أفعال الروحانيات

﴿ فصل ﴾

في كيفية تأثيرات الكواكب

واعلم يا أخي ان هذه الاشخاص الفلكية لما كانت موضوعة بعضها من بعض على النسبة الموسيقية من ثلاثة أنواع أحدها نسبة اعظام بعضها عند بعض والآخر نسبة أبعاد مراكزها بعضها من بعض ومن الاركان الاربعة وكذلك الثالث نسبة حركاتها في سرعة وإبطاء فمن أجل ذلك إذا عرضت لها تلك الحالات المختلفة التى تقدم ذكرها فى الفصل الاول اختلفت مناسباتها فعند ذلك تختلف

تأثيراتها فى الكائنات بحسب اختلاف النسبة كما تختلف أصوات الموسيقى ونغماتها عند طول الأوتار وقصرها ودقتها وغلظها وسرعة حركات المضراب وابطائها فتختلف عند ذلك تأثيراتها فى نفوس المستمعين بحسب اختلاف طبائعهم وآرائهم وأخلاقهم كما بينا طرفاً من ذلك فى رسالة الموسيقى

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الموجودات التى دون فلك القمر كلها موضوعة لقبول تأثيرات الكواكب ولكن لما كانت جواهرها مختلفة اختلف قبول تأثيراتها وهي كثيرة الانواع لا يحصى عددها إلا الله جل ثناؤه ولكن يجمعها كلها جنسان جواهر جسمانية وجواهر روحانية فالجسمانية هي أجسام الاركان الاربعة ومولداتها الكائنات منها من المعادن والنبات والحيوان والجواهر الحيوانية هي نفوس الحيوانات أجمع .

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخى بأن فنون تأثيرات الكواكب فى هذه الاجسام كثيرة لا يحصى عددها الا الله عز وجل وقد ذكرنا طرفاً منها فى رسالة الطبيعة وطرفاً فى رسالة الآثار العلوية وطرفا فى رسالة الحيوانات وطرفا فى رسالة الاكوان والادوار ونريد أن نذكر فى هذه الرسالة طرفا من تأثيراتها مما يخص الانسان أما فى مزاج بنية جسده أو فى طبع أخلاق نفسه كيف تكون تلك التأثيرات ولأي علة تختلف أخلاق النفوس وطباعها فانها من أعجب تأثيرات الكواكب وأشرف أفعالها وأدق أسرارها وألطف دلالاتها ونريد أن نشرح طرفا منها ليتضح ماقلنا ويفهم ماوصفنا ولكن نحتاج أولا أن نذكر خواص طباعها وأعراض وحداتها ثم نذكر كيفية تأثيراتها وعجائب دلالاتها فنقول :

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن كل كوكب في الفلك فان البارى قد جعله لامر ولغرض أقصى فزحل هو كوكب الثبات والوقوف خلقه الله جل

ثناؤه لتنبث من جرمه القوى الروحانية فتسري فى الموجودات لامساك الصور فى الهيولى وثباتها وبقائها ودوامها ولولاوجودزحل وكونه في الفلك لماتماسكت صورة في الهيولى وثبتت خلقة في مادة طرفة عين إلا سالت وذابت واضمحلت يعرف صحة ماقلنا وحقيقة ماوصفنا العلماء الراسخون في علم الهيئات العارفون بحقائق الموجودات وكيفية نظام العالم وماهية أسرار الخلقة

واعلم يا أخي بأن زحل دليل الشهر الاول من مسقط النطفة كما وصفنا قبل فاذا كان سليم المناحس والاحوال المذمومة سلمت تلك النطفة من الآفات العارضة باذن الله تعالى وهكذا حكم الحامل لتلك النطفة فاذا كان بخلاف ذلك كان بالعكس

مثال ذلك انه متى كان زحل صاعداً فى فلكه مستقيما في سيره في حد نفسه من البرج والدرجة فان تلك النطفة تكون مرتفعة الى أعلا بطنها خفيف عليها حملها سليمة من الاوجاع والاعلال

وان كان في حد المشترى كانت فرحانة بحملها حسنة الظن بربها مستقيمة السلامة والتمام

وان كان فى حد المريخ تكون نشيطة فى أعمالها مستعجلة فى أمورها وان كان فى حد الزهرة تكون المرأة مسرورة بحملها مستبشرة بولادتها وان كان في حد عطارد فانها تكون عارفة بوقت حملها حاسبة لايام شهورها

وان كان زحل هابطاً فى فلكه راجعاً فى سيره مذموماً فى أحواله كان الامر بخلاف ماوصفنا ثم يدخل الشهر الثاني فيصير التدبير للمشترى باذن الله عز وجل وهو كوكب الاعتدال وعلة صحة المزاج في الكائنات وسبب النظام والترتيب في الموجودات وهو دليل العقل في الانسان والفهم والتمييز والعلم والروية والفقه والدين والورع والتقى والعدل والانصاف والعفة والزهد وماشا كل هذه من الخصال المحمودة فى الدين

وبالجملة كل خصلة يحتاج اليها صاحب الناموس فى وضعه الشريعة واجرائه

السنة فى الملة ومايحتاج اليه أتباعه وأنصاره من الخلفاء والأئمة والعلماء والفقهاء والقضاة والعباد والزهاد وبالجملة كل من يخدم فى الناموس ويعاون فيه من ولاة الامور وحكام الدين والشريعة

فاذا كان المشترى صاعداً في فلكه مستقيما في سيره محموداً في أحواله انعجن فى تلك المادة المجتمعة في الرحم وانطبع في ذلك المزاج وانغرس فى تلك الجملة قبول هذه الخصال المقدم ذكرها ان قدر الله لها التمام والكمال

فان كان المشتري في حد نفسه من البروج والدرجة تكون تلك الخصال كلها وأحوالها مصروفة بهمة نفسه الى أمور الدين والشريعة واحكام الناموس وتكون نفسه ملهمة من ربها أو بملك من الملائكة فيتكلم بالحكمة شبه النبوة ويدعو الناس الى الله والى الدار الآخرة .

وان كان المشترى في حد زحل يكون المولود بعيد الغور غائص العلم يأتي بالعلامة والمعجزات .

وان كان في حد المريخ يكون ذلك بالقهر والقوة والغلبة والجلادة

وان كان فى حد الزهرة يكون دعاءه للناس بالرفق واللين والموعظة الحسنة.

وان كان فى حد عطارد يكون ذلك الكلام والحجاج والخصومة والجدال وتكون هذه الخصال كلها أو اكثرها حقاً وصواباً ومقبولة جارية على السداد متى كان المشتري مقبولا من رب بيته ومثلثته ومن يشاركه من الكواكب في تقاسيم أوقاته

فان كان المشترى غير مقبول في موضعه من ارباب حظوظه يكون ذلك وأكثره بحيل وعكس وتمويه ومخاريق ويعرف صدق ماقلنا وصحة ماذكرنا أصحاب احكام النجوم والراسخون في العلم منهم

وان كان المشترى في الشهر الثانى هابطاً في فلكه أو راجعاً فى مسيره مذموماً فى احواله فان المولود يكون بطىء الذهن قليل الفهم بليداً لا يفكر في شيء من

الامور الا مايرى ويسمع أو يباشره بحواسه مثل البهيمة لا تعرف الا الاكل والشرب والنكاح أو يتعلق بأمر المعاش فى الحياة الدنيا ويكون عن أمر الاخرة من الغافلين الا مايعلم ويلقن تقليداً وإيماناً وتسليما

ثم يدخل الشهر الثالث ويصير التدبير للمريخ وهو ينبوع الحرارة والاسخان والنضج فى الكائنات وهو دليل الشجاعة والجسارة والصلابة والبسالة والتشمير والأنفة والحمية وما شاكلها من الخصال والاخلاق والطباع مما يحتاج اليه قادة الجيوش وأصحاب الحروب ومن يتبعهم ويخدمهم ويباشرهم

فان كان المريخ صاعدا فى فلكه مستقيما في سيره محمودا في أحواله انعجن في تلك المادة وانطبع فى ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة التهيؤ والقبول لهذه الخصال ان قدر الله لها التمام والكمال

فان كان المريخ فى حد نفسه من البرج والدرجة تكون تلك الخصال والاخلاق مصروفة أو أكثرها بهمة نفسه الى القتال والحروب والمبارزة ومباشرة الاقران وطلب الغلبة بالقهر والأنفة من الانقياد للغير والاذعان له.

وان كان المريخ فى حد زحل اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت تلك الخصال المريخية من صاحبها بالتثبت والاناة والصبر والتوقف وقلة العجلة مع الحقد والغضب والمكر والحيلة والانفة من العار والفرار .

وان كان المريخ في حد المشترى اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت أفعال تلك القوى والاخلاق والخصال بعقل وروية ومعرفة بعواقب الاقدام وطلب العدل والانصاف والكف عن الغدر والظلم .

وان كان المريخ في حد الزهرة اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما ويكون ذلك الامر سبب الشهوات وعشرة النساء والحرم والحمية والافتخار والخيلاء والمباهات والتعرض للتلف

وان كان المريخ فى حد عطارد اختلط مزاجهما واتحدت قوتاهما وظهرت

تلك الخصال بدهاء وأدب وفطنة ومراوغة وحقد وسرعة حركة واصابة الحيلة
وان كان المريخ هابطاً في فلكه أو راجعاً فى سيره أو منحوساً في احواله كان ذلك المولود جباناً مهاباً ذليل النفس صغير الهمة محتملا للذل والهوان كالنساء والصبيان

ثم يدخل الشهر الرابع ويصير التدبير للشمس باذن الله تعالى التى هي النير الاعظم قلب الفلك وينبوع النور وفائض الضياء والاشراق ومقر روح العالم المنبثة من جرمها قوى النفس الكلية الفلكية السارية في الموجودات وهي أجمع دليل للملك والرياسة فى الانسان وكبر النفس وعلو الهمة والعز والسلطان والعظمة والجلال والقوة والشدة والتدبير والسياسة

وبالجملة كل خصلة وخلق يحتاج اليها الملوك والرؤساء واتباعهم في تدبيرهم وسياستهم فاذا كانت صاعدة في فلكها أو كانت فى بيتها أو شرفها أو أوجها برية من المناحس والاحوال المزمومة انعجن في تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس فى طبع تلك الجملة ان قدر الله لها بالتمام والكمال محبة الرياسة وكبر النفس وعلو الهمة

وان كان في حد زحل من البرج والدرجة وامتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما كان المولود كبير النفس قوى البنية عالى الهمة رابط الجأش شديد العزيمة صابرا في الاعمال بعيد الغور متمسكا بما يملك حافظاً لما يعلم ثابت الرأي حازماً فى الامور وما شا كل ذلك من الاخلاق والطباع والخصال .

وان كانت فى حد المشترى وامتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما كان المولود ان قدر الله التمام والكمال متهيء النفس لقبول خصال الملك والنبوة جميعاً وهي فضائل الانسانية والاخلاق الملكية والمعارف الربانية والعلوم الالهية

وان اتفق مولوده لبرج القران أو بطابع القران أو باحد أوتاد لها عند استئناف أحد الادوار كان ذلك المولود النبي المبعوث فى ذلك الدور والامام للناس في ذلك الزمان.

فأما كيفية مبعثه وآياته ومعجزاته وكتابه بأي لغة يكون والى أي أمة يبعث من الناس وكيف أحكام شريعته ومفروضات سنته وسيرة أمته وتصرف أحوالهم فيحتاج الى شرح طويل وهو مذكور أو أكثره في كتب القرانات وأدوار الألوف.

فان كانت الشمس في حد المريخ امتزجت طبيعتاهما واتحدت قوتاهما وصار طبع المولود وأخلاق نفسه ممتزجة من طبيعتهما متهيئة لقبول تأثيراتهما في أيام حياته وطول عمره

وعلى هذا القياس اذا كانت في حد الزهرة وعطارد امتزجت طباعهما واتحدت قواهما وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراتهما وأخلاقه مركبة وممتزجة من طباعهما وتأثيراتهما مما يطول شرحه.

وبعضها مذكور في كتب أحكام التحاويل ويعرف صحة ماقلناو حقيقة ماذكرنا الناظرون في تلك الكتب والباحثون عن هذا العلم

وان كانت الشمس على خلاف ما وصفنا من صلاح أحوالها في الفلك أو كانت على النسبة الأدون كان المولود صغير النفس والهمة قليل القبول للفضائل الانسانية والاخلاق الملكية والمعارف الربانية والعلوم الالهية والهمم الربوبية.

ثم يدخل الشهر الخامس ويصير التدبير للزهرة دليل النقش والتصاوير والشكل والدل ، والغنج ، والتيه ، والحسن ، والزينة ، والجمال ، والبهجة ، والعيش ، والطبيعة ، والشهوات ، واللذة ، والسرور ، والغبطة.

وبالجملة كل خصلة وفضيلة تريد الحياة والبقاء وطول العمر ومن أجلها في الدنيا والآخرة جميعاً

فان كانت الزهرة صاعدة في فلكها مستقيمة في مسيرها محمودة في أحوالها انعجن في تلك المادة باذن الله وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجبلة محبة هذه الخصال وشهوتها في غاية ونهاية.

فان كانت في وجهها من البرج كانت صورة الجسد بيضاء درية اللون مشوبة

بحمرة أو صفرة فيه جعدة الشعر وغنجة ، جميل المنظر حسن العينين حلو المنظر صحيح الوجه والعين سوادها أكثر من البياض مكلثم الوجه صغير الحاجبين مدور الرأس حسن العنق دقيق الشفتين كثير لحم الخدين قصير الاصابع غليظ الساقين ربع القامة دقيق البشرة أكحل وأشهل

وان كانت في حدها أيضاً كان المولود مقبول الجملة خفيف الروح حسن الاخلاق جيد الطبع حسن العشرة جيد المعاملة

وان كانت فى وجه زحل من البرج والدرجة كانت صورة الجسد غليظ الشفتين ضخم العينين جعد الشعر مختلف الاسنان مشقق الرجلين قوي البنية هيوب المنظر احدى عينيه خلاف الاخرى بالصغر أو بالكبر أو اللون أو الحركة أو الشكل وان تكن الزهرة أيضاً في حد زحل من البرج والدرجة يكون المولود شديد العشق والمحبة ثابت المودة ذا وفاء وعهد وأمانة قليل الغدر والخيانة ضابطاً لنفسه صبوراً

وان كان فى وجه المشتري من البرج والدرجة فان بنية الجسد تكون معتدلة المزاج متناسبة الاعضاء ويكون حلو الشمائل أبيض اللون الى السمرة عظيم العينين الحدقة أدكن الشعر كث اللحية حسن الهيئة نأتي الوجنتين غليظ الارنبة معتدل اللحم والقد والقامة نظيف البشرة متهلل الوجه

وان كانت أيضاً في حد المشترى من البرج والدرجة وامتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما كان المولود خيرا بالطبع حسن الاخلاق محمود الخصال عادل السيرة حسن العشرة متصفاً في المعاملة صادقا فى المودة ورعا أديباً صحيح الاعتقاد مستقيم المذهب مثل أخلاق الملائكة

فان كانت الزهرة هابطة فى فلكها أو راجعة في مسيرها أو مختلفة أحوالها نقصت سعادته لأسباب يطول شرحها مذكورة في كتب الأحكام والمواليد والتحاويل .

ثم يدخل الشهر السادس ويصير التدبير لعطارد صاحب العلوم والمعارف

والحس والشعور والآداب والحكم والحركات والصنائع والنطق والبيان والكلام والفصاحة والتمييز والفطنة والقرأة والنغمة والرياضات والحكمة وهو أخو المشترى الصغير . كما أن الزهرة أخت المريخ ، والقمر أخو زحل ، والشمس أبوهم

فان كان عطارد صاعداً في فلكه مستقيما في مسيره صالحاً في أحواله انعجن فى تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس فى تلك الجبلة قبول العلوم والمعارف والنظر والبيان

فان كان عطارد في حده من البرج والدرجة تصير نفس ذلك المولود باذن الله سبحانه ذكية وقلبه حيا وذهنه صافياً وفهمه حاداً وخاطره سريعاً ومعارفه دقيقة وعلومه بديعة وبيانه فصيحاً

فان كان في حد زحل امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وكان المولود ان قدر الله له بالتمام والكمال دقيق النظر فى العلوم بعيد الغور فى البحث غائص الفكر فى المعارف ثقيل اللسان فى البيان عسر العبارة عما في نفسه من المعاني

وان كان عطارد فى حد المشترى صارت همة نفس المولود باذن الله سبحانه فى علم الدين وكلامه وأقاويله أكثرها فى أمر الورع وأحكام الشرع ومواعظ الناموس ووصف العدل وبيان الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر المعاد ووصف أحوال الآخرة والمنقلب بعد الموت عند فراق النفس الجسد الذي هو الغرض الاقصى في رباط الانفس الجزئية بالاجساد البشرية كما بينا في رسالة البعث والقيامة

وان كان عطارد فى حد المريخ امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراته وتكون همة نفسه أكثرها فى الكلام في الخصومات والجدل ووصف الحروب ويكون لسنا متكلما عجولا فى خطابه سريعاً في جوابه كثير الزلل والخطأ سريع المراجعة وربما كان شاعراً أوخطيباً أوقاضياً أو مناظراً أو مجادلا

وان كان عطارد في حد الزهرة امتزجت طبيعتها واتحدت قوتها وصارت نفس المولود متهيئة لقبول تأثيراتهما وتكون أكثر همة نفسه الكلام في وصف محاسن أمور الدنيا ونعت شهواتها ووصف لذاتها بالاشعار والغناء والالحان والنغمات والايقاعات الموزونة والحركات المنتظمة.

وان كان عطارد هابطا في فلكه راجعاً في مسيره أو مذموما في أحواله كان المولود سكيتاً أو أخرس أو بليداً أو معتوها.

ثم يدخل الشهر السابع وينتهي مسير الشمس الى البرج السابع المقابل لموضعها الذي كان عند مسقط النطفة ويصير التدبير للقمر النير الاصغر نظير الشمس في المنظر، المخالف في المخبر، المتوسط بين العالمين الآخذ من طبايع الكواكب فيضها من العالم العلوى الفائض المؤدي تلك الفيضات والخيرات الى العالم السفلى.

فان كان القمر عند ذلك صاعدا في فلكه زائدا في نوره سريعاً في مسيره بريا من المناحس انعجن في تلك المادة وانطبع في ذلك المزاج وانغرس في تلك الجملة ذلك الفيضان الذى يؤديه القمر من هناك الى هذا العالم وصارت نفس المولود متهيئة لقبول سائر تأثيرات الكواكب بحسب الحال التى عليها القمر من الخمسة والعشرين حالا المذكورة في كتاب مدخل النجوم .

وان كان القمر في منزلته أو شرفه أو في أوجه أو في ميله أو وجهه كان المولود ان قدر الله عز وجل بالتمام والكمال مسعودا في أكثر أحواله محمودا في أكثر أموره في الدنيا والآخرة جميعاً .

وان كان القمر في حد عطارد امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتاهما وكان المولود ممزوج الطبائع مختلفها متفنن الشمائل متلون الاخلاق متنقلا في الآراء والمذاهب متداخلا في الامور المشاكلة متشابكا في الامور الدنيوية قليل الثبات فيها سريع التغير عنها كثير التنقل فيها سهل الانقياد سريع البلوى مواتياً لهوى نفسه متباعدا عن اخوانه

وان كان القمر في حد زحل كانت الامور التي وصفنا بالضد مما ذكرناوكان المولود في أكثر أحواله ثابتاً قليل التغير والتنقل الا بعد عسر وشدة

وان كان القمر في حد الزهرة وكان المولودذكرا امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وكان الظاهر على المولود شمائل الذكور والباطن شمائل الاناث

وان كان المولود انثى كان ظاهرا على شمائله طبائع الانوثة وباطنه طبائع الذكور وان يكن القمر في حد المريخ امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتهما وكان ظاهر المولود عليه شمائل العامية واخلاق نفسه مريخية وظاهر أحواله عامية ومذاهبه مذاهب صيدية

وان كان القمر في المشتري امتزجت طبيعتهما واتحدت قوتاهما وكان المولود في أكثر أحواله معتدلا بين الطرفين متوسطا في الامور الدنيوية والاخروية جميعاً

وان قدر الله سبحانه أن يولد في هذا الشهر عاش وتربى وكانله عمر ، وان بقي الى ان يدخل الشهر الثامن رجع التدبير الى زحل من الرأس ويكون زحل رديء الحال.

وتدخل الشمس البرج الثامن بيت الموت ويغلب على الجنين برد طبيعةزحل وسكونه فان ولد في هذا الشهر كان قليل العمر أو ربما لايتربى ولا يعيش

ثم يدخل التاسع بيت الاسفار والنقلة ويصير التدبير للمشتري من الرأس كما سنبين بعد

﴿ فصل ﴾

قد تبين مماذكرنا ان مكث الجنين في الرحم تسعة أشهر انما هو لكيما تتم البنية وتستكمل الصورة وتفيض عليها قوى الاشخاص الفلكية ولو أمكن تتميمها وتكميلها في يوم واحد لما تركت هناك يومين ولو أمكن في شهرين . وقد يعرف كل عاقل أن من يولد غير تام البنية ولا كامل الصورة لا ينتفع

فى هذه الدنيا ونعيمها ولايتلذذ ولا يتمتع بلذاتها على التمام والكمال ، ولم يزل شقيا منغص العيش مبتلى كالزمنى والمفاليج والناقصى الخلقة الغير تامي الصورة

فهكذا الحكم والقياس في الدار الآخرة بعد الموت وذلك ان الانسان انما يترك في هذه الدنيا مقدار ما يمكنه تتميم أحوال نفسه مع الجسد كما ذكر ذلك في كتب الطبيعة والحكمة وتكمل فضائلها بالكون فى الدنيا كما ذكر في كتب النبوة

فاذا فارقت النفس الجسد عند الموت الذي هو ولادة ثانية انتفعت بالحياة في الدار الآخرة ويمكنها الصعود الى ملكوت السموات كما قال المسيح عليه السلام من لم يولد ولادتين لايلج في ملكوت السماء

وقد أوصى الاطباء بالوالدين وأمروا الحوامل من النساء بالرفق بأنفسهن فى حركاتهن وتصرفاتهن باعتدال وبوسائط بلاإفراط ولاتقصير كيما يسلم الجنين من الآفات العارضة هناك ويخرج الطفل سالماً الى هذه الدنيا ويتربى ويعيش وينتفع بالحياة . وهكذا وصية الانبياء عليهم السلام وواضعي الناموس الذين هم أطباء النفوس للامم المبعوثين اليها فيما فرضوا فى أحكام الدين والشرائع والسنن للناس من اجتناب المحارم والمحرمات والشبهات الممرضة للنفوس المهلكة لها بالانهماك وتجاوز الحد والمقدار فى تناولها من غير وجوهها المحللة لها كل ذلك لكيما تسلم نفوسهم من آفات هذه الدنيا الغدارة المكارة المهلكة لاولادها بعد تربيتها لهم . وكما ان الاشخاص لو ساعدوا الطبيب فيما أمر وبين من جهة مأكولاتهم ومشروباتهم في حالة الصحة والمرض يستفيدون وبمخالفتهم ذلك ينحرف مزاجهم أما الصحيح فالى المرض وأما المريض فالى طول المرض والى الهلاك كذلك ههنا الانبياء هم أطباء النفوس وسبب الهدى وطريق المعاش فمن مال عما أمروا به وانحرف عما وضعوا وبينوا فقد ضل وأضل عن سواء السبيل

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم ان الاستغراق فى الشهوات فى هذه الدنيا ينسى الانسان أمر الآخرة ويشككه وييئسه منها كما قال قائلهم فى هذا المعنى

هي الدنيا وقد وعدوا بأخرى وتسويف الظنون من السوام

وقيل أيضاً في هذا المعنى شعراً

خذوا بنصيب من نعيم ولذة وكل وان طال المدى يتصرم

وقال آخر وقد كان ساهياً من أمر الآخرة

ماجاءنا أحد يخبر انه في جنة من مات أوفي نار

وأشعارهم كثيرة في مثل هذه الظنون والشكوك والحيرة التي وقعوا فيها عقوبة لهم عند ماتركوا وصية ربهم ونصيحة أنبيائهم واتباع علمائهم والحكماء فيما يدعونهم اليه ويرغبون فيه من نعيم الآخرة ويأمرونهم به من الزهد في الدنيا وينهونهم عنه من الغرور بشهواتها وعاجل حلاوتها

فصل

واعلم ان كل مولود تحت فلك القمر في البر كان أو في البحر أو في الهواء أو في التراب أو في الماء في وقت ولادته لابد من أن تكون درجة طالعة من المشرق على أفق تلك البقعة ولابد أيضاً من أن يكون كوكب من السبعة السيارة متولياً على تلك الدرجة الطالعة يسمى النير وهما دليل المولود وما تتصرف به الاحوال وتجري به الامور في مستقبل عمره الى تمام سنة ثم ان السنة الثانية يصير التدبير فيها لدرجة أخرى ممايتلوها بالطلوع والمستولى عليه ثم السنة الثالثة للدرجة الثالثة والمستولي عليها . وعلى هذا القياس يجري الامر الى آخر العمر الطبيعي ويتصرف المولود في الاحوال وتجري به الامور بحسب حالات تلك الدرجات والمستولى عليها من الكواكب مذكور ذلك كله في كتب أحكام المواليد بشرح طويل

فصل

واعلم يا أخي بأن الله جل ثناؤه قد جعل بواجب حكمته لكل نوع من الحيوانات عمراً طبيعياً معلوماً ولأجله وقتاً معلوماً ولعمره أجلاً مقدراً لايتجاوزه

ولا يقصر عنه اذا جرى على الامر الطبيعي لا يعلم تفصيل ذلك إلا الله عز وجل
وأما العمر الطبيعي الذي جعله الله للانسان فمائة وعشرون سنة كما بينا علته قبل هذا الفصل.

وأما الاعمار لبعض الناس الزائدة عن هذا المقدار والناقصة عنه فلأسباب شتى وعلل عدة يطول شرحها ولا يعلم تفصيلها الا الله عز وجل فنريد أن نتكلم عن أحوال الانسان في طول عمره الطبيعي ونصف كيفية مجاري أموره وتصاريف أيامه إذا جرت على الامر الطبيعي مذ يوم ولادته الى تمام خمس وسبعين سنة ومايزيد على ذلك الى تمام مائة وعشرين سنة.

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن لكل مولود من الحيوان أبوين في الفلك كما ان له والدين في الارض أحدهما دليل عمره يسمى كدخداي أي رب البيت والآخر يسمى هيلاج أي ربة البيت فان كانا مسعودين عند ولادته عاش المولود بخير عمراً طويلا وإن كانا منحوسين فبالعكس من ذلك وان كان الكدخداي مسعوداً والهيلاج منحوساً كان المولود طويل العمر فقيراً سيء الحال وان كان الهيلاج مسعوداً والكدخداي منحوساً كان المولود حسن الحال غنيا قصير العمر

فأما علة قصر العمر عن المقدار الطبيعي فهو أن تكون عطية الكدخداي يسيرة فاذا فنيت وبلغت درجة المسير الى مركز النحوس وساعاتها مات المولود فجأة أو باعلال وأمراض وأسباب شتى لا يعلم ذلك إلا الله عز وجل الذي لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي بأنه متفق بين أهل صناعة التنجيم فى أحكام المواليد انه من يوم الولادة الى تمام أربع سنين شمسية يكون الطفل فى تدبير القمر صاحب النمو والزيادة والنشؤ وتشاركه سائر الكواكب في التدبير كل واحد سبع تلك المدة

التي تسمى سني التربية فتتصرف الاحوال بالطفل من التربية والنمو والزيادة والصحة والسلامة والعز والكرامة والاعلال والامراض والبؤس والهوان والذلة والألم بحسب ماتوجب تلك المدبرات في هذه السنين، مذكور شرح ذلك في كتب تحاويل سني المواليد

ثم يصير في تدبير عطارد ثلاث عشرة سنة وهو صاحب النطق والحركة والتعاليم والآداب والتمييز والفهم وتشاركه في التدبير سائر الكواكب كل واحد سبع هذه المدة

وكل ماانتهى التدبير الى واحد منها ظهرت في المولود الاخلاق والافعال المشاكلة لتلك القوى التي انعجنت وامتزجت وانغرست في جبلته في الرحم وهو جنين كما يظهر زهر النبات وحبوبها ونور الشجر وثمارها وروائحها والوانها وطعومها عند بلوغها وتمامها وكمالها ونضجها بحسب ما في طباعها وأشباحها •

ثم يصير المولود في تدبير الزهرة ثماني سنوات وهي صاحبة الحسن والزينة والشهوات واللذة والرغبة في النكاح والحرص على السفاح وتشاركها في التدبير سائر الكواكب كل واحد منها سبع هذه المدة

فيظهر من المولود في هذه المدة الرغبة في التزوج والنكاح وطلب الشهوات والتمتع باللذات ومحبة الزينة والحسن والجمال والحرص على جميع الاموال واتخاذ المنازل والدار والدكان والضيعة والبستان والمباهات والمفاخرة مع الاتراب والاقران باتخاذ الجواري والغلمان والانهماك في الشهوات الى مدة ما

ثم يصير في تدبير الشمس صاحبة العز والرياسة والتدبير والسياسة عشر سنوات .

ويظهر من المولود الكدخدائية في المنزل وتربية الاولاد وتأديب الاهل والجيران ومراعاة أمر الاقرباء والاخوان وطلب العز والسلطان والرفعة والعلو

والشرف في المنزلة وماشا كل ذلك.

وهـذه الخصال والاخـلاق والافعال التى يحتاج اليها الملوك والرؤساء ودهاقنة القرى وساسة الجماعات وتشاركها في التدبير سائر الكواكب كل واحد سبع هذه المدة.

ثم يصير في تدبير المريخ سبع سنوات وهو صاحب الحزم والعزم والشجاعة والمواهب والطلب والعطاء والاقدام والحمية والانصاف والعزة

وبالجملة كل خصلة وخلق وسجية لابد منها لساسة الامور وقادة الجيوش ورعاة الجماعات ومدبري الملك والناموس جميعاً وتشاركه سائر الكواكب في التدبير كل واحد سبع هـذه المدة فتمتزج طبائعها وتتحد قواها وتظهر أفعالها بمشاركة لسائر الكواكب لايعلم تفصيل ذلك الا الله والراسخون فى علم النجوم وقليل ماهم

ثم يصير المولود فى تدبير المشترى اثنتى عشرة سنة وهو صاحب الدين والورع والتوبة والندامة والزهد والعبادة والرجوع الى الله جل ثناؤه بالصوم والصلاة والصدقة والاستغفار وطلب الآخرة والرغبة فيها والتزود للرحلة من هذه الدار الفانية الى دار القرار الباقية . ويشاركه سائر الكواكب كل واحد سبع هذه المدة فتمتزج طبائعها وتتحد قواها وربما ظهرت أفعالها متناقضة من أجل القوى المتضادة

وذلك ان الانسان العاقل ربما حصل في هذه المدة متجاذباً بين أمرين اثنين متضادين وذلك ان الزهرة اذا استوت بدلالتها بشركة المريخ على أحوال المولود دلت له على الرغبة فى الدنيا والحرص على شهواتها ولذاتها فيزيد المريخ قوة ونشاطاً وعطارد لطفاً ورفقاً وحيلة وزحل ثباتا ووقوفاً وصبراً والقمر زيادة ونمواً والشمس عزاً ورفعة وبالضد من هذه كلها . أما المشترى وطباعه اذا استولى على الانسان العاقل بدلالته بشركة زحل على أحوال المولود دل له على الزهد في الدنيا وقلة الرغبة في شهواتها ولذاتها وشدة الرغبة فى الآخرة والحرص

على طلبها ويزيد المريخ قوة ونشاطاً في الطلب ويزيده عطارد لطفاً ورفقاً وحيلة، وتزيده الزهرة رغبة وشهوة واستحسانا وتزيينا ويزيده زحل صبراً في العبادة وثباتاً على التوبة وتزيده الشمس نوراً وهداية وكبر نفس وتسلية وتلطفاً عن الدنيا الدنية ويزيده القمر إتباعا وأعوانا على ماهو عليه

فان اجتهد الانسان وفعل مارسم في الشريعة من لزوم احكامها ومفروضاتها وعمل بما وصف في الفلسفة وصبر عليه مدة ما فعما قليل يخف عليه كلما هو فيه من تجاذب الطبيعتين المتضادتين الى ان يصير التدبير الى زحل بعد احدى عشرة سنة وهو صاحب السكون والهدوء والكسل وجمود نيران الشهوات الجسمانية وذهاب القوى الحيوانية واسترخاء الاعصاب وذبول الآلات الجسدانية ووقوف الحواس عن مباشرة المحسوسات

ثم لا يمكن للنفس اظهار الافعال ولا تناول اللذات فعند ذلك تقل رغبته في هذه الدنيا وينقطع طمعه في المقام في عالم الكون والفساد .

ثم يجيئه الموت الطبيعي على التدريج اذا انطفأت الحرارة الغريزية من البدن وانسلت الروح الحيوانية من الجسد كما ينطفيء السراج ويذهب الضوء اذا فني الدهن واحترقت الفتيلة.

فان كان الانسان قد ارتاض فيما مضى من عمره وتعلم علما من العلوم وأدبا من الآداب أو صناعة من الصنائع أو تدين بمذهب من الآراء أو عمل عملا من الاعمال يهدي به الى طريق الآخرة وأمر المعاد فانه يرجى لتلك النفس أن تهتدي الى الرجوع الى عالمها النفساني ومحلها الروحاني واللحوق بابناء جنسها الذين مضوا قبلها ووصلوا الى هناك وتخلصوا من دركات عالم الكون والفساد وحريق نيران الآلام والأسقام والأمراض والجوع والعطش والبرد والحر والتعب والكد والعناء والفقر ومشقة الأعمال المتعبة والأفعال السمجة القبيحة وحرارة الحرص والرغبة والشهوات المردية والعادات الرديئة والأخلاق الوحشية والجهالات

المتراكمة والأعمال السيئة وما يلحق أهلها من العبادات والمباغضات فيما بينهم ومن حسد الجيران وعداوة الأقران وجور السلطان ووساوس الشيطان ونكبات الزمان ونوائب الحدثان

فان قال قائل من المنكرين لأفعال الكواكب وتأثيراتها في هذه الكائنات أو فكر متعجب في كيفية انطباع تلك القوى في مزاج الجنين وانغراس تلك الطباع في جبلته وكيف يكون ظهور أفعالها بعد الولادة فليعتبر أفعال الدرياقات والمراهم والشربات وكيف تظهر أفعال تلك العقاقير والأدوية مفردة ومركبة بعد جمعها واختلاطها وعجنها وطبخها واتخاذ أجزائها وتأليف قواها وكيف يقصد كل قوة ودواء الى عضو مخصوص ومرض معروف وعلة بعينها فيزيلها ويؤثر فيها باذن الله

أو فليعتبر أصوات الموسيقار ونغمات الألحان كيف تتألف وتتحد ويحملها الهواء الى مسامع الآذان ويبلغها الى صميم الدماغ ويوصل معانيها الى ما في طباع النفوس

ثم كيف يظهر من كل حيوان أو انسان تأثيرات مختلفة من الفرح والسرور والضحك والحزن والبكاء والغم والهم والشجاعة والجبن والسخاء والبخل أو النشاط والحركة أو النوم أو الهدوء والسكون أو تذكار شيء قد أنساه الدهر والتسلي عن مصيبة قريبة العهد وما شا كل هذه التأثيرات في النفوس من استماع أصوات الموسيقار ونغمات الألحان مما لا خفاء فيه على كل عاقل معتبر ، فاذا خفيت على المتفكر كيفية هذه التأثيرات في النفوس ولم يفهمها فلا ينبغي أن ينكر تأثيرات الكواكب في النفوس من أجل أنه لا يفهم معانيها ولا يتصور كيفيتها لأنها أخفى وأدق وألطف من هذه

فصل

واعلم يا أخي ان الله جل ثناؤه قد جعل لكل قاصد غرضاً ما ولغرض كل قاصد نهاية ما وقدر لصاحب كل غرض في قصده طريقة وسطى بين الزيادة

والنقصان فكون الجنين في الرحم زماناً لغرض ما ومكثه ثمانية أشهر طريقة وسطى بين الزيادة والنقصان .

وهكذا أيضا كونه في الدنيا زماناً ما لغرض ما وعمره الطبيعي الذي جعل للانسان هو مائة وعشرون سنة طريقة وسطى بين الزيادة والنقصان فأما الذي يزيد على هذين المقدارين وينقص عنهما فلعلل وأسباب شتى يطول شرحها

ولكن ان كنت تريد أن تعلم انه اذا زاد مكث الجنين على ثمانية أشهر نقص من عمره الطبيعي الذي هو مائة وعشرون سنة فاعرف الأصل والزم القانون الذي ذكرناه وهو ان كل كائن وحادث في هذا العالم الذي تحت فلك القمر من وقت حدوثه وكونه الى وقت فنائه وبواره هو من المدة التي هي مقدار دورة واحدة من أدوار الاشخاص الفلكية العالية كما بينا في رسالة الاكوان والأدوار

وقد ذكرنا قبل هذا الفصل بأن من مسقط النطفة الى يوم الموت من المدة اذا جرى مكثه وعمره على الامر الطبيعي هو مقدار دورة واحدة من أدوار الشمس

وذلك أنه اذا مكث الجنين في الرحم ثمانية أشهر ثم ولد فان الذي يبقى للشمس من المسير الى أن تعود الى الدرجة التي كانت فيها يوم مسقط النطفة اربعة أبراج مائة وعشرين درجة فيستأنف المولود العمر في الدنيا لكل درجة سنة فان مكث تسعة أشهر فالذي يبقي له ثلاثة أبراج تسعون درجة ويستأنف المولود العمر تسعين سنة فان مكث عشرة أشهر فالذي يبقى له برجان ستون درجة فيستأنف المولود العمر ستين سنة فقد تبين بهذا المثال وعلى هذا القياس ان كل ما زاد في المكث نقص في العمر

فأما الذي يوجد بالتجربة أن جنيناً مكث عشرة أشهر وعاش مائة وعشرين سنة أو مكث تسعة أشهر أو مات لأقل من ستين سنة فلعلل وأسباب خارجة عن الامر الطبيعي يطول شرحها

وعلى هذا المثال يجري حكم سعادة المواليد وذلك ان الله عز وجل قد جعل لكل مولود قدراً من السعادة في الدنيا وقسمها قسمين قسما جعل منه لطول العمر وقسما لرغد العيش وربما يزيد لأحد المواليد في عمره وينقص من رغد عيشه وربما يزيد لآخر في رغد عيشه وينقص من عمره . فمن أجل هذا ترى كثيراً من سعداء أبناء الدنيا الرغدي العيش يكونون قصيرى الأعمار وترى كثيراً طويلى الاعمار ناقصى رغد العيش :

ومما يحكى أن ملكا رأى شيخاً في داره كبيراً سقاء . فقال له كم تعد من الخلفاء فقال له كثير . فقال له شبه المتعجب ما بالكم تطول أعماركم وتنقص أعمارنا فقال له السقاء لأن أرزاقكم تجيئكم مثل أفواه القرب وان أرزاقنا تجيء مثل قطر المطر .

فاستحسن الملك قوله وضحك وأمر له بجائزة حسنة اغناه بها . ثم فقده بعد قليل فسأل عنه فعرف بموته . فقال صدق لما جاء الرزق مثل أفواه القرب قصر عمره .

وهكذا أيضاً الحكم والقياس قد جعل الله لكل انسان حظاً من السعادة وقسطاً من النعيم وقسمها قسمين فجعل قسطاً في الدنيا وقسطاً في الآخرة كما ذكر فقال عز من قائل « كل شيء عنده بمقدار » وقال « وما ننزله الا بقدر معلوم » فمقدار ما يدخل الانسان حظه من النعيم ، والتلذذ في الدنيا فبذلك المقدار ينقص حظه من نعيم الآخرة . والى هذا المعنى أشار بقوله تعالى في عتابه للمسرفين « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » وقال سبحانه « من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الاخرة من نصيب »

وحكي ايضاً قول الربانيين العارفين حقيقة ما نقول حين قالوا لقارون لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك وذلك لانهم علموا بان نصيبه من الدنيا هو مقدار

مايقدمه لآخرته ولا يتمتع به كله فى الدنيا وقد قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وايات كثيرة فى القرآن فى هذا المعنى الذي ذكرنا فلا تغتريا أخي بما ترى من حال المترفين فى الدنيا وما يتنعمون من النعم والتلذذ مع عصيان الله واعراضهم عن الاخرة وتركهم ذكر المعاد فمما قليل سيفنى ماهم من نعيم الدنيا ويحضرون للاخرة فيكونون من فقرائها واشقيائها كما ذكر الله تعالى فقال « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » وذلك أنهم ظلموا أنفسهم باستعجالهم راحة الدنيا واعراضهم عن الآخرة وعصيانهم عنها وتركهم الاستعداد لها ولم يسعوا في اخلاص نفوسهم وفكاك رقابهم منها ولا جرم أنهم سيعلمون أى منقلب ينقلبون وكفى بهذا وعيداً وتهديداً وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وقد تبين بما ذكرنا ان مكث الجنين فى الرحم مدة ما انما هو لكي يتم الجسد وتستكمل صورة البدن والغرض من ذلك أن المولود ينتفع بالحياة الدنيا بعد الولادة

وكذلك أيضاً قد قال الحكيم ان مكث الانسان العاقل الذى هو تحت الأمر والنهي اما بموجب العقل أو بطريق السمع بأوامر الناموس ونواهيه وفى طول عمره الطبيعي مدة ما انما هو لأن تتم فضائل النفس وتستكمل أخلاقها المختلفة ومعارفها الربانية بالتأمل والبحث فى النظر والسعي والاجتهاد في العمل كما ذكر فى حد الفلسفة انها التشبه بالاله بحسب طاقة الانسانية أو بما رسم في الناموس من الوصايا والأوامر والنواهي كل ذلك لكيما تستكمل النفس فضائل الملائكة فيها

والغرض من هذا كلها هو أن يمكنها ويتهيأ لها الصعود الى عالم الأفلاك والدخول فى سعة السماوات والكون هناك مع أبناء جنسها وأهل ملتها من القرون الخالية الذين مضوا على سنن الديانات النبوية والمناجاة الفلسفية الحكمية والآداب الملكوتية واللحوق بهم في درجاتهم والمكث هناك متنعمة متلذذة فرحة مسرورة أبد الآبدين ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن اولئك رفيقاً واليهم أشار بقوله سبحانه « وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب.

فصل

اعلم يا أخي ان الله جل ثناؤه لما علم بأن أكثر الناس لايعيشون أعماراً طبيعية على التمام ولايتركون في الدنيا زمانا طويلا تهذب فيه نفوسهم وتستكمل فضائلهم لطف بهم من أجل ذلك وبعث اليهم الانبياء والرسل واضعي النواميس بالوصايا والاوامر والنواهي والسنن الزكية والشرائع المرضية اذا استعملوها على نحو مارسم لهم من السيرة العادلة استتمت فضائل نفوسهم وتهذبت أخلاقهم وان كانوا قصيري الاعمار كما ذكر الله تعالى فقال « فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما » وقال النبي صلى الله عليه وآله من أخلص العبادة لله تعالى أربعين صباحا شرح الله صدره بنوره وفتح قلبه للايمان وأطلق لسانه بالحكمة ولو كان أعجميا أغلفا فهذا هو حكم نفوس البالغين الذين تحت الامر والنهي

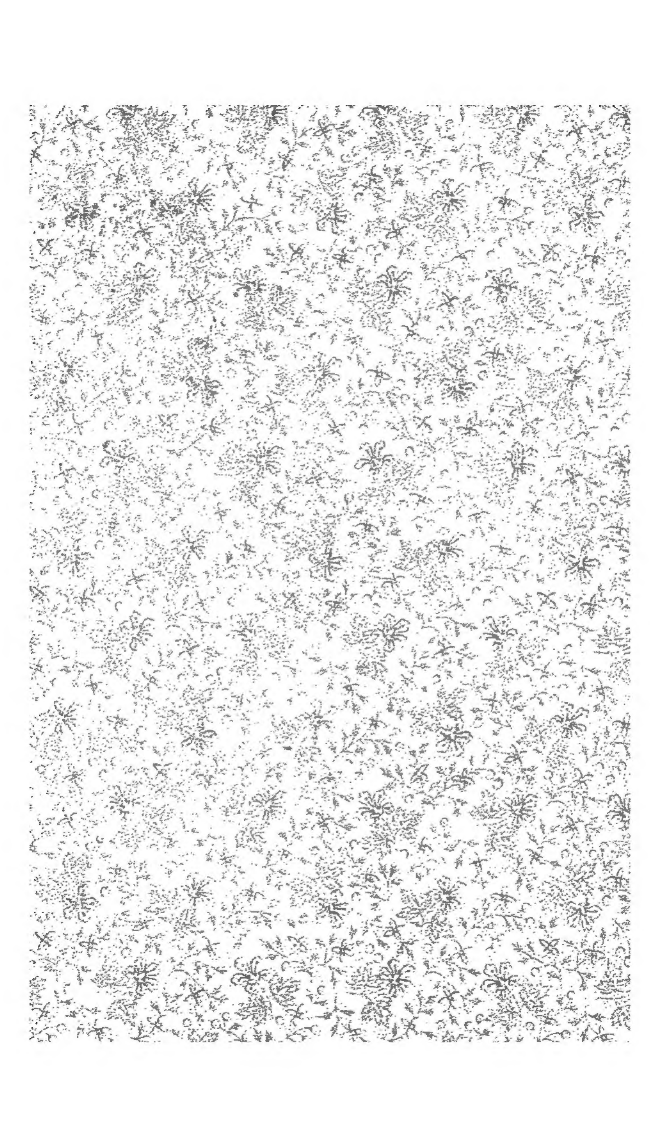
وأما حكم نفوس الاطفال والمجانين فهي تنجو بشفاعة الآباء والامهات والانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين

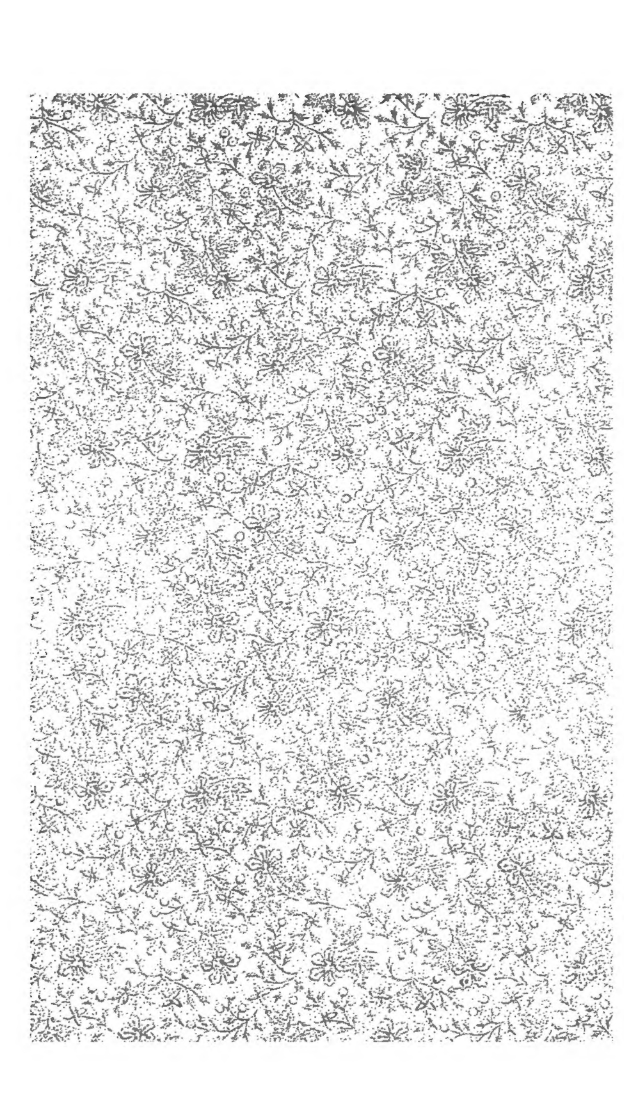
وإذ قد تبين لك يا أخي ماالغرض من المكث في الرحم مدة ما وماالغرض من المكث في الدنيا مدة ما أيضا فبادر الآن وتشمر وتزود فان خير الزاد التقوى وشد وسطك للرحيل من الدنيا الفانية الى دار القرار الباقية قبل فناء العمر وتقارب الأجل فقد أعذر من أنذر كما قال الله تعالى « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان » يعني العدل « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » أن يقولوا يوم القيامة ماجاءنا من رسول ولا كتاب وكانت أعمارنا ناقصة قصيرة وآجالنا قريبة فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل

الناس نيام واذا ماتوا انتبهوا فانتبه أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قبل أن تفارق الاوطان وتدخل في النيران وقبل أن ينادي المنادي قد شقي فلان وسعد فلان . وفقك الله وإيانا للسداد انه رؤوف بالعباد

(تمت رسالة مسقط النطفة ويتلوها رسالة قول الحكماء)








Bibliotheca Alexandrina
04277657